فهرس المجلد الثاني من شرح الشفاء للشهاب

م



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿وصل اما اصل فروعها﴾ هذا الفصل معقود لبيان اصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا لتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها وضمير فروعها للاخلاق المذكورة قبله (وعنصر) هو بضم الصاد وفتحها والاول اشهر والثانى افصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا اطلقت يراد بها التراب والماء والهواء والنار لتركب جميع الاجساد منها والينابيع فى قوله (ينابيعها) جمع ينبوع وهو ماينبع الماء منه كالعين وكل ما يتفجر منه الماء (ونقطة دائرتها) والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح مستديرا يكون فى حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذى يحيط بالسطح مساوية فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دائرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه العقل الذى مبنى الاخلاق عليه بشجرة اصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمراتها مايظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه بعين تلك الاخلاق كانها الفائض منها ثم شبهه بنقطة فى الوسط المعتدل يتساوى جميع جوانبها والاخلاق كسطح اوخط محيط بها فقال (فالعقل) وهومشتق اى مأخوذ من عقله اذا شده فمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه عما لايليق اومن المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه اليه وهو كما قاله الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولاينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لاينفع ضوء الشمس وضوء العين ممتنع وفى الحديث * ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه

الى هدى او يرده عن ردى (وقال بعض الحكماء هو جوهر وقال آخرون جسم شفاف محله الدماغ او القلب والاصح انه قوة نفسية هى منشأ الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان اهل الشرع لايقولون بمثله وقوله (الذى ينبعث منه) اى ينشأ و يخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله (العلم والمعرفة) العلم يكون بمعنى مطلق الادراك و بمعنى ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها ماسبق بالجهل وقال البيضاوى انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما فى قوله تعالى * وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم * اى الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشى معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لايطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل وتبع فيه السيد فى شرح المواقف فى قوله علم الله لايسمى معرفة لااصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطأه فيه الحافظ العراقى رحمه الله تعالى فى نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد فى الحديث وكلام الصحابة واهل اللغة والمتكلمين انتهى فاى اجماع مخالف لهذا ومثله عجيب من السيد الشريف (ويتفرع) اى ينبنى و يظهر ناظر لكونه اصلا (عن هذا) عداه بعن لتضمين يتفرع معنى ينشو والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل الذى هو العقل (ثقوب الرأى) اى نفاذ رأيه فيما يفكر فيه وتدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب اى مضئ فقوله (وجودة الفطنة) وهى الحذق وسرعة الانتقال (والاصابة) اى موافقة الصواب فيه تفسير لثقوب الرأى (وصدق الظن) اى موافقته للواقع كاليقين كما قال الالمعى الذى يظن بك الظن * كأن قد رأى وان سمعا (والنظر للعواقب) اى كأنه ينظر عواقب الامور و يشاهدها كما قال * وانى لارجو الله حتى كأنما * * ارى بجميل الظن ماالله صانع (ومصالح النفس) مجرور معطوف على العواقب ومرفوع معطوف على ثقوب الرأى اى مافيه صلاح وخيرلها (ومجاهدة الشهوة) اى مدافعتها وممانعتها عما تريده فانه جهاد اكبر واعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك (وحسن السياسة) لغيره بامره من ساسه اذا حكم عليه وهو لفظ عربى لقوله وكانسوس الناس والامر امرنا * وليس معربا كما توهمه ابن كمال فى رسالة التعريب كما مر بيانه (والتدبير) النظر فى ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله (واقتناء الفضائل) اى اكتسابها والتحلى بها (وتجنب الرذائل) اى ترك كل مايذم و ينقص به الانسان كالكذب والخيانة (وقد اشرنا) اى ذكرنا فيما تقدم فيما اوردناه فى صفاته والاشارة وان كانت تطلق على مايقابل العبارة قد يراد بها العبارة ايضا لنكتة (الى مكانه منه عليه الصلوة والسلام) الضمير الاول له صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى للعقل والمكان المرتبة المعنوية فى الفضائل يقولون فلان بمكان من الفضل يريدون

علو رتبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حائزله ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة فى تمكنه منه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له (وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لا يبلغها بشر سواه) كما سنبينه (واذ جلالة محله من ذلك) قيل الظرف متعلق بقوله حارت العقول وقت حلوله الى آخره واذ تعليلية اى حارت العقول لاجل الخ وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته اى من اجل ان جلالة محله الخ واذ تعليلية كما فى قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى من اجل ان جلالة محله متحقق يجب اعتقاد ذلك ويجوز ان يكون ذلك لمجرد التحقق ولا يخفى ما فى هذا كله من التكلف والذى ظهر لى انه معطوف على ما قبله لانه يعلم من اشارته الى مكان منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه وكانه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ جلالة محله امر متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو فى القرآن وكلام العرب متداول قال ناظر الجيش فى شرح التسهيل فى قوله * اجدك لن ترى بثعيلبات * ولا بيداء ناجية ذمولا * ولا متدارك والليل طفل * ببعض نواشغ الوادى حمولا * متدارك بالجر لان المعنى لست براء ولا متدارك وجعله ابو حيان من العطف على التوهم كقوله * مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها * والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه كلام بيناه فى نكت المغنى وقوله من ذلك اشارة الاصل ولو سلما صحة تعلقه بقوله حارت كان معطوفا على ما قبله ولا وجه له (وما يتفرع منه) من الاخلاق الشريفة وثمراتها (متحقق) لا ريب فيه لتواتره بحسب المعنى (عند من تتبع) اى علم فعبر بالسبب عن مسببه كما قالوه فى تتبع خواص التراكيب (مجارى احواله) جمع مجرى او مجرى الضم واصله مسيل الماء والمراد ما جرت به عادته فى احواله ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله اولا ينابيعها فانه جار على مجراها ومنحدر اليها (واطراد سيره) الاطراد افتعال من الطرد وهو الجرى خلف شئ من صيد او غيره ومنه مطاردة الفرسان فى الميدان ومنها سبقه للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالغزوات وقيل المراد مجال اطرادها ليوافق قوله مجارى احواله اى مجال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشئ يتبع بعضه بعضا فجرى والانهار تطرد اى تجرى ومنه الاطراد البديعى لسرد اسماء الممدوح وابانة مرتبته والمعنى جرى سيره فى تداول الكتب منسجمة وهو استعارة ووجه الشبه فيهما الكثرة ولا يخفى ما فيه من البعد (وطالع جوامع كلامه) اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف او كلماته الجامعة للحكم التى تحير فيها عقول البلغاء والحكماء (وحسن شمائله) بالجر معطوف على كلامه وهى جمع شمال بمعنى الخلق والصفة قال * هما لمؤمن اخرمن شماليا * اى من خلق وعادتى (وبدايع سيره)

اى سيره الذيعة ويمعى ان يراد بها كتب السير حتى لايكون مكررا مع ما مر (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف وهى القول المصيب عرض الحق والحديث معروف (وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة) بالتشديد والتخفيف على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالزبور والصحف اى على علمه بذلك والتوراة احل الكتب المنزلة قبل القرآن واصلها وورية ابدلت الواو تاء ووزنها تفعلة بفتح العين اوكسرها وقيل ورتها فوعلة والانجيل بالكسر وقد تفتح من النحل وهذا امر تقديرى لتجرى عليه احكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لايجرى فى غير كلام العرب (وحكم الحكماء) جمع حكمة اى مالهم من الحكم فى كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد مرانه جمعها ابن مشكويه فى كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته فرأيت اكثره ورد فى الاحاديث الشريعة ولكن اين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لايمكن مضاهاته (وسير الامم الخالية) اى ماوقع فى زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بنى اسرائيل وما كان من عجايبهم (وايامها) اى وقايعها فى حروبها ومجادلاتها فان الايام شاعت بهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شايع صار حقيقة فيه ومما قلته مشيرا لهذا المعنى

* تمنيت من دهرى زمانى ىسأتى * زمان به طيف السرور كاحلامى *
* فجاء باايام على ارما مضى * ولكن حروب قد تسمت باايام *

(وضرب الامثال) الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذى وقع فيه اومستعار من ضرب الخاتم او اللبن كما حققه اهل المعانى والتفسير وهو مما يعتنى به البلغاء لكشف المعنى الممثل له وابرازه فى صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال النبوية افردت بالتأليف (وسياسات الانام) السياسة ضبط امور العامة باللسان والسنان وتدبير احوالهم ولبس المراد حسن المداراة كما قاله التلمسانى والانام الخلق وقيل الانام عبارة عما يعتريه اللوم اوالانس اوالجن اوما على الارض من الخلق فيختلف بحسب ما يضاف اليه (وتقرير الشرايع) اى بيان مايتعلق باحكام الشرع فى المعاملات وغيرها (وتأصيل الاداب النفيسة) اى بيان اصول الاداب التى تتأدب بها الناس فى مجالسهم ومحاوراتهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * اكرموا عزيز كل قوم * ونهيه عن الملاحاة والمجادلة كما مر وقوله * تهادوا تحابوا * وسماها نفيسة لانها مماينتافس فيها المتنافسون (والشيم الحميدة) جمع شيمة وهى العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف اى عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة مصموما مادكر (الى فنون العلم) التى كانت فى الامم السالفة كالطب وغيره لما لم يبه الشرع (التى اتخذ اهلها كلامه عليه الصلوة والسلام فيها قدوة) اقتدوا به فيها واستدلوا به عليها (واشاراته) فى اثناء كلامه بها (حجة) دليلا

عليها (كالعبارة) بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها كما قاله البرهان الحلبي وذكره الازهري والجوهري الا انه لم يضبطه والذي في النسخ كسر العين بمعنى تفسير الرؤيا وهو على قسمين في الرؤيا الصحيحة لانها على ثلثة اقسام رؤيا حلمة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فرأى نارا توقد عنده اوالبرودة فرأى ماء وبحرا او اكل ما كل غليظة سوداوية كالباذنجان فرأى سوادا ويسمى اضغاث احلام ولاتأويل لها وكذا من غلب فكره في شيء فرآه كما قال المعري * الى الله اشكوانى كل ليلة * اذا نمت لم اعدم خواطر اوهامي * فان كان شرا فهو لابد واقع * وان كان خيرا فهو اضغاث احلام * ورؤيا من الله يريها له ملك الرؤيا عند اهل الشرع اوتدركها الروح اذا انقطعت عنها علايق البدن واتصلت بالملاء الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم في الحافظة وتبقى مشاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع مارأته بعينه ولم يحتج للتأويل وهوالاكثر في رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومن كان على سننهم ولذا اراد الخليل عليه الصلوة والسلام ذبح ابنه ولم يأول رؤياه بالفداء حتى امره الله تعالى به والا فتأول بما يناسبه معنى او لفظا اومحاكيه صورة وفعلها عبر بالتخفيف فعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وطلاقة او عبارة كرسالة وقدتشدد فيقال عبرتعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو

* رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا * انتهى

هذا ماذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره وقال في عدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبورالهواء من لسان المتكلم لسمع السامع ولايستعمل في تفسير الرؤيا انتهى يعني انها فيه مفتوحة لاغير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين لاغير وانه انكر هذا اللفظ مطلقا واساء سمعا فساء ماجاء به ثم جاء من بعده فصار به مضاربة العميان فقال انه كلام ضعيف مردود ولم يقف على المراد ولم يأت بما يدفع الايراد فاخطأ في المعنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله ولعل النوبة تفضي اليه في بحث النبوة وقد افردنا له تعليقة (والطب) وهو مثلث الطاء الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوائل وللعرب فيه اعتناء وقد افرد الطب النبوي بالتأليف (والحساب) بكسر الحاء مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما للعلم يعرف به احوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة (والفرائض) ذكره بعد الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به احوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق

هذا اللفظ عليه بعد نزول القرآن ومعناه ظاهر (والنسب) اى معرفة انساب الانسان من آدم عليه الصلوة والسلام الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتنى به وهو اعلم الناس به واعلم الناس به بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق رضى الله تعالى عنه وهو من نسبت الرجل اذا عزوته لابيه ومناسبته للفرائض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرائض والانساب قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم امر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين كما نقله التلمسانى (وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى ابوابه ان شاء الله تعالى) وقد حصل له عليه السلام ذلك (دون تعلم) من احد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق (ولا مدارسة) من درس الكتاب اذا قرأه وحفظه اى لم يعرف بأخذه من الافواه وحفظه لشئ من العلوم عن غيره (ولا مطالعة كتب) يقال طالعت الشئ اذا اطلعت عليه اى لم يطلع على شئ من الكتب بقراءتها اوسماعها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا بين قوم اميين لم يره احد قرأ ولا تعلم ممن قرأ واستعمال المطالعة بمعنى القرأة وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوى (من تقدم) ككتب الانبياء عليهم الصلوة والسلام والحكماء (ولا الجلوس الى علمائهم) اى لم يعرف احد انه جلس عند احد ممن يعلم كتب من تقدم ليأخذها عنه والضمير لمن باعتبار المعنى وكل ذلك الذى حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو علم لدنى غير مكتسب من احد من البشر واما قوله ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ففيه الرد على قولهم المذكور بانه كذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم فى ذلك كما هو مبسوط فى التفسير (بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم (نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك) التعلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة اى منبئ عن الله اومنبأ لا عن مخلوق والامى منسوب الى الام لانه كيوم ولدته امه اوالى ام القرى اوامة العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامى الذى لايكتب ولا يقرؤ الكتب (وقيل هو الذى لايكتب وبما شرحناه علمت مناسبة ذكر النبي هنا وفى الحديث انا امة امية لانحسب ولانكتب اى على جبلتنا لانتعلم حسابا ولاكتابة ولاينافى ما مر من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب (حتى شرح الله صدره) اى وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه لكل حق من العلوم (وابان امره) اى اظهر امره فى العلم للناس باياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتواترة (وعلمه) من لدنه العلوم المعهودة وغيرها (واقرأه) اى اقدره على القرأة بما القاه اوبما اوحاه اليه بواسطة الملك والاسناد مجازى او التجوز فى الطرف كقوله سنقرئك فلا تنسى (يعلم) بالبناء للمجهول (ذلك) اى ما علمه صلى الله عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم (بالمطالعة) اى بالاطلاع على سيره صلى الله تعالى عليه وسلم

وسمائله من كتب الحديث (والبحث عن حاله) وفي نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه بعن و هو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره (ضرورة) منصوب بنزع الخافض متعلق بيعلم اى من وقف على احواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل (وبالبرهان القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا) اى و يعلم ذلك ايضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر اصله تقليب البصر للادراك ثم استعمل في التأمل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد هنا اى من نظر في دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم علم قوة عقله وانه احاط بعلوم لانهاية لها (فلا نطول بسرد الاقاصيص) السرد تعداد امور من القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد حلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة او جمع قصص على خلاف القياس كما قاله التلمساني يقال قص واقص بمعنى اخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل ان يكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام واناعيم في جمع جمع نعم الا انهم تركوا استعمال اقصاص فانه لم يسمع وفيه تكلف لايخفى (واحاد القضايا) احاد بمد الهمزة جمع احد بمعنى مفرداتها وفي العباب سئل ابو العباس عن الاحاد هل هو جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد فهو يحتمل كشاهد واشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسه انتهى والقضايا جمع قضية وهي الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهي قريبة من قول اهل الميزان القول المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهي اخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين وفعايل عند البصريين (اذ مجموعها) جميع قصصه وقضاياه (مالا يأخذه حصر) اى ضبط واصل معنى الاخذ حوز الشيء وتحصيله ثم استعمل بمعنى العلة والقهر كقوله لاتأخذه سنة ولانوم كما مر وهذا هو المراد هنا وجعل مجازا او كناية عن انه لايمكن حصره وكذا قوله (ولايحيط به حفظ جامع) اى لايحفظ والاحاطة الاخذ بحوازه الشيء واريد به ماذكر (وبحسب عقله) قال البرهان هو في الاصل بسكون السين ويجوز ان يفتح اى بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذى في القاموس هذا بحسب ذا اى بعدده وقد تسكن ولم يخصه بالضرورة (كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم) جمع معرفة اى علومه (الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم مايكون وما كان) اى مضمومة الى الجميع او باقي ما اطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من احوال الامم الخالية وكتبهم وشرايعهم وما اطلعه الله عليه من المغيبات التي ستأتي و لما كانت جلالة قدره بواسطة علمه عما يكون اقوى منها بواسطة علمه عما كان قدم مايكون في المستقبل على ما كان

في الماضي مع سبقه اهتماما بشانه ومقتضى الترتيب العكس (وعجايب قدرته وعظيم
ملكوته) مجرور معطوف على علم و المراد ما اطلعه الله عليه في الاسراء من خلق
الملائكة والسموات واقداره على ذلك في برهة من الزمن وقدمر ان الملكوت مبالغة
في الملك كالرحموت والجبروت و يطلق و يراد به عالم الامر و يقابله الملك (قال الله
تعالى) ومايضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (وعلمك ما لم تكن
تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) اى علمك مالم تكن من شانك وفي قدرتك علمه
كالغيبات والاطلاع على احوال الملكوت ولذا امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم
به وفضل عظيم وصله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم مايكون لك ان تفعل كذا
اى لاينبغي ولايليق اولايصح ولايمكن ولذا ختم الآية بهذه المنة دون قوله في الآية
الاخرى علم الانسان مالم يعلم الا انه يبقى السؤال حينئذ على الآية الثانية بانه اى فائدة
في ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه لايكون الابغير المعلوم وقال في عروس الافراح
بعد ماذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال النفي وانفصاله وانهما اجتمعا في قوله وعلمتم
مالم تعلموا انتم ولاآباؤكم وفائدة ذكر المفعول في قوله وعلمك مالم تكن تعلم كان الانسان
لايعلم الامالايعلم التصريح بذكر حالة الجهل التي انتقوا عليها فانه اوضح في الامتنان
انتهى وفي حاشية السيرامي على المطول ان الشارح قال في بعض دروسه الاولى ان
يقول مالم يكن يعلم كما في قوله تعالى وعلمك مالم تكن تعلم اذلا فائدة في ذكر المفعول
اذالتعليم انما يكون لمالم يعلم ولم يكن فيه استعارية لولم يعلمه لم يحصل العلم لجماعة على
غير علام الغيوب وهو بعيد اذ رعايته وهم حصوله من غير تعليمه تعالى ورد بانه كقوله
تعالى علم الانسان مالم يعلم الاية فالاولى ان يحمل ذكره على افادة العموم لانه لئلا يتوهم
اختصاصه ببعض الافراد كقوله تعالى ومامن دابة في الارض ولاطائر يطير بجناحيه
للتأكيد فتذكر لكن قوله من البيان يأباه ويحتمل انه ذكر للسجع انتهى (اقول هذا
كله كلام سطحي والذي ظهرلي في الاية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما
الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لماقال له صلى الله تعالى عليه اقرأ فقال ما انا
بقارئ سواء اريد النفي اوالاستفهام قال له كيف لاتقرأ وربك رب اكرم تفضل على
عباده بنعم اجلها ان كل انسان كان اميا مثلك في ابتداء امره فعلمه الكتابة وقراءتها
بالهامه فكيف لايعلمك وانت اعزهم عليه واقواهم بصيرة فاي فائدة اتم من هذه
وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا لم يعد ضرب ضارب وضرب
لمضروب فان اريد عموم اوخصوص افاد و هنا علم انه لوقال مالم تكن تعلم اوعقبه
عاعقب به تلك الاية لم يصادق محزه وماقيل من انه لم يذكر الكون في هذه الاية وذكره
ثمه لانه ورد في مقام خال عن اعتبار القوة والاجتهاد فلايناسبه ذكر الكون المؤذن
بهما خلاف تلك ويؤيده قول الكرماني في قوله تعالى وماكان الله ليضيع ايمانكم

ان كان ذكرت للتأكيد لان معناه كما في الكشاف ماصح وينبغي به نفي امكان الاضاعة وهو ابلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر في انه اردف قوله وعلمك مالم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه به لما في الاول من المبالغة والتأكيد انتهى قد علمت ما فيه مما تقدم وقوله (حارت العقول في تقدير فضله عليه) المذكور في هذه الاية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم ولكن ومايكون عنده تعالى عظيما كيف يعلمه سواه (وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك) الفضل ومالا يدرك كيف يوصف وفي قوله خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضي سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال (او ينتهي اليه) اي كيف يحيط بما لم يصل اليه

﴿ وصل واما الحلم ﴾ اي حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع من هيجان الغضب وعدم اظهاره (والاحتمال) هو افتعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفي البطن ففرق بينهما لفظا ثم استعمل في التكليف كقوله لا تحملنا مالا طاقة لنا به وللصبر على المكاره وعدم التأثر منها كما في الماء لا يحمل الخبث وهو المراد هنا (والعفو) عدم المؤاخذة بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق تقدم (مع القدرة) وفي نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمي بمعنى القدرة ومن كلامهم المقدرة تذهب الحفيظة اي الغضب والحمية (والصبر على مايكره) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك (وبين هذه الالقاب) اي بين مسميات هذه الالقاب (فرق) يميز بينها عن غيره واحتاجت الى الفرق لتقارب معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام (فان الحلم حالة توقر) بفتح المثناة الفوقية وضم القاف المشددة اي اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر اي ساكن غير مضطرب (وثبات عند الاسباب المحركات) كالغضب قيل ولا بد من اعتبار كون هذا بسهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتبار يصير كذلك (والاحتمال حبس النفس عند) ورود ما يعتريها من (الالام) بمد الهمزة جمع الم وهو ما يولم في اي عضو كان (والمؤذيات) بالهمزة والواو والدال المعجمة جمع مؤذية والاذى كل ما يتأذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حين تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يأمرها به وفي نسخة المرديات رواية كما قاله التلمساني المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك (ومثلها) قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وانث ضميره باعتبار انه حال واو قال ومثله كان احسن واسلم من التكلف (الصبر) فان معناه لغة الحبس ومنه قتله صبرا اذا امسكه ليقتله في غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمالات (ومعانيها متقاربة) قال الراغب الصبر الامساك في ضيق وحبس النفس عماية تضيه

العقل او الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بسبب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة تضجره سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في الكلام سمي كتمانا ويضاده الزلة انتهى ومنه تعلم ان له معنيان خاص وعام فلو حمله المصنف على الخاص غاير اخويه وهو الاولى (واما العفو فهو ترك المؤاخذة) بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهي الجزاء على ما فعل غيره قيل وفي تفسيره بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة لان من لا يقدر عادم لا تارك فتقييده به اولا للتأكيد كسطر بعينه كقوله

* وان في الحلم ذلا انت عارفه * والحلم عن قدرة فضل من الكريم *

لانه ان لم يكن عن مقدرة فهو عجز وما احسن قول ابن زيدون

* ارى الدهر ان يبطش فانت يمينه * وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر *

* عطاء ولا من وحلم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر *

(وهذا كله مما ادب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى آداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وارشده بعد ما خلق فيه استعدادا تاما لها كما قال ادبني ربي فاحسن تأديبي وهو احد الحكم في كونه صلى الله عليه وسلم نزل يتيما حتى يعلم ان ربه مربيه من غير حاجة لامه وابيه (فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق اى تعاطى العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفي عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان في قوله وأمر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز في جبلته ومن تأمل مثله استخرج منها فوائد لا تنحصر ومنهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المؤاخذة والبحث عن مذام الاخلاق فامر باخذ ما سهل من اخلاق الناس وافعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بانه غير مناسب لقوله (وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) هذا الحديث كما قاله السيوطي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وابو الشيخ في تفاسيرهم وابن ابي الدنيا في مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه وعزا الشيخ قاسم للبخاري عن عبد الله بن الزبير في قوله خذ العفو الى آخره انه قال ما انزل الله هذه الآية الا في اخلاق الناس وله في رواية اخرى تعليقا عن عبد الله قال امر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأخذ العفو من اقوال الناس او من اخلاق الناس واما قوله (واعرض عن الجاهلين) اى عن معايبهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ باية السيف وان كان امرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة (قيل وبعين هذا

ما رواه البخاري من ان عيينة بن حصين استأذن له الحر بن قيس من عمر رضي الله تعالى عنه في الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب اما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضي الله تعالى عنه فقال له الحر يا امير المؤمنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم خذ العفو الاية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها عمر رضي الله تعالى عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة ولبس كما قال فانه يجوز ان يكون استشهد بها لشمولها غير الكفار لا ان هذا هو معناها فقط (سأل) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل) عليه الصلوة والسلام (عن تأويلها) اى تفسيرها و بيان المراد منها فانه احد معنيي التأويل (فقال له حتى اسئل العالم) يعني الله عز وجل والعالم كالعليم من اسماء الله تعالى و يوصف بهما غيره تعالى اما الاول فظاهر واما الثاني في حق الله فظاهر واما في غيره فكقوله * فان تسألوني بالنساء فانني * عليم بادواء النساء طبيب * والثاني في حق الله تعالى اشهر وقيل المراد بالعالم الكامل في العلم كما في قوله ذلك الكتاب فيختص به فانه مستثنا و بهذا المعنى للعليم واما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردي وهو من المتأخرين لا يستدل به وهذا الحديث يكفي شاهدا لاطلاق العالم على الله فهو كاف في ثبوته (اقول هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى واما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردي فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور في الشواهد واما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور في القرآن كقوله عالم الغيب والشهادة فمما يقضي منه العجب واما قول جبريل عليه الصلوة والسلام حتى اسئل العالم دون اسئل الله وكأنه تأدب منه لايهام انه لا يسئل الله بالذات فكان بينه وبينه واسطة اى من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن سأل عن شيء لا سيما القرآن فينبغي ان يتثبت فيه وفي جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح وجبرئل بالفتح مهموزا مشدد اللام وجبرائيل بهمزة بعد الالف وجبرئل مفتوحا بهمزة بلا الف وياء وجبريل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخر وقال الجوهري والازهري وكثير من المفسرين في جبريل وميكائيل ان جبر وميك معناهما عبد وئيل وال اسم الله وقال ابو علي الفارسي هذا خطأ لان ال لم يذكر احد انه من اسماء الله تعالى ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم آخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووي وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان ال اذا كان اسم الله هو سرياني فلا يأباه عدم معرفة العرب له واما اعرابه فلانه لما عرب غير عما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا ارجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعي كما توهم (فأتاه) الفاء فصيحة اى انفصل عنه وفارقه ثم أتاه

(وقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك) الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهى عنه كما فى قوله (وتعطى من حرمك) يقال حرمه واحرمه بمعنى اى احسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وان كان لايرجو غير الله واحسانه (وتعفو عمن ظلمك) هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله يعنى وأمر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره او للاشارة الى انه فى معرض النسخ او لان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى اصول الاخلاق واعظمها واحبها الى الله تعالى فتدبر (وقال له واصبر على مااصابك الآية) وهذه الآية من وصية لقمان لانه اذ قال له يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله تعالى فى كتابه الكريم وكل ما قصه الله تعالى من قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فكانه بما امر به اقتداء ولايتوهم انها لبست فى حقه اى اذا امرت بمعروف ونهيت عن منكر واصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) قال العز بن عبد السلام اولو العزم اولو الجد والجهد والصبر وهم المأمورون بالجهاد او الرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من اصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهم وقيل نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون فى الانعام فى قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الا يونس لقصة الحوت انتهى ولاينبغى عد محمد صلى الله عليه وسلم هنا لقوله كما صبر وهم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم اصحاب الشرايع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل اولو عزم وقيل كل الانبياء عليهم الصلاة والسلام اولو عزم الا يونس لعجلته والفاء فى قوله فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى اذا كان عاقبة الكفرة ماذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن فى من الرسل بيانية او تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الآية او الجد والاجتهاد او الجهاد (وقال وليعفوا وليصفحوا الاية) الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من اعرض عن شئ ولاه صفحة عنقه وهذه الاية وان نزلت فى الافك وفى حق ابى بكر رضى الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض فى الافك آلى ان لاينفق عليه فقال الله تعالى * ولايأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين * الى آخره فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى وعاد الى انفاقه عليه فالنبى صلى الله تعالى

عليه وسلم داخل في عمومها كما في سائر الخطابات فلا يرد على المصنف ان هذه الاية
ليست في حقه صلى الله عليه وسلم (وقال ولمن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور)
اى من اهم الامور التى ينبغى التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم ان قلنا ان
من شرطية اولام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الاية مع
ماقبلها كما علمت نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها
المصنف على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان آخذا بذلك معتمدا عليه (ولا خفاء
بما يؤثر من حلمه واحتماله) الباء بمعنى فى و يؤثر بمعنى ينقل و يروى من حلمه وتحمله للاذى
فانه شايع غير خفى على احد (وان كل حليم) اى ولا خفاء ان كل حليم غيره صلى الله
عليه وسلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاى المعجمة وهى الخطيئة والسقطة قال الشاعر
* فتى لا ترى زلة ليس بعدها * نحو و زلات النساء كثير *
(وحفظت عنه هفوة) بفتح الهاء وسكون الفاء وهى قريبة من الزلة معنى وقال
التلمسانى هى بالفاء وهو اكثر وبالقاف وهى السقطة وهو قريب منه وهى من هفا
بمعنى زل وسقط او تحرك واسرع (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة
الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل الا حلما) جملة حالية اى مع انه لابد من الزلة
والهفوة فى الغضب والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع ذلك الا صبرا وحلما
والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان اشهر معنييه بل هو السيء الخلق المجازف
فى اموره قال الشاعر * لا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا *
فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم و يتعدى بعلى وقد تترك تعديته كقول الحماسى * وبعض
الحلم عند الجهل للذلة اذعان * وقال بعض الحكما * لا يحملنك سب الجهول لك
وجرأة السفيه عليك على الاجابة له و فريه عليه فعلم يعنى صبرك خير من سفه ينبو
صدرك * وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف
عند العرب فى الجهل والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد (حدثنا القاضى
ابو عبد الله محمد بن على التغلبى وغيره) هو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين
زية عسلين التغلبى بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب اسم قبيلة
سميت باسم ابيهم كتميم ولامه مكسورة تفتح فى النسب استيحاشا من توالى كسرتين
ويلى ولد سنة تسع وثلاثين واربعمائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة
ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضاء
فى ايام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار باحسن سيرة و بقى فيها مدة عمره وسمع
من شيوخ الاندلس واخذ عنه المصنف فى رحلته لقرطبة (قالوا حدثنا محمد بن عتاب)
بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية والف و باء موحدة وهو ابن محسن الجذامى

المحدث الفاضل توفي ليلة الثلاثاء لاعشر بقين من صفر سنة اثنين واربعمائة قال (حدثنا ابو بكر بن واقد وغيره) هو يحيى بن عبد الرحمن بن واقد بالفاء والدال المهملة علم منقول من الوافد بمعنى القادم قال ابن سهل في احكامه كان ابن واقد مقدما في اصحاب ابي ذر ثم سقط بعد موته والزم داره ثم اعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعل اماما بجامع الزهراء ثم وقعت له امور اقتضت موته في الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة خمسين واربعمائة وانتصر الله من قاتله بعد ايام وفي بعض الحواشي انه وقع هنا في اصل السماع واقد بالفاء وفيما سيأتي في كيفية الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذي صححه البرهان الحلبي والتلمساني قال (حدثنا ابو عيسى) هو الليثي واسمه يحيى بن عبيد الله بن ابي عيسى يروي عن ابيه عبيد بن يحيى توفي لعشرين مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومأتين قال (حدثنا عبيد الله) قال البرهان الحلبي هو ابو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير قال (حدثنا يحيى بن يحيى) قال البرهان الحلبي هو يحيى بن كثير الليثي مولاهم البربري المصمودي القرطبي الفقيه ابو محمد عالم الاندلس لم يخرج له في الكتب الستة شيء والموطأ مشهور به وموطأه اصح نسخ الموطأ وقد سمعته بحلب وقرأته بالاسكندرية اما الذي له ذكر في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي فهو يحيى بن يحيى بن ابي بكر بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمي ابو زكريا النيسابوري احد الاعلام انتهى قال (حدثنا مالك) بن انس بن مالك بن ابي عامر الاصبحي امام دار الهجرة ومن اليه الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعي او من تبع التابعين ولد سنة ثلاث وتسعين وتوفي في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة ومات وهو ابن ست وثمانين واختلف في جده ابي عامر هل له صحبة ام لا (عن ابن شهاب) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري توفي سنة اربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك (عن عروة) بن الزبير بن العوام اخو عبد الله بن الزبير احد فقهاء المدينة السبعة روى عن ابويه الزبير واسماء بنت ابي بكر وخالته عائشة رضي الله تعالى عنهم وغيرهم وتوفي سنة اربع او خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح في الصحيحين والموطأ واختاره المصنف طريق الموطأ فقال (عن عايشة) ام المؤمنين فريدة الصدق ويتيمة الدهر رضي الله تعالى عنها (قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما) قال البرهان هذا ما اخرجه المصنف من موطأ مالك عن يحيى بن يحيى وقد اخرجه البخاري ومسلم واصحاب السنن ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتناء به وترجيحه على غيره من الكتب الستة ولان سنده فيه من هذه الطريق اعلى من سنده في غيره

لان بينه و بين ذلك فى هذه الطريق ستة بالسماع بينه و بينه فى رواية الصحيحين سبعة وفى ابى داود ستة الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لما الهمام الشان عنده وفى هذا الحديث الاخذ بالاسهل والارفق مالم يكن حراما اومكروها ونقل النووى عن المصنف انه يحتمل ان يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان اوفيما بينه و بين الكفار من القتال عقوبتان واخذ الجزية اوفى حق امته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر واماقوله (مالم يكن اثما) فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون اما اذا كان التخيير من الله اوالمسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله مالم يكن الى اخره اى موجب اثم من حرام او مكروه ما يفهم من الاستثناء فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة ان يخيره الله اوخلص المؤمنين بين امرين احدهما اثم وهومبنى على ان مافى معنى الاستثناء له حكم الاستثناء الاترى الى قول النحاة ان قولك لالزمنك اوتقضينى حقى بمعنى الاان تقضينى حقى فكانه قال هنا الاان يكون اثما فان قلت هذا مناف لما ورد ان افضل العبادة احمزها اى اشقها على البدن فكيف يختار غيرالافضل قلت انما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لافى حق نفسه لانه ارسل بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ويؤيده مافى نفس الامر قوله فى عجز الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه يعنى ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد يتصور واما من الله فلا فاذا اول بما يوجب الاثم او يفضى اليه فى حق غيره صح اوالمراد بالاثم مالا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف ويدل على انه فى حقه قوله (فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اقول قال العز بن عبد السلام وتبعه الزركشى فى قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها اجرك على قدر نصبك كما فى مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان احدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل فى الصيف والشتاء اما اذا لم يتساويا فلا فان الايمان افضل من الاعمال مع خفته والختان فضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل افضل من قيامه الليل وانقاذ الحاكم مظلوما بكلمة افضل من قيامه الليل وصيامه النافلة انتهى وهذا هوالحق الذى لامحيد عنه فلاحاجة لما اطالوا به من غيرطائل (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) اى لايعاقب احدا بتقصير وقع منه فى حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف امرالله فيما فعله لانه برئ من الحظوظ النفسانية والاعتبارات الدنيوية (الاان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) اى بسبب حرمة الله وانتهاكها وحرمة الله ما حرمه او جعله محترما ممنوعا وانتهاكه التعدى والتجاوز فيه من نهكت الثوب

اذالسته حتى اخلقته ويقال نهكته الحمى اذا اضعفته واضنته فانتهاكها تناولها بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله اى فعل ما حرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال حكمه ولبس الانتهاك المبالغة فى اتيان ما حرمه الله تعالى كما توهم حتى يرد انه لا يغضب بمجرد فعل محرم او صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من فعل ذلك فقد بالغ فى الجرأة على الرب العظيم او يقال انه كان يعفو عند فعل الصغائر ويغضب اذا فعلت الكبائر فان هذا مما لا ينبغى فانه كيف يخطر بالبال انه عليه السلام يعفو عن الصغائر من غير عذر لفاعلها ولا حاجة ايضا الى حمل هذا على ما يتعلق بالمال فانه عليه السلام اقتص ممن نال من عرضه كما امر بقتل ابن ابى معيط والاخطل واى حرمة لله اعظم من حرمة نبيه عليه السلام ومن اذاه فقد اذى الله وانما المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابى الذى امسك برده وجذبه حتى اثر فى جيده الشريف وقول بعضهم له اعدل فى القسمة فانك لن تعطى من مال ابيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلظة طباعهم مما لا يفضى الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا من محارم الله بحضرته عليه السلام التى من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لله لا لحق نفسه وان تعلق بها انتقاما لدين الله ورسوله عليه السلام (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته) رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين والاخرى من اليسار ويقابلها مثلها من فوق فالرباعيات اربع (وشج وجهه يوم احد) لشجة جراحة فى الوجه او الرأس (شق ذلك) الكسر والشج (على اصحابه شديدا) اى حصل من ذلك فى نفوسهم مشقة وامر اشديدا عظيما (وقالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لو دعوت عليهم) اى على الكفار بان يهلكهم الله ويستأصلهم باشد العذاب (فقال انى لم ابعث) بالبناء للمجهول اى لم يبعثنى الله (لعانا) اى داعيا على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله (ولكنى بعثت داعيا) للناس الى الله (ورحمة) للناس اجمعين باخراجهم من الكفر الى الايمان وتأخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم عنه ثم قال داعيا لهم (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) دعا لهم ان يهديهم الله تعالى للاسلام فانهم لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفى سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن ابى وقاص رماه صلى الله تعالى عليه وسلم وكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى وجهه الشريف وان ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته الشريفة وفى الروض الباسم انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته رماه عبد الله بن قمئة وضربه بالسيف على شقه الايمن فجرح وجنته ودخلت فيه حلقتان من المغفر فشقت شفته السفلى وصرخ ابن قمئة ان محمدا قد قتل

وقد اختلف في اسلام عتبة بن ابي وقاص اخي سعد بن ابي وقاص والصحيح انه لم يسلم
وابن شهاب اسلم واما ابن قمئة فنطحه كبش فتردى من شاهق فهلك ولكل شئ آفة
من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد احد من نسل عتبة الا بخرا هتم فسرى
جريه لعقبه فبخور اولاده لاني بمساء جدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم
لم تكسر من اصلها وانما شظيت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة رضي الله عنها
تغسل دمه وعلي كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء يزيد
الدم كثرة اخذت قطعة من حصير واحرقتها وذرتها عليه فامسك الدم وكسرت
البيضة التي على رأسه الشريف وقال الامام الخيضري في خصائصه ان هذا كان قبل
نزول قوله تعالى * والله يعصمك من الناس * اوالمراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل
لامن مطلق الاذية كما مر بيان ذلك وما احسن قول ابن الفارض في الاشارة لذلك

* عيني جرحت وجنته بالنظر * من رقتها فانظر لحسن الاثر *
* لم اجن وقد جنيت ورد الخفر * الا ترى كيف انشقاق القمر *

(وذيل بعضهم فقال)

* وما شق وجنته عابسا * ولكنه آية ساطعة للبشر *
* جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف انشقاق القمر *

وبقية قصة احد ومافيها مفصل في السير مشهور فلا نكثر السواد به كما في الشرح
الجديد (تنبيه) قال الامام السمرقندي في تفسير قوله عزوجل ويقتلون النبيين
بغير حق * طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا ان الله اخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم
الصلوة والسلام وقد قال الله تعالى * انا لننصر رسلنا * وقال انهم لهم المنصورون
ومافي معناه من الايات ومن كان الله ناصره فهو منصور ابدا فاذا لهم قتلوا فهو تناقض
واجيب بوجهين الاول انه لم يثبت في الكتاب ولافي خبر متواتر قتل رسول من الرسل
الذي اخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبياء لان الرسل هم الذين اوتوا المعجزات
لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسنة الدالة
على صدق دعواهم الرسالة وولاية القتل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبياء اذ ليس لهم
دعوة وشريعة والثاني ان المراد النصرة بالحجج لا بالعصمة انتهى (وعن عمر) رضي الله عنه
قال السيوطي رحمه الله ان هذا لا يعرف عن عمر في شئ من كتب الحديث ونص له
الشيخ قاسم في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له على اصل ايضا ويقدم
مافيه (انه قال في بعض كلامه) اي كلام قاله له لما رأى ما اصابه صلى الله تعالى عليه
وسلم من كسر رباعيته وشجه في غزوة احد (بابي انت وامي يارسول الله) هذا
الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره افديك وتسمى هذه الباء باء التفدية ومعناه
اني اجعل ابوي فداء دونك وابذلهما في حمايتك اقول الرحل لمن هو اعز عليه

من نفسه واهله وماله لانهم كانوا يبذلون الا نفس فى صيانة اهلهم وقد تكلم بهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل فى ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفداء بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداه وفداه بالتشديد اذا قال جعلت فداك وهى كلمة تقال فى التعظيم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد يعكس كما فى قوله

* فديت بنفسه نفسى ومالى * وما الوك الا ما اطيق * وحمله فى المعنى من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا على ماتداوله العرب والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الاباء والامهات ولقد قال الآخر * نفسى الفداء لقبر انت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم * فانظر قصة على كرم الله وجهه اذا فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اول من اشترى نفسه من الله كما مر ومقامه دون عمر رضى الله تعالى عنه كما هو معلوم (لقد دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا * وانما قال عمر رضى الله تعالى عنه هذا لان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلوة والسلام كما ان مشرب الصديق رضى الله تعالى عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك وديار بمعنى احد وهو يختص بالنفى يقال ما فى الدار ديار ودورى اى احد واصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وادغم والفاء عاطفة للمفصل على المجمل (ولو دعوت علينا) اى على الناس كلهم (مثلها) اى مثل دعوة نوح عليه الصلوة والسلام (لهلكنا من عند آخرنا) هذا التركيب وقع فى كلام العرب والمراد به من اولنا الى آخرنا اى جميعنا وللشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من اولنا الى آخرنا كما ذكر وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان اردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف فى اول سورة البقرة (فلقد وطئ ظهرك) الوطئ الدوس بالقدم وفى الشرح الحديد انه لم ينقل ان احدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روى فى السير من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى عند البيت وثمة كرش ذبيحة فيها قاذورات فقال ابوجهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمة ألا رجل يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث اشقاها وهو عقبة بن ابى معيط فالقاه عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم « اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وكانوا اباجهل وعقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن ابى معيط وامية بن خلف وعمارة بن الوليد وهم المستهزؤن

فاهلكهم الله جميعا فاما ان يكون سمى هذا وطأ لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمى الغزو وطأ اووقع هذا فى قصة لم يقف عليها (وادمى وجهك) اى جرح فى وقعة احد يقال ادميته اذا جرحته فاسلت دمه والذى فعل به صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك عتبة بن ابى وقاص اخو سعد كامر وفيه يقول حسان رضى الله عنه

* اذا الله جازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق *
* فاخزاك ربى ياعتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق *
* بسطت يمينا للنبى تعمدا * وادميت فاه قطعت بالبوارق *
* فهلا ذكرت الله والمنزل الذى * يصير اليه عند احدى البوائق *

(وشج وجهك) وقع فى نسخة التلمسانى زيادة هذا هنا وقد شجت وجنته وجبهته باحد فدخل فى وجنته صلى الله تعالى عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما بفيه ابوعبيدة بن الجراح رضى الله تعالى عنه حتى سقطت ثنيته والذى جرحه عبد الله ابن قمئة فقيل نطحه تيس وتردى من شاهق فات كامر وقيل انما هو عتبة بن ابى وقاص فادركه حاطب فقتله كامر وجاء بفرسه (وكسرت رباعيتك) تقدم بيانه وما فيه وعليه (فابيت ان تقول الا خيرا) اى لم تدع عليهم كما دعا نوح عليه الصلوة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون) الحق ولايهتدون الى الصواب وفى النسخ المروية هنا اللهم اهد قومى وهى مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية اوالتقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ماقيل ان الدعاء المذكور صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة فكيف يسأل لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل * ان الله لايغفر ان يشرك به * الآية ولو قلنا ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فاوجه وقوعه فى كلام الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم ولاحاجة الى الجواب بان هذه الآية من سورة النساء وهى مدنية بجملتها اوهذه الآية بخصوصها فيجوز ان دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل نزولها وقيل علمه منع الدعاء لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدنى مانزل بالمدينة او بعد الهجرة او المراد مغفرة ما وقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لامغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبى صلى الله عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبى كان قبله كما رواه مسلم فى صحيحه قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كانى انظر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحكى عن نبى من الانبياء ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومثله فى البخارى والمراد بهذا النبى نوح عليه الصلوة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف فى لبد ويلقى فى بيته يرون انه قد مات

ثم يخرج ويدعوهم الى الله تعالى فلما آيس منهم دعا عليهم فالنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لما وقع به ما وقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومى ذكر
نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك ورجاء لرحمة الله تعالى بهدايتهم
واضافتهم اليه موافقة لما فى نفس الامر وان قيل انه ليس من اهلك كما لا يخفى
وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقى اوبما هو فى حكمه لعدم جريهم
على مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلوة الصلوة واجبة والجهل وان لم يكن مع
مشاهدة الايات الباهرة عذرا شرعا فليس بمنج من العذاب وقد اختلف فيما قبل
البعثة ايضا كما هو معلوم فى كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر
تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنين اومن ذريتهم
وقد حقق الله تعالى رجاءه لا انه جعل ذلك عذرا حقيقيا لهم فلا يردها شئ كما
توهمه بعضهم (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف عياض رحمه الله (انظر ما
فى هذا القول) المذكور فى كلام عمر رضى الله تعالى عنه فى الحديث الذى قبله (من جماع
الفضل) الجماع بكسر الجيم ما يجمع كل امر كالخمر جماع الاثم ومظنته
(ودرجات الاحسان) بالجر معطوف على الفضل اى ما يجمع مراتب الاحسان
وكذا قوله (وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم) ففيه ما يدل على
نهاية هذه الصفات (اذ لم يقتصر على السكوت عنهم) مع ما فعلوه معه صلى الله
تعالى عليه وسلم مما لا يتحمل بعضه احد فضلا عن اعز الناس نفسا واشرفهم
واعلاهم حسبا ونسبا * وجرح ذوى القربى اشد مضاضة * على النفس من وقع
الحسام المهند (حتى عفا عنهم) مع عظيم جرمهم فى حقه اذ قال انى لم ابعث لعانا
(ثم اشفق عليهم) اى ابدا شفقته ورحمته لهم (ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد)
كما مر بيانه مفصلا (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) فان الطبع البشرى
يقتضى العطف والحنو على الاهل والاقارب باى حال كانوا (ثم اعتذر عنهم بجهلهم
فقال فانهم لا يعلمون) وقد تقدم بيانه ونسبتهم اليه ليبلغهم ذلك فتنشرح صدورهم
لاجلها فيختاروا الايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا
للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم
لا يعتد به بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه
اعتذار ظاهرى اعتبره سعيا فى تسخير قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون مكابرون
وليس لهم عذر يقبل شرعا كما مر تفسيره (ولما قال له الرجل) هو ذو الخويصرة
التميمى ويقال له حرقوص بن زهير رأس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان
كما فى تجريد الذهبى وفى صحيح البخارى هو عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى قال
فى المقتفى ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل والنهروان بفتح النون والهاء

اسم موضع فارسي معرب (قال الطرماخ) قل في شط نهروان اغتماضي * ودعاني هوى العيون المراضي * وحكى الجواليقي انه سمع من العرب ضمهما وكان حرقوص مع علي كرم الله وجهه في حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك ومقول القول (اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله) اي كن عادلا فيما قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ورضاه والمقسوم كان من غنائم خيبر او تبرا ارسله علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه ونحوه في صحيح البخاري واخرجه البيهقي وهو حديث صحيح وفي الفاظه اختلاف والمآل واحد (لم يرد) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في جوابه ان بين له ما جهله) اي لم يرده على ان بين له ما جهله من عدالته في قسمته حيث قال من يعدل ان لم اعدل (ووعظ نفسه وذكرها) التذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال ويحك) ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب وهي منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها والترحم له لما خالف رضاء الله تعالى عليه او تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع في رواية ويلك (من يعدل ان لم اعدل) وفي مسلم اولست حق اهل الارض ان اطيع الله عز وجل وغضب صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه (خبت وخسرت ان لم اعدل) روي بفتح التاء فيهما على الخطاب وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح اي خبت وخسرت ايها القائل ان لم اعدل انا لاتباعك واقتدائك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمني رحمه الله لانه معلق بعدم العدل الذي عصمه الله تعالى عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها (ونقل النووي في شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح اشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم اعدل خبت لاني اقتلك لنفاقك ونطقك بما ينافي الاسلام لكني عدلت نظرا لظاهر اسلامك وان ما وقع من سوء ادبك جهلا منك غير مخل بمقامي (ونهى من اراد من اصحابه قتله) وهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما في البخاري فقال عمر يا رسول الله ايذن لي اضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم معاذ الله ان يتحدث الناس اني اقتل اصحابي وفي مسلم ان القائل خالد بن الوليد رضي الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما اراد ذلك وقد صرح به في مسلم وان عمر رضي الله تعالى عنه لما قال ذلك فقال دعه وادبر فقام اليه خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المصنف في شرح مسلم من سب النبي صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وسيأتي ذلك في آخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل (قال الماوردي تحتمل انه يفهم منه الطعن في النبوة وانما نسبه

بترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام عند هذا القائل وان لم يصب اوانه لم يسمعه منه وانما نقل له و لم يثبت عنده لان المخبر له واحد ومثله لا تراق به الدماء وهذا تأويل باطل فان المروى يا محمد اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى استأذنوه صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتله واما الوجه انه صلى الله تعالى عليه وسلم سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء لانقيادهم و تأليفا لقلوب غيرهم لئلا يتحدث الناس بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل اصحابه فينفروا و يرتدوا فاختيار اهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا (ولما تصدى له صلى الله تعالى عليه وسلم غورث بن الحارث) تصدى بالتاء المفتوحة والصاد المهملة كذا والدال المشددة والف اى اتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم ايضا وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبى قال وعند بعضهم مصغر يعنى غويرث كفويرث وزيرك فانه تصغير بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب غويرث وقال التلمسانى انه غويرث ايضا وفى بعض الروايات تسميته دعثور وانه اسلم لكن قيل انهما روايتان (ليفتك به) الفتك مثلث الفاء ساكن التاء هو ان يأتى رجل آخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه القصة كان فى غزوة ذات الرقع فى السنة الرابعة من الهجرة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ) بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة وذال معجمة اى جالس فى ناحية مختل وحيد يقرب من الناس (تحت شجرة وحده) ليستريح بظلها وتلك الشجرة شجرة عضاة وهى التى تسمى ام غيلان وهى شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفره (قايلا) حال اى مستريحا فى وقت القيلولة وهى وسط النهار اذا استد الحر وان لم ينم (والناس قايلون) اى كل منهم فى قيلولته منفردا عن اصحابه (فى غزاة) هى غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف فى زمنها ووجه تسميتها مفصل فى السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو (فلم يتنبه) اى لم يتنبه صلى الله تعالى عليه وسلم لمجيئه او لم يتنبه من نومه (الا وهو) استثناء من اعم الاحوال وضمير هو لغورث (قائم والسيف صلتا) بفتح الصاد المهملة اوضمها ولام ساكنة ومثناة فوقية اى مسلولا مجردا من غمده ويجوز فى السيف رفعه على انه مبتدأ ونصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال (فى يده فقال) غورث له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك منى) لانه وحده خاليا ليس معه احد و لا سلاح وهو جالس و غورث قائم عليه بسيفه المجرد و فى رواية انه كرر مراجعته ثلاث مرات (فقال الله) اى يمنعنى منك الله الذى عصمنى من الناس كافة (فسقط السيف من يده) اى لما ارعده قوله الله وفى رواية ان جبريل عليه الصلوة والسلام طهر له فسقط سيفه

وفى رواية فسام سيفه اى اغمده فهو من الاضداد وكان غورث من اشجع الناس يتوعدان يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له امكنك الله من محمد فاختار سيفا من سيوفه واقبل حتى قام على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذه) اى السيف الذى سقط منه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وقال من يمنعك منى) اى من ان اقتلك والسيف بيدى (فقال كن خيرآخذ) بالمد اسم فاعل اى خير رجل اخذ خصمه وتمكن منه فتكرم عليه (فتركه وعفا عنه) مع القدرة عليه وقيل الاخذ الاسر والاخيذ الاسير كما فى النهاية وهو غير بعيد ايضا وفى البخارى مسندا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قفل لغزوة ذات الرقاع ونحن معه فاذ ركبنا القايلة فى واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه فنمنا فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا فجئنا فاذا عنده اعرابى جالس فقال ان هذا اخترط سيفى وانا نائم فاستيقظت وهو فى يده صلتا فقال من يمنعك منى قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما رأى كرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم اسلم وهو من عظماء ما نزل الله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم * الاية (وجاء) غورث (قومه) وفى نسخة فجاء قومه (وقال جئتكم من عند خير الناس) حلما وكرما (ومن عظيم خبره) صلى الله تعالى عليه وسلم فى العفو (عفوه عن) المرأة (اليهودية) وهى زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امرأة سلام بن مشكم اخت مرحب اليهودى كما ورد فى الحديث الصحيح الذى اخرجه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (التى سمته) اى جعلت له صلى الله عليه وسلم السم (فى الشاة) المسوية من الغنم (بعد اعترافها) بوضع السم له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشاة (على الصحيح من الرواية) متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن ان يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها اهدت له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة مصلية اى مشوية لم تخبر فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأكل منها فاكل هو واصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من اخبرك بهذا قال هذا العظم لساقها وهو فى يده قالت نعم قال لم قالت اردت ان كنت كاذبا ان نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل لا وروى ابو داود انه صلى الله عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب شرف المصطفى ذلك وجمع بين الروايتين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صفح عنها حق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البرا

من اكله منها قتلها قصاصابه لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال (وروى معمر في جامعه عن الزهري انها اسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع معمر ايضا ان ام بشر بن البراء قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته انى لااتهم لبشر تعنى ابنها الا الاكلة خيبر فقال وانا لااتهم لنفسي الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذى مات منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لاخروجا كليا بل بقى اثرها مع ضعفه فاثر فيه لما يريد الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف في ما مر ان الذى اكله صلى الله تعالى عليه وسلم ساق الشاة وفي اخرى انه كتف وذراع لانها سألت عن احب اللحم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا الذراع فاكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها واساغ بشر لقمته وهذا يؤيد عدم القطع بتأثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ما ورد في الحديث ايضا انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرض موته ما زالت اكلة خيبر تعاودنى حتى قطعت ابهرى فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه (واعلم ان في هذه المسئلة اختلاف للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره فاكل منه ومات هل عليه قصاص ام لا وهو مبنى على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة ايهما يقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها اسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا ان يكون هذا من خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) اعصم بزنة احمر بمهملات ويقال له عصم بدون الف ولام وهو رجل من بنى زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام برؤا منهم واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين انه يهودى وهو المشهور وقيل انه منافق كان مخالفا لليهود وسيأتى عن المصنف رحمه الله تعالى انه حكم باسلامه وقال البرهان لا اعلم احدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفي كما ورد في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر ايضا (اذ سحره صلى الله تعالى عليه وسلم وقد علم به واوحى اليه بشرح امره) اى بيانه مفصلا في سحره وما فعله (ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته) تقدم الكلام على فضلا وذلك كما رواه النسائى والبيهقى في الدلائل عن زيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه قال سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك اياما فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك

عقد لك عقدا فى بئر كذا فبعث فاستخرجها فجاءه بها فحلها فقام صلى الله تعالى
عليه وسلم كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى حتى مات وكانت له امرأة
يهودية تسمى بزينب تفعل ذلك قال التلمسانى وهو من افعال النساء فى الاكثر ولذا قال
الله تعالى من شر النفاثات دون النفاثين تغليبا و قال الواقدى لما رجع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن
الاعصم وقالوا له انت اسحرنا وقد سحرنا محمد فاصنع له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع
ما سيأتى فاقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اربعين يوما وقيل ستة اشهر يخيل
اليه انه فعل الشئ وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال لعائشة رضى الله تعالى عنها
ان الله افتانى فيما استفتيته اتانى رجلان فقعد احدهما عند رأسى والاخر عند رجلى
فقال احدهما ما وجع الرجل قال مطبوب اى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم
قال فى اى شئ قال فى مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر فى بئر ذروان اوذى اروان
فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع بعض اصحابه وماؤها كنقاعة الحناء
ونخلها كأنه رؤس الشياطين وقيل انه صلى الله عليه وسلم ارسل عليا والزبير وعمارا
رضى الله تعالى عنهم اجمعين فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها
وتحتها مشاطة من رأسه واسنان مشطه ووتر عقد فيه احدى عشر عقدة قيل وتمثال
من شمع مغروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرأ اية انحلت عقدة واخرجت ابرة
حتى زال المه والرجلان الذين رأهما فى منامه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل عليهما
الصلاة والسلام وما كان يخيل له صلى الله عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من امور
الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحى فانه معصوم فيه واعلم انهم
اختلفوا فى السحر كما يأتى هل هو امر حقيقى ام محض تخيل لا اصل له والصحيح
انه حقيقى يفعل الله بواسطة ان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان
باستعانة بخواص سفلية فعلم الخواص وان كان بعض الكواكب ودعوتها
فدعوة الكواكب وان كان باستمزاج القوى السفلية والعلوية فالطلسمات
فان اعتقد تأثيرها بالذات فكفر والافحرام وفاعله لاضرار الناس يقتل شرعا على
تفصيل فيه ذكره الفقهاء ليس هذا محله (وكذلك لم يؤاخذ صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن ابى) هو عبد الله بن ابى بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبد الله بن مالك
ابن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لمدينة رأس الانصار مرشحا لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اسلم ظاهرا وكان كاطنهم وفيه عجهية الجاهلية وعامة حب الرياسة
وكان بسبب ذلك رأس المنافقين يصدر عنه امور يكرهها الله ورسوله وكان
يبلغ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فيعفى عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم

كان يداري المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل اصحابه وكان ابنه عبد الله من كبار الصحابة وخلص المؤمنين فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم لام ابي ممنوع من الصرف فابي منون وابن بعده يرسم بالف لانه لم يقع بين علم ابن وعلم اب على الاصح وهو رأس المنافقين هلك في السنة التاسعة بعد مقدمه عليه الصلوة والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك في ذي القعدة فصلى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكفنه في قيصه قبل نزول النهي عن الصلوة على المنافقين كرامة لابنه رضي الله تعالى عنه (واشباهه) جمع شبه بمعنى شبيه اي لم يؤاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤاخذ من يشبهه (من المنافقين بعظيم ما نقل) بالبناء المجهول (في جهته) اي في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حق ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها (قولا وفعلا) كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبي في شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه البخاري في تفسير سورة المنافقين (بل قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمن اشار بقتل بعضهم) وهو عمر رضي الله تعالى عنه لما هزم بنوا المصطلق فبلغه قول ابن ابي وقد لطم حليفا له يقال له جعال رجل من فقراء المهاجرين مساعدة لاجير لعمر رضي الله تعالى عنه ما صحبنا محمدا الا للطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاية ثم قال لقومه والله لئن امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن ارقم رضي الله تعالى عنه انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين ثم اخبره الله بذلك وقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا) اذن لك في ذلك (لئلا يتحدث الناس) من قبائل العرب (ان محمدا يقتل اصحابه) فهو علة لتركه رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفي نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبني للمفعول ولاوجها لبست لنفي التحدث اذ هو مستأنف معلل لما قبله كما علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله تعالى عنه وروى الطبراني ان ابنه رضي الله تعالى عنه لما بلغه مقالة ابيه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعني اقتله وآتيك برأسه فقال لا تقتل اباك وفي الكشاف فان قلت كيف جاز له صلى الله تعالى عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه في قيصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما اسر ببدر لم يجدوا له قيصا يستر وه به وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قيصه

وكان جاريا على عادة العرب فى المكافاة وروى ان ابنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ابوه اسئلك تكفينه ببعض قمصانك وان تقوم على قبره ولا تسمت به الاعداء ففعل ذلك فقيل له عم لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى لارجو ان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه اسلم الف من الخزرج بسبب ذلك (وعن انس رضى الله تعالى عنه كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطى رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الآتى من مال الله الذى عندك قال فضحك وامر له بعطاء واخرجه بلفظ المصنف لبيهقى فى الادب من حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظ مسلم كنت امشى مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة الخ (وعليه برد غليظ الحاشية) البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب وفى رواية الاوزاعى غليظ الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون والفاء وهى طرف الثوب ايضا (فجبذه اعرابى) جبذ لغة فى جذب اومقلوب منه وهما بمعنى (بردائه جبذة شديدة) وهذا يقتضى انه كان عليه بردا ورداء فوقه وان الجذب وقع بهما (حتى اثرت) بتشديد المثلثة مبنى للفاعل اى اظهرت اثرا وعلامة (حاشية البرد فى صفحة عاتقه) الصفحة الجانب اوالعرض والعاتق ما بين العنق والكتف اوموضع الرداء من المنكب وهو يؤنث ويذكر وفى رواية ان البرد انشق (ثم قال) الاعرابى (يا محمد) قيل مشافهته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا تقتضى انه لم يكن مسلما والسياق يقتضى خلافه ولبس فيه ماينافيه غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهى عنه بقوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ وان الاعرابى كان قريب عهد باسلام فى طبعه غلظة وجفاء فهو معذور وطلبه عطاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واخذه من الزكاة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفى كتاب الامتاع من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لايجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا احمد ولكن يقول يا نبى الله يارسول الله قال تعالى لاتجعلوا الخ قال تعالى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اى لاتدعوه باسمه فان قيل ثبت عن انس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اهل البادية جاء فقال يا محمد الخ احب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه او فى حال اسلامه قبل النهى اوقبل بلوغه فلوناداه بالكنية هل يحرم ام لا فيه نظر انتهى (اقول الظاهر ان هذا فى حياته مواجهة اما فى غير ذلك فلا يحرم الا ذكره بما لايشعر تعظيمه فلا يرد انه وقع كثيرا فى المدائح النبوية وغيرها كقول حسان رضى الله تعالى عنه

* هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء *

* فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء *

ولا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن ومما قيل
هنا ايضا ان الرسول ويارسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على قول
ابن مالك فى الفيته مصليا على الرسول المصطفى ولا وجه له لما مر (احمل لى) قال
التلمسانى همزته همزة قطع رباعى اى اعنى على الحمل ويجوز ان يكون معنى احمل لى
اى اعطنى ما احمل والاول اولى لوجوده المحمول انتهى وتبعه بعض المحشين
فيجوز فيه الوصل ايضا الا ان فيما رجح به الاول قنطرا (على بعيرى) بالتثنية
مضافا الى ياء المتكلم (هذين من مال الله الذى عندك فانك لاتحمل لى) بضم التاء
وفتحها على ما مر وروى لاتحملنى اى لاتعطينى (من مالك ولامن مال ابيك) وقيل
انه اسند الحمل اليه لانه سبب آمر به فهو مجاز عقلى وعلى هذا همزته همزة وصل
ايضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من احمل اجمالا اى جعل
البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشئ لان ما ذكره
معنى آخر حقيقى صرح به الجوهرى وكان الرواية عليه (فسكت رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده) اتصرف فى ماله باذنه واعطى
من يأمرنى باعطائه فرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه بالطف رد (ثم قال ويقاد
منك) بالبناء للمجهول وتقدير همزة الاستفهام اى اويقاد منك من القود وهو
القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة اى المجازى على تركك ادبك ولم يقل
اقيد نفسى منك كراهة ان يذكر مايشعر بانتصاره صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه
ولو مستعملا وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فيمن يستوفى القود اهو الله ام من عنده
من المسلمين وقوله (يااعرابى) اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعراب وهم اهل
البادية (مافعلت بى) من جذب بردى بان يفعل به مثله ويعزر بما يليق به وسيأتى
تحقيقه فى القصاص باللطمة (قال لاقال لم) لايقاد منك (قال لانك لاتكافئ) بهمزة
من المكافاة وهى المجازاة وبالياء اصلية اومبدلة منها (بالسيئة السيئة) فيه مشاكلة
لان الجزاء ليس بسيئة اواستعارة لانها مثلها بحسب الصورة (فضحك النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم) سرورا بما رآه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك
بقصد التنقيص منه وتطمينا لقلبه اذ ابدى المسرة عقالته (ثم امر ان يحمل له على
بعير شعير وعلى آخر تمر) وفيه من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتحمله الاذى
وعدم التضجر مالايخفى وهو ارشاد لامته لاسيما من يتولى منهم امور المسلمين ثم اتى بما
يدل على ما فى الحديث من خلقه العظيم فقال (قالت عائشة رضى الله عنها) فى حديث
اخرجه الشيخان واحمد والترمذى فى الشمائل مع مخالفة يسيرة فى لفظه (مارأيت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) رأى بصرية اوعلمية (منتصرا) اى
منتقما وناصرا لنفسه على غيره (من مظلمة) اى ظلم وهى بفتح الميم وكسر اللام

وفتحها واقتصر في التقريب على الاول (ظلمها) مبني للمفعول وهو مؤكد او دفع لتوهم كون الظلم لغيره (قط) لاستغراق مامضى كما مر (مالم تكن حرمة من محارم الله) اى مالم تكن المظلمة بارتكاب امر حرمه الله واى تصرف حق له ولايرد عليه انه قتل ابن الاخطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه حق لله فان ابن اخطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابي فانه مسلم حمله على ما فعله غلظة طبعه وظهر من جوابه انه لم يقصد بذلك الاهانة مع ما فيه من حكم خفية كاستعطاف قلوب اهل البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (وماضرب) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده شيئا قط) من دابة وانسان وغيره (الا ان يجاهد في سبيل الله) كما في ضربه ابي بن خلف باحد بحربة تناولها من بعض اصحابه اما الحارث بن الصمة كما يأتي اوالزبير بن العوام فخدشه بها في عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم اى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلني والله محمد فوقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التي كان اعدها ليقتل عليها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتي وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفي رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من اضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وهو مناسب لموضعه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة قط احدا الا ابي بن خلف هذا لاقبل ولابعد وجاء اشد الناس عذابا من قتله نبي وفي لفظ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير وفي لفظ اشتد غضب الله عزوجل على رجل قتله رسول الله في سبيل الله اى لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فاتحمل الواحد منهم على قتل شخص الامر عظيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكملهم لطفا ورفقا وشفقة بعباد الله (قالوا) واحترز بسبيل الله عمن قتله صلى الله تعالى عليه وسلم حدا اوقصاصا لان من يقتله في سبيل الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابي بن خلف لعنه الله كما يأتي بيانه (وماضرب خادما) له (ولا امرأة) من نسائه وفيه دليل على جواز تأديب الرجل امرأته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى الله تعالى عليه وسلم (وجيء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم برجل) هذا الحديث اخرجه احمد والطبراني بسند صحيح ولم يسميا الرجل (فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال) له (صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع) اى لاتخف مني وكرره ليطمئن قلبه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى لا اى لاخوف عليك مني ولامن غيري (ولو اردت هذا لم تسلط علي) لان الله عصمني فلن تنالني ما اردته

انت ولاغيرك فان قلت قوله لوردت يقتضي انه لم يرده مع انه اراد ذلك لقولهم اراد قتلك قلت المراد بالارادة سببها وهي مباشرة ماهم به لومددت يدك الى لم تصل الي (وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح النون وقيل انها مضمومة وهو غريب وهو حبر من احبار اليهود كما في الاكمال والتهذيب هو صحابي من احبار اليهود الذين اسلموا وهو من اكثرهم مالا وعلما حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعية بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال النون اشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبي انه اصح واما اسيد بن سعية فالتحتية فيه اصح واسيد بفتح الهمزة اوهو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن سلام ايضا وسنده صحيح كما قاله السيوطي (قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه) اي يطلب منه صلى الله تعالى عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضي بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي

* لحى الله دهرا شره قبل خيره * تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا *

قال الشراح اي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام اهل اللغة فقول شيخنا المقدسي في الرمز التقاضي معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت ديني واقتضيته بمعنى اخذته وفي العرف الطلب انتهى لاوجه له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى عرفي وهو غريب منه وفي رواية عن زيد المذكور كنت اريد ان اعلم حال النبي صلى الله عليه وسلم ليطابق ما في التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه علي فجاءه رجل كالبدوي فقال يارسول الله ان قرية بني فلان اسلموا واعلمهم انهم ان اسلموا اتتهم ارزاقهم رغدا وقد اصابتهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام قال رأيت ان ترسل اليهم شيئا يعينهم فقال زيد بن سعنة يارسول الله انا ابتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل وقال له عجل عليهم بها واغثهم فلما كان قبل الاجل بيوم او يومين او ثلاث خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى جنازة في نفر من اصحابه فلقيه وتقاضاه (بجذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه) ضمنه معنى ازاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو اطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب اي اخذه بطوقه وماتحت لبته ونحره وهذا هو الصحيح المعروف لا ماقيل انه مابين الكتفين فان الثياب كلها كالرداء والقميص تجتمع هناك (واغلظ له) اي قال له كلاما غليظا خشنا مع تعبس وتجهم وجهه (ثم قال انكم يابني عبد المطلب) مفتعل من الطلب واسمه شيبة على الاصح لانه ولد وفي رأسه شيبة ظاهرة في ذؤابته (مطل) بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل

فى تأخير الحق او حلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفى القاموس المطل التسويف بالعدة والدين (فانتهره عمر) رضى الله تعالى عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ فى القول مع صياح وقيل النهر عن السئ بفظاظة (وشدد له فى القول) فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اى عدو الله اتقول هذا لرسول الله وتصنع به ما ارى وتقول له ما اسمع والذى بعثه بالحق لولا ما اخاف فوته لسبقنى رأسك (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) من مقالهما لشدة حلمه ولعله كشفا بمراد بن سعنة وان عمر رضى الله تعالى عنه لو كشف له الغطاء لم يصعب عليه ذلك (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو) اى ابن سعنة صاحب الحق (كنا الى غير هذا) المقال الذى قلته (منك احوج يا عمر) اى اكثر حاجة وهو افعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبر انا وما عطف عليه ثم بين الغير الذى هما احوج اليه من هذا التشديد بقوله (تأمرنى بحسن القضاء) اى وفاء ماله على (وتأمره بحسن التقاضى) والطلب بلطف (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل اوتأخير منه (لقد بقى من اجله) اى من تأجيل دينه (ثلاث) اى ثلاثة ايام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه وقع على احسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة كما اشار اليه بقوله (وامر عمر يقضيه ماله ويزيده) على حقه (عشرين صاعا) من تمر (لما روعه) ما مصدرية اى لاجل ترويع عمر له اذ هم بقتله وقال له ما مر (فكان) فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سبب اسلامه) لانه كان عالما بالتوراة ورأى فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما رأهما تيقن امره وزالت شبهته فحسن اسلامه واراد الله سعادته (وذلك انه كان يقول) لمن عنده من اليهود (ما بقى من علامات النبوة) اى علامات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المذكورة فى التوراة التى قرأها وعرفها (شئ الا وقد عرفته) اى شاهدته فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشئ بمعنى العلامة (الا) علامتين (اثنتين لم اخبرهما) اى لم اعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته اخبره خبرا اذا اختبرته فصدق فى الخبر الخبر ثم فسر الثنتين اللتين لم يعرفهما بقوله (يسبق حلمه جهله) تقدم ان الجهل فى كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه عدم المبادرة بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله * الا لايجهلن احد علينا * فيجهل فوق جهل الجاهلينا * كما مر لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب احيانا لله وينتقم فلا يتوهم من لايعرف كلام العرب هذا ما لايليق بصفاته

صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم يغلب حدته كما
فى قوله سبقت رحمتى على غضبى او السبق على ظاهره فى قال المعنى يغلب حلمه على
جهله لو كان له جهل كقوله فتبارك الله احسن الخالقين وليس المراد ان له صلى الله
تعالى عليه وسلم جهلا يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة
وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتى والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لانه
انتهى لم يصب مع ما فى كلامه من التناقض (ولا يزيده شدة الجهل الا حلما) هذه
هى العلامة الثانية اى جهل غيره بمعنى سفاهته واذيته كلما ازدادت واشتدت عليه
زاد حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره ما لم تجاوز حدود الله وتوقى حرماته
فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم الخارقة
للعادة كما عرفته فى هذه القصة مع زيد بن سعنة ولذا قال زيد لعمر رضى الله عنه
لما قضاه وزاده اشهد ان لا اله الا الله وانه رسول الله وما حملنى على ما رأيتنى صنعت
يا عمر الا انى كنت رأيت صفاته التى فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم
فوجدته على ما وصف فى التوراة وانى اشهدك ان هذا التمر وشطر مالى فى فقراء
المسلمين واسلم اهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا اشار المصنف
بقوله (فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث) اى الاخبار المستفيضة بين
الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بعن فقال (عن حلمه وصبره وعفوه
عند القدرة) قيده به لانه هو المحمود كما مر (اكثر من ان تأتى عليه) يقال اتى على
الكتاب قرأه او المال انفاقا اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم اكثر من ان تحصى
والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيعابه واستقصاؤه (وحسبك بما ذكرناه
مما فى الصحيح والمصنفات الثابتة) اى يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل الثقاة فان
ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفى هذا منصفا (الى ما بلغ) لك وعند ك (متواترا)
تواترا معنويا عن مجموعهما (مبلغ اليقين) اى وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذى
لا يشك فيه احد ولو قال مبلغ الضرورى كان اولى والقول بانه اراده لا يخفى ما فيه
ثم بين ذلك بقوله (من صبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (على مقاسات قريش)
لمقاساة معالجة امور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها وهذا فى اول بعثته صلى الله
تعالى عليه وسلم كما يعرفه من طالع السير (واذى الجاهلية) اى تحمله صلى الله
عليه وسلم اذى الجاهلية اى اهل الجاهلية وهم الكفار (ومصابرته الشدائد الصعبة
معهم) فى الحروب الواقعة بينه وبينهم وهى وان كانت سجالا الا انه صب عليهم الذل
فالمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدائد الحروب وهم صناديد كان لهم صبر على
اصطلاء نارها لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم غلبهم وصابرهم وزاد عليهم حتى
ظفر وانتصر (الى ان اظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم) اى جعله الله تعالى ظاهرا

غائبا لهم وهم فى قبضة تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل واسر وعفو ان شاء (وهم لا يشكون فى استيصال شأفتهم) الاستيصال قطع الشئ من اصله وازالته بالكلية وشأفة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة وفاء يليها هاء تأنيث وتبدل الهمزة الفا وهى قرحة تخرج فى اصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد يدعى به والمراد ازالة الله تعالى من اصله بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ولا فرع وفيه اشارة الى خبثهم وانهم كقرح فى البدن خبيثة مهلك لصاحبه فشبه هلاكهم اجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا يخفى (وابادة خضرائهم) الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذى قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال فى النهاية ابيدت خضراء قريش اى دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض اهل اللغة الى ان صوابه غضراؤهم بغين معجمة وهى غضارتهم وخيرهم وخصبهم اوطينتهم التى خلقوا منها والمراد على كل حال استيصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ظفر بهم فى حال تيقنوا هلاكهم باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية (فاراد) صلى الله عليه وسلم (على ان عفا وصفح) اى مع شدة اذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا فى قبضة تصرفه وقد احاط بهم الهلاك من كل جانب ماراد ما كان عليه من حاله الا العفو والصفح لا اشفاء النفس بالانتقام وفعل ما يستحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح متقاربان عدم المؤاخذة بالذنب (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) تلويحا للطف بهم مستدرا منهم كما فى ضمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ماتقولون) ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به النحاة فقوله (انى فاعل بكم) بفتح همزة ان وهى وما معها سادة مسد مفعوليه وهذا متعين وجعل القول على اصله بناء على انه سألهم عما قالوا فى انفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح (قالوا خيرا) منصوب بمقدر يدل عليه فاعل قبله اى تفعل خيرا او انت فاعل خيرا (اخ كريم) اى انت اخ اخره كريم وهى جملة مستأنفة لبيان انه يفعل الخير (وابن اخ كريم) هذا على عادة العرب فى تسمية القريب اخا قال تعالى * والى عاد اخاهم هودا * والكريم الجامع للخير والفضائل كما فى الحديث الكريم بن الكريم الخ (فقال اقول كما قال اخى يوسف) فيه بلاغة وطى بديع ابلغ من قوله * نهيت من الاعمار مالو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد * لما فيه من الايماء الى شقهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع رحمه مع ماله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشرف الباذخ فانه الكريم بن الكرام وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه وتملكه لنواصيهم وذاتهم له معترفين بقصورهم (لا تثريب عليكم) اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم

الراحمين* التثريب التعيير والتوبيخ اى لا اوبخكم واعيركم بما يخجلكم و يحتمل ان المراد
لا اعتب عليكم لعدم ما لا تى لكم من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش ومعناه
ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب
مثلا للتقريع الذى يمزق العرض و يذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرآن
ولو مع تغيير ما فى المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر وفيه
المسارعة بالمغفرة فى وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان
يوقف على اليوم اى لا تعيير لكم اليوم لان المقدرة تذهب الحفيظة اذ ابدل الله من
العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة ولا تثريب
فى زمان فيه مثل هذا الخير وبهذا الوقف قرأ القراء ويغفر جملة دعائية او خبرية
مبشرة لهم بذلك (اذهبوا فانتم الطلقاء) بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى
سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء تمييزا بينهم
وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس
جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان
ابن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال
يا معشر قريش انى فاعل الى آخره فخرجوا كانما نشروا من القبور (وقال انس
رضى الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح) منصوب على
الظرفية اى وقت صلاة الصبح (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الهبوط
النزول من علو لسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضى الله تعالى عنه ثم هبطت
البلاد لا بشر وباؤه مفتوحة فى الماضى مكسورة فى المضارع وضمها لغة سادة وقال
ابن عطية ان الضم كثير فى غير المتعدى وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدى
وغيره يعنى بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه
جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادى هو نعمان فقيل فيه التنعيم
لذلك وقالت امرأة تذكره* ايا جبلى نعمان الله خليا * نسيم الصبا يخلص الى
نسيمها* وهو على اربع اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة (فاخذوا
فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله) فى هذه القصة (وهو الذى
كف ايديهم عنكم الآية) وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم
اى اظهركم ونصركم عليهم فهزمهم حتى ادخلهم بطنها وحديث انس رضى الله
تعالى عنه المذكور رواه مسلم والترمذى وابو داود والمراد ببطن مكة الحديبية
وضمير الخطاب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن معه وكان ذلك فى اصل
شجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله تعالى

سعون او ثمانون واحدوا اسراء والسمراء يمسون فى الصلح فاطلقهم وهم العتقاء وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احبران عكرمة ابن ابى جهل خرج اليه فى خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا ابن عمك خرج فى خمسمائة فارس فقال انا سيف الله وبذلك سمى يومئذ فقام اليه فى خيل فهزمه الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة وبهذا استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة وردبان الآية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة الماضى والآية نزلت بالحديبية قبل ومن العجيب قول ابى السعود ان الآية نزلت لما خرج عكرمة بن ابى جهل فى خمسمائة فارس الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست فى ذى القعدة وفتح مكة كان فى رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح (اقول من قال المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضى بمعنى المضارع للتحقق وعدا بعيد جدا وايضا ما ذكر ان عكرمة ابن ابى جهل خرج فى عسكر فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد الى الحديبية فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما فى البخارى ولا حاجة لتأويل كلامه بانه اراد بالفتح قصة الحديبية لانها سميت فى القرآن فتحا مع انه تابع فى هذا الغلط لغيره وعهدته على من قاله اولا وليس مانقله ايضا مطابقا لما قاله فى تفسيره وفى فتح مكة خلاف فى كتب الفقه وفى الكشاف كف ايديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة وهى نزعة اعتزالية ولذا تركه القاضى رحمه الله تعالى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابى سفيان) صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس ابن عبد مناف (وقد سيق اليه) جملة حالية اى قال له القول الآتى وسيق مبنى للمجهول ساقه اتى به وقاده والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اشال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ونزل مر الظهران عشاء واوقد عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر رضى الله تعالى عنه واراد دخولها قهرا لقتل الكفار فرقت نفس العباس رضى الله تعالى عنه لاهل مكة فخرج على بغلة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اتى الاراك فقال لعلى اجد ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يخرجوا ويستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة فسمعت صوت ابى سفيان يقول لبديل مارأيت كالليلة نيرانا ولا عسكرا فقلت اباحنظلة فقال ابو الفضل قلت نعم قال مالك فداك ابى وامى قلت هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الناس واصباح قريش قال ما الحيلة قلت

والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك فركب خلفي وكنت كلما مررت بأحد قال بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضي الله عنه قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر معه فقال هذا ابو سفيان دعني اضرب عنقه فقلت انى قد اجرته وجلست فلما اكثر عمر رضي الله تعالى عنه فى شانه قال صلى الله تعالى عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبح فأتني به فغدوت به صباحا فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا (بعد ان جلب اليه الاحزاب) جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع واصله من الجلبة وهي اصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهي الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا تجمعوا وهذه غزوة الخندق التي كانت فى سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم وصاحب رايهم والا فسبب التحزيب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبايل وحركوا قريشا لذلك كما فصل فى السير (وقتل عمه حمزة) سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه (واصحابه) اى اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعود الضمير لعمه وان صح بعيد (ومثل بهم) بالتشديد اى شوهت خلقتهم بقطع الاطراف وشق البطن واخراج القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهى العقوبة الشديدة ومنه قد خلت من قبلهم المثلات ويقال مثل بالتخفيف ايضا ونسب قتل حمزة رضي الله تعالى عنه وقتل اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان مع ان قاتل حمزة وحشى بن حرب واسلم بعد ذلك ولم يباشره ابو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضي الله تعالى عنه مشهور انه باحد لا يقال ان عبارة المصنف توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا اكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل زوجته هند لان فعل اهل الرجل كفعله لاسيما النساء وقد مثل بجماعة غيره ايضا كما اشار اليه المصنف بقوله بهم ممن مثل به ادس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل فى السير (فعفا عنه) ما سبق منه فى كفره لان الاسلام يجب ما قبله (ولاطفه فى القول) اذ خاطبه بقوله (ويحك يا ابا سفيان) اى اتعجب لك ما عقلك ودهائك وظهور حقية الاسلام وعمر بفاعل ليلطف كل منهما فى مقاله واللطف الرفق والبر ويكون بمعنى الدقة والصغر (الم يأن لك) اى الم يدن وقت علمك يقال انى يأنى اذا حان وقته وجاء زمانه (ان تعلم ان لا اله الا الله) اى توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا (فقال) ابو سفيان (بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك) لرحمك اذ خاطبني بلطف وهديتني الى الحق

مع ما قاسيته مني ثم اجابه مصدقا فقال لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لقد اغنى شيئا بعد فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله فقال بابي انت وامي اما هذه ففي النفس منها شيء فقال له العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك فشهد شهادة الحق واسلم والحديث مذكور بتمامه في السير وامر ابي سفيان رضي الله عنه مشهور وفي بعض النسخ بدل ما احلمك ما اجملك من الجمال ويحتمل انه من التجمل وهي صيغ تعجب وكل هذا جائز وفي تاريخ قزوين للامام القزويني روى عن علي ابن احمد بن صالح قال حدثنا ابو العباس العبدي القزويني حدثنا الحسن بن الفضل حدثنا محمد بن عزوان البغدادي حدثنا الاصمعي حدثنا مالك بن مغول عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لطم ابو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فشكت الى ابيها فقال لها ائتي ابا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف بها على ابي جهل لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابي سفيان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما شككت ان كان اسلامه الا لدعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى نقله السيوطي في كتاب تحفة الادب ومن خطه نقلت (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا واسرعهم رضى) اي غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد امور كثيرة بخلاف رضاه فانه رضي باقل شيء سريعا لكرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتي فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق باخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفي الحديث المؤمن بطيء الغضب سريع الرضى وهذا في غير حقوق الله وفي غير ما يؤدي الى عدم الحمية والمروة فلا ينافي هذا قول الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان (فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة) جواب اما قوله الآتي وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى الى آخره وما بينهما جمل معترضة (ومعانيها متقاربة) بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم لذلك انها مترادفة (وقد فرق بعضهم بينها بفروق) واهل اللغة يعرفون الفرق في امثاله بمقابلها واضدادها كما قيل * وبضدها تتميز الاشياء * ولابن هلال كتاب في الفروق مفيد جدا وتقدم ان فرق بتخفيف الراء وتشديدها بمعنى الآن بعضهم قال الاكثر في التفريق استعماله في الاجسام والفرق في المعاني وهذا لا ينكر استعمال احدهما مكان الآخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو في الحقيقة فرق وبدأ المصنف بالجود اولا وفي التفريق اخره لانه عنده بمعنى السخاء ولذا قيل كان الاولى تركها وعطفه على

السخاء وتأخيره (فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم) عظم يعظم بضم العين فيهما جل مقداره و (خطره) بفتحتين وقد تسكن الطاء قدره ووقعه (ونفعه) لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطى والآخذ وكان هذا معنى الكرم فى عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال (وسموه ايضا حرية) بضم الحاء وكسر الراء المهملتين المشددة تليها ياء تسمى ياء المصدرية وهى اذا لحقت الاسماء الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولابد فى آخرها من هاء تأنيث ولم تفصل النحاة حال هذه الاسماء الا انها سايغة فى الاستعمال وما وقع فى بعض النسخ هنا من انه جرأة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وهاء كما فى حواشى ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب فانه لا مناسبة له هنا وان كانت الجرأة والكرم اخوان لا يفترقان لاسيما فى زمان فيه غاض الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من منن الناس فاذا طوقهم منه خلصت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخاء لانه يبذل ماله اليه حاجة وهو نهاية السخاء واعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والآخرة ويكون فردا لم تسترقه دنياه ولا هواه ولاحظ مايتمناه وقال القرطبى فى كتاب المنتقى من كلام اهل التقى فى التصوف الحرية المحضة هى الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب والقهر بالصبر والعبودية المحضة هى طاعة الارادة فيما لا يضطر النفوس اليه الا سوء العادة وايثار اللذة وكل من خدم فى زمن الحداثة الشهوة والغضب شق عليه فى زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة لذته ومن خدم فى الرأى والادب شق عليه ذلك فى الحداثة وكان فى زمن الشيخوخة مستريحا انتهى (وهذا ضد النذالة) بفتح النون والذال المعجمة واللام هى الخسة والحقارة وهى من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة (والسماحة) والسماح (التجافى) تفاعل من الجفاء وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا نبا عنه كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع * اى لا يكثرون النوم اى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس (وهو ضد الشكاسة) بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما الف وهو كما قاله التلمسانى سوء الخلق وفى القاموس انها البخل والاول انسب هنا والثانى بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية (والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد) من الصنايع المذمومة كالحجامة واخذ ما لا يحل له (وهو الجود) وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور فى الممتع السخاء مأخوذ من الارض السخاوية وهى الرخوة ولذا

وصف الله تعالى بجواد دون سخي لانه اوسع في معنى العطاء وادخل في صفة العلاء
انتهى وقد تقدم ذلك فعلى هذا هو اخص منه وقال ابن مالك في الكفاية السخي هو
الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو الذي يعطي بلا مسئلة
صيانة للآخذ من ذل السؤال وقال الشاعر * وما الجواد من يعطي اذا ما سألته *
ولكن من يعطي بغير سؤال (وهو ضد التقتير) المعروف في اللغة ان الجود
ضد البخل والتقتير التضييق في الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى
وفرق بينهما صاحب الكشف في سورة الاسراء يقال قترت الشيء واقترته اي
ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان
بين ذلك قواما * والبخل والتقتير متلازمان لا مترادفان حتى يكون كلا منهما ضد
للسخاء (واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا ادري من اين
اخذه ولكن الامر في مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسنكر عليه مرة اخرى
(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤازى) بالهمزة مبني للمفعول اي لا يساوي ولا يقابل
يقال فلان يازي فلانا اي يحاذيه ويساويه وقال الكرماني موافقا للجوهري
يقال اريته اي حاذيته ولا يقال وازيته والذي عندي في النسخ موازيه بالواو المبدلة من
الهمزة وقد اجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم ما قبلها نحو جؤن
وقد جزم البرهان الحلبي بانه في كلام المصنف بالواو ويحتمل انه في كلامه بالهمزة ورسمت
واوا على قاعدة الرسم في مثله اي هو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يساويه احد
(في هذه الاخلاق الكريمة) والاوصاف الحسنة من الجود والسخاء والكرم والسماحة
* فاق النبيين في خلق وفي خلق * ولم يدانوه في علم ولا كرم *
(ولا يبارى) بالبناء للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض والمعارضة
ان تفعل مثل ما يفعل وهما متقاربان (بهذا وصفه كل من عرفه) بالمشاهدة او بما
اشتهر عنه شهرة لا يبقى معها ريب ولا شبهة (حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
الصدفي) هو الحافظ ابو علي بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف
بفتح الدال وهي قرية بقرب القيروان قال (حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي)
تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو ذر الهروي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابو الهيثم
الكشميهني) قال البرهان الحلبي هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة
وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء بعدها نون كما في لباب الانساب لابن
الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادي في طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح في نسخ
الشفاء والصواب ما ذكرته والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة خرج منها جماعة
وقد خربت انتهى وفي آخره ياء نسبة لم يصرح بها لانه معلوم من السياق كما في
بعض الشروح من انه لا ياء في آخره وان النسبة فيه على خلاف القياس مما يقتضي

منه العجب (وابو محمد السرخسي) نسبة لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته (وابو اسحق البلخي) ابراهيم بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن داود المستملي الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة في ماوراء النهر (قالوا حدثنا ابو عبدالله الفربري) تقدمت ترجمته وفربر بلدة بجانب بلدة بخارى قال (حدثنا البخاري) تقدم وسهرته تغني عن ذكره قال (حدثنا محمد بن كثير) بلفظ كثير ضد القليل العبدي البصري الحافظ روى عنه اصحاب السنن وتوفي سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة في الميزان فيها كلام لابن معين ونقل الذهبي ايماهو في ابن كثير الفهري وفيه تعقب لكلام المزي لانه قال العبدي قال (حدثنا سفيان) هو ابن سعيد الثوري كما تقدم وهذا الحديث رواه ايضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر كما هنا واخرجه مسلم والبخاري والترمذي في الشمائل وهو حديث صحيح (عن ابن المنكدر) وهو محمد بن المنكدر بن عبدالله التيمي المدني الحافظ عن ابيه وعن عائشة وابي هريرة رضي الله تعالى عنهما واخرج له اصحاب الكتب الستة (قال سمعت جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما يقول ماسئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ فقال لا) وقد علمت ان هذا الحديث اخرجه الترمذي في الشمائل وغيره وفي معناه قول حسان * ماقال لاقط الا في تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لالا * ومعنى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اتاه مستحق يطلب عطاءه لا يخيبه ويقول له لا قط بدليل اوله حتى اذا لم يجد شيئا اقترض اوقال ائتني غدا ونحوه وهذا هو الذي عناه حسان وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة مألوفة ولم يرد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتلفظ بلا اصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصدرة بلا نحو لايلدغ المؤمن من جحر مرتين كامر لاتحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لاحاجة له ثم قال واما قوله في البردة * نبينا الآمر الناهي فلا احد * ابر في قول لامنه ولانعم * فهو انما يقتضي صدور لا عنه مطلقا وذا لاينافي انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شيء من متاع الدنيا لجواز صدورها منه في غير تلك الحال (اقول قد عرفت مافيه اولا بقي هنا في البيت اشكال كان يجول في الصدر قديما وهو ان الامر والنهي انشاء لايجاب بلا ونعم فالتفريع بلا لايصادف محله هنا ولم يحم حول هذا احد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لي ولله الحمد وجهه فمعنى نبينا الآمر الى آخره انه لاحاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال في امر لا اونعم وهو لايقول الا صوابا موافقا لرضى الله فحينئذ لايخالفه الا نفس قاسية وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به و يرد احكامه فهو اصدق القائلين فيما يقوله (وعن انس) بن مالك رضي الله تعالى عنه (وسهل بن سعد مثله) اي مثل الحديث السابق المروي في الصحيحين وحديث انس رضي الله تعالى عنه هذا في مسلم وذكره

في الوفاء ايضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حييا لا يسئل شيئا الا اعطاه والاحاديث في معناه كثيرة وسهل هو الساعدي الانصاري الصحابي (وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير) اي بما فيه نفع الناس (واجود ما كان في شهر رمضان) رمضان اسم الشهر ويقال رمضان وشهر رمضان فيكون العلم المضاف دون المضاف اليه او هما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره ان يقال رمضان وما روى من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان من اسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخاري وهذا الحديث رواه الشيخان وروى فيه اجود ما يكون ووقع في بعض النسخ هنا وايضا اجود الثاني يجوز رفعه مبتدأ ونصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة في نحو اخطب ما يكون قائما والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولنقتصر من القلادة على ما احاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه وسلم في رمضان لحاجة الصائمين ولانه موسم الخيرات الذي تفضل فيه الله على خلقه بما لم يتفضل في غيره فاتبع سنة الله في عباده وتخلق باخلاقه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة) لانه عليه الصلوة والسلام يسرى بملاقاته وامداده له بالبشرى والكرامة فيحسن كما احسن الله اليه وكان يكثر مجيئه له في رمضان ليدارسه القرآن ويعارض به بقراءة كل منهما على صاحبه التجويد ووجوه القراآت اجود بالخير من الريح المرسلة قال الكرماني الجود اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي والخير شامل لجميع انواعه مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال تعالى ✻ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال والمرسلات عرفا اي الرياح المرسلة بالمعروف على احد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقي فجعله اجود الناس ثم ذكر ان جوده في رمضان وعند ملاقاة جبريل اريد منه في غيره والمراد بالمرسلة خلاف العطية قيل وفي قوله اجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام اهل المعاني في تحقيق وجه الشبه في قولهم كلامه احلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة على تقدير مثله فيما بعده اولئن تركه ما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالريح المرسلة وليس من الاكتفاء وفي تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له وقد علم ان المراد بالريح المرسلة التي لم ترسل بالغيث لاطلاقها لانها في القرآن مخصوصة بها فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون في العذاب والشر واذا جمعت فهي للنفع والخير قلت هذا قيل انه مخصوص بما وقع في القرآن بالاستقراء لا مطلقا فلا ينافيه ما وقع في هذا الحديث وغيره ويؤيده ما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي بن كعب انه قال كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب

وماورد في الحديث كما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه ماهبت الريح الاجثا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولاتجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولاتجعلها ريحا لايدل على عدم اختصاصه بما وقع اتفاقيا في القرآن لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم اراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولاتجعلها من ريحه اي مما ذكر بهذه العبارة ولادليل فيما ذكر كما قيل الا ترى الى قوله تعالى ارسلنا عليهم الريح العقيم وريحا صرصرا ونحوه وقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح ويرسل الرياح مبشرات وقد قرئ في بعض آيات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفردة في ذلك فكانه اغلبي واما تأويل رياحا في الحديث بما جاء فيه الجمع فتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما قال ذلك لان ماهب ان كان ريحا واحدة لم تلقح السحاب وينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل ان يكون معناه لانهلكنا بريح واحدة لاتهب بعدها ريح اخرى وطول اعمارنا حتى تهب علينا رياح كثيرة (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسندا مسلم في صحيحه (ان رجلا) هو صفوان بن امية الآتي بيانه كما في سيرة ابن سيد الناس وغيرها (سأله) صلى الله عليه وسلم (فاعطاه غنما) كثيرة كانت (بين جبلين) اي مالئة واديا بين جبلين كما يفهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما قليلة اوكثيرة ذلك فان كان اسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله (فرجع الى قومه) وهم قريش لانه من اهل مكة وفي نسخة الى بلده (وقال اسلموا) لاينافيه وان كان قبل اسلامه فاماانه كان في صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكاة اومن بيت المال ثم نسخ وقول الصرصري

* واتاه اعرابي التمس الندا * اعطاه شاء ضمها جبلان *

لعله قصة اخرى فان الرجل المذكور هنا من اكابر قريش ويؤيده قوله (فان محمدا يعطي عطاء من لايخشى فاقة) فان قريشا كانوا يعلمون كرم جده وجزيل عطائه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لايخشى فاقة وماباري احدا في الجود الا فاقه والفاقة الفقر اواشده وهكذا اولياء امته في الحديث دعائم امتي عصائب اليمن وان يعون رجلا بالشام كلما مات رجل منهم ابدل الله مكانه آخر اما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولاصيام ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين (واعطى غيرواحد مائة من الابل) الابل اسم جنس جمعي لاواحد له من لفظه كخيل وغنم والذين اعطاهم صلى الله تعالى عليه وسلم مائة ناس كثير منهم ابو سفيان وابنه معاوية والحارث ابن هشام وقد عدهم البرهان الحلبي وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذلك ذكر الشيخ قاسم في تخريج احاديث هذا الكتاب (واعطى صفوان بن امية مائة ثم مائة ثم مائة) وصفوان بن امية هو بن خلف بن وهب بن حذاقة بن جمح قرشي له صحبة وكنيته ابو وهب اسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مشرك

فلما اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفئ ما ذكر قال اشهد بالله ماطابت بهذا الا نفس نبي فاسلم وروى له اصحاب الكتب الستة وتوفي في خلافة معاوية سنة ثنتين واربعين بمكة وعلى هذا فاعطاه مرارا عمرا والا فلا منافاة بينه وبين ما سبق وعطاؤه له السابق كان من غنائم حنين وهذا الحديث رواه مسلم (وهذه) اى الخصلة والسجية في الكرم والعطاء (كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث) اى نبيا اورسولا (وقد قال له ورقة بن نوفل) ورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى كان من اعقل اهل زمانه واعلمهم شاعر بليغ متألّه وكان يقرأ ويكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتألّه ويتعبد ولذا سمي القس وتهود في اول امره ثم تنصر وهو ابن عم خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وله اشعار كثيرة في التوحيد ولترهبه لم يكن له عقب وورد في الحديث لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة او جنتين يعني بذلك ماورد من طريق اخرانه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه في منامه في الجنة وعليه حلة خضراء او بيضاء اونحوه كثياب من حرير وحلة من سندس وكان حيا في ابتداء الوحي الى ان بدأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به كما في اول البخاري وقال لئن ادركت زمانك لانصرنك نصرا مؤزرا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا انه اول من آمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال وهو تابع بالنسبة لخديجة رضي الله تعالى عنها وصحابي ولذا عدوه بانه الصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغي التنبه له وفي نظم السيرة للعراقي في ذكر ورقة

* فهو الذي آمن بعد نابيا * وكان برا صادقا مؤاتيا *

* والصادق المصدوق قال انه * رأى له تخضخضا في الجنة *

وهذا المذكور هو الصحيح من انه صحابي وقيل انه ليس بصحابي لانه لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤمن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون وقول المصنف رحمه الله تعالى وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ماقبلها فهو صادق على القولين وان كانت حالا من الضمير في قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثاني وهو مؤمن على كل حال ولذا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة والاكثر من علمائنا على انه صحابي (انك تحمل الكل) هذا بعض من حديث صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطي في تخريجه القائل له صلى الله تعالى عليه وسلم هذا انما هو خديجة رضي الله تعالى عنها في قصة مكالمتها لورقة في شان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام في اول امره وخاف على نفسه منه وكذا

اعترض عليه الشيخ قاسم في تخريجه ايضا فقال لا اعلم هذا من قول ورقة رضي الله تعالى عنه والذي في صحيح البخاري وغيره انه من قول خديجة رضي الله تعالى عنها وما قيل من ان القاضي جليل القدر لا يخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره من ورقة لا يجدي نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعياء والذي في البخاري قبل هذا من قولها ايضا حين قال لها صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام لقد خشيت على نفسي وهي التي قالت كلا والله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل (وتكسب المعدوم) وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتؤدي الامانة والحديث في اول البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وحمله الكل هو كقول العرب في المدح هو حمال اثقال اي يحمل ثقل غيره من الضعفاء والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل ما يحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع في هذا المعنى وتكسب قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة هي اكثر الروايات واصحها اي تكسب لنفسك تحصل له ما يهم وقيل تكسب غيرك اي تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وانكر الفراء وغيره اكسبه في المتعدي وصوبه ابن الاعرابي وانشد * فاكسبني مالا واكسبته حمدا * فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين ككسب والمعدوم الشيء الذي لا وجود له واما الفقير فيقال له معدم كمكرم قال الشاعر * قالت بنات العم ياسلمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان * قيل و يطلق عليه معدوم ايضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف ان بني للمعلوم ومذكور ان بني للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطي الناس الفقراء ما لا يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابي رحمه الله تعالى صوابه المعدم بلا واو ويريد انك تعطي العادم الفقير الذي لا يجد شيئا خطأ لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وجوه واصحها انه خشي الهلاك من شدة الرعب او تعييرهم اياه فارادت خديجة رضي الله عنها دفع ذلك الذي خشيه بقولها المذكور اي لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهي صحيحة رواها البخاري وغيره فقال (ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف) نفس من النساء والذرية غير الاموال التي من غنائمهم لما غزاهم وكانت اربعة وعشرين الفا من الابل واكثر من اربعين الف شاة من الغنم واربعة آلاف اوقيه من الفضة والاوقية اربعون درهما وعن ابن فارس انه قوم ما وهبه لهوازن وكان خمسمائة الف الف وقيل ستمائة الف الف

وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن اسلم وكان يسكن حنينا وهو كما يأتي موضع سمي بحنين ابن نانة بن مهلاييل وغزوته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت في شوال او في رمضان وامرها معروف مفصل في السير ولما غزاهم وحاز غنائمهم قدم وفدهم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهم اربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرفة وفيهم ابو برقان عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وسألوه ان يمن عليهم بما اخذ منهم لما بينهم وبينه من ماسة الرضاعة فقال لهم ابناؤكم ونساؤكم احب اليكم ام اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وما للناس يسئل منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة من المؤلفة اما انا فلا فاخذه صلى الله عليه وسلم منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من اول مال يجئ فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق حق الغير به والسبايا جمع سبية يعني مسبية قال التلمساني ولا يكون السبي الا في النساء (واعطى) ايضا (العباس) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخاري عن انس تعليقا (من الذهب ما لم يطق حمله) وقد اتي بمال من البحرين وكان اكثر مال اتي فنثر في المسجد واتاه العباس رضي الله تعالى عنه وقال اعطني فاني فاديت نفسي وعقيلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال لا فقال فارفعه انت علي فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله عليه وسلم بصره تعجبا منه ولم يقم عم حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما اعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفي اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه (وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون) بتقديم المثناة الفوقية (الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) رواه الحسن بن الضحاك في شمائله مرسلا الا انه قال ثمانون الفا واخرجه ابن الجوزي في الوفاء وقال سبعون الفا كما قال الشيخ قاسم في تخريج احاديث الشفاء والسيوطي في تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصري في مديحه * سبعون الفا فضها في مجلس * لم يبق منها عنده فلسان * وقوله حتى الى آخره غاية لقوله فقسمها وقيل لقوله فما رد سائلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا (وجاءه رجل فسأله) عطاء شئ يحسن به له (فقال ما عندي شئ) ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافي ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال لسائل لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما سأل من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره في عدم

التعجيل له بدليل قوله (ولكن ابتع علي) بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعال من البيع بمعنى الشراء فانه يطلق عليهما وفي القاموس ابتاعه اشتراه اي اشتر بثمن يكون ذلك الثمن علي وفي ذمتي كذا ثبت في الحديث وفي شرح الدلجي انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحدة اي اشتر واستلف ما يختار انتهى وليس هذا ضمان بل وعد منه الا ان وعده صلى الله تعالى عليه وسلم كان ملتزم الوفاء لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفي نادى ابو بكر رضي الله تعالى عنه من كان له عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدة او دين فليأتنا فجاءه جابر رضي الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني كذا فاعطاه له (فاذا جاء نا شيء) مما من الله به من الغنائم او غيرها وفي قوله جاء نا يعني معاشر المسلمين اشارة الى انه مال الله لعباده لا لي وحدي (قضيناه) اي اديناه ويحتمل الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم اي قضيته قضاء اتى به التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم واذا لم يقل جاءني وقضيته مع قوله علي فتأمل والقضاء يشعر بانه لزم ذمته كالدين (فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك) اي بدا في وجهه الشريف اثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السائل ولان مثله لا يعد تكليفا لما قدره له لما عوده الله من فيض نعمه عليه (فقال رجل من الانصار) كان حاضرا لما رأى من كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك (يا رسول الله انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا) قال البرهان هذا الرجل لا اعرفه وفي حفظي ان القائل بلال رضي الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي فيه ذكر بلال قصة اخرى المأمور فيها بالانفاق بلال وهو ما رواه الطبراني والبزار مسندا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ما عندي الا صبرة خبأتها لك ولضيفانك فقال اما تخشى ان تقذف بها في نار جهنم انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ومن العجب ايراده هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث انفق بلالا ووجه بتوجيهات منها ان اصله بلالي بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف النداء وابدل الياء الفا كيا غلاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل اي انفاقا رطبا تبل به قلوب آكليه ولو قيل انه رد لاصله من النصب واطلق لمشاكلة اقلالا لم يبعد وقد اخرجه العسكري في الامثال مرفوعا وفيه الطبراني انفق يا بلال ومعنى اقلالا ان يقلل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لا تخش نصف بيت وقع اتفاقا وقيل بلالا كلمتان اي بغير لاوية باه رواية يا بلال بحرف النداء والذي رواها المصنف رحمه الله ولا تخف دون لا تخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب

لاتخس ليصير موزوناً غير صواب من وجهين (فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه) بانبساطه وتهلل اساريره (وقال بهذا امرت) اى بالانفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهى مبادى الضحك وقد استشكل هذا بان الله امره بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا قال فى الكشاف لان الاسراف غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ما عنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه واجاب القاضى ابو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وغير خلص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ما عندهم عن طيب قلب لتوكلهم ونقتهم بما عند الله اما من كان ليس كذلك يتحسر على ماذهب منه فالمحمود منهم التوسط وهم الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لاصبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام عمر رضى الله تعالى عنه لما راعى ظاهر الحال وامره بصيانة المال شفقة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصارى راعى حاله صلى الله عليه وسلم فابهذا سره كلامه فقوله بهذا امرت اشارة الى انه امر خاص به وبمن يمشى على قدمه وقوله (ذكره الترمذى) اشارة الى من روى هذا الحديث (وذكر عن معوذ بن عفراء) ذكر بالبناء للمجهول قال السيوطى ذكر هذا الحديث الترمذى فى الشمائل والطبرانى عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعنى ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء المهملة والتصغير فهو مشدد الياء التحتية اسم امرأة منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع او وقف عليه القاضى رواية عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع فى نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لايجيزه وكذا ضبطاه عن الصدفى ثم ذال معجمة وقال التلمسانى قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر والاول اولى وعفراء بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة وهمزة ساكنة ممدودة اسم امه وهى عفراء بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم ابيه الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد ومعوذ استشهد ببدر قتله ابو مسافع وقيل انه هو الذى قتل اباجهل وفيه كلام فى السير (قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بقاف مكسورة او مضمومة ونون والف فعين مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله (من رطب يريد طبقا) انه مفرد وكذا قوله فى حديث آخر يهدى لنا القناع فيه كعب حيث افرده (واجر زغب) بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء واصله اجرى فسقطت ياؤه كادل فى جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو صغير القثاء وزعم ابن قرقول ان جروا جمعه اجرا على افعال وهو جمع

جرو وزعب بضم الزاي وسكون العين المعجمتين جمع ازعب وهو ما عليه زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها من الصغير وقوله (يريد قثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي معروفة وهي ضرب من الخيار والهاء للتأنيث اوللالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره واذا فسر به الجمع ولا حاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان زغب هنا كالدينار الصفر كما توهم وهو تفسير لقوله اجر وروى الهروي اجن بالنون بدل اجر وهو جمع جنا وهو الغض الرطب والمشهور الاول وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء (فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا) بالواو العاطفة وفي الترمذي اوقال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل على الوهم في رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين انما اتاه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلي بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلي بضم الحاء وكسرها ووزنه فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمساني بالمفرد هنا فان كانت الرواية به فواضح والا فتجوز قراءته بالوجهين (وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد) اخرجه الترمذي وشيئا اعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب احواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما وتطييبا لقلوب اهله وهو لا ينافي التوكل كما لا يخفى (والخبر بجوده) اي في بيان جوده (وكرمه كثير) لا يحصى (وعن البحر حدث ولا حرج) (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه اتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا الرجل لم يبين والحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره (يسأله فاستسلف له صلى الله تعالى عليه وسلم) اي اقترض والسلف والقرض بمعنى (نصف وسق) بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند اهل الحجاز ثلثمائة وعشرون رطلا واربعمائة وثمانون رطلا عند اهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبي رحمه الله تعالى والوسق ايضا مصدر بمعنى ضم الشيء (فجاء الرجل) الذي قترض منه (يتقاضاه) اي يطلب منه كامر (فاعطاه وسقا) ضعف ما اخذ منه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له (نصفه قضاء) لما اخذ منه (ونصفه نائل) اي عطاء وهبة (لك) ووقع في بعض النسخ هنا زيادة سقطت من اكثر النسخ وهي (وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعنا نهم النحارير وتكلم في اعتبره وهي غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم في ماظنهم ان هذه الخلة لا تكون بكمالها الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل احد في القيامة يقول نفسي نفسي ويقول هو صلى الله تعالى عليه وسلم امتي امتي) انتهى فاردناهنا وبيتها محمدي مزيد وقع في شرحه

وتبعه التلمسانى وشرحها فلنتمم الفائدة ببعض فوائدها وبيان مافيها فاعلم ان الدقاق هو ابو على الحسن بن على شيخ القشيرى تفقه فى اول امره على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفة والصوفية واحده صوفى ويقال تصوف اذا انقطع الى الله تعالى كما يقال تقيس اذا انتسب لقيس وهذا اللفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفى هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضى الله تعالى عنهم وهى سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبل الاسلام حى يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفى نسبة لهم وقيل لانهم تجمعوا كما تجتمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض اوهم منسوبة للصوفة للينهم وسهولة اخلاقهم او للبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا اظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفى فابدل احد حرفى التضعيف لينا وقيل انه من الصفاء ففيه قلب وصحح هذا بعضهم لقول البستى * تخالف الناس فى الصوفى واختلفوا * جهلا وظنوه مشتقا من الصوف * ولست انحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفى حتى سمى الصوفى * ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المصنف رحمه الله تعالى معنى الفتوة ﴿ فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل) هذا معنى ماقاله الحكماء فى علم الاخلاق ان الله تعالى ركب فى الانسان قوة هى مبدأ الاقدام على الاهوال والمهالك لتصوره ان من خاطر بالنفس ربما هلك وانه لايغنى حذر من قدر وهى القوة الغضبية السبعية والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور وهو الاقدام حيث لاينبغى وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراءة اعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظى بالاعم (والنجدة) بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما فى النهاية وهى شدة البأس ويقال هم انجاد امجاد اى اشداء شجعان والواحد نجد ككتف واكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها اهل اللغة بالشجاعة على عادتهم فى التسامح فلا ينافى تغايرهما كما توهم ويؤيده مافى الحديث الاتى عن ابن عمر ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت النجدة فى معنى المساعدة (ثقة النفس) فى بعض الشروح وثق الشئ بالضم وثاقة صلب واستحكم ومنه الوثاق ووثقت به بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه وائتمنته كما فى التقريب والمصنف رحمه الله تعالى استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم اظفر به قلت هذا عجيب منه فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها واعتماده على نفسه (عند استرسالها) اى انطلاقها

واخذها فيما يؤدي (الى الموت) اى استيناسها وطمانينتها بلا خوف كما ورد في الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه الخ وحديث غبن المسترسل ربا (حيث يحمد فعلها دون خوف) قيل ومنشؤه قوة النفس وسدتها ولبست عين الشجاعة فغسر النجدة بما ينشأ عنها انتهى وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان الشجاعة جراءة واقدام يخوض به المهالك كما ينبغي والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من ان يقع على الموت او يقع الموت عليه حتى يقضي الله له باحدى الحسنيين الظفر او الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا اخرها المصنف في الذكر (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) اى من الشجاعة والنجدة (بالمكان الذى لا يجهل) اى كان متصفا بهما على اعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لا يخفى على احد وعدم جهل المكان لعلوه وشرف بنائه كالجبل والقصر وكنى بذلك عن علو قدره صلى الله تعالى عليه وسلم و شهرته على حد قوله * ان الشجاعة والسماحة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج (قد حضر المواقف الصعبة) اى مواضع القتال الشديدة ومصافها جعلها نفسها صعبة لصعوبة ما فيها (وفر الكماة والابطال عنه غير مرة) الفرار الرجوع بسرعة والكماة بزنة قضاة جمع كمي على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل اوهو جمع كام بمعنى كمي وان لم يسمع وهو من تكمى اذا تستر فاصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل في مطلق الشجاع كالمسمى فان قيل انه سمي به لانه يستر شجاعته و وقايعه كان الثاني حقيقة ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحسن وهو الشجاع المعروف بالشجاعة سمي به لانه يبطل عنده دماء الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مره بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحوه من الفوائد (وهو) صلى الله عليه وسلم (ثابت لا يبرح) اى لا يفارق مكانه كقوله فلن ابرح الارض اى لا افارقها (ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح) اى لا يزول عن مقره قال تعالى * فمن زحزح عن النار * وهذه الجمل تدل على ثباته صلى الله تعالى عليه وسلم اى تارة يقبل على الحرب و تارة يثبت كالجبل الراسي ولا يتحرك فان اريد باقباله مجرد توجهه بوجهه وعدم اداره ظهره لغيره فهما حينئذ واحدة واصل معنى التزحزح التباعد والتنحي عن المكان قال زحزحه اذا دفعه وكذلك زحزحه و قيل هو من زاحه يزيحه او من الزوح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وازاح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول وعطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثروا وزاد على ضعف عسكره و ما فيه و اما الآن فان راى العدو على ضعف المسلمين جاز انصرافهم

عن القتال والا فلا يجوز الا بالتحيز او التحرف الى فئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون (وما سماع الا وقد احصيت له فرة) احصيت بالبناء للمجهول من الاحصاء وهو العد والحفظ والفرة المرة من الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب (وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى عليه وسلم) الجولة بفتح الجيم وسكون الواو واللام المرة من الجولان في المكان وقيل هي الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة وفي النهاية جال واجتال اذا ذهب وجاء ومنه الجولان في الحرب و الجايل الزايل عن مكانه وقول الصديق رضي الله تعالى عنه للباطل نزوة وللحق جولة يريد به غلبة من جاء على قرنه يجول انتهى والجولة هنا صفة ذم بمعنى فرة لا غلبة وفي الحديث للباطل جولة و يضمحل والحاصل ان الجولة تكون بمعنى الفرار و بمعنى الذهاب ليعود والتردد في المكان ويصح ارادة كل منها هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر ما يدل على ما ذكروه فقال (حدثنا القاضي ابو علي الجياني فيما كتب لي) هو الامام الحافظ ابو علي الغساني الجياني بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم الف ونون وياء نسبة لبلدة منها ابن مالك وابو حيان وغيرهما من الائمة وقوله كتب لي دون الي يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان المكاتبة تكون للغائب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح رحمه الله تعالى لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا ما يوجد في مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الي فلان وهو معمول به عندهم معدود في المسند الموصول وفيه اشعار قوي من الاجازة وان لم تقترن بها وعند السمعاني وامام الحرمين انه اقوى من الاجازة المجردة قال (حدثنا القاضي سراج) بكسر السين كالسراج المنير وهو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموي توفي لست بقين من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسمائة والذي روى عنه الجياني هو جد سراج بن عبد الملك كما قال التلمساني قال (حدثنا ابو محمد الاصيلي) هو ابو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلي ويقال الاريلي بالراء والسين ايضا نسبة لاصيلة بلدة بالغرب معروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغاني في الذيل والصيلة اصيل بلد من اعمال الاندلس قال (حدثنا ابو زيد الفقيه) هو ابو زيد المروزي وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد ابن يوسف) الفربري قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخاري وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن بشار) الامام الحافظ ابو بكر محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد السين المعجمة والف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه اصحاب الكتب الستة عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصلة في الميزان قال (حدثنا غندر) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وتضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر

الهذلي مولاهم البصري الحافظ روى له اصحاب الكتب الستة توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وترجمته في الميزان ايضا (عن ابي اسحق) عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي احد اعلام الحديث اخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى عنه خلق كثير وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو شبه الزهري في الكثرة وكان صواما قواما عاريا مات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان (سمع البراء) بن عازب الصحابي المشهور (و) قد (سأله رجل) وهذا الحديث اخرجه القاضي كالبخاري في الجهاد في موضعين باختلاف في بعض الفاظه ورواه مسلم في المغازي والنسائي في السير (افررتم) معاشر الصحابة (يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم) وحنين بن نابتة بن مهلائيل وبه سمي الموضع المعروف وسميت غزوة حنين واوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة في شوال وقع في البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى حنين في رمضان والمعروف انه في شوال وما ذكره المصنف ورد في بعض طرق الحديث وفي بعضها افررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهي رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووي جواب البراء رضي الله تعالى عنه من بديع الادب لان تقديره افررتم كلكم فيقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لا يتأتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغي للشيخ ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجئ انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله احد وقد نقل الاجماع على انه لا يجوز ان يعتقد انه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وابو سفيان رضي الله تعالى عنهما آخذين بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وكما يأتي وقد صرح به البراء في حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه يأتي الجواب على ما رواه المصنف ايضا لان قول السائل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان دفع وهم انه ما فر معهم لا يدفع انه فر بعد فرارهم فكان ثابتا في ما طواه البراء في الجواب الذي تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي دفعه بقوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) لانه استدراك لدفع ما توهم من الكلام السابق وان لم يصرح به وما قيل من انه يمكن ان يقال قصد البراء ان يبين ان فرارهم لم تكن بالكلية وانما معناه تحولنا عن وجه العدو وتحلنا حولة ثم عدنا وكيف يدع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اعز من انفسنا

اوهو من الاسلوب الحكيم فكانه لما سأله عن فرارهم قال له هذا لايهمك شانه وانما الذى ينبغى ان تعتقده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر تكلف لبس فى الكلام مايدل عليه (ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء) الشهباء يقال لها فضة اهداها له فروة بن نعاثة كما فى مسلم وفروة بفتح الفاء واسكان الراء ونعاثة بضم النون و بالفاء المخففة و بالمثلثة الجذامى بضم الجيم و بالذال المعجمة وفى رواية ابن اسحق بن نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم فى حنين بغلة تسمى دلدل وكذا قال النووى فى شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت و بقيت الى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه ويقال انه وهبها صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه وكان له صلى الله عليه وسلم ست بغلات اوخمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من اهداها له (وابو سفيان) ابن الحارث بن عبد المطلب هو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه المغيرة او اسمه كنيته وكان اخاه من الرضاع وآلف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام اظهر العداوة وهجا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجابه حسان رضى الله تعالى عنه عما هو مذكور فى السير ثم اسلم وحسن اسلامه وابلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفى سنة عشرين و صلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو واحد من ثبت يوم حنين وهم عشرة او اكثر كما فصله اصحاب السير (آخذ بلجامها) اى ممسك عنان بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه من الجانب الآخر فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان وقال له من انت قال اخوك ابو سفيان بن الحارث فداك ابى وامى فقال نعم اخى ناولنى حصا من الارض فناولته ورمى به فاصاب اعينهم كلهم وانهزموا وانما امسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما رأياه من اقدامه صلى الله تعالى عليه وسلم ومسارعته واشفقا عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وحماية الله تعالى له (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انا النبى لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب) هذه الرواية المشهورة بسكون الباء للوقف و يروى بتحريك الباء فيهما وروى فلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من مجزو بحر الرجز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له وكيف يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ونحوه كقوله * هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت * ووقع مثله فى كتاب الله تعالى (واجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا بهذا و بان العرب تسمى قائله راجزا لا شاعرا وبان المراد بالشعر المنزه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكون بنظم

انواعه فيكون سجية وما وقع نادرا لا يعد قائله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلاني في كتاب الاعجاز ان القرآن يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون القرآن شعرا كالبيت والمصراع اذا وقع في اثناء رسالة او خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع في الحديث كهذا وفي القرآن كقوله يريدان يخرجكم من ارضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا في الحديث الصحيح واما في القرآن فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لابد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن ان يقع شيء في الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا لبعض مشايخي فاستحسنه ثم رأيته في بعض شروح المفتاح وقد اجبنا عنه في كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة في كتاب التكملة لحظ هذا فذهب الى انه ليس في القرآن موزون لانا لا نجوز ان يقرأه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يسمى العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو افصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مصون عنه مطلقا او معناه لا كذب في الظفر والنصر وما وعدني الله تعالى او لا اكذب في دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر احد منهم وقوله زاد غيره ان كان الضمير راجعا للبخاري اقتضى صنيعه ان هذه الزيادة لم ترد في البخاري مع انها فيه في محلين من كتاب الجهاد فكان ينبغي له اسقاط قوله وزاد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح وقوله انا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب انا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما انتسب صلى الله تعالى عليه وسلم لجده دون ابيه لاشتهاره بذلك لان اباه مات شابا في حياة جده وهو طفل فكفله فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد اهل مكة او خصه بالذكر وقد انهزم مواعده تثبيتا لنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المبشرة لذلك كما انبأ بذلك الاحبار والكهان فكأنه يقول انا ذلك الموعود به فلابد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول او مغلوب وكان عبد المطلب رأى في منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور فاذا اهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويحمده اهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد من ابائك ولا قومك مثله فقال رجوت ان يحمده اهل الارض وقيل ان امه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعته فسميه محمدا وقوله انا النبي الى آخره ليس من الافتخار المنهي عنه لانه جائز في الجهاد لارهاب العدو وكان

صلى الله تعالى عليه وسلم ينصر بالرعب كسائر وهذا جار على عادتهم كقوله
* اقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني انا ذلكا *
(قيل فاروئي يومئذ احد كان اشد منه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لم ير في حرب
هوازن اقوى واشجع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد
ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم
بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا برزوا للقتال في كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعدة
وحملوا حملة واحدة وكانوا ارمى الناس بالسهام واعرفهم بالقتال فانهزم الناس والنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا انصار الله
وانصار رسول الله انا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته امام الناس فلم يمض قليل حتى
هزمهم الله وانما قال المصنف قيل لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنده بطريق
صحيح واما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشد من حضر تلك الوقعة واشجعهم
فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن احدا انكاره (وقال غيره) اى غير البخاري الذي الحديث
السابق من روايته لكنه لم يذكر فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل عن بغلته)
فانه في رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال لما غشوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل
بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق احد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك
القبضة ترابا وهزمهم الله ولا شك ان النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة
ما لا يخفى وتسميه العرب نزالا (فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين) هذه
حال مؤكدة وهي قد تكون موافقة لعاملها معنى كهذه الآية ولى مدبرا وقد تكون
موافقة له لفظا كقوله * اصبح مصبحا لمن ابدى نصيحته * والاول اقوى لما فيه
من ترك التكرار بحسب الظاهر وفي قوله ولى المسلمون ان اريد جميعهم مجاز بجعل
لاكثر بمنزلة الجميع والا فلا يجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف
في عددهم كما مر ووصل في السير وكتب الحديث (وذكر مسلم) في صحيحه رواية
(عن العباس) رضي الله تعالى عنه عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فلما التقى
المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى جعل وشرع في فعل ذلك (يركض بغلته نحو الكفار) اى يسوقها ويسرع
بها والركض الضرب بالرجل فتى نسب الى الراكب فهو اعداء مركوبه نحو ركضت
الفرس ومتى نسب الى الماشي فوطء الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب
على الظرفية اى في جهتهم (وانا آخذ بلجامها) اى امسكه (اكفها) اى امنعها
من السرعة (ارادة ان لا تسرع) اى لاجل ارادة ان لا تسرع نحو العدو وتقتحم به
(وابو سفيان) بن الحارث ابن عمه (آخذ بركابه) هذه رواية وفي اخرى ان ابا سفيان

كان يقود بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم آخذ بلجامها من احد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا ولا تعارض بين الروايات (ثم نادى) اى العباس رضى الله تعالى عنه وكان جهورى الصوت (يالَلمسلمين) بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يالله يالِلمسلمين وكان نداؤه رضى الله تعالى عنه بامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال له ياعباس ناد اصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى هزم الله اعداء الدين وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الآن حمى الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف رحمه الله تعالى عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس رضى الله تعالى عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية اميال واصحاب السمرة هم اصحاب الشجرة وانما خصهم بالنداء لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت وان لايفروا فذكرهم بذلك وفى خصائص الخيضرى كان يجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردى ان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه اذا بارز رجلا لم يكف عنه وانه لايفر من الزحف وخوفه من القتل غير جائز لان الله عصمه انتهى (وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ) اى لمهابته كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم وخوفه منه لايتحرك عنده وقال شئ دون احد مبالغة فان العاقل وغيره سواء فى ذلك ففى هذا اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة احيانا ولكن ذلك غيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب مقتضى للبطش والاقدام وهو من غطها وهذا بعض من حديث صحيح فى شمائل الترمذى (وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) من حديث صحيح رواه الدارمى مسندا (مارأيت اشجع ولا انجد ولا اجود) تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس عطفه عليه عطف تفسيرى كما توهم ونفى الافضل هنا يفيد نفى المساوى بطريق الكناية كما تقول مافى البلد اعلم من زيد كما تقدم تحقيقه (ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اكثر رضى منه لانه صلى الله عليه وسلم كان يرضى بكل شئ من ملبوس ومأكول وغيره ويحتمل ان المراد بالرضى عدم الغضب اى كان اكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية فى رضى الله للكفر فى قوله ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر ان هذا مراد المصنف لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى قيل عطفه احود

على الجود لما بينهما من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت كقوله * ان الذى جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا * ولان الاول بذل النفس والثانى بذل المال والجود بالنفس اقصى غاية الجود (وقال على رضى الله تعالى عنه كنا اذا حمى البأس) بالموحدة وبهمزة او الف وهو الشدة والمراد به الخوف او الحرب وحمى ربة علم او وقد ففيه استعارة مصرحة او مكنية اى اشتد القتال وهذا معنى ما وقع فى الرواية الاخرى حمى الوطيس فان الوطيس التنور كما مر وذلك ابلغ مع نكتة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فى غزوة اوطاس على ما تقدم مع الكلام عليه بما لا مزيد عليه (ويروى اذا اشتد البأس) وهذه الرواية مفسرة للاولى (واحمرت الحدق) جمع حدقة وهى ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان الدم يهيج فيه وفى الحديث الغضب جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم اما ترى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسره بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال استعلت واوقدت ومن قرب من النار ولا زمها تحمر عينيه فالمعنى اشتد القتال ودام مدة (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ونحن خلفه كما يشير اليه قوله (فما يكون احد اقرب الى العدو منه) ولذا امسكوا بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم يكر عليهم وقد صارت هذه سنة فى الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقيدون فرسه (ولقد رأيتنى) بضم التاء وهذا من خصائص افعال القلوب وما الحق بها من رأى البصرية والحلمية ان يكون فاعلها ومفعولها متصلين بشئ واحد ورأى هذه بصرية كما فى قوله

*ولقد اراني للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وامامى*

وقد اختلف فى تعليل هذا كما فصله فى كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده (يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يقول رأيتنا وكأنه عدل عنه اشارة الى ان كل واحد مشغول بنفسه لا يرى غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجئ اليه قال عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا (وهو اقربنا الى العدو) مبالغة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار (وكان من اشد الناس يومئذ بأسا) اى نكاية فى العدو كقوله تعالى والله اشد بأسا واشد تنكيلا كما قاله الراغب وهذا الحديث اخرجه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى فى الدلائل من طرق عنه واخرج مسلم بعضه من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه كما قاله السيوطى فى مناهل الصفا (وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اى قرب من المسلمين وقت المقاتلة (لقربه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه)

اى العدو وهذا من كلام البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف رحمه الله قيل ليس فى محله لايهامه ضعفه (وعن انس رضى الله عنه) هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم احسن الناس) كلهم خلقا وخلقا (واجود الناس) اى اكرمهم عطاء واحسانا (واشجع الناس) افعل تفضيل ولاوجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر مايدل على شدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (لقد فزع اهل المدينة) اللام فى جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علم لها بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعترى المرء مما يخاف وهوقريب من الجزع ولذا يقال جزعت الله ولايقال فزعت من الله تعالى كما قاله الراغب قال تعالى لايحزنهم الفزع الاكبر اى من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال * كنا اذا ما اتانا صارخ فزع (ليلة) منصوب على الظرفية اى فى ليلة (فانطلق ناس) اى خرجوا من المدينة (قبل) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة ظرف اى نحوه يقال ذهب قبل السوق قال الله تعالى * فما للذين كفروا قبلك مهطعين * ويكون بمعنى عند يقال لى قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها (الصوت) اى الذى سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم انه عدو غار على من هنالك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك فعرف ذلك ورجع (فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال كونه (راجعا) من جانب سمع الصوت منه (فسبقهم الى الصوت) اى المكان الذى سمع الصوت من جهته (وقد استبرأ الخبر) بمهملة ومثناة فوقية وموحدة وهمزة وقد يبدل الهاى وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفى الاساس استبرأت التى طلبت آخره لاقطع الشبهة عنى واستبرأ الارض قطعها انتهى حال كونه راكبا (على فرس لابى طلحة) زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصارى الصحابى وكان ذلك الفرس يسمى المندوب اى المطلوب اولانه كان فيه ندب اى اثر جرح (عرى) بضم العين وسكون الراء المهملتين مجرور صفة فرس ويقال فى الآدمى عريانا اذالم يكن له لباس ولغيره عرى وقيل انه عرى بضم العين وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية بمعنى عرى وليس فى اللغة ما يساعده اى ليس على ظهره شئ من سرج اوغيره قال فى المغرب فرس عرى لاسرج عليه ولا لبد وجمعها عرى لايقال فرس عريانا كما لايقال رجل عرى واعرورى الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلوة والسلام يركب الحمار معروريا وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولوكان من المفعول لقيل معرورى (والسيف فى عنقه) اى حمائله معلقة فى عنقه الشريف متقلدا به صلى الله تعالى عليه وسلم (واعلم ان هذا هو السنة فى حمل السيف كما قاله ابن الجوزى لاشده فى وسطه كما هو المعروف الآن (وهو يقول) لمن لقيه من اهل الفزع (لن تراعوا) لن هنا بمعنى لم ومعنى الروع بفتح الراء

بمعنى الخوف والمراد نفي شبهة اي ليس هناك شيء تخافونه واستدل بهذا الحديث
على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح في الصحيحين (وقال عمران بن حصين)
بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة و حصين بمهملتين كتصغير حصن
وهو صحابي خزاعي كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم رضي الله تعالى عنه
(ما لقي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح الكاف وكسر التاء المثناة فوق و بالمثناة
التحتية وباء موحدة هي الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى
تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف (الا كان اول من يضرب) بسيفه و يقاتل وهو
من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه الشيخ في الاخلاق وفيه راو
مجهول (ولما رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ابي بن خلف يوم احد) هو ابي بن
خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح الكافر المشهور الذي طعنه رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بحربته في وقعة احد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر
ضلعه كما يأتي فهلك عدو الله وقول المزي في تهذيبه انه صلى الله تعالى عليه وسلم
اخبر بانه يقتل ابي ابن خلف فخدشه يوم بدر او احد فمات ذكره بالترديد بين بدر واحد
لا وجه له ويوم احد طرف لرؤيته (وهو يقول) حال من ابي (اين محمد) سؤال عن
المكان فان قلت كيف يسئل عن مكانه وهو قال انه رآه قلت ان السؤال ليس على
حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به او التقدير اين يذهب محمد او الظرف ممتد
وقع جميع ذلك فيه فهو في وقت واحد وان تقدم وتأخر (لا نجوت ان نجا) دعا على
نفسه بالهلاك ان نجا الله تعالى حبيبه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد
اجاب الله دعاءه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والفال موكل بالمنطق
(وقد كان) ابي (يقول حين افتدى يوم بدر) قيل يوم بدل من حين وافتدى
مبني للفاعل ومفعوله محذوف اي افتدى اسيرا له وهو ابنه عبد الله والافتداء اعطاء
الفدية لانفكاك الاسير فالمراد بحين الافتداء يوم بدر بتمامه لا الزمان الضيق الذي
وقع الافتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله تعالى عليه وسلم
الآتي قبل ان يفتدي لا حين الافتداء وقبل يوم بدر فهو متعلق باسيره اي من اسر
يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الافتداء وقع بعد وقعة بدر
بالمدينة وابي قال ما قال حين افتدى لا بعده وكأن من قال ان ذلك وقع قبل ان
يفتدي ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلوا المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والافتداء
بالمدينة فلا تتأتى البداية فتأمل (عندي فرس اعلفها) الفرس يقع على الذكر
والانثى وانثها لانها كانت انثى وقد ورد في الحديث تذكيرها وتأنيثها بحسب
المراد والقرائن وقال التلمساني اعلفها هو الصواب وفي السير اعلفه بضمير المذكر
واصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام منسوب والذي في الصحاح

انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان اردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن ابى بكر بن السراج انتهى ولا وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف ما كول الحيوان (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وقيل لايجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك ستة عشر رطلا (من ذرة) بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وهما نوع من الحبوب معروف وقيل ان غزوة احد كانت فى شوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى (اقتلك عليها) صفة بعد صفة اوهى جملة مستأنفة فى جواب مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا منتظرة (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله) فحقق ما اوعده وكان انما علف فرسه لتسوقه لهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع (فلما رآه) اى رأى ابى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد) اليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الزمان اوالمراد به الواقعة على حد قولهم ايام العرب (شد) اى بن خلف الشقى اى عدا واسرع قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا اسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح واصل معنى الشد القوة (على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الجاران متعلقان بشد وان كان لايجوز تعلق حرفى جر بمعنى بمتعلق واحد اما لانه قيد الشد والعدو بانه على فرسه لاعلى رجليه ثم قيده به بعد تقييده بالاول فيتغاير المتعلق معنى لان الاول يقيد به وهو مطلق والثانى تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف فى قوله تعالى * كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا * والاول مستقر حال اى راكبا على فرسه والثانى لغو وشد جواب لما الثانية دالا على جواب الاولى (فاعترضه رجال من المسلمين) اى حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه عنه اى قصدوا نحوه وجهته (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا) اى تنحوا ولاتحولوا وتعترضوا بينى وبينه فهكذا هنا اسم فعل امر بمعنى اتركوا سبيله قال السهيلى رحمه الله تعالى ولايعمل فيه ماقبله كما اذا قلت جلس هكذا اى على هذه الحالة اويقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغنى عنه وقام هكذا مقامه واصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه اسم فعل بمعناه اشار بقوله (اى خلوا طريقه) اى اجعلوها خالية من حائل بينى وبينه (وتناول) اى اخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (الحربة) بوزن الضربة وهى واحدة الحراب بوزن رجال وهى قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل

ان هذه الحربة كانت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان لايرى مباركة
في جهاده وسفره في سبيل الله ولهذا اشترى من ابي بكر رضي الله تعالى عنه راحلته
التي هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما استعان بغيره من اصحابه كما اشار
اليه بقوله (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وهاء
تأنيث ومعناه الشجاع المصمم في اموره ثم نقل علما وهو اخي الحارث بن الصمة بن عمرو
ابن عتيك الانصاري الصحابي شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وغيرها
من المشاهد وقتل ببئر معونة وذكر ابن الاثير ان الذي ناول رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من
احدهما فسقطت منه فناولها له الاخر او ان احدهما وهو الذي معه الحربة
كان بعيدا منه فناولها آخر قريبا منه فسلمها له بيده ولابد من التوفيق فان
الروايتان صحيحتان والقصة واحدة (فا نتفض بها انتفاضة) اصل معنى النفض
بالنون والفاء والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب او شجر قال ابو دويب

* تنفض مهده وتذود عنه * وما تعنى التمايم والعكوف *

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبغ اذا ازال لونه في غيره وذكر نصيب
عن بناته فقال * نفضت عليهن لوني * وقلت في اول قصيدة * نفضت على
صباغها ايام * نفض السياض بها قليل قيام * وهو هنا استعارة اي قام بها
قومة سريعة وضمير بها للحربة وما قيل انه مستعار من انتفاض الطائر قال * كما
انتفض العصفور بلة القطر * غير مناسب هنا الا ان يقال باءه للتعدية والمعنى انه
هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها
تشبيههم بانهم كالذباب المؤذي الواقع المتهافت فبعيد هجوهم عليه وتنديه
نهوضه لهم بفحل اهتز ليزيل ذبابا وقع عليه لقوله (تطايروا عنه تطاير الشعراء
عن ظهر البعير اذا انتفض) وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعراء
بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة
لها ابرة وفي نسخة البرهان بفتح العين الا انه لم يثبت وقال القتبي الشعر جمع شعراء
وهي ذباب صغار حمر تؤذي الدواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفي رواية
تطاير الشعارير وهي جمع بمعنى الشعر وقياس واحده شعروى وقيل هي ذباب
تجتمع على دبرة البعير وفي الروض الانف الشعراء ذباب صغير له لدغ وفي المثل قيل
للذئب ما تقول في غنمة تحرسها جويرية قال شجيم في ظفر قيل فما تقول في غنمة
يحرسها غليم قال شعراء في ابطي احسى حطواته وهي سهام تتعلم الغلمان بها
الرمي وروي فرحل بالحربة اي رمى بها انتهى قيل رواية الشعراء انسب لان
الواحد لايتطاير (اقول هذه زبدة القيل والقال وما انكر من فتح العين لاوجه له

فان تحريك حرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها تطرد فيقولون في بحر وشعر بحر وشعر والشعراء ليس مفردا بل اسم جمع كالطرفاء فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم الشعراء جمع شعر كأنه تحريف واعلم ان ضمير تطايروا للكفار الذين كانوا هجموا مع ابى وقيل انه للصحابة رضى الله تعالى عنهم وتطايرهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم باذنه ليكشفوا له عن ابى ولا يخفى انه لايناسب هذا بوجه تشبيههم بالشعراء ولا تطايرهم كما لايخفى (ثم استقبله) اى قام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومشى اليه بالحربة (فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا) تدأدأ بمثناة فوقية ودالين مهملتين وهمزتين اى تدحرج وسقط وقيل مال وصغر منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء بدل من الهمزة وفى رواية تردى اى وقع (وقيل) لم يطعنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى عنقه (بل كسر ضلعا من اضلاعه) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم معروف وقال الاخفش فى الجنب الايمن تسع اضلاع وفى الايسر ثمان وما نقص منه تام فى النساء وهو الذى خلقت منه حواء ولذا روى عن ابى حنيفة فى الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه انثى بتمام اضلاعه وعكسه وقال التلمسانى رواية طعنه اقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن (فرجع) اى (الى قريش) وهو (يقول قتلنى محمد) جملة يقول حالية اى قائلا وعبر بالماضى لتحققه الموت (وهم يقولون لابأس بك) البأس بهمزة ساكنة وتبدل الفا كما مر وهو اسم لامبنى على الفتح والبأس الشدة والموت والالم وهذا هو المناسب ويقال لا بأس عليك ولابأس بك للتسلية اوالدعاء له بان لايصيبه شئ من البأس وفى نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى (فقال لو كان مابى) من الالم والشدة التى اجدها فى نفسى موزعا وحالا (بجميع الناس لقتلهم) فكيف احمل انا وحدى هذا واسلم منه (اليس قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم حين توعده (انا اقتلك) قيل اصله اقتلك انا فقدم المسند اليه للحصر اى انا لاغيرى اقتلك وحدى لايشاركنى احد ولايساعدنى فى قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى * وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * نزلت فيه فالقصر قصر افراد والظاهر انه قصر قلب فهو المناسب للرد عليه اى انا اقتلك لا انت تقتلنى فتدبر (والله لو بصق على لقتلنى) البصق رمى ماء الفم ويقال بالصاد والسين والزاى وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله عليه وسلم فيما قاله (فمات) الملعون من تلك الطعنة (بسرف) بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة على ستة اميال اوسبعة اوتسعة او اثنى عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا على نفسه كما قال

* احتبر الارض باسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب (في قفولهم) اي الكفار (الى مكة) اي مات وقد رجعوا من احد الى مكة والقفول معناه الرجوع وتسميتهم القافلة قافلة تفأ ولا برجوعها كما سمى الملدوغ سليما فانكار الحريري وتخطئته فيه لاوجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلائل عن عروة بن الزبير وسعيد ابن المسيب مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه والواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما يقول انه مات ببطن رابغ وان اسيرا من المسلمين مر وهو اسير برابغ فرأى بعد هدؤ من الليل نارا فهابها فلما دنا منها خرج رجل في سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لاتسقه فانه ابي بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت سحقا له ﴿ فصل واما الحياء والاغضاء ﴾ الحياء ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيا يستحيي بيائين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضاء اصل معناه ارخاء الجفون قريبا من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق يغضي حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الاحين يبتسم (فالحياء رقة) الرقة ضد الغلظ ورقة القلب ان لايكون فيه قسوة وجفاء قال الراغب الرقة كالدقة لكن الدقة تقال باعتبار جوانب الشئ والرقة باعتبار عمقه وهي في الجسم ضد الصفاقة وفي النفس تضاد الجفوة والقسوة (تعتري) اي تعرض وتحدث (وجه الانسان) فيكون فيه مايدل عليه كحمرته عند الخجل (عند فعل مايتوقع كراهته) لم يقل مايكره لان من يراه قد لايكرهه فالمراد ما من شانه ان يكره (اومايكون تركه خير من فعله) وان لم يكره وقال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها وفي الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه * وليس المراد به انقباض النفس لتنزهه سبحانه وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووي هو خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في الحقوق وقال الزمخشري هو تغير وانكسار يلحق من فعل اوترك مايذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي كما بيناه في حواشيه فانظره (والاغضاء) في عرف اللغة (التغافل) اي اظهار الغفلة عما ليست فيه والمراد التجاوز (عما يكرهه الانسان بطبيعته) وان لم يكره شرعا (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات) جمع عورة وهي كل مايقبح اظهاره ولذا كني عن سوأة الانسان وعن المرأة بالعورة وهي مأخوذة من العار (اغضاء) اي سكوتا وتجاوزا والاغضاء يتعدى بعن وعلى وعبر في جانب الحياء بالاشدية وفي الاغضاء بالاكثرية لان الحياء كيفية نفسانية تنشأ عنها كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاغضاء فعل من الافعال يكثر ولاتزيد كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضاء نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع في مكروه وهو مسبب عن الحياء والسبب

اقوى باعتبار انه منشاء للسبب عنه وفيه نظر ثم استدل على ان هذه الصفة الحميدة موجودة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (قال الله سبحانه ان ذلكم) اى مكثهم فى بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مستأنسين لحديث بعضهم لبعض (كان يؤذى النبي فيستحيى منكم الآية) والله لا يستحيى من الحق وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بنى بزينب بنت جحش واولم بشاة وتمر وسويق وامر انسا يدعو الصحابة لذلك فدعاهم فجعلوا يجيئون ويأكلون ويخرجون ويجيء آخرون الى ان بقى ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتأذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية فى حقهم اى ان ذلكم اللبث كان يؤذى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لضيق منزله فيستحيى منكم ان يأمركم بالخروج منه وهذا من الاداب الشرعية فيستحب لمن زار احدا ولو بدعوة ان يظهر القيام للذهاب ثم يذهب ما لم يقل له امكث عندى وقد قال السلف رحمهم الله تعالى من زار خفف وقيل لبعضهم هل رأيت فى الثقلاء قرآنا فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطي تأليف لطيف في هذا (حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح صحة ذلك الا انه اختلف فى كونها دون قراءة الشيخ اومثلها اوفوقها على ثلاثة اقوال وتفصيله فى ابن الصلاح (قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) بن عبد الرحمن ابن حاتم المعروف بابن الطيالسى وتكنيته بابى القاسم غير مكروهة لاختصاصه بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم اولانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سيأتي قال (حدثنا ابو الحسن القابسى) ابن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو والزاى تقدم الكلام فيه وفى نسبته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخارى وقد روى هذا الحديث مسندا فى صفته صلى الله عليه وسلم وكذا اخرجه مسلم فى فضائله قال (حدثنا عبدان) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة والف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن ابى رواد العتكى المروزى ابو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وخرج له اصحاب الكتب الستة قال (انبأنا عبد الله) بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى الزاهد شيخ خراسان ومسندها له مناقب مشهورة وروى عنه اصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة ثمانية عشر ومائة وقبره بهيت يزار قال (اخبرنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن قتادة) تقدم ايضا (قال سمعت عبد الله مولى انس) هو ابن ابى عتبة مولى انس رضى الله تعالى عنه وقيل اسمه

عبيدالله مصغرا وذكره ابن حبان فى الثقاة مكبرا وهو يروى عن انس وعائشة رضى الله تعالى عنهما وروى عنه كثير واخرج له اصحاب الكتب الستة وهو بصرى صدوق ثقة (يحدث عن ابى سعيد الخدرى) ابن مالك بن سنان الخدرى وقد تقدم الكلام عليه وان الخدرى بدال مهملة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء فى خدرها) وهذا الحديث صحيح اخرجه الشيخان والترمذى وابن ماجة والمصنف اخرجه من طريق البخارى وحياء ممدود تقدم معناه وبالقصر المطر وهو منصوب على التمييز المحول عن الفاعل والعذراء بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها وهى جلدة يلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال افتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل مالم يسبق اليه ابو عذره وابو عذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال وبالراء المهملتين هو البيت او ستر فى جانب البيت اوقة تضرب لها فان قلت البكر فى حالتها بين اهلها وابويها وهى لا تختفى عنهم ولا تستحى منهم كاستحيائها من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذراء فى غير خدرها لما فيه من المبالغة قلت المراد بكونها فى خدرها انها لم تخرج تسببا وتروج ونحوه لانها اذا خرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها وقيل المراد التعميم وان العذراء فى خدرها اشد حياء لكونه مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها فى خدرها لا حيث تكون منفردة قاله ابن حجر ولا يخفى ما فيه فانه لا دلالة فى اللفظ على ما قاله فالحق ماسمعته اولا (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه) اى عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح فى وجهه الشريف كتغيره وغض بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن فى حدود الله تعالى وحقوقه فلا يؤاخذ احدا بما يكره كما قال الصرصرى

* فاق العذارى فى الخدور حياؤه * لا حيد فيه لصاحب اوشانى *

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة) تقدم معنى اللطف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هى ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البسارة لظهور آثار الفرح بها فى الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك فى وجهه الشريف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا قوله (رقيق الظاهر) اى ما يظهر من بدنه رقيق يظهر فيه بسرعة آثار الانفعالات النفسية ولا وجه لتفسيرها بانه يستحيى كما قاله التلمسانى (لا يشافه احدا) اى لا يكلم صلى الله تعالى عليه وسلم احدا ولا يواجهه (بما يكرهه حياء وكرم نفس) منصوب مفعول له اى يترك ذلك تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم لا خوفا ومداراة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) هذا حديث رواه ابو داود فى سنده مسندا (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن احد

مايكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا) البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدأ اوخبر عن بال وجملة يقول حال اومفسرة للبال (ولكن يقول ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا) اشارة وكناية عما يكره فلا يعين الصانع او القائل وفلان وفلانة كناية عن اسماء الآدميين والفلان والفلانة كناية عن اسماء غيرهم (ولا يسمي فاعله) بتصريح اسمه بل يكني عنه ونهيه عما انكره مأخوذ من الاستفهام الانكاري وسياق الكلام في قوله ما بال فلا يقال انه ليس في الكلام نهي (وروى انس رضي الله تعالى عنه) هذا الحديث رواه ابوداود والترمذي والنسائي قالوا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخل عليه رجل به اثر صفرة) الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعني انه كان خضب بذلك فبقي عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل (فلم يقل له شيئا) من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما اشار اليه بقوله (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يواجه احدا بما يكره) اي لا يخاطبه شفاها ويقول له في وجهه شيئا يكرهه وان قال له احيانا في غيبته (فلما خرج) ذلك الرجل من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لو قلتم له يغسل هذا) اي اثر الصفرة والخضاب (او ينزعها) بفتح الزاي المعجمة يقال نزعه ينزعه كسأله يسأله اذا ازاله والضمير للصفرة والشك من الراوي وهما بمعنى ولو شرطية جوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب وتقديره اصبتم ونحوه وقيل انها مصدرية اي وددت قولكم هذا وخضاب هذا الرجل ان كان في لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحناء ونحوها ولا يعضده ما في البخاري عن قتادة رضي الله تعالى عنه انه قال سألت انسا هل خضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا انما كان شيء في صدغيه اي شيء قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه منهي عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ماروي عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخضب قط اي لعدم الحاجة اليه الا انه روي عن انس رضي الله تعالى عنه انه رأى شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخضوبا يعني بعد موته كما نقله ابن الجوزي اما قبله فاختلفت فيه الروايات وروى جماعة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس والزعفران وكان عمر رضي الله تعالى عنه يفعله وجمع الكرماني بين الروايات بانه صبغ في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وقد امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليهم وفعله وتبعه على ذلك اكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما تركه بعضهم لما فيه من التكلف وهو احب للنساء وارهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فما في هذا الحديث محمول على غير خضاب اللحية بان يخضب يديه ورجليه او بجعل الصفرة في ثوبه

فانه منهي عنه وفي فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيتمي انه ان من غير حاجة كجرب ونحوه حرام لما فيه من التشبيه بالنساء وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم يغسله او ينزعها فيه دليل على انه كان في ثوبه ولو لم نحمله على هذا اشكل الحديث والشراح لم يتعرضوا له (وقالت عايشة في الصحيح) اي في الحديث الصحيح المروي عنها كما اخرجه الترمذي وصححه (لم يكن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا) الفحش كل امر قبيح اوشديد القبح قولا اوفعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به بذاءة اللسان هنا ويؤيده قوله (ولا صخابا بالاسواق) صخاب بتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت بمبالغة فيه وهو بالصاد والسين وهكذا كلما كان معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا مطردا وخص الاسواق لانه فيها اقبح ولانها محله واما في المنزل ونحوه فلا حاجة اليه (ولا يجزي بالسيئة السيئة) لانه احق بالاجر من الله على ذلك لانه المنزل عليه من عفى واصلح فاجره على الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالعمل اتى بالاستدراك في قوله (ولكن يعفو ويصفح) يعني انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عن المسيء بحيث لا يحمله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروي في الصحيحين بطريق آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما عن عطاء ابن يسار انه قال له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في التوراة فساقه له في حديث طويل واليه اشار بقوله (وقد حكي) بالبناء للمجهول (مثل هذا الكلام) الذي قالته عايشة رضي الله تعالى عنها (عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام) بفتحتين مخفف اللام وهو الصحابي المشهور رضي الله عنه (وعبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنهما) وهو وان كان قرشيا لكنه قرأ الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيهما وقد اختلف في تحريف اهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عباراتها بنقص وزيادة اوانه انما كان بمجرد التأويل وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه حرام ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم كان يقرؤها لانهم يعلمونها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم (وروي عنه) اي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ذكره الامام الغزالي في الاحياء وقال الحافظ انه لم يجده في كتب الحديث وكذا قال السيوطي رحمه الله تعالى (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد) ثبات البصر بمعنى اطالة النظر من غير تخلل اغماض بجفن ونحوه حتى

كأن بصره صار قارا في المرئي كما قال المتنبي

* وحصرت ذنت الابصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا *

فتخيل حقيقة الثبات فيه ثم بني عليه جعله كالنطاق وان كان فيه للادباء كلام
(وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان يكني عما اضطره الكلام اليه مما يكره) ي يورد
المعنى القبيح عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك لان الجماع وذكره للمرأة يستحيى منه ومثله في الحديث
كثير (وعن عايشة) الصديقة بنت الصديق (رضى الله تعالى عنها ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) مع انه يجوز رؤية كل احد من الزوجين
فرج الآخر وان كان مكروها وفي حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث
الطمس اي العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى اولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى
نه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند احد قط كما ورد من
كرامتي على الله انه لم يطلع لي على عورة احد قط فاذكر مطبق على ما سبق له
الكلام فان عايشة رضي الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم واقرب
الناس واحبهم اليه وكان يضاجعها وينام عندها فاذا لم تر ذلك منه صلى الله تعالى
عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها فاذا لم يكشف عندها فالطريق الاولى عند غيرها
وانما كنت عن ذلك ولم تصفه تأدبا منها فلله درها فهذا كقولهم لا اريتك ههنا
فلا ترفع الثياب الا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله تعالى هن
لباس لكم وانتم لباس لهن فلا يتوهم ان عدم رؤيتها لذلك لغض بصرها حياء منه
صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا ينكشف عندها فافهم * فصل وأما حسن
عشرته * بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة اي اختلاط المرء
مع اهله واصحابه ومعاملتهم (وادبه) بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه
بعض الشارحين فلما ورد عليه ان الادب لا يكون الا حسنا دفعه بان منه ما لا يحسن
كادب اهل الدنيا مع كبارهم وهو انسب بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ادبني ربي
فاحسن تأديبي والادب استعمال ما يحمد قولا وفعلا والاخذ بمكارم الاخلاق من المأدبة
وهي الطعام الذي يدعى له الناس (وبسط خلقه) تقدم معنى الخلق وانه بضمتين
اوضم فسكون والبسط نشر الشيء وتوسيعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة
وعليه استعمالهم وورد في الحديث فاطمة مني يبسطني ما يبسطها فلبس من كلام
المولدين كما توهم ومن امثال العامة البسط صدق والمعنى هنا سعة خلقه صلى الله
تعالى وسلم ويجوز رفعه وجره ايضا والاول اولى ولبس بمتعين كما توهم وانما كان
معنى بسط الخلق هنا سعته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نال من الاخلاق الحميدة
اقصاها وغايتها قوله (مع اصناف الخلق) تنازع فيه الالفاظ الثلاثة فهو قيد لجميع

ماقبله (فبحيث انتشرت) اى كثرت و اشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدأ مقدر اى فهو بحيث اى بمحل معلوم لكل احد (به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلوة والسلام) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى فى شمائله (كان اوسع الناس صدرا) المراد سعة صدره تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى *فلا يكن فى صدرك حرج* اى ضيق (واصدق الناس لهجة) فى الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق واريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه حديث مامن ذى لهجة اصدق من ابى ذر لان المراد تفضيله رضى الله تعالى عنه على امثاله والصدق ضد الكذب وهو معروف ثم ان فى التفضيل فى الصدق سؤالا وهو ان الصدق هو المطابقة للواقع فاطابق فهو صادق ومالم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا صادق وذاك اصدق وهذا انما يرد لو كان التفضيل فى كلام واحد وانواع منه محصورة اما لو اريد كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد ماذكر (والينهم عريكة) اى اسهل الناس طبعا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم دائما سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لاتهور فيه واصل العريكة السنام فهو فى الاصل مجاز حتى صار حقيقة فيما مر (واكرمهم عشرة) اى يعامل الناس فى معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق فيعظم من يستحق التعظيم و يتلطف مع من دونهم (حدثنا ابو الحسن محمد بن مشرق) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المسددة وقاف اسمه على وله ترجمة فى الميزان وسمع منه السلفى وفيه كلام (الانماطى) جمع نمط وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج و النسبة الى الجمع على رأى اولانه ملحق بالعلم كالانصارى لان المراد به صيغة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس (فيما اجازنيه وقرأته على غيره) فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فانحسر الطعن فيه وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائى (قال حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة والف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر ابو اسحق ابراهيم بن سعد بن عبدالله بن النعمان التجيبى الفراء الوراق المصرى ولد سنة احدى وتسعين وثلثمائة وسمع من احمد بن عبد العزيز صاحب المحاملى وغيره ومات فى سنة اثنتين وثمانين واربعمائة وله احدى وتسعون سنة وترجمته مشهورة قال (حدثنا ابو محمد بن النحاس) بحاء مهملة مسددة وهو الامام ابو محمد عبدالرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق المصرى البزار سمع اباسعيد بن الاعرابى وسليمان بن داود العسكرى و جماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا (حدثنا ابن الاعرابى) هو الامام ابو سعيد الذى يروى سنن ابى داود عنه قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال

(حدثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى) هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقي الثقة الثبت توفي سنة تسع واربعين ومائتين وترجمته في الميزان ومحمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين قالا (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ احد الاعلام اخرج الجماعة الا انه رمي بالتدليس قال (حدثنا الاوزاعي) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسب للاوزاع وهي قبيلة من حمير او اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطاء ومكحول وروى عنه كثيرون واخرج له اصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة (قال سمعت يحيى بن ابي كثير) بزنة كثير ضد القليل وهو من العباد وائمة الحديث توفي سنة تسع وعشرين ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان قال (حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن اسعد والي المدينة وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اربع وعشرين ومائة (عن قيس ابن سعد) بن عبادة بن دليم الخزرجي سيد الخزرج وصاحب شرطة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج له الستة واحمد وكان من الدهاة وذوي الرأي طويل القامة جميلا جوادا توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه (قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على عادته في تفقد اصحابه وكان سعد بن عبادة دعاه رجل ليلا فخرج له فضربه بسيفه فاشواه فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده (وذكر قصة) هي ما وقع له مع عبد الله بن ابي ابن سلول اذ مر به وهو جالس مع اخلاط المسلمين وغيرهم فغشي المجلس غبار دابته صلى الله تعالى عليه وسلم فخمر ابن سلول انفه بردائه وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا فسكتهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي الله تعالى عنه وذكر ذلك له فقال له يا رسول الله اعف عنه واصفح فلقد اتفق اهل هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (في آخرها) اي آخر القصة (فلما اراد الانصراف قرب له سعد) رضي الله تعالى عنه (حمارا) ليركبه (وطاء عليه بقطيفة) هي كساء له وبر وخمل وضعه على ظهر الحمار وطاءة له ليركب عليه ووطاء بتشديد الطاء المهملة وهمزة (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال سعد) لابنه (يا قيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي كن معه في خدمته وفي هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء كان على حمار ردفا خلفه اسامة بن زيد فسعد رضي الله تعالى عنه انما اعطاه حمارا ليركبه وحده وبقي اسامة على الحمار الذي جاء به ووهب

سعد له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الحمار (قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اركب) معى على الحمار (فابيت) الركوب معه تأدبا وفوزا بالمشي
فى خدمته (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) اى ترجع ولا تمشي معى (فانصرفت)
امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم (وفى رواية اخرى) انه عليه السلام قال له (اركب
امامى فصاحب الدابة احق بصدرها) وهذا وقع هنا فى بعض النسخ والمراد بصدرها
تقدمها وفيه دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذ لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق
ذلك وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان اوهو
صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعلم بابه وهبها له (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم يؤلفهم) اى يؤلف المسلمين بايناسهم ومداراتهم ليزداد ايمان من كان
قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبره خاطره والتودد اليه
(ولا ينفرهم) اى لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب
عهد من المؤلفة قلوبهم (ويكرم كريم كل قوم) برعايته بما يليق به كما فعل
مع عدى بن حاتم وغيره مما فصل فى السير (ويوليه عليهم) اى يجعل شريف القوم
واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لديارهم كما ولى على
وفد همدان مالك بن نمط (ويحذر الناس ويحترس منهم) لانه من الحزم ان لا يركن
لكل احد حتى يجربه (من غير ان يطوى عن احد منهم بشره) اى كان صلى الله
الله تعالى عليه وسلم مع احتراسه منهم يلقاهم ببشرته وبشاشته ولا يغير حاله
معهم فشبه بشره وايناسه ببساط مهد لهم فلا يطوى عنهم ما داموا عنده
كما قال الشاعر * انما مجلس الندامى بساط * فاذا ما مضى طوينا بساطه *
(ولا خلقه) المعهود منه صلى الله تعالى عليه وسلم (يتفقد اصحابه) اى من فقده
من اصحابه رضى الله تعالى عنهم يسأل عنه او يزوره او يرسل اليه من يتعهده قال
الراغب الفقد اخص من العدم لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن
حقيقة التفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم (و) كان
صلى الله تعالى عليه وسلم (يعطى كل جلسائه نصيبه) اى يعطى كلا منهم ما يليق
به وما يسره (ولا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى لما يراه من لطفه به يظن
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه اكثر من غيره (من جالسه) اى
جلس عنده فى ناديه (اوقاربه لحاجة) اى كان معه حال مشيه او مسيره (صابره)
اى صبر على سؤاله وذكره حوائجه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اى الراجع عن
مقارنته او مجالسته (ومن سأله حاجة لم يرده الا بها) اى باعطائه حاجته التي سألها
منه صلى الله تعالى عليه وسلم (او بميسور من القول) كوعده او تسليته واولمع الحلو
قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا (وقد وسع الناس بسطه وخلقه) بسطه مصدر

برنة ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع
برنة علم وكذا خلقه المعطوف عليه وقدتقدم معنى الخلق والجملة فحعل بسطه
بمعنى توسعته على الناس او بمعنى نشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله
لند له لهم كالمكان الذى تمكسوا فيه (فصار لهم ابا) اى صار صلى الله تعالى عليه
وسلم لجميع امته بمنزلة الاب فى اللطف بهم والشفقة عليهم وهو لاينافى قوله تعالى
ما كان محمد ابا احد من رجالكم لان المنفى عنه الابوة الحقيقية الا ان بعض علماء
الشافعية ذهب الى انه لايجوز ان يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم اب المؤمنين كما يقال
لنسائه صلى الله تعالى عليه وسلم امهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الآية وانما يقال
انه كالاب ونص الشافعى رضى الله تعالى عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبى
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام اب لامته ذكورا واناثا وكونه صلى الله تعالى عليه
وسلم ليس ابا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما نفاه فى الآية ردا على من انكر تزوجه
صلى الله تعالى عليه وسلم بامرأة زيد الذى تبناه (وصاروا عنده فى الحق سواء) لان
الله عصمه صلى الله عليه وسلم فى الاعراض النفسية الحاملة له على الميل مع الهوى
وكذا وصفه به صلى الله تعالى عليه وسلم ابن ابى هالة ربيبه فى الحديث الصحيح
المروى عنه كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (بهذا وصفه بن ابى هالة)
ابن خديجة ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها بنت خويلد واسمه هند وابوه ابوهالة
حليف عبد الدار اختلف فى اسمه فقيل بناش ابن زرارة وقيل مالك بن النباش بن
زرارة وكان زوج خديجة رضى الله تعالى عنها قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فولدت له هند اولهند ولد يسمى هندا ايضا عده ابن مندة وابونعيم فى الصحابة
وابوه هند من كبار الصحابة قتل مع على كرم الله وجهه فى وقعة الجمل وتقدمت
ترجمته بالبسط من قبل هذا (قال) ابن ابى هالة رضى الله عنه فى وصفه صلى الله
تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (وكان دائم البشر) بكسر الباء وسكون المعجمة اى
طلاقة الوجه وبشاشته لايعبس فى وجه احد (سهل الخلق) لاصعبا ولاحرجا
(لين الجانب) استعارة مصرحة شبه وصول كل احد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما
يريده منه بشىء لين يأخذ منه من يجانبه يطلبه وقيل شبهه بجانب لين من الارض ليس
بحزن (ليس بفظ ولاغليظ) الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ اى ماء الكرش
وهو مكروه لايتناول الا فى شدة الضرورة كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة واصله
فى الاجسام فاستعير للمعانى كما تقدم (ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب) اى لاينطق
بالفحشاء كالشتم ولايعيب احدا اى يذكر عيوبه (ولا مداح) لاحد بما يؤدى الى
اطرائه ولا لنفسه السريعة وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار
ولبان او المبالغة راجعة للنفى كما قالوه فى قوله تعالى *وما ربك بظلام للعبيد* وقيل

المقصود به اصل الفعل وقول انس لعمر رضي الله تعالى عنهما انت افظ واغلظ من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتضي ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود
اصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحقيقة التفضيل اوالمراد
اثبات ذلك على المشركين كما في قوله تعالى * وليجدوا فيكم غلظة * كما ان المدح
قد يستحسن في مقام دون مقام اذا كان في محله بخلاف ما اذا كان كذبا ولذا قال
صلى الله تعالى عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين على احد الوجوه فيه
(يتغافل عما لايشتهي) اي اذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لايرضاه تغافل
عنه حتى يظن انه ما رآه اذا كان ذلك مما لايترتب عليه اثم (ولا يؤيس منه) مبني
للمفعول وضميره له صلى الله تعالى عليه وسلم اي والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم
تغافله لاييأس احد منه وروي مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة التي
كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم اي لايؤيس احدا منه اي يجعله ذايأس
بحيث لايرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر ارباب الحواشي (وقال
تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)
ما زائدة للتأكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل استفهامية تعجبية اي
باي رحمة عظيمة لنت لهم ورده في المغني بثبوت الف ما وقال ان ما قبله ايضا لايتجه
كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى انك لوكنت فظا غليظ القلب
انفضوا عنك اي تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك بلين جانبك لهم وشفقتك عليهم
تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان عليه بما جبله الله عليه من الاخلاق الحسنة
وقد تقدم الكلام عليه (وقال ادفع بالتي هي احسن) التي هي احسن الصفح والتجاوز
والاحسان في مقابلة السيئة ولاحاجة لتقييدها بما لم يكن فيه وهن في الدين لانه
لايكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله تعالى وقيل التي هي احسن كلمة
التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور
على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر اي ادفع بهذا لا بغيره (وكان)
صلى الله تعالى عليه وسلم (يجيب من دعا) لطعامه او لمنزله جبرا لخاطره وتعليما
وتشريعا لامته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان المدعو اليه وليمة عرس اوغيرها
وفي الحديث اذا دعا احدكم اخاه فليجب وما قيل من ان اجابة دعوة العرس واجبة
عينا اوكفاية لورود الامر بها في الاحاديث الصحيحة ولا يكون ذلك من التفضل
ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب فيها عند الشافعية ايضا كما
صرح السبكي واوسلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس في العبارة
مايقتضي التخصيص ولا يجب اجابة لغير وليمة عرس ومنه وليمة التسري كما هو
ظاهر وقيل تجب واختاره السبكي لاخبار فيه (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم

(يقبل الهدية) لا الصدقة (ولو كانت كراعا) لانه مقتض للتحاب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهي ماتحت الركبة الى الخف والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع ما دون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شيء طرفه وفي الترمذي عن انس بن مالك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو اهدى الي كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وكراع الثاني اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغة في ذلك اي اقبل الهدية ولو كانت حقيرة واجيب الدعوة ولو كانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على البناء نفسها وفي الحديث اذا دعي احدكم فليجب فان كان مفطرا اكل وان كان صائما دعا بالبركة وقوله (ويكافئ عليها) بالهمزة اي يجازي على الهدية بشيء مثلها او اكثر لان المكافاة اصل معناها المساواة والمماثلة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم اي تتساوى في القصاص وفي البخاري كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا اطلق الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذي يهدي للغني ولم يوافق عليه (وقال انس رضي الله تعالى عنه) وهو خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (خدمت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) وفي رواية لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين واشهرا فتارة نظر للكسور وجعلها سنة وتارة الغاها وكان عند عمه ابي طلحة فانطلق به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ان انسا غلام كيس فليخدمك (فما قال لي اف قط) هي كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه وهي اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين اشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وللسيوطي في نظم لغاتها ابيات مشهورة حيث قال

* اف ربع اخيره ثم خفف * مبتداه مشدد ومخفف *
* وبتسويه وبالترك افي * لا تمالا وبالامالة مضعف *
* وبكسر ابتداء وافي مثلث * وزد الهاء في اف اطلق لاف *
* ثم مدا بكسر اف واف * ثم افوا فاحفظ ودع ما يريف *

قال الراغب اصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجري مجراهما ويقال لكل مستقذر يستخف به واففت لكذا اذا قلت له اف والحاصل مما تقدم ان همزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها في البحر ومن لطائف السراج الوراق رحمه الله تعالى في مدح انس رحمه الله * بي اقتدى بالكتاب العزيز * فردت سرورا وزاد ابتهاجا * وماقال لي اف في عمره * لكوني انا ولكوني سراجا *

اى لم يتضجر من امر غير مرضي وقع مني وبه دليل على زيادة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته) وهذا الحديث رواه الشيخان (وعن عائشة رضى الله عنها ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم بينت بعض ذلك بانه (ما دعاه احد) اى ناداه فقال يارسول الله (من اصحابه ولا اهل بيته) خصهم لان العادة جارية بالمسامحة معهم (الا قال لبيك) قال السيوطي رواه ابونعيم فى دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادى فالتلبية اجابة المنادى من دعاه من لب والب اذا اقام بما كان ولم يفارقه فكانه يقول انا ثابت على اجابتك ولا تستعمل الا بلفظ التثنية كانه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله فارجع البصر كرتين وهو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر وتعلب اضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الا من يعتنى باجابته وتعظيمه ولذا يقوله الحاج فى اجابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه بذلك رعاية مقامهم وتعظيمهم وهو من خلقه العظيم كما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب القادم بمرحبا كقوله مرحبا بام هانئ (وقال جرير بن عبد الله) بن جابر بن مالك البجلي سيد قومه قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لاقبل موته باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله تعالى عليه وسلم يطلع عليكم خير ذى يمن وكان رضى الله تعالى عنه جميلا حتى قال عمر رضى الله تعالى عنه فيه انه يوسف هذه الامة وارسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لذى الخلصة وهى الكعبة اليمنية وكان فيها صنم فهدمه وقتل من عنده (ما حجبنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ اسلمت قط) اى ما منعنى من الدخول عليه فى بيته وقد استأذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد فى مجلس مختص بالرجال او المراد ما منعني شيئا سألته واسلامه رضى الله تعالى عنه كان فى رمضان سنة عشر كما مر (ولا رآنى الا تبسم) وفى رواية الا تبسم فى وجهى وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادى الضحك بحيث يبدو مقدم الاسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم فى اغلب احواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه اريد مجرد المبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء باحد وسخرية فحرام (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمازح اصحابه) الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة ولكنها انما تحمد من الكبار احيانا بحيث لا تؤدى الى اذية صاحبها والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق سيأتى وكان صلى الله

تعالى عليه وسلم يمزح احيانا ولايقول الاحقا ولكنه يوارى فى كلامه كما قال لبعض العجايز لايدخل الجنة عجوز لانهم يعودون فى سن الشباب ولله در القائل

* افد طبعك المكدود بالهم راحة * باس وعلله بشئ من المزح *
* ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار مايعطى الطعام من الملح *

(والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

* فاياك اياك المزاح فانه * يجرى عليك الطفل والرجل النذلا *
* ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا *

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس فى سجن مالم يتمازحوا وورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان افكه الناس وكان مزاحا ولايقول الاحقا (ويخالطهم ويحادثهم) تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم (ويداعب صبيانهم) يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجى رضى الله تعالى عنه عقلت منه صلى الله تعالى عليه وسلم مجة مجها فى وجهى وانا ابن خمس سنين (ويجلسهم فى حجره) كما فعل صلى الله تعالى عليه وسلم مع ام قيس اذ اتته بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من ثديه على فخذيه وهو جالس (ويجيب دعوة) بفتح الدال المهملة (العبد والامة والمسكين) قال السيوطى اجابته صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضى الله تعالى عنه والترمذى وابن ماجة عن انس رضى الله تعالى عنه فلاوجه لما قيل انى لم اقف عليه الافى صحيح البخارى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها دباء فجعل يتتبعه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم طيب انفسهم بما يملكونه لهم فلايقال كيف اكل مما فى يد العبد وهو وما يملكه لسيده اويقال كان مكاتبا اوالمراد بالعبد من مسه الرق ولوقبل دعوته وقدم العبد اهتماما ببيان انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر (و) اخرج الترمذى بسنده عن انس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يعود المرضى) ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقى دعوة المملوك (فى اقصى المدينة) اى فى ابعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لاسيما ممن يتبرك بعيادته لما فيه من التسلية وتأليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لاعيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لايعاد المريض الا بعد ثلاثة ايام وورد فى ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لافرق والحديث

قال شيخنا الرملي انه موضوع واختلف في عيادة الذمي فقيل يجوز اذا كان يرجى اسلامه او تضمن مصلحة (ويقبل عذر المعتذر) المعتذر كل من ابدا عذرا سواء كان له حقيقة ام لا وسواء كان من شانه انه يقبل ام لا ولذا لم يقل المعذور لانه من له عذر وعدم قبوله منه مذموم وقبول اعتذاره عفو عن جنايته وعدم مؤاخذته بها لانه من تمام المروة وهذا كما قبل صلى الله تعالى عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله تعالى وكقبوله عذر حاطب بن ابي بلتعة رضي الله تعالى عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله تعالى عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله تعالى (وقال انس) رضي الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الى قوله بين يدي جليس له رواه ابوداود والترمذي والبيهقي في الدلائل واخرجه البزار عن ابي هريرة وابن عمر رضي الله تعالى عنهم (ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما جعل احد اذنه محاذية لفمه فيحاذيه وقال السمني اى ما حدثه احد عند اذنه فجعله استعارة ولم يحمله على حقيقته وان فعله للتبرك كما وقع لجابر رضي الله عنه في التقامه لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضي الله تعالى عنه لما اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه وامكنه ذلك بسهولة وايضا في مثله سوء ادب ومنافاة لعرضه فانه اذا ادخل اذنه في فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته وفي النهاية في الحديث ان رجلا التقم عينه خصاصة الباب اى جعل الشق الذي في الباب محاذي عينه فجعله للعين كاللقمة في الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لا ينافي ما في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال والله لاتين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته وهو في ملاء فساررته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يغضب من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة والدال المعجمة وقد تسكن (فينحي رأسه) عنه اى يبعدها ويجعلها في ناحية منه (حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه) اى حتى يفارقه او ينفصل منه قليلا (وما اخذ احد بيده) اى امسكها (فيرسل يده) اى يطلقها ويفكها من يده وهو مجاز من ارسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فلبس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه وقوله (حتى يرسلها الآخذ) غاية لترك ارسالها اى الى ان يرسلها الآخذ وهو بالمد اسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الاخر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتطلق به حيث شاءت وعن احمد فما ينزع يده من يدها وهو عبارة من الانقياد

لسدة تواضعه وتنزهه من التكبر صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (ولم ير صلى الله
تعالى عليه وسلم مقدم ركبتيه بين يدى جليس له) من جملة حديث انس رضى الله
تعالى عنه فى المصابيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع
يده من يده حتى يكون هو الذى ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون
هو الذى يصرف وجهه اوهو رواية اخرى والظاهر لما بينهما من المخالفة ومعنى
لم ير مقدما الى آخره انه يخص ركبتيه تعظيما لجلسائه وقيل المراد بالركبتين الرجلين
اى كان لا يمد رجليه فى مجلسه لما روى فى حديث آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم
لم ير قط مادام رجليه بين اصحابه كما سيأتى يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يساوى جليسه ولا يتقدم عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجئ ولا يعرفه و يسأل
عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ) اى يبتدئ (من لقيه بالسلام) من
تفيد العموم اى كل احد لقيه صغيرا اوكبيرا من المسلمين الا فى مواضع لا يستحب السلام
فيها واما الكفرة فلا يسلم عليهم وجوز بعضهم ابتداء هم بالسلام ايضا (و يبدأ
اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصفح اى يجعل صفحة يده السريفة على صفحة
يده وفى الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهى سنة عند التلاقى وكانت الصحابة
رضى الله تعالى عنهم تفعله واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة
رضى الله تعالى عنهم تقبل يده ايضا وهى مستحبة للكبير وكرهها مالك اما اذا كان
على وجه التكبر فيكره وقال النووى انه مستحب ايضا لاهل الشرف والصلاح
واما لاهل الدنيا فمكروه وقال فقهاؤنا لا بأس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما
ورد فى الحديث ايضا تصافحوا وقيل انه من الصفح وهو العفو اى ليصفح احدكم
عن غيره ولا يناقشه والمشهور الاول واما بعد صلاة الجمعة والعيد فقالوا انه
بدعة وهو من فعل المشايخ لانهم كانوا فى الصلاة غائبين عمن حضرهم ومن كان
هذا حاله لا يكره منه (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم قط مادا رجليه بين اصحابه
حتى يضيق بهما على احد) هذا اشارة الى انه كان ذلك فى مجلس يكثر فيه الناس
اما اذا كان وحده او فى قليل من خواصه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد يتكئ
وقد يضع احدى رجله على الاخرى كما ورد فى بعض الاحاديث (يكرم من يدخل
عليه) بالقيام له و يلاطفه كقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم وكره بعضهم
القيام مطلقا لحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له النار وحمل هذا
على عادة الاعاجم فى وقوف الناس بين ايديهم اما القيام للعلماء والصلحاء فمستحب
كما يأتى وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب
لكراهته ابن حجر رحمه الله تعالى وقال فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قوموا
لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفى رواية قوموا لسيدكم
فانزلوه ورد بانه لو كان كذلك لم يأمر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل

النووي وفيه نظر (وربما بسط له) اي لمن يدخل عليه (ثوبه) تعظيما له كما جعل ذلك لعدي بن حاتم ولاخته عليه السلام من الرضاعة لما اتته كما يأتي (ويؤثره بالوسادة) الايثار تقديم غيره على نفسه في بعض الامور والوسادة ما يتوسد اي يوضع تحت الرأس وهي التي تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمزة ووساد بدون هاء (التي تحته) كما في البخاري انها فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقضيته قال عدي ابن حاتم دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدي ابن حاتم فقام وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة واستوقفته فوقف لها طويلا يكلمه في حاجتها فقلت في نفسي والله ما هذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لي اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بيني وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة بتفسير الجوهري لها بالمخدة فقط (ويعزم عليه في الجلوس) اي يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس انت قال في التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا اي اقسمت انتهى وهو مأخوذ من العزم وهو التصميم في الامر وقوله (عليها) اي على الوسادة (ان ابى) اي امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ويكني اصحابه) اي يضع لهم كنية كابي فلان اويدعوهم بالكنية تكريما (ويدعوهم) اي يناديهم (باحب اسمائهم تكرمة لهم) اي يفعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا لهم وتأدبا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكني من لا كنية له كما قال للطفيل الذي كان معه طائر يسمى نغيرا يا ابا عمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو كذب واخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال كناني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اباعبد الرحمن قبل ان يولد لي وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا اولادكم بالكنى قبل ان يغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا قصدا لتعريف وقال النووي يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثاني ان احد يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول كابي طالب والثاني كابي حباب لابن سلول وفيه نظر وقد تكون لامر آخر كابي لهب فانه اشارة الى انه جهنمي وقيل كني بذلك لحسن وجهه (ولا يقطع على احد حديثه) اي من يحدث عنده يصغي اليه ولا يقطع حديثه بتكلمه بكلام آخر اوقيامه اونهيه عن الكلام فان مثله يؤذي المتكلم (حتى يجوز) بياء وتاء مفتوحتين وجيم مفتوحة وواو مشددة وزاي معجمة غاية لتركه قطع حديثه اي حتى يكثر فيتجاوز الحد او يخرج

الى مالايليق من الكلام فهو من التجاوز او الجواز كما يأتي (فيقطعه بنهي) عن الكلام (اوقيام) من مجلسه اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه عنه (ويروى بانتهاء اوقيام) فالنهي بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع في بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك في حديثه فيقطع حديث نفسه اما بسبب انه انتهى ولم يبق منه شئ اولقيامه عن المجلس والتجوز على هذا بمعنى التخفيف له والتعليل بسد وقيل معناه ينطق بما هو غير حقيق كان يتكلم بما لايليق من الكلام (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايجلس اليه احد) اى لايجلس متوجها اليه والمراد لايجلس عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو يصلى الاخفف صلاته) اى اسرع فيها فقطعها والتخفيف ضد التطويل وسيأتي بيانه (وسأله عن حاجته واذا فرغ) صلى الله تعالى عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته (عاد) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى صلاته) التي كان فيها وقال البرهان الحلبي هذا الحديث منكر وقد ذكره في الاحياء في ادب المعيشة وقال العراقي في تخريج احاديث الاحياء لم اجد له اصلا انتهى ولذا قيل لو اورد حديث الصحيحين الاتي انى لاقوم الى الصلاة اريد ان اطول فيها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي كراهة ان اشق عليه كان اظهر فانه متفق عليه وهو في معنى حديث الاحيا. (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس تبسما) وقد تقدم معنى التبسم وما يتعلق به (واطيبهم نفسا) اى لم يكن مقطبا وعبوسا في مجلسه لطيب نفسه وهذا ومابعده حديث رواه احمد والترمذي بسند حسن (مالم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب) قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدى قال مارأيت اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الترمذي وقال غريب وقد تقدم وعن على كرم الله وجهه اوالزبير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه الصلوة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله تعالى عنه من غير شك وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فاذا سرى عنه فاكثر الناس ضحكا اخرجه الطبراني في مكارم الاخلاق وفيه ابن ابى ليلى سئ الحفظ وعن على والزبير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة اخرجه احمد وابو يعلى من حديث الزبير رضى الله عنه من غير شك وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت وجنتاه واشتد غضبه رواه مسلم والحاكم من حديثه كان اذا ذكر الساعة احمرت

وجنتاه واستد عصمه انتهى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لايتبسم فى هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحى وتأذيه معه وفى الوعد لانه مقام انذار وخوف وتخويف (قال عبد الله بن الحارث) بن جزء بن عبدالله بن معدى كرب ابى عم الزبيدى الصحابى سكن مصر ومات رضى الله تعالى عنه بها سنة خمس او سبع وثمانين وهو آخر من مات بها ببلدة تسمى سفط قرية من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس وقال انه شهد بدرا ولابن حجر فيه كلام (ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفى الحديث تبسمك فى وجه اخيك صدقة (وعن انس رضى الله تعالى عنه كان خدم المدينة) خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل فى جمع فاعل جاء فى الفاظ محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير نحو كملة جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والجوارى وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صليت الغداة) اى الصبح (بآنيتهم فيها الماء) والآنية جمع اناء ككساء واكسية وهو ما يوضع فيه الشئ والاوانى جمع الجمع وكثير من الناس يظن ان الآنية مفرد او ظاهر قوله (فما يؤتى بآنية الاغمس يده فيها) يوهم ذلك (وربما كان ذلك) اى اتيانهم بالاوانى وغمس يده فيها (فى الغداة الباردة) والغدوة والغداة اول النهار وقوبل فى القرآن الغدو بالآصال والغداة بالعشى ووصفها بالباردة اشارة لما فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم وما مسته يده الشريفة وقوله (يريدون التبرك به) يحتمل انه من كلام المصنف فان البغوى رحمه الله تعالى رواه فى مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك بآثار العلماء والصلحاء

﴿فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق﴾ والفرق بين هذه الثلاث ان الشفقة رحمة ورقة القلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه كما فى الاساس والرأفة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس الرقيات

* ملكه ملك رأفة ليس فيه * جبروت يرى ولا كبرياء *

فقابلها بالجبروت صريحة فيه وليست اشد الرحمة كما توهمه بعضهم وان استعملت بهذا المعنى كما مر تحقيقه فما قيل انها ارق من الرحمة ولا تكاد تقع فى الكراهة كالرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعنى انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (فقد قال الله تعالى عنه) اى فى حقه وصفته عليه الصلوة والسلام (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) عزيز من عز بمعنى اشتد وصعب والعنت المشقة اى يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لا ينافى قوله لجميع الخلق فالاشف

ان يقتصر على قوله (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وقد اشار المصنف رحمه الله تعالى لدفع هذا فى الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لاتنافى العموم فكانه يشق عليه لعموم رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كل مايقع بهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم وهى مطابقة لهذه الآية كما يعلم من كلامه هناك وقد تقدم ماذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض آخر كالآيات المكررة فى القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادته على المقصود ولو نبه على ماقلنا كان اولى به لكنه حريص على العنت كما لا يخفى لمن سبره (قال بعضهم من فضله عليه الصلوة والسلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) تقدم الكلام على هذا واعاده هنا لمعنى آخر فلا تكرار بل فيه فائدة قال السيوطى رحمه الله تعالى ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن اخرج ابن ابى حاتم الرحيم لايستطيع الناس ان ينتحلوه ويظهر لى ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى (وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم ابيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه اكثر من مائة مصنف جليل توفى سنة ست واربعمائة قال (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى بقراءتى عليه) وهو عبد الله بن ابى بكر بن ابى جعفر بن محمد الخشنى بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون نسبة للخشنية مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع واربعين واربعمائة ومات بمرسيه من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقراءتى عليه (قال حدثنا امام الحرمين ابو على الطبرى) هو الامام ابو عبد الله ويقال ابو الحسين ابن على شيخ الحسين ومحتده بمكة والطبرى منسوب لطبرستان اوللطبرية والاول اصح قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) الامام الزاهد العدل ابو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسى احد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الجلودى ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة وتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة وعمره ثمان وسبعون سنة قال (حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل ان هذا ان عبد الغافر لم ير الجلودى ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوى جده ابو امه واسمه عبد الغافر ايضا كحفيده لكنهما اختلفا كنية واما فان كنية الاول ابو الحسن وهذا ابو الحسين مصغرا واسم ابى الاول محمد وهذا اسمعيل وتاريخ موتهما مختلف فيه وهذا لم يدرك الجلودى وقال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته بين هذا وبين الجلودى اثنان وهذا مما لم ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغى التنبه له قال (حدثنا ابراهيم بن سفيان) تقدم ايضا وان سين سفيان مثلثة قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) الامام المشهور صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا

ابو الطاهر) احمد بن عمرو بن عبدالله عمرو بن سرح بمهملات بزنة ضرب الاموى مولاهم المصرى روى عنه اصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائى وقال ابو حاتم لابأس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفى فى ذى القعدة سنة خمسين ومائتين قال (اخبرنا ابن وهب) ابو محمد عبدالله الفهرى احد الاعلام روى عنه الستة و توفى سنة سبع وتسعين ومائة (اخبرنا يونس) بن يزيد الايلى بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية واللام وياء النسبة احد الاثبات روى له اصحاب الكتب الستة وهى ثقة ثبت توفى سنة تسع وخمسين ومائة و له ترجمة فى الميزان وفى يونس ست لغات تثليث النون مع الواو و الهمزة (عن ابن شهاب) الامام ابو بكر بن مسلم الزهرى و قد تقدم (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) تقدم الكلام على حنين قال البرهان الحلبى الراوى اذا قدم الحديث على السند كأن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا اخبرنى به فلان ويذكر سنده اوقدم بعض الاسناد مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان ابن امية الى آخره فهو اسناد متصل ولايمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد بتمامه اولا وقال ابن الصلاح ينبغى ان يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية بالمعنى لاتجوز والجواز على القول بانها تجوز ولافرق بينهما فى ذلك انتهى وفى جعله كالرواية بالمعنى حقا (قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية) بن وهب بن حذافة بن جمح القريشى الجمحى الصحابى وكنيته ابو وهب اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك ثم اسلم وحسن اسلامه بعد ما كان من المؤلفة قلوبهم وكان رئيس بنى جمح وكان يعادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يؤذيه اذية بالغة فعاملهما من الرحم جزاه على اساءته بالاحسان الزائد اليه (مائة من النعم ثم مائة ثم مائة) والنعم اسم جمع للابل لاواحد له من لفظه وجمعه انعام وقال الهروى هو الابل والبقر والغنم (قال ابن شهاب حدثنى سعيد ابن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما اعطانى وانه لابغض الخلق الى فمازال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى) بعد ما كان اشد الناس عداوة له لقتل ابيه يوم بدر ولما شهد وهو كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجعرانة فبينما هو يسير فى الغنائم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملئ نعما وشاء وادام النظر اليها ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرمقه فقال له اباوهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك و ما فيه فقال صفوان ما طابت بهذا الا نفس نبى اشهد ان لااله الا الله وان محمدا عبده و رسوله و كانت زوجته اسلمت قبله فاقر

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نكاحه عليها و اختلف فيما كان يعطيه صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤلفة هل هو من خمس الخمس الذى هو حقه او من الخمس او من الغنائم واما اعطاء مؤلفة الكفار فكان جائزا فى صدر الاسلام وهل هو من الزكاة او من بيت المال ثم منعوا منه فى خلافة الصديق او فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنهما فان قلت ما مناسبة الحديث لما نحن فيه قلت لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى صفوان لما بينه و بينه من الرحم حنوا عليه ان يستمر على عداوته و كفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان تحل به النقمة والعذاب وقد تقدم اعطاؤه اكثر من ذلك (وروى ان اعرابيا جاء يطلب من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا فاعطاه) هذا الحديث رواه البزار عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بسند ضعيف وكذا ابن حبان و لم يسموا الاعرابى (ثم قال احسنت اليك قال الاعرابى لا و لا اجملت) الذى فى النسخ احسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله * ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب * ومثله كثير نفيس والاستفهام استفهام تقريرى وقوله لارد لقوله احسنت و اجملت بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ما اعتدلت فى الاخذ والعطاء اوما اكثرت وهذا اولى انتهى واللغة لا تساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار ولا تكرار فيه لانه من ذكر العام بعد الخاص ومثله لا يعد تكرارا لما فيه من المبالغة و فى ذلك غلظة وسوء ادب (فغضب المسلمون) من كلامه وجراءته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقاموا اليه) ليضربونه ويجازونه بما يستحقه (فاشار اليه ان كفوا) اى اشار بيده اليهم اشارة يفهم منها الامر بكفهم اى تركهم ما ارادوه وان تفسيرية او مصدرية على الخلاف المشهور عند اهل العربية وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وشفقته تأليفا له ليحسن اسلامه (ثم قام) من مجلسه (ودخل منزله وارسل اليه) عطية (وزاد) اى زاده على ما اعطاه اولا (ثم قال احسنت اليك) فيه مقدر وهو مزح وقال له ذلك (قال نعم) احسنت الى (فجزاك الله) على احسانك ولطفك بى (من اهل وعشيرة خيرا) مفعول جزاك و ما بينهما اعتراض والفاء تفريعية و سببية لما تضمنه وقيل انها فصيحة فى جواب شرط مقدر او عاطفة على مقدر اى احسنت واجملت فجزاك الى آخره ومن فى من اهل قيل انها بدلية مثلها فى قوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض اى بدلكم فالمعنى بدلا من اهلى وعشيرتى الذين لم يحسنوا الى وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صادف اهلا له و عشيرة اى قبيلة اما لفعله فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم اهلا وسهلا او لما تقدم من ان له صلى الله تعالى

عليه وسلم في كل قبيلة قرابة وعرقا في اما تعليلية كقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اى لاجل ذكر الله واما كونها للفصل والتمييز كما في قوله تعالى اتأتون الذكران من العالمين اى ممتازين من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا ثم اشار المصنف رحمه الله تعالى الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ما قلت) في جوابك وردك على (وفي انفس اصحابى من ذلك شئ) تنكيره اما للتحقير اى شئ حقير لايعتد به عندى او للتعظيم اى امر عظيم عندهم لاذيته صلى الله تعالى عليه وسلم ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره فتذكيره بما وقع منه من الامر العجيب (فان احببت فقل بين ايديهم ماقلت بين يدى) علق قوله على محبته وارادته لطفا منه صلى الله تعالى عليه وسلم واى لطف مع انه ذنب عظيم ينبغى التنصل له وفيه من الشفقة بالامة مالايخفى وبين الايدى كناية عن حضوره وتمثله لهم وليس المراد البينية الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المستقبل نحو يعلم مابين ايديهم وماخلفهم (حتى يذهب مافى صدورهم عليك) اى الغضب والالم الذى فى قلوبهم بسبب ماقلته اولا (قال نعم) اى اقول لهم ماقلت لك (فلما كان الغد اوالعشى) المراد بالغد صبيحة اليوم الذى بعد اليوم الذى كلمه فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشى ما بعد الزوال الى الغروب والشك هنا من الراوى (جاء) اى الاعرابى الى مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لاصحابه الحاضرين عنده (ان هذا الاعرابى قال ماقال) لى اولا واذ اساء ادبه لغلظة طبعه ولذا وصفه بالاعرابى لماعرف من حال الاعراب (فزدناه) على عطائه الاول (فزعم انه رضى) بجملة ماعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى كقول الشاعر * هلكنا ولكن ان هلكت فانما * على الله ارزاق العباد كما زعم * ويكون بمعنى القول الباطل كقوله تعالى هذا لله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب وفى التعبير ايماء الى مافى نفسه من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاعرابى وقال له (اكذلك) فالاستفهام متوجه منه صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاعرابى اى الامر كذلك من انك رضيت وان كان ما قبله كلاما منه متوجها لاصحابه رضى الله تعالى عنه فالجار والمجرور خبر مقدر اى الامر كذلك (قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) تقدم مافيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثلى ومثل هذا) الاعرابى المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون استعارة تمثيلية او تشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذى

استوقد نارا *الآية و يكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع فى النفس لانه يريك المحيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من الشأن الغريب وهو فى الكلام الالهى والاحاديث النبوية كثير (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اى نفرت منه وذهبت فى الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى جريا شديدا لا يلحق شرودا وشرادا واصل الشراد الفراق خوفا قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة اى افعل بهم فعلا يخيف من وراءهم فيشردهم (فاتبعها الناس) افتعال من الاتباع اى مضوا وجروا خلفها ليمسكوها (فلم يزيدوها الا نفورا) اى لم يحصل باتباع الناس لها الا زيادة هربها و نفورها لخوفها منهم (فناداهم صاحبها) اى الناقة (خلوا بينى و بين ناقتى) اى وقال لهم خلوا الى آخره فهو مفعول نادى لتضمينه معنى القول اومقول قول مقدر كما عرف فى امثاله اى لا تتبعوها واتركوها و اتركونى احتال فى امساكها (فانى) و فى نسخة فانا (ارفق منكم واعلم) اى انا اشفق عليها واعلم بحالها منكم (فتوجه لها بين يديها) اى جاء ها من امامها (فاخذ لها من قمام الارض) القمام جمع قمامة ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها النبات الذى ترعاه الدواب سمى به لخسته ولانه مما يطرح كالقمامة فاستعير لذلك (فردها حتى جاءت) فيه تقدير اى فدنت منه لتأكل ما بيده من الحشيش فامسكها وردها حتى اتى بها محله (واستناخت) اى بركت ومكثت عنده من ناخ الجمل وانوخه اذا بركه (وشد عليها رحله) الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف (واستوى عليها) اى على ظهرها اى ركبها يقال استوى على الدابة اذا علا على ظهرها وركبها (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال) اى لولم اكفكم وامنعكم عنه حين قال لى الرجل مقالته السيئة (فقتلتموه دخل النار) عقوبة له باساءته على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشبه المال لخسة الدنيا عنده بالقمامة وشبه نفسه بالرجل وشبه الاعرابى بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لم عصوا وقاموا اليه بالناس التابعين لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بينى و بينها وفى قوله فانى ارفق بها منكم بيان لانه اعظمهم رفقا و اقواهم شفقة على خلق الله تعالى وهو تشبيه فى اعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعانى اللطيفة قيل ويحتمل ان الرجل انما قال اولا ما قال ليطلع على حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سمع صفاته من اهل الكتاب والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم علم بذلك وقيل ان حرمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والنبى تلطف به حتى امن ونجا من النار فتأمل وهذا الحديث رواه البزار وابو الشيخ بسند ضعيف عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن حبان فى صحيحه وابن الجوزى فى الوفا (وروى عنه) بالبناء

للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والراوى له ابو داود والترمذى عن ابن مسعود وفى نسخة وروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لايبلغنى احد منكم عن احد من اصحابى شيئا) هذا نهى عام من الغيبة و النميمة ونقل مايكره نقله من قول اوفعل اوترك (فانى احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس فى قلبه بغض لاحد ولاعصيان على احد ومثله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له سليم القلب قال الله تعالى *الامن اتى الله بقلب سليم* اى برئ من الكفر والنفاق وهذا معنى آخر و قد صح عن انس فيما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار والله ما اراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعر وجهه وقال رحمه الله اخى موسى لقد اوذى باكثر من هذا فصبر رواه البخارى والمراد سلامة صدره للمقول عنه اوالناقل كما قيل سبك من بلغك والاول ابقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما وكل من النميمة و الغيبة حرام الا فى اماكن استثناها الفقهاء وقد نظمها الجوجرى من فقهاء الشافعية فى قوله

* ست غيبة جازت تجدها * منظومة كامثال الجواهر *
* تظلم واستعن واستفت حذر * وعرف واذكرن فسق المجاهر *

ويأتى لذلك مزيد بيان ايضا (ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على امته تخفيفه) عنهم التكاليف الشاقة التى كانت فى الامم السابقة ورجاؤه صلى الله عليه وسلم من ربه ان يجعل الصلاة خمسا بعد ماكانت خمسين (وتسهيله) فى امورهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لبدنك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن اراد قيام الليل كله (وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم) الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لولا ان اشق على امتى) اى لولا مخافة المشقة عليهم (لامرتهم بالسواك) اى امر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد فى الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم فجعله واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف فى محل سنيته فى الوضوء فقيل حال المضمضة وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لامن سنن الوضوء كما اختاره الزيلعى رحمه الله تعالى والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد هنا الاول او الثانى بتقدير مضاف اى استعماله وهو مذكر وجوز بعض اهل اللغة تأنيثه (مع كل وضوء) و فى مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه اصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر و بفتحها مايتوضأ به كالطهور واجاز بعضهم فى المصدر الفتح وقد جاء فى المصادر الفتح ايضا وقال

ابو شامة رحمه الله تعالى فى كتاب السواك السواك مأخوذ من قولهم تساوكت الابل اذا اضطرت من الهزال فيما قلقت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء روى مع كل صلاة وعند كل صلاة كما علم وهل هو عام لكل صلاة فرضا او نفلا او الصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعى احب السواك للصلاة وعند كل حال تغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يسمل الصائم وفيه كلام للفقهاء فيكره له بعد الزوال فلا يحصل له تغير بنحو نوم بعده ورواية الموطأ مع الوضوء قال ابو شامة يحتمل معنيين اى لامرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء او لامرتهم به كما امرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله (وخير صلاة الليل) هو ما قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه قال احتجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجيرة بخصفة او حصير فى المسجد فى رمضان فخرج فصلى فيها قال فسمع رجال وجاؤا يصلون بصلاته قال ثم جاؤا فحضروا فابطأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا اصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت انه سيكتب عليكم فعليكم بالصلوة فى بيوتكم فان خير صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة رواه البخارى وفى رواية خشيت ان تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله واليه اشار السيوطى ايضا فى مناهل الصفاء فى تخريج احاديث الشفاء لا ما قيل انه اراد به حديث صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل فى النفل ليلا ان يكون ركعتين ركعتين وعند حنيفة رحمه الله تعالى الافضل ليلا ونهارا الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو المناسب هنا ويناسبه ما روى خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذى قاله التلمسانى فى حواشيه ايضا فان قلت كيف يخشى صلى الله تعالى عليه وسلم افتراضه بعد فرض الصلاة فى الاسراء وقول الله لا يبدل القول لدى قلت قيل يحتمل ان الله اوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة بجماعة افترضتها عليهم او انه وقع فى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك او المعنى انى خشيت ان تظنوها فرضا اذا دوومت عليها ولا يخفى بعده وان قيل أن ما فى الاسراء هى وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان او انه لما كان قيام الليل فرضا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم خشى ان يستوى به غيره من الامة وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا واظب على شئ من اعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم واظب على اشياء كثيرة ولم يفترض كرواتب الفرائض والسنن المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرمانى ان قوله لا يبدل القول لدى معناه نفى النقص لان الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم فى العبادة يفرضون ذلك على انفسهم كما لو نذروه فيشق على

من بعدهم بعيدا ايضا وعلى كل حال فالقيام لايخلو من الاشكال (ونهيهم) مصدر مضاف للمفعول اى نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة رضى الله تعالى عنهم (عن الوصال وكراهته) لهم والوصال فى الصوم وهو ان يصوم يومين فاكثر من غير اكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت فى الصحيحين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا له انك تواصل فقال انكم لستم مثلى انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فهى خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية اوتنزيهية او يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة روحانية ويغذيه بانوار ربانية بحيث لايضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له بدل مايتحلل بحيث لايشعر وليس هذا حاصلا له فى كل الاوقات الاترى ان المريض مدة طويلة لاياكل ولايشرب ولوفعل ذلك فى حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكماء كما فصله ابن سيناء فى مقامات العارفين ولايرد عليه انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذى الحكيم لما لم يقف على هذا انكره لتوهم ان بين الحديثين تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاى المعجمة جمع حجزة وهى مرتشقة فى الحزام وقال مايغنى شد الحجر ولم يدر انه بثقله وبرده يجمع الامعاء ويبردها ويقيم الصلب الضعيف وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يغذيه حقيقة من طعام الجنة يأباه المقام لانه كذلك لم يكن وصالا (وكراهته دخول الكعبة) اى من شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على امته كراهته دخول الكعبة فى الحديث الذى رواه ابوداود والترمذى عن عايشة رضى الله تعالى عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها مصححا مسندا وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب حزين فسألته عن ذلك فقال خشيت ان اكون شققت على امتى اى بدخولى البيت وكان ذلك فى حجة الوداع وكانت عايشة رضى الله تعالى عنها معه وبهذا جزم الطبرى والبيهقى واختلفوا هل صلى فيه ام لاوفى بعض شروح البخارى يحتمل ان يكون دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الكعبة وقع مرتين صلى فى احديهما ولم يصل فى الاخرى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضى الله تعالى عنهم واغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت اول من ولج فسألت

بلالا هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين
فكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون
بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة اذرع فيصلي يتوخى المكان الذي صلى فيه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بأس على احد ان يصلي في اي جهة شاء
وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت
مقدم على النافي لزيادة علمه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة
ثلاث مرات الاولى في عمرة القضاء ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام
والكفر باق بها والثانية في فتح مكة وفيها دخل الكعبة وامر باغلاق بابها فلبث
فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله بن عمر فلقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم خارجا وبلال على اثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال نعم قلت اين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان اسأله كم صلى
والثالثة في حجة الوداع واختلف في انه دخل الكعبة فيها ام لا وانما كره
دخولها في حجه لئلا يجعله الناس من المناسك اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم
وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا في كونه من المناسك والصحيح انه ليس منها
تمسكا بهذا الحديث وقوله (لئلا تتعب امته) بتاءين مفتوحتين وعين مهملة
مفتوحة ونون مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع
في بعض النسخ تتعب من التعب كما قاله التلمساني وامته فاعل عليهما وروى
يعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من اعنته بمعنى عنته وامته منصوب
مفعول وبالتحتية والتشديد ايضا ونصب امته ففيه وجوه مروية (ورعته)
اي طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يجعل سنة لهم) اي لامته اي لاحد
منهم (رحمة بهم) والسب والشتم بمعنى واصله من السبة وهي مخرج الغائط من الدبر
فنقل لما ذكر وسيأتي بيان هذا (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي)
وهو في صلوته (فيتجوز في صلوته) التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها
ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم يؤاخذه به كتجاوز او هو من الجواز
في السير والصبي المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه ابن السني في حديث صحيح
عن انس رضي الله تعالى عنه كما قاله السيوطي وروى الشيخان عن انس انه صلى الله
عليه وسلم قال اني لادخل في الصلوة وانا اريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز
في صلاتي مما اعلم من شدة وجد امه من بكائه ولا دليل فيه على جواز دخول الصبي
والنساء في المسجد لاحتمال ان يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه ايضا
على جواز تطويل الصلوة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يؤدي
الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى (ومن شفقته صلى الله تعالى

تعالى عنه فيكون ماقاله التابعي مرسلا وفي بعض الشروح نعم هو مرسل الا ان ارساله لايمنع من قوله اذ مرسل اصحاب القرون الثلثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو فوق المسند لبرهان قام عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول لكنه دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر لمخالفة ابي اسحاق الاسفرائني فيه كما نقله العراقي وقيل انه خلاف طرا بعد انعقاد الاجماع في العصر الاول ومثله لايضر وفيه نظر ولنا في اطلاق هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة (ان الله امر السماء والارض) والجبال (ان تطيعك) المراد باطاعة السماء له صلى الله تعالى عليه وسلم انه ان اراد ان تخر صواعقها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك والارض ان اراد خسفها بهم وانطباقها عليهم كان ذلك من غير مهلة ووحد ضمير تطيعك مع عوده على سبئين معطوفين بالواو لجعلهما كشيء واحد لتأويلهما بالعالم اوالدنيا وكان الظاهر تطيعانك وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لاحاجة الى التأويل لان الجمع يجوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه وفي مراعاة السطير وحسن الترتيب اي بان تطيعك في كل ما تريد (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (اؤخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم) وجاء انهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك او يكون منهم من يعبد الله ولايشرك به واصل معنى التوبة الرجوع فهي من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله قبول ذلك او من الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولامنافاة بين هذا و بين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولا بين ماوقع منه صلى الله تعالى عليه سلم في غزواته من القتل والسبي كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التأخير لاينافي ماوقع كما لايخفى والاحسن ان جوابه معلوم من قوله الآتي مالم يكن اثما فتدبر (قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما) تقدم هذا الحديث وانما اعاده هنا تأييدا لما قبله وايسرهما اي اسهلهما واهونهما على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وبقية الحديث (مالم يكن اثما) فان كان اثما كان ابعد الناس منه كما سيأتي وكذا رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه (وقال ابن مسعود رضي الله عنه) في حديث رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة) بفتح المثناة التحتية وفتح التاء الفوقية والخاء المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة اي يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهو الذي يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولي لراعي الغنم والمواشي وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة اي يطلب الحال التي ننشط فيها الاستماع الموعظة فيعظ فيها ولايكثر منها (مخافة السآمة علينا) اي لئلا نكل ونسأم وقيل

انه يتخوننا بموعظة اى يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون كامر وكان فعل ماض اذا اخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددى دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمى بمعنى الوعظ وهو التذكير والتخويف من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى الخوف كامر والسأمة بالمد وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسأمة بتضمين المشقة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السأمة وهو الارجح اوصفة لانه فى معنى النكرة كقوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وفى افادته كان التكرار كلام مفصل فى كتب الاصول (وعن عايشة رضى الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة) اى شدة بحيث لاينقاد لراكبه اذا اوقفه واذا سيره (فجعلت تردده) اى تمشى به وترجع واصل التردد عدم البقاء على حالة ومنه تردد الانسان فى الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد فى الخواطر وانما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعايشة (عليك بالرفق) اى استمسكى بالرفق فى امورك ولاتتعبى الدابة التى ركبت ففيه دلالة على شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالباء كما ذكره النحاة والبعير بفتح اوله وبكسر وكذا كل فعل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة وقيل هو الجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث اخرجه البيهقى فى سننه عن المقدام عن ابيه عن عايشة رضى الله عنها انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياعايشة عليك بالرفق فانه لم يكن فى شئ الازانه ولانزع من شئ الاشانه وختم بهذا الحديث لمافيه من العموم فهو كالمد لكة لهذا الفصل ﴿فصل وامّا خلقه صلى الله عليه وسلم فى الوفاء) هو ضد الغدر ونقض الذمة (وحسن العهد) اى ماعهد عليه والتزمه وهو عطف تفسير لما قبله (وصلة الرحم) هو الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وعفو زلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا اعداء لله كابى لهب وابى جهل والرحم اصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة اوقريبة بواسطة وبدونها (حدثنا القاضى ابوعامر محمد بن احمد بن اسماعيل) بن ابراهيم الامام المحدث الطليطلى ولد سنة ست وخمسين واربعمائة ومات بقرطبة فى ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة (بقراءتى عليه قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد) تقدم (قال حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن سعيد بن عبد الله المهدى الثقة المشهور وقد تقدم (قال حدثنا ابو محمد بن النحاس) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابى) تقدم ايضا قال (حدثنا ابوداود) صاحب السنن المشهور وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن يحيى) بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابورى الامام الحافظ الجليل القدر توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين اخرج له

اصحاب السنن وغيرهم قال (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين ونونين بينهما الف العوقى بفتح العين المهملة والواو وتسكن وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور قال (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وهو الامام ابو سعيد الخراسانى المشهور روى عنه اصحاب الكتب الستة توفى فى بضع وستين ومائة وترجمته مبسوطة فى الميزان (عن بديل) بضم الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتية ولام ابن ميسرة العضل (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) العقيلى الامام الثقة (عن ابيه) عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفى فى زمن الحجاج (عن عبد الله بن ابى الحمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة ومدة العامرى الصحابى وفى المقتنى انه غير ابى الجدعاء وسيأتى حديثه فى انتظاره عليه الصلوة والسلام الى يوم ثالث وشقيق ولد عبد الله اخرج له ابو داود فقط قاله المزى بعد ان بين طرقه عند ابى داود وليس هو عند غيره وذكر كلام ابى داود الذى نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما فى نسخة عندى من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من كلام ابى داود ما لفظه كذا وهو من زوائده ورواه عثمان بن حرزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدى ما اظن ابراهيم بن طهمان الا اخطاء فى عبد الكريم وانما هو عبد الكريم بن عبد الله ابن سقيق عن ابيه عن ابى الحمساء ورواه ابو عون الزيادى عن ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم فى اسناده وقال عن بشر بن السرى رواه عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق وقال المزى اراه اظن فيه غلطا من الناقل لان سقيقا والد عبد الله جاهلى لا اعلم له اسلاما اما عبد الكريم بن عبد الله بن سقيق عن ابيه قال اذ لا نعلم انه روى عبد الله بن ابى الحمساء الا هذا الحديث ووقع فى السماء نسختان احديهما الخنساء بمعجمة ونون والاخرى وعن ابى الحمساء باسقاط عبد الله والاولى تصحيف والثانية خطاء لان ابا الحمساء لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن ابى الحمساء انتهى (قال بايعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) اى باع مبيعا للنبى صلى الله عليه وسلم (قبل ان يبعث وبقيت له) اى لذلك المبيع (بقية) لم تسلم له (فوعدته ان آتيه بها فى مكان) اى فى مكان وقع فيه البيع (فنسيت) الوعد الذى جرى بينا (ثم ذكرت بعد ثلاث) اى ثلاثة ايام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتأنيثه مع المؤنث كما قالوه فى قوله صلى الله عليه وسلم واتبعه ستا من شوال وانما تلزم قاعدة العدد اذا ذكر المعدود (فجئت فاذا هو فى مكانه) اى مستقر صلى الله تعالى عليه وسلم فى مكانه لم يفارقه (فقال يا فتى لقد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك) وفى هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله تعالى عليه وسلم بعهده ووعده وهذا الحديث رواه ابو داود وهو من افراده واخرجه ايضا ابن منده فى المعرفة

والخرائطي في مكارم الاخلاق (وعن انس رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم اذا اتي بهدية) مبنى للمجهول اي اتاه احد بهدية (قال اذهبوا
بها الى بنت فلانة) لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها (فانها كانت
صديقة لخديجة) رضي الله تعالى عنها وفي رواية (انها كانت تحب خديجة)
وهذا الحديث رواه البخاري في الادب المفرد (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها
انها قالت ماغرت على احد) وفي نسخة امرأة من نسائه صلى الله تعالى عليه
وسلم (ماغرت على خديجة) يقال غار الرجل والمرأة اذا غضب من فعل يقتضي
امرا لايرضاه وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة محبتها له
وارادتها انصراف محبته لها دون غيرها وهذا امر طبيعي لا لوم فيه واما كون الغيرة
من خديجة فلا وجه له بعد موتها (لما كنت اسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم
يذكرها) تعليل للغيرة وما مصدرية اي لسماعي ذكرها ولو شددت لما وجعلت
حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على اصلها وقيل انها بمعنى الباء
كما في قوله اركب على اسم الله وقال اي المصنف في الاكمال معاصية عائشة رضي الله عنها
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغيرة التي عفي عنها النساء حتى ذهب مالك
الى اسقاط الحد عن المرأة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا لكان على عائشة
رضي الله تعالى عنها في معصيتها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الحرج
لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عندالله وفي الشرع (وان) بكسر
الهمزة وسكون النون وهي مخففة من الثقيلة (كان ليذبح الشاة) ليس المراد انه
يذبحها بنفسه (فيهديها) بضم الياء الاولى والمراد انه يهدي منها او يهديها
تمامها والظاهر الاولى لانه في الحديث فيهدي مايسعها او يشبعهن (الى خلائلها)
بالخاء المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة (واستأذنت عليه) اي طلبت الاذن
في الدخول له (اختها) اي اخت خديجة وهي هالة بنت خويلد بن اسد وهي
ام ابي العاص ابن الربيع الصحابية المشهورة رضي الله تعالى عنها (فارتاح اليها)
اي حصلت له صلى الله تعالى عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه واظهر السرور
والمسرة برؤياها وهذا الحديث في البخاري وفي رواية ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى
مال اليها ونحوه مجيئها مجازا (ودخلت عليه امرأة فهش لها) اي تبسم قليلا
وظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونهم يقال يهش ويبش به
اذا فعل ذلك استبشارا ويقال هو هش بش اذا كان طلق الوجه غير عبوس شامخ
الانف كما يفعله المتكبرون (واحسن السؤال عنها) فيه مضاف مقدر بقرينة المقام
وال في السؤال للعهد او بدل من المضاف اي احسن اليها سؤاله عن حالها وماهي
عليه كما تقول لمن تزورك ماحالك وماانت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة من

لمن يحسونه ووقع في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها كيف حالكم كيف انتم فقالت بخير وهو مفسر لما هنا (فلما خرجت) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وذهبت من مجلسه (قال) بيانا لسبب معاملته معها وهي امرأة اجنبية (انها كانت تأتينا ايام خديجة) اى انها كانت في حياة زوجته خديجة تدخل منزله صلى الله عليه وسلم لانها من معارفها واصدقائها (وان حسن العهد) اى رعاية العهود القديمة ورعاية من يحبك او يحب من يحبك (من الايمان) اى من شعب الايمان ومقتضياته لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد اكرام عبيده ومناسبة هذا لما عقد له الفصل ظاهرة (ووصفه بعضهم) اى وصف بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقال (كان يصل ذوي رحمه) اى من صفته التي كانت منه دائمة وكان يدل على التكرار والدوام كثيرا وان لم يكن موضوعة لذلك نحو وكان حاتم يقرى الضيف وكان الله غفورا رحيما كما فصل في الاصول اى يحسن اليهم ويوادهم ولما كان هذا يوهم لاختصاص بهم احترس عنه فقال (من غير ان يؤثرهم) اى يخصهم ويقدمهم (على من هو افضل منهم) من سائر الناس وهذا ايضا من حسن العهد (وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آل بني فلان ليسوا لي باولياء) الآل بمعنى الاهل والاتباع وفلان كناية عن الاعلام التي للعقلاء والمراد به هنا كما مر ابو العاص بن امية بن عبد شمس ابن عبد مناف والكناية من الراوي لا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وابو العاص هو ابو الحكم بن ابي العاص وكان منافقا في اول امره ثم حسن اسلامه وهو عم عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وما ذكر كذا هو في نسخة البرهان الحلبي قال ابن قرقول وفي الحديث المشهور ان آل ابي ليسوا باولياء بفتح همزة ابي وبعده بياض في الاصول كانهم تركوا من الاسم بقية وعند ابن السكن ان آل ابي فلان بالكناية عن ذكر وفي بعض الروايات اسقاط آل والاولياء جمع ولي وهو القريب ومن يتولى امره اى لا اتولاهم ولا احسبهم من اوليائي لما علمت منهم والمراد به القدح كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم اى لا مولى لهم ولا ناصر (غير ان لهم رحما) اى قرابة (سأبلها ببلالها) لان ابا العاص احد بني امية وهم قريبون منافقون وولد امية العاص وابو العاص والعيص وابو العيص وهم الاعياص وحرب وابو حرب وسفيان وابو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وابو عمرو وابو سفيان هذا هو صخر بن حرب بن امية وهو غير ابي معاوية رضي الله تعالى عنهما وقوله سأبلها اى سأصل رحمها بصلتها اللائقة بها والبلال بكسر الباء الموحدة مصدر كالقتال او جمع بلل كجمل وجمال وهو الافصح والاصح رواية وروي بفتح الباء ايضا والمعنى واحد وهو الرطوبة والنداوة وهو كل ما يبل الحلق من المائعات كالماء واللبن فاستعير للصلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفي الحديث بلوا

ارحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة تجمع الاشياء واليبوسة تفرقها وايضا ان بل الارض جعلها مبتة فاستعيرت لما ذكر لتأليفها للقلوب وتنمية المودة كما قال

* كيف اصبحت كيف امسيت مما * يثبت الود في قلوب الرجال *

ففيه استعارة مصرحة او مكنية و تخييلية (وقد صلى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى دخل في الصلاة (بامامة) بضم الهمزة وتخفيف الميم (ابنت ابنته زينب) اكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزوجها ابو العاص بن الربيع لا ابن ربيعة كما في البخارى فانه غلط مشهور وولد له منها امامة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحبها وتزوجها علي كرم الله وجهه بعد فاطمة رضي الله تعالى عنها ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل فماتت عنده قال البرهان الحلبي ليس لزينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا رقية ولا لام كلثوم عقب وانما العقب لفاطمة رضي الله تعالى عنها ولذا سادت جميع بناته وامها خديجة وهي سيدة نساء اهل الجنة الا مريم وقال السهيلي فضلت عن اخواتها لانها بضعة منه وزوجة خليفة وام ريحانتيه ولانها اصيبت برزء لا يساويه رزء وهو موت ابيها صلى الله تعالى عليه وسلم في حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها المهدي وهذا الحديث رواه البخارى في صحيحه كغيره وفيه كما يأتي انه كان اذا سجد وضعها واذا قام رفعها الغيره عن الحمل الآتي وقد اشكل هذا على الفقهاء لان هذه اعمال كثيرة مبطلة للصلاة فقيل انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه منسوخ وقيل انه لا عمل له لانها لمحبتها له كانت تتعلق به و تعلو عليه من غير عمل منه وقوله رفعها ووضعها يأباه وقيل انه كان في النافلة ضرورة لانه لم يكن ثمة من يكفيه امرها وقال بعضهم انه كله باطل لانه وقع بعد الهجرة وتحريم الاعمال وكان في صلاة الصبح وهو يؤم الناس كما ورد التصريح به فالصواب انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة مطهرة ليس معها ما يبطل الصلاة قيل فانما فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم ارغاما للعرب في عدم محبتهم البنات (يحملها على عاتقه) اى كتفه وعلى متعلق بيحمل لا حال من امامة او من ضميره كما قيل (فاذا سجد وضعها) على الارض (واذا قام حملها) بيانا للجواز وقال الخطابي اسناد وضعها وحملها مجاز فانها كانت تابعة فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع ويرسلها واذ سجد فعلت كذلك وتقدم ما فيه (وعن ابي قتادة) الصحابي الانصاري فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه فقيل الحارث بن ربعي بكسر الراء ابن عمرو وقيل النعمان توفي بالمدينة سنة اربع وخمسين وقيل ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وروى له احمد واصحاب السنن (وفد وفد للنجاشي) وفد بمعنى قدم ويختص بقدوم الرسول ووفد بسكون الفاء اسم جمع بمعنى الوافدين والنجاشي

بفتح النون وكسرها و تشديد الياء و تخفيفها و اسمه اصحمه و قيل صحمة بفتح
الصاد وسكون الحاء المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل خاؤه معجمة وقيل
اسمه مكحول ابن صصه وقيل سليم وقيل حازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان
رضي الله تعالى عنه محسناً للمسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم واهدى له الهدايا وزوجه بام حبيبة رضي الله تعالى عنهما وكتب له
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاسلم على يد جعفر بن
ابي طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محبة عظيمة
فلما توفي في رجب سنة تسع نعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى على جنازته
وبه استدل الشافعي رضي الله تعالى عنه على الصلوة على الغائب على ما تقدم
وقصته مشهورة ولما توفي خلفه نجاشي آخر دعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
للاسلام فابى ومات كافرا (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم بنفسه)
تواضعا منه وارشاداً لغيره (فقال له) اى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اصحابه
نكفيك) اى نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم (ف) اى صلى الله تعالى
عليه وسلم و (قال انهم كانوا لاصحابنا) الذين هاجروا لارضهم (مكرمين
واني احب ان اكافيهم) اى اجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام
اعظم من تعاطيه صلى الله تعالى عليه وسلم امورهم بنفسه وهذا الحديث
رواه البيهقي في دلائله مسندا (ولما جئ) مبني للمفعول اى جاء الصحابة رضي الله تعالى
عنهم (باخته من الرضاعة) بفتح الراء وكسرها بمعنى الرضاع (الشيماء) بفتح المعجمة
وسكون المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة ويقال لها السماء بتشديد الميم من غير
ياء كما قاله المحب الطبري ويحتمل ان تكون الشيماء اصلها شماء فابدلت احدى الميمين كما قيل
في اماما ايما فيكون صفة بمعنى ذات شمم ثم نقل وجعل علما لها وهي بنت حليمة السعدية
التي ارضعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اختها وزوج حليمة هو الحارث
ابن عبد العزى وحليمة اسلمت وعدت من الصحابة على ما يأتي و اسمها جدامة
بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحاء مهملة ودال معجمة وفاء وقيل خذافة
بمعجمتين واختلف في زوجها ابو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر
احد من اهل السير اسلامه ولكن ذكره يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا
ابن اسحاق عن ابيه عن بعض بني سعد بن بكر ان الحارث عبد العزى ابو رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع قدم عليه بمكة بعد بعثته فقالت له قريش
ياحار ما يقول ابنك هذا فقال مايقول قالوا يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت
وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه و يكرم من اطاعه وقد شتت امرنا وفرق جماعتنا
فاتاه فقال يا بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد

الموت ثم يصيرون الى جنة اونار فقال نعم ولوكان ذلك اليوم يا ات اخذت بيدك
حتى اعرفك حديثك اليوم فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين اسلم لوقد اخذا بي
بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان شاء الله حتى يدخلني الجنة انتهى (في سبايا هوازن)
السبايا جمع سبية بمعنى سبية اى مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت
باسم لاب الاعلى كتميم وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن خفصة ابن قيس عيلان
ابن نصر والمراد بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم ايضا (وتعرفت له) يقال
تعرف له اذا اعلمه باسمه وشانه فهي اعلمته صلى الله تعالى عليه وسلم انها اخته
رضاعا فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم ما علامة ذلك فقالت عضة كنت
عضبتنيها في ظهري فعرف ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقها
جواب لما (بسط رداءه) اى فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها (وقال لها) بعد
ما جلست عنده (ان احببت اقمت عندي) مفعول احببت مقدر تقديره احببت
الاقامة عندي وهذا يدل على انها اسلمت كما تقدم (مكرمة محبة) بالنصب على الحالية
فيهما ومكرمة بضم اوله وسكون ثانية وتخفيف رائه اسم مفعول اكرمه اذا فعل به
ما يحبه من احسان قولا وفعلا وكذا محبة فانه اسم مفعول من احبه ويقال حبه
واحبه بمعنى والاكثر الافصح في اسم المفعول ان يكون من الثلاثي فيكثر فيه
محبوب ويقل محب لكنه هنا احسن لاقترانه بمكرم وعليه الاستعمال كقول عنترة

*واذا نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم*

وقولها جارية حدثة مكرمة محبة وجبروا ذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد
فقالوا محب ولم يقولوا حاب (او متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها)
ورجعت لقومها وتفصيله ما قاله اصحاب السير انه لما قدمت اخته الشيماء بنت
الحارث بن عبد العزى وعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم نفسها فعرفها وبسط
لها رداءه واجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع لقومها وارضها وانعمها
بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اسلمت
فاعطاها ثلاثة اعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم صلة
رحمه لان الرضاع له حكم النسب والقرابة واللبن كالابوين (وقال ابو الطفيل)
بضم الطاء المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة
بالثاء المثلثة الكناني الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة ووقع في بعض النسخ
ابن ابي الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان الحلبي (رأيت النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم وانا غلام) الغلام كما في كفاية المتحفظ عن بعض اهل اللغة الصبي اذ
فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حج وقد يطلق الغلام على الشاب التام
الرجولية والمراد هنا الاول (اذا قبلت امرأة حتى دنت منه) اى قربت من مكانه

الجالس فيه فسرد رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وفي بعض النسخ تأخير قوله وانا غلام عن قوله اذ اقبلت الى آخره وهذا الحديث رواه ابوداود في سننه بسند حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا ابوعاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال اخبرنا عمارة بن ثوبان ان ابا الطفيل اخبره قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وانا يومئذ غلام احمل لحم الجزور اذا قبلت امرأة وساقه وقوله اذ يحتمل ان يكون ظرفا لرأيت اي رأيته وقت اقبال المرأة ويحتمل ان يكون للمفاجأة بتقدير بينا اي رأيته يقسم لحما وبينا هو كذلك اذ اقبلت الى آخره وهو بمعنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا وهذه المرأة هي حليمة امه صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الاستيعاب كان في يوم حنين وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله وزوجها لا يعرف له صحبة ولا اسلام وما قاله ابن عبد البر من انها اتته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وبسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر لم يدركها وانما التي جاءته هي بنتها الشيماء واما حليمة فانها جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل النبوة في زمن خديجة رضي الله تعالى عنها فاعطاها اربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وما هنا يقتضي مجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجيء وفدهم وليس كذلك انما هي ابنتها وجوز الذهبي رحمه الله تعالى ان تكون هذه المرأة التي جاءته ثويبة مولاة ابي لهب الآتي ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سأل عنها ابنها مسروحا فاخبره وصحح بعضهم خلافه وذهب ابن الجوزي في الوفاء وصنف الحافظ مغلطاي جزأ في اسلامها سماه النعمة الجسيمة في اثبات اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره وممن انكره ابو حيان (وعن عمرو بن السائب) عمرو بفتح العين وبالواو وهو ابن واش المصري وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال انه من الثقات وروى عن اسامة ابن زيد وروى عنه جماعة واخرج له ابو داود فقط كذا قاله التلمساني في حواشيه وهو من اجلة التابعين وهذا الحديث رواه ابوداود بلاغا كما قاله السيوطي في تخريجه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما) قيل ظاهره ان عمرو شاهد هذه القضية وهو تابعي والحديث من مرسل زيد كما في سنن ابي داود قال عن احمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث ان عمرو بن السائب حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا الى آخره فلو ذكره المصنف كما قاله ابو داود كان اولى (فاقبل ابوه من الرضاعة) وهو الحارث بن عبد العزى وقد تقدم الكلام فيه

وفي اسلامه وكون الزوج المرضعة يسمى ابا ويثبت بارضاع زوجته معنى له حكم النسب كما ان المرضعة امه لان الفحل محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه ولذا ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل في كتب الفروع (فوضع له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بعض ثوبه) وفرشه له في الارض ليجلس عليه (فقعد عليه ثم اقبلت امه) وهي حليمة كامر (فوضع لها ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه) يعني انه اجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا من ثوبه واجلس امه حليمة عن يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم اخوه وهو عبد الله ابن الحارث ابن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا يقصر في توقيره عن ابويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا وللنبي صلى الله عليه وسلم عدة مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة ابي لهب الآتية وخولة بنت المنذر بن زيد ابن لبيد وام ايمن وثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو احد المؤولين في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا ابن العواتك وقيل انهن جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يبعث الى ثويبة) علم منقول من تصغير الثوب وهي (مولاة ابي لهب مرضعته) اي جارية معتقة له وابو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكنى بذلك لتوقد لونه وذكر بهذه الكنية في القرآن للاشارة الى انه جهنمي كامر (بصلة) اي عطية يحسن بها (لها وكسوة) بضم الكاف وكسرها اي ثياب يلبسها (فلما ماتت) بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام (سأل من بقي من قرابتها) اي عمن بقي فهو منصوب بنزع الخافض اوتقديره وقال من بقي فهي اما موصولة او استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب النسب وسمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريري اذ انكره وقال لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر * يبكي عليه غريب ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور (فقيل لا احد) اي لا احد من قرابتها باق واحد مرفوع بفعل مقدر اي لم يبق احد او مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس او مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفاء وصلة الرحم وفيه من مكارم اخلاقه وحسن عهده صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدي وغيره واما ارضاع ثُوَيبة له صلى الله تعالى عليه وسلم فثابت في الصحيحين وهي اول من ارضعته مع ابنها مسروح المتقدم ذكره اياما قبل حليمة وارضعت قبله عمه حمزة واباسلمة واختلف في اسلامها فاثبته بعضهم وعدها في الصحابة وانكره ابو نعيم وكان ابو لهب اعتقها

لما بشرته بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورئى في المنام وهو يقول خفف عني العذاب باعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير انه اعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروي في عيرالسير وفي المواهب ما يخالفه والذى رآه في المنام بسرحيبة بفتح الحاء المهملة او بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل انه بخاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف او بسوء حال فهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ماقبلها اوعلى خلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى في اعمال الكفرة فجعلناه هباء منثورا * لانه بعد الحشر او لانه لما لم يخصهم من النار فكانه لم يفدهم اصلا وتفصيله في حواشينا على القاضي (وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها) الذي رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها بسند صحيح (انها قالت له) صلى الله تعالى عليه وسلم في ابتداء امره لما رأى جبريل عليه الصلوة والسلام فحصل له به رعب شديد (ابشر) امر بفتح الهمزة وهي همزة قطع يقال ابشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو امر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التي بعده وهو انشاء اريد به الخبر اي ابشر مسرة لك والبشرى الخبر السار الذي يظهر اثره في البشرة (فوالله لا يخزيك الله ابدا) وهذا الحديث تقدم شرحه في فصل الجود والكرم ومر ان في يخزيك روايتين ضم الياء واعجام الخاء من الخزي وهو النكال والفضيحة وبه روى لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبي واهمال الحاء من حزن واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المصنف رحمه الله تعالى وروى لا يحزنك الله ابدا عن الزهري بزيادة ابدا (انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) وقد مر ذلك مبينا ﴿ فصل واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ التواضع بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو اشرف الناس فالصيغة للتكلف في الاصل (على علو منصبه) قد قدمنا لك ان المنصب في كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما في قول ابي تمام * ومنصب نماه * ووالد سماه * وان استعماله في تولى الاعمال السلطانية كقول ابن الوردي

* نصب المنصب اوهى جلدى * وعنائي من مداراة السفل *

مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله (ورفعة رتبته) فهو كالتفسير له والرتبة كالمنزلة رفعة القدر (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا) منصوب على التمييز (واقلهم كبرا) وفي نسخة واعدمهم كبرا وفي نسخة بالجمع بينهما وهو افعل تفضيل من العدم وهذا انسب بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم لان اللائق به عدم الكبر لاقلته ووجه هذه البرهان بان القلة بمعنى النفي وقال ابو حيان في قوله تعالى * فقليلا ما يؤمنون * ان التقليل يرد بمعنى النفي المحض كما في قولهم

اقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول
ذلك وقال الحافظ السخاوي في كتابه جواهر الدرر في مناقب شيخه ابن حجر ان ابن
حجر رحمه الله تعالى سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها
من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا على الحديث الذي رواه النسائي
عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر
و يقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لايلغو اصلا قال ابن الاثير في النهاية لان قل
يستعمل في النفي كما في الآية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لايقع منه صلى الله تعالى
عليه وسلم كبر اصلا كما في الحديث الصحيح وابن افعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج
عنه كما في قوله تعالى * اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا * ومثله افظ واغلظ فانه
بمعنى فظ غليظ اى كامر وقال المصنف في شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة
والقدر الذى فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى * جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم * لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب
عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله اقلهم كبرا بمعنى انتفاء الكبر عنه البتة او يحمل على
شدته على الكفار والمنافقين كما في الذى قبله لان تواضعه صلى الله تعالى عليه
وسلم ورأفته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى * بالمؤمنين رؤف رحيم * وقوله في التورية
ليس بفظ ولا غليظ اى بالمؤمنين ونظيره * اشداء على الكفار رحماء بينهم * بمعنى
اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم اعزة على الكافرين مكبرين عليهم يعادونهم
فلا معنى لمحو النسخ واتلافها انتهى واستدرك عليه عز الدين الحنبلي بان تأويله
الشدة والغلظ بكونها على الكفار والمنافقين فيه ان شدته وغلظه على نحو هؤلاء
كانت اشد من عمر رضي الله تعالى عنه بلا شك انتهى (اقول الجواب الحق هو الثاني
لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متخلقا باخلاق الله تعالى ومنها المتكبر فاتصافه
صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصفة في محلها مدح ولذا قيل التكبر على المتكبر
صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين احيانا في محله ممدوح وهو في صفاته تعالى
ذاتي دائم لاينازعه احد رداءه الا قصمه الله والجواب الاول تعسف وليس من قبيل قوله
* فقليلا ما يؤمنون * واما تأويل التفضيل بالنفي وخلع المفاضلة منه فمجاز على
مجاز وضعت على اباله واما اعتراض الحنبلي فلا وجه له واغمض الشراح والمحشين
هنا كلام ركيك تركه خير منه (وحسبك) اي يكفيك في اثبات ما ذكر (انه
صلى الله تعالى عليه وسلم خير بين ان يكون نبيا ملكا) بكسر اللام اي سلطانا وخير
مبني للمجهول اي خيره الله على لسان ملائكته في الحديث المشهور (او نبيا عبدا
فاختار ان يكون نبيا عبدا) فخيره الله بعد تفضيله بالرسالة ان يكون شأنه كالملوك
في اتخاذ الجنود والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة

مقام العبودية والخدمة بنفسه في مهنة اهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا في الدنيا ولذا وصفه الله تعالى بالعبودية في عظيم مقاماته كقوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده * وهذا من حديث صحيح رواه احمد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (فقال له اسرافيل عند ذلك) اى حين اختار العبودية على الملك (فان الله قد اعطاك) هذه الفاء فصيحة عاطفة عن مقدر اى اصدت وجزاك الله خيرا من تركته (بما تواضعت له) الباء سببية وما مصدرية اى بسبب تواضعك له (انك سيد ولد آدم) بفتح همزة انك وهي وما بعدها مفعول اعطى والسيد من يفوق غيره في الشرف وهو يطلق على الله تعالى وعلى غيره في اصح الاقوال المشهورة وخصه بقوله (يوم القيامة) لانه لا اعلى من هذه السيادة حيث يسود صلى الله تعالى عليه وسلم فيه على الرسل وسائر البشر وفيه نكتة وهي اضمحلال كل ملك لغاية حيث يقول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد فى ملكه القهار لسائر مخلوقاته فتدبر (واول من تنشق عنه الارض) معطوف على سيد خبران وانشقاق الارض لخروج الموتى من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم احد حينئذ واما حديث فان الناس يصعقون اى يغشاهم غشية كالموت يوم القيامة فاصعق معهم فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى اكان ممن صعق او كان ممن استثنى الله تعالى بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قاله التوربشتي صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيامة (واول شافع) يوم القيامة او في الجنة لرفع درجات الناس لان مقام الشفاعة متعدد وفي قوله اول اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك (واعلم ان سفير الوحي بين الله وبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلوة والسلام وعن الشعبي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحي في اول بعثته ويترائى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشئ ثم اوكل به جبريل عليه الصلوة والسلام قال ابن عبد البر في الاستيعاب انزلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلوة والسلام ثلاث سنين فكان يعلمه الكلمة والشئ ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلوة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين وفي شرح البخاري لابن التين ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور ان الذى ابتدأه بالوحي جبريل عليه الصلوة والسلام وانكر الواقدي كون غير جبريل وكل به وقال السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب الحبائك لم اقف على ان جبريل افضل او اسرافيل ثم نقل احاديث متعارضة في ذلك وفيه ايضا ان اسرافيل نزل عليه صلى الله عليه وسلم بآية ذكرها (حدثنا الفقيه ابو الوليد ابن العواد)

بفتح العين المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة وهو هشام ابن احمد القرطبي وقد تقدمت ترجمته (بقراءتي عليه بقرطبة سنة سبع وخمسمائة) وفي هذه السنة توفي رحمه الله تعالى (قال حدثنا ابو علي الحافظ) الغساني وقد تقدم والحافظ اذا اطلق يراد به حافظ الحديث بالرواية قال (حدثنا ابو عمر) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الامام الجليل صاحب التأليف المشهورة كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال (حدثنا ابن داسة) ابو بكر بن محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما الف قال (حدثنا ابو داود) صاحب السنن المتقدم قال (حدثنا ابو بكر بن شيبة) عبد الله بن محمد بن ابي شيبة العبسي احفظ اهل عصره له ترجمة في الميزان مفصلة واخرج له الائمة الستة قال النووي ابو بكر بن ابي شيبة منسوب الى جده هو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستي بخاء معجمة مضمومة ثم واو مخففة ثم الف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وابو شيبة هو ابراهيم وغلب على اولاد ابنه النسب اليه وهم ثلاثة عبد الله هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان وقاسم فاما عبد الله وعثمان فاما مان حافظان من احفظ اهل عصرهم وهما شيخا البخاري ومسلم واما القاسم فلبس كهما بل ترك التحديث عنه ابو زرعة وابو حاتم الراويان الحافظان وابوهم محمد ثقة وجدهم ابراهيم ضعيف قال (حدثنا عبد الله بن نمير) بالنون كصغر النمر الهمداني هشام بن هشام بن عروة الاعمش الحافظ اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة (عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع وهو مسعر بن كدام ابو سلمة الهلالي الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن اخرج له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وله الف حديث (عن ابي العنبس) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له غير ابي داود وذكره في الميزان ولم يذكر فيه شيئا (عن ابي العدبس) بفتح العين والدال المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان الاسدي ويقال الاشعري الكوفي وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة بزنة المصغر كما في الميزان وتهذيب الذهبي والاكمال الا ان ابا حليل الحافظ كتب في حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو منيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي (عن ابي مرزوق) التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في الميزان قال فيها ان ابن حبان انه قال لا يحتج بما انفرد به (عن ابي غالب) الراسبي واسمه حزور وقيل سعد بن حزور وقيل نافع وروى عنه اصحاب السنن واختلفوا في ضعف روايته ومنهم من وثقه (عن ابي امامة) الباهلي او السهمي وهو

صدى بن عجلان بن وهب توفي سنة احدى اوست وثمانين واخرج له السنة وهو من
آخر من مات من الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه ابو داود وابن ماجه مسندا (قال خرج
علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) بكاف مشددة مكسورة وهمزة
اي معتمدا متحاملا وهو منصوب على الحال (على عصا) وقال ابن عباس التوكؤ على
العصى من سنن الانبياء وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصى منها قضيب
ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت في يده اذا خطب وكانت عند الخلفاء وقال فيها
الصرصري رحمه الله تعالى كما مر * وعصاة لما مسها بيمينه * فضلت عصا
صارت الى ثعبان (فقمنا له) تعظيما واجلالا (فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم
بعضهم بعضا) هذه الجملة بدل مما قبلها او مستأنفة استينافا بيانيا والاعاجم جمع
اعجم او عجمي او عجم على خلاف القياس او جمع اعجام جمع عجم وهم من عدا العرب وقد
يختص بفارس وقد اختلف العلماء في القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه ام لا فقيل
مكروه استدلالا بهذا الحديث و بحديث من احب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له
النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ما قاله القاضي زكريا في شرح
الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا خشي من
تركه ضرر الجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوي الارحام تكريما وبرا لهم
ويدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد رضي الله
تعالى عنه قوموا لسيدكم والمنهي عنه انما هو ما كان على سبيل الرياء والتكبر وحمل
حديث سعد على انه كان مريضا وقدم راكبا فامرهم صلى الله تعالى عليه وسلم
بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف الظاهر كما مر وقد فعله صلى الله تعالى
عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة رضي الله تعالى عنها اذا جاءته وانما نهاهم لئلا يظنوه
سنة ويتخذوه عادة (وقال) صلى الله عليه وسلم (انما انا عبد) الحصر فيه اضافي
اي لست بسلطان ثم انه ان اريد بالعبد معناه العرفي وهو الرقيق المملوك للناس فهو
استعارة فيه نفسه تواضعا لله لارقاق اتعاطيه خدمة نفسه في بيته فانه صلى الله
تعالى عليه وسلم كما يأتي كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته ويلبس الغليظ
وقوله (آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد) بيان لوجه الشبه وان اراد
عبد الله وكل الناس عبيد الله الملوك وغيرهم سواء في ذلك فالمراد انه متمحض لهذه
العبودية لا يشوبها شيء من امور الدنيا ولا تخلق بشيء من اخلاق اهلها في لباسهم
ومآكلهم ومشربهم وفراشهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ولا يأكل
على خوان ولا يعلق عليه بابا ولا يتخذ حجابا (وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار)
وكثير من الاغنياء يأنف من ركوبه وكان له حمار يسمى عفير واخرى يسمى يعفور
وهو مأخوذ من العفرة وهي التراب لسمه لونه له وليسا اسمين لحمار واحد كما توهم

فان عفيرا اهداه له المقوقس و يعفور اهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل القى نفسه فى بئر ابن التيهان يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من جنس من الحمير لم يركبه الا نبى وانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يرسله للرجل فيأتى بابه ويقرعه برأسه فيعلم انه يطلبه (ويردف خلفه) غيره ويردف بضم المثناة بمعنى يجعله رديفا له اى راكبا خلفه على دابته التى ركبها ويقال ردف واردف واصله الركوب على الردف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجعل غيره قدامه ايضا ولم يذكر المصنف من اردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من اردفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ اربعين فى سفره وحضره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم اسامة ابن زيد رضى الله عنهما مرجعه من عرفة والصديق رضى الله عنه فى الهجرة وعثمان رضى الله عنه راجعا من بدر وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما بين يديه وسبطه مع غلامين من بنى هاشم واولاد عباس الثلاثة رضى الله تعالى عنهم فى رواية من المزيد لغة * والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما * ومعاوية رضى الله تعالى عنه * ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه على عفير وابو ذر رضى الله تعالى عنه على حمار * وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه * وثابت بن الضحاك رضى الله تعالى عنه * والشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه * وسلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه * وزيد بن سهل رضى الله تعالى عنه * وابو طلحة الانصارى رضى الله تعالى عنه * وسهيل بن بيضاء وعلى ابن ابنته زينب رضى الله تعالى عنهما وعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما * وغلام مطلبى * واسامة بن عمير رضى الله تعالى عنه * وصفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها لقدومه من خيبر وابو الدرداء رضى الله تعالى عنه وآمنة بنت ابى الصلت وابى اياس وابو هريرة وقيس بن سعد وخوات بن جبير رضى الله تعالى عنهم وجبريل على البراق فى الاسراء * وام حبيبة الجهنية * وزيد بن ارقم رضى الله تعالى عنه وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما وزاد ابن منده غير هؤلاء ونظم ابو زيد بن موفق الدين فقال

* وارادفه جم غفير فمنهم * على وعثمان شريد وجبريل *

* واولاده ذوو الرشد والتقى * اسامة والدوسى وهو نبيل *

* معاوية قيس بن سعد صفية * وسبطاه ماذا عنهم سأقول *

* معاذ ابو الدرداء سويد وعقبة * وآمنة ان قام ثمه دليل *

* كذا خوات ظريف وسبطه * على ووجه النقل فيه جميل *

* اسامة والصديق ثم ابن جعفر * وزيد وعبد الله ثم سهيل *

* كذا ابنة قيس خولة وابن اكوع * وقد رهم فى العالمين جليل *

* كذلك زيد جابر ثم ثابت * في حبهم والله لست احول *
* ثلاثة عثمان وزد معهم ابا * اناس وحسبي الله وهو وكيل *

(و) كان (يعود المساكين ويجالس الفقراء) الفرق بين المسكين والفقير مشهور في مبحث الزكات الان كلا منهما يطلق على الاخر من غير فرق في العرف والعيادة سنة للغني والفقير وانما خصهما الا انه يعلم منه غيره بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها مأخوذ من السكون ويكون بمعنى المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا وتقدم انه لا يجوز ان يطلق على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير او مسكين وان اطلقه على نفسه الشريفة (ويجيب دعوة العبد) اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه مأذونا ونحوه (ويجلس مع اصحابه مختلطا بهم) فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه حتى كان الغريب اذا اتى ناديه لا يعرفه حتى يسأل عنه ثم ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا اتاه الغريب عرفه وسأله ففعله من طين تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه (حيثما انتهى به المجلس جلس) حيثما يفيد العموم اى اى مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدرا وغير صدر وكل هذا لتواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وارشاد امته (وفي حديث عمر عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري (لا تطروني) مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه وتجاوز الحد فيه قال * لا يلحق الواصف المطري مدائحه * وان يكن محسنا في كل ما وصفا * اى لا تمدحوني قال الجوهري والزبيدي اطريت الرجل مدحته وقال ابن فارس في المجمل اطريته مدحته باحسن ما فيه وقال الهروي الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وبه فسر الحديث وقد علمت ان الذي قاله الهروي هو معنى الحديث وهو مأخوذ من الطراوة يقال طراوة وطراءة ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من كل احد والمنهى انما هو عما لا يليق به ولذا قال (كما اطرت النصارى) جمع نصراني منسوب لناصرة او نصرة او نصورية على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها في اول امره (ابن مريم) فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابوصيري رحمه الله تعالى * دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم * وما احسن قول العارف بالله عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به * وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف * (انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ولا تقولوا ما قاله اهل الكتاب ونحوه فالحصر اضافي (وعن انس) رضي الله تعالى عنه رواه مسلم (ان امرأة) من الصحابة تسمى ام زفر وهي ماشطة خديجة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها وتردد البرهان الحلبي رحمه الله تعالى فيها هل هي

هذه او غيرها وجزم به غيره (كان في عقلها شئ) من الجنون ولم يصرح به اشارة الى انه وانها لم تستغرق فيه فان لفظ شئ يشعر بالقلة (جاءته صلى الله عليه وسلم فقالت ان لي اليك حاجة) اى لى حاجة اريد ان انهيها اليك واعلمك بها (قال) لها (اجلسي يا ام فلان) الابهام من الراوى لانه لم يحضره اسمها (في اى طريق المدينة شئت اجلس اليك) مجزوم في جواب الامر والى بمعنى عند غيره للمشاكلة حتى اقضي حاجتك (فجلست فجلس اليها حتى فرغت من حاجتها) التي اعلمته بها تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها لا من كان فيه جنون مطبق وكان جارية سوداء تصرع احيانا فشكت ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت انى اصرع وانكشف فادع الله لى فقال ان شئت فاصبري ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك فقالت اصبر ولكن ادع الله ان لا انكشف فدعا لها وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول الا اريكم امرأة من اهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت تصرع سعيرة الاسدية (وقال انس) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه بتمامه ابوداود والبيهقي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد) كما تقدم بيانه (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بني قريظة) يوم واحد الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة شايع بحيث اذا اطلقوه انما يفهم منه هذا وبنو قريظة بصيغة التصغير والقاف والراء المهملة والطاء المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل في السير راكبا (على حمار) وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى تواضعا منه ومن هو من اقل عبيده يركب الخيل في مثله ويجنب الجنائب اظهارا لشوكته وعظمته بذاته لا لعرض الدنيا الذى لا يستقر وما في بعض الشروح هنا نقلا عن بعض الحواشي في ضبط يوم من انه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم المشددة بمعنى بقصد تحريف لا وجه له (مخطوم بحبل من ليف) اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة وطاء مهملة وهو ما يقاد به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفاء شئ يتخذ من النخل ويفتل حبالا (وعليه) اى على الحمار (اكاف) بكسر الهمزة وكاف والف وفاء بزنة كتاب ويضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه او بعض ادواته وهو البردعة وهذا من حديث رواه ابوداود والبيهقي كما مر (قال) انس بن مالك رضي الله تعالى عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة) الاهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء ولام وهو كل ما يؤتدم به من الدهن او ما يذاب من الالية او الدسم الجامد وسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهاء

بمعنى متغيرة الرائحة يقال سنخ الدهن وزنخ اذا تغير (فيجيب) دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذى فى شمائله وابن ماجة فى سننه (قال) انس ايضا رضى الله تعالى عنه (وحج صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد الهجرة فى حجة الوداع كما فى البخارى ويدل عليه قوله الآتى وقد فتحت عليه الارض (على رحل رث) الرحل للجمل كالسرج للفرس فيختص به ورث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال خلق (وعليه قطيفة) اى كساء من صوف له خمل (ماتساوى اربعة دراهم) اى لو قومت لم يكن قيمتها اربعة دراهم ويقال هذا يساوى ويسوى كذا قيمته والحج من اعظم شعائره التواضع واظهار الافتقار الى الله تعالى ومنع النفس من التلذذ والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد فى الموقف ليذكر الموقف الحقيقى والعرض على الله وهذا من محاسن التشريع والارشاد للاخلاص ولذا قال ثمة (وقال اللهم اجعله) اى اجعل حجى هذا (حجا مبرورا لارياء فيه ولاسمعة) بل خالصا لوجهك الكريم والرياء مشتق من الرؤية وهو مايفعل من عبادة ونحوها لاجل ان يراه الناس فيمدحوا صاحبه به والسمعة بضم فسكون مايفعل ليشيع ويسمع الناس به وهما بمعنى بحسب الماصدق وان اختلف مفهوماهما ومنهم من فرق بينهما فان عبد السلطان اذا عمل عملا ليراه سيده وحده رياء لاسمعة ومن اشاع امرا لم يرسمعة لارياء فيه وقال القرافى فى قواعده الرياء موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين* وهو ان يعمل لله مع قصد يقع من العباد وهذا رياء الشرك اوان يعمل للناس فقط ويسمى رياء الاخلاص وهو لاغراض شتى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضرب بنقص الثواب ولايحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع اوليحظى عند الامام او يكثر عطاؤه وهو محرم لبس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج التجر لا يأثم ولايقدح ذلك فى صحة حجه ولوكان جل قصده اوكله التجارة كمن صام ليصح بدنه ويحتمى فهذا لايقدح فى فعله لان الشارع امر به فى حديث يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اى قاطع للشهوة فامر بالصوم لغرض آخر غير العبادة ولوكان قادحا لم يأمر به كمن توضأ للتبريد والتنظيف فان فيه اعراضا لبس فيهما تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر انتهى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الرياء والسمعة وانما دعا بذلك تعليما لامته وتواضعا كقول يوسف عليه الصلاة والسلام وما ابرئ نفسى لان التعسف قد يدخله الرياء باظهار الزهد (هذا) اى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا واختياره رث الثياب والمركب ليس عن عجز (وقد فتحت الارض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفتح يتعدى فعلى

لماجاء كثيرا بسهولة من الله كانه اماصه عليه و فتح الارض ان اريد به بعضها
كالحجاز فظاهر وان اريد جميعها فعد تمكسه صلى الله تعالى عليه و سلم منها بمنزلة
وقوعه و مر في الحديث عنه صلى الله تعالى عليه و سلم انه قال اتيت بمقاليد
الدنيا على فرس ابلق عليه قطيفة سندس و في رواية بمفاتيح حرث الارض
فوضعت بين يدي وهو محمل على ظاهره وعدده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو وهو
كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله تعالى اراده صرفه بالفعل فيها وقاد جميع
اهلها له (واهدى في حجه ذلك مائة بدنة) اهدى بمعنى بعث الهدى بوزن الرمى
مخفف الياء وقد تشدد فتكسر داله وهو مايرسل للبيت الحرام لينحر فيه ويتصدق به
من الابل والنعم وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة واكثر ما تطلق
على الابل وقد يسمى الابل مطلقا هدى وسميت بدنه لكبر بدنها وفي البخاري لما
حج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم
لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها جملة ثم امر عليا كرم الله وجهه بنحر
باقيها واختلف فيما نحره صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة اهو ثلاثون ام ستون
(ولما فتحت عليه مكة دخلها بجيوش من المسلمين) وذلك في شهر رمضان ثالث عشرة
او سادس عشرة او سابع عشرة وصحح النووي انه تاسع عشرة و اختلف في الجيوش
ايضا فقيل اثنا عشر وقيل عشرة آلاف وقيل غاية (طأطأ على راحلته رأسه حتى كاد
يمس قادمته) الرحل له مقدم ومؤخر من تقع عن محل الراكب وفيها لغات قادم وقادمة
ومقدم ومقدمة بكسر الدال المهملة وفتحها مشددة وكذا اخرة الرحل (تواضعا
لله تعالى) ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ان ركب الجمل دون الفرس وعلى
رأسه مغفر فوقه عمامة سوداء واردف خلفه اسامة رضى الله تعالى عنه كما مر
(ومن تواضعه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتفضلونى على يونس بن متى) قال
شيخ مشايخنا الجلال السيوطي لم اقف عليه بهذا اللفظ والذي في البخاري عن ابن
مسعود رضى الله تعالى عنه لايقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفي سنن ابي داود
ما ينبغي لنبي ان يقول انا افضل من يونس بن متى وفي الصحيحين لعبد بدل لنبي
وفي رواية لااقول ان احدا افضل الى آخره انه سبح الله في الظلمات وفي البخاري
ونسبه لابيه فقيل اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصورا اسم ابيه وقيل
معناه انه ذكر اسم ابيه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا
يونس وعيسى عليهما الصلوة والسلام واختلف في المراد منه فقيل انه صلى الله
تعالى عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو افضل من جميع الرسل بالاتفاق وكلام
المصنف رحمه الله تعالى يميل لهذا فان الافضل قد لايطلب تفضيل احد له وقيل انه
كان قبل ان يعلم بتفضيله والاذن فيه لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض

وخص صلى الله تعالى عليه وسلم يونس لئلا يتوهم احد تنقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة في التفسير (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تفضلوا بين الانبياء) لا ينافي هذه الآية لان المنهي عنه تفضيل يؤدي الى التنقيص او الخصومة و النزاع او التفضيل من سائر الوجوه لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل او التفضيل في نفس النبوة لا في الخصائص وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد افضليته صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله انا سيد ولد آدم وقوله ان الله تعالى اختارني على جميع العالمين من الانبياء والمرسلين (ولا تخيروني على موسى) صلى الله عليه وسلم اي لا تقولوا اني خير منه وافضل وخصه لئلا يظن احد نقصه لقوله ووكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وسيأتي بيان ذلك اقول الظاهر ان المعنى لا تفضلوني تفضيلا يؤدي للنزاع والمخاصمة فان هذا من بعض حديث في الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ذلك وسيأتي الكلام على هذا (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل البعثة في سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبياء مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التواضع اي نحن احق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكانه قال انا لا اشك فكيف بابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا ولا ينافي بين القولين وسيشير اليه المصنف رحمه الله تعالى في القسم الثالث وقيل لا يصح ان يكون المراد احق بالشك منه لقوله اولم تؤمن قال بلى الى آخره وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضائه عدم الاطمئنان وهو ينافي عدم التردد والشك ولذا احتيج لتأويله بان الخليل عليه الصلوة والسلام قطع بالقدرة على احياء الموتى بدليل قطعي لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذي جزم بثبوته فنفسه لا تطمئن حتى تشاهده قال ابن ابي شريف رحمه الله تعالى وهذا التأويل يشير الى ان المطلوب بقوله ولكن ليطمئن سكون قلبه عن المنازعة الى رؤية الكيفية المطلوبة التي بتمامها يحصل له العلم البديهي بعد العلم النظري ولما كان هذا الشك ظاهريا جائزا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال صلى الله تعالى عليه وسلم ما قاله كناية عن انه جائز منه الا انه اورده بهذه الصورة تأدبا مع الله تعالى وان لم يكن احق بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلى كرم الله وجهه يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا الا ان في هذا اشكالا اورده ابن العماد لاقتضائه تساوي علمه البديهي والنظري فيتجاوز المقام الخليلي وقد اجاب عنه في كتابه كشف الاسرار فقال قال ابن عبد السلام المراد ما ازددت يقينا بالايمان وان كان ازداد ابالنظر

من التفاصيل والهيئات مالم يحط به قبل ذلك علما وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحياء وان وقف بمشاهدة كيفية الاحياء على مالم يقف عليه من الايمان كمن رأى بناء عجيبا وعرف صانعه علم قدرته وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله ورآه لم يزده علمه بقدرته وصنعته وهيئته بذلك ولكن اطمأن قلبه لحصول ما طلبه من كيفية صنعه وقال السبكي رحمه الله تعالى سئل الغزالي رحمه الله تعالى عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يتصور عليها الجحود وهو جواب حسن في الفرق بين اليقين والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه الآية ارجى آية في القرآن معناه ان سؤاله الاحياء في الدنيا يدل على انه يحيي ويتنعم في الآخرة ثواب الايمان بالغيب انتهى لا كاف لما (ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي) لبث في السجن بضع سنين اى لبث خمسا ثم سبعا بعد رؤيا الفتيين الذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد في الحديث رحم الله اخي يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن سبعا بعد خمس اى لولم يستغن بغير الله تعالى ما طالت المدة والمراد باجابة الداعي اجابة رسول الملك الذى دعاه للخروج منه قال الكرماني وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى الخروج وقال ذلك تواضعا لا انه كان فيه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا بل يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى مقام التفويض وتلقي كل ما يأتي من الله بالقبول ورفض الوسائط والمعنى لو كنت مكانه تلقيت دعوة الداعي مستغنيا بالله تعالى مفوضا امرى له وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عبر رؤيا الفتيين ثم رؤيا الملك وطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه من السجن لم يبادر للخروج فطلب الكشف عن امره حتى يعلم انه مظلوم وقال القرطبي الوجه عندى في ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ لنفسه وجها آخر من الرأى وهو ان يفعل امرا يقتدى به فيه وهو ان يخرج سريعا ثم يبرئ ساحته بالتبرئة من غير الحاح وهو الحزم ويوسف عليه الصلوة والسلام سلك مسلكا آخر وهو الصبر وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلتفت لما التفت له من براءة الساحة اكتفاء بعلم الله واعتقاده لانه برئ ساحته من غير طلب منه لهذا المقام ولكنه قال ما قال تواضعا وفي يوسف ست لغات بتثليث السين مع الهمزة وعدمها (وقال للذى قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم) وهذا من تواضعه ايضا صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لا اقول ذلك اطراء لنفسي والبرية الخلق من برأ

بمعنى حلق لكن همزته متروكة كما فى الرواية والنبى والخابية وهذا الحديث رواه مسلم فى صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله امره باتباع ملته فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم (وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى) من غير تطويل واعتساف (وعن عائشة والحسن وابى سعيد وغيرهم فى صفته) صلى الله عليه وسلم (وبعضهم يزيد على بعض) قدم عائشة رضى الله تعالى عنها لانها ادرى بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته ولذا عقبها بالحسن بن على رضى الله تعالى عنهما لانه من اهل البيت ايضا وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه كان يخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا خص هؤلاء ورتبهم الاقرب فالاقرب (كان فى بيته فى مهنة اهله) خبر بعد خبر او بدل مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة مأخوذة من الامتهان واختلف فى ايهما الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه بالكسر لتوافق الخدمة لفظا ومعنى وانكر بعضهم الكسر ولا صح انه لغة وانه ثابت بالوجهين (يفلى ثوبه) بيان هو وما بعده لما قبله لان هذا مما ينبغى ان يفعله اهله ويفلى بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش ما فيه من قمل وغيره هذا اصله وهو يقتضى ان يكون فى ثوبه صلى الله تعالى عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لا يكون تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا تنقيص لا ينبغى ان يقال الا ان بعضهم نقل انه لم يكن الذباب يعلق عليه وان القمل لا يؤذى بدنه تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما كما سيأتى بيانه قبيل فصل قد اتينا اكرمك الله قيل المراد نفى اذيته بعينه لانه من لوازمه وقيل ان كان فيه ولكن لا يؤذيه والاول مناف لحديث المتن ولما روى ان ام حرام كانت تفلى رأسه واللفظ شاهد لخلافه نعم نفى اذاه مستلزم لنفيه لان اذيته بتغذيه من البدن فاذا امتنع غذاؤه لم يعش وحينئذ لم يكن فى وجوده الافادته والاحتياج لفليه ولذا قيل المراد بفليه تفتيشه لخرق فيه او تعلق شئ به من شوك ونحوه وكل ذلك للتشريع واظهارا للتواضع واحتمال ان يكون القمل جاءه من غيره لكثرة مجالسته الفقراء كما سيأتى ثم لا يأباه فلى ام حرام لرأسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وان لم تجده (ويحلب شاته ويرقع ثوبه) بفتح الياء وسكون الراء المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد الا ان الضبط الاول لمناسبة ما معه ورقع الثوب ان يضع فيما انخرق منه رقعة لغيره يسده بها (ويخصف نعله) اى يخرزها به وفى العمدة انه تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو فى قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة * استعارة من هذا واصل معنى الخصف الضم والجمع (ويقم البيت) اى يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس (ويعقل البعير) اى يربطه من رحله

بالعقال و يعقل بوزن يضرب (و يعلف ناضحه) بنون وضاد معجمة وحاء مهملة وهو البعير الذى يستقى عليه من النضح (ويخدم نفسه) اى يفعل ذلك كثيرا لادائما مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب فعل ذلك بنفسه تواضعا وتسريعا (ويأكل مع الخادم) الخادم متعاطى الخدمة ذكرا كان او انثى حرا او عبدا واكل الانسان مع خادمه سنة قال القاضى زكريا فى شرح الروض ان السنة ان يجلس خادمه للاكل معه ويلبسه من لباسه فان ابى فليناوله مما يأكله ومن الغريب مانقل عن الشافعى انه واجب للامر به فى الحديث وفيه نظر (ويعجن معها) الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كامر والعجين من عمل النساء (ويحمل بضاعته) بكسر الموحدة وهو مايشتريه (من السوق) وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبياء عليهم الصلوة والسلام قال الله تعالى * وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وكذا كان دأب الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولاينافيه احب البقاع الى الله المساجد وابغضها اليه الاسواق لان المراد بغض مافيها او النهى عن الجلوس فيها من غير حاجة وعن انس بن مالك رضى الله عنه خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله ابن ماجة (ان كانت الامة من اماء المدينة) بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله وان كانت لكبيرة وهى مهملة او اسمها ضمير شان مقدر (لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت) اى تمسك يده الشريفة وتذهب به الى اى محل تريده لاجل حاجتها (حتى يقضى حاجتها) وليس فيه افراط فى التواضع المذموم لان قضاء حاجة المسلمين امر محمود (ودخل عليه رجل فاصابته رعدة) بكسر فسكون لخوفه من مهابته اذ كان لم يره قبلها واعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف و يضطرب (فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك) امر من التهوين اى عد مارأيته امرا هينا غير صعب تخشى منه اى لاتخف ولا تفزع (فانى لست بملك) من الملوك الجبابرة الذين يخشى بوادرهم (انما انا ابن امرأة تأكل القديد) هو اللحم الذى قطع ويجعل فى الشمس حتى ييبس وكان عادة العرب اكله وهكذا عادة فقرائهم وكنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف (قال دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فى حواشى السمنى ذكر المصنف رحمه الله تعالى اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم للسراويل الا انهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم فى الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطى

فى فتواه قد رأيت الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى فى معجم الطبرانى الاوسط ومسند ابى يعلى و فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها ولفظه عن ابى هريرة انه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس الى البرازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح واخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمل عنه فقال صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله الا ان يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه اخوه المسلم فقلت يارسول الله انك لتلبس السراويل قال اجل فى السفر والحضر و بالليل والنهار فانى امرت بالستر فلم اجد شيئا استر منه اخرجه من طريق ابن زياد الواسطى واخرجه احمد وفى سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى (اقول انجبر ضعفه بمتابعته ومنه يعلم ان تخطئة ابن القيم لاوجه لها وكون الثمن اربعة دراهم هو المروى الا ما فى الاحياء من انه بثلاثة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها و لم يلبسها بعيد جدا و قد لبسها عثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر ايضا والسراويل تذكر وتؤنث ولم يعرف فيه الاصمعى الا التأنيث وجمعه سراويلات وهى مصروفة فى النكرة عند سيبويه فان سمى بها رجل لم تصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مؤنثة على اكثر من ثلاثة احرف كعناق فان صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهرى من النحويين من لا يصرفه فى النكرة ايضا لانه عنده جمع سروالة وانشد * عليه من اللؤم سروالة * ويقول ابن مقبل * فتى فارس فى السراويل رامح * والعمل على الاول والثانى قوى انتهى ومن ثم رد قول من قال انه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول المحدثين انه لم يصح انه جمع فى الاصل كمصابيح للصنع فيعتبر فيه الجمعية الاصلية قال ولذا اضطربوا فيه فقيل انه اعجمى معرب سروال حمل على موازنه فى العربية كمصابيح و قيل عربى جمع سروالة تقديرا وهى لغة فى سراويل ويقوى عجميته انه لانظيرله فى العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقى فى معرباته الا انه قيل انه معرب شلوار بالمعجمة والاشبه انه معرب سراوين اى بدل الرأس لان سر معناه الرأس واوين معناه بدلى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للوزان) الذى يزن الدراهم و ينقدها وهو الصيرفى (زن وارجح) اى زن لصاحب السراويل ثمنها ورد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكفة التى فيها الدراهم و بهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن القضاء وكلام ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى الهبة المحضة والرجحان بزول كفة الميزان لزيادة مافيها (وذكر القصة) كما سمعتها آنفا (قال) ابو هريرة رضى الله تعالى عنه راوى هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها من احد فقال له ابو هريرة كفى بك من الوهن و الجفاء فى دينك انك لاتعرف نبيك (ف) طرح الميزان و (وثب)

اى قام بسرعة (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) اى قام ليقبل يده الشريفة لما رأى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فجذب) اى نزع صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) من يده (وقال هذا) اى تقبيل اليد امر (تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم) معاشر العرب اوالناس وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم او لانه علم انه انما قبل يده لامر دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه اوصلاحه اوشرفه سنة مستحبة وقدكان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقبلون يده الشريفة و يد الخلفاء رضي الله تعالى عنهم وقبل لبعض المشايخ اتقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فسموها بالتقبيل (ثم اخذ) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (السراويل) ليحملها بنفسه (فذهبت لاحمله) اى شرعت فى حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع فى الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتأنيثه كما علم (فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى هريرة (صاحب الشئ احق بشيئه ان يحمله) بدل من شيئه اى احق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضى الله تعالى عنهم فكان الخلفاء منهم يحملون امتعتهم فى السوق كما فصله العراقى فى الاحياء ﴿ فصل واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوى فيه الواحد المذكر وغيره ويجمع على عدول (وامانته) فى كل شئ يحفظه قولا كان اوفعلا اوغير ذلك مما يجعل عنده وكونه موثوقا به فى اموال الناس واحوالهم (وعفته) فى نفسه بترك كل قبيح وترك السؤال والنزاهة عن كل شئ (وصدق لهجته) اللهجة اللسان والكلام وقد يقال لهج بكذا اذا ولع به ولايخفى تقارب معانى ماذكر ولذا جمعها فى فصل فان فى العدل عفة عن الظلم وفى الصدق امانة على ماسمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) آمن بمد الهمزة بمعنى اكثرهم واشدهم امانة (واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذكان) اى من ابتداء خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد (اعترف له بذلك محادوه) جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادى والمخالف له الذى فى حد وجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال تعالى ومن يحادد الله ورسوله (وعداه) بكسر العين جمع عدوا و اسم جمع وهو فى الصفات وقد تضم عينه (قال ابن اسحق) محمد بن اسحق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه احمد فى مسنده والحاكم والطبرانى عن على كرم الله وجهه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم) ابتداء امره وقبل نبوته (يسمى الامين) لامانته وصدق قوله فى جميع احواله

(بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة) اى بسبب ما جمعه الله فيه من الاخلاق الصالحة الذى ائتمنه الله اياها او الباء بمعنى مع اى ما جمعه الله من الصالحات التى عرف بها عندهم (وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه) اى المطاع الامين فى هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه الصلوة والسلام كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الكثير وفيه نظر (ولما احتلفت قريش وتحازبت) بالحاء المهملة والزاى المعجمة والباء الموحدة اى صارت احزابا وفرقا لاختلاف آرائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة لما فى السير انهم تحالفوا حتى اعتدوا للقتال ثم بدا لهم فتشاوروا صح الا انه بعيد والنسخ مضبوطة خطا بخلافه (عند بناء الكعبة) قال السهيلى كان بناؤها خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم عليه الصلوة والسلام على القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة اعوام والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بنار طارت من ابى قبيس او بشرر طار من مجمر امرأة ارادت ان تجمرها فتعلق باستارها واحرقها فشاور من حضرها فى هدمها فهابوه وقالوا يصلح ما انهدم منها فقال رضى الله تعالى عنه لو احترق بيت احدكم لم يرض له الا بكل صلاح ولا يكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى افضى الى قواعد ابراهيم عليه الصلوة والسلام فامرهم ان يزيدوا فى الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا افزعتهم فامرهم ان يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمرت على ذلك الى ان قام عبد الملك ابن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسة ولا منافاة بينه وبين ما فى التواريخ من ان الخامسة بناء الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه اميره وكان ارسله لحاربة ابن الزبير رضى الله عنهما وقيل غير ذلك والكلام فيه مفصل فى تاريخ مكة (فيمن يضع الحجر) الاسود فى موضعه ويرفعه بيده لما فى مباشرة ذلك من الشرف والجار والمجرور متعلق باختلف (حكموا) بفتح الحاء وتشديد الكاف جواب لما اى ارتضوا بان يكون الحاكم فى ذلك (اول داخل عليهم فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اذا الفجائية اى فجأهم دخوله عليهم بغتة من غير طلب وميعاد منهم (وذلك قبل نبوته) صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس وعشرين حين بلغ الحلم ولا شك فى ان هذا كان قبل النبوة والاول اصح (فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) حكما فى هذه القضية فلما انتهى اليهم ذكروا له ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ايتوا بثوب فوضعوا فيه الحجر وارفعوه حملتكم من كل بيت رجل فلما فعلوا وضعه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة ثم بنى عليه فكان شرف الوضع له وكان مع العباس رضى الله تعالى عنه

ينقلان الحجارة فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك الم الحجارة فلما فعل بدا منه مالابد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت عيناه الى السماء فقال ازارى فشد عليه ازاره لانه نودى يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولاقبله وروى انه وقع له مثله وهو يلعب صغيرا (وعن الربيع بن خثيم) رضى الله تعالى عنه بضم الخاء المعجمة وفتح المثلثة وسكون الياء المثناة التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عابد بن عبدالله بن وهب ابو يزيد الثورى ينسب الى ثور بن عبد مناة ابن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروى عن ابن مسعود وابى ايوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا واخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفى سنة سبع وستين (كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية) وفسر الجاهلية بقوله (قبل الاسلام) لانها تطلق بهذا المعنى فى الاكثر وهذا شاهد لعدله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق الجاهلية كما فى النهاية على صفات تهم وان كانت فى الاسلام كقوله فى الحديث ان فيك جاهلية وحقيقتها الاول وهذا معنى مجازى اللهم الا ان يراد بها المعنى اللغوى وهو النسبة الى الجهل مطلقا فيكون حقيقة والى هذا نظر ابن حجر فى شرح البخارى ويتحاكم بضم المثناة مجهول اى يتحاكم اليه قريش او العرب وقول الربيع هذا رواه ابن مسعود وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على عدله وانصافه (وقال صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء) و(امين فى الارض) يعنى انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين اهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور فى احكامه وهذا الحديث رواه ابن ابى شيبة فى مسنده عن ابى رافع وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه مؤكدا بالقسم واعادا فيه الاختلاف الامانتين (حدثنا) ابن سكرة (ابو على الصدفى الحافظ بقراءتى عليه) وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال (حدثنا ابو الفضل ابن خيرون تقدم انه احمد بن الحسين ابن احمد بن خيرون الحافظ وابن خيرون ممنوع الصرف قال (حدثنا ابو على بن روح الحرة) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو على السنجى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا ابو محمد المروزى) محمد بن احمد بن محبوب راوى جامع الترمذى كما تقدم قال (حدثنا ابو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذى كما تقدم (قال ابو كريب) بضم الكاف وفتح الراء المهملة وياء تصغير وباء موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلاء الهمدانى اخرج له الستة ووثقه النسائى وغيره توفى سنة ثمان واربعين ومأتين قال (حدثنا معاوية بن هشام) القصار الكوفى الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذاك توفى سنة خمس وعشرين ومائة (عن سفيان) الثورى فيما يظهر الان المزى والذهبى لم يقيداه الى آخره (عن ابى اسحق) عمرو بن عبدالله الهمدانى السبيعى احد الاعلام (عن ناجية) بنون وجيم (بن كعب) العنزى او الاسدى

الثقة وتوقف ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبي في المغني ما ادري
لما ذا توقف فيه ابن حبان انتهى (عن علي) بن ابي طالب كرم الله وجهه ورضي
الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه الترمذي كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه من
طريقين احدهما ما ذكره المصنف والثانية عن اسحق بن منصور عن ابن مهدي
عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية قال وهذا اصح وكذا رواه عبد العزيز بن ابي عثمان
(ان ابا جهل) ابن هشام لعنه الله فرعون هذه الامة (قال للنبي صلى الله تعالى عليه
وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فانزل الله) فيما قاله وهو سبب نزول هذه الآية
(فانهم لا يكذبونك الآية) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وروى ابو ميسرة انه
صلى الله عليه وسلم مر بابي جهل واصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك عندنا
لصادق ولكنا نكذب ما جئت به فنزلت هذه الآية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا
فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته وكذبته واكذبته كخبرته واخبرته واختار
ابو عبيدة قراءة التخفيف وهي مروية عن علي كرم الله تعالى وجهه وقيل معنى
يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون ما قلته ومعناه بالتخفيف يجدونك
كاذبا كابخلته اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان
قيل وفي كلام المصنف اشارة الى دفع التناقض في الآية فانه قال اولا انهم لا يكذبونه
ثم اخبر انهم يجحدون ما جاء به من الآيات وجاحد كلامه مكذب له ويجحدون
مضمن معنى يكذبون ولذا عداه بالباء وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه
قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد بقوله لا يكذبونك نفي
تكذيبه مطلقا فاما ان يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك
بالتشديد لا يحكمون عليك بان شيمتك الكذب لانك موصوف بالصدق
عندهم في جميع شؤنك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الآيات
فانهم يجحدونه وهذا مراد المصنف في استشهاده بهذه الآية او يقال المراد انهم
لا يكذبونك في الحقيقة ونفس الامر وفي نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون
التكذيب حسدا وبغيا او انهم لا يكذبونك اذا امعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا
عن نور الهداية انتهى وفي الآية كلام فصلناه في حواشي القاضي البيضاوي
(وروى غيره) اي روى غير الترمذي او المصنف في هذا الحديث زيادة وزيادة الثقة
مقبولة (لا نكذبك وما انت فينا بمكذب) اي معروف بالكذب في غير هذا (وقيل
ان الاخنس بن شريق) بن علاجة الثقفي الصحابي واسمه ابي وهو بهمزة وخاء
معجمة ونون وسين بزنة افعل التفضيل وشريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة
وقافه على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني انه
حليف قريش قتل يوم بدر كافرا يعني به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه

ابو اسحق والبيهقي عن الزهري واخرجه بن جرير عن السدي (اتى ابا جهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة سنة اثنتين من الهجرة في تاسع عشر رمضان (فقال له يا ابا الحكم) بفتحتين وهذه كنيته القديمة ثم غاب عليه كنيته بابي جهل (ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلاما فخبرني عن محمد) جملة خبرية والمراد اخبرني عنه (صادق ام كاذب) يعني اصادق فحذفت الهمزة تخفيفا والاستفهام حق في اوتقديري (فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط) هذا يدل على انهم لايعتقدون كذبه (وسأل هرقل ع.ه) هرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء بين كسرتين كما سيأتي وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي قيل وهو مأول (اباسفيان) صخر بن حرب بن امية القرشي الاموي اسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش واكثرهم مالا وتوفي سنة اربع وثلاثين وسنه ثمان وعانين في المدينة وقصة ابي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصلة في اول باب في البخاري وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبه في سنة ست فلقيه رسول رسول الله صلى الله عليه سلم بحمص فلما قرأ الكتاب امر مناديا ينادي الاان قيصر قد اسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر منادياً ينادي الا ان قيصر راض بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مغلوب على ملكي وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فمداؤه بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله واه كيف وقد قاتل المسلمين يوم موتة وواعدهم ان يأتيهم في العام المقبل ورد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجيء واحد منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله(فقال) اي هرقل لابي سفيان(هل تتهمونه بالكذب) اي هل وقع في قلوبكم انه صدر منه كذب في اقواله قال في الاساس وهمت الشيء اهمه وهما وتوهمته وقع في خلدي وشيء موهوم ومتوهم انتهى وانما سألهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره بالطريق الاولى (قبل ان قال ماقال قال لا) فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا يأثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب اويقول مالايقبل منه ثم قال ابوسفيان الااخبرك عنه خبرا اكذب فيه قال ما هو قال انه زعم انه خرج في ليلة من الحرم الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وكان عنده بطريق ايليا فقال صدق اني كنت لاانام حتى اغلق ابواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت ابوابه غير باب منها علي فاستعنت بمن حضرني فلم يمكنهم

تحركه وقالوا انه سقط عليه السماء فلما اصبحت عدوت عليه فاذا الحجر الذى فى زاويته مثقوب فيه اثر ربط دابة فقلت يا جدس هذا الباب الليلة الا على نبى قد صلى فى مسجدنا فقال قيصر يا معشر الروم الم تعلموا ان بعد عيسى عليه الصلوة والسلام نبيا بشركم به وكنا نرجوا ان يكون فينا فجعله الله تعالى فى غيرنا وهو رحمة من الله يضعها حيث شاء ولم يعتدوا بتصديقه حتى يكون يوما لتلبسه بما يخالفه قولا وفعلا وقلت و بهذا علم ان مربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسأل اباسفيان عنه صلى الله عليه وسلم اسئلة اخرى مذكورة فى اول البخارى (وقال النضر) بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة (بن الحارث لقريش) فى حديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف بن عبد مناف القرشى وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر وقتله كافرا صبرا كما يأتى فرثته اخته قتيلة بأبيات مشهورة اولها

* يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وانت موفق *

الخ وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف فى اسلامها وكونها صحابية (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين قال الجوهرى حدث شاب فان ذكرت السن قلت حديث السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والغلام الذى لم يلتح (ارضاكم فيكم) اى اكثركم رضا وصبرا وافعالا مرضية (واصدقكم حديثا واعظمكم امانة) منصوب هو وماقبله على التمييز وهذه شهادة العدو فما بالك بغيره (حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب) الصدغ ما بين لحظ العين والاذن والشعر الذى فيه من اعلى العذار وجانب الرأس كثيرا ما يبدو الشيب فيه قبل غيره وكنى بذلك من انه تمت رجوليته وكمل عقله صلى الله تعالى عليه وسلم مجاوزته سن الشباب وهذا اشد فى الانكار عليهم (وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر) اى قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدأ مقدر اى هو ساحر بدليل قوله (لا والله ما هو بساحر) وهذا منه غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقاء فقتل صبرا بالصفراء كافرا فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من بدر كما ذكره السيحان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهذا الحديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والذى قال انه ساحر الوليد بن المغيرة وسبب قول النضر المذكور ان اباجهل لما اراد ان يرضخ رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحجر فتمثل له جبريل عليه الصلوة والسلام فى صورة فحل ففر هاربا ويبست يده على الحجر كما سيأتى فلما سمع ذلك النضر قال يا معشر قريش والله قد نزل فيكم امر ما اتيتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم محمد الى قوله ماهو بساحر وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ما هو بكاهن

وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم ساحر والله ما هو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا اصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فما هو بخنقة ولاتخليط ولاوسوسة فانظروا في شانكم فانه والله قد نزل بكم امر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذي جاء بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ماجاء به محمد ليس باحسن مما جئت به ان هو الا اساطير الاولين فنزل فيه * واذاتتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين * في آيات اخر (وفي الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ماالمست يده يد امرأة قط لايملك رقها) وهذا من عفته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التي ليست بمحرم فيعلم ذلك من الرقيق بالطريق الاولى وقيل انه داخل في ملك الرق لتملكه البضع وقد سمي بذلك في قول اسماء رضي الله تعالى عنها التزويج رق المرأة فلينظر اين يضع رقها ولاينافي هذا ماورد من ان الامة من اماء المدينة كانت تأخذ بيده صلى الله تعالى عليه وسلم فلايدع يده من يدها حتى يقضى حاجتها لانه كان بحائل من كم اونحوها وكلام عائشة رضي الله تعالى عنها هذا ورد في مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء فان بعضهم توهم انها كبايعة الرجال باليد من غيرحائل فقالت رضي الله تعالى عنها انما كان يقول لمن هاجر من المؤمنات ماامره الله تعالى به في قوله * ياايها النبي اذاجاءك المؤمنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فمن اقر به قال قد بايعتك كلاما من غيرمس لايديهن وماورد في المبايعة من امساك ايديهن فان كان مدا من غيرمصافحة فبها والا فهو بحائل لانه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بثوب وضعه على يده وقال لا اصافح النساء وروى انهن كن يأخذن بيده من فوق ثوب وفي المغازي عن ابان بن صالح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في المبايعة يغمس يده في ماء في اناء وتغمس من بايعته يدها فيه وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بايع النساء بواسطة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وكلام عائشة رضي الله تعالى عنها يقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبايعهن الابالكلام فلعله تعدد (وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) رواه الترمذي في شمائله وتقدم بيانه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ولوسهوا لمنافاته للابلاغ ووجوب تصديقه في كل ما يقول كماسيأتي (وقال في الصحيح) اي في الحديث الصحيح اوفي صحيح البخاري لانه حيث اطلق الصحيح انصرف اليه وهذا اولى (ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل) وتقدم ضبطه على الخطاب والتكلم والكلام عليه الا ان الذي في البخاري في باب الادب ويلك بدل ويحك

وقد فرق بينهما يقال ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم وويس مترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعى انها تصغيرها وقيل اصل ويل وى زيدت فيها اللام وقد تقدم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لمن قال له لبئست قسمتك تعدل وانه اختلف فى اسمه وانه عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى او حرقوص بن زهير الخارجى اوذو الثدية وقد مر الكلام فيه مفصلا فتذكره (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين الااختار ايسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم بعينه لمافيه من عدالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعفته فلا وجه للاعتراض عليه والامران من امور الدنيا والمخير ان كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله وهو الظاهر والمراد بالاثم مايؤدى الى وقوع امته فيه لان الله لايخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم فى المهالك وقد تقدم تفصيله (قال ابو العباس المبرد) وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة فى التواريخ وما نقله المصنف هنا عنه انما ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم ومباينة حاله لحال اهل الدنيا وماهم عليه من اللهو فلا يرد عليه ماقيل انه لافائدة فيه (قسم كسرى ايامه) بكسر الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو لا نه لقب كسرى انوشروان الذى ولد فى زمنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اشهرهم واعظمهم (فقال يصلح يوم الريح للنوم) والتعطى حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع (ويوم الغيم للصيد) الذى كان يتقيد به الملوك لعدم اذية الشمس وحرها ويقال له يوم فاختى وسنبل (ويوم المطر للشراب واللهو) لقلة المصالح فيه والسلامة من الملل والنطافة من الوحول والمراد باللهو سماع الغناء ومنادمة الندماء (ويوم الشمس للحوائج) وروى يوم الصحو اى خلو الجو من المطر والغيم والمراد بالحوائج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس او جمع حايجة وانكره بعض اهل اللغة ورده الجواليقى بانه ورد فى كلام الفصحاء كثيرا وفى الحديث اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فلا وجه لانكاره كما فصلناه فى شرح الدرة وانما اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه ومااشتهر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولدت فى زمن الملك العادل كسرى قد قال الحافظ السخاوى والسمعانى انه لااصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن فى وصفه بالعادل بأس كما توهم فانه كان لايجور على احد من رعيته ولايظلمهم فى حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لاينافى كفره وظلمه لنفسه لجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به ادعاء منهم لا انه شهد له بالعدالة

حقيقة وذكر قصته توطئة لقوله (قال ابن خالويه) بفتح اللام و الواو و سكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح الياء وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوى اللغوى الاديب الهمدانى دخل بغداد ثم انتقل للشام وصحب سيف الدولة لتأديب اولاده واخذ العربية عن ابى بكر بن الانبارى والسيرافى وتصدر للافادة وله تآليف جليلة وشعر حسن ومات بحلب سنة سبعين وثلاثمائة (ما كان اعرفهم) اى العرب الدال عليهم ذكر كسرى (بسياسة دنياهم) اى تدبير امورها لان هذا معنى السياسة لغة قال * فبينا نسوس الناس و الامر امرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف * وقول ابن كمال فى رسالة التعريب انه معرب خطاء كما تقدم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعنى انهم عرفوا امر شربهم و اكلهم و حركتهم وتقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد ومايليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر * ومن البلية ان ترى لك صاحبا * * فى صورة الرجل السميع المبصر * فطن لكل مصيبة فى ماله * و اذا يصاب بدينه لم يشعر * و يقرب ماقاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يعلمون امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون ويبنون (ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة اجزاء) يعنى انهم قسموا ايامهم لما ذكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قسم اوقاته وهو اكثر حزما لعدم ضياع جزء و وقت من عمره فيما لايعنيه وشتان بين القسمين والمقسمين وفى نسخة لكن بدون واو (جزأ لله) اى لعبادة الله وتلقى وحيه (وجزأ لاهله) اى لمصالح اهله و بيته (وجزأ لنفسه) مخصوصا باكله وشربه ونحو ذلك من اموره الدنيوية وجزأ فى المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه كذا روى (ثم جزأ جزءه بينه و بين الناس) اى جعله قسمين قسما لخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له فى نفسه وقسم ينظر فيه امور الناس وحوائجهم (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يستعين بالخاصة) من اصحابه وهم خلفاؤه ووزراؤه رضى الله تعالى عنهم ومن يقرب منهم (على العامة) من المسلمين (ويقول) للخاصة (ابلغوا حاجة من لايستطيع ابلاغى) اى اخبرونى وقولوا الى مايطلبه العوام ممن لايقدر ان يبلغنى حاجته اما لعدم الجراءة على كلامه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم او لعجزه عن الوصول اليه ثم رغب فى ذلك بقوله (فانه من ابلغ حاجة من لايستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر) وهو يوم البعث والحشر وحين يكون الناس كلهم فى فزع اى خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة او يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن ابى هالة وآمنه بالمد بمعنى جعله فى امن من اهوال القيامة (وعن الحسن) ابن على رضى الله عنهما كما رواه ابوداود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يأخذ احدا بقرف احد) الاحد مجازعن العقوبة من اخذه السلطان اذا حبسه وحازاه على ما صدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الراء المهملة والفاء التهمة واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبي يقال قرفت الرجل اى عبته واتهمته فهو مقروف وفى نسخة بقذف بدال معجمة بدل الراء وكتب عليها صح (ولا يصدق احدا على احد) اى لايحكم بصدق مقالة صدرت من احد فى حق احد غيره باسناده اليه امرا يقتضي عقوبة او حقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله صلى الله عليه وسلم ولكن هذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره و يكشف بنور النبوة جلية الحال له (وذكر ابو جعفر الطبرى) هو الامام محمد بن جرير الطبرى المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته الاتى (عن على) كرم الله وجهه (عنه صلى الله عليه وسلم ماهممت بشئ) وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما اعاده المصنف لغرض آخر وهو بيان عفته صلى الله تعالى عليه وسلم عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك من اول امره وقيل انما اعاده لزيادة فيه لم تذكر اولا وهى قوله غير مرتين الى آخره (مما كان اهل الجاهلية يعملون به) كما تقدم بيانه (غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى و بين ما اريد من ذلك) استعار الحائل الحاجز بين شئ وشئ للمانع كما فى قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه قال ابو عبيد اى يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثانى اشارة لما كان عليه اهل الجاهلية والمعنى انه عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم عنه (ثم ماهممت بسوء) اى صرف الله قلبى عن ان يهم بسوء اى بقبيح شرعا كاللهو (حتى اكرمنى الله برسالته) اى حتى من الله على بالبعثة وجعلنى نبيا رسولا ثم بين ماهم به فى المرتين فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت لغلام كان يرعى معى) يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض قريش فى صغره وهكذا كان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يرعون لغيرهم ايضا والغلام كان اجيرا ايضا يرعى معه ويرافقه فى البادية وفى هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته مع ما فيه من الانس بالوحدة والخلوة وفى الحديث ما من نبى الا رعى الغنم قيل ولا انت يارسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط بمكة وقيل حكمته ان الغنم جاهلة ضعيفة السياسة فكان ذلك ليأنس بسياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو سدس درهم و قيل انه اسم جبل بمكة وانكروه لانه لم يسمع به ثمة وفى الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه بهذا المعنى وقيل انه نسب بينهم وقيل غير ذلك وعندى انه بمعنى مقدار الارض المعروف بينهم فى المساحة لانه مخصوص بها وما غيره فلا اختصاص له بها وفى هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله (لو ابصرت لى

عنى) اى لوحرستها وحفظتها لان الصغر والطرب يستعار لذلك (حتى ادخل مكة فاسمر بها) سمر يسمر كقتل يقتل والسمرا لتحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر بين السمرة وهي السواد لقليل فسمى به حديث سمر ليلا لجلوسهم له فيه قال *
كان لم يكن بين الحجون الى الصفاء * انيس ولم يسمر بمكة سامر (كما يسمر الشاب)
والشاب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له كالعقود ه الشاب حديث السن كالفتى (فخرجت) من البادية لتي فيها الغنم (حتى جئت اول دار من مكة) غاية لمجيئه من المرعى (سمعت فيها عزفا) بعين مهملة وزاى معجمة وفاء بزنة ضرب وهو مايلهى به الانسان وفى مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهي الملاهي . واحدها عزفى على خلاف القياس او معزف والمعزف الطنبور او الدف و قيل كل لعب عزف (بالدفوف) جمع دف بضم او له او فتحه وتشديد الفاء وهو الذى يضرب به النساء وهو معروف ويسمى عند العامة دراحا وطارا و فيه شبه الخلاخل قال
* كان فى الدف الذى يفصله * رما ردف تعير حجله *
واختلف فيه تجوزه بعض الشافعية وكرهه مالك (والزما مير لعرس بعضهم فجلست انظر) مايلعبون به والذين يلعبون (فضرب على اذنى فنمت) بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على اذنه ان بعشاه النوم واصله من السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة العظيمة المعطية لمن تحتها فكان اذانهم تحت غطاء محجوبة عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه استعير فضربنا على اذانهم فى الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على اذنه صيانة من الله له صلى الله عليه وسلم (فما يقظنى الامس الشمس) اى مس حرها فكانها مسته حتى حرقته وحبسته حتى نبهته ففيه استعارة و لطف كما فى قول ابن المعتز
*والريح تجذب اطراف الغصون كما * افضى الشفيق الى تنبيه وسنان*
وكما قيل * نمت تحت اذيال النسيم حتى * القت عليه الشمس رداءها *
(فرجعت) من المكان الذى ضرب فيه الدفوف (ولم اقض شيئا) من قضى وطره اذا كان مايريده يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس قبل تعاطيهم اللهو فعلمه النوم حتى لم يسمع شيئا من ذلك لعصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم ومجرد همه بذلك و ارادته لا حرج فيه والفاء شاهدة بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شيء من ذلك وكونه محرما فى شرع من قبلنا اوهو صلى الله تعالى عليه وسلم متشرع به غير مسلم (واعلم ان المعازف حرام فى ملتنا للنهى عنها فى الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكونن فى امتى اقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف فى بعضها فمنهم من جوز الدف فى العرس ومنهم من جوز ضرب

لتسلية الاخوان كالماوردى وكان الاستاذ الشيخ محمد البكرى رحمه الله تعالى
ونفعنا به يقول عطروا مجلسنا بالعود الماوردى لكنه قول ضعيف وفى منظومة
الدميرى رحمه الله تعالى

* وبعضهم العود فى الاحيان * قالوا تزيل اثر الاحزان *
* فاحرم على التحريم اى حزم * والحزم ان لاتتبع اى حزم *
* فقد ابيحت عنده الاوتار * والعود والطنبور والمزمار *

(ثم عرانى) اى طرا على وعرض لى وغشينى (مرة اخرى) فى وقت آخر (مثل
ذلك) من الهم بالسماع والذهاب له (ثم لم اهم) قال السمنى هو بضم الهاء وعليه
اقتصر الجوهرى رحمه الله تعالى (بعد ذلك بسوء) اى بما فيه اسم فسماه سوءا لانه
يكرهه ويؤلمه ﴿ فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم ﴾ اى سكونه وطمانينته
ورزانته يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما
لا يخفى ويجئ الوقار بمعنى العظمة كما فى قوله مالكم لاترجون لله وقارا * واصله من
الوقر وهو الثقل (وصمته) اى سكوته وهو من الوقار (وتؤدته) بضم التاء الفوقية
وفتح الهمزة والدال المهملة وهى التأنى يقال اتأد فى فعله اذ اتأنى ولم يعجل وتاؤه
منقلبة عن واو (وحسن هديه) بوزن ضربه بمعنى سيره وطريقته وسيرته وسلوكه
(حدثنا ابو على الجيانى) بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته (الحافظ اجازة) قال ابن
فارس فى مجمله وهى من جواز الماء الذى تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا
فاجازنى اذا سقاك الماء لارضك وماشيتك قال القطامى وقالوا فلان قيم الماء
فاستجز عادة ان المستجيز على قتر اى على ناحية وجزت الموضع سرت فيه واجزته
خلفته وقطعته واجزته بعدته قال امرئ القيس

* ولما اجزنا ساحة الحى وانتحى * بنا بطن حقف ذى قفاف عقنقل *

وقوله حتى يقال اجيزوا آل صوفا فانما جدهم بانهم مجيزون الحاج انتهى قال ابن
الصلاح قلت فللمجيز على هذا ان يقول اجزت فلانا مسموعاتى او مروياتى فيعديه
بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية اونحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل
الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول اجزت لفلان
رواية مسموعاتى مثلا ومن يقول منهم اجزت له مسموعاتى فعلى سبيل الحذف
الذى لايخفى نظيره انتهى (اقول اعلم ان اصل الاجازة فى كلام العرب قديما
كما ذكره اهل اللغة الاذن فى الانصراف ولما كان من يأخذ عن شيخه ينصرف
عنه احدث منه كما يقتضيه الاستعمال وكلام اهل اللغة قاطبة لانها من مجاز المكان
اذا جاوزه ومر عليه ثم عدى بالهمزة للمفعول الثانى وقد يقتصر على احد مفعوليه
لانه من باب كسا ومعنى اجازه اذن له فى الجواز والمرور ثم استعمل فى مطلق الاذن

وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعنى اجازة الشيخ اذنه فى الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية لبنت محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر الا انه يحتمل انها من هذا لان المعطى كانه يأذن لمن اعطاه فى الانصراف عنه ولا تختص بالماء كما يوهمه كلام المحمل المتقدم وهو الذى غر ابن الصلاح فقوله مأخوذة من جواز الماء لاوجه له بل من اجازه اذا جعله جائزا ثم نقل لمعنى اذن له وكذا قوله وقد تبين انه تجوز به عن معنى لفظ آخر وما بينهما مخالفة فى التعدية فتجوز حمله على حقيقته وعلى مجازه فلك حينئذ ان تعديه لمفعولين ولك ان تعديه لواحد بحرف وبدونه فحمل على اذن واجاز من غير تكلف (وعارضت بكتابه) اى قابلت نسختى بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين فى مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثنا به قراءة منه وهو مقابل له وفى يده كتابه (قال حدثنا ابو العباس الدلائى) بكسر الدال المهملة مشددة وتخفيف اللام المفتوحة ثم الف ممدودة وياء مشددة نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبى ان لامه مشددة ووجد فى بعض النسخ مضموم الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها ياء نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو ابو العباس احمد بن انس العذرى المعروف بابن الدلاء من مدينة بلنسية قال (اخبرنا ابو ذر الهروى) تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن احمد بن محمد الهروى قال (اخبرنا ابو عبد الله الوراق) ابو الحسن عبد الله بن محمد بن على الانطالى المعروف بابن العفور الوراق قال (حدثنا اللؤلؤى) ابو على محمد بن احمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن ابى داود قال (حدثنا ابو داود) سليمان بن الاشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال (حدثنا عبد الرحمن بن سلام) بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وابوه محمد بن سلام البغدادى الثقة روى عنه ابو داود والنسائى وقال لا بأس به (قال حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن ابى الزناد) هو الاعور المصيصى الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفى سنة اربع وستين ومائة (عن عمر بن عبد العزيز بن وهب) ويقال اهيب بالهمزة وهو بدل قياسى وهو انصارى مولى لزيد بن ثابت وهو يروى عن خارجة واخرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث وقال الذهبى لا يعرف من هذا كما فى الميزان (سمعت خارجة بن زيد) هو خارجة بن زيد بن ثابت الانصارى المدنى التابعى احد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة ابن زيد وسليمان ابن يسار وفى السابع اقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم وقيل ابو سلمة ابن عبد الرحمن وقيل ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ثم ان الفقهاء بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما خص هؤلاء لاجماع الناس على رأيهم

واشتهائهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لا يقضي في امر حتى يرفع
اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان اسماءهم اذا علقت على محموم برئ
واذا وضعت في البر لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل في قوله

* الا كل من لا يقتدي بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه *
* فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد ابو بكر سليمان خارجه *

وهذا الحديث من مراسيل ابي داود (يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس
في مجلسه) اي اعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع اهله
او مع خاصته ينبسط معهم ويلاطفهم يعني ان هذا كان عادته ودأبه صلى الله عليه
وسلم بحيث لا يصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل فعلا ماضيا
لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم
يقري الضيف لقرينة وهو استعمال شائع ولكن نقله بعض الاصوليين معنى لها
لم يحققه احد كابن جني في كتاب الخصائص فان اردته فانظره (لا يكاد
يخرج شيء من اطرافه) اي اطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه مبالغة اي
لا يخرج ولا يقرب من الخروج ولذا عدل عن لا يخرج وهو اخصر ويخرج بفتح
اوله مضارع خرج يخرج كقتل يقتل وشيء فاعله او بضمه مضارع اخرج
وشيئا مفعول الا ان خط النسخ على الاول (وروى ابو سعيد الخدري) هو
سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله تعالى عنه وقد تقدم (قال كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر
جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا) وفي رواية بثوبه بدل بيديه والاحتباء بالحاء
المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه او بعمامته ونحوه والحبوة بضم وكسرها ويقال
حبية وحبية ايضا ويقال الاحتباء حيطان العرب لانهم اهل برارى لا حيطان
لهم يستندون اليها فالاحتباء قائم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد في الحديث من
انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الاحتباء في ثوب واحد اذ النهي فيه لم يرد
عن الاحتباء وانما ورد عن كونه في ثوب واحد لانه ربما تحرك فيزول الثوب وتنكشف
عورته واما قوله * واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر *
فاستعارة ونهى عن الاحتباء يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدي الى النوم
وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذي في شمائله (وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه)
رواه مسلم وابو داود (انه) صلى الله عليه وسلم (تربع) اي جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل
على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه وقدمه اليمنى الى جانب يساره ويمد ركبته
اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا في خارج الصلاة كما

في الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع الشمس وهو في الصلاة كما صرح به الفقهاء واما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم لها فيه نظر (وربما جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على الالية كجلوس المحتبي بيديه من غير احتباء كما يدل عليه ما بعده وقال الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت (وهو) اي جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم القرفصاء ورد (في حديث قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهي بنت مخرمة العنبرية كما في المقتفي وقال السمني العدوية وقيل العنزية وهو الصحيح وفي حديثها انها رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد وهو قاعد القرفصاء وفي رواية فلما رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المتخشع في الجلسة ارعدت من الفرق وليس هذا في رواية الترمذي ومسلم التي ذكرها المصنف وفي كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالرؤية بصرية وان كان مفعولا ثانيا فهي علمية ورعدتها من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا من تخشعه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة) تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة ليفهم عنه وهذا مروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها (يعرض عمن تكلم بغير جميل) لارضاه فيعلم باعراضه عنه انه غير مرضي له صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من وقاره ايضا وليس المراد به ان يكون حراما كما قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقر على مثله (وكان ضحكه تبسما) بدون قهقهة لشدة وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى تظهر منه السرور ويبدو الثنايا فقط واما ما ورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادته فيه على ما عهد منه اوهو نادر لا يعتد به (وكلامه فصلا) بفاء وصاد مهملة اي فاصل بين الحق والباطل اومفصل لتمهله فيه قال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل (لا فضول) مصدر اي لا زيادة فيه وقيل انه في الاصل جمع فضل بمعنى الزيادة فخص بما ذكر ولذا قيل في النسبة له فضولي ولم ينسب للجمع (ولا تقصير) فيه حتى يخل بفهم السامع (وكان ضحك اصحابه عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (التبسم توقيرا له واقتداء به) لتخلقهم باخلاقه وتأدبهم بآدابه (مجلسه مجلس حلم) بكسر الحاء وسكون اللام وفي نسخة حكم بضمهما مع الكاف (وحياء) منه ومن اصحابه (وخير) لاحسانه ولطفه وتعليمه (وامانة) يأمر المتكلمون فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحبون افشاءه كما ورد في الحديث المجالس بالامانة (لا ترفع فيه) اي في مجلسه (الاصوات) لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي *

و اما كونه وقع مثله بحضرته في قصة الافك فنادر لايعتد به (ولاتؤبن فيه الحرم) بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتؤ بن من آبنه يأبنه اذا عابه ورماه بقبيح اصله الابنة وجمعها ابن وهي العقدة في القسي تفسدها وتعاب بها ووقع في بعض الحواشي تؤبر براء بدل النون وفسره بما ذكر على انه مأخوذ من المأبر التي واحدتها مبرة اومن ابرته العقرب اذا لدغته بابرتها وهي آخر عقد ذنبها وهو تصحيف كانه وجده في بعض النسخ فاتبعه والمذكور في كتب اللغة كالنهاية والجوهري وغيرهما هو الاول وصرح ابن فارس في المجمل بان الحديث مروى هكذا والحرم جمع حرمة وهي كل مايحرم هتكه واما استعماله بمعنى المرأة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد به هنا النساء لانه ورد في الحديث نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفي حديث الافك * اشيروا علي في اناس آبنوا اهلى * انتهى يعنى انه محفوظ من الرفث واللغو لقوله فهو من وقاره ايضا لقوله (اذاتكلم اطرقوا جلساؤه) اى طأطؤا رؤسهم توقيرا له صلى الله تعالى عليه وسلم منصتين لكلامه (كانما على رؤسهم الطير) وصفهم بالسكوت وعدم الحركة والطيش لان الطير لاتكاد تقع الا على شيء ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون معروسة في رياض مجلسه كما قال في البردة * كانهم في ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحزم لامن شدة الحزم * وقلت في المقصورة * كانما الطير على رؤسهم * من كل غصن في ربا المجد نما * والطير جمع اواسم جمع لطائر وهو معروف (وفي صفته صلى الله تعالى عليه وسلم) في مشيه وهو خبر مقدم وقوله (يخطو تكفأ) مبتدأ لانه اريد به لفظه فهو كقوله لاحول ولاقوة الا بالله كنز من كنوز الجنة اى قيل في وصفه هذا ويخطو مضارع خطا المعتل اذا مد رجله ومشا والخطوة بالضم ما بين القدمين و بالفتح المرة وتكفأ بفتح المثناة والكاف وفاء مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمز وبه روى فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا و شما لا كمشى المختال و الصواب تفسيره بمال الى جهة ممشاه كما يدل عليه قوله كانما ينحط من صبب اى من علو لا تمايل فانه غير مناسب وقد ورد في حديث ابن ابى هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذريع المشية اذامشى مشى تقلعا اى يرتفع عن الارض بجملته وروى قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو ادل على التثبت والشجاعة وهكذا كان اولو العزم عليهم الصلوة والسلام (ويمشى هونا) بفتح الهاء وسكون الواو اى برفق ولين من غير تمايل مع الترفق والتثبت قال الله تعالى * يمشون على الارض هونا * قال مجاهد بالسكينة والوقار (كانما ينحط من صبب) بفتحتين اى ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر و في رواية كانما هو من صبوب

بالضم والفتح وهو ما يصب من ماء ونحوه اى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يستعجل واما قول ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما تطوى له الارض انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث فانما هو لسعة خطوته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لا يلحق مع تمشيه وتمهله (وفى الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا) اى يتقل اعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه الشريف ويديه فهو صلى الله عليه وسلم فى مشيه قوى غير مسترخ (يعرف فى مشيته) بكسر الميم وفتحها (انه غير غرض) بفتح العين المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة اى غير قلق ولا ضجر ولا ملل (ولا وكل) بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذى يكل امره لغيره وحكى عن فيه كسر الكاف كما قاله التلمسانى والدلجى وهو انسب هنا لموازنته لما قبله وفسره بكسلان وقوله (اى غير ضجر ولا كسلان) يعنيه فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم انبساط من الغم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون غرض بمعنى ساق كقوله * انى ضجرت الى تناصف وجهها * * غرض المحب الى الحبيب الغائب * وليس مرادا هنا (وقال عبد الله بن مسعود) رضى الله تعالى عنه رواه البخارى واصحاب السنن (ان احسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والهدى بدال مهملة بوزن الرمى السمت والسيرة والطريقة والحالة التى تكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الراوى وقد روى مرفوعا ايضا وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اشبه الناس هديا بهدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا عمر وابنه رضى الله تعالى عنهما فلذا كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يتشبهون به فى هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروى بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال (وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما) اخرجه ابو داود والامام احمد فى الزهد (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل او ترسيل) كذا فى النسخ باو اشارة الى انه روى بكل منهما على حدة وفى المصابيح بالواو لتقارب معناه فالعطف تفسيرى فلا منافاة بينهما كما قيل اى يبين الكلام من غير عجلة وغموض حتى يسبق فهم السامع اليه وقيل الترتيل التبيين والترسل التؤدة فالترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان (قال ابن ابى هالة) المتقدم ترجمته (كان سكوته) صلى الله تعالى عليه وسلم (على اربع) اى يقع على اربع خصال فيه (على الحلم) اى يسكت تارة لحلمه على من تكلم عنده بما يقتضى المؤاخذة (والحذر) اى الاحتراس من كلام يعادى لامر يخشى منه

(و التقدير) اى يقدر صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه و سكوته مايليق به وغيره (والتفكر) فى مصنوعات الله ونحو ذلك (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لوعده العاد احصاه) اي لواراد عده عده بسهولة اولوعده حصره بحيث لايفوته منه شئ لقلته وتثبته وعدم سرعته فيه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب و الرايحة الحسنة) الطيب كل ماتطيب به من بخور ومسك و زعفران ونحوه و الرايحة الحسنة تشمل رايحة غيره كالريحان و سائر الزهور العطرة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لايرد هديتها (و يستعملهما كثيرا) فى اكثر اوقاته لملاقاته الملك فانها تقوى الحواس و الملائكة عليهم الصلاة و السلام تحبها وتكره الرايحة الخبيثة بعكس الشياطين (و يحض عليهما) بضمير التثنية للطيب والرايحة وفى نسخة عليها بالضمير لها لانها المقصود من الطيب لالانها اعم كما قيل لتغايرهما اى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحث الناس و يحرضهم على استعمال ذلك لما لهم فيه من الفوائد و لحضور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم ولملاقاتهم له برايحته ومن مروة الانسان نظافته و طيب رايحته (و يقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة) وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة فى التفاسير كالاحياء والكشاف غير ثابتة عن اكثر المحدثين وما فى عطف جعلت فان محبة النساء من هدى الانبياء عليهم السلام كداود وسليمان وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوة الجماع ماليس فى غيره وقال فضلت على الناس باربع بالسماحة و الشجاعة وقوة الجماع و شدة البطش وكان فيه صلى الله تعالى عليه و سلم قوة اربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من اهل الدنيا وهذا مع قلة اكله وشربه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث اخرجه اصحاب الكتب الستة وكان اكثر طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم الذريرة وهوطيب يجئ من الهند معروف مركب وتقدم انه انما قال حبب بالبناء للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبيعة لاشهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث اما ان يكون اكتفى باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب تفعله كقوله ﴿ كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم ﴿ من العبيد وثلث من مواليها ﴾ او الثالث الصلاة و قرة عينه صلى الله تعالى عليه و سلم فيها و جعلها من الدنيا لوقوعها فيها او يكون تغييره العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع فى بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم ومر الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان اثبتها الزمخشرى والغزالى فى الاحيا وكذا المصنف رحمه الله تعالى تبعالهم وقد افردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه ايضا النسائى

فى سننه وفى رواية له بلفظ حبب الىّ من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة ومن هذا الوجه اخرجه احمد وابو يعلى فى مسنديهما وابو عوانة فى مستخرجه على الصحيح والطبرانى والبيهقى وآخرون كالحاكم فى مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت وقال صحيح على شرط مسلم واخرجه ابن عدى فى كامله وقال العقيلى انه ضعيف (ومن مروته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ فى الطعام والشراب) المروة من المرء وهو الانسان فهى بمعنى الانسانية ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك مايخل به فارتكاب مايكرهه الصاحب مخل بالمروة والنفخ فيه اذكراما للتبريد اواراحة قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله او يكون النفس متغيرا فيؤثر فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر واماطة ماعليه باراقة وخلال ونحوه ولذا نهى عن التنفس فى الاناء حال الشرب واما ماورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتنفس اذاشرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب وينحى الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع فى الشرب وقد ورد ان النفخ فى الطعام يذهب البركة منه كما ورد ابردوا بالطعام فان الحار لابركة فيه وفى لفظ غيرذى بركة وليس المراد بارادة نفخه حتى يبرد بل اكله باردا بان يصبر عليه حتى يبرد فلامنافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لايلتذ بمضغه وبلعه اولشدة حرارته يهضم سريعا فلايسع شبع غيره (و) من مروته صلى الله عليه وسلم (الامر بالاكل ممايلى) كل احد من الطعام لحديث عمر بن ابى سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت غلاما فى حجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان امه ام سلمة رضى الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت يدى تطيش فى الصحفة وقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك اى لامن الوسط ولاممايلى غيره فهذا امر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وورد مثله فى احاديث اخر وقال ايضا تنزل البركة فى وسط الطعام فكلوا من حافته اومن حاشيته وهذا امر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب وقال الشيخ تاج الدين السبكى من الفوائد الفقهية فى هذه المسئلة التى لا تكاد تعرف لان الشافعى رضى الله تعالى عنه نص فى الام فى الجزء السادس عشر فى باب صيغة النهى عن اكل الانسان ممايليه واجب ولو لم يفعله اثم ان كان عالما بالنهى انتهى ولعله اذا علم عدم رضاء صاحبه وجليسه بذلك قيل وهذا اذالم يكن الاكل من ذلك بقصد التبرك بمس يده وعليه حمل ما فى حديث الدباء انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتبعها وهو ايضا فى غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها من اى جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله وفاكهة مما يتخيرون وفيه لطف خفى (والامر بالسواك) امر ندب وشدد بعض الشافعية فاوجبه للصلاة والسواك اسم للعود الذى يستاك به وللفعل وهو الاستياك

والمراد الثاني او الاول بتقدير مضاف اي استعمال السواك وعده من المروة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم (وانقاء) بكسر الهمزة وسكون النون وقاف بعدها مدة من انقاه اذا نظفه كنقاه (البراجم) بباء موحدة وراء مهملة والف وجيم وميم جمع برجم او برجمة بضم الباء والجيم وهي مفاصل الاصابع التي بينها والسلاميات من ظهر الكف التي ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهي المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هي مفاصل الكف كلها و الاشاجع جمع اشجع وهي اصول الاصابع المتصلة بالكف (والرواجب) براء مهملة وواو والف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس وقيل جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهي المفاصل التي تلي الانامل و قيل هي مفاصل اصول الاصابع و قيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع و واحد السلاميات سلامى بضم السين و فتح الميم مقصورة و تفصيله في كتاب خلق الانسان وجزم البرهان الحلبي باب البراجم العقد المتشنجة في ظهور الاصابع و هي مفاصلها ونقل عن ابي عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهي اللائق بكلام المصنف فيدل عليه لا على ما في الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التي بين الاشاجع والرواجب وهي رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت والراجبة في الاصابع واحدة الرواجب وهي المفاصل التي تلي الانامل ثم البراجم ثم الاشاجع التي تلي الكف انتهى لئلا تكون المفاصل التي تكون الكف خارجة اذ هي على ما فيه غيرهما وعند ابي عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنقى كما تنقى التي بين الانامل و التي بينهما كما قيل (و استعمال خصال الفطرة) الخمس فيما رواه الشيخان الختان و الاستحداد اي حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد مسلم رحمه الله تعالى المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو داود الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فرق الرأس كما تقدم تفصيله المعنى عن اعادته والفطرة بكسر الفاء معناها الخلقة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها والمراد السنة التي امر بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر

فصل

(واما زهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا) الزهد معناه ترك الدنيا و لذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة اقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض وصف اولياء الله به فضلا عن انبيائه عليهم الصلوة و السلام لان الدنيا لا تساوي عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة و ما بالي اعظم ملوكها ببعض منها بل اقل قليل من اقلها وعنده معنى الزهد ترك ما يرغب نفسه فيه فمن لا رغبة له في شئ منها

لايسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا او بترك مامن شانه ان يرغب فيه والى هذا اشار الغزالى فى الاحياء فى وصفه باعلى طبقات الزهد نظرا الى الاول وخنع الى انه من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولايرضى وصفه به نظرا الى الثانى واما طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم للدنيا الضرورية فى المعاش فليس لرغبته فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلاينافى فى الزهد ايضا واليه يشير صاحب البردة بقوله* واكدت زهده فيها ضرورته* ان الضرورة لاتعدو على العصم* ومن شرط الزهد ايضا القدرة وقال ابن المبارك لما قيل له يازاهد الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها (فائدة قال ابو يزيد البسطامى قدس سره بفتح الباء قد مر علينا شاب من بلخ حاجا فقال لى ماعلامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ قلت فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (وقد تقدم من الاخبار) التى فى صفاته فى اول الباب (فى اثناء) اى فى خلاله ومابينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة ومعناه ما اتى ودخل بعضه فى بعض (هذه السيرة) اى هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم او المراد سيرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (مايكفى) طالب سيرته ويغنى عن اعادته هنا (وحسبك من تقلله) اى يكفيك فى معرفة تقلله اى قنعه بالقليل (منها) اى من الدنيا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم منها واكتفائه فى ضرورياته بالامر الزهيد القليل وهذا لاينافى زهده (واعراضه عن زهرتها) اصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويسكن الثانى اى تركه صلى الله تعالى عليه وسلم مايرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته فى الرباعيات

* من حرصك بالعناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل*

* ما زهرة هذه الحياة الدنيا * للفرك باعل المنا تحتمل*

(وقد سيقت اليه) اى ساق الله تعالى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها (بحذافيرها) اى بجملتها وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره اى جميعه بحيث لم يبق منه شئ جمع حذفور اوحذفار وهو الناحية وفى النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالى وكنى به عما ذكر وهو اشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم (وترادفت عليه فتوحها) اى تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو اراد توسع فيها وانفق واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى باقل قليل منها والجملة حالية ان اومعترضة ان

بين المبتدأ وخبره افادتا كمال زهده صلى الله تعالى عليه وسلم لان من كان هذا حاله وزهده فزهده ابلغ زهد واتم عفاف اى كافيك مماذكر حال حصول ما ذكر (الى ان توفى) بالبناء للمجهول اى حضرت وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ودرعه مرهونة عند يهودى) اى والحال هذه والدرع معروفة تذكر وتؤنث والاكثر تأنيثها واليهودى كان يسمى ابا الشحم من ظفر من موالى الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وانما عامله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه لم يحضره اذ ذاك منهم من يقترض منه ولانه لو طلب صلى الله تعالى عليه وسلم منهم واعلمهم بضرورته وهو ذلك ولم يرضوا باقتراضه منهم فاخفى حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة واهل الذمة (فى نفقة عياله) فى للتعليل كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة عذبتها والعيال اهل البيت ومن تلزمه نفقته والذى اقترضه صلى الله عليه وسلم ثلاثون صاعا وروى عشرون صاعا من الشعير (و) كان فى حال اقتراضه (هو يدعو ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) القوت كل ما يتقوت به الانسان من الطعام اى اجعله بمقدار ما يسد الرمق من غير زيادة وقد استشكل هذا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم مات وله حصون واراضى وعنده مما افاء الله عليه ارض مخيريق وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك يكون به صلى الله تعالى عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على اصوع شعير واجاب عنه ابن الصلاح فى فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث عنه وقال انا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان فى ملكه وقد اعده لمصالح المسلمين واخراجه ما يحصل منها اى ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فاختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوزان يقال فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير كما مر (واقول هنا دقيقة وهى ان رياضة النفس بالجوع تصفى الذهن وتقوى الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان اهل الملل يتعبدون بذلك ولما لم تكن فى الدين المحمدى لما فيها من الحرج فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة وابرزه بصورة الفقر لئلا تقتدى به امته فيه ولحبته لذلك طلبه من الله تعالى له ولاهله فافهمه فانه دقيق جدا (حدثنا سفيان بن العاصى) هذا الحديث رواه مسلم والبخارى وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغسانى لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة (والحسين بن محمد الحافظ) بن عيسى قاضى سبتة شيخ المصنف احد الاعلام وقد اكثر المصنف رحمه الله تعالى الرواية عنه توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة (والقاضى ابو عبد الله التميمى قالوا حدثنا احمد بن عمرو) قد تقدمت ترجمتهما (قال

حدثنا ابو العباس الرازى قال حدثنا ابو احمد الجلودى) بفتح الجيم نسبة لقرية
بافريقية وقيل بالنسام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم قال (حدثنا ابن سفيان
حدثنا ابو الحسين بن الحجاج) مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله قال
(حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابومعاوية) محمد بن حازم
بمعجمتين الضرير الحافظ احد الائمة الاعلام الا انه كان مرجئا روى له الستة وتوفى
سنة خمس او اربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة فى الميزان (عن الاعمش) ابو
محمد سليمان ابن مهران الكاهلى احد الاعلام روى عن انس وابن ابى اوفى وغيرهما
وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو الف وثلثمائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين سنة
ومات فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين ومائة واخرج له الستة وترجمته فى الميزان
(عن ابراهيم) بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعى الكوفى الفقيه
الزاهد رأس عصره رأى عائشة رضى الله عنها واخرج له الستة وتوفى سنة ست
وتسعين (عن الاسود) بن يزيد النخعى العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر
جلده وكان يختم القرآن فى كل ليلتين وتوفى سنة اربع او خمس وسبعين وهو ثقة
اخرج له الستة (عن عائشة رضى الله عنها قالت ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ثلاثة ايام تباعا) اى متتابعة متوالية (من خبز) بر كان اوشعيرا وفى نسخة
من خبز بر (حتى مضى لسبيله) اى حتى توفى لان الموت طريق يسلكه كل احد واول منزل
منه القبر (وفى رواية اخرى) رواها البخارى (من خبز شعير يومين متوالين ولوشاء)
الدنيا وترفهها ونعيمها (لاعطاه الله عزوجل مالايخطر ببال) البال القلب والعقل والفكر
وخطر يخطر بضم الطاء وكسرها خطورا اذا ذكر وتصور اى يعطيه منها كل امر
نفيس لم يتصوره احد من الناس لجلالته وعظمته وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف
(وفى رواية اخرى) رواها مسلم (ما ترك) اى ماخلف تركة (رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم دينارا ولادرهما ولاشاة ولابعيرا) وفى رواية ولاشيئا ولذا قال عبدالله بن ابى
اوفى ما اوصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته لانه لامال عنده يوصى به
وانما اوصى بكتاب الله وادعاء الشيعة انه اوصى وان عليا كرم الله وجهه وصى لااصل
له ولم يثبت (وفى رواية) فى الصحيحين (ما شبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم من خبز حتى لقى الله عزوجل) وفى البخارى ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من
طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وفيه روايات كثيرة متقاربة المعنى
وانه ما جمع بين غداء وعشاء وفى رواية من خبز وزيت وفى رواية ما اكل اكلتين فى يوم
قيل وهذا مشكل بما ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع لاهله قوت سنة وانه
ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من الغنم والف بعير ونحوه كما مر وان الصحابة كابى
بكر وعثمان وطلحة كان لهم اموال كثيرة رضى الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله

تعالى عليه وسلم اموالهم وانفسهم واحيب بان ذلك كان في حالة دون حالة
وان ذلك للارشاد وكراهة الشبع لا لضيق اليد وعن عايشة رضي الله تعالى عنها من
حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما فتحت قريظة اصبنا شيئا من التمر والودك
وروى لما فتحت خيبر قلنا الان نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في ضيق
قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنايح فلما فتحت بنو النضير وما بعدها ردوا ذلك
عليهم (اقول هذا ينافيه ما من انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف
تكون العسرة زالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع ما قاله ابن الصلاح رحمه الله تعالى
كما مر قريبا وما قاله هذا الشارح لا يسمن ولا يغني من جوع (وفي حديث عمرو بن الحارث)
الذي رواه البخاري (ما ترك) اي ما خلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله (الا سلاحه
وبغلته وارضا جعلها صدقة) هذا بعض حديث اوله ما ترك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضاء
وسلاحه وارضا جعلها صدقة وتفصيله في السير فانهم قالوا كان له صلى الله تعالى
عليه وسلم تسعة اسياف لكل منها اسم ودروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس
وخمسة رماح وقال مغلطاي اربعة ومغفران وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة
وراية بيضاء او صفراء وكان مكتوبا على راياته صلى الله تعالى عليه وسلم * لا اله الا الله
محمد رسول الله * وفي الميزان انها لم تكن الا بيضاء ولم يبين ما وجد منها عند موته واما
بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فهي الدلدل التي اهداها له المقوقس وعاشت بعده
صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ذهبت اسنانها فكان يجش لها الشعير ثم ماتت
بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية رضي الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه
قاتل عليها واما بغلته فضة فوهبها لابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه والارض
المذكورة فدك والنضير وارض بخيبر وهي مفصلة ومعنى كونها صدقة انه
وقفها لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يأخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر الحاجة ويتصدق بباقيها فكل ما عنده
صلى الله تعالى عليه وسلم كان مرصدا لا ملكا فلذا لم يورث عنه كسائر الانبياء
عليهم الصلوة والسلام واما قوله * يرثني ويرث من آل يعقوب * فالمراد منه انه
يرث علمه وحكمته وشرفه كما صرحوا به وضمير جعلها للارض والجملة صفة او مستأنفة
استئنافا بيانيا او الضمير للمذكورة (وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث
رواه الشيخان (ولقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله
ذو كبد) هو كناية عن كل حيوان انسانا او غيره والكبد معروف وهو احد الاعضاء
الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذاء الى الجسد كله وهذا مناف لقولها ما ترك
درهما ولا دينارا ولا شيئا ووفق بينهما بان المنفي ما كان مختصا بها من بقية نفقتها
او المراد بالشيء وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع او هو لعدم الاعتداد

بما ذكر لقلته (الا شطر شعير) الشطر النصف كالشطير او البعض مطلقا وفي النهاية
اراد به نصف مكوك او نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع (في رف لي)
بفتح الراء المهملة وتشديد الفاء سنه الطاق في الحائط ويطلق على خشبة عريضة
ترفع عن الارض تعد لوضع ما يراد حفظه وهو الرفوف ايضا والاول اقرب لان
الخشبة لا تحتمل وضع هذا المقدار عليها وتمة الحديث فاكلت منه طويلا ثم كلته
ففنى وفيه اشارة الى ان الكيل كالعد يذهب البركة وقد وردت وله نظائر كما في مسلم
عن جابر رضى الله تعالى عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه
فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامرأته ووصيفه يأكل منه حتى كاله فاتى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره فقال لولم تكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم
التوكل والتمسك بالاسباب المعتادة واما ما ورد في حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم
فيه فاجيب عنه بانه عند التبايع لحق المشترى فتأمل (وقال) اى النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم (لى) اى لعائشة وفي شرح ابن اقرس وقال بي الى بدل اللام
اى ادنى واقرب الى فطلب صلى الله تعالى عليه وسلم دنوها منه لبسارها وقال
حكاية لحال ماضية (انى عرض على) بالبناء للمجهول وفي رواية عرض على ربى
يقال عرض له وعليه اذا اظهره له واراه اياه والمراد اعلمه بالوحى (ان يجعل لى بطحاء
مكة ذهبا) البطحاء والابطح واد تجرى فيه السيول او بطن واد فيه رمل وحصى
او مكان لا ينبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملأه به
او ان يقلب حصاه ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشائها من العدم غير مستحيل
لوقوعه والله قادر على كل شئ (فقلت لا يارب) اى لا اريد جعل البطحاء ذهبا
(اجوع يوما واشبع يوما) استيناف كانه قيل له فما تريد قال اريد الفاقة وان اكون
تارة جائعا وتارة شبعان لزوما لمقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين ما يكون عليه
فقال (فاما اليوم الذى اجوع فيه فاتضرع اليك) فيه والتضرع الدعاء بتذلل
وانكسار من الضراعة وهى الذلة والالتجاء (وادعوك) اى اطلب منك وفي
الدعاء مناجاة والتجاء ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك (واما اليوم الذى
اشبع فيه فاحمدك واثنى عليك) لما انعمت به على ولا وجه لما قيل هنا من انه تعليم
لفقراء امته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين الى غير
ذلك مما اطال فيه بغير طائل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذى عن ابى امامة
رضى الله تعالى عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا شبعت شكرتك
وحمدتك (وفي حديث آخر) قال السيوطى لم اجده هكذا ولكن البيهقى رحمه الله تعالى
اخرجه في الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما ما امسى لال محمد كف سويق ولا سفة دقيق
فاتاه اسرافيل عليه السلام فقال ان الله سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض

وامرني ان اعرض عليك إن احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فقلت الى آخره واخرج ابن سعد وابن عساكر في تاريخه من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو شئت لسارت معي جبال الذهب ولاحمد في الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة وللطبراني نحو منه من حديث ام سليم رضي الله عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو سألت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل واخرج احمد حديث الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له قد يجمعها من لاعقل له مختصرا عن عائشة رضي الله تعالى عنهما (قلت ما ذكره المصنف رواية بالمعنى من عدة احاديث (ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ان ربك يقرئك السلام) اي يسلم عليك ويحييك تحية اكرام قال في الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء من المزيد واذا قيل يقرأ عليك السلام يعلى فيفتح الياء لاغير وقيل هما لغتان وهو مهموز لامعتل وجوز ابدال همزته واوا وياء ومعنى اقرأه حمله على ان يقرأ عليه سلامه اي يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ مأخوذ من القراءة ومعنى قرأه عليه ذكره له (ويقول لك أتحب ان اجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت) اي تسير معك وتتوجه انى توجهت (فاطرق ساعة) اي طأطأ رأسه يفكر فيما يجيبه به صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم قال ياجبريل ان الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له) الدنيا مقابل الآخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب ويطلق على هذا العالم المشاهد وكل مافيه من المال وغيره وعلى الارض التي هي مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله دار من لادار له اي لانها فانية لايقيم فيها احد ولذا شبهت بالخان الذي ينزله المسافرون وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال * وانا في الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسري * وقوله مال الى آخره اي انما يملكه المرء فيها سيسلب منه فهو عارية اووديعة فصاحبه لاملك له حقيقة فكل غني فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لافرط له وذخر من لاذخر له (قد يجمعها من لاعقل له) قد للتحقيق لان من جمع الدنيا كثيرا وهي لتقليل جمعه وحيازته لها فانه يجمعها بعد بلوغه ورشده لموته ثم يفقدها الى مالا نهاية له اولمتعلق الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة لغيره قليل اوعلى هذا حمل قوله قد يعلم ما انتم عليه وانما هم عليه بالنسبة لبقية معلوماته اقل قليل وهي مستعارة تهكما للتكثير كقوله * قد اترك القرن مصفرا انامله * وان كان في البيت راع * ليس هذا محله وجعله لاعقل له لتنزيل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالآخرة ويهديه الى الاكتفاء من الدنيا بزاد المسافر الذي يبلغه منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال الفقهاء لو اوصى لا عقل الناس

صرف للزهاد وقال الشاعر

* ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا *
* نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحي وطنا *
* جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا *

(فقال له جبريل عليه الصلوة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) المراد بالقول الثابت الحق لانه دائم لايزول والمراد به حق مخصوص عقائده وهواما دعاء له او اخبار بان الله امتن عليه فانه محض فضل الله واطعمه فانه الذي ثبته على هذا (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها) في حديث صحيح رواه الشيخان انها (قالت ان كنا آل محمد) المراد باله اهل بيته عليه الصلاة والسلام وله معان اخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة (لنمكث شهرا مانستوقد نارا) اي ما نوقد نارا فالسين للتأكيد او المراد مانطلب من احد نارا نوقدها وهذا كناية عن انه ليس لهم مايطبخ (ان هو الا التمر والماء) وان نافية وهو ضمير الطعام والمأكول اي ماعندنا ما يؤكل ويتغذى به الا التمر والماء وروى وانما هو الاسودان التمر والماء قيل هذا كان في بعض الاحوال (وعن عبد الرحمن بن عوف) الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه عن الترمذي والبزار وغيرهما باسناد جيد (هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اي توفي والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل في حق النبي وغيره قال الله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * واما اختصاصه بميتة السوء كالقتل فعرف طار واذا كثر استعماله في الاعداء فيقال هلك عدو الله وقد يرد في الحديث والاهانة عند تمهم من ذكر العد ونحوه (قلت فلا يجوز لنا الآن اطلاقه على من كرمه الله والصحابة ونقتصر فيه على ماورد منه من غير تكثير كما رد في حق يوسف عليه الصلاة والسلام حتى اذا هلك وكذا ورد في حق غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يختص بمن استحق العذاب الابقربية (ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير) واول الحديث عن نوفل بن اياس الهذلي قال كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه جليسا لي وكان نعم الجليس وانه انقلب بنا ذات يوم حتى اذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج واتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا ابا محمد مايبكيك قال هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير فلا نرانا اخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم انه ورد في معناه احاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم فيه من الاشكال وجوابه والى تقويه هذا اشار بقوله (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها وابي امامة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم نحوه) اما حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ففي الصحيحين عنها انها قالت ماشبع رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض وحديث ابى امامة رضى الله تعالى عنه فى الترمذى بهذا اللفظ ايضا وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عنه هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى آخره كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى وسياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا اكتفى بذكره والاحسن انه مافى الصحيحين ايضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عمر رضى الله تعالى عنه حدثه انه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعتزل نساءه فاذا هو مضطجع على حصير قد اثر بجنبه فقلبت عينى فى خزانته فاذا هى ليس فيها شئ غير قبضتين من شعير وقبضة من تمر فابتدرت عيناى فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال مالى لا ابكى وانت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم فى الثمار والانهار وانت هكذا قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا فقلت بلى يارسول الله قال فاحمد الله عز وجل (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالى المتتابعة طاويا) حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل طاوين لان المقصود حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وحال اهله يعلم من حاله لانهم يتبعونه فى كل حال وطاويا يعنى جائعا لان الطوى الجوع كما ذكره الجوهرى والليالى منصوب على الظرفية وقوله (لايجدون عشاء) بفتح العين والمد الطعام الذى يقابل الغداء وخصه لقوله يبيت والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث اخرجه الترمذى وابن ماجة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه البخارى (قال ما اكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة وضمها فارسى معرب ويقال اخوان بزنة اكرام وهو والمائدة والميدة بمعنى وان فرق بينهما فى الاصل بان الخوان ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمى مائدة والاكل عليه عادة المتكبرين حتى لايحتاجون للانحناء اذا اكلوا وقيل انه عربى من التخون وهو التنقص ويجمع على اخونة وخون واما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر وتكون بمعنى ما يوضع عليه الطعام من الاديم ايضا (ولا فى سكرجة) قال الحوالق هى بضم السين المهملة وضم الكاف وفتح الراء المهملة المشددة وجيم وهاء وهى اعجمية معربة وقيل الصواب اسكرجة بهمزة مضمومة قد جاء فى الحديث الصحيح بدون همزة ومعناه مقرب الخل ولذا قيل معناها قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات فى جوانب المائدة فيها ما يعين على الهضم وقيل قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة وعلى كل فهى مما يصنعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والجيم والهاء علامة التصغير عندهم وقيل فيها ايضا سكيرجة (ولا خبز له مرقق) بالبناء للمجهول ومرقق بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المبسط الرقيق وقيل

هو الحوارى والسميد بدال مهملة او معجمة وفى رواية مرقاة بالنصب تمييزا ومفعول ثان لخبز لتضمنه معنى الجعل و المراد ان خبزه صلى الله عليه وسلم لم يجعل من بياض الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل (ولا رأى شاة سميطا قط) سميط فعيل بمعنى المفعول اى لم يطبخ له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة بتمامها بعد سمطها اى غلها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان ماذكر فى الجلال الصغيرة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه الشيخان (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ينام عليه ادما) بفتح الهمزة والدال المهملة والميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين وقيل انه مخصوص بالاسود (حشوه ليف) والليف مايكون من النخل وهو معروف (وعن حفصة رضى الله تعالى عنها) بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ام المؤمنين وحديث حفصة رواه الترمذى فى الشمائل منقطعا وحديثهما لاينافى حديث عائشة المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى كان عندها (كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته مسحا) بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مستعد للفراش شبه الكساء و يقال له حبل وقيل هو ثوب اسود من شعر يلبسه الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح و على كل حال فهو شئ غليظ يتنزه عن مثله اصحاب الترفه (نثنيه ثنيتين فينام عليه) اثنى بكسر فسكون والمثنى مااثنى بعضه على بعض وعطف اى نجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون الحس واوطأ للنوم عليه وتثنيته ثنتان وجمعه اثناء وروى ثنتين بمثناة فوقية مكان الياء المثناة التحتية والمعنى واحد والنسخة الاولى اصح واشهر (فثنيناه له ليلة باربع) طاقات ليكون الين مهادا من الثنيين (فلما اصبح صلى الله تعالى عليه وسلم قال مافرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له) وهو انهم جعلوا فراشه اربع طاقات (فقال ردوه بحاله) الاول وهو الثنيان (فان وطاءته) بفتح الواو والطاء المهملة والمدة وتاء تأنيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة او فعلة بفتح فسكون وهمزة غير ممدودة على وزن فعلة اى لينه تحت حسى لكثرة طاقاته وتضعيفها (منعتنى الليلة صلاتى) اى ان لينه لدله عليه السلام النوم فنام اكثر من معتاده لان فراشه المعهود لم يؤذه حتى ينبهه فانقطع عن بعض القيام لتهجده ليلا لزيادة نومه (وكان صلى الله عليه وسلم ينام احيانا على سرير مرمول) وينام الاول على فراش على الارض ومرمول براء مهملة وميمين بمعنى منسوج (بشريط) او غيره و لشريط بشين معجمة وراء وطاء مهملتين بينهما ياء مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل او سعفه وجمعه حبال و واحده شريطة (حتى تؤثر) حبال شريطه (فى جسمه) لكونه بغير فراش يحول بينه و بينه وهذا من حديث طويل رواه الشيخان والترمذى وفيه وتحت رأسه وسادة من ادم

حشوها ليف وفي معناه احاديث اخر (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) قال التلمساني فيه اربع لغات فتح السين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع وسكونها مايشبع وا لظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره امابحسب الرواية فسلم واما بحسب الدراية فالظاهر الثاني لانه اسم عين وعلى الاول اسم معين ولامتلاء منه مجازي كامتلأ غضبا وقيل عليه ان المجاز املح من الحقيقة فهو اولى رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ولكنه لايمتلئ جوفه تمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على مايقوم به لاود ثم ملأ ثلث بطنه فان ثلثها للزاد وثلثها للماء وثلثها للنفس فان زاد فصفها ومازاد على ذلك حرص وبطنه غير ممدوحة وقد يحرم ان وصله للضرر والتخمة قصدا كما ان اول امرتبة واجب (ولم يبث شكوى لاحد) بفتح الياء التحتية وضم الباء الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى يذكر ويظهر يقال بث الخبر وابثه اذا نشره ويقال ايضا انثه بالنون وبهما روى قول قيس

*اذا جاوز الاثنين سرفانه * ينث وتكثير الحديث قمين*

والشكوى مذمومة فالذي يليق بمقام العارفين الصبر وكتم مابهم لاسيما والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسر بكل مايأتيه من الله ولايعده مؤلما بل يتلذذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا اشار بقوله (وكانت الفاقة) وهي الحاجة والفقر (احب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الغناء) قيل هذا يقتضي ان الفقرا فضل من الغنا وقد اختلف فيه على قولين ولكل منهما ادلة كقوله تعالى *ووجدك عائلا فاغنى* حيث امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنى ولادليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته والمفضول قد يكون في مقام له منة تزيد على الفاضل ولافي قوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فانه لم يذم الغناء بل ماقد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقير اخف والمختلف فيه هل الغني الشاكر خير ام الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء لحديث ذهب اهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم من ايام القيامة وهو خمسمائة عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة في الجانبين وقال الغزالي رحمه الله تعالى قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق الافي موضعين غني يستوي فيه الوجود والعدم ويستعان به دعاء المساكين وقضاء حوائجهم كغنى بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى يكاد يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه وجه من الوجوه والممدوح غنى النفس لاغنى المال من حيث هو والفضل كله في الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجة ولذا طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم

له ولا له (وان كان ليظل جايعا) ان مخففة من ان المكسورة الهمزة المثقلة النون
والجملة حالية ويظل بفتح المثناة التحتية والظاء المشالة من اخوات كان واصل معنى ظل
فعله نهارا لانه زمان يبدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل ليلا ونهارا وهو المراد
(يلتوي طول ليلته من الجوع) بتقديم اللام على التاء الفوقية وواو مخففة مكسورة وفي
نسخة يتلوى بياء مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام كذلك وواو مشددة مفتوحة
يليها الف ومعناه ينقلب على فراشه من الم الجوع من لواه ليا اذا صرفه عن جانب
لاخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا لزهده صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا
وصبره على مشاقها ليقمع شهوته ويقهرها ويرشد امته كذلك كما بينه بعد وقوله
(فلايمنعه) ذلك اوجوعه (صيام يومه) بالنصب بيمنع او بنزع الخافض اي عن
صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشيء فامتنع وقوله (ولوشاء) صلى الله تعالى
عليه وسلم الغنى او الشبع وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو لدلالة جوابها عليه
(سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها) ما بعد الكنوز مجرور جره عطفا
عليه ونصبه عطفا على جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهي
ما يحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة العلم
العمل ويجوز ارادة هذا هنا ورغد بفتحتين وقد يسكن ثانيه يقال فيه رغيد وارغد
والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما يتعيش به واصل معنى الرغد الواسع يقال ارغد
فلان اذا اصاب رغدا اي سعة وخصبا وغيره (ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به)
وفي نسخة لما ارى به اي مما اشاهده به او مما اعلمه به (وامسح بيدي على بطنه) كانه
مسحه تستريح بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليبرده ويسد صلبه وهذا الشفقة (مما
به من الجوع) اي من المه ثم تبين ان ذلك شفقة بقولها (واقول نفسي لك الفداء)
تقدم ان الفداء بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به الاسير ونحوه فيجعل
عوضا عنه ويقال افديه بنفسي وبامي وبابي ومالي وقد يقال بنفسي من غير ذكر للفداء
وتسمى الباء باء التفدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله تعالى عليه
وسلم فيقال لمن له شرف كالحكام والعلماء والصلحاء واعزة الاحوان قصد التوقيره
واستعطافه ولو كان محظورا كما قيل ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم ونهى عنه
من قاله له وقد قال له ابو بكر رضي الله تعالى عنه فديناك بآبائنا وامهاتنا وقال
صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد ارم فداك ابي وامي ومعه قوم لحديث مالك بن
فضالة ان الزبير رضي الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو
شاك فقال كيف تجدك جعلني الله فداك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم ما تركت
على اعرابيتك بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان هذا الحديث الواحد لا يقاوم
الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده في غير

محله لانه لاينبغي ان يقال ذلك لمريض بل يتوجع له ويقال لا بأس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل مقام مقال لا لان القائل له كان ابواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من قائليه لبس كذلك والاصل عدم الخصوصية (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) التبلغ مفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ مأخوذ من الزاد الذي يبلغ به المسافر منزله وضمنه هنا معنى اكتفيت اى لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمني (فيقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضي الله تعالى عنها (مالي وللدنيا) قيل ما نافية اى ليس لي الفة ومحبة مع الدنيا حتى ارغب فيها او استفهامية اى اي الفة ومحبة ورغبة لي في الدنيا وهذا من آثاره صلى الله تعالى عليه وسلم الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة تركها ثم بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل عليهم الصلوة والسلام فجرى على طريقتهم فقال (اخواني من اولي العزم من الرسل) تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام على خلاف فيهم وفي وجه تسميتهم بذلك (صبروا على ما هو اشد من هذا) كالحبس والعرض على القتل او غير ذلك مما علم من التفاسير (فمضوا على حالهم) اى استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم الى ان ماتوا (فقدموا على ربهم) اى لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم من احوال الآخرة في البرزخ (فاكرم مآبهم) اى اكرمهم الله في مرجعهم اليه يقال آب يؤب اذا رجع فهو اسم مكان او مصدر ميمي (واجزل ثوابهم) اى اكثر لهم العطاء والجزاء في دار المقام (فاجدني استحيي من الله عند لقائه (ان ترفهت في معيشتي) اى ان تنعمت وتوسعت في العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهي كالرغد السعة وقد كان الله خيره صلى الله تعالى عليه وسلم قبيل موته بين الخلد في الدنيا ولقائه فاختار لقاءه كما قاله ابن العربي وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها اى لترفهي ووقع في نسخة في معيشتهم اى في جنس معيشتهم والاصح الاولى (ان يقصر بي غدا) يقصر مبني للمفعول مع التشديد اى يقع التقصير او المقصر بالكسر حاله وعمله (دونهم) اى فيكون مقامي دون مقامهم لتنزل مرتبتي عن مرتبتهم والمعيشة تفعلة وجمعه معايش بلا همزة وقد تهمز قليلا كما بينه النحاة وهي ما يتعيش به وغدا بالمعجمة اليوم الذي بعد يومك والمراد به الآخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والآخرة لكونها بعدها بمنزلة غد استعارة (وما من شئ هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي) بالمد مضاف لياء المتكلم جمع خليل وهو قياس في المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام السابق ذكرهم (والرفيق الاعلى) وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لم يقبض نبي حتى يرى مقعده في الجنة ويخير بذلك فلما حضرته صلى الله تعالى

عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الاعلى كما في البخاري وفي النهاية الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين او المراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الرؤف وهو من اسماء الله كالاعلى والحوق بهم بمعنى كونه معهم (قالت) عائشة رضي الله تعالى عنها (فما اقام بعد) بالبناء على الضم اي بعد مقالته هذه (الا شهرا حتى توفي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي انتقل الى الآخرة واستوفى ايام عمره ﴿ فصل واما خوفه ربه ﴾ عز وجل ولما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحبسه نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجاء عقب الزهد بالخوف من الله و ربه منصوب مفعول المصدر واعلم انهم اختلفوا في خوف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام ابو الحسن الاشعري في كتاب الايجاز كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف الله بلا خلاف الا ان خوفه كان لما ذا فقال اهل الحق كان خوفه قبل ان آمنه الله من عقابه و بعده كان من عتابه و لومه في الدنيا كما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لما اعرض عن ابن ام مكتوم عبس وتولى الآية فاما بعد ان آمنه الله تعالى من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه آمنه منه واخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وسائر المكلفين ماداموا المكلفين في الدنيا لا بد ان يخافوا عقابه سواء امنهم ام لا دليلنا ان الخوف من شيء لا يجوز الا مع تجويز وروده به واما مع القطع بانه لا يحصل ابدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل فلو قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تأمين له الله من ذلك لادى الى كونه شاكا في خبره وانه صدق او كذب في اخباره بانه لا يتعلق به عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب اصلا انتهى وسئل شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي عن الانبياء و الملائكة عليهم الصلوة و السلام والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون عقاب الله تعالى بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفي الخوف و اثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم للنصوص من وجوه احدها ان حقيقة الخوف كما في الاحياء الم القلب لتوقع مكروه في المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفاء بحقوق الله على ما ينبغي والخوف بهذا المعنى محقق في جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يأمنه احد الا ان كان المأمون منه الانسلاخ عن النبوة والملكية والايمان في العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجاء والخوف متلازمان واشتراط الرجاء والخوف مما هو مشكوك فيه لا تأييد فيه لانهم لا يخافون لانهم على بينة و يقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكل على يقين من اصل الكمال وقد تعتريهم استشعار قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل و لا يجب عليه شيء و قد يشترط

ما اخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب اصل الكمال (الثاني ان الشافعي رضي الله تعالى عنه صرح بان الملائكة داخلون في قوله لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون لما اخرج ابن ابي حاتم من ان الله تعالى قال لهم ما هذا الخوف الذي بلغ منكم وقد اثرتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا يأمن مكرك الا القوم الخاسرون (الثالث ما في الاحياء ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام يخافون المكر لما روى ان النبي و جبريل عليهما الصلوة والسلام بكيا خوفا من ان يكون تأمينهم امتحانا ومكرا وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين فلا اشتبهة في ذلك لقوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم (فان قلت يرده ما روي عن الحسن انه قال لما نزلت هذه الآية خاف صلى الله تعالى عليه وسلم زمانا [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم في العبادة وقال افلا اكون عبدا شكورا وروي انه قال في الآية ان ذلك في الدنيا اما في الآخرة فمعاذ الله لانه اخبر بانه في الجنة فالمعنى ما ادري ما يفعل بي في الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه (قلت المراد خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من امور الدنيا واستيصال امته فامنه الله منه واما الخوف من الله فلا يأمنه احد (الرابع انه ورد في ادعيته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يدل عليه نحو اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك وقوله اللهم اني اعوذ بك من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تشريعا لامته ان يقولوه لانه لم يقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقهاء في الامن من مكر الله واليأس من رحمة الله فقالت الشافعية انهما من الكبائر وقالت الحنفية انهما كفر لقوله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وتمسك الشافعية بعدهما من الكبائر بما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقال ابن ابي شريف ان اريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان اريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو استبعادا يدخل في حد اليأس وغلبة الرجاء المدخل له في حد الامن فهو كبيرة لا كفر فان ورد اطلاقه عليه فللتغليظ او ارادة كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما ابن نجيم في رسائله وعلى ما مر عن الاشعري يخص الامن بغير من مر وعلى غيره هو باق على عمومه هذا خلاصة ما قاله الفقهاء والاصوليون في هذه المسئلة وههنا بحث فيما قاله وهو ان الاشعري امام اهل السنة وقد جزم بانهم عموما ذهبوا الى امنهم من العقاب كان دون العتاب وقوله افلا اكون عبدا شكورا يؤيده وما ذكر من الخوف والادعية فالظاهر الذي يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقوبته بل بمعنى ان يقدر عليهم امرا يقتضيه ما اصدر منهم لانه تعالى وان كان له ان يعذب كل احد لكن عدله وحكمته يقتضي ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا ومن علم

هذا وبطر لعظمته واستغنائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشي منه وهذا مقام
الكملين ولذا قال انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا الخوف لابد منه لكل احد
واما خوف العقاب بدون هذا مادام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه
يلزم عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا يحمل كلام الاشعري وهو مناف لما قاله ابن
حجر رحمه الله تعالى اذا عرفت هذا فقوله في شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله تعالى
معناه الاسترسال في المعاصي اتكالا على العفو لبس بسديد وليس محلا للخلاف (ثم
اقول الحق ما قاله الاشعري والذي ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لايقع وان الانبياء
خصوصا نبينا عليهم الصلاة و السلام بعد عصمته ومغفرة ما تقدم وما تأخر له
لايخشى احد عليه العقاب ولا يجوز تجويزه عليه اما هو فلعظمة الله ومهابته عنده
وعلمه بانه غني عن خلقه له ان يفعل بهم ما اراد فيخافه خوفا شديدا و يستعيذ
من عقابه وان لم يجوزه نحن وفي قوله تعالى* لاخوف عليهم ولاهم يحزنون * ايماء
لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لادليل فيه وكلام الغزالي لاحجة له فيه والآية التي
ذكرها مخصوصة بالدنيا او منسوخة كما في الكشاف (ولك ان تقول انه لشدة
خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الله قد يذهل عن تأمين الله له لاسيما مع مامر
ونظيره ما قاله السيوطي رحمه الله تعالى في اجوبة الاسئلة التكرورية في قول
يوسف عليه الصلوة والسلام توفني مسلما وهو يعلم ان كل نبي لايموت الا مسلما انه
دعى بذلك في حال غلبة الخوف عليه حتى اذهلته عن علمه ساعة الدعاء او غير ذلك
اظهارا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للامة
انتهى ثم رأيت ما قلناه صرح به ابن عربي في سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق
وانما اطلنا الكلام في هذا المقام لانه من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر فان مورده
لم يصف من الكدر ولنا عودة الى الكلام فيه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى
(وطاعته له وشدة عبادته) قربهما مع الخوف لتلازمهما معه (فعلى قدر علمه
بربه) قال القشيري رحمه الله تعالى العلم والمعرفة عند العلماء بمعنى وعند القوم
معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق في معاملاته وتنقى من ردى اخلاقه
وآفاته ومن امارات المعرفة حصول الهيبة وهي الخوف مع الاجلال ولذلك اشار
المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه واطاعه وعبده على قدر
طاقته وانما يعصي الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان محبة الله ومن احبه اطاعه
وتحت الرغوة اللبن الصريح (ولذلك قال) حدثنا وفي نسخة حدثني (ابو محمد
ابن عتاب قراءة مني عليه) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابو القاسم الطرابلسي) حاتم بن
محمد بن عبد الرحمن التميمي المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه
طرابلسي واطرابلسي بزيادة همزة في اوله وهي مدينة بالشام و بالمغرب والمشهور فيها

ترابلس بالتاء الفوقية وهو صحيح ايضا لانه اعجمي عرب بابدال التاء طاء وللك حكاية اصله والنطق بمعربه قال (حدثنا ابوالحسن القابسي) علي بن محمد بن خالد المعافري الامام الفقيه الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا ابو زيد المروزي) تقدم ايضا قال (حدثنا ابوعبد الله الفربري) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم قال (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومي الحافظ ابوزكريا المصري روى عنه البخاري وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة احدى وثلاثين ومئتائة (عن الليث) بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر واصله من اصفهان وكان نظيرا لامام مالك وكان اسخى الناس فقيل انه كان دخله في كل يوم الف درهم ولم تجب عليه زكاة توفي يوم الجمعة منتصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وادرك ناسا من التابعين (عن عقيل) مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ اخرج له الائمة الستة وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى واربعين ومائة (عن ابن شهاب) تقدم انه ابو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهري (عن سعيد بن المسيب) تقدم ضبطه وترجمته (ان اباهريرة رضي الله تعالى عنه) تقدم ايضا (كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم) من عظمة الله وجلاله وكبريائه هذا هو المناسب للترجمة او ما اعلم من احوال الآخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) يأتي بيانه وفي الحديث طباقان او ثلاثة بين قليل والبكاء والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر وهذا الحديث رواه المصنف رحمه الله عن صحيح البخاري وله فيه رواية اخرى عن الترمذي اشار اليها بقوله (زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه) بصيغة الماضي اي زاد هذا الكلام او مصدر فهو مفعول زاد (الى ابي ذر رضي الله تعالى عنه) يعني ان رواية البخاري السابقة رواية ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وهذه رواية ابي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خالف المصنف في عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فيقال رفعه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الصحابي وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة تقديره عازيا الى ابي ذر فلا مخالفة فيه لاصطلاحهم وسيأتي تتمته (اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون) المراد بما الموصولة فيهما مغيبات وامور في الملاء الاعلى اطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى واحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين في القبور ولاطيط السماء المشار اليه بقوله (اطت السماء) اصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا ضغطه ثقل ما عليه ونحو ذلك اي ان السماء لكثرة

ما فيها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وحق لها) بالبناء للمجهول اوهو مصدر مرفوع خبره مقدم لقوله (ان تئط) اى تصوت يسمع لها صرير لثقل ما عليها و على الاول هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه الحان متناسبة مطربة منها احذ الحان الموسيقى ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهد حماها وقيل انه انين من خشية الله وقال التلمساني هذا ايذان بكثرة ما في السماء من الملائكة وان لم يكن ثمه اطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استأنف صلى الله تعالى عليه وسلم مابين سبب اطيطها فقال (ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله) اى ليس فيها مكان خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة اكثر المخلوقات (والله لو تعلمون ما اعلم) من احوال الدنيا والاخرة الدال على عظمة الله تعالى وقدرته (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) اى لضحكتم ضحكا قليلا اذا سررتم برجاء عفو الله ونظرتم ما انعم الله به عليكم وبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك عن التنعم والتفكه بلذائذ الدنيا (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش وكنى بذلك عن مضاجعة النساء ومجامعتهن (ولخرجتم الى الصعدات) بضم الصاد و العين وفتح الدال المهملات جمع مؤنث سالم لصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى اى لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة و هي فناء الدار (تجأرون الى الله) اى تضجون وتصيحون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة والف وراء مهملة وهو الصياح ورفع الصوت اى تستغيثون الله وتتركون اهلكم ومساكنكم (لوددت انى شجرة تعضد) اى تقطع من اصلها يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام في جواب قسم مقدر ووددت بزنة علمت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت ويودى اذا تمنيت (قال البحتري) ويودى لو استطعت لحفت * بصر عن سيدى حين ملاء * وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشيء وتمنى كونه موجودا ويستعمل في كل واحد من المعنيين على ان التمني يتضمن معنى الود لان التمني يشتهى حصول ما يوده انتهى والمراد تمنيه ان يكون غير ذى روح فلا يبعث ولا يسأل وعضد الشجر موته وآخر العهد به (وروى هذا الكلام) يعنى قوله (وددت انى شجرة تعضد) فهو بدل من الكلام مبين له (من قول ابى ذر نفسه) لا من الحديث وكلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اى كونه منه قول ابى ذر (اصح) وفي نسخة واضح بالضاد المعجمة والصحيح اصح اى كونه من الحديث مرفوعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اليق بحاله وانسب بكلامه بخلاف ما قبله فانه من الحديث بلا خلاف والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله سابقا زاد في روايتنا عن ابى عيسى الترمذى رفعه الى ابى ذر

واذا كان من كلام ابي ذر فهو مدرج في الحديث اذ لم يميز لفظه عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبي عليه بانه كان ينبغي له ان يقول انه مدرج لا وجه له نعم في عبارته السابقة كدر لا يخفى قيل وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم تمنى ما ذكر مشكل لانه مقطوع له بانه آمن من كل سوء موقن بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة تخوفا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتني طائر وليتني لم اخلق بشرا اوليتني كبشا يذبح ويؤكل لحمه لبس لعدم الوثوق بالوعد بل لم يكن الا خوفا من مخالفة امره فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم في اول الفصل ما فيه كفاية (وفي حديث المغيرة رضي الله عنه) المتفق عليه في رواية الشيخين والمغيرة بضم اوله وتكسر اتباعا اي ابن شعبة من الصحابة وهو احد دهاة العرب (صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اي صلاة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة في بعض الروايات انما تأتي فيها (حتى انتفخت قدماه) اي ورمت من طول القيام (انه كان يصلي حتى ترم) بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم اذا انتفخ لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع في بعض النسخ ترم بتشديد الميم اي تصير رمما وهي غير صحيحة رواية ودراية (قدماه) وفي رواية ساقاه وروى تورمت وتزلعت بزاي معجمة وعين مهملة اي تشققت (فقيل له اتكلف هذا) بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية واصله اتتكلف فحذفت احدى التائين تخفيفا اي تتحمل مشقته وكلفته (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه وسيأتي ما في اضافة الذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه معصوم عن الصغائر والكبائر على الاصح بان المراد لو صدر منك اوما يعد من الذنوب بالنسبة لغيرك لتنزهك وعلو مقامك وستسمع تفصيله في محله (قال افلا اكون عبدا شكورا) لما انعم الله علي من جلائل النعم التي لا تحصى ومن اجلها عصمته لي ومغفرته لذنبي قبل وقوعه والاستفهام انكاري والفاء سببية اي اترك الصلاة لمغفرته وهي سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له صلى الله تعالى عليه وسلم بتقريبه ونسبته لسيده وكله يقتضي اجل الشكر وهو العبادة (ونحوه عن ابي سلمة) رحمه الله تعالى واسمه عبد الله اواسمعيل اواسمه كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري التابعي احد الفقهاء السبعة المشهور رواية عن ابي هريرة وغيره وفي الصحابة ابو سلمة عبد الله ابن عبد الاسد المخزومي مات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعرف له الاحديث واحد واخران غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة (وابي هريرة رضي الله تعالى عنه) قال البرهان هكذا في النسخ قال المحشي

وانا اخشى ان يكون هذا غلطا والصواب فيه ان يكون عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه فانه وقع هكذا في السمائل في باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذي ذكره المصنف هنا فقال بعده حدثنا الفضل ابن موسى عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان يصلي الخ الا ان يكون المصنف وقف على حديث آخر لابي سلمة الصحابي ولم نره قلت ويحتمل ان يكون مراده عن ابي سلمة عن ابي هريرة ولكنه عطف احدهما على الاخر وهو بعيد ايضا (وقالت عائشة رضي الله عنها) كما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال وسكون الياء المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم واصل معناه المطر الدائم في سكون وهدو وفي الحديث احب الاعمال الى الله تعالى ما دووم عليه وان قل لان ترك الشيء بعد فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرآن ثم نسيه (وايكم يطيق ما كان يطيق) اي ايكم يقتدران يعبد الله كما عبده صلى الله تعالى عليه وسلم كما وكيفا (وقالت) عائشة رضي الله تعالى عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) روي نقول بالنون والتاء الفوقية وبرفع يقول ونصبه كما قرئ به في قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في بعض الازمنة يوالي الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم نافلة وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصوم من اول الشهر ووسطه وآخره حتى يتوهم من صادف ايام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافي كون عمله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة ايام من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان تقول الاول في صلاته وقيامه وهذا في صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله (ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم) اسم ام سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التي رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف في بعض الفاظها وكلها صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لا حاجة بنا لايرادها كما في الشرح الجديد (وقالت) عائشة (كنت لا تشاء ان تراه) صلى الله عليه وسلم (من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك) هو عبد الرحمن الاشجعي الصحابي الجليل القدر رضي الله عنه سكن الشام وتوفي في ايام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام وصلى فقمت معه) اي اتهجد واقتدي به وفيه دليل على صحة الاقتداء في صلاة النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعي رحمه الله وبعض الحنفية (وبدأ) الصلاة وفي نسخة

فابتدأ بالفاء اى شرع فى الصلاة (فاستفتح البقرة) اى شرع فى قراءتها وفيه دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد فى احاديث لاتحصى واسماء السور توقيفية على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التى يذكر فيها البقرة السورة التى يذكر فيهـا التين وهكذا لما روى الطبرانى والبيهقى عن انس مرفوعا الا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التى يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن الجوزى انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهى ارجح وعليه العمل اونقول ان هذا كان فى اول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله المستهزئين وكف السيف ايديهم والسنتهم قيل ذلك من غير حرج (فلا يمر) صلى الله تعالى عليه وسلم (بآية رحمة الا وقف فسأل) الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف وتعوذ) بالله من العذاب وهذا الحديث اخرجه ابو داود والنسائى ويؤخذ منه ينبغى لمن قرأ القرآن ان يتدبره ويتذكر فى معانيه وان الدعاء بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان يقول آمنت بالله ونحوه ونحو هذا ما ورد ان من قرأ سورة تبارك فبلغ فمن يأتيكم بماء معين فليقل الله رب العالمين واذا قرأ سورة التين فبلغ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرأ لااقسم بيوم القيامة وبلغ قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى فليقل بلى واذا قرأ والمرسلات وبلغ فباى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله واذا قرأ سبح اسم ربك فليقل سبحان ربى الاعلى واذا قرأ سورة الرحمن فليقل عند كل فباى الاء ربكما تكذبان ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب وكل ذلك ورد فى الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الاان من الناس من فعل امورا زائدة على ما ورد كالدعاء بين الجلالتين فى سورة الانعام وقد قال القاضى انه بدعة لم يرد فى اثر ولا حديث (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وهى لغة القرآن وتفتح فى لغة عنه ومعناه انتظر وتوقف (بقدر قيامه يقول سبحان الله ذى الجبروت والملكوت والعظمة) هذه الصيغة من انها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهى مصادر فى الاكثر ووردت فى الاسماء ايضـا كجالوت والجبروت مبالغة فى الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها اعم ويكون صلى الله تعالى عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى (ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران) اى السورة التى ذكر فيها قصة آل عمران وقد تقدم جوازه ومافيه (ثم سورة سورة) اى قرأ فى صلاته فى كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة فى قولهم قرأت النحو بابا بابا وجعله التلمسانى منصوبا مفعولا لقرأ المقدر وفيه نظر والسورة مهموزة من السؤر وهو بعض الماء الباقى فى الاناء وتبدل همزته واوا

لسكونها وانضمام ماقبلها وقيل ان واوه اصلية على انه من السور لاحاطتها بالايات اومن السوار اومن التسود لرفعتها والسورة مقدار من القرآن مستمل على آيات اقلها ثلاثة مسماة باسم ولايرد عليه آية الكرسي لذكر الاية (يفعل مثل ذلك) المذكور من القراءة والتسبيح (وعن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه (مثله) اى مثل الحديث السابق (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا اى مثله او قريب منه (فان قلت ذكر الفقهاء ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كما مر وهو مناف لما ذكر (قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكوت او بذكر غير مشروع فلو طول بغير ذلك كما في صلاة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووي تبعا لامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة هذا ولايشترط ان يكون بمقدار اكمل التشهد (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اى قرأ في ركعة بسورة من هذه السور (وعن عائشة رضي الله عنها) في حديث صحيح اخرجه احمد والنسائي عن ابي ذر والآية التي ذكرت في قولها (قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) اى رددها طول ليلة وتكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الآية في سورة المائدة وانما اكثر تردادها للتدبر والتفكر فيها فان القرآن له بطون سبعة ففي كل قراءة يظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم مالم يظهر قبل والله تعالى تجلى لخلص عباده في كلامه ولكن لايبصرون كما روى عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه في كل قراءة يتجلى له الله في مرآة كلامه ومثل هذا الاتي به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تطبع فيها صور الحقايق (وعن عبد الله بن الشخير) بكسر الشين والخاء المعجمتين المشددتين ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب العامري الصحابي البصري المخضرم الذي ادرك الجاهلية والاسلام وروى له اصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه ابوداود والترمذي والنسائي (اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل) جوف كل شيء باطنه والمراد به ماتحت صدره واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزائين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة وهو صوت الغليان اذا اشتد وهو المشبه والمراد انه صلى الله عليه وسلم لشدة خوفه وخشيته من الله يسمع حركة قلبه اذا رق صدره وقيل صوت الحنين مع البكاء والمرجل بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس (قال ابن ابي هالة) الصحابي المتقدم رضي الله تعالى عنه (كان صلى الله عليه وسلم

متواصل الاحزان) اى حزينا حزنا يتصل بحيث لاينفصل بينهما فرح مسرة ووهذا
يقتضى الدوام ولذا فسره بقوله (دائم الفكرة) اى تفكره دائما فى امره وامر امته
ومن كان هكذا (ليست له راحة) لاستغراق اوقاته فى الذى كلفه من اعباء الرسالة
وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقايع ومن نيط به امور جميع الخلايق كيف يعصى
من الهم فان الامور بقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن
متكلما مع الناس فى مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاة من يقدم عليه من الوفود وعرض
الناس عليه امورهم وفى عشرة اهله واما ذلك حال سكونه وهو بين الناس وفى خلوته
بنفسه ومشيه وتعبده اما فى غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلقيا بالبشر ودوام
كل شئ بحسب زمانه *فاقسم لكل زمان مايليق به * فان للرند حليا ليس للعنق*
فسقط ما قيل انه وصف فى غير هذا الحديث بانه صلى الله تعالى عليه وسلم دائم
البشر وهذا مناقض له وقد اورد عليه ايضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود
وقد نهى الله تعالى عنه فقال ولاتهنوا ولا تحزنوا وقال لاتحزن ان الله معنا وقال انما
النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا واستعاذ صلى الله تعالى عليه وسلم منه فقال
اللهم انى اعوذبك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما بان الهم لمايقع فى المستقبل
والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات العارفين
ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم
مايصيب المؤمن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة
يؤجر المرؤ عليها وسيأتى الكلام عليه والحديث الذى ذكره المصنف رواه الطبرانى
والقضاعى وقال ابن القيم كما سيأتى انه لم يثبت وفى سنده من لايعرف ولا اعلم صحته وفى
التورية اذا احب الله عبدا جعل فى قلبه نائحة واذا ابغضه جعل فى قلبه مزمارا فقال
ابن القيم اجمع اهل السلوك على الحزن ليس من مقامات السائرين الى الله الا ابو عثمان
الحيرى فانه قال الحزن فضيلة وزيادة كمال للمؤمن مالم يكن على معصية لانه ان لم يوجب
تخصيصا اوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة كالمرض لا مقام كما قاله الجيلى وحزنه صلى الله
تعالى عليه وسلم لما اودعه الله فيه من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية الامة
فاذا رأى ماهم عليه من العناد هم وتخلفهم حزن لذلك وخاف من أن ينسب اليه
قصور فى دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيه ادكر اشكال بوجه من الوجوه ولا حاجة
لتفسير دوام الفكرة بادمها فى ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهى عنه فيجاب
بان المنهى غير الكمل كما قيل (وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم مائة
مرة وروى سبعين مرة) هذا حديث صحيح وسيأتى الكلام عليه وقوله صلى الله
تعالى عليه وسلم استغفر الله بمعنى اطلب منه المغفرة او اذكر هذا اللفظ بعينه
والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا يكون الروايتان بمعنى

وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر مطلقا على الاصح المراد به انه مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد في نفسه قصورا بل منزلة الذنب فاستغفر له او عد اشتغاله بما يحتاج له كالاكل واستغاله بامور الناس ذنبا لعوقه عن الشهود او هو تشريع لامته او كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لذنوبهم او انه لم يزل مترقيا في المقامات وكلما ترقى لمرتبة رأى ما دونها نقصا فاستغفر منه وستأتي تتمته (وعن علي كرم الله وجهه سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) اى طريقته التي هو عليها وهذا الحديث ذكره في الاحياء وقال الحافظ لم اجد له اسنادا وقال السيوطي رحمه الله تعالى انه موضوع وآثار الوضع لائحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية (فقال المعرفة رأس مالي) رأس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به هو الفائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن يعلمه وهي تختص بالعلم المسبوق بالعدم او بالجزئيات ولذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة ولا يقال لله عارف الا بطريق المجاز واطلاقها على العلم ايضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما قيل * اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب * وقد تقدم (والعقل اصل ديني) مراده العقل قوة غريزية في الانسان يستعد بها لادراك العلوم اى دينه وشرعه اى ما تعبد به وتدين قبل البعثة او قبلها وبعدها مبني على ما اودعه تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه الى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته وانه هو الحقيق وفي الحديث ان عائشة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله بم يتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة فقالت اليس يجزون باعمالهم فقال يا عائشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اتفقوا على ان ما اعطى الناس من بدء الدنيا الى آخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى رمال الدنيا كلها (والحب اساسي) اى محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب فمن الاساس بني عليه اموري في اتباع اوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لي كما قال تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يكمل ايمان احد حتى يكون الله احب اليه من نفسه واهله وماله كما سيأتي بيانه وجمع هذه الامور في نسق واحد لان رأس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو تلوين الخطاب (والشوق مركبي) اى شوقي الى المطالب العلية والى لقاء الله تعالى هو الذي حركني حتى وصلت لمرادي (كما قيل)

* وقالوا اذا ما جئت ليلى بسرعة * محدا على سبلي للتلاق *
* ركبت على البراق فقلت كلا * ولكني ركبت على اشتياق *

والشوق اعلى من المحبة لانه ينشأ عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء

من يشتاقه (وذكر الله انيسى) وفى نسخة انسى يعنى انه يأنس فى خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا اكثر من ذلك يصار نصب عينه حتى كأنه معه ومن كان الله معه آنس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد فى الصباح والمساء كان من الذاكرين الله وانظر لقوله اذكرونى اذكركم وقال سمنون حقيقة الذكر ان ينسى ما سواه ويستغرق الاوقات فيه

* لا لانى انساك اكثر ذكرك * ولكن بذا يجرى لسانى *

(والثقة) بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلب منه (كنزى) الكنز المال المكنوز اى المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لان من له مال مدفون لا يراه ولكنه انفع مما يراه فكذا ما ترجوه من الله قبل حصوله انفع من الحاصل عند الثقة كما قيل

*وانى لارجو الله حتى كانى * ارى بجميل الظن ما الله صانع *

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود (والحزن رفيقى) اى لا يفارقنى ودكره مع الانيس لان الرفيق انيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه (والعلم سلاحى) اى علمى بالله وبما عاناه من لدنه واوحاه الى ادفع به من يجادلنى ويخاصمنى وادفع الشيطان ووسواسه كما يدفع العدو بالسلاح وآلات الحرب (والصبر) فى المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة فى الامور (ردائى) الرداء ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتجمل وعلم ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء لتجمله به ودفعه ضرر البرد فاقيل من انه لو شبهه بالدرع والجاف صح كما قيل * تدرعت صبرى والتحفت صروفه *وقلت لنفسى الصبر اولى فاهلكى * ابن سينا (والرضاء) بالقصر مصدر وبالمد اسم كما فى الصحاح والذى فى النسخ بالمد (غنيمتى) جعل غنيمة لانه يقهر به عدو نفسه اللوامة ويأسرها اذ الراضى بما قسم الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى القلب والراحة كما قيل

* هل هى الا مدة وستقضى * ما يطلب الايام الا من رضى *

ولاشك ان الرضاء بما قدره الله واجب وقرله فى الشرح الجديد و اختلف العلماء فى الرضاء هل هو واجب او مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثناء على المتصف به والى هذا ذهب محققوا العلماء مما لا ينبغى ذكره (والعقر فخرى) وفى نسخة البرهان وغيره والعجز بدل العقر اى اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقتضى مقام العبودية كما قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذى استعاذ منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل بمعنى وجره هو التثاقل عن العبادة والتوانى كما قيل

* اذا ما التوانى انكح العجز بنته * وساق اليها حين اصدقها مهرا *

* فراشا وطاء ثم قال لها اتكى * فصار اهما لاشك ان تلدا العقرا *

وقال ابن تيمية العقر فخرى ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر

ان المراد بالعجز بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة والشوكة واريد به لازمه وهو الفقر ولا وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بعاجز عما ذكر وانما تركه واعرض عنه باختياره كما مر والاوجه ان المراد به ما مر كما في حديث لا يدخل على الا عجزة الناس اي ضعفاؤهم وفي آخر اهل الجنة كل ضعيف متضعف وفي حديث هرقل ضعفاء الناس اتباع الرسل وفي حديث الاسراء امتك اضعف الامم وهم اكثر اهل الجنة قيل فقوله الفقر فخري قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر واما قال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح الفقر في الحديث كحديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقد روي بسند لا بأس به واثبات الفخر له وقد نفاه في قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان المراد به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها او المراد فخري او كسب فخري كما قيل في قراءة انما يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة اي انما يخشاهم لو كان يخشى غيره وان كان المشهور ان المراد الخشية لازمها وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر وصف محمود فان الغني هو الله كما قال تعالى * يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد (والزهد حرفتي) الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين والفاء هي الصناعة التي يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدي من الاملاك والقلوب من التتبع وليس الزهد عدم الملك فان سليمان عليه الصلوة والسلام كان زاهدا مع ان الدنيا كلها في قبضته والتعبير بالحرفة ليس في محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه شاهد للوضع ومما قلته في مشايخ زماننا

* قد قام في سوق الريا اجرا * وباع للسرقة ارشاده *

* حرفته الزهد ودكانه * يديم فيه الكذب سجاده *

(واليقين قوتي) اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوت القلب من قام به لاطمئنانه وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور في التفسير وكتب الكلام (والصدق شفيعي) الصدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عاهده اليه ويصح ارادة المعنى الاول والمراد بكونه شفيعه انه سبب صلاحه عند الله او المراد تعليم امته (والطاعة حسبي) بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر آبائه اي طاعة الله في السر والعلانية هي التي افتخر به واعده مأثرة لا ما يفتخر الناس به او هو بسكون السين اي الطاعة تكفيني (والجهاد) في سبيل الله او مجاهدة النفس بمخالفتها (خلقي) اي طبعت على محبته (وقرة) بضم القاف وتشديد الراء المهملة (عيني) الباصرة اي مسرتها وفرحها في الصلاة لما اشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة مأخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة او من القرار لان ملوح

الامية برؤية مايسر تسكن به العين فلا تستشرف لغيره وقد تقدم مافيه (وفى حديث آخر) لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب (وغرة فؤادى فى ذكره) الفؤاد القلب بدا حله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة ثمره وجعل ذكر الله المقصود منه (وغمى لاجل امتى) رأفتى عليهم فى الدنيا والآخرة (وشوقى الى لقاء ربى) ومناجاته والتوجه اليه

﴿ فصل اعلم وفقنا الله واياك ﴾ تقدم الكلام عليه

(ان صفات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام) هو من عطف الخاص على العام اعتناء لشانهم وبيانا لشرفهم وسيأتى تفصيله (من كمال الخلق وحسن الصورة) الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه واعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب اعضائه ومقاديرها ولون بشرته (وشرف النسب) اى شرف آبائه وامهاته واجداده وجداته الى ان ينتهى الى آدم عليه الصلوة والسلام فليس فيهم خسيس ولا وضيع (وحسن الخلق) بضمتين او ضم فسكون وقد تقدم بيانه (وجميع المحاسن فى هذه الصفة) كذا فى بعض النسخ وفى غيرها وعليه الشراح هو بالضمير بدل فى الجارة قال القسطلانى فى هذه الصفة خبر ان ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المطلق اى لاغيره واتى بها على لفظ الافراد للتغاير بين المبتدأ والخبر لان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ما ذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهى صفة الرسل عليهم السلام وهى على الوجه الاتم الاكمل لاتجتمع فى غيرهم ومن بيانية مبينة لصفات جميع الانبياء والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولا يخفى ما فيه من القلاقة والخفاء وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيكة جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبر ان ومن ابتدائية وجميع مرفوع مبتدأ وفى هذه الصفة خبره والمعنى جميع صفات الانبياء عليهم السلام ناشئة من كمال الخلق الى آخره وجميع المحاسن مجموعة فيها كان اظهر واحسن (لانها صفات الكمال) اى صفات بها يكمل البشر (والكمال والتمام البشرى) تقدم الفرق بين الكمال والتمام (والفضل الجميع) مبتدأ وكان الاحسن ان يقول والفضل جميعه (لهم) خبره اى ثابت للانبياء عليهم الصلوة والسلام (ورتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات) فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) استدراك لدفع ماعسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم اشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله (قال الله تعالى تلك الرسل) المذكورين فى سورة البقرة فالتعريف عهدى او جمع الرسل الذى يعلمهم فهو استغراقى

(وصلنا بعضهم على بعض) بمواهب سنية ومراتب علية غير اصل النبوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام واشار الى فضلهم على من عداهم بقوله (وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم) منا باحوالهم (على العالمين) وهذا من المصنف رحمه الله تعالى مبنى على ان الضمير للانبياء مطلقا و المراد بالعالمين جميع العالم لا على ما اختاروه من انه لبنى اسرائيل والعالمين عالمي زمانهم لكثرة الانبياء فيهم (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان اول زمرة) اى طائفة وجماعة (يدخلون الجنة على صورة القمر) اى وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله فى الاستدارة وغير ذلك ولذا قال (ليلة البدر) وهى ليلة اربعة عشر وهى اضوأ ما يكون فيها وسمى بدرا لامتلائه بالنور اولمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا فى اول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم * ان الهلال اذا رأيت نموه * ينبيك ان سيعود بدرا كاملا * و القمر يطلق عليه دائما كما بينه اهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كاشد كوكب درى فى السماء اضاءة (ثم قال اخر الحديث قلوبهم على قلب رجل واحد) لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبصقون آنيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفى اثر ان له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى ازواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الارض (على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء) والمراد بهذه الزمرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام و بالذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء و الاولياء و بالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف و النشر فانية الفرقة الاولى من الذهب و الثانية من الفضة اوهما لهما بقرينة جعل امشاطهم كلهم من الذهب و يحتمل ان يكون اكتفاء اى من الذهب والفضة ورجح بعضهم ان يكون هؤلاء كلهم من امة محمد صلى الله تعالى عليه و سلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من امتى سبعون الفا تضئ وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى او هم مسكوت عنهم و علمهم عند الله و جعلهم على صورة آدم عليه الصلوة والسلام لانه كان اجمل الناس واتمهم خلقا والستون ذراعا اما بذراعه نفسه او بذراع معهود عند المخاطبين والاول اظهر لكن روى ابن ابى الدنيا عن انس يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله عليه

وسلم جرد مرد مكحلين وورداں عرصه سبعة اذرع والحديث يدل على تبدل الوانهم فمن كان اسود اواشقر صار ابيض بياضا معتدلا وروى الامام احمد عن ابى هريرة يرفعه يدخل اهل الجنة الجنة جردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة اذرع وقوله فى السماء يحتمل ارادة الحقيقة منه اى كابتداء خلقه وصورته اذ كان فى السماء اوالمراد جهة العلو اى طوله ذلك اذا كان منتصبا قائما (فائدة) استنبط بعضهم من اثران مقعد الحوراء فى الجنة ميل ان كل آدمى يدخل الجنة يكون طوله اثناعشر الف ذراع بذراع الشرع الذى هو شبران لان مقعد الحوراء ميل فيكون طولها ثلاثة اميال ومقعد الواحد مماثل قامته تقريبا والغالب ان الذكر كالانثى فى الخلقه فيكون طول الرجل اثناعشر الف ذراع كما تقدم يقسم على الستين الواردة فى الحديث فيكون كل ذراع من الستين مايأتى ذراع شرعى تقريبا

(وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان ايضا رأيت موسى عليه الصلوة والسلام) ليلة الاسراء عيانا لامناما لان الانبياء عليهم الصلوة والسلام احياء لاتبلى اجسادهم (واذا رجل ضرب) اذا فجائية اى فاذا هو رجل ضرب بفتح الصاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم بمعناه المشهور وهو الذكر من بنى آدم ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله تعالى انه القليل اللحم ووقع فى رواية الاصيلى بسكون الراء وكسرها والاصح الاول وروى مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطول وفى مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه جسيم وسط وحمل هذا على مايوافق رواية مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع فى صفة الدجال فهو من الاضداد (رجل) بفتح المهملة وكسر الجيم وجاء فتحها فى لغة قليلة اى شعره متكسر قليلا ليس بسبط لاتكسر فيه ولا جعد متكسر كثيرا (اقنى) بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الانف ودقة ارنبته يقال رجل اقنى وامرأة قنواء وقيل القناء احديداب فى الانف فمعناه محدوب وليس بعيب فى الناس وفى النهاية القناء فى الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب فى وسطه واما قول كعب رضى الله تعالى عنه

* قنواء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى خديه تسهيل *

فعنى آخر لاحاجة بنا به هنا (كانه من رجال شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء على وزن فعولة وهى اسم قبيلة ويقال لها ازدشنوءة وازدشنوة وهى باليمن مشهورة وهى من الشناء وهو التباعد عمايدنس يقال رجل شنوء اذا كان طاهر النسب ذا مروة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرتهم وافعالهم وهذا الحديث متفق عليه وفى رواية البخارى كانه من رجال الزط وهم نوع من السودان اوالهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو

وجه الشبه اى انه طويل غير جسيم (ورأيت عيسى عليه الصلاة والسلام) يقظة في الاسراء كما سيأتى (فاذا هو رجل ربعة) بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتحها اى بين الطول والقصر معتدل القامة (كثير خيلان الوجه) بكسر الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السوداء المعروفة وماقيل من ان كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم واختلفت الرواية فى لونه فروى انه آدم اى اسمر وروى (احمر كانما خرج من ديماس) بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم والف وسين مهملة وهو الحمام والكن واصله السرب فى الارض والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه فرواية آدم بمعنى شديد الحمرة لاتنافى هذه (وفى حديث آخر) لم يعرف راويه (مبطن) بالتشديد والطاء المهملة اى ضامر البطن كما يفسره قوله (مثل السيف) اى فى استوائه ودقته وقد تعددت الرواية برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم الصلاة والسلام يقظة فى السماء والارض لانهم احياء وصنف البيهقى فى هذا جزأ مستقلا (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد ابراهيم به) خلقة صلى الله تعالى عليه وسلم ولونه كلونه فهو اكثر شبها به من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والناس كلهم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر فى صفة موسى عليه الصلاة والسلام) كما رواه البخارى فى صحيحه (كاحسن ماانت راء من ادم الرجال) ماموصولة والعائد محذوف اى الذى انت رائيه وآدم من الادمة وهى سمرة اللون قيل وهى فى الابل بمعنى البياض وفى الظباء سمرة الظهر وبياض البطن ومؤنثه ادماء وادمها بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالميم جمع آدم كاسمر وسمر وهى السمرة مطلقا اوالشديدة وقيل انها البياض والاول اصح واستدل عليه بقوله تعالى تخرج بيضاء من غير سوء اى عيب كالبرص وانما يكون هذا اذا كان اسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها تخالفه لشدة بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه ابو يعلى وابن جرير من طرق واخرجه سعيد بن منصور فى سننه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا (مابعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلاة والسلام نبيا) وهو لوط بن هاران وهو ابن اخى ابراهيم وخص ماذكر بما بعده لانه من الشام بعثه الله تعالى الى اهل قرية يقال لها سدوم لبست من بلاده ولبست موطنا لقومه ومن بعده من الانبياء لم يبدأ (الا فى ذروة من قومه ويروى فى ثروة اى كثرة) والذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اعلى كل شئ اى بين قوم له ذوى حدة وسعة وشرف لاغرباء ولامن قوم ليسوا كذلك واشار بهذا الحديث الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم مشاركوا نبينا صلى الله عليه وسلم فى علو النسب وشرف القوم

والذروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد يختص بالمال وقيل الذروة المكان المرتفع وهى مثلثة الذال (ومنعة) بفتح الحروف اى ميم ونون وعين مفتوحات جمع مانع كخدمة جمع خادم ويجوز تسكين نونه او هو اسم مصدر فى الاصل كصدقة اى قوم يمنعونه ويحمونه وقصة لوط عليه الصلاة والسلام مفصلة فى كتب التفسير وفى قوله تعالى * قال لو ان لى بكم قوة اوآوى الى ركن شديد * اشارة الى ماذكر من انه لم يبعث فى قومه الذين ينصرونه ويحمونه (فان قلت كيف يكونون فى منعة وروة وقد قال تعالى فى بعضهم وما آمن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما مناسبة ما ذكر لما عقد له الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الذاتية (قلت قد توهم بعضهم ورود ما ذكر وليس كذلك لان ما ذكر من شرف القوم والاصالة يدل على المحاسن الذاتية لاستلزامه لها وكونهم كثيرين لاينافى عداوتهم واما المنعة فاعتبار من اتبعه منهم ولذا ورد رحم الله اخى لوطا لقد آوى الى ركن شديد وهو لاينافى الاية لان المراد الملائكة وماايده الله تعالى به (وحكى الترمذى عن قتادة ورواه الدارقطنى من حديث قتادة عن انس رضى الله تعالى عنه) تقدم ترجمة الترمذى وقتادة وان الدارقطنى منسوب لدار القطن وهى محلة ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره فى الحديث والفقه والقراآت وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور فى الشمائل وغيرها مرسلا (ما بعث الله نبيا الا) وقد خلقه (حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم) من ابتداء وجوده وخلقته (احسنهم) اى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وجها واحسنهم صوتا) لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل

* يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه اهدى الدلائل *

(وقال الاخر)

* يدل على قبح الطوية ما ترى * لنا منها من قبح بعض ملامحه *

وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطف فيه يدرك بالذوق ولايلزمه كونه على رسم الموسيقى وهذا يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اجمل من يوسف واحسن صوتا من داود عليهما الصلوة والسلام وكانت قراءته صلى الله تعالى عليه سلم فى بيته ليلا تسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة وما ورد فى حديث الطبرى فى يوسف فاذا انا برجل احسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن المراد منه تفضيله على من عداه صلى الله تعالى عليه وسلم لاسيما ان قلنا ان المتكلم لايدخل فى عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين ويدل عليه ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى الحسن كله واعطى يوسف عليه الصلوة والسلام شطره اى نصفه اى ان الحسن كله جمع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تناسب اعضاء

وصفاء لون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف اعطي من جلس الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم مايعدل نصفه الآخر فدل ذلك على انه احسن الناس كلهم كما صرح به فى الحديث الذى نحن فيه وماقاله السخاوى فى كتاب الامتنان من ان الجلال الدين المحلى رحمه الله سئل عن حديث اعطى نبينا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشئ الواحد جميعه فى شئ ونصفه فى آخر فقال لم يظهر لى جوابه وكذا قال ابن حجر وقد تأملت قوله فى البردة البوصيرية

* منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم *

فبان لى منه جوابه وهو ان حسن النبى صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه وبين غيره بخلاف حسن سائر الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه الصلوة والسلام انتهى فيه نظر وهذه مغلطة وزهرة لاتحتمل الفرك ومنشاؤه عدم الفرق بين تقسيم شئ بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع فتدبر (وفى حديث هرقل) من ضبطه الاضافة لأدنى ملابسة لذكره فى الحديث كما يقال حديث الشفاعة والاصل اضافته كرواية الصحابى اوالتابعى اومن خرجه كالبخارى ومسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما وابن عباس نقله عن ابى سفيان حين ارسله اليه هرقل وهو بالشام للتجارة فى ركب من قريش فى مدة محادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء الروم فسألهم عن احواله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان اول ماسأله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذونسب الى آخره فقال له كما اشار اليه بقوله (وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذونسب) اى نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف اصوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لبس فى امهاته سفاح ولاشئ من نكاح الجاهلية كامر وتقلبه فى الاصلاب الطاهرة من الانبياء وقبيلته اشرف القبائل وبيته اشرف بيوتهم (وكذا الرسل) عليهم الصلوة والسلام (تبعث فى انساب قومها) اى كل نبى له نسب عال فى قومه لان من اختاره الله لنبوته يختار له عنصرا مناسبا ولم يجد وليا من الذل فشبه اتصاله باتصال الظرف بمظروفه (وقال تعالى فى ايوب) صلى الله عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقرية موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها اثر قدم فى حجر يقال انه اثر قدمه عليه الصلوة والسلام والناس يشربون من عينه ويغتسلون منها بالتبرك ويقولون انها المذكورة فى القرآن (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال اوامره ونواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الصبر امر عظيم وخلق كريم ولذا اثنى الله عليه بقوله نعم العبد الى آخره ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله

به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم صبر على أذى قومه وما قاساه منهم وقصة ايوب عليه الصلوة والسلام ونسبه مذكور في التفسير واختلف في زمن نبوته فقيل كان قبل موسى عليه السلام وانه من بني اسرائيل ومدة بلائه ثلاث عشرة سنة او ثلاث سنين وامرأته اسمها اليا وقيل رحمة بنت يوسف (وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين) واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بما ذكر على محاسن الانبياء واخلاقهم اذ تلقى يحيى عليه الصلوة والسلام الكتاب التوراة اوغيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد اتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان حنانا في طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقايص وانه سلمه الله من يوم ولد الى مماته (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الايتين) استشهد بهاتين الايتين على ماحواه الانبياء عليهم الصلوة والسلام من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم اسحق واسمعيل واولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد (وقال في نوح) عليه الصلوة والسلام (انه كان عبدا شكورا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفعل شيئا الا قال بسم الله والحمد لله (وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية) استشهد بهذه الآية على ما لعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية التي وصفه الله تعالى بها من انه وجيه اى شريف قدره في الدارين وانه تكلم في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب او من جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة اقوالا آخرها انه بلغ المائة اوزاد عليها وتقدم معنى كونه كلمة الله (وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الى ادمت حيا) قيل انه نبئ وهو صبي والهم حفظ التوراة والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه بما ذكر تبرئة لامه (وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وذلك لانهم عابوه عليه الصلاة والسلام لشدة تستره حياء من الله بان في بدنه برصا او به ادرة فبرأه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الاية وقال (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى رجلا حييا) بحاء مهملة وياءين ثانيتهما مشددة بزنة صبي اى كثير الحياء (ستيرا) بكسر السين المهملة وكسر التاء المثناة المشددة بزنة سكين اى شديد التستر لبدنه وقد اشار لتفسيره بقوله (ما يرى من جسده شيء استحياء) وهذا يدل على عفته وحيائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقية

الحفعة فعيل عمى فاعل والذى احفظه انه بكسرها وبتشديد التاء الفوقية كسكيت وكذا
ضبط فى نسخ البخارى انتهى ومن كان يستحى من كشف عورته وبدنه فهو اشد حياء
من كشف غيره (الحديث) بالنصب اى اقرأ الحديث الذى رواه البخارى عن ابى هريرة
اوتذكره وتتمته انه لما كان يكثر الستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا البرص او ادرة به
فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما اراد ان يلبسه فر الحجر وجرى خلفه
يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى مر على بنى اسرائيل فرأوه اكمل الناس واصحهم بدنا فبرئ
مما سمعوه وآذوه به (وقال تعالى عنه) ضمنه معنى حكى فعداه بعن اى عن موسى عليه
السلام ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لى ربى حكما الاية) اى علما ونبوة وفراره
صلى الله عليه وسلم لما قتل القبطى وذهب فكلمه الله كما هو مشهور (وقال فى وصف
جماعة منهم) اى من الانبياء عليهم السلام (انى لكم رسول امين) ووقع هذا من نوح
وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كما حكاه عنهم على وجه الرضاء والتصديق
فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فلبس مما نحن فيه (وقال) موسى لشعيب عليهما الصلاة
والسلام (ان خير من استأجرت القوى الامين) وقصته معه انه لما فر من القبط
اذ خافهم لقتل رجل منهم ومر بابنتى شعيب عليه السلام حابستان ينتظران فراغ
الناس ليسقى اغنامهما قال لهما لم تأخرتما فقالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء فقال
اما عندكم بئر غير هذه فقالتا عندنا بئر مطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه
الا عشرة من اشد الرجال فقال اذهبا ارينيها فاريتاها ورفعه وحده وسقى
لهما فقالتا له اذهب معنا ليجزيك ابانا على ما فعلت فقال ارشد انى للطريق
وامشيا خلفى لانى رجل من ذرية ابراهيم عليه والسلام لا احب ان ارى منكما
ما لا يحل لى فاخبرتا اباهما بقصته وقوته فى رفعه ذلك الحجر وامانته لامتناعه من النظر
لهما فاستأجره على ما قصه الله رضى عنه قال البيضاوى الجملة معللة لما قبلها وللمبالغة
جعل خير واسم ان معرفتين يعنى لم يقل ان من استأجرته قوى امين بل اتى بجملة معرفة
الطرفين لحصر الخيرية فيه فتدبر (وقال فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل) فوصفهم
بالصبر وهو من احسن الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والحزم فى الشدائد
وقد اختلف فى اولى العزم كما مر (وقال ووهبنا له اسحاق و يعقوب كلا هدينا الى
قوله اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده) ووقع فى هذه الاية بحث ذكره الطوفى
فى تفسيره وهو انه استدل بهذه الاية على ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل
من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى امره بالاقتداء بهداهم جميعا
ولا شك فى امتثاله واقتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم واذا اتى بما اتوا به جميعا مع
ما خص به كان افضل من كل فرد فرد بلا شبهة ومن المجموع ونقل عن العز بن عبد
السلام انه قال انما فضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة فى الآية عليه
قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس وشنعوه فى هذه المقالة الى ما وصل الى تكفيره

(واما اقول انا برئ من نسبة مثله للعز والقائل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال واعطى اربعة منهم دينارا دينارا واعطى ستة للخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالاية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ما لجميعهم وهو مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والهاء في اقتده هاء سكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان بها تشبيها لها بهاء الضمير وقيل هذا لا يصح وانما هي ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقراءة يدرسه (فوصفهم باوصاف خمسة) اي كثيرة (من الصلاح) ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور في قولهم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق في شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهي ابلغ من غيرها كما فصله السبكي في فتاويه (والهدى والاجتباء) وهو الاصطفاء والاختيار للرسالة (والحكم والنبوة اي الحكمة اوفصل الامر على مقتضى الحق (وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم) وهو اسحق فوصفه بالعلم والحلم وهما امران عظيمان قال الا نطاكي كذا في النسخ والذي في القرآن فبشرناه بغلام عليم و بغلام حليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر (قال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى) قوله (امين) والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار فشبه امرهم باتباعه بمعاملة المختبر اوالمراد انه ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوصفهم الله في هذه الاية بصفات حميدة من الكرم والامانة وغيرهما (وقال) حكاية عن الذبيح (ستجدني ان شاء الله من الصابرين) على الذبح مسلما لله ولذا سلمه الله وفداه (وقال في اسمعيل) عليه الصلوة والسلام (انه كان صادق الوعد الايتين) صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله في حقه اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن حزقيل وهو نبي بعثه الله لقومه فسلخوا رأسه فخيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضى بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيح ابن ابراهيم وهو رسول نبي وصدق وعده لانه وعد اباه بالصبر على الذبح ووفى بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها اشرف على قول (وقال في موسى عليه الصلوة والسلام انه كان مخلصا) في طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والتقرب اليه (و) قال (في) شان (سليمان نعم العبد انه اواب) اي مسبح اورجاع اليه بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم اوكثير الصلوة (وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وهو اسرائيل ابو انبياء بني اسرائيل (اولي الايدي والابصار) الايدي جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة وقوتها وعلى القوة الباطنة

المدركة للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ معنى اخلصناهم جعلناهم خالصين بسبب انهم لايذكرون الا الدار الآخرة واطلق الدار اشارة الى ان الدنيا ليست دار مقر بل ممر ومعبر وعند هنا للقرب والاخيار جمع خير او خير المشدد بعد التخفيف (و) قال (في داود انه اواب) تقدم تفسيره (ثم قال) في حقه (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) اي قويناه لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون الف متسلح او قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب اي الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما بعد وهو اول من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين على مدعى عليه وقيل غير ذلك (وقال عن يوسف) عليه الصلوة والسلام (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) قيل الارض هنا ارض مصر وفي الاية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان فرعون يوسف اسلم وقصة يوسف عليه الصلوة والسلام اشهر من ان تذكر (و) قال (في موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا) وهذه قصته مع الخضر عليهما الصلوة والسلام المشهورة (وقال عن شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال) عنه ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) شعيب من نسل ابراهيم عليهما الصلوة والسلام ارسل الى مدين والايكة وهما امتان وقيل امة واحدة ووصفه الله بالصلاح والاصلاح وانه لايامر الا بما فعله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) فلوط ابن اخي ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم بمعنى هنا (وقال) في حقهم عليهم السلام (انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية) اي شانهم المبادرة الى فعل انواع الخير وسؤال الله تعالى في الرغبة والرهبة (وقال سفيان) الثوري او ابن عيينة في تفسير هذه الآية (هو الحزن الدائم) قيل ضمير هو راجع الى الخشوع في قوله وكانوا لنا خاشعين وفي الشرح الجديد يريد ان ما ذكر في الآية من الخيرات هو الحزن الدائم الذي ينشأ عن خيرات من سلك طريقها فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول (في آي) جمع آية (كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم) وهذا ابتداء كلام لاتعلق له بكلام سفيان رحمه الله تعالى اي ما ذكر من الآيات مندرج في ايات كثيرة دالة على كمالهم وليس ما ذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه (وجاء من ذلك) اي من وصف كمالهم عليهم الصلوة والسلام في غير القرآن (في الاحاديث الصحيحة) كثير كقوله صلى الله عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي) هذا الحديث في البخاري بدون انما وقوله نبي ابن نبي الى آخره والكرم ليس بمعنى السخاء فانه استعمال طار وانما هو معنى جامع للخير والشرف ومكارم الاخلاق قيل وانما خص يوسف عليه الصلوة والسلام بما ذكر لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع اربعة

من الانبياء من الحسن المفرط والعفة والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره من الانبياء وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية كقول ابراهيم عليه الصلوة والسلام ياابت لم تعبد الآية كرر ياابت مبالغة استعطاف ابيه والاطراد كقوله واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والسجع وهو من المحسنات احيانا واما انكاره لمن خاطبه وقوله اسجع كسجع الكهان لانه لبس في محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه ان ما ذكر ليس من قبيل التكرير لان كريما ليس معناه واحد في الحديث واما ذكره ليس من قبيل السجع وليس بشئ لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ماصدق عليه والسجع ما اتحدت قافيته (وفي حديث انس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) فهو من خصائص الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومران الخصائص تنقسم الى اقسام منها مااختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون سائر الناس الانبياء وغيرهم ومنها مااختص به صلى الله عليه وسلم دون امته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره في الشرايع السابقة ومنها مااختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبياء كما نحن فيه ولذا كان وضوءه صلى الله تعالى عليه وسلم لاينقض بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها مااختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم السابقة وانبيائهم كالتيمم (فان قلت كيف هذا وقد نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلوة الصبح حتى طلعت عليه الشمس ولايصح ان يكون هذا تسريعا لامته لانه لايفعل مايمتنع شرعا للتسريع وان لزمه ذلك من غير قصد له (قلت اجيب عنه باجوبة احدها وهو الاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حالان حال لاينام فيها قلبه وهى الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه (الثانى انه يغيب عنه في نومه ما يحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوهما ورجح بعضهم هذا (الثالث ان قلبه لايستغرق حتى يتعطل احساسه وقد يستغرق لاستغاله بوحي كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحي في اليقظة وقيل ان المراد انه لايستغرق قلبه حتى لايدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة الضعيفة ان قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تسريعا للامر وفي هذا اشارة الى يقظة قلبه وانه لايفعل وهذا من جملة الكمال فناسب الترجمة مناسبة تامة (وروى) رواه الطبرانى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان سليمان عليه الصلوة والسلام كان مع مااعطى من الملك لايرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله) وذلك لتعظيم ملكوت الله وملائكته استصغارا لنفسه لا لان الله في جهة وحيز كما توهم وكذا كان ابوه داود عليه

الصلاة والسلام كما ذكره الغزالي في الاحياء اي حياء من ملئكة الله تعالى لقصور عمله من اعمالهم اى لايفترون عنها طرفة عين ولاينافى هذا قوله * افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت * لانه مقام آخر (وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير) جمع لذيذة وهو مايشتهى ويميل له الطبع من المأكولات (واوحى الله اليه يارأس العابدين) اى اعلاهم ورئيسهم (وابن محجة الزاهدين) اصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لجمعهم ومقصدهم ومقتداهم الذين يأتسون بسنته ومسلكه وفى نسخة حجة وزهده صلى الله تعالى عليه وسلم لاينافى ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك (وكانت العجوز) خصها لحقارتها (تعترضه) اى تجئ له صلى الله تعالى عليه وسلم وتقف مقابلته (وهو راكب (على الريح في جنوده) وعزة سلطانه (فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضى) لقصده (وقيل ليوسف عليه الصلوة والسلام مالك تجوع وانت على خزائن الارض فقال انى اخاف ان اشبع فانسى الجائع) المراد بخزائن الارض المخزون من الاموال والارزاق (وروى ابوهريرة رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البخارى عنه (خفف على داود القرآن) هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور او المقروء وقيل ان اطلاقه هنا مع انه علم فيما انزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على المعنى القائم بذاته تعالى اشتراكا او مجازا على طريق الاستعارة او المجاز المرسل والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير (فكان يأمر بدوابه فتسرج) وروى بدابته والمراد الجنس المختص به (فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) قالوا هذا من بسط الزمان له صلى الله تعالى عليه وسلم او من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووى وبلغنا ان من الناس من قرأ اربع ختمات بالليل واربع ختمات بالنهار (ولايأكل الا من عمل يده) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك خزائن الارض بيده وكان آدم عليه الصلوة والسلام حراثا ونوح صلى الله تعالى عليه وسلم نجارا وادريس عليه الصلوة والسلام خياطا وموسى صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لاينافى توكل الخواص ثم بين عمله بقوله (قال الله تعالى والنا له الحديد) فكان اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب (ان اعمل سابغات) اى دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة (وقدر في السرد) سرده نسجه اى عمله واصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير رقيقة فتقلق ولاغليظة فتكسر الحلق وقيل ان دروعه عليه الصلوة السلام كانت بلا مسامير لالتيامها وان في قوله ان اعمل تفسيرية او مصدرية بتقدير الجار قبل

كان سبب تكسبه لانه اختفى ودار يسأل الناس عن سيرته فيهم فلقى ملكا فى صورة رجل فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لوكان لا يأكل من بيت المال واصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة وافضلها التجارة وقيل الزراعة لانها اقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاستعفاف عن البطالة (وكان) داود عليه الصلوة والسلام (سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله) وسببه ما مر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغى ان يكون له مايكتسبه لئلا يأكل من بيت المال فان لم يكن له صنعة لا يأكل من بيت المال الا بقدر الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زعماسا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الآتى وما بعده سيأتى من نقله (احب الصلوة الى الله صلوة داود واحب الصيام الى الله صيام داود) وبين ذلك بقوله (كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) وقيامه فى وقت يتجلى الله فيه ويقول هل من سائل فاعطيه ولبس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل الصبحة بنشاط لاستراحته وهكذا يفعل المتهجد ولم يتعرض احد لصلاة الامم السالفة ولا لصلوته صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء وبيان كيفيتها الا ان السيوطى رحمه الله تعالى نقل فى الخصايص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى * ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا (و) كان (يصوم يوما ويفطر يوما) وفى هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهى عنه مع ان هذا اشق منه لان من اعتاد هذا صار طبيعة له لا تضره وهذا آخر الحديث وقوله (وكان) اى داود عليه الصلوة والسلام (يلبس الصوف ويفترش الشعر) اى ما نسج منه لانه خشن يمنعه لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار الانبياء عليهم الصلوة والسلام والصلحاء (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) الملح ادام بخلاف الرماد فكانه كان يأتدم به على خلاف المعتاد او يضعه فى ادامه لئلا يلتذ به (ويمزج شرابه بالدموع) لكثرة بكائه وعدم خلوه منه (ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة) وهى تزوجه بامرأة اوريا بعد ما سأله ان ينزل له عنها ففعل وتزوجها فجاءه ملكان فى صورة رجلين يدعيان نعاجا على ما قصه الله تعالى وليست هذه خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان يبكى وقد ذكر الله مدحه وعصمته مما لامزيد عليه (ولا شاخصا) رافعا وفاتحا (بصره نحو السماء) اى جهة العلو (حياء من ربه) سبحانه وتعالى كعادة من اذنب فانه يطأطئ بصره (ولم يزل باكيا حياته) منصوب على الظرفية اى مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (كلها) تأكيد لما قبله (وقيل بكى حتى

نبت العشب من دموعه) لكثرتها وهذا رواه ابن ابي حاتم عن انس رضي الله تعالى
عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا (وحتى اتخذت الدموع لخده اخدودا)
هو في الاصل الشق المستطيل في الارض استعير لتأثير الدموع في مجراها اثرا يعلم
وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاقي (وقيل كان يخرج) من منزله (متنكرا)
اي مستخفيا من معرفة الناس (ليتعرف سيرته) جملة مستأنفة لبيان سبب تنكره
(فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا لله) لانه يحمد من السيرة الحسنة والذكر
الحسن لاكن يزداد بمدح الناس له غرورا (وقيل لعيسى عليه الصلوة والسلام) كما
خرجه احمد بن حنبل وابن ابي شيبة عن ثابت (لو اتخذت حمارا) لتركبه
فتستريح من المشي (قال انا اكرم على الله ان يشغلني بحمار) هذا من زهده وسترحاله
اذ لم يقل انا اتواضع بالمشي وشغله يشغله كيلا يسأم له ولا يشغله عن ربه (وكان يلبس
الشعر) اي ما نسج منه زيادة في تواضعه وانما كره مالك لبس الصوف لمن يتخذه شعارا له
اظهارا لزهده وان اخفاءه افضل لما فيه من الرياء (ويأكل الشجر) اي اوراقه والمراد به
مطلق النبات تجوزا (ولم يكن له بيت) يملكه او يختص به (اينما ادركه النوم) اي
وقته (نام) اي ينام في اي مكان يجن عليه الليل فيه (وكان احب الاسماء اليه) وفي نسخة
الاسامي اي الالفاظ التي ينادى بها (ان يقال له يامسكين) رغبة في التواضع لعظمة الله
عز وجل وقيل عليه نحن مأمورون بتعظيم الانبياء عليهم الصلوة والسلام ومحبتهم
وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال احد لنبي من الانبياء يامسكين كان تحقيرا له
وتحقيرهم كفر ومعصية فلا ينبغي لنبي ان يرضى به وقد امرنا بتعظيم نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا ننادیه باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع
اصواتنا عنده توقيرا له وحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا كما
سيأتي بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام فكان
يجب على امة عيسى عليه الصلوة والسلام ان يوقروه ويجب على عيسى ان لا
يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فرار من العجب وقيل مثله لا يتطرق عليه عجب
ولا يحتاج لاجتنابه واجيب بحمل هذا على انه صدر ممن لم يؤمن به وكانوا يقصدون بذلك
تعيير الناس عن الايمان به واتباعه كما وقع مثله من المشركين في حق نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم وكان عيسى عليه الصلوة والسلام اذا بلغه ذلك عنهم احبه
واما المؤمنون به ويجب عليهم تعظيمه وذلك ممن آمن به اذا سألهم سائل عنه اهو
ذو مال ام فقير فيقولون هو مسكين كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في
دعائه اللهم احيني مسكينا وامتني واحشرني في زمرة المساكين وكما قال ابو العتاهية

* اذا رأيت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين

والكلام على الفقير والمسكين اشهر من ان يذكر (اقول لا وجه للسؤال

ولا الجواب اما الاول فلان عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم غلب على امته الرهبانية واطها ر المسكنة فيكون في شرعهم يجوز مباذاته وخطابه بمثله من مؤمنيهم وحواص حواريهم وان لم يجز مثله في شرعنا ولا مايقربيه واما الثاني فلان جمله من كفارهم اومؤمنيهم في عيبته لايصح لان اظهار محبته واجب وقوله يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصريح في عكسه لمن له ادنى فهم وقد روى ما من كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلوه والسلام احب اليه الى آخره (وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لماورد ماء مدين) هذا الحديث رواه احمد في ازهد وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفا وتقدم ان وروده صلى الله تعالى عليه وسلم لماء مدين كان لمافر من قبط مصر فلقي ابنتي شعيب على ذلك الماء وبينه وبين مصر ثماني مراحل اواكثر في قصته السالفة المذكورة في القرآن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاءه و(كانت ترى خضرة البقل) الذي كان يأكله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يجد غيره وللبقل ما ليس بشجر من النبات التي لاتبقى ارومته واصوله بعدا حده وهو معروف (في بطنه من الهزال) بضم الهاء وزاي معجمة وهو ضعف مذهب اللحم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الحاكم عن ابي سعيد الخدري وصححه (ولقد كان الانبياء قبلي يبتلي) بالبناء للمفعول ونائبه (احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك) الابتلاء (احب اليهم من العطاء اليكم) لتيقنهم بما اعدالله لهم في مقابلته وهوان نعيم الدنيا عندهم ولفظ الحديث ليس كما ذكره المصنف رحمه الله وهو ماقال ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله من اشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت ثم من قال الصالحون كان احدهم يبتلي بالقمل حتى يقتله ويبتلي بالفقر حتى لايجد الا العباء يلبسها ولاحدهم اشد فرحا بالبلاء من احدنا بالعطاء وهو صحيح على شرط مسلم والمراد مايعطى من السعة في الدنيا قيل وهو يدل على الانبياء عليهم الصلوة والسلام لم يسلط عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية الا ان ابن الملقن رحمه الله تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم تكريماله ونقل ابن عبدالبر رحمه الله تعالى في التمهيد ان نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك ابن فضالة عن الحسن رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل في الصلاة والظاهر ان جسده لشريف لايتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف وانما كان يوجد في ثيابه من الفقراء المجالسين له وكذا سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولو قيل ان الضمير يبتلي في حديث الحاكم للصالحين كان اقرب انتهى وهذا ينافيه مانقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وعلو همتهم

في النظر للآخرة (وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه) المراد به الحيوان المعروف ويجوز ان يراد به الكافر او العدو او الجاهل وان كان بعيدا غير مناسب هنا (اذهب بسلام) اى اذهب مصحوبا بالسلامة (فقيل له في) شان (ذلك) القول الذى قاله فانه لا ينبغي (فقال اكره ان اعود لساني النطق بسوء) عملا بقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن وترغيبا في العمل به (وقال مجاهد) كما رواه احمد وابن ابى حاتم (كان طعام يحيى عليه الصلوة والسلام العشب) وهو النبت الذى يخرج بغير زرع وعينه مضمومة (وكان يبكى من خشية الله عز وجل) والخشية خوف مع تعظيم (حتى اتخذ الدمع مجرى في خده) اى صار محل جريانه منخفضا متميزا عن غيره لتأثيره بدوام جريانه فيه (وكان يأكل مع الوحش) اى كان يحيى صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل العشب في القفار الخالية التي يسكنها الوحش او يأكلهم فيها ويكون معهم (لئلا يخالط الناس) اى يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلوه عن العبادة وذكر الله وما ذكر رواه احمد في الزهد عن الخولانى (وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يستظل بعريش) هو ما يستظل به جعة كان او حشيشا او نباتا (ويأكل في نقرة حجر) بوزن حفرة فلا يأكل في آنية ويضع طعامه في الارض (ويكرع فيها) اى يضع ما يشرب به في نقرة يكب عليها او يشرب منها بفيه (اذا اراد ان يشرب) واصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء في الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة او لغيرها من جنسها كما تقول اعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره (كما تكرع الدابة) اى تشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب رأسه ليشرب (تواضعا لله بما اكرمه من كلامه) اذ كلمه بلا واسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما (واخبارهم) اى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (في هذا كله) من النعوت التي تقدمت في هذا الفصل المعقود لها (مسطورة) في كتب الحديث والتفسير المعول عليها (وصفاتهم في الكمال وحسن الاخلاق) كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع (وحسن الصورة والشمائل) جمع شمال وهى الخلق والسجية وينبغي ان يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمائل ما ينشؤ عنها من الآثار (معروفة مشهورة) وعبر في الاولى بانها مسطورة وفي هذه بانها مشهورة تفننا في العبارة ولان الاولى احيا ربحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كلات لائقة بهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكرها لما ذكر لاعلم قدرهم وفضلهم (فلا نطول بها) مع انها معلومة ثم لما كان في بعض الكتب امورا متعلقة بالانبياء عليهم الصلوة والسلام غير لائقة بهم حذر منها فقال (ولا تلتفت) اى لا تعتبر وتعتقد واصل الالتفات لى العنق او انعطاف بالجانب لتنظر ما تريد معرفته

فتحوزبه عما ذكرومنه الالتفات البديعي (الى ماتجده) تقف علية (فى كتب بعض جهلة المورخين) جمع مؤرخ بالهمزة وقدتبدل واوا وهوالمصنف فى التأريخ وهوفى معروف وهولفظ عربي اصله من الارخ مستعار للحادث من ولد البقرة اوهومعرب ماه روز وهو بعيد جدا واول ما حدث فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه (و) فى كتب بعض (المفسرين مما يخالف) امثال (هذا) المذكور (فحصل قد اتينا اكرمك الله) جملة اعتراضية والخطاب لمن ساله تصنيف هذا الكتاب كما مر اولكل من يقف على كتابه وليس فيه تجريد لخاطب من نفسه كما قيل ومفعول اتينا مقدر اى مما عرفته وسمعته اوبما فيه مقنع بقرينة ماسيأتى (من ذكر الاخلاق الحميدة) اى المحمودة الممدوحة وهو بيان لمقدر اولما الآتية بناء على جواز تقدمه (والفضائل المجيدة) اى الكريمة الشريفة (وخصال الكمال العديدة) اى الكثيرة المعدودة وقد تقدم انه قديفيد الكثرة لان القليل لايحتاج للعد وقديراد به القلة والمراد الاول (واريناك) اى اعلمناك واوضحنالك (صحتها له صلى الله عليه وسلم) اى كونها صحيحة فى حقه لائقة به (وجليا) بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية ساكنة اى واضحا وبينا وفى نسخة جلبابياء موحدة اى روينا ونقلنا وفى بعض النسخ حكيا بالكاف بدل اللام والمعنى واحد (من الآثار) جمع اثر وهو مابقى من علامات الشئ الدال عليه و يطلق على الحديث وقد يختص بالموقوف وكلام الصحابة و يراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع والموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا (ما فيه مقنع) بفتح الميم والنون و بينهما قاف ساكنة مصدر ميمى بمعنى القنعة اوهو صفة مشبهة بمعنى مابه القناعة والرضى وفى القاموس يقال شاهد مقنع و قنعان اى يرضى و يكتفى بشهادته وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فما ذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن و فى والباء و ما قيل من ان المراد به الدليل وهذه الآيات والاخبار تتضمن الدليل تتضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام (والامر اوسع) جملة حالية اى شانه صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه اعظم مما ذكرناه واكثر من محاسنه لا تطيق العبارات حصرها

* وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف *

(فمجال هذا الباب) بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف و دار اى محل تجول فيه الافكار حول نعوته وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصاله و محاسنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حقه صلى الله تعالى عليه و سلم) اى ما يقال فى امره وشانه الذى يحق له (ممتد) اى واسع وكنى عن كثرتها وعظمتها بسعة محلها كما يقال المجلس والمقام العالى عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله (ينقطع دون نفاده الادلاء)

جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق ان يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق ممتد طويل و شبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقا وشبه من يستفيدون منه بها ويهديهم فى الطريق وعجزه عن الوقوف على كنهها ممن انقطع ووقف فيها لا يهتدى لسبيله والادلاء جمع دليل لا بمعنى الحجة بل بمعنى هادى السابلة كانبياء جمع نبى واصله ادللاء وقيل انه جمع ادلة بمعنى دليل فهو جمع الجمع ولبس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لو اريد غايتها بالادلة كالآيات والاحاديث واقوال الصحابة لم يكن الاتيان بها يؤدى المقصود منه ونفاد بالفاء والدال المهملة بمعنى الذهاب والفناء قال تعالى ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ولا وجه لتفسيره بفراغه (وبحر علم خصايصه) من اضافة المشبه به بالمشبه كلجين الماء وقد تعكس لكنه قليل (لا تكدره الدلاء) جمع دلو وهو ما يؤخذ به الماء من الاديم وعدم تكديره عبارة عن عدم بلوغ آخره لانه اذا لم يعد حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته (لكنا اتينا فيه بالمعروف) المشهور الذى يعرفه الناس مما اكثره (فى الصحيح) اى الكتب الصحيحة كالكتب الستة واشار بقوله اكثره الا ان فيه احاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر ان بعض المصنفين اوردها لما فيها من الفضائل كما اشار اليه بقوله (والمشهور من المصنفات) التى لم يلتزم فيها الصحيح (واقتصرنا فى ذلك) اى اتينا به وارويناه اى اكتفينا (بقل من كل) وفى نسخة من اكثر والاصح ما ذكرنا والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل او بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة اى ذكرنا امرا قليلا منه لا كثيرا اودون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به (بغيض من فيض) الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية والضاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والمراد انه قليل والفيض بفاء وياء مثناة تحتية وضاد معجمة من فاض الماء اذا تدفق وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق واقتباس (ورأينا) من الرأى لا من الرواية اى خطر له خاطر (ان نختم هذه الفصول) اى نجعل خاتمة هذه الفصول التى سبق ذكرها فى هذا الباب (بذكر حديث الحسن) رضى الله تعالى عنه بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه الذى رواه الترمذى فى شمائله واخرجه ابن سعد والبيهقى والطبرانى رواه المصنف رحمه الله تعالى عن مشايخه (عن ابى هالة) وهو هند بن ابى هالة الصحابى رضى الله تعالى عنه ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته (لجمعه) الضمير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام (من شمائله واوصافه) عطف تفسير

(كثيرا) مفعول جمعه المصدر المضاف لفاعله (وادماجه) اى اشتماله من ادمج
الشيء اذا لفه وستره قيل المراد لاحكامه واتقانه وانه اولى (جملة كافية من سيره
وفضائله) مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهرى دمج دموجا اذا
دخل واستحكم (ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله) اى نبين فى التنبيه ما
فى الحديث من غريب اللغة يشكل من تركيبه (حدثنا القاضى ابو على الحسين
ابن محمد الحافظ بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة) هو الامام الحافظ ابو على ابن
سكرة الذى تقدمت ترجمته (قال حدثنا الامام ابو القاسم) التكنية بهذه الكنية
جائز وما ورد فى حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي محمول على حياته صلى الله
تعالى عليه وسلم او على الجمع بينهما على ما يأتى فى ذلك من الخلاف (عبد الله بن
طاهر) بطاء مهملة تقدمت ترجمته (التميمي) منسوب لبنى تميم قبيلة مشهورة (قرأت
عليه حبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن الحسن النيسابورى) الاديب هو العارف
بعلوم الادب لاثنى عشر المشهورة (والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن
الحسن المحمدي) منسوب للمحمدية قرية من قرى تونس وتسمى بهذا الاسم
قرى اخر بنواحى مصر وبغداد واليمامة (والقاضى ابو على الحسن بن على بن
جعفر الوخشى) بواو مفتوحة وخاء وشين معجمتين نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ
وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن
ابن على بن محمد بن جعفر البلخى يروى عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من
اقرانه وسمع منه الحسن بن على البلخى سنن ابى داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا
انه اتهم بالقدر توفى فى خامس ربيع الاول سنة احدى وسبعين واربعمائة ببلخ
وعمره ست وثمانون سنة (قال حدثنا ابو القاسم بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى)
بضم الخاء المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة (قال انبأنا ابو سعيد الهيثم بن كليب
الشاشى) نسبة لشاش بلدة معروفة بما وراء النهر وهو الحافظ الثقة ابو سعيد الهيثم
ابن كليب بن شريح بن معقل صاحب المسند محدث ما وراء النهر سمع من الترمذى وغيره
توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة (قال انبأنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ)
الامام الترمذى صاحب السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء
مهملة كما تقدم (قال حدثنا سفيان بن وكيع) بن الجراح ابو محمد روى عنه اصحاب
السنن وله ترجمة فى الميزان توفى سنة سبع واربعين ومائتين (قال حدثنا جميع) بزنة
مصغر جمع ضد المفرد (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) الكوفى وعجل اسم قبيلة
بكسر العين المهملة وسكون الجيم (املاء من كتابه) الذى بيده او بيد غيره وهو احد
طرق الرواية المقبولة من الثقة المصحح لكتابه وما روى عن منع الرواية من كتابه المصحح

خلافه كما فصلوه (قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين
رضي الله تعالى عنها يكنى اباعبدالله) هذا الرجل هو عبدالله بن ابي هالة الذي كان
زوج خديجة قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كامر وهذا الرجل اخرج عنه
الترمذي في شمائله (عن ابن ابي هالة) قال الذهبي وتبعه البرهان ان هذا الرجل
لايعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم مقول من هالة
القمر وهي دارته (عن الحسن بن علي بن ابي طالب قال سألت خالي هند بن ابي هالة)
لانه اخو فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها لامها (قال القاضي ابو علي) بن سكرة
المتقدم فروي هذا الحديث من طريقين (وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن احمد
ابن خداداذ الكرجي الباقلاني) وخداداذ بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة والف
ودال مهملة والف ثم ذال معجمة والف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب
خداداد بدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكرجي بفتح الكاف والراء
المهملة ثم جيم منسوب لكرج اسم بلدة لابي دلف العجلي واسم بلدة بالدينور وبضم
فسكون اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري الباقلاء اذا شددت
لامها قصرت وان خففت مددت (قال) ابو علي (واجازلنا الشيخ الاجل ابو الفضل
احمد بن الحسن بن خيرون) هو الحافظ المتقدم ترجمته (قالا اخبرنا ابو علي الحسن
بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بشين معجمة والف وذال معجمة
ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور (بن حرب) كضد السلم (بن مهران) بكسر
الميم (الفارسي) منسوب لفارس ديار العجم (قراءة عليه فاقر به) هو شرط لقبول
الرواية عمن قرئ عليه فيقال له اخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم اخبرني به
فلذا قيده المصنف رحمه الله تعالى بهذا (قال اخبرنا ابو محمد الحسن بن محمد بن
يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن
ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي) هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه
كما هنا وروى حديث علي وذريته مجتمعون الاوصياء الى يوم القيامة وهذا الحديث
يدل على كذبه ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا الازدحم الناس عليه لانه معمر
توفي سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد
بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي
بن الحسين) علي هذا هو جعفر ابن محمد الصادق روى عن ابيه واخيه موسى روى
عنه الترمذي دون اصحاب السنن الا انهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذي
(عن اخيه موسى بن جعفر) هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة (عن
جعفر بن محمد) هو الصادق وقد تقدم (عن ابيه محمد) هو محمد بن علي ابو جعفر
الباقر (عن علي بن الحسين) هو زين العابدين الامام المشهور (قال قال الحسين بن

علي) رضي الله تعالى عنهما (واللفظ لهذا السند) يعني اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثاني والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن علي بن الحسين زين العابدين وكذا لم يذكر انه رواه احد مع الحسن هو ابن علي كما في المقتبي وهذا اسناد شريف لان رواته كلهم من اهل البيت ومثله حديث صفة الصلاة حتى نقل التلمساني رحمه الله تعالى انه اذا قرئ على مصاب افاق ورجال سنده كلهم معروفون (سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان اي عما يرى من وجهه الشريف وبدنه وهي بكسر الحاء المهملة وسكون اللام (وكان وصافا) اي وصفا له خبرة بوصف الناس لحذقه او كان معروفا بذكر صفات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا ارجو) جملة حالية اي راجيا (ان يصف لي منها) اي من حلية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (شيئا) اي مقدارا منها لان جميعها لا تحصى او بعضها لا تفي العبارة به (اتعلق به) اي احفظه واتمسك به تبركا (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما مفخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن المكرم والفخم بمعنى العظيم واصل الفخامة العظمة في الاجسام ثم شاعت في المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه صلى الله تعالى عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة كما تقدم في الباب الثاني انه كان واسع الصدر وعينه نجلاء اي واسعة الشق ووجهه الشريف ممتلئ باللحم وان قامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك في العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما ان له صلى الله تعالى عليه وسلم مهابة في العيون والصدور مع الجلال (يتلألأ وجهه) اي يضيء ويشرق وهو مأخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه (تلألؤ القمر ليلة البدر) اي فيه نور كنور القمر في ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتفسيره (اطول من المربوع) وهو الذي بين الطول والقصر كالربعة وقال التلمساني المراد به هنا القصير الذي تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه ربعة واصل المربوع الحبل المفتول على اربع طاقات فاستعير لما ذكر انتهى (اقول لا حاجة لما ذكر لصرفه عن ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهذا امر تحقيقي وربعة امر تقريبي فلا منافاة بينهما ولذا قال (واقصر من المشذب) بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة وهو المفرط في الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهي التي قطع بعض جريدها والتشذيب قطع كالتقليم (عظيم الهامة) بالهاء وتخفيف الميم وهي الرأس وليس المراد انها مفرطة في الكبر بل كبيرة كبرا نسبيا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته على قلة العقل وقيل الهامة

وسط الرأس وقيل محمولها معان اخر غير مناسبة هنا (رجل الشعر) بكسر الجيم
على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كما مر والمراد ان فيه
تجعدا قليلا وهو من صفاته الممدوحة فيه و يقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة
والسبط المسترسل (ان انفرقت عقيقته فرق) انفرق اى صار شعر رأسه فرقتين
والعقيقة الشعر الذى على رأس المولود الذى يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع
لانه يحلق فى اليوم السابع فسمى به شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق
المجاز المرسل لاستعمال المقيد فى المطلق ولبس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق
ابقاه متفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض
الواقع بين شعر الرأس وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته (والا فلا
يجاوز شعره شحمة اذنه) وفى رواية اذنيه بالتثنية وهما بمعنى كما يقال نظرت بعينى
اذا نظر بعينيه وهكذا فى كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية وشحم الاذن
مالان منها حيث يعلق القرط وتقدم فى هذا الحديث مارأيت من ذى لمة فى حلة
حمرا احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان اللمة الشعر الذى يجاوز
شحمة الاذن فاذا وفر شعره صار لمة اى ما يلم بالمنكبين و اللمة دون الجمة والوفرة
دون اللمة والجمة اكثر من الوفرة وهى ماسقطت على المنكبين فالوفرة ابلغ منها اللمة
والجمة ابلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف السدل من قدام او خلف ومعنى
قوله والا وان لم يفرق فعلم منه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل المنكب واحواله مختلفة
فى الطول ولذا قيل له لمة وجمة (اذا هو وفره) وفى بعضها وفر بدون ضمير والمعروف
رواية الاول كما قال المزى وفاؤه مخففة ومشددة اى كثرة وقد نقل بعد الحلق وغيره
كما عرفته وهذا اولى من حمل اختلاف الروايات عن التقريب (ازهر اللون) سيأتى
معنى الازهر وان معناه ابيض مسرب بحمرة وقد ورد انه لبس بالابيض الامهق ولا
بالادم و بهذا علم ماروى انه كان اسمر ولعله رآه عقب سفر ونحوه اولم يحققه لانه
لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لايحدق النظر فى وجهه وفى رواية انه كان ابيض
شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق عن البرص ولذا سمى جزيمة
الابرش الوضاح و يؤيده انه ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عنقه كوزصة
ويأتى وكان ساقه جماره وكشف ظهره وكأنه سبيكة فضة و قيل ان سمرته
حمرته ولذا قيل فى الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة او البياض لونه
وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة اسفاره (واسع الجبين) فى القاموس الجبينان
حرفا الجبهة وجاناها عند الصدغين و بعد الحاجبين والجبهة وسطه او هو
جميع مابين الصدغين فتدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر (ازج الحواجب)
ازج افعل كاحمر و الزجج تقوس فى الحواجب مع طول فى طرفه وامتداد بدقة

في طرفيه واراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان اقل الجمع اثنان او لاطلاقه
على اجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما وشعرهما ويطلق على الشعر
وسمى به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين (سوابغ) بالسين والضاد جمع سابغ
لانه لما لا يعقل وقيل جمع سابغة وفية اى طوال كاملة (من غير قرن) بفتحتين اى من
غير اقتران واتصال لانه غير محمود عند العرب وما وقع في حديث ام معبد
من وصف حاجبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما
شعر دقيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وما قيل انه بطريق
لرأى اوانه لاختلاف الرؤية قرنا وبعدا اوانه حدث له صلى الله تعالى عليه وسلم
بعد ذلك بعيد جدا بل لاوجه له (بينهما) اى بين الحاجبين وهذا يدل على ان
الجمع في الحواجب بمعنى المثنى هنا (عرق يدره الغضب) بضم الياء مضارع الادرار
من ادر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فعلى والمراد انه يظهر
لغليان الدم بالغضب بعد ما كان خفيا لا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافى
ما ورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم حليم لا يغضب لانه باعتبار اكثر احواله
صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لا يغضب لنفسه ولا لاجل امر دنيوى ولكنه
قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفي ضربه للاعداء كما قال الصرصرى
رحمه الله * بجبينه عرق يدر اذا سطا * غضبا على الاقران يوم طعان * والغضب
يهيج الحرارة الغريزية فيغلي الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق (اقنى
العرنين) القناء في الانف طوله ودقة ارنبته اى طرفه مع ارتفاع يسير في وسطه
والعرنين بكسر العين الانف او ماصلب منه او ما تحت مجمع الحاجبين وهو اول
حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ انفهم وارتفاعه
على اقرانه قال * ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا *
(له نور يعلوه) الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه
وان كان وجهه كله له نور لكنه اول ما يتعلق به ولذا سمى انفا ايضا (يحسبه
من لم يتأمله اشم) الشمم في الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء اعلاه واشراف
ارنبته قليلا يعني ان وسطه فيه استواء مع اعلاه واسفله ولكنه لتلألؤه قد يظن
ان فيه ارتفاعا اوان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما والشمم قد يعبر به عن عزة
النفس وعدم التنزل للامور وهو مما يمدح به كما قال كعب رضي الله عنه * شم العرانين
ابطال لبوسهم * من نسج داود في الهيجاء سرابيل * والتأمل اعادة النظر وتكراره
ليثبت فيه ويقف على كنهه وهو في الاصل تفعل من الامل والرجاء لان الانسان
لا يعيد النظر غالبا الا لما فيه امل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه
وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول اصح واشهر (كث اللحية)

بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة الشعر من غير طول ولا دقة شعر وما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحييه مثنى لحى وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله او المراد عدم طولها (ادعج) اى سواد عينيه شديد مع بياضها ويقال رجل ادعج اى اسود ولبس مراد وسيأتى فيه كلام (سهل الخدين) اى غير مرتفع الوجنة وكثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طاق منبسط (ضليع الفم) بضاد مفتوحة معجمة اى طويل اشقاق الفم واسعة وهو مما يمدح به ويعاب ضده بدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمسانى وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم فى مدايحهم وهو لمعنى آخر كما مر (اشنب) بنون بين شين معجمة وباء موحدة اى ذو شنب وهو كما فى النهاية بياض وبريق وصفاء وتحديد فى الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحزير فيها وسئل روبة عن قول ذى الرمة

* لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى انيابها شنب *

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب اى انه صفاءه وماء فيها كهذا ومن امثال المولدين فاتك الشنب لمن اراد الشبه بمن لا يشبهه قال ابى الوكيل رحمه الله تعالى

* يا بارقا باعالى الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب *

(مفلج الاسنان) تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو ابقى للفم واطيب وفى حديث على كرم الله تعالى وجهه افلج الثنايا وهو المراد بالاسنان او المراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام وينبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى كقوله

* مالى به مع قرب دارى ملتقى * فهل رأيت ثغرة المفلجا *

(دقيق المسربة) بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة تليها هاء وهو شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة ووصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل (كان عنقه جيد دمية) الجيد العنق الا ان السهيلى قال ان العنق يستعمل فى غير المدح والجيد يستعمل فى مقام بخلافه وان قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقدا لها وماهنا على اصل اللغة لا على نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهى الصورة من رخام او عاج والمراد شدة بياضه وطوله ويؤيده ما روى من ان عنقه صلى الله تعالى عليه وسلم كابريق فضة ويشير اليه هنا قوله (فى صفاء الفضة) اى بياضها الخالص وهذا يؤيد ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس باسمر وانما شبه بالدمية لان صانعها يبالغ فى تحسينها ولهذا

ضرب بها المثل (معتدل الخلق) بفتح فسكون اى متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضاء مستقيم في احسن تقويم (بادنا) اى ضخم البدن غير دقيق الاعضاء صغيرها واردفه بقوله (متماسكا) اى كل اعضائه تمسكت بعضه ببعض لشدة ارتباطه به ومماسته له وهو منصوب صفة بادنا وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر (سواء البطن والصدر) اى متساويهما لم يرتفع احدهما على الآخر (مشيح الصدر) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه (بعيد ما بين المنكبين) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد ببعدهما سعتهما وهو اقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد وما موصولة (ضخم الكراديس) جمع كردوس وهو رأس العظم او ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى كثير وكل عظم كثير اللحم كردوس (انور المتجرد) اسم مفعول يعني ما خفي من البدن من التجرد وهو التكشف ورفع الثياب وانور بمعنى نير مشرق او افعل تفضيل لان ما تحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس ابيض من الاطراف المكشوفة وورد في وصفه صلى الله عليه وسلم انه احرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على اماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطي في شرح البردة قال بعض الصحابة رأيت ساق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غرز الركاب كأنه جمارة يعني في بياض اللون والطراوة فان قلت الوارد في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه ازهر اللون اى مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص قلت يمكن الجمع بان ما تحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهي النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لا زائدة (والسرة) وهي ما موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر (بشعر) متعلق بموصول (يجري كالخط) وهو المسربة السالفة وجريانه امتداده كالجار والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة وفي الاصطلاح ما وصل بين نقطتين متقابلتين فكأنه جعل اللبة وهي النقرة التي فوق الصدر نقطة والسرة نقطة اخرى والشعر الرقيق بينهما خطا (عاري الثديين) تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث وروى الثندوتين بثاء مثلثة ونون وهما بمعنى (قال الجوهري الثدى يكون للرجل والمرأة ووافقه الصاغاني وفي درة الغواص الثدى خاص بالمرأة والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموزة كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدى اورأسه فان ضمت همزته وهو فعلوة ففيه تفصيل بيناه في شرح الدرة وعلى ما قاله الحريرى تبعا لبعض

اهل العصر صوب بعضهم رواية الشذوتين وزعم ان غيره خطأ لعدم ثبوته فى اللغة وما قيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى عاريهما انه لاشعر عليهما وقيل لالحم عليهما ماسيأتى من انه اشعر الى آخره وفيه نظر لانه لم يذكر فيه انه على ثدييه شعر كما ستسمعه قريبا (ما سوى ذلك) اى ما سوى الشعر الذى بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروى ماسوى ذين وهو اظهر (اشعر) اى كثير الشعر فى (الذراعين) بكسر الذال المعجمة مابين المرفق وطرف الاصابع (والمنكبين) تقدم بيانهما (واعالى الصدر طويل الزندين) تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه الكوع وهو رأس الذراع ممايلى الابهام والكرسوع وهو رأسه ممايلى الخنصر وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول (رحب الراحة) اى واسع الكف والكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع (شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلئ لحما ويؤيده انه ورد فى رواية انه ضخم (الكفين والقدمين) وما فى النهاية فى تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذى فى اناملة غلظ بلاقصر وذلك محمود فى الرجال دون النساء لانه اشد للقبض والبطش وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما وهى مع ضخامتها لينة وفى حديث انس رضى الله عنه ما مست حريرا الين من كفه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال الاصمعى الشثن غلظ مع حشونة لم يوافق عليه ولا حاجة لتأويله بانه لامر عارض فى اسفاره وجهاده واستعمال يديه فى مهنة بيته فانه مناف لعده من الحلية وهى الصفات الخلقية فان الذى ارتضاه اهل اللغة انه الضخم ولا ينافيه قوله (سائل الاطراف) و بسط الكفين او سبط الكفين كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم مغرسهما فلبست داخلة فى معناهما ومعنى سائل باللام طويل فكانه سبههما بعين سالت من بركة لطولها وصفائها او بياضها اولينها لان راحته صلى الله تعالى عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت فى قصيدتى الهمزية

* نبع الماء من اصابع كفه * باياد ما غاض فيها الماء *

* لاتقسها على اصابع نيل * كم لكسر من جبرهن وفاء *

(اوقال سابن الاطراف) شك من الراوى فى قول ابن ابى هالة انه قال ما تقدم اوقال شاين بنون مبدلة من اللام كما يأتى وقالوا اجبرين وجبرين واسمعيل واسماعين (وسائر الاطراف) بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقى اوجميع وليس الثانى خطأ كما قاله الحريرى وتبعه فى الشرح كما فصلناه فى شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف على القدمين اى ضخم اطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج

كما قيل وقد ضب في النسخ على قوله ساين بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لما سيأتي في تفسيرها كما قاله في المقتفي وجاء هذا في بعض الروايات من غير شك (سبط العصب) سبط بسكون الباء الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد ونتوّ كما في النهاية والعصب وقع في اصل البرهان بعين وصاد مهملتين كما ضبط ابن الانباري والذي اتفق عليه ابن الاثير والهروي انه القصب بالقاف لا بالعين والمراد بالقصب ساعداه او ساقاه وفي العرسين كل عظم عريض لوح وكل اجوف فيه قصبة وجمعها قصب ويشهد له ان العرب تتمدح به كما قال * جاءت به سبط العظام كانما * عمامته بين الرجال لواء * لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد في البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين في علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به ههنا عظام الساقين والساعدين مجازا لما بينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا (خمصان الاخمصين) خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبهما ضبط لفظ الشقاء ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافي عن الارض اي المرتفع والاخمصين مثنى اخمص بوزن احمر وهو ما دخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمي به لضموره ودخوله ولما كان اخمص القدم قد يطلق على ما يلي الارض منها مطلقا اتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة في ارتفاعه كما فسره بعضهم بها بالتشديد الجافي لهذا فجعله كليل الليل وقد قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفله فهو احسن فان استوى او ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسيأتي ما ينافي هذا يعني قوله مسيح القدمين قال المازري في كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا يناله الارض من وسط القدم وقوله (مسيح القدمين ينبو عنهما الماء) قال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتي اي املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفي حديث ابي هريرة خلافه ففيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكلهما ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمي عيسى بن مريم مسيحا لانه لم يكن له اخمص وقيل معنى مسيح القدمين لا لحم عليهما وهو مخالف لقوله شثن القدمين انتهى واقره صاحب المقتفي وفي الشرح الجديد في النهاية معنى مسيح القدمين انهما ملساوان لينتان ليس فيهما التواء وانشقاق فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب القبلي وقال ابن الحنبلي في شرح قصيدة الصرصري النونية ليس المسيح باطن القدمين الذي هو محل الخمصان بل ظاهرهما للملاسة فلا تعارض بين العبارتين اقول هذا كله خلط منهما وليت شعري ما يقول في حديث ابي هريرة الذي نقله المازري

فالاشكال الذي ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا ان يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى ينبو يرتفع والمراد به مفارقة الماء وانصبابه مجازا وانشدوا ها لبعضهم

* يا رب بالقدم التي اوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما *
* وبحرمة القدم التي جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما *
* ثبت على متن الصراط تكرما * قدمي وكن لي منقذا ومسلما *
* واجعلهما ذخري فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما *

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم علي رضي الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح اصعد لكسر اصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفي بعض النسخ مسيح بفتح الميم وسين معجمة ولم يفسرها وكانها تحريف من السائح او معناها خفيف المشي (اذا زال زال تقلعا) وروى اذا مشى يقلع اي رفع رجليه رفعا قويا ليتمت في مشيه فكانه يقلع رجليه من الارض فيقارب خطاه من غير احتيال واسراع كما ورد كانما ينحط من صبب وروى اذا زال زال قلعا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروي بالضم ايضا (ويخطو تكفؤا) اي اذا مد خطاه يميل الى قدامه كي يتكى وتكفؤا ان همز صحت واوه كالمصادر الصحيحة مثل تقدما لان الهمزة حرف صحيح فان ابدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمي تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الآخر (ويمشي هونا) بفتح الهاء اي اذا مشى مشى برفق ولين ووقار كما يأتي لانه ممدوح قال تعالى * ويمشون على الارض هونا (ذريع المشية) بفتح الدال معجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطو اي ما بين قدميه واسع فمع عدم سرعته يساوي مشيه المشي السريع او يفوقه (كانما ينحط من صبب) اي ينحدر من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة وانما قال كانما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر في السرعة والسهولة (واذا التفت التفت جميعا) اي اذا اراد ان يدور لما خلفه او في جانبه لايلوي عنقه بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش (خافض الطرف) مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله (نظره في الارض اطول من نظره في السماء) يعني ان نظره لجانب السفل اكثر من نظره في جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعاء فانه مكروه فيهما ولا ينافي هذا قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ قد (جل نظره الملاحظة) جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحظ

وهوطرف العين مما يلى الصدغ ومما يلى الانف موق وماق اى ينظر طرف عينه تأدبا وحياء (يسوق اصحابه) اى يمشي خلفهم وفى ساقتهم ولايدع احدا يمشي خلفه كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خلوا ظهرى للملائكة وفى قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فاقيل من انه لايقدم الصغار الكبار الا اذا ساروا ليلا اوخاضوا سيلا ليس على وفق السنة (ويبدو من لقيه بالسلام) لانه من السنة ان يسلم الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية وهى تحية اهل الجنة كما ورد فى السنة فهو دعاء بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا بمعنى ان الله معك ومطلع عليك وابتداؤه سنة لاواجب بالاجماع وفيه قول به ضعيف لايعتد به ورده فرض كفاية لاعلى كل احد لان السلام معناه الامان فاذا سلم احد ولم يجب توهم الشر فيجب دفعه كما قاله الحليمي وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضع ولطف مناسب لمانحن فيه من حسن الخلق قال الحسن رضى الله عنه لراوى هذا الحديث (قلت) لخالى هند بن ابى هالة رضى الله تعالى عنه (صف لى منطقه) مصدر ميمي اى نطقه وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى واما قول سليمان عليه الصلوة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر * لقد نطق اليوم الحمام لتطربا * فلتنزيله منزلة لفهم سليمان عليه الصلوة والسلام منه معنى ولادعاء الشعراء شوقه وطربه كما قاله الهروى (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب قوله الآتى ولايتكلم فى غير حاجة فكانه قال كان كلامه موجز قليل وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح وبطر بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجوزية قول ابن ابى هالة متواصل الى آخره لم يثبت عنه وفى سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن واسبابه ونهاه عنه بقوله لاتحزن وغفرله ما تقدم من ذنبه وماتأخر فلاخوف عليه ولاحزن فى الدنيا والآخرة فمن اين يأتيه الحزن وقد ورد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه كان دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن ومن ان الهم لماسيأتى والحزن على مامضى وقال ابن تيمية فى حديث ابن ابى هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن الالم على فوت مطلوب او حضور مكروه كانه لم يكن من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لمايستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب انتهى قيل وهو لم ينه عن ذلك لانه ليس باختياره وانما نهى عن تعاطى اسبابه كما قيل

* ومن سره ان لايرى مايسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا *

انتهى وقال ابن قيم الجوزية فى شرح منازل السائلين ليس الحزن من منازل السالكين وقد ورد النهى عنه فقال ولاتهنوا ولاتحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وحزن المؤمن

يسر الشيطان لانه يفتر العزم ولذا قال اهل الجنة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو من
المصائب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت (اقول هذا تطويل بغير طائل
وانكار ورود الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس
من المقامات فمع كونه غير مسلم كما مر ولا يضر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره في امور امته واحوالهم كما يدل عليه
قوله (دائم الفكرة ليس له راحة) وكيف لا وقد قاسى صلى الله تعالى عليه وسلم
في التبليغ ما لا يوصف واما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالتبسم والتبسم فهو
في حال آخر وهو مخاطبته للناس والنظر في امورهم (ولا يتكلم في غير حاجة) له
صلى الله تعالى عليه وسلم او لامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه
(طويل السكوت) عما لا يجدي نفعا لكثرة افكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ودوام
اذكاره (يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) جمع شدق بفتح اوله وكسره وسكون الدال
المهملة وهو جانب الفم وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته صلى الله تعالى عليه
وسلم كما مر وهو مما تمدح به العرب واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ابغضكم الى الله
المتشدقون ففي معناه من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه فسقط ما قيل انه من
صفة الفم ولا مدخل في الجواب (ويتكلم بجوامع الكلم) وهي الكلمات الموجزة
المشتملة على الحكم النافعة السائرة مسير الامثال جمع جامعة وتطلق على القرآن
(فصلا) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة اي كلاما فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق
والباطل (لا فضول فيه) لا زيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع
فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى آخر ولذا نسب اليه فقيل فضولي كما في المغرب
(ولا تقصير) فيما يريده بتقليل مخل بالفهم (دمثا) بفتح الدال المهملة وكسر الميم
وبالثاء المثلثة من الدماثة وهي سهولة الخلق مستعار من الارض الدمثة وهي ذات
الرمل المتلبد اي لين الخلق لطيف لمعامله (ليس بالجافي) اي ليس غليظ الطبع
وهو اصل معنى الجفاء او لم يكن يجفو اصحابه (ولا المهين) روي بضم الميم وفتحها
فالاول من الاهانة والميم زائدة اي لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يهين احدا من
الناس والثاني من المهانة وهي الحقارة والميم اصلية اي لم يكن صلى الله تعالى عليه
وسلم حقيرا ممتهنا لا لاحد من الناس لشرف نفسه وعزتها وهذا وصف لذاته
صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه (يعظم النعمة وان دقت)
اي يعد كل ما انعم الله به عليه عظيما وان لم يكن لذلك ومعنى دقت صغرت وقلت
(لا يذم شيئا)اي شيئا يستحق الذم (لم يكن يذم ذواقا) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو
المخففة والف وقاف فعال مصدر صار بمعنى ما يذاق من مأكول ومشروب فما قدم
له صلى الله تعالى عليه وسلم من طعامه ونحوه ان اعجبه اكل منه والا كف يده ولا يقول

فيه شيء فلا يذمه (ولا شيئا يمدحه ولا يقام لغضبه) من قام اذا ثبت اى لا يثبت له احد او من قام بمعنى دام اى لا يدوم احد على تحمل غضبه و يقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب لله احيانا وقد ورد ما يدل على ذلك (اذا تعرض للحق بشيء) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملتين المشددة والضاد المعجمة اى اذا اعترض احد للحق بما يبطله او يقتضي خلافه وبشيء بالباء الجارة واللام وعامله ما يقام او تعرض (حتى ينتصر له) اى للحق فيؤيده ويبطل خلافه (ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها) اى اذا اذاه احد من الاعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالاعرابي الذى امسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بردائه ولببه والذى قال ان هذه قسمة غير عادلة ونحو ذلك ككلام بعض المنافقين كابي ابن سلول رأس المنافقين وما كان يصدر منه (اذا اشار اشار بكفه كلها) اى اذا اشار لشيء خارج الصلوة اشار برفع يده واما فى الصلوة واذا اشار للتوحيد اشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله صلى الله تعالى عليه وسلم اشارات اخر ينبه عليها بقوله (واذا تعجب قلبها) اى قلب كفه و جعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض وتأنيث الكف لانها مؤنث سماعي وهو اشارة لانقلاب الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب لامر وهذا مما يدل على سكونه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم خفته وهو امر ممدوح (واذا تحدث فصل بها) فى شرح الدلجي بهمزة وفاء وصاد مهملة و لام والضمير للكف اى وجه كفه من وصل عليها اذا خرج من طريق او ظهر من حجاب قاصدا بها اى بكفه ولم يبينه غيره ووقع فى بعض النسخ اتصل بها اى بمثناة فوقية بدل الفاء وفى حاشية التلمسانى والحديث يتصل بها اى لا يزال يحركها وذلك اثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل على ان اتصل بها رواية فى العبارة ثلاثة و جوه اوصل واتصل و يتصل و المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه فى امر مهم (اقول هذا كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه اما ما ذكره الدلجي من انه اوصل بهمزة وفاء فتحريف لانه لم يسمع فى هذه المادة من يدبرية اكرم فالصواب فصل او اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته او وصل احدى يديه بالاخرى ثم رأيته فى كتاب النعمة فى الصلاة والسلام على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد و يجمع كفه لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا حدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له و الظاهر ان الفاء فى قوله (فضرب) تفصيلية كقوله ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره ولم ينبهوا لمعناه والظاهر ان المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع اصحابه على وجه

متعارف كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه وانتهائه فاعرفه وقوله (بابهامه اليمنى راحته اليسرى) كذا فى اكثر الروايات وفى بعضها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه اباهيم واباهم قالوا وهذا عادتهم اذا تحدثوا (واذا غضب اعرض) عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة بينهما الف قيل معناه صرف وجهه فهو تأكيد لما قبله وقيل معناه قبض وجهه وزواه من غير لوم وعقاب وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال كيف ادرج هذا فى صفات المدح فاجاب بان الغرض بيان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم للسائل لان المقام يأباه وسيأتى من المصنف تفسيره بما يقارب هذا وقيل ان فى النهاية ان المشيح الحذر او الجاد فى الامر او المقبل عليك المانع لما وراء ظهره وفى حديث سطيح اقبل على جمل مشيح اى جاد مسروع فيجوز ان يريد احد هذه المعانى اى حذر من موجب غضبه او حذر فى الامر ابتشعر باعراضه عن موجب غضبه او اقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولا يخفى انه تكلف مخالف لما اختاره المصنف مما هو اظهرها (واذا فرح) لرؤية ما يسره او سماعه (غض طرفه) اى ارخاه واطرق تباعدا من الاشر والمرح (جل ضحكه التبسم) اى اكثره وقد تقدم بيانه وقد يضحك صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادى الضحك (ويفتر) بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى اسنانه قال

يفترعن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب*

وهو من فررت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سنها وذلك هو الفرار بالضم (عن مثل حب الغمام) متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لا قطر المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا لان الحب الجامد دون السائل وتشبيه اسنانه صلى الله تعالى عليه وسلم به لصفائه ولمعانه ورطوبته دون حريه حتى يقال انه نوع منه وهو مشهور فى كلامهم كما مر (قال الحسن) بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (فكتمتها) اى اخفيت صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى سمعتها من ابن ابى هالة (الحسين) مفعول ثان لاكتم وفى نسخة عن الحسين بن على (زمانا) مدة من الزمان (ثم حدثته) بما سمعته من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فوجدته قد سبقنى اليه) اى الى الحديث المعلوم من قوله حدثته اى حفظه قبلى الا انه رواه عن ابيه على رضى الله تعالى عنهما (فسأل اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه

ومجلسه) وفي نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهر
والا بان كان اسم زمان او مكان فالمراد سألته عن حاله في مخرجه ومدخله والمراد
خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتي
وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه وانما ذكر استقراء لجميع احواله يعني
الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن ابي هالة خاله ولم يخبر اخاه بما سمعه منه والحسين
لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد عليا منها عنده علم انهما من طريق وهي
روايته لها عن امير المؤمنين ابيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهي عن كتمان العلم
عن اهله لانه لم يسأله ولم ينحصر علمها فيه ولو كان لذلك دخل في حديث من كتم
علما الجمه الله بلجام من نار او انه كتم عنه كلام ابي هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم
اهل بيته بذلك فان الثبت والحديث لهم (وشكله) بفتح اوله اي هيئته في ذلك الحال
وبكسره بمعنى الهدى والسمت قاله التلمساني (فلم يدع من ذلك شيئا) اي لم يترك شيئا
من احوال الدالا بينه لي (قال الحسين سألت ابي رضي الله تعالى عنه عن دخول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه) اي دخوله منزله ليجتمع باهله
لمصالحه وقضاء مآربه وقيلولته (مأذونا له في ذلك) من الله اذنا عاما بحيث يدخل
اي بيت من بيوته في اي وقت من غير استئذان من زوجاته رضي الله تعالى عنهن لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت اصحابه
رضي الله تعالى عنهم وهو بعيد لقوله (فكان اذا اوى) الاصح قصره ويجوز مده
(الى منزله جزأ دخوله) اي قسم زمن دخوله لبيته (ثلاثة اجزاء جزأ لله) اي لعبادته
والتفكر في ملكوته (وجزأ لاهله) يدبر فيه امورهم ويصلحها ويتلطف بهم (وجزأ
لنفسه) من مأكل ومشرب وراحة وغيره مما يليق به لقوله (ثم جزأ جزأه بينه وبين
الناس) اي قسم الزمن الذي جعله لنفسه فجعل قسما منه مخصوصا بذاته واحواله
في نفسه وجزأ آخر للناس وسائر الامة وهو في منزله ولا يلاقيه فيه الا اهله او خواص
اصحابه الذين يؤذن لهم في الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه عامة فلذا قال
(فيرد ذلك على العامة بالخاصة) يرد بمعنى يوصل ويعطي كانه لما كان لهم حق
في الجملة احد منهم ثم رد اليهم وقيل معناه يستعين لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم كان
يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك اشارة لما فيهم من السياق
وهو جزء الناس والعامة من عدا الخاصة التي عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة
باسمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يكن مما ينبغي كتمه عنهم والباء في بالخاصة
للسببية وكونها للبدل كقوله * فليت لي بهم قوما اذا ركبوا * بعيد لانه ليس المراد
انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى الى وروى

بدل يريبدل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية وفتحها فيهما (ولا يدخر عنهم شيئا) اى عن المذكورين من العامة والخاصة و قيل عن الداخلين عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمآل واحد و يدخر بدال مهملة مشددة واصله يذتخر بذال معجمة و تاء افتعال من الذخر قلبت تاؤه و داله دالا وفعل به ما علم من كتب الصرف وكذا امثاله من اذكر و يجوز يذ خر بذال معجمة مشددة وخاء (وكان من سيرته فى جزء الامة) وهو الجزء الذى جعله للناس وافرزه مما كان لنفسه اى كان دأبه صلى الله عليه وسلم وعادته فى هذا الجزء (ايثار اهل الفضل باذنه) الايثار تقديم مايؤثره على غيره والمراد بانه انه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر وما قيل من ان المراد باهل الفضل اغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم والفضل زيادة مالهم على حاجتهم والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يأذن لهم ان يؤثروا بصدقاتهم اقرباءهم كما وقع لابى طلحة رضى الله تعالى عنه فى بئرحاء تكلف اوقعه فيه قوله (وقسمته على قدر فضلهم فى الدين) فتوهم ان المراد تقسيم المال والعطاء وليس كذلك وانما معناه قسمة جزئه فى حديثه معهم و اشتغاله باحوالهم وقوله فى الدين لان اكرمهم عند الله اتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفى بعض النسخ وقسمه بدون تاء ثم بين سبب تفاوتهم بقوله (منهم ذو الحاجة) الواحدة (ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) الثلاثة فاكثر (فيتشاغل بهم) اى بقضاء حوائجهم وارشادهم لما يصلح معاشهم ومعادهم (و يشغلهم) بفتح الياء المثناة التحتية مضارع شغل واما اشغل فلغة ردية كما مر اى يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما امرهم به (فيما اصلحهم) وفى نسخة يصلحهم اى مافيه صلاحهم (والامة) بالنصب اى واصلح الامة لتبليغه لهم مايليق بهم بعد معرفته عليه السلام بحالهم (من مسئلته عنهم) وهو بيان لما اى سؤاله عن احوالهم وروى مسألتهم اى الخاصة ذوى الفضل (واخبارهم) اى اخبار ذوى الفضل (بالذى ينبغى لهم) اى يليق ويناسب حال المسؤل عنهم من الامة وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغى ان يكون كذا فهو على وجهين احدهما مايكون مسخرا للفعل نحو النار ينبغى ان تحرق الثانى الاستيهال نحو فلان ينبغى ان يعطى لكرمه قال الله تعالى * وما علمناه الشعر و ماينبغى له (و يقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن حضر عنده (ليبلغ الشاهد) امر وهو للوجوب فى الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الاتباع بعده ويجوز تشديدها والاول اصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله (الغائب) وهو من لم يكن حاضرا او موجودا فهو من كبار الصحابة و الغائب من صغارهم اوهم الصحابة والتابعون قيل و يحتمل ان يراد العالم والجاهل واهل الحضر و البادية والسامع ومن لم يسمع والمسلم و الكافر وهذه احتمالات عقلية اوهى تأويلات وتعميم لمفهومه

فتأمل (وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغها) اى حاجته وروى ابلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان لسبب الامر (فانه) اى الامر والشان (من ابلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها) قيل يريد ان من ابلغ سلطانا حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والافهو احل من ان يكون ملكا اوسلطانا وقد قال كما تقدم لست بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد اطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه وفى حكمه بالسلطنة و الفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى وهذا الحديث مستقل رواه الاصبهانى وفى بعض الفاظه اختلاف (ثبت الله قدميه يوم القيامة) على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا فى رواية ابن ابى الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة اخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من اهوال الموقف (ولا يذكر عنده) اى لا يذكر فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا ذلك) الاشارة لجميع ما تقدم من ذكره مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه (ولا يقبل احد) بالبناء للفاعل والمفعول (غيره) اى لا يرضى كلاما غيرما يكون من هذا القبيل (وقال) اى على رضى الله تعالى عنه فى رواية (فى حديث سفيان بن وكيع) ابن الجراح ابو محمد الكوفى وهو امام حافظ روى عنه الترمذى والدارقطنى وغيرهما توفى سنة سبع واربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله تعالى (يدخلون) اى اصحابه رضى الله تعالى عنه (روادا) بضم الراء المهملة وتشديد الواو والف ودال مهملة جمع رائد واصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلاء فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم وما يرشدهم وقيل يتحينون وقت الوصول اليه وقال التلمسانى ان رواد بكسر الراء وتخفيف الواو مصدر رود يرود لوادا بلام وذال معجمة اى ملتجئين لائذين به (ولا يتفرقون) من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا عن ذواق) بفتح الذال المعجمة والواو المخففة والف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق وهو المأكول فاستعير للعلم الذى يتعلمونه ويحتمل ان يريد حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عادته ان يطعم شيئا لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب وجود الطعم بالفم واصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه فى كتاب نظرار المجالس اى لا يتفرقون الا عن علم وادب هو غذاء لارواحهم وسبب لبقائهم (ويخرجون) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ادلة يعنى فقهاء) عالمين بامور الدين اى هداة مرشدين للناس ويهتدى بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادى او بمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما فى تحرير ابن الهمام

(قلت) قائله الحسين لابيه رضي الله تعالى عنهما (فاخبرني عن مخرجه) اي
عن حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خروجه من منزله (كيف كان يصنع فيه)
بعد خروجه من منزله (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من
وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره (يخزن لسانه) بالخاء وضم
الزاي المعجمتين والنون اي يصونه ومنه الخزانة لانه لا يحب كثرة الكلام قال* اذا المرء
لم يخزن عليه لسانه* فليس على شئ سواه بخزان* ولما فيه من المنع عداه بمن فقال
(الامن ما يعنيهم) وفي نسخة الا فيما يعني بفتح المثناة التحتية اي يهمهم وينفعهم
من جواهر كلمه وزواجر حكمه (ويؤلفهم ولا ينفرهم) اي يجعلهم مؤتلفين به غير
متفرقين عنه لمداراتهم ولطفه بهم كما قال الله تعالى* ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك* او يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحاب والمواخاة
بينهم (يكرم كريم كل قوم) كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير
الناس (ويوليه عليهم) اي يجعله حاكما عليهم فلا يولي احدا من اصحابه غيرهم ولا غيرهم
عليهم ولا يولي صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوي الولايات وتحببا لاعلاء
الاسافل ترغيبا في الاسلام (ويحذر الناس ويحترس منهم) لان من الحزم سوء الظن
وعدم الوثوق بكل احد وقال عمر رضي الله تعالى عنه احترسوا بسوء الظن وهو
من بديع حكمه وليس المراد بالناس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراز
والاحتراس والحذر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعود والحذر
الخوف (من غير ان يطوي) اي يخفي ويمنع استعارة من طي الثياب (عن احد
بشره) اي طلاقة وجهه وانبساطه معه تأنيسا له وتأليفا لقلبه واذهابا لخوف
مهابته (وخلقه) اي حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه مجبول على الحسن
فيه (ويتفقد اصحابه) اي يسأل عمن لم يحضر عنده وفقد من مجلسه
وقد يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم لمن له اذا طالت غيبته وتضلمه (ويسأل
الناس عما في الناس) من احوالهم وامورهم ليعلم امرهم فيتدارك ما ينبغي تداركه
وينصح من يلزم نصحه وليس هذا من التجسس او الغيبة المنهي عنه بل من سؤال
الطبيب لشفي المريض فاذا اخبروه بحال حسن حمدالله على ذلك (يحسن الحسن
ويصوبه) اي يبين حسنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيباله فيه (ويقبح القبيح
ويوهنه) بضم اولهما وتشديد ثانيهما والنون او بالياء التحتية من الوهي وهو الضعف
اي يقول هو فعل قبيح وضعيف ساقط تنفيرا وتحذيرا ونصحا نافعا والمراد الحسن
والقبيح عادة او شرعا وفيه صنعة الطباق (معتدل الامر) اي اموره صلى الله تعالى
عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ في تحسين وتقبيح غيره (غير مختلف) اي على سنن

واحد فى جميع اوقاته (لا يغفل) عن شئ من احوال الناس (مخافة ان يغفلوا) عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما (او يملوا) اى يحصل لهم فتور وكسل عن صالح امرهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا لقوله معتدل الامر لم يبعد ويجمع هذا قوله تعالى * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (لكل حال) من احوال الناس (عنده عتاد) بعين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد العدة والحاضر المعد لاصلاحه وتداركه اذا وقع فهو متخلق بقوله رقيب عتيد وقيل اصل العتاد عداد لانه من العدة فابدلت داله تاء هربا من التكرار (ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره) فاذا رآه عمله واذا رأى منكرا ازاله من غير تأخير (الذين يلونه من الناس) اى يقربون منه فى مجلسه ونحوه (خيارهم) اى افضلهم واشرفهم (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اعمها بمعنى اكثر نصيحة او اكثر منصوحا بان ينصح فى امر كل احد بارشاده لما هو خير له ولذا قال عليه السلام الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة الله اخلاصه فى اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته مخلصا لوجهه ولكتابه فهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال اوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم ونصيحته العامة ارشادهم لمصالحهم والنصح ارادة الخير لمن ينصحه باخلاص وهى كلمة جامعة يقال نصحته ونصحت له (واعظمهم عنده منزلة) اى رتبة وشرفا (احسنهم مواساة) لكل احد لان حذف المتعلق يفيد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد وبذله له يقال آساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة له (وموازرة) اى اعانة لمن التجاء اليه يقال آزره ووازره اذا اعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به او من الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفى الحديث ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر واسانى بنفسه وماله وهذا يدل على انه افضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قال الحسين رضى الله تعالى عنه (فسألته) يعنى عليا والده رضى الله عنهما (عن مجلسه) اى عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته لهم فيه ولذا اردفه بقوله (ما كان يصنع فيه فقال كان لا يقوم) من مجلسه (ولا يجلس الا على ذكر) لله يجعله صلى الله تعالى عليه وسلم ختم مجلسه فكان اذا قام منه قال * سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت * فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة ولذكر بالذال المعجمة اذا اطلق اريد به ذكر الله تعالى وان كان عاما وقال التلمسانى رحمه الله تعالى وقد تهمل داله قليلا فقيل انها لثغة وقيل لغة ولا دليل لقائله فى نحو هل من مدكر فانه مغالطة (ولا يوطن) بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة كما فى بعض الشروح وفى بعضها انه بالكسر من اوطنه ووطنه اذا اتخذه

وطنا (الاماكن) جمع امكن او امكنة جمع مكان فهو جمع الجمع فى ميمه خلاف هل هى اصلية اوزائدة (وينهى عن ايطانها) اى اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل مخصوصة فى غير بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل احد حقا فيه والنهى الوارد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو فى حق المسجد بان يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص الفقهاء على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرسها فيه وفى الحديث نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بما لم يتضمن مصلحة كمن الف مكانا للافتاء والتدريس فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لايعرفه يأتى لاستفتائه فيعرفه فى مكانه وقوله ايطانها يؤيد ان يوطن مخفف ولايعينه كما قيل لانه يجوز ان يذكر فعل من باب و يذكر له مصدرا واسم فاعل او مفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو وتبتل اليه تبتيلا وقوله *وداع دعايا من يجيب الى النداء *فلم يستجبه عند ذاك مجيب* ويجوز فى نحو اجرا مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة ادلع واكثر معنى وهذا مما ينبغى التنبيه له (واذا انتهى) مشيه قاصدا (الى القوم) الذين يريد الجلوس معهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) اى فى اى مكان خال منه من غير تصدر على اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم و ينتهى من النهاية لانه نهاية محل الجالسين فيه (ويأمر) اصحابه (بذلك) تسريعا وتأديبا فعلم ان تحرى الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على اصحابه لاسيما اذا لم تطلب انفسهم بذلك فيتأذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء فى زماننا (و يعطى كل) احد من (جلسائه نصيبه) اى ما يستحقه من ملاطفته ومجاوبة سؤاله و بشره صلى الله تعالى عليه وسلم له (حتى لا يحسب) اى يظن (جليسه ان احدا اكرم عليه منه) اى يظن انه اكرم الناس واحلهم عنده لما يرى من لطفه به فهو كقولهم لبس فى البلد اعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء (من جالسه اوقاومه فى حاجة) اى من حادثه او قام مع قيامه لعرض حاجته او لغير ذلك فهى مفاعلة من الجلوس والقيام (صابره) اى صبر عليه او صبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو وكل ذلك لاشتمالهم وتطييب قلوبهم فلا يمل حتى يملوا (حتى يكون هو المنصرف عنه) والحصر بتعريف الطرفين فى محله هنا (من سأله حاجة لم يرده الابها) أى رده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقضى الحاجة غير خائب (او بميسور من القول) اى اورده بقول لين سهل لاغلظة فيه كوعده وقد تقدم بيانه (قد وسع الناس) بالنصب مفعول وسع (بسطه وخلقه) باضافته لضميره ورفعه على الفاعلية اى عمهم بسطه اى بسط يده صلى الله تعالى عليه وسلم وسماحته اى بشره وطلاقة وجهه وابداء سروره وحسن خلقه فشبهه بمكان متسع رحب وابدله السعة والبسط بهذا المعنى مسموع وليس

لغة مولدة كما يتوهم كما ذكره المصنف رحمه الله فى المشارق وتقدم فى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة منى يبسطنى ما يبسطها (فصار لهم ابا) اى بمنزلة الاب فى البر والصلة وقصد الخير وفيه دليل على انه يجوز ان يقال انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما يقال لزوجاته رضى الله عنهما هن امهات المؤمنين ولاينافيه قوله تعالى * ما كان محمد ابا احد من رجالكم * لان نفى الحقيقة لاينافى المجاز كما سيأتى (وصاروا عنده فى الحق متقاربين) اى يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على الحق اوفى اداء حقوقهم اى فى اصل الحق فلا ينافيه قوله (متفاضلين فيه بالتقوى) اى بحسب مراتبهم فى تقوى الله لقوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم * وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انزلوا الناس منازلهم وسيأتى فى الرواية الاخرى وصاروا فى الحق سواء فلاينافيه هذه الرواية ولاان بينهم تفاوتا تاما وفى الحديث لايزال الناس بخير ما تفاضلوا فان تساووا هلكوا وصاروا كاسنان المشط لبس فيهم فضلاء اوتنافسوا فى الفضائل فاذكروا فضل بعضهم على بعض * وما عبر الانسان عن فضل نفسه * كمثل اعتراف الفضل من كل فاضل * (وفى الرواية الاخرى صاروا عنده فى الحق سواء) كما بناه (مجلسه مجلس حلم وحياء) اى يظهر فيه حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لايستفزهم الغضب وهم مظهرون للحياء لايرفعون رؤسهم واصواتهم ولا يرتكبون ما لاينبغى قولا وفعلا قيل ولو قدم هذا وادرجه فى جواب السؤال عن مجلسه كان احسن قلت ما بالعهد من قدم (وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات) احتراما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولوقارهم وادبهم (ولا تؤبن فيه الحرم) كالكبر جمع حرمة وهى ما لايحل والمراد النساء لحرمة السطر لهن ونحوه اى لاتذكرن بسوء من ابنته فابنته اذا ذكرته بمايكره مأخوذ من الابنة والابن وهى عقد فى القسى تعاب بها اى لاتذكر فيه النساء لانه رفث من القول او لايذكر فيه ما يحرم كالغيبة وسيأتى تفسيره (ولا تنثى فلتاته) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من الثناء وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سيأتى وروى ولاينثى بتقديم المثلثة على النون اى لاتعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فاء فلتة كما قاله التلمسانى وهى الزلة اى القبيح الذى يقع بغتة والمراد انه لافلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفى الشئ بذكر لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (وهذه الكلمة) اى قوله لاتنثى فلتاته (من غير الروايتين) رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن ابيه ويجوز ان يراد ظاهره اى ان الفلتة اذا وقعت لا تذكر بل تستر (يتعاطفون بالتقوى) اى يعطف بعضهم على بعض ويشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لا رياء ولاسمعة ولاخوفا

واتقاء شرفا لباء سببية كقوله رحماء بينهم (متواضعين) اى يتواضع بعضهم لبعض لايتكبر احد على احد فيخدمه ويخفض جناحه له (يوقرون فيه) اى فى المجلس (الكبير) سنا (ويرحمون الصغير) شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الضاد ويكسر فى لغة ردية (ويرفدون) بفتح المثناة التحتية وضمها اى يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وارفده بمعنى (ذا الحاجة) اى كل من كانت له حاجة ومسألة لهم اوله صلى الله تعالى عليه وسلم اعانوه بقضائها اوابلاغها اوالشفاعة ويجوز ان يراد به الفقير المحتاج (ويرحمون الغريب) اى يشفقون عليه ويعطفون تأنيسا له وازالة لوحشة غربته قال الحسين (فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه فقال كان صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اى طلاقة الوجه و بشاشته واظهار السرور فى مجالسه وهذا لاينافى مامر من قوله دائم الاحزان كما مر فتذكره (سهل الخلق) اى خلقه وسجية السهولة وعدم الشدة فى اقواله وافعاله وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملة السمحة السهلة (لين الجانب) بتشديد الياء وسكونها اى لاغلظة فيه ولاجفاء متواضعا (ليس بفظ) اى سيء الخلق (ولا غليظ) اى شديد متوعد لاحد ممسك عنه لطفه ورفده (ولا صخاب) بالصاد والسين اى لايرفع صوته جدا فى خصومة ونحوها (ولا فحاش) اى لايتكلم بقبيح كالشتم (ولاعياب) اى ذاكرا لعيوب الناس ونقايصهم (ولامداح) اى لايكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة فوق مافيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى انه قد يصدر قليلها احيانا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لايعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة عن حده لانه كذب ومداهنة واما مدح من يستحق المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن الا ترى الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزن ايمان ابى بكر بايمان العالم لرجح وقوله لعمر رضى الله عنه لو لم ابعث لبعثت انت ياعمر فاى مدح يزيد على هذا لكنه صدق ناس عن بصيرة ولايورثهم ذلك اعجابا ولافتورا ومامن شيء الاوهو ممدوح من وجه مذموم من آخر (يتغافل عما لايشتهى) اى يتغافل عن مالبس بمنكر شرعا لكنه غير مستحسن عادة اوطبعا اذ لوكان منكرا شرعا لنهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم الاخلاق كما قال ابونواس *ليس الغبى بسيد فى قومه* لكن سيد قومه المتغابى* (ولايؤيس منه) قال فى المغنى يؤيس بضم اوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهى ترسم ياء ويجوز فتحها على انه مبنى للفاعل اوالمفعول وهو من اليأس ضد الرجاء يعنى اذا سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما لايليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس اويبين له انه سأل مالايليق فيخجل سائله (وقد ترك نفسه من ثلاث) اى رفعها عنه ومنعها وقيل فيه قلب اى ترك ثلاثا من نفسه (الرياء والاكثار وما لايعنيه) بفتح المثناة التحتية اى يهمه وهى بدل من ثلاث مبينة لها والرياء اظهار

ما فيه من الصفات الجيدة والافعال الجميلة الناس حتى يحمد بها ويشيع وهو السرك الاصغر وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنه بلاشبهة فان قلت كونه غير ثابت له امر ظاهر الانتفاء عنه فما الحاجة لذكره قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لايحبه من غير ان يقنط راجيه يعني انه لم يقل انا لا احب هذا ولذا لم اجبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه من الرياء ولذا قال (وترك الناس من ثلاث) اى ابعد هم عنها او ترك ذكر الناس ونحوه من اجل ثلاث تضمنها قوله (كان لايذم احدا) من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله (ولايعيره) بعين مهملة يقال عيره كذا وبكذا اى ذكر ما فيه بما هو عار عليه وعيب فيه قد سلف منه فالفرق بينه وبين ماقبله انه اخص منه ولبس عينه حتى لاتكون امور الناس المتروكة اربعة كما ذكره التلمساني رحمه الله تعالى (ولايطلب عورته) اى لايتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل مع المؤلفة قلوبهم واصل العورة الخلل وما يجب ستره كما في حديث ابي داود يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولاتعيروهم ولاتتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته وهذا كما قيل في المثل كل من عير ابتلى وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله (ولايتكلم الا فيما يرجو ثوابه) صفة اخرى مرتبطة بما قبلها وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى خفضوا رؤسهم تأدبا وانصاتا (كانما على رؤسهم الطير) اى بسكون ووقار من غير طيش وخفة لان الطير لايقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور (واذا سكت تكلموا) فلا يقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره (لايتنازعون عنده الحديث) اى اذا كانوا في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يديرون الحديث بينهم فيتحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس اذا اجتمعوا في ناد وهذا بيان لقوله تكلموا لان المراد يتكلمون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لانهم يريدون الحديث بينهم وهذا هو معنى تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاعتراره بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته للمقام ولايخفى انه لامعنى لقولك تخاصموا الحديث الابتأويل اى تخاصموا في الحديث وهو ركيك قال امرء القيس * فلما تنازعنا الحديث واسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال * قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب تنازعنا الحديث اى تداولناه فحدثتني مرة وحدثتها اخرى (وههنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه لا تقول تفاعلت الا وانت تريد فعل اثنين فصاعدا ولايجوز ان يتعدى لمفعول تفاعلت ينتصب وفي تفاعلنا تلفظ بالمعنى الذي في فاعلته كتضاربا وتقاتلا وقد يجيء تفاعلت

على غير هذا كتقاضبته انتهى فلم يجز تعدى تفاعل لمفعول الا اذا كان لو احدلان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذى كان فى فاعل الاتراك تقول ضاربنى زيد فتأتى بفاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لايتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول لبس لناغيره ولبس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثانى لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد فى المقتضب شرح ادب الكاتب (اقول فى كلام سيبويه حينئذ قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلى ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لاينبغى وقد نقل ابن السيد هذا فى محل آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب يقال فلان متعهد ضيعته ولايقال متعاهدها قال ابن درستويه انما انكرها لانها على وزن تفاعل وهو عند اصحابه لايكون الامن اثنين ولايكون عندهم متعديا لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس * تجاوزت احراسا واهوال معشر * على حراص لو يسرون مقتلى * وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشئ واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يسمه قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قرأ خلفه مالى انازع القرآن (من تكلم عنده) اى فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة اوغيرهم (انصتوا له حتى يفرغ) من حديثه وفى بعض النسخ (من كلامه) وانصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال انصته اذا اسكته (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر او حديثهم فاعل يتفرغ بجمع الضمير وهو من رعايته للمعنى وحديث اولهم بدل منه اى لايقطع كلام من تقدم بكلام آخر ولايخاصم لهذا فى معنى لايتنازعون وهو مرتبط بما قبله فان كان مبتدأ بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه اى حديث كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعنى انه لاحديث له معه يقطعه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم زكاة الجنين زكاة امه وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقوه بانصتوا (يضحك) صلى الله تعالى عليه وسلم (مما يضحكون منه) اى الصحابة رضى الله عنهم (ويعجب مما يعجبون) وفى نسخة ويتعجب مما يتعجبون لانه من حسن الصحبة ان يسرك مايسره ويرضيك مايرضيه وهم على نهج واحد وطبا يعهم سليمة ولايضحكون ويعجبون من غير مقتض فلايقال انه يلزم من ضحك احد وتعجبه فعل غيره مثله لانه امر طبيعى وهذا فى احيان قليلة فلاينا فى قوله السابق كانما على رؤسهم الطير (ويصبر للغريب على الجفوة) اى الغلظة وتكلمه بمايؤلم (فى المنطق) اى اى فى تكلمه مع النبى صلى الله عليه وسلم كتحليف الاعرابى له صلى الله عليه وسلم

وقوله له آلله ارسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معذور لانه لايعرف احواله وهذا من مكارمه ومعاملة كل احد بما يليق به حتى ان كان اصحابه ليستجلبونهم (ويقول) صلى الله عليه وسلم لاصحابه (اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه) بوصل الهمزة وقطعها من رفده وارفده اذا اعانه اواعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا (ولايطلب الثناء) بمعنى تثنية كما ورد في رواية فهو مجاز مرسل اواستعارة والثناء الذكر الجميل والمدح (الا من مكافئ) بالهمزة اختلف في تفسيره اي ممن اتى جزاء على نعمه واحسانه تقدم له منه وقد صرح به في بعض الروايات بقوله عن يد ولايرد عليه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة ما من احد الاوله عنده يد فالصواب تفسيره بمسلم اي غير متجاوز في المدح حد لان القرينة قائمة على ان المراد نعمة حادثة خاصة (ولايقطع على احد حديثه حتى يجوزه) اى يخففه يقال تجوز في الصلوة اذا اسرع وخفف (فيقطعه بانتهاء) اى اتمام لحديثه وبه ينقطع الكلام (اوقيام) من المجلس لانه انقطع كلامه خضى لشانه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) السابق ذكره (وزاد الاخر) اى صاحب الرواية الاخرى (قلت) القائل احد السبطين رضى الله تعالى عنهما كما مر (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوم وقد تقدم لم يفسره وقال (فاما تقديره) اى م ينظر مقداره اذا صدر منه اومن غيره ممن يقتدى به (ففي تسوية النظر) في الامور ومايترتب عليها من المنافع الدنيوية و الاخروية (والاستماع) اى استماع الناس به صلى الله تعالى عليه وسلم او بامورهم فيما بينهم ومعنى الاستماع الانتفاع وقوله (بين الناس) متعلق بالسوية وهي جعلهم متساوون وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل احد مقدار يليق به (واما تفكره ففيما يبقى ويفنى) يعنى في امور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة فان قلت كيف يعلم هذا وهو امر مضمر في نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم لايطلع عليه الا الله قلت هذا طريق الاستدلال العقلي والفراسة الصادقة الشاهد لها مايظهره من آثاره ويتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان الباطل (وجمع) بالبناء للمفعول اى جمع الله (له) وكذا ماسيأتى بعده (الحلم) باللام اى جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفي بعض النسخ الحكم بالكاف ولاوجه (في الصبر) اى مع الصبر على امور الناس والامة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع حلمه صابرا لايضجر ولايقلق كما اشار اليه بقوله (فكان لايغضبه شئ) مما يتعلق به في نفسه وان كان قد يغضب لله (ولايستفزه) بكسر الفاء وتشديد الزاي المعجمة اى يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لامور الدنيا والاعداء (وجمع له في الحذر) اى في حال حذره واحتراسه من الناس اومع ذلك

(اربع) نائب الفاعل (اخذه بالحسن) وفى بعض النسخ ترك قوله اربع وهو مرفوع نائب الفاعل اومنصوب مفعول لاجله اى تمسكه بكل امر مستحسن مشروع (ليقتدى به) ويتبعه الناس (وتركه القبيح) شرعا وخلاف الاولى (ليتنهى عنه) علة للترك اى لينتهى الناس عنه (واجتهاد الرأى) اى اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يراه رأيا (بما اصلح امته) اى فيما يصلحهم او بسببه (والقيام لهم) اى الامة (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة) فى المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد وبذل مافى وسعه وطاقته من اصلاحهم اوهو بمعناه المصطلح بناء على جواز اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور فى كتب الاصول قال الابى فى شرح مسلم نقلا عن المصنف لاخلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتهد فى امور الدنيا ويرجع الى رأى غيره فى ذلك كما فعل فى تلقيح النخل واختلف فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل له ان يجتهد فى الشرعيات وهل هو معصوم فى اجتهاده ام لا والصواب ان له ذلك وانه معصوم وتفصيله فى اصول الفقه فلا حاجة للتطويل به

﴿فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله﴾ المراد بالغريب مالم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب العرباء الا ان لا يكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل مالم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتأويل (المشذب) بضم الميم وفتح الشين وتشديد الذال المعجمتين المفتوحة والباء الموحدة (اى البائن) اى الظاهر احترازا عما فوق الربعة بقليل (الطول فى نحافة) هى قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا (وهو مثل قوله فى الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط) بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة واصله منمغط فابدلت النون ميما وادغمت بمعنى الطويل من امغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما فى النهاية وقال التلمسانى بالمعجمة والمهملة والميم الثانية مشددة او مخففة وهو الطول فى نحافة او الطول الذى ليس بمائق ولبس بذم (والشعر الرجل) بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذى سرح بمشط والرجل الذى يحاكيه خلقه كما فى الاكمال واليه اشار بقوله (الذى كأنه مشط) بالتخفيف والتشديد (وتكسر قليلا) التكسر التثنى كأنه كسر (ليس بسبط) بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذى فيه تثن كما قاله ابن عبد البر (ولا جعد) بفتح فسكون اى كثير الشعر كشعر الزنج وقال المازرى شعر رجل ورجل ورجل بفتح وكسر وسكون وكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل الذى كأنه مشط (والعقيقة) وهى كما تقدم فى الاصل الشعر الذى يولد به الطفل لانه يعق اى يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذى يصنع عنده والشاة التى تذبح له (شعر الرأس) واصله كما علمت شعر المولود ثم اطلق على غيره (اراد)

اى ابن ابى هالة فى وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (ان انفرقت) انها انفرقت (من ذات نفسها) وذات مقحمة تأكيدا لنفسها ان وقع تفرقها من غير صنع (فرقها) بالتخفيف اى تركها متفرقة غير ملتفة (ولا تركها معقوصة) اى ان لم تستفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر على الرأس وليه وقيل هولى الخصلة من الشعر ثم عقصها ثم ارسالها وعقص شعره عقده فى قفاه (ويروى عقيصته) بدل عقيقته وهى الشعر المعقوص اى المضفور من العقص وهى اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله كما فى المقتنى والمشهور عقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان فى صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به بشئ وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووى المختار جوازهما والفرق افضل (وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا اى زينتها) من ازهر السراج اذا نوره ومما قلته كما تقدم

* من حرصك بالغنا كم تشتغل * والعمر مضى فابعيد الامل *

* مازهرة هذه الحياة الدنيا * للغرك بامل المنا تحتمل *

(وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع) اى الخالص (البياض) والامهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل مايقرب بياضه من الزرقة ويقال اهمق بتقديم الهاء ايضا وهو من القلب (والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر ابيض مشرب) بالتشديد على زنة المفعول المزيد ويقال مشرب بالتخفيف والتشديد للتكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون فكأنه شرب واكثر مايقال فى الحمرة (اى فيه حمرة والحاجب الازج القوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين (اتصال شعر الحاجبين وضده البلج) كما تقدم مافيه ولا حاجة لقول التلمسانى البلج صباحة الوجه فلا ينافى مافى حديث ام معبد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن الذى اشار اليه بقوله (وقع من حديث ام معبد وصفه بالقرن) ورواية مثله عن ابى عبيدة وان المشهور خلافه ويؤيده ان العرب تكرهه (والادعج الشديد سواد الحدقة) فى الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا فى غيره (و) هولا ينافى قوله (فى الحديث الآخر اشكل العين واسجر العين) بسين مهملة وجيم (وهو الذى فى بياضها حمرة) اى اللون الذى فى بياض العين وحمرة بدل منه بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة او الذى صفة المقدر وحمرة خبر آخر وهو ممدوح لانه فى البياض لا فى الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما فى المصابيح الا انه غلط فيه كما مر فى الفصل الثانى ومنهم من قال الدعج لغة زرقة



في بياض مستدلا بقوله * يارب ان العيون السود قد فتكت * فينا وصالت بأسياف
من الدعج * اذا السيوف زرق اي مخلوقة من الدعج كقولهم انت مما تفعل وخلق
الانسان من عجل على قول وقيل لا حجة فيه لاحتمال انه من الدعج بضمتين على انه
تجريد وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف في فتكها لا في لونها فانها يقال
لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هي السهام قال امرئ القيس
* اتقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كانياب اغوال *
(والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد
في اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا) الى آخره كما تقدم مافيه وماؤها صفاؤها
كما يقال ماء الجمال والماء تستعار لمعان فصلها الثعالبي في المضاف والمنسوب وقيل
المراد بالماء ريق الفم والمراد بتحزيزها برائين مهملتين كون اطرافها دقيقة كالسراقات
لها (ودقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم ومتماسك)
اى لا سمين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن كذلك وهو ممدوح (وهو معتدل الخلق)
في المتن وهو اشارة لدفع احتمال السمن وكذا قوله (يمسك بعضه بعضا مثل قوله
في الحديث الآخر لم يكن بالمطهم) اى فاحش السمن متفخ الوجه (ولا بالمكلثم
اى ليس بمسترخي اللحم والمكلثم القصير الدقن وسواء البطن والصدر اى مستويهما
ومشيح الصدر) بضم الميم والشين المعجمة كامر (ان صحت هذه اللفظة) في صفته
صلى الله تعالى عليه وسلم (فيكون من الاقبال) في صدره (وهو احد معاني اشاح
اى انه كان بادي الصدر) المراد به (لم يكن في صدره قعس) بفتحتين وعين وسين
مهملتين بعد قاف (وهو تطامن فيه) اى في الصدر قيل ان هذا مخالف لقول
الجوهري القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان التطامن الانخفاض
كقول ابن مالك رحمه الله تعالى في نظم الكفاية * ولم يل من ارنبة الانف خنس *
* وعرض انف تطامن فطس * وفي الروض الانف الحدب انحناء الظهر وقد
يكون مستعملا في معنى المخالفة ذاقرن بالقعس كقوله * فان حدبوا فاقعس وان هم
تقاعسوا * لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب * قلت وكذا فسره الشراح
والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه ورد انه مستوى البطن والصدر وقد
صرح به المصنف في قوله (وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس
بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن) والعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه
وكيف يصح تفسيره بغير ما ذكر ومفاض بضم الميم وفتح الفاء وآخره صاد معجمة
ضخم البطن وقيل مسترخي اللحم وقيل عظيم البطن او عظيمها مسترخي اللحم
(ولعل هذه اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى
وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله في الحديث الآخر جليل

المشاس والكتد) جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم (و المشاش) بضم الميم وشينين معجمتين واحدة مشاشة وهي رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفي الصحاح (رؤس المناكب) اي العظام اللينة التي يمكن مضغها ويقال بمشمشها (والكتد) بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المصنف بانه (مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع) وسائل مر الكلام عليه مفصلا (وذكر ابن الانباري) محمد بن قاسم بن بشار اللغوي نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية قريبة من الفرات ولهم انباري اخر منها راو للحديث وهو محمد بن سليمان و الانبار معربة معناها مخزن القمح (انه روى سائن الاطراف او قال سابن بالنون و هما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها و اما على الرواية الاخرى و سائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه) عليه الصلاة والسلام (كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود) وقوله (خمصان الاخمصين) تقدم ضبطه ومافيه و فسره هنا بقوله (اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا تناله الارض من وسط القدم) هو بفتح السين والكثير سكونها وضابطه انه ان استعمل في متفرق الاجزاء كالناس والدواب فبالسكون و قد تفتح او في متصلها كالدار والرأس فالفتح وقد تسكن وقال الجوهري وغيره والاول ظرف والثاني اسم ومن هنا يعلم انهم لا يريدون بالاسم في امثال هذا الكلام اسم المصدر بخصوصه اذ الوسط بالمعنى الثاني ليس اسم مصدر قطعا ثم قضيته انه ليس ظرفا اذ لا يقال جلسنا وسط الدار بل في وسطها اي ما توسط منها (ومسيح القدمين اي املسهما ولذلك قال ينبو عنهما الماء و في حديث ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه (خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص و هذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح عيسى بن مريم اي انه لم يكن له اخمص و قيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين) اذا فسر بلحيمهما واما اذا فسر بغلظهما الى غلظ وقصر او بغلظ الاصابع فلا وزعم ابو عبيدة ان شثنهما بمعنى غليظهما مع قصرهما قال في المطالع وقد جاء ضد هذا وهو سائل الاطراف يشير الى رد زعمه قال وليس الشثن بعيب في الرجال بخلاف النساء ردا لمن زعم انه بعيب (و التقلع هو رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو اي ان مشيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع فيه رجليه بسرعة و يمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال فكانما ينحط من صبب وقوله) في صفته عليه الصلوه والسلام (يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه و العرب تمدح بهذا و تذم

يصغر الفم واشاح مال وانقبض ويحب العمام المردو) قوله (فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فيوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامه و) قوله (يدخلون روادا اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده و) قوله (ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه منه عليه الصلاة والسلام (ويسمان يكون على ظاهره اى فى الغالب او الاكثر و) العتاد العدة والشىء الحاضر المعد والموازرة المعاونة (وقوله لا توطن الاماكن) اى لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه) صلى الله عليه وسلم (عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابر ه اى حبس نفسه) المسريعه (على ما يريد صاحبه و) قوله (لا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكر بسوء و) قوله (لا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت و) قوله (يرفدون) ذا الحاجة (يعينون والسحاب الكثير الصياح و) قوله (ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له) اى نعم واليد تطلق على الجارحة وعلى النعم لانها بمنزلة العلة الفاعلية لها لصدورها عنها الا انه خولف بينهما فى الجمع فقيل فى الجارحة ايد وفى النعمة ايادى ويدى بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله فان له عندى يديا وانعما والاصح انهما فى الجمع سواء كما ثبته اهل اللغة بشواهده ولا حاجة للاطالة بذكره (ويستفزه يستخفه وفى حديث آخر فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم منهوس) بسين مهملة ومعجمة (لعقب اى قليل لحمها) اى قليل لحم العقب (وقيل بالمعجمة معناه ناتئ العقبين معروفهما قاله ابن قرقول واول هذين التفسيرين يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لا عقب واحد كما تقدم مثله وثانيهما يخالفه لانه اعتبر فيه النتو مع قلة اللحم لانه معنى المعروق قليل اللحم كما فى الصحاح (واهدب) بدال مهملة (لاشفار) بشين معجمة وراء مهمله وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب واحدها شفر بضم فسكون كهدب ويكون مطلق الطرف (اى طويل شعرها) انتهى التفسير والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا

❋ الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار ❋

المراد ما رواه الثقاة بسند متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على ما يشمل الحسن كما فصل فى مصطلح الحديث والخبر تقدم انه يراد به الحديث وقد يراد به معناه الاعم الشامل له ولغيره وعلى هذا ما الصحيح بمعناه اللغوى وما ثبتت صدقه فقوله (ومشهورها) ليس من عطف الخاص على العام ومن قاله كانه اراد به قسما منه وهو ما اشتهر بين المحدثين او ارجع الضمير لصحيح الاخبار وانه رعاية لمعناه او لاكتسابه التأنيث

من المضاف اليه فلاوجه لتخطئته فيه (بعظيم قدره عنه ربه) متعلق بوثوقا والباء للتعدية او الالصاق (ومنزلته) عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى الشرف (وماخصه به فى الدارين) الدنيا والآخرة علب اطلاقه عليهما (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما وكرامته وجلالته وعزته وضمير خصه له اولما وكذا به والباء داخلة على المقصور او المقصور عليه وكل منهما جائز بلاخلاف انما اختلافهم فى اصله وحقيقته (لاخلاف) اى لاحد من المسلمين مل العقلاء لانعقاد الاجماع عليه ولايعتد بمازعمه بعض اهل الكتاب (انه اكرم البشر) والنوع الانسانى وتقديره فى انه وحذف الجار فى مثله مقيس مطرد (وسيد ولد آدم) السيد من ساد غيره اى فاقه فى الشرف والكمال وفى اطلاق السيد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره اقوال قال البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات السيد اسم لله تعالى لم يرد فى القرآن وورد فى الحديث فعن مطرف انطلقت فى وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلنا انت سيدنا فقال السيد هو الله قلنا وافضلنا فضلا واعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم او ببعض قولكم ولايستجرئكم الشيطان (قال الحليمى ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق الله فان سيد الناس انما هو رأسهم الذى يرجعون اليه وبامره يعملون وعن رأيه يصدرون ومن قوته يستمدون الى آخره فهذا دليل على اطلاقه على الله ودليل اطلاقه على غيره سواء كان نبيا صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى هذا الحديث او غيره كقوله تعالى * والفيا سيدها لدى الباب فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو القول الاصح وحكى عن مالك امتناع اطلاقه على الله ويطلق على غيره وهو القول الثانى والثالث انه لايطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام اختص بالله كما ذكره الدمامينى فى اول شرح التسهيل وهو انه اذا اطلق على الله فمعناه المحتاج اليه فى جميع الامور واذا اطلق على غيره فمعناه الرئيس الذى يتبعه قومه كما فصلناه فى شرح اسماء الله الحسنى وقد ورد فى الحديث النهى عن تسميته سيدا وهو اما تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد نهيه عن سيادة دنيوية ولا منافاة بينه وبين هذا واما فى الصلاة فاختلف فى الافضل فيها اهل هو صلى الله على سيدنا محمد او على محمد ولابن حجر كلام فيه فى الفتاوى سيأتى فى محله والولد تطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولذا عقبه بقوله (وافضل الناس منزلة عند الله) واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل الناس علم انه افضل الثقلين ولاحاجة الى ان يقال ان الناس يطلق على مايشمل الجن وان ذهب اليه بعض اللغويين فى قوله تعالى * قل اعوذ برب الناس * وقالوا قوله * من الجنة

والناس * بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكي في فتاويه انه يطلق على مايقابل الجن وعلى مايشملهما وانه على الاول اصله اناس من الانس وعلى الثاني من نوس فالناس الاول غير الثاني وهو كلام حسن (واعلاهم درجة) الدرجة واحدة الدرج وهي مواطئ السلم لما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه لطف لان علو المراقي يقتضي زيادة علو المنازل (واقربهم زلفى) اى قربى وهو كجد جده وقيل هو اسم اقيم مقام المصدر المؤكد فهو في معنى اقربهم تقريبا وليس تمييزا كمنزلة ودرجة (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على خلاف القياس قيل ولا يناسب ان يكون جمع احدوثة لانها تختص بالمضحكات والشر ورد بانها تستعمل في الخير ايضا كقوله

* من الخفرات البيض ودّ جليسها * اذا ماانقضت احدوثة لو تعيدها *

وقول القاضي في سورة المؤمنين في قوله تعالى * جعلناهم احاديث * ان احاديث اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لايكون على وزن مختص بالجمع او يغلب فيه وصيغة منتهى الجموع لاتوجد في المفردات يدفع بما في الكشف من ان اسم الجمع يطلق بمعنى آخر وهو ما كان على خلاف القياس كما يقال في ليال انه اسم جمع وقد علمت ان الحديث مايضاف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته وصفاته وسائر احواله في منامه ويقظته (الواردة في ذلك) اى في عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم (كثيرة جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو مفعول مطلق محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الامثال وهو مؤكد لما قبله اى متناه في الكثرة واصله من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه اجتهد في كثرته وبولغ فيها (وقد اقتصرنا منها) اى من تلك الاحاديث الكثيرة (على صحيحها) الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به (ومنتشرها) اى مشهورها (وحصرنا) من حصر الكل في اجزائه لا الكلي في جزئياته (معاني ما ورد منها في اثني عشر فصلا) فيه مسامحة لان الفصول اسم للالفاظ وهي مغايرة للمعاني فيحتاج لتقدير مضاف في الاول او الثاني (الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه) المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنة وتمكن من السلطان اى قرب (والاصطفاء) اى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره وتقديمه (والتفضيل وسيادة ولد آدم) كما مر (وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب) جمع مزية بزنة عطية وهي الفضيلة التي تقدمه على غيره وفي شرح المفتاح انه لافعل له ويخالفه ما في الاساس من انه يقال تمزيت عليه كما مر وفسرها الشربيني بالتمام والكمال (وبركة اسمه الطيب) اى كونه يتبرك باسمه المشهور وهو احمد ومحمد والطيب صفة لا بدل لان الطيب ليس من اسمائه المشهورة وهذا اشارة لما ورد في الحديث كل امر لايبدأ فيه بحمد الله والصلاة علي فهو ابتر اى ممحوق البركة

ذكره السخاوي في شرح الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه يذكر
في الفضائل (اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل) لقب به وهو امام حافظ ثقة
توفي سنة احدى وخمسمائة (اذنا لفظه) اراد بالاذن الاجازة بروايته عنه وقاله بلفظه
لانه لم يكن من كتابه وهو يفرق كما ترى وهذا جائز قال (حدثنا ابو حسين الفرغاني)
بالفاء والراء المهملة والعين المعجمة نسبة لفرغانه بلدة بماوراء النهر وهو الامام علي بن
عبد الله المقرئ ووقع في بعض النسخ الحسن والاصح الاول قال (حدثتنا
ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها) قال (حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بفتح
العين وكسر القاف وهو ابن المهتدي ابن المرارى اللولوى المشهور (عن يحيى هو
ابن اسمعيل عن يحيى الحماني) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم والف ونون وياء
نسبة وهو يحيى ابن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون ابو زكريا الكوفي وهو ثقة
وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة في الميزان قال (حدثنا قيس) بن الربيع
ابو محمد الكوفي اختلفوا فيه ايضا فقيل ثقة وقيل ضعيف واخرج له اصحاب السنن
توفي سنة خمس اوسبع اوثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان (عن الاعمش) سليمان
ابن مهران تقدمت ترجمته (عن عباية الربعي) بفتح العين وآخره ياء ويقال عبلة
بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعي بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة
وعين مهملة وياء نسبة هو من غلاة الشيعة وله ترجمة في الميزان عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل (قال
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين) قيل هذه قسمة
تقديرية في علم الله تعالى وقيل حقيقته كما بينه في قوله (فجعلني من خيرهم قسما)
منصوب على التمييز اي من القسم الذي هو خير يعني اصحاب اليمين المشار اليهم
في قوله (فذلك) التقسيم ما تضمنه (قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال) لا العرب
كما توهم لقوله (فانا من اصحاب اليمين) من تبعيضية اوابتدائية (وانا خير اصحاب
اليمين) اي اكرمهم وافضلهم (ثم جعل القسمين اثلاثا) اي مجموع القسمين
ثلثة اقسام لاكل قسم منهما كما يتبادر الى الذهن (فجعلني في خيرها ثلثا) وقيل اصحاب
اليمين هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة واصحاب الشمال هم الذين يؤخذ بهم
ذات الشمال الى النار اوهم الذين كانوا عن يمين ادم والذين كانوا عن شماله
في عالم الذر اوالذين اخذوا من شقه الايمن والايسر اومن اعطى كتابه بيمينه وشماله
اوالذين رآهم في الاسراء عن يمين آدم عليه الصلوة والسلام وشماله (وذلك) اي
التقسيم الثلاثي ما بينه (قوله اصحاب الميمنة) اي اليمين او اليمن على انه مصدر ميمي
وهم بعض السعداء غير السابقين لئلا يتحد احد الاقسام (واصحاب المشئمة) هي
الميسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول لليد الشمال شومى ومنه الشام لانها

عن شمال الكعبة فى قوله او المشئمة (والسابقون) وفى بعض النسخ والسابقون السابقون بالتكرير كما فى الآية ولابد من تغايرهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله * انا ابو النجم وشعرى شعرى * اى الذين عرفوا بكمال السبق او الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثانى بمعنى السابقين الى الجنة ونعيمها وهو احد التفاسير وقيل هم الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات او التوبة وقيل هم الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فانا من السابقين وانا خير السابقين) فهو من اعلى الاقسام لاقسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هذا القسم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو افضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم (ثم جعل الاثلاث قبائل) اى جعل كل ثلث او مجموعها وهذا اظهر والقبائل جمع قبيلة وهم بنواب واحد والقبيل بدون هاء الجماعة مطلقا ثلاثة فصاعدا (فجعلنى من خيرها قبيلة) وذلك قوله سبحانه وتعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية) والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل انما هو بالفتح والذى بالكسر طريق بين جبلين واختلف فى تقسيم الناس فقيل الشعب اكثر من القبيلة وبعدها الفصيل ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة فالشعب الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة يجمع العمائر والعمارة يجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعبد المطلب والعباس فصيلة وقد تطلق القبيلة على مادونها تجوزا ولما لم يكن فى الآية ما يؤذن بشرف الفصيلة فى نفسها فان الشرف انما هو بالفضيلة لا بالفصيلة ولكن شرف الاصل يستلزمه غالبا قال (فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر) جملة حالية اى لا اقول هذا تفاخرا او مباهاة وتعاظما وانما هو تحدث بنعم الله وبيانا للامة ما يجب عليهم توقيرا واحتراما له وامتثاله بتكريم ربى وفضله وكل مؤمن تقى كريم على الله وكل فاجر شقى هين على الله وقال عيسى عليه الصلوة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله ويقال هو اكرم عبد الله وعلى الله لكونه بمعنى اعز المتعدى بعلى حملا له على نظيره (ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى من خيرها بيتا) بيوت بضم الباء الموحدة وكسرها جمع بيت وهو المنزل والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت هنا الفخذ او الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا على المجد والشرف كما فى قوله

* ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول *

وعلى الاصول والاقارب كما يقال هو بيت علم اى من قوم علم وفى اضافته للمكان اثبات له فيه بطريق الكناية التى هى ابلغ من التصريح كما قرر فى كتب المعانى (وذلك) اى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم من خير بيت واشرفه مادل عليه (قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهذا يدل على مافسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصى والتطهير ترشيح للمعاصى وما استعير لها لانها تلوث الاعراض واهل البيت والآل الاقرباء وقول الشيعة انهم على وفاطمة والسبطان وهم اهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وادعاؤهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا بهذه الآية ينافيه السياق وفى الآية مبالغة فى شرفهم بليغة لذكر تطهير اعراضهم من دنس المعاصى وهو اجل النعم وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه فى مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم لتذهب النفس كل مذهب ونصب اهل البيت على المدح والنداء وتعريف البيت العهدى والتعبير بالتطهير الدال على التكثير وتأكيده بالمصدر وسيأتى تتمة لهذا (وعن ابى سلمة) وهو ابن عبد الرحمن بن عوف احد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه وقال انه حسن غريب (قال قالوا) اى بعض الصحابة (متى وجبت لك النبوة) اى فى اى زمان ثبتت لك اذلا يجب على الله شئ (قال وآدم بين الروح والجسد) الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية اى ثبتت لى فى هذه الحال وفى هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ومنها متى استنبأت قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية بين الماء والطين وقال ابن تيمية والزركشى وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين لا اصل لهما يعنى بهذا اللفظ (قلت) ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهى جائزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهى الارض وليس المعنى انه كان نبيا فى علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل سائر الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما للملاء الاعلى به واذا كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته نبى رسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحى وقد اكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل ان يخلق آدم عليه الصلوة والسلام باربعة عشر الف عام كما رواه ابن القطان وفى رواية يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه وهذا يؤيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح فى ان نبوته صلى الله تعالى

عليه وسلم طهرت في الوجود العيني قبل نبوة آدم وغيره وان الملائكة لم تعرف نبيا قبله وانه صلى الله تعالى عليه وسلم النبي المطلق وسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام خلفاؤه والشرايع شريعته ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد اهل زمانه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اول الانبياء وآخرهم ولا يمكن ان يجرى على شريعته قلم نسخ ولا يكتب على نسخه رسالة حواشي زيادة كما قيل * ابدا حديثي ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر * وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم سابق على سائر الانبياء روحا لما مر وجسدا لان مادة جسده صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت قبل سائر المواد لما روى ابن الجوزي في الوفاء عن كعب الاحبار انه تعالى لما اراد ان يخلق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم امر جبريل عليه الصلاة والسلام ان يأتيه بالطينة البيضاء فهبط في ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والارض حتى عرفته الملائكة قبل ان تعرف آدم عليه الصلوة والسلام اى عرفت روحه وعنصره والبينية في هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد اى لا روح ولا جسد كما صرح به في الرواية السابقة لا آدم ولا ماء ولا طين لانك اذا قلت مسكني بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الماء والطين انه لم يكن ماء صرفا ولا طينا صرفا لنبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق اليه ولله الحمد (وعن واثلة ابن الاسقع) بمثلثة ولام والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل القدر من اهل الصفة اسلم رضى الله تعالى عنه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجه لتبوك فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مشاهد الشام وتوفي بدمشق سنة خمس اوست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى ابا محمد وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) اى اصطفى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واختاره من الانبياء لشرفه واصطفى من ولده اى من اولاده اسمعيل عليه الصلوة والسلام فهو افضل من اسحق (واصطفى) اى اختار (من ولد اسمعيل بني كنانة) وهم اربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة السهام وجعبتها قال الشاعر * صاح في العاشقين يا لكنانة * رشا في الجفون منه كنانة (واصطفى من بني كنانة قريشا) وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة وتقدم سبب تسميته قريشا (واصطفى

من قريش بنى هاشم) بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش (واصطفانى من بنى هاشم) بن عبد المطلب (ومن حديث انس رضى الله تعالى عنه) بن مالك بن النضر خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا له واحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفى سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز عمره المائة وهذا الحديث والذى بعده اخرجهما الترمذى (انا اكرم ولد آدم) اى اعزهم واشرفهم وتقدم ان افعل التفضيل يطلق على الواحد المذكر وغيره (على ربى ولافخر) تقدم معناه (وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولافخر) قيل قال فيما مر فى حديث انس ومن حديث انس هنا وفى حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا حديث مستقل وفيه نظر (وعن عائشة رضى الله عنها) كما رواه الطبرانى وابونعيم والبيهقى فى الدلائل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام) انه قال (اتانى جبرائيل) لم يذكر ما اتاه لاجله لان قوله (فقال قلبت) بتشديد اللام بمعنى فتشت ولبس المراد به قلبها ظهرا لبطن لم يذكر فيه انه اوحى اليه هذا (مشارق الارض ومغاربها) جمع مشرق وهو الجهة التى تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله وجمعهما لان للشمس فى كل زمان مشرق او تشرق بعده من درجة غيره وكذلك المغرب واذا افردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبى والشمالى ولذا ورد فى القرآن بالوجوه الثلاثة كما بيناه فى حواشى البيضاوى واختار الجمع هنا لانه انسب للعموم والمراد انه فحص عن جميع اهل الارض مشرقا ومغربا ونظر احوالهم كمالا ونقصا (فلم ار رجلا افضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان رأى علمية ونفى الافضلية يدل على نفى المساواة ايضا كما بيناه سابقا (ولم ار بنى اب افضل من بنى هاشم) الذين هم عشيرته وبيته فهم خيار من خيار (وعن انس رضى الله تعالى عنه) فى الحديث الحسن الذى رواه الترمذى وقد تقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بالبراق) مبنى للمجهول اى اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام به ليركبه للاسراء وقد مر ان البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار دون البغل سمى به للمعانه وبريقه اولسرعته كالبرق الخاطف (ليلة اسرى به) ظرف اتى وهى ليلة سبع عشرة رمضان او سبع عشر رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس سنين او بخمسة عشر شهرا كما سيأتى فيه (فاستصعب عليه) اى لم ينقد له وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام لطول زمن الفترة اولسبب آخر لقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك مسست الصفراء اى الذهب اوصنم اصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله (فقال له) اى البراق (جبريل عليه الصلوة والسلام ابمحمد تفعل هذا) الاستصعاب وقدم

متعلق الفعل اى افعله به دون غيره والاستفهام انكارى بينه بقوله (ما تركك
احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) اى سال عرقه كما مر بيانه (وعن ابن عباس
رضى الله عنهما) رواه ابن الجوزى فى الوفا وابو نعيم فى الدلائل وقال السيوطى
رواه ابن عمر والعدنى فى مسنده (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم
اهبطنى فى صلبه الى الارض) يعنى ان الله خلق نوره صلى الله تعالى عليه وسلم
وعنصره الذى عجن بالتسنيم وهو الطف شئ فاودعه فى صلب آدم واهبطه فيه كما
مر ثم نقله منه بوسائط (وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة) فكان ذلك ببركته
صلى الله تعالى عليه وسلم وبإسم الله مجريها ومرسيها (وقذف بى فى النار فى صلب
ابراهيم) فكانت بردا وسلاما ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المكررة هنا امالان
الاول بدل منه اولانه مطلق ومقيد كما قرر فى قوله كلما رزقوا منها من ثمرة فينزل
ذلك منزلة التغاير فلايرد عليه انه لايتعدى عامل بحرفى جر بمعنى (ولم يزل ينقلنى
فى الاصلاب الكريمة) الشريفة (الى الارحام الطاهرة) من دنس الربا ونكاح الجاهلية
وفيه كلام تقدم (حتى اخرجنى) الى الدنيا اذ خلقنى (بين ابوى) يعنى اباه عبدالله
الذبيح وامه امنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف فى زمن موتهما فقيل مات
ابوه وامه حاملة به وقيل فى المهد وقيل وهو ابن شهرين وقيل ابن سنتين ومات عند
اخواله بنى النجار وماتت امه وقد بلغ سنه خمسا اوستا اوسبعا او اثنى عشر على
اختلاف فيه (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير
عقد اوعقد جاهلى وهذا علمه بالوحى صلى الله تعالى عليه وسلم اوعلمه باخبار الجاهلية
لا بالالهام كما توهم (والى هذا) المذكور فى الحديث بجملته (اشار) عمه (العباس
رضى الله عنه بن عبد المطلب بقوله) فيه يمدح صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا
الشعر رواه الطبرانى وصاحب الغيلانيات وفى الزاهر لابن قتيبة ان العباس اتى اليه
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اريد ان امدحك فانشده هذه الابيات فقال له صلى الله
تعالى عليه وسلم لايفضض الله فاك اولايفضى الله فاك وكان ذلك لما رجع صلى الله
تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك * من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع
حيث يخصف الورق * اى من قبل هذه النشأة او الدنيا وقيل قبل النبوة او قبل
الولادة او قبل كل ذلك فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق
بطبت وقدم لافادة ان طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره
لا بعده فقد وطبت اى تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره صلى الله
عليه وسلم والظلال جمع ظل بمعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم عليه الصلوة
والسلام قبل ان هبط وليس المراد به المتعارف الذى تنسخه الشمس اذ لاشمس
فى الجنة ولاقمر وقد ورد فى الحديث ظل الجنة سجسج اى لاحر ولابرد بل المراد الكن

والمقر اوهو كما فى قولهم انا فى ظل فلان اى فى حمايته ومستودع بضم الميم وفتح الدال
المهملة يعنى به مكان آدم وحوا من الجنة كما قال ابن قتيبة هو المحل الذى كان فيه
آدم عليه والسلام من الجنة كأنه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه للارض
اواراد به الرحم وكان ابو عبيدة يقول فى قوله تعالى مستقر ومستودع المستقر الصلب
والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق الورق بعضه ببعض ومنه الخصاف ويروى حيث
يستر الورق يعنى به الجنة والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم عليه السلام قبل
ان يعلم الحياكة فلما اهبط الى الهند تفتت الورق الذى عليه قيل ومنه حصل العود
والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخذ الثياب للسترة * ثم هبطت
البلاد لابشر * انت ولامضغة ولاعلق * اى هبطت فى صلب آدم عليه والسلام
من الجنة الى الدنيا وهى المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب الانحدار قهرا وهو
متعد وقال تعالى اهبطوا مصرا ولايحتاج لتأويله بالدخول كما قيل والبلاد وان
اختصت بالبنيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان المراد من هبوطه صلى الله تعالى
عليه وسلم هبوط نوره قال لا بشر وهى جملة حالية اى فى حال كونك غير جسد
كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضع غير مخلقة والعلق بفتحتين
جمع علقة وهى دم متجمد من المنى (بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا واهله
الغرق) النطفة الماء الصافى والمنى فى الاصلاب والسفين جمع سفينة وهى المركب
اى فى صلب نوح عليه الصلوة والسلام لما اغرق الله قومه بالطوفان والجم وصل
الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمى به صنم كان يعبده
قوم نوح عليه والسلام وهو المراد هنا واهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق
او هو على ظاهره والجم بمعنى ادرك لان الانسان اذا عم الماء فمه منع من الكلام والسفين
المراد به سفينة نوح فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع اريد به واحد تجوزا
فلا اشكال فيه كما هو ظاهر (تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق فى ابيات
آخر) الصالب والصلب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون وفتحتين
ففيه لغات اقلها صالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مقر الولد من
المرأة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد وطبق بمعنى قرن
ايضا لانه يطبق وجه الارض اى لاتزال تطهر فى عالم بعد عالم يريد اذا مضى قرن بدا
قرن آخر ويروى هنا بيت هو * وردت نار الخليل مكتتما * تجول فيها ولست
تحترق * ومعنى مكتتما محفوظا فى كنفه وتحيط بك نارها ولست تحترق وروى مكتما
اى مستترا (حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) احتوى
بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر والمهيمن
بمعنى المشاهد على فضائلك اوالامين وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال

المهملة ونون وفاء اسم امرأة الياس ابن مضر وهو من الخندفة وهي المنسي المسرع
والعليا العز والشرف وتحتهـا روى دونها والمعنى واحد والنطق بضمتين جمع
نطاق وهو ما يشد في الوسط كالمنطقة استعارته العرب لجبال واسعة فوق بعض
و بينك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ان شرفك وعلو
نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة
في هذا البيت اقوال احدها انه اعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والآخر انه يريد
العفاف من نطاق المرأة الذى يحسنها اى تحتها العفاف والحسب والثالث ان
النطق المتكلمون جمع ناطق اى كل خطيب من العرب فهو دون لسان قومك
من قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروى في هذا الشعر زيادة ذكرها الغسانى وهى

* وانت لما ولدت اشرقت الارض * وضاءت بنورك الافق *

* فنحن في ذلك الضيـاء وفى * النور وسل الرشاد نخترق *

* يا برد نار الخليـل يا سيـا * لعصمة النار وهى تحترق *

ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا والافق
الناحية واشده هنا لتأويله بها قال العارف بالله ابن عربى ذهب بعضهم الى ان
عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل في سفر الى ما لا نهاية له فاذا لاح له منزل يقول
هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راحلا فكم سافرت
في اطوارك الى ان تكونت بين ابيك وامك اذا اجتمعا من اجلك ثم انتقلت الى نطفة
وعلقة الى مضغة الى عظم كسى لحما ثم انشئت نشأة اخرى واخرجت الى الدنيا
فتنقلت الى اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة والشيخوخة الى
الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار له
(وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الحديث مشهور رواه ابوذر وغيره
واخرجه احمد والبزار والبيهقي عن ابن عمر واخرجه الطبرانى وابو نعيم في الدلائل
عن ابن عباس واحمد والبزار وابن ابى شيبة والبيهقي عن ابى هريرة واخرجه
الشيخان عن جابر بن عبد الله فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم
مغايرة في بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة
الشيخ قاسم ابن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رأيته بخطه ولولا
خوف الاطالة اوردت كلا منهما على حدة والى هذا اشار المصنف بقوله (ابوذر
وابن عمر وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله) ابن عمرو بن حرام الانصارى
روى كل واحد من هؤلاء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (انه قال أعطيت خمسا
وفى بعضها) اى في بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد رواياتها (ستا)
اى ست خصال وخصايص ولذا حذف التاء مع انه غير لازم اذا لم يذكر المعدود

(لم يعطهن نبي قبلي) ولا رسول لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص ولا تنافي بين الروايتين ان قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم اطلع اولا على بعض خصايصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى احد قبلي اي لم يعط واحدة منهن احد (نصرت بالرعب مسيرة شهر) اي نصرني الله تعالى على اعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذى القاء الله في قلوبهم فاذا سمع بي من بيني و بينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوي له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو ابعد منه قيل لانه لم يكن بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين من اظهر العداوة له اكثر من ذلك وقد قال ذلك في غزوة تبوك آخر غزواته وابعدها فاذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال تكلمه فلا ينافي الزيادة وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر ارعب اعداءه وقد وقع هذا لبعض خلفائه ومن اتقى الله من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن احدا ونقول ان ذلك لا يتيسر لغيره اوفعل اتباعه كفعله (وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما) وفي رواية و ايما بالواو بدل الفاء (رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل) قال العلامة الزركشي في احكام المساجد قال القاضي عياض هذا من خصائص هذه الامة لان من قبلنا كانوا لا يصلون الا في موضع تيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلوة في جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبي هذا ما خص الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الانبياء قبله انما ابيحت لهم الصلوة في مواضع مخصوصة كالبيع والكنايس وقال المهلب في شرح البخاري المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يأت في اثراها منعت من غيره وقد كان عيسى عليه والسلام يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلوة فكانه قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى (اقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به و بامته لزم اشكال وهو ان الانبياء السالفة وامهم كانت لهم صلاة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز لهم الصلاة الا في مساجدهم لزمهم اما ترك الصلاة او عدم صحتها وهو مخالف للظاهر واجابوا عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع الامرين لا كل واحد منهما اوجعل جميع الارض مسجدا حتى تيقن نجاستها وهم لم تحل لهم الصلاة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله تعالى *واجعلوا بيوتكم قبلة* كما في بعض التفاسير فقوله فايما رجل الى آخره معناه على ظاهره اوما لم تيقن نجاسته ولك ان تقول انه مخصوص بغير حال السفر و الضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة و يؤيده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا اقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه الفقهاء وفي قوله الارض

دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزاء الارض ولم يخصه بالتراب وهو المناسب للمقام وان خصه الشافعي رحمه الله تعالى بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النساء في هذا الحكم ايضا وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل ويعلم النساء بالطريق الاولى ومعنى ادركته الصلاة ادركه وقتها اذا دخل ولا ينافيه ايضا النهي عن الصلاة في بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل اخر والمراد بالارض جميعها الامكة وما حولها ولا مارأى مسجدا او محلا للصلاة وقوله فايما الى اخره لدفع توهم انه مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم وحده (واحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي) تحل بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروى بضم التاء وفتح الحاء وكان من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه ولم يؤذن له في الاكل منها فكانت الغنائم تجمع في محل فتأتي النار من السماء فتحرق ما تقبل منه على ما مر بيانه وكانت في صدر الاسلام تحل له صلى الله تعالى عليه وسلم فقط ثم امر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقهاء والغنائم جمع غنيمة ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه والفيء ما حصل منهم بدون ذلك (وبعثت) بالبناء للمجهول ارسلت وطوى ذكر الفاعل به اى ارسلني الله (الى الناس كافة) المراد بالناس جميعهم او ما يشمل الانس والجن كما مر وروى الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفي ارساله صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة كلام سيأتي وعموم البعثة مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم بالاحاديث الصحيحة ومن انه لا يرد عليه ان نوحا عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق في الموجودين على ان ارساله عليه الصلاة والسلام انما كان لقومه ولم يأت ما يدل على عموم رسالته واما دعاؤه على جميع اهل الارض واهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره في مدته ولم يؤمنوا به فلذا دعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الا انه لم ينقل انه نبي في زمنه غيره ويحتمل ان خصوصيته ببقاء شريعته الى يوم القيامة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد واشار اليه ابن عطية في سورة هود وانه لم يكن في عهده غير قومه واولاده كادم عليه الصلوة والسلام فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية ما ذكر (واعطيت الشفاعة) اللام اما للعهد فالمراد الشفاعة العظمى في فصل القضاء لاهل الموقف اجمعين بعد مراجعة سائر الانبياء واظهارهم العجز فيأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلى او هي للاستغراق كانت

الرجل اى الشفاعة الكاملة وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات كثيرة شاركهم في بعضها بعض الانبياء كشفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة به وشفاعته في قوم استحقوا دخول النار فلايدخلونها وفي بعض اهل النار فيخرجون منها وفي تخفيف عذاب بعض اهل النار كابي طالب وشفاعته لمن مات بالمدينة ومن صبر على لاوائها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغيرذلك مما ورد في الاحاديث الصحيحة (وفي رواية بدل هذه الكلمة) اراد بالكلمة قوله واعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية وهي تطلق على الجمل وفي نسخة الكلمات (وقيل لي سل تعطه) اى قال الله اوحذف الفاعل للعلم به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها احد من الرسل فقال انا لها وخر تحت العرش ساجدا فقال له الله ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذ لم يسأل حتى اذن له في السؤال وامر به وهذا في القيامة ويحتمل انه اشارة الى لما في الاسراء كما سيأتي في حديث ابن وهب واصل سل اسئل فخفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفي حذف المفعول عموم كرم اى سل كل ماتريد تعط اكثرمما تسئل وتعط مجزوم في جواب الامر والهاء للسكت اوضمير عائد على مقدر (وفي رواية اخرى وعرض على امتي فلم يخف على التابع من المتبوع) اى الشريف والوضيع ويحتمل ان الله عرض عليه صلى الله عليه وسلم بالوحي تفصيل احوالهم وذواتهم وصفاتهم وسائر تصرفاتهم في زمنهم اوانه ابرزهم له حقيقة فوجا فوجا متلبسين باعمالهم على وجه لانقف على حقيقته وذكر العراقي في شرح المهذب انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت عليه الخلائق من لدن آدم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الاسماء وروى الطبراني انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى قد رفع لي الدنيا فانا انظر اليها والى ماهو كائن فيها الى يوم القيامة كانما انظر الى كفي هذه وحديث حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن ومايكون فيها مطول ذكره العراقي قال فيه ماترك فيه شيئا الاسماه باسمه واسم ابيه وقبيلته الى يوم القيامة ومنه احد الجفر الجامعة الذى رواه جعفر الصادق عن على رضى الله تعالى عنه وان توقف بعضهم في صحته كما ذكره ابن خلدون في اول تاريخه (وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود) اى الى جميع الناس اوجميع الجن كما يكنى عن مثله بالعرب والعجم اى الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد على من زعم من اهل الكتاب ان بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذيقال لهم اذا اعترفتم بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وجب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته واشار المصنف رحمه الله تعالى الى معناه بقوله (قيل السود) جمع اسود وفي نسخة الاسود (العرب)

وهذا مذكور فى الحديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهد بل للاستغراق
فهو بمعنى السود وبين علته فقال (لان الغالب على الوانهم) اى العرب
(الادمة) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وهى فى الادميين السمرة و فى الطعام
بياض يشوبه سمرة (فهم السود) اى فهم المقصودون من قوله الاسود الذى بمعنى
السود كما عرفته (والحمر) جمع احمر وعبر عن الاحمر بالحمر لما مر (العجم) اى المراد
بهم فى الحديث العجم و المراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم يعلله
لعلته اى لغلبة لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النادر لا حكم له لان القلة احت
العدم ولذا لم يعبر بها عنها (وقيل البيض) جمع ابيض يعنى قيل المراد بالحمر البيض اى
بالاحمر الابيض لان العرب تقول امرأة حمراء بمعنى بيضاء وقال ثعلب العرب لا تقول ابيض
من بياض اللون فاذا ارادوه قالوا احمر والابيض عندهم بمعنى النقى من العيوب قال ابن
الاثير وفيه نظر فانهم قد استعملوا الابيض فى الوان الناس وغيرهم وهو اعتراض
وارد وما قيل من ان مراده انه لا يستعمل فى محل اللبس كما هنا فانه لو قال بعثت الى
الابيض لتوهم انه اريد به السالم من العيوب لا يجدى نفعا وكيف يراد المجاز من غير
قرينة (وقيل البيض والسود من الانس وقيل الحمر الانس والسود الجن) وهذا مبنى
على ما فى مخيلتهم من انهم سود (و فى الحديث الآخر عن ابى هريرة) الذى رواه
البخارى ومسلم واورده لما فيه من الزيادة على قوله (نصرت بالرعب) قوله (واوتيت
جوامع الكلم) جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع فى لفظ قليل و الكلم اسم جنس
جمعى للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت
بالقرآن لما فى جمعه من المعانى فى الفاظه الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة المتضمنة
للحكم والمنافع وفى نسخة (وخواتمه) فقيل هى بمعنى الجوامع وقيل التى ختم بها الكلام
فلا يأتى بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له (و بينا انا نائم) اصله بين فاشبعت فتحتها
حتى صارت الفا وهو ظرف زمان كثيرا ما تتصل بها ما المزيدة و يجئ بعدها اذ كقوله (اذ جئ)
بالبناء للمجهول اى جاءنى ملك ارسله الله واذ للمفاجأة وهو جواب لها و يغلب بعدها
كقوله * استقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير * وقد تخلو عنها
كقولك بينا انا جالس دخل على عمرو وهى مضافة لجملة انا نائم وقيل مضاف لمحذوف تقديره
بين اوقات النوم موجود كما فصله اهل العربية (بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى
يدى) بتشديد الياء مثنى مضاف او بالتخفيف مفرد ومفاتيح جمع مفتاح وهو الة يفتح بها
الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة او خزانة وهى ما يدخر فيه المال والامور النفيسة
لحفظها والمراد ما فى الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون رأى فى رؤياه ومنه ملك
الرؤيا وضع فى يده مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض ارسلها الله اليك
ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى يقع بعينها تارة و يعبر بما يحكيها اخرى

وظاهر تعبيره ان امته تملك الارض وتجبى لهم اموالها وفى المواهب اللدنية انها
خزائن من اجناس العالم بقدر ما يطلبون فان الاسم الالهى لا يعطيه الا محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم الذى بيده مفاتيح الغيب التى لا يعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه
بتمكين امته من الارض ويحتمل ان الملك اخبره وقال له ذلك فيكون استعارة لما مر
والقول بان المراد المعادن وما يتولد منها اوله لم يقبل ذلك تعسف وكونه صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يقبله يأباه عنه خاصيته بل قبله فان عطاء الكريم لا يليق رده ولكنه
ادخره لامته (وفى رواية) لمسلم (عنه) اى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه
(وختم بى النبيون) اى جعلنى خاتمهم وآخرهم حتى لا يبعث نبى بعده غيره فلا يرد
عيسى عليه الصلوة والسلام ومجيئه آخر الزمان لانه يجئ على انه من امته ايضا واما
الخضر فعلى تقدير ثبوته معناه فلم ينبأ بعده وفى هذا الختم تكريم له حيث لا ينسخ
شريعته ولا يطول مكث امته فى الثرى واشارة الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات
لا يحتاج الى ملة اخرى تتمه وما روى من قوله لا نبوة بعدى الا ما شاء الله الاستثناء
لا يقتضى وقوعه مثبته على فرض صحته والمنفى النبوة لا النبى فيحمل ان الذى تحت
المشيئة الرؤيا الصالحة لانها جزء من اجزاء النبوة (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى
عنه) وهو ابو اسد و ابو حماد او ابو عمر الجهنى الصحابى الفصيح السيد الجليل توفى
بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وابو داود والنسائى (قال)
عقبة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا فرطكم على الحوض) الفرط
بفتحتين والفارط الذى يتقدم القوم ليهيئ لهم فى منازل اسفارهم الماء والكلاء
ونحوه مما يحتاجون له ويقال رجل فرط وقوم فرط ايضا وفى الدعاء لطفل الميت
اللهم اجعله فرطا اى اجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله
تعالى عليه وسلم الذى يسقى منه عطاش امته يوم القيامة وعلى متعلقة بفرط
او حال من الضمير فيه لانه صفة مشبهة واهل الحوض الكوثر او غيره اختلف فيه
وعليه اوان كالنجوم وفى الحديث بلاغة بديعة اذ المراد ان موته صلى الله تعالى عليه
وسلم قبلهم فيه مصيبة عظيمة هى سبب دخولهم الجنة واجر عظيم فشبههم بقوم
مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من سبق للماء كما مر وذكر
الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على اثره صلى الله تعالى عليه
وسلم واردون جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لا نظمأ بعدها (وانا شهيد عليكم)
شهيد بمعنى شاهد قال الله تعالى * ويكون الرسول عليكم شهيدا اى يوم القيامة فان الله
تعالى يسأل الرسل هل بلغتم فيقولون نعم فيقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ما اتانا من
نذير فيقول للرسل من يشهد لكم فيقولون امة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو
قوله لتكونوا شهداء على الناس ويشهد لهم صلى الله تعالى عليه وسلم بصدقهم

ويزكيهم على ما مر بيانه وهذه شهادة لهم لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن (واني والله لانظر الى حوضي الآن) اى اشاهده الان لان الجنة والنار موجودتان وتأكيده بان والقسم يقتضي انها رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطاء عن بصره الحائل عن رؤيته وليس بطريق الكشف ونحوه وفي هذا بيان لما مر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لاشبهة فيه والان مبني على الفتح ولا يستعمل الا بالالف واللام (واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض) تقدم قريبا بيانه (واني والله ما اخاف عليكم) الصحابة اومعاشر الامة (ان تشركوا بعدي) اى من ان تكفروا بعد موتي في مقدرة لانها تحقق هنا قياسا مطردا لان من ذاق حلاوة الايمان لايرجع عنها (ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها) اى في الدنيا اى اخاف عليكم من رغبتكم في نفائس الدنيا وانهماككم في تحصيلها حتى يؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى وهذا تنبيه لهم على انهم لا تلهيهم الحرائث عن المعاد (وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما) كما رواه عنه الامام احمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي) هو الذي لا يقرأ ولا يكتب نسب لامه لانه كان على حاله يوم ولدته امه اوالى ام القرى لان الكتابة كانت عزيزة في اهلها اوالى امة العرب وهذه الصفة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من اجل النعم عليه واعظمها اذ اعطاه علم الاولين والآخرين وحفظه هذا الكتاب الذي لم يعادله كتاب وهو لايقرأ ولا يكتب ولم يدارس ولم يلاق احدا له شغل بذلك (تنبيه) كون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اميا من معجزته الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا غير مرة واشار اليه الابوصيري رحمه الله تعالى في قوله * كفاك بالعلم في الامي معجزة * وهذا كان في اول امره الا ان بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرأ وكتب من غير تعلم وهو معجزة اخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقال ابن عربي في سراج المريدين رحل ابو الوليد الباجي وبعد رحلته فلما عاد قرأ البخاري وقال في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية محى الكتاب وكتب بيده الاترى انه قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ما قاضى الى آخره فابتدر رجل مغربي وصاح في المجلس انه زنديق الا ان الامير كان متفننا فدعا الفقهاء وسألهم فشنعوا عليه وقالوا انه كفر فاستظهر الباجي بالحجة عليهم وقال ان هؤلاء جهلة فاكتب الى علماء الافاق وكتب علماء افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى آخر ما فصله ورأيت في بعض الكتب انه مما يدل على ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكاتبه طول السينات وقوله تعالى * ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك * فقوله من قبله يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم

بعد ذلك كان يكتب نادرا فاعرفه وقوله (لا نبي بعدي) تقدم بيانه (اوتيت جوامع الكلم وخواتمه) تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا ليبين انه مع كونه اميا اوتي ما لم يؤته احد ممن افنى عمره في القراءة والكتابة (وعلمت) بضم العين المهملة وسكون اللام المشددة او بفتحها وتخفيف اللام (خزنة النار) جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها (وحملة العرش) جمع حامل وهم الملائكة يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ما لم يعلمه غيره بمشاهدته لهم الا ترى ما ورد في الاحاديث من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وبيان هيئاتهم مما كان له رأى عين وحملة العرش اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية كما نطق به القرآن العزيز (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه احمد بسند حسن (بعثت بين يدي الساعة) اي القيامة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء من اجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال وهو اسرع الحاسبين او لما نبه عليه بقوله *كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار* وقيل الساعات التي هي القيامة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت اهل القرن الواحد والصغرى وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديها انه قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث انا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى (ومن رواية ابن وهب) من تبعيضية يعني بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن وهب هو عبد الله ابو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري احد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق كثير وكان افقه من ابن القاسم وطلب للقضاء فجبن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى) له صلى الله تعالى عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسراء كما يدل عليه سياق الحديث (سل يا محمد) حذف احد مفعوليه للتعميم اي كل ما تريد والآخر للعلم به فانه لا مسؤول سواه ولدلالة قوله (فقلت ما اسأل يا رب) عليه ورب بكسر الباء وضمها ولم يقل اسألك تأدبا يعني ان جميع الكلمات استودعتها الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله فلم يبق ما يختص به حتى يسأله ثم فصل بعض ما اجمله فقال (اتخذت ابراهيم خليلا) اي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسيأتي تحقيقها (واتخذت موسى تكليما) اي اصطفيته وفضلته بان كلمته بنفسك بكلامك القديم فلي فلا يرد انه كلمه ايضا (واصطفيت نوحا) اي فضلته على غيره بان جعلته اول رسول

هلك من عصاه كما قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا فهو ابو البشر واول الرسل
(واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده) اى لا يتيسر لغيره من الرسل الملوك
التسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمة البتة اياها من عظمتك (فقال
الله تعالى له) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اعطيتك خير من ذلك) كله وهو مبتدأ
وخبر بينه بقوله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة وذكر البيضاوى فيه ستة
اقوال اشهرها انه نهر في الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل في وسط الجنة
حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القرآن وقيل النبوة وقيل غير ذلك مما تقدم (وجعلت
اسمك مع اسمى) اى مقرونا باسمى في التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك
ولذا قال (ينادى به في جوف السماء) اى تنادى الملائكة عليهم الصلوة والسلام باسمى
وتصلى عليه لامر الله لهم بذلك اولما رأوا من منزلته صلى الله عليه وسلم وقربه من ربه
وكتابته اسمه على ساق العرش وتفسير السماء هنا بالامكنة العالية كمنارة الاذان كما قيل
لا وجه له (وجعلت الارض طهورا لك ولامتك) لان الله تعالى شرفها بك وكانت طاهرة
مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما احسن قول ابن رشيق القيروانى

* سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهورا وطيبا *
* فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا *

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى
لو صدر كان مغفورا فلا ينافى هذا عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد بالذنب
التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بمغفرة كل مقدم ومؤخر تسرية
وتطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام ان هذا من
خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبياء ولذا قالوا فى الموقف
نفسى نفسى والى هذا اشار بقوله (فانت تمشى فى الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك
لاحد قبلك) فليس المراد باحد غير الانبياء كما قيل (وجعلت قلوب امتك مصاحفها)
اى مننت عليك بان جعلت فى امتك حفظا لم يكن فى غيرهم من الامم السالفة حتى
ان من كان يحفظ التورية وغيرها من الكتب الالهية افراد معدودون فى كل عصر
وحفظة القرآن والحديث من هذه الامة لا يحصون فى كل عصر والمصحف ما كان
جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص بالمصحف المكتوب فيها القرآن
وقد قيل انه لفظ حدث فى الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية لا اصل له وهذا
تشبيه بليغ اى جعل قلوبهم كالمصاحف التى تحفظ القرآن وقيل انه استعارة
تصريحية وله وجه وفى رواية صدور بدل قلوب وهذا بناء على ان محل الحفظ
والادراك القلوب واضافته للصدور لانها محله والحكماء يقولون ان محل الحفظ
الخيال الذى هو خزانة الحس المشترك فى الدماغ واهل الشرع والمتكلمون

من اهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام الحكماء مضطرب فيها وفي محالها كما ذكره الجلال الدواني في شرح هياكل النور وليس هذا محل تفصيلها (وخبأت) بخاء معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة اى اخفيتها واخرتها الى يوم القيامة (شفاعتك) المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضاء ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما تقدم (ولم اخبأها لنبي غيرك) وفي نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه (وفي حديث آخر رواه حذيفة) بن اليمان العبسي الصحابي رضي الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفي سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن عساكر في تاريخه عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بشرني يعني ربه) ولم يذكر الفاعل في اصل رواية هذا الحديث للعلم به كما في قوله حتى توارت بالحجاب (اول من يدخل الجنة) مبتدأ ومن موصولة وجملة يدخل صلته (ومعي) ظرف متعلق به و(من امتي) حال من عائد من المستتر تحت يدخل (سبعون الفا) خبره (مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب) صفة سبعون او حال منه اى لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم وقوله مع كل الف سبعون الفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم وذراريهم قوله وليس الى آخره صفة للالف الثانية فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفي البخاري انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته فخاض الصحابة في هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا الى غير ذلك فخرج عليه السلام وسألهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام آخر فقال مثل ذلك فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة وفي الحديث ايضا وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي رواه ابن ابي شيبة والطبراني وقد حسب ما في الحديث فبلغ اربعمائة الف الف وسبعمائة الف وفي هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم في حادي الارواح (واعطاني ان لا تجوع امتي) اى ان لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستأصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع في بعض الازمنة في بعض الاقطار بخصوصها ادلم يعم ولم يستمر (ولا تغلب) بضم المثناة الفوقية اى الامة جميعها وتستمر مغلوبة اوهذا مشروط بطاعته فاذا بدلوا وغيروا خرجوا عن اضافة التشريف بقوله وقد شاهدنا ه في بعض السنين واليه الاشارة بقوله ان تنصروا الله ينصركم (واعطاني النصر) اى على من يعاديني ولو مع قلة العدد وفي بدء الامر (والعز) اى الغلبة والقوة عليهم (والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا) قيل شهرا مفعول مطلق لا ظرف اى العدو الذي بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا

من خواصه صلى الله عليه وسلم وخواص امته وخص هذه المسافة لانها ابعد مسافة اعدائه الموجودة فى زمانه كما مر و بهذا علم ان قوله فى المواهب فى حديث نصرت بالرعب وكون هذا له صلى الله عليه وسلم ولامته فيه احتمال عملة عن هذا الحديث وفى قوله يسعى تشبيه للرعب بمقابله بتقدمه و فيه مبالغة مليغة كما قلت فى قصيدة

ولم يهزم عداه جيوش جنده وجيش الرعب قدهزم القلوبا *

* ولو ثبتوا لفرالها م منهم * وار واح وما عرفوا الهروبا *

(وطيب) بالتشديد والبناء للمجهول اى احل لقوله حلالا طيبا (لى ولامتى الغنائم) هى شاملة للفئ هنا وقدمر منتزعه (واحل لنا كثيرا مما شدد) فيه (على من قبلنا) من الامم السالفة كقطع الاعضاء والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب القصاص فى العمد والخطاء الى غير ذلك مما ذكروه وتفنن فى العبارة ولم يراع التقابل ولوراعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصة ولبس كذلك على انه قد يقال احل فيه طباق او ايهامه للحل الذى هو ضد الشد (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) اى شدة وضيق وقال علينا لانه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فوسع عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر واكل الميتة للمضطر وقصر الصلوة والتيمم (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) فى حديث صحيح رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبى من الانبياء) زاد من وبينه بقوله من الانبياء للتعميم (الا وقد اعطى من الآيات ما مثله امن عليه البشر) اى كل نبى جعل الله له معجزة اظهرها على يديه اطاعه بها اناس كعصى موسى عليه الصلوة والسلام واحياء الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور مأثور مناسب لزمانه الا ان تلك الآيات انقطعت بانقطاع عصره ومضت بمضيه بخلاف اعظم معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة طرية فى كل عصر تتلى وتشاهد بركاتها وتستخرج من جواهر معانيها مالايفنى وهى القرآن كما اشار اليه بقوله (وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحى الله الى) وما نافية ومن صلة لتأكيد النفى وهو مبتدأ و سوغ الابتداء به وقوعه بعد النفى ومن الثانية تبعيضية او بيانية والجار والمجرور صفة نبى وقوله الاوقد اعطى خبر والواو مزيد فيه لتأكيد الاتصال واللصوق والضمير المستتر فى اعطى مفعوله الاول وما الموصولة او الموصوفة مفعول ثان ومثله مبتدأ ايضا والجملة بعده خبرله وامن مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى او هى بمعنى الباء والضمير المجرور بعلى عائد على ما فالجار والمجرور متعلق بامن او حال منه اى مغلوبا عليه والمراد بالآيات المعجزات ومفعول اوتيت محذوف اى اوتيته والحصر فى انما ادعائى او باعتبار الاعظم او المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به او قصر افرادى اى اوتيته لا الاغير من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فليس حصرا حقيقيا

يعني انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من معجزة اعطيت لنبي الا اعطيها وزاد عليها بما هو مخلد في صحايف الدهر يعرف في كل زمان ولذا رتب عليه قوله (فارجو ان اكون اكثرهم) اى الانبياء عليهم السلام (تابعا يوم القيامة) وذلك لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيامة وهي باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم اكثرية من آمن به عليه السلام واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدي بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يأت احد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها اما التورية وسائر الكتب المتلوة فلبست بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات مختلفة وسيأتي الكلام على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاءه والى هذا اشار بقوله (ومعنى هذا الحديث (عند المحققين بقاء معجزته) المذكورة (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها وكون القرآن يرفع في آخر الزمان كما ورد في حديث حذيفة بن اليمان الذي رواه ابن ماجة ان الاسلام يندرس ويرفع كتاب الله في ليلة حتى لا يبقى منه في الارض آية ويبقى ناس يقولون ادركنا آباءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له صلة ما ينفعهم هذه وهم لا يدرون صلاة ولا صياما ونسكا فقال تنجيهم من النار لا ينافيه اما لانه باعتبار الاكثر والظاهر فانه محقق بقاؤه في نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه زمن يسير بقاؤه كالعدم (وسائر معجزات الانبياء) اى جميعها (ذهب للحين) المراد بالحين عقب وقوعها او انقراض عصره او المراد ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) بخلاف من اتى بعدهم (ومعجزة القرآن) اى القرآن المعجز او المعجزة التي هي القرآن فالاضافة بيانية (يقف عليها) اى يعلم بها ويحيط بها مجاز لان من وقف على شئ اطلع عليه كما في الاساس (قرن) فاعل يقف (بعد قرن) اى يطلع عليها جميع القرون والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها (عيانا) بكسر العين كما مر اى مشاهدة (لا خبرا) اى لا باخبار غيرهم لهم (الى يوم القيامة) اى الى آخر الزمان وقيام الناس الى المحشر وهو كناية عن التأبيد والبقاء في الدنيا (وفيه) اى في هذا الحديث ومعناه للعلماء (كلام يطول هذا نخبته بضم النون وسكون الخاء المعجمة والباء الموحدة اى مختاره وزبدته قال في الاساس نخب الشئ وانتخبه اذا نزعه ومنه الانتخاب الاختيار كانك تنزعه من بين الاشياء وهؤلاء نخبة قومهم لخيارهم انتهى (وقد بسطنا) اى فصلنا من بسط يده اذا مدها (القول فيه هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه وهو موقوف عن علي كرم الله وجهه له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالرأي وستأتي رواية ابي نعيم له مرفوعا (كل نبي) من الانبياء (اعطي سبعة نجبا) جمع نجيب وهو الكريم

الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين فى المهمات والشدائد وهو المراد هنا (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى اربعة عشر نجيبا) اى رفيقا كاملا شريفا وجعلهم ضعف ما لكل نبى مرتين تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم واشارة لكثرة امته حتى يحتاج زيادة فى وزرائه والمراد بهؤلاء كما رواه ابو نعيم عن على ايضا رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبى الا وقد اعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين و ابو بكر وعمر وعثمان وعبد الله ابن مسعود وابوذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وفى رواية بلال وقد وقع فى تعيينهم اختلاف (اقول و بعد عصره صلى الله تعالى عليه و سلم خليفته القطب ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء ومن فسر الاربعة عشر هنا بهؤلاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهؤلاء فى احاديث جمعها السيوطى فى رسالة مستقلة ومن العجب ان هذا مع انه متفق عليه بين اهل الشرع والحكماء كما قال صاحب حكمة الاشراق فى كتابه لابد لله من خليفة فى ارضه وانه قد تكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين كابى بكر وعمر بن عبد العزيز قد انكره بعض الجهلة فى زماننا قال ذو النون النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء اربعون والاخيار سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عمن لقى الخضر عليه الصلوة والسلام انه قال له لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم سكت الارض الى ربها وقالت الهى وسيدى بقيت لايمشى على نبى الى يوم القيمة فقال الله تعالى لها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء لااخليك منهم فقالت له كم هم قال ثلثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلثمائة وهكذا الى ان ينفخ فى الصور (منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار) وقد بينا ذلك (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل) وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن ابى شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع وفى رواية القتل بقاف وتاء فوقية وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان (وسلط عليها رسوله) محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل سلطنى اشارة الى انه مأمور من الله لاحظ له فى ذلك من نفسه لنزاهته عن الحظوظ والاعراض النفسانية (والمؤمنين) من امته وحده (وانها) اى مكة (لاتحل لاحد بعدى) وفى نسخة (من امتى) وفى نسخة لم

بدل لا وفي اخرى لن وفيه اشارة الى ان تحريمها سابق في علم الله وفي زمن
ابراهيم عليه الصلوة والسلام فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا
لما سبق في علمه وحكمه (وانما احلت لي ساعة من نهار) اي انما اعلمني الله بحلها لي
وكان حل القتال لي فيها في ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله
ساعة دليل لازمانه لانه ساعة حقيقة كما قال الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام *
الى آخره والحرم مثل المسجد في ذلك وهذه الآية محكمة عند ابن عباس ومجاهد
تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيمة وروى بمعناه من طرق
آخر وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم امره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل
من خصائصه كما روى عن السلف وقيل عليه ان قوله احلت يدل على تقدم
حرمته فيكون نسخا ولو كان نسخا استمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع
وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك انها منسوخة بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات اخر في معناها وتمسكوا بفعله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعي رحمه الله
تعالى (وعن عرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه احمد
والبيهقي والحاكم وقال انه صحيح الاسناد والعرباض بكسر العين وسكون الراء
المهملتين وموحدة واخره ضاد معجمة معناه القوي نقل للعلمية وهو من كبار الصحابة
اهل الصفة رضي الله تعالى عنهم سكن بحمص من ارض الشام ومات بها سنة
خمس وسبعين (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) جملة حالية
او مفعول ثان على الخلاف في سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من
مهر في العربية وقد مر بيانه (اني عبد الله) وفي رواية اني عبد الله مكتوب
(خاتم النبيين) قدم على هذه الكلمات وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبودية
اشارة الى انها اشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحتراسا
ممن يطريه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى في عيسى عليه الصلوة والسلام
ولذا قال اني عبد الله آتاني الكتاب الآية وخاتم بكسر التاء وفتحها آخرهم ومن به
كما لهم (وان آدم لمنجدل في طينته) اي مختلط في تربته اوساقط فيها كما تقدم
وفي طينته خبر ثان لا ظرف لمنجدل ثم اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم باول امره بانه
(عدة ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة
وفي نسخة دعوة ابي ابراهيم وهي اشهر واظهر لانه اشارة الى قوله * ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم * ولثقته بالله انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله
نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية
اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبياء من ذريته كداود

وسليمان ليسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وبشارة عيسى ابن مريم) فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله * ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد * وجعله نفس البشارة مبالغة وهى بكسر الباء مصدر كالبشرى وبضمها ما يعطى البشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون فى الخير والشر اذا اطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب اليم تهكم على هذا وعلى الاول هى حقيقة مطلقا اواذا قيدت وسميت بشارة لتباشيرها فى بشرة الوجه مايسمو وارد السرور وفى شرح الجامع الصغير الفرعى ان البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب والخير لان ذلك يغير بشرة الوجه الفرح وهى فى اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا الا انه صار فيما ذكر حقيقة عرفية والاصل فيه ماقى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال من اراد ان يقرأ القرأن غضا طريا كما انزل فليقرأ بقراءة ابن ام عبد فابتدر ابو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق ابو بكر رضى الله تعالى عنه فكان يقول بشرنى ابو بكر واخبرنى عمر قال العلامة ابن كمال فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة ايضا وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه كما لوقال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرجت حنث قلت فى الكاذب لم تتم البشارة فوزانه وزان مالوحلف على لبس خفيه فلبس احدهما ولم يذكر الصدق فى الهداية وفيه قصور ومن ثمه قالوا لوقال لعبيده ايكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر عتق الاول لانه الذى ظهر السرور بخبره دون الثانى وبشرهم بعذاب اليم تهكم ومن هنا علم ان البشارة مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لاتتغير بما علمه قال وفى هذا الحديث دلالة على ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبل عيسى لم يخبروا باتيان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فقوله فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن سلام رضى الله تعالى عنه دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام وقال قد علمتما انه تعالى قال فى التورية انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح فى بشارة موسى بمحمد عليهما الصلوة والسلام باسمه الخاص وهومخالف لنص القرأن والحديث الصحيح لايقال اليهود حرفوا التورية فزال تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله * مصدقا لما بين يدى من التورية * ونسبة البشارة لعيسى ظاهرة فى عدم البشارة قبله والا لقال بشارة اخى موسى وكذا قولهم فى الخطب المبرية فى التورية والزبور والانجيل انتهى (اقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين الاول انه كونه مبشرا به قبل الانجيل فى الكتب السماوية كلها اوجلها امر الاشهر فيه وقد صنف فى ذلك كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر

الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الاطالة اوردت مافيه هنا الثانى ان قوله انه مخالف للقرأن والحديث كلام ناش من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها و بين الخبر الصادق فان كل بشارة على ما ورد خبر بلا عكس والبشارة خبر سار بما فيه ينفع المخبر فى زمن ما بعيدا اوقريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من قبل عيسى بينهم و بين نبينا رسل وامم لم يكن ذلك بشارة لعلهم بان المخبر لايدركه بخلاف عيسى فان امته ومؤمنوهم ادركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثالهم على اتباعه كما اشار اليه قوله من بعدى فلم يخالف النص الا من اخت خالته فاعرفه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه البيهقى والدارمى وابن ابى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء) يعنى ملائكة السماء وهم افضل من ملائكة الارض فيعلم منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمى من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء ولم يختلفوا فى تفضيلهم على ملائكة الارض كما سيأتى (وعلى الانبياء كلهم) فردا فردا وعلى المجموع فلا وجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره (قالوا) اى الحاضرون عند ابن عباس السامعون لكلامه (فما فضله على اهل السماء) اى ما سببه ودليله (قال ان الله قال ومن يقل منهم) اى من اهل السماء (انى اله من دونه) اى من يثبت منكم الهية غيره (فذلك) القائل (نجزيه جهنم) تهديدا لمن اشرك منهم وتقطيعا لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك الآية) فجعله مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر ومايصدر واورد عليه انه لادلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه بمثله فى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولك ان تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده عن رتبته وتأمل (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس) اى ان هذه الآية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر اى رسالة كافة اى عامة وللناس متعلق به والحاصل ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فهم من هذه الآية العموم والخصوص فاستدل بهما ولا يقال انه لايلزم من انه لا ينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلا يدعى غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه كما مر (وعن خالد بن معدان) رحمه الله تعالى هذا الحديث روى من طرق كما اشار اليه المصنف ورواه ابن اسحق مرسلا والدارمى واحمد موصولا عن خالد عن عبد الرحمن السلمى عن عتبة

بن عبد السلمي بطوله ومعدان حمصي تابعي من كبار التابعين وزهادهم ادرك سبعين من الصحابة وتوفي سنة اربع ومائة (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله اخبرنا عن نفسك) اي عن حالك وشانك من ابتداء امرك (وقد روى نحوه) اي نحو مارواه خالد (عن ابي ذر) الغفاري الصحابي رضي الله عنه اخرجه الدارمي (وشداد بن اوس) بن ثابت بن منذر بن حرام وهو ابن اخي حسان بن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابي نزل بيت المقدس وتوفي بالشام سنة ثمان وخمسين والرواية عنه اخرجها ابو نعيم في الدلائل (وانس بن مالك) اخرجه ابو نعيم ايضا (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله عن نفسه (نعم) جواب اسؤالهم اي اخبركم بذلك (انا دعوة ابي ابراهيم) بدل من ابي اوعطف بيان اي اثر دعوته اوعينها مبالغة ونعته بانه اب لاطلاقه على الجد ولبيان انه من ذريته الذين دعا لهم (يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) فهو المراد بالرسول في دعوته المجابة (وبشرى عيسى) عليه الصلوة والسلام تقدم بيانه (ورأت امي) اراد رؤيا امه وغير الاسلوب لانه نوع لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عيني في الصلوة كما تقدم (حين حملت بي) وفي رواية حين وضعتني فالرؤيا وقعت مرتين وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئي محذوف دل عليه قوله (انها خرج منها نور اضاءله قصور بصرى) بضم الباء والقصر بلدة من اعمال دمشق هنا وهي ايضا اسم بلدة اخرى من قرى بغداد بقرب عكبرا كما في معجم ياقوت وهي مدينة حوران وقيل انها قيسارية اوحوارزم وهو غير صحيح لان قوله (من ارض الشام) يأباه فهو غفلة من قائله والصحيح انها مدينة بين المدينة ودمشق وهي اول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاث عشرة والشام الاقليم المعروف بهمزة ويجوز ابدالها الفا كراس وفيه لغة اخرى شئام بالمد قال ابن قرقول اباها اكرهم وحده طولا من العريش الى الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل اخاوسلمى الى بحر الروم ومسامته ودخله من الصحابة كثيرون ودخله صلى الله تعالى عليه وسلم اربع مرات مرة مع عمه ابي طالب لما رآه بحيرا ومرة في تجارته لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين اسرى به ومرة في غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤية آمنه النور حقيقة حين وضعته واما رؤيتها له حين حملت فكانت في المنام كما قاله الواقدي ثم حقق الله لها ذلك اذا وضعته لانها كما وردت في الحديث اتيت وقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله لها ما رأته اولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه اول فتح في الاراضي المقدسة (واسترضعت) بالبناء للمجهول اي طلب امي ان اكون رضيعا (في بني سعد بن بكر) ارضعته منهم حليمة السعدية بنت ابي ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعدما ارضعته ثويبة مولاة ابي لهب وله اخوة من الرضاعة مذكورون

مع قصة ارضاعه فى كتب السير (فبينا انا مع اخ لى) من الرضاع لا من النسب اذ ليس له صلى الله تعالى عليه وسلم اخ ولا اخت من النسب وبينا ظرف والفه للاشباع اوكافة كبينما والكلام عليها مفصل فى كتب العربية (خلف بيوتنا) اضاف البيوت له باعتبار السكنى او التغليب لان المراد بيوت بنى سعد (نرعى بهما) الرعى اكل الحيوانات النبات والذهاب بها لترعى وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مع الرعاة لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء والميم وهى جمع بهمة اسم لاولاد ضأن واولاد المعز سخال ويطلق على ما يعمهما قال * صغيرين نرعى البهم يا ليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم (لنا) اضافها له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة (اذ جاءنى رجلان) اى ملكان فى صورة رجلين فهو مجاز (عليهما ثياب بيض) وفى حديث آخر ثلاث رجال وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلوة والسلام كما اشار اليه بقوله (وفى رواية اخرى ثلاثة رجال) وجمع بينهما بانه جاءه اثنان اولا لشق صدره والثالث اتى بعد لمباشرته (بطست من ذهب مملوءة ثلجا) وفى رواية ملكان وفى رواية كوكبان كانهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة اخرى طس بتشديد السين وطسة بهاء وفى طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لاسيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه يجوز للصغار وانه يجوز تحلية آلات الطاعة به كالمصحف والسيف مع ما فيه وفى رواية انه من زمرد اخضر وانه صب عليه من ابريق فضة واما كون الطست بشين معجمة فقيل انه غلط وقيل انه لغة فيه ومملوءة بالتأنيث لان الطست يذكر ويؤنث اوهو لتأويله بآنية وهى مجرورة صفة او منصوبة حال والمراد انه نقى بالثلج او بمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر ام لا لان هذه امور لا يطلع عليها وروى انه غسل بماء الجنة وبماء زمزم وهذا كان فى حال الطفولية ووقع فى رواية انه كان بعد هذه البعثة للاسرى به فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذه وقال السهيلى لا تعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الحظوط النفسانية والاخرى ليقدس فيقوى على العروج لمشاهدة الانوار العلوية وكونه مخلوق من النور لا ينافيه كما توهم وروى بان الطست مملوء حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين فهو اما بتأويله او بتجسم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج بسكون اللام وقال التلمسانى بفتحها بمعنى اليقين فتحرر قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا

(فاحدانى) اى امسكاه صلى الله تعالى عليه وسلم واضجعاه (فسقا بطنى قال فى غير هذا الحديث من نحرى الى مراق بطنى) النحر اعلى الصدر ومراق بفتح الميم

وتشديد القاف وهو مارق ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زائدة (ثم استخرجا منه) عائد على الجوف المعلوم من السياق او للبطن لتأويله به (قلبي) مفعول استخرجا (فشقاه) اى القلب وهذا من المعجزات لان الاطباء اجمعوا على ان القلب لا يحتمل جراحة اصلا وكيف يعيش صاحبه اذا شق (واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها) اى رمياها لانها حظ الشيطان ومغمزه وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم متجمد كالعلقة المعروفة فى دور الماء قال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة التى اخرجت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقى الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذى نفاه الملك منه امر فى الجبلة البشرية فازيل القابل الذى لا يلزم من حصوله حصول الالقاء فى القلب وانما خلقت على هذا لانها من اجزاء البدن المكملة لخلقه فلا بد منه ثم نزعت بامر ربانى طرا بعده وقريب منه قول الاستاذ محمد البكرى فى رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انها حظ الشيطان اى لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا فخلق ابتداء تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنشأة الانسانية مع زيادة اظهار يأس الشيطان باخراجها منه وهذا من تقديس السر وتنزيهه اعلاه واشرفه وقدر لا يدانيه احد فيه (اقول حاصله ان الله خلقه صلى الله عليه وسلم كامل البنية مكملا فاقتضت الحكمة الربانية ان يكون جسمه احسن الاجسام وقلبه اقوى القلوب كما ان روحه صلى الله تعالى عليه وسلم اعظم الارواح وانورها ولما كان القلب رئيس الاعضاء بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوى به يكون القلب قوى البنية زاهى الثمرة وعليه يبنى تكونه كحب العنب والفواكه فبعد نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى ولكونه سوداوى ردى الاخلاط كان محلا لاقذار الاوهام والخيال الذى هو لريحان الفكر كالحشيش النابت بينه يقلعه بقوى فاندفع انه لم لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة ومايقبلها فلا يأ لم يشق وقلع وظهر ان معنى كونها حظ الشيطان انها محل حظه لو كان اكتسه لم يكن وانما اطلت هنا لانه سر من اسرار الله ولله در ابن قرناص الحموى فى قوله

* اما والله لو شقت قلوب * ليعلم ما بها من فرط حب *

* لارضاك الذى لك فى فؤادى * وارضانى رضاك بشق قلبى *

(ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه) ولما كان ارضه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ثلج بها غسل بذلك ليعلم انه من عالم الغيب والحمة ويقال نقاه بالتشديد وانقاه اذا جعله نقيا نظيفا والمشهور الاول وفى هذا دليل على عصمته صلى الله

تعالى عليه وسلم قبل النبوة من جميع الآثام والنقايص وكيف يتصور بعد هذا
ان يصدر منه زلة او امر لايرضى الا سهوا ومثله لايؤاخذ به (قال) اى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخر ثم تناول احدهما) اى اخذ من ملك
غيره او اخرجه من يده واصل المناولة الاخذ من غيره (شيئا فاذا بخاتم فى يده
من نور) اى يتلألأ ويضيء اضاءة زائدة حتى كانه مجسم من النور ففيه مبالغة
فى اشراقه كقوله * خلق الانسان من عجل * وفى رواية انه خيط بخيط
وكان يرى فى صدره الشريف اثر الخياطة (يحار الناظر دونه) اى فيما دونه
او اقل منه (بهاء) اى نورا ونفاسة والناظر اما بمعنى الشخص الذى ينظره
ويحتمل ان يريد به العين وانسانها لانه يطلق عليهما فعلى الاول المعنى
انه يتحير من نوره وحسنه فى معرفته وعلى الثانى النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه
او معناه يبهت ولايطرف اجفانه وفيه وفى قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به
(فختم به قلبى) كما يختم الكيس والخزانة لتى فيها الجواهر وكل نفيس وحكمه لئلا يصل
اليه مالايليق به من الوسوسة ولئلا يضيع مافيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء ولبس
هذا ولا اثره خاتم النبوة المذكور فى الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به
او كان حدوثه حين نبئ ولا فى هذا الحديث بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم
والختم حفظا له عن ان يخرج مما احرزشيء بغير علمه فلا يرد ماقاله السهيلى انه ينافى
انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت
انواره على العالم (فامتلأ ايمانا وحكمة) فى تفسيرها اقوال والذى صفا منها انها
العلم المستمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفى التفريع هنا خفاء
لان مقتضى الظاهر ان يقدمه على الختم ولايرتبه عليه فيقول ملأه فامتلأ ثم ختمه
لانه بعد الختم لايدخله شيء الا ان يأول بانه تبين فى انه امتلأ اللهم الا ان يقال انه دخل
فيه نور من الخاتم ملأه بما ذكر ومر ان العلم والحكمة معنى لايملأ حيزه فاما ان يقال
انه تجسم او جعل بمنزلته (ثم اعاده مكانه) اى اعاد الخاتم فى مكانه الذى كان من يده
او يد غيره ولبس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من اصل خلقته
(وامر) بتشديد الراء المهملة اجره اى مسح والصق يده مارة (الامر) اى الملك
الامر (يده على مفرق صدرى) بفتح الميم والراء وكسرها بينهما فاء ساكنة اى محل
الشق والافتراق الذى كان منه فهو بمعناه اللغوى وان اختص عرفا بوسط الرأس
او هو مصدر ميمى (فالتأم) بهمزة بعد المثناة الفوقية اى انضم واجتمع حتى لم يبق
فرجة من الشق (وفى رواية) اخرى ان جبريل عليه الصلوة والسلام قال) بعد
ما امر (قلب وكيع اى شديد) وفى كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ والمراد هنا
ماذكره المصنف ومنه نقل العلم (فيه) اى فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (عينان

بصران واذنان سميعتان) لايخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه قوية
الادراك لما يبصر ويسمع وكون القلب لا يدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات
لاوجه له فانه يدركها بواسطة الحواس وفي التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثاني
بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان الاول لايكون الا بفعل يحدث منه
كالمقابلة وفتح الجفن بخلاف الثاني واسنادهما ليس مجازي وهذا كالتعليل
لما قبله (ثم قال احدهما) اى الملكين (لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني
فوزنتهم) الوزن معروف ورجحانه زيادة ما في الكفتين وثقله فينزل الراجح
ويعلو مقابله والمراد بامته من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم ومن آمن به وهم
امة الاجابة اومن وجد في عهده وهم امة الدعوة من فسره بالاول يعلم الثاني منه
بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويجوز ارادة الثاني وهذا الوزن الظاهر
ان المراد منه تجريد لمقابلة بين كماله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاتهم بحسب
النظر العقلي ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم يعرف كيفيته الا انه
يحتاج لتأويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل المراد منهم ارواحهم وان الله
اطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك وتعلم به امته ثم انه وقع في هذا الحديث
اختلاف في رواية ابي ذر رضي الله تعالى عنه ان الوزن قبل الشق وانه ابتدأ
في الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان بما اودعه الله
تعالى فيه بعد اماطة ما لاوزن له عند الله وفيه ايضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه
وقال شيخ والدي الشهاب ابن حجر الهيتمي انه وقع في بعض الروايات انه ولد بخاتم
النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن بعض
الاحبار انه قال ولد في هذه الليلة يعني ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم نبي هذه
الامة بين كتفيه علامة فيها شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند
اصح من هذا ان الملكين لما شقا صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع
بينهما ختما ذلك المحل الثاني عند الوضع بعد ختمه اولا اشارة الى زيادة الاعتناء
والتشريف ثم رأيت من جمع بينهما بانه كان في موضعين على الكتف وبين كتفيه
وروى بسند ضعيف انه رفع بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم واعلم ان بعض
الشراح قال ان الشق والغسل في ذلك ليس مخصوصا به صلى الله تعالى عليه وسلم
بل كان لسائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام لما روى انه كان في تابوت السكينة
الطست الذي غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثم قال دعه عنك
فلو وزنته بامته لوزنها) اى لغلبهم في الوزن لاعاد لهم وباب المغالبة معلوم من كتب
الصرف وفي هذا الحديث دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من جميع

الناس واقواهم شجاعة و قدرة على الجماع وعلما وفطنة كما مر لما اودع في قلبه صلى الله تعالى عليه و سلم مما لم ينله غيره (قال في الحديث ثم ضموني الى صدورهم) اى عانقوني اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لى (وقبلوا رأسي وما بين عيني) بتشديد الياء للتثنية وفيه استحباب تقبيل الرأس وما بين العينين لمن ينبغي محبته واكرامه اظهارا لذلك (ثم قالوا يا حبيب) بالبناء على الضم واصله يا حبيب الله (لم ترع) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة وعين مهملة اى لم تخف وتفزع وهو مبني للمجهول اى حصل لك من قوة القلب ما لا يعتريك بعده خوف من شئ والمراد تطمين قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما وقع من الشق له ثم استأنف بجملة مؤيدة لما قبلها فقال (انك لو تدري ما يراد بك من الخير) اى ما يريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والاخروى (لقرت عيناك) اى لسررت سرورا عظيما وقد مر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه لم يبق له شئ يطمح لعينه و ينظره (وفي بقية هذا الحديث من قولهم) اى من قول هؤلاء الملائكة وهو موافق لكونهم ثلاثة كما مر (ما كرمك على الله) تعجب من وقعه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته عند ربه (ان الله معك وملائكته) بعنايته وفضله و ليس في قوله من قولهم ما يقتضي انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل (قال في حديث ابي ذر) المشهور المذكور اولا وهذا الحديث رواه الدارمي (فما هو) اى فعلهما بعد ذلك وما نافية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة (الا ان وليا) اى رجعا وانصرفا عني بعد فعلهما ومقالتهما السابقة (فكأنما ارى الامر معاينة) المراد بالامر هنا ما اكرمه الله وما سيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها و ما زاد في فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصره ولبس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين وما فعلاه كما توهم وقد اتى بخبط وخلط في تفسيره لاطائل تحته (وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما) تقدم ترجمتهما والكلام عليهما (ان آدم عليه الصلوة و السلام عند معصيته) اى اكله من الشجرة وسيأتي الكلام عليه في عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله (قال) ومقوله (اللهم بحق محمد) اى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقي والطبراني عن عمر رضي الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقال في الدعاء بحق الانبياء ونحوه خلافا لمن افتى من علماء العصر انه لا يجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله في احاديث كثيرة ومعناه ما مر (اغفر لي خطيئتي و يروى وتقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا فقال رأيت في كل موضع من الجنة) رأى هنا بصرية

(مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله) نائب فاعل اسم المفعول (ويروى محمد عبدى ورسولى) بدل رسول الله (فعلمت) بما رأيته من كتابته واقتران اسمه باسمك (انه اكرم خلقك) اى مخلوقاتك (عليك فتاب الله عليه وغفرله) لتوسله الى الله بحبيبه وصفيه وبما علمه من ذلك (وهذا) اى الحديث المذكور (عندقائله) اى عند من رواه واعتمده وهو مكى رحمه الله تعالى ومن سبق ذكره ولبست الاشارة لقول آدم عليه السلام اللهم الى آخره كما قيل (تأويل قوله تعالى) اى تفسيره لان التأويل يرد بمعنى مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل مأثور ويكون ايضا بمعنى مايؤل اليه ويتحقق به فى الواقع وهو اصل معناه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا فيه خفاء لان معنى تلقيها من الله اخذها منه بغير واسطة والمذكور انه رأها مكتوبة فى الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعاء بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استعاؤها باحدها والعمل بها حين علمها واشار بقوله عندقائله الى ان فيه اقوالا اخر فقيل الكلمات المتلقاة هى * ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * وقيل * اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفرلى فانك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم * فسقط ماقيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله والكتابة لاتسمى كلمات الا مجازا ولاقرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة على ان آدم عليه الصلوة والسلام كان يعلم الكتابة وسؤال الله له بقوله من اين الى آخره ليس استفهامه على حقيقته لعلمه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عقبه (وفى الرواية الاخرى قال فقال آدم عليه الصلوة والسلام لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدأ مؤخر صفة شئ مقدر ولا اله الا الله الى آخره بدل منه اوهو مبتدأ مكتوب خبره وفى بعض النسخ وفى رواية الاخرى بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة وياء نسبة للاجر المعروف وهو الامام القدوة ابو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادى مصنف كتاب الشريعة شيخ ابى نعيم سكن مكة وتوفى بها فى المحرم سنة ستين وثلثمائة (فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) ملازما لمقارنته قيل هذا فى الرواية الاولى ظاهر ادفيها فى كل موضع واماهنا فهو فى موضع واحد واجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها لئلا يتكرر ولايخفى بعده ولاحاجة الى مافهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة اسماء الله ونحوها

في سقوف المساجد وغيرها غير مكروهة كما توهم فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي (انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك) فروحه صلى الله تعالى عليه وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبياء كلهم خلقوا لاجله ووجوده سبب لوجودهم فهو اب معنوي لهم وكلهم اتباعه في الوجود قبل قوله فاوحى الله اليه يقتضي ان هذا الخطاب وحي لا مشافهة وقوله لما خلقتني قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه اولا واوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعي يخاطب ربه وان لم يخاطبه فلا يدل كلامه الاول على ان كلام الله معه بدون وحي وقال (وكان آدم عليه الصلوة والسلام يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر) كما رواه البيهقي عن علي كرم الله وجهه مرفوعا والثاني اشهر (تنبيه) قوله ولولاه ما خلقتك خلاف اللغة فانها في الاكثر تليها ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور صورة كما هنا قليلا فيقال لولاي ولولاك ومنعه المبرد رحمه الله تعالى واجازه غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نائب عن المرفوع واتصل بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة في غير الضمائر المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال كما تقرر في محله وعليه الزمخشري (وروى عنه سريج بن يونس) بضم السين وفتح الراء المهملتين وياء مثناة تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط وهو ابو الحارث البغدادي امام الحديث توفي سنة خمس وثلاثين وماتين وروى له مسلم والبخاري (انه قال) ان كان الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان لسريج فهو في حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالرأي (ان لله تعالى ملائكة سياحين) من السياحة من ساح الماء اذا جرى ثم ساغت في السير الطويل والمشي في الارض والسفر من غير مقصد معين للنظر في المصنوعات ونحو ذلك (عبادتها) اي الملائكة وانث نظرا لظاهر لفظه او لتأويله بطائفة وعبادتها بباء موحدة وفيه مضاف مقدر اي حفظ (على كل دار فيها) من اسمه (اسمه (احمد او محمد)) او دخول كل دار ونحوه وضبط ايضا مساة من تحت والمراد بالعادة الزيارة وقدم احمد لانه مسمى به قبل محمد ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف به عند الملائكة او للترقي (اكراما منهم) اي زيارتهم لاجل الاكرام وقال منهم لئلا يتوهم انهم اتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل في ذلك والا فهو حشو ويأتي ان اهل مكة ونقل ايضا عن اهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن تجربة منهم وقيل هذا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك وفيه نظر (وروى ابن قانع القاضي) بقاف ونون بعد الف وعين مهملة وهو عبد الباقي ابن قانع بن مرزوق الاموي البغدادي صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته في الميزان وهو ثقة في الرواية الا انه قبل



لم يتغير فى آخر عمره وتوفى سنة احدى و خمسين وثلثمائة قال البرهان كان على المصنف ان يذكر تقدم السند من بن قانع الى قوله (عن ابى الحمراء) حتى يعرفه و يعرف ابا الحمراء واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد فى كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشتهر والظاهر انه استغنى عنه بروايته عن بن قانع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبرى ايضا وفى بعض النسخ ابن نافع بالفاء وهو الفقيه صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف وابو الحمراء بحاء مهملة وميم و راء مهملة ممدود قال البرهان و لايعرف من المراد به فان ابا الحمراء الصحابى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم اسمه هلال ابن الحارث اوابن ظفر اخرج له ابن ماجة حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له صحبة ولايصح حديثه ومن الصحابة ابو الحمراء مولى ال عفراء البدرى ولايعرف له رواية ولايعرف فى التابعين من اسمه ابو الحمراء ولا فيمن بعدهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسرى بى الى السماء اذا) هى فجائية اى صادفت فجأة (على العرش مكتوب لااله الا الله محمد رسول الله) العرش فى اللغة سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسى او غيره فيه خلاف ليس هذا محله وكون اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوب مع اسم الله على العرش وفى الجنة ورد فى احاديث كثيرة والظاهر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عرف تلك الكتابة بالهام من الله او بذكر جبريل عليه الصلوة والسلام لها او غيره من الملائكة قالوا له هذا اسمك مكتوب هنا فلايقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى لايقرأ ولايكتب وقدتقدم مافى ذلك (ايدته بعلى) كرم الله وجهه فى حياته لماله من الصحبة القديمة والآثار العظيمة فى غزواته معه والتأييد التقوية والنصر ولايلزم من هذا تفضيله على غيره من الخلفاء ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ولاان تأييده له اعظم ولعل لتخصيصه هنا وجها لايقف عليه الا الانفس القدسية (وفى التفسير) اى فى كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده فى كثير منها (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه واخرجه البزار موقوفا عن على وعمر رضى الله تعالى عنهما والبيهقى فى الشعب (فى) تفسير (قوله تعالى و كان تحته) اى الجدار الذى اقامه الخضر عليه الصلوة و السلام (كنز لهما) لليتيمين (قال) اى ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالكنز وهو المال المدفون (لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا) منصوب بفعل محذوف وجوبا اى اعجب عجبا واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة مبسوطة (لمن ايقن بالقدر) اى تيقن قضاء الله وقدره وانه لايكون الا ماقدر وماقدر لابد ان يكون فلتضمينه معنى امن عداه بالباء و اليقين الاعتقاد الجازم (كيف ينصب) بفتح اوله وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب الانكارى اى كيف يتعب نفسه فى تحصيل

رزقه وماقدر له لايتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضي ناصح الدين الارجاني

* ياقلب تخل من هموم وشجون * بادر فرص الزمان من قبل تخون *
* لابأس فان حلاك الهم جنون * ما قدر ان يكون لابد يكون *

(عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك) اى من تيقن وجود النار وعلم انه لايخلو من زلة يعاقب عليها فكيف لايخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لايعلم اشقى هو ام سعيد والموت اقرب له من حبل الوريد (عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها) اى تغيرا حوالها فى كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال الله تعالى * او يأخذهم فى تقلبهم * فالباء بمعنى فى او مع اى تصرفها فى اهلها اوتغيرها وتغيراهلها (كيف يطمئن) قلبه ويركن (اليها) بعدمارأى منها وشاهد (انا الله لااله الاانا) فله الحكم والامر وبيده كل شئ فى قضية تصرفه (محمد عبدى ورسولى) ارسلته للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسى اوحاه الله لبعض انبيائه وقد ذكره القرطبي فى تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجب لمن آمن بالموت كيف يفرح عجب لمن آمن بالحساب كيف يغفل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لااله الاالله محمد رسول الله انتهى وعجب فى هذه الرواية مرفوع بالابتداء كسلام عليكم وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على باب الجنة مكتوب انى انا الله لااله الا انا محمد رسول الله من قالها) اى من نطق بكل [illegible] مؤمنا مخلصا (لااعذبه) وان ارتكب الذنوب وهذا كقوله تعالى * لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا * وقد ورد مثله كثيرا فى الاحاديث الصحيحة (وذكرانه وجد) بالبناء للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما ولاينافى هذا انه ذكرهما ماصح واشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كماقيل يحتاج النقل (على الحجارة القديمة) اى الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لوكانت جديدة بخط هذه الامة لم تكن دالة على ماجئ فيه (مكتوب محمد تقى) اى ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه صلى الله تعالى عليه وسلم (مصلح) لجميع الناس بهداياتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله (وسيدامين) على الوحى وغيره كماتقدم (وذكر السمنطارى) بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطاء مهملة بعدها الف وراء مهملة وياء نسبة مشددة قال صاحب القاموس فى تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار قرية من جزاير العرب وقيل هو الذهبي بلسان اهل المغرب وهو ابو بكر بن عتيق بن على احد عباد الجزيرة وزهادها وله كتاب الرقايق فى اثنى عشر

مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله ومنه نقل المصنف هذا الحديث انتهى وقال التلمساني انه من الاجلة وله تأليف في فنون العلم فمن قال لم ارله ترجمة ونحن في غنية عما نقل عنه من العريب فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع (انه شاهد في بعض بلاد خراسان) هو اقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف الفه وفي الزاهر لابن الانباري معناه مطلع الشمس لان خور بالفهلوية معناه الشمس (مولودا ولد) اي حين ولادته وخروجه من بطن امه فلا يتوهم ان وصف المولود بانه ولد من اللغو (وعلى احد جنبيه) اي شق بدنه وصفحته (مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون) المراد بهم المورخون الذين لهم اعتناء باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام مخصوص بهذه الطائفة نسب للجمع لمشابهته العلم كانصار وانصاري ولولا هذا رد في النسبة لمفرده كسائر الجموع المنسوب اليها (ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله) اي مكتوب فيه بلون ابيض عكس المشهور من كتابة الالوان في البياض للدلالة على انه ليس من صنع البشر وهذا كقول الابوصيري في مطلع قصيدة له * كتب المشيب بابيض في اسود * بمضاء لعين الحساد الخرد * وقد ذكر ابن العديم في تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله في الثمار والاوراق وان الصيادين رأوا مثله في السمك واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او من عرق جبريل عليه الصلوة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووي والذهبي وابن عساكر وكذا ما في الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن انس رضي الله تعالى عنه يرفعه قال لما عرج بي الى السماء بكت الارض من بعدي فنبت اللصف وهو الكبر من مائها فلما ان رجعت قطر من عرقي على الارض فنبت وردا احمر الا من اراد ان يشم رائحتي فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله ابو حنيفة الدينوري نور كل شجرة وزهر نبت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الحوجم ولابيضه الوتير وفي شرح سقط الزند الورد ما يضرب الى الحمرة يقال اسد ورد وعبر ورد ودم ورد اي احمر والورد المشموم ليس بعربي في الاصل الا ان العرب تسمي الزهر وردا انتهى وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ينادي مناد في الموقف لا ليقم من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة لكرامتي يأتي شرحه فيما بعده وفي رواية يقول الله له عبدي لم تستحي مني اذ عصيتني واسمك محمد وانا استحيي ان اعذبك واسمك اسم حبيبي اذهبوا به الى الجنة والى هذا اشاره في البردة بقوله * فان لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم (وروى عن جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو

محمد الباقر وقد تقدم ايضا (عن ابيه) ابوه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (اذا كان) هي تامة بمعنى وجد (يوم القيامة نادى مناد) من الملائكة امره الله بالنداء بقوله (الا ليقم من اسمه محمد) الا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه تمتاز عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة او مجاز مرسل اريد به لازمه او كناية وليس هذا امر تسخير للاموات قبل احيائهم اى ليقوموا من قبورهم او لمن قعدوا في ارض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق وياباه قوله (فليدخل الجنة) لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يعهد لتسمية احد من الكفار بعد بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لكرامة اسمه عليه الصلوة والسلام) وهذا من تتمة الحديث فهو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة ولم يعلل باسمي التفاتا او تجريدا او هو مايدرج فيه من كلام جعفر رضي الله تعالى عنه وعلى الاول هو من كلام المنادى وليس هذا مما يقال بالرأي فهو حديث له حكم الرفع وما قيل من انه يؤدي الى الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم تتمته قريبا (وروى ابن القاسم) فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك وراوى الموطأ عنه وهو من الثقات توفي سنة احدى وتسعين ومائة (في سماعه) اعنى كتابا له في مسموعاته عن شيوخه (وابن وهب) ابو محمد عبد الله بن وهب تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير وكان اسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين (في جامعه) وهو اسم كتاب له الفه على الابواب بخلاف ما الفه على الصحابة فانه من المسانيد (عن مالك) محيي السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله تعالى (قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد) اى مسمى باسمه او المراد ظاهره لانه لا يكون الاسم بدون مسماه (الا نمى) اى زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه (ورزقوا) اى زاد الله رزقهم ببركة ذلك الاسم وفي نسخة الاوقد وقوا من الوقاية اى حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية اى اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم او لامية اى اسم من اسماء هذه الذات فيشمل جميع اسمائه وفي نسخة (ورزق جيرانهم) جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى اربعين دارا ويحتمل ارادة هذا ايضا لان بركته تعم جميع الدنيا (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث مرفوع مسند كما قاله السيوطي وذكر سنده (ماضر احدكم) ما نافية واحدكم مفعول ضر (وان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) فاعله في محل رفع ولا يصح كونها موصولة ونفي الضرر المراد به وجود النفع ولكن هذا يستعمل للحث يعني اولم يكن فيه ضرر

كفى سببا فكيف وفيه نفع عظيم واى نفع ويجوز ان يكون استفهامية وان يكون مجرورا بحرف مقدر اى اى شئ حصل له من الضرر لكونه فى بيته وتوهم بعضهم انه لايصح لان ان يكون فاعله فتبقى الجملة التى هى خبرها بلاعائد فيها وعندى انه احسن لقول الناس ماضرك لوصليت لمن ترك الصلاة وهذا فيه حث عظيم حتى لايتركه الامانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الالتباس فى تعدد المسمى باسم استفاق مما لايلتفت اليه وفى بعض النسخ (وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مااجتمع قوم فى مشورة) بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها اى فى امر يتشاورون فيه (معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه فى مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب) لان من تسمى به يبارك الله فيه وتلقى الرأى السديد ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اعرض عنه كان بضد ذلك (وعن عبدالله بن مسعود) فى حديث رواه احمد والبزار والطبرانى بسند رجاله ثقات وهو وان كان موقوفا له حكم الرفع لان مثله لايقال من قبل الرأى كما اتفق عليه فى مصطلح الحديث اكثر المحدثين (ان الله نظر الى قلوب العباد) ومافيها من العقل وقيل المراد ارواحهم لان القلوب تطلق عليها (فاختار منها قلب محمد) اى اصطفاه وارتضاه (فاصطفاه لنفسه) اى جعله صفيا له مقربا عنده مختصا به لاتعلق له بغير الله فى ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة اى عامله معاملة عظماء الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا مخزنا لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه اشرف مماعداه فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفى اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى * ويحذركم الله نفسه * وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف فقول اهل المعانى انه لايطلق عليه الامشاكلة كقوله تعالى * تعلم مافى نفسى ولااعلم ما فى نفسك * غير صحيح وجمع بين القولين بعض المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم ومايلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لايطلق عليه الامشاكلة (وحكى النقاش) ابو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت) آية (وما كان لكم) اى لاينبغى لكم ولايحل ولايجوز (ان تؤذوا رسول الله) باى اذية كانت (ولاان تنكحوا ازواجه من بعده) اى من بعد موته (ابدا) لان حرمتهن مؤبدة وهن امهات المؤمنين حتى قال الشافعى رضى الله تعالى عنه من استحل ذلك كان كافرا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حى لم تزل عصمته عنهن وهن معه فى الجنة وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان مات محمد تزوجت عائشة وما قيل ان القائل ذلك طلحة احد العشرة المبشرة وانه ندم

فحج ماشيا واعتق رقبة وحمل على عشرة افراس فى سبيل الله كفارة لمقالته لايصح لان مثله لايصدر عنه مثل ذلك بل لايصدر ممن دونه بطبقات (قام خطيبا) على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اذا بلغه ما لا يجوز واراد اعلام الناس به (فقال) فى خطبته (يا معشر اهل الايمان) المعشر الجماعة (ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) عظيما تفضل به على الامة (وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا الحديث) لانهن افضل من جميع نساء عصره وفى فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله واشار به الى عدم كفاءة احد لهن وان كان الله خصه بانه لايجوز لاحد نكاح زوجاته

الامر ﴿فصل فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم لما تضمنته كرامة الاسراء﴾ اى ما اشتملت عليه قصة الاسراء ووقع فى ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم السلام والمراد ما اكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به ما يقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به وبما فيه من فضله ولك ان تقول المراد به ظاهره لانه امر لا يطلع عليه غيره وما هو كذلك لا يتحدى به ولذلك عبر المصنف بالكرامة والباء للتعدية اوالسببية والاسراء مصدر اسرى ويقال سرى واسرى اذا سار ليلا واختلف فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من آخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه واسرى ليلة اذا سار جميعها ولا يقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فاذا وقع فى اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه فى وسطه واسرى متعد ومفعوله محذوف هنا اى اسرى البراق وقيل انه لازم لسرى وانهما متغايران معنى كما مر ولفظا لان سرى من السرى واسرى من السراة وهى الظهر فمعنى اسرى به ذهب به فى سراة الارض وهى ظهرها كذا فى المفردات ويدل على تغايرهما اتفاقهما على التعبير بالاسراء هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس فالاسراء عبر المعراج كما سيأتى ثم بين ما تضمنه بقوله (من المناجاة) وهى الكلام سر لان السر يقال له نجوى وتختص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (والرؤية) اى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه يعنى ببصره اورؤية ما فى الملأ الاعلى العجايب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت علمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأى * وقال السهيلى الرؤيا تكون بمعنى الرؤية ايضا وله شواهد فى كلام العرب وعليه قول المتنبى * ورؤيا كاحلى فى العيون من الغمض * ولا يرد عليه شئ كما توهم وما يقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة ما يرويه (وامامة الانبياء) اى صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله عليه الصلوة والسلام ولذا استدل على تقديم ابى بكر رضى الله تعالى عنه فى الفضل بتقديم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الصلوة

فى مرض موته وقالوا الا ترضى لدنيا نا مارضيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا
(والعروج به الى سدرة المنتهى) العروج بمعنى الصعود فى جهة العلو وفعله عرج
يعرج كقتل يقتل ويأتى فى الحديث عرج بى بفتحتين وقال المصنف رحمه الله
تعالى انه بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعراج بكسر الميم وهو السلم
ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسماء معراج تصعد فيه ارواح الموتى وهو
الذى يشخص اليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه
ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذى المعارج فالاسراء سيره
صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر ميمى اواسم
السلم اطلق عليه اوفيه مقدر وقد يطلق الاسراء على جميع الاسراء والمعراج ويطلق
المعراج على كل ذلك مجازا فقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهى
شجرة النبق وقيل التى فى الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة فى السماء السابعة وقيل فى
السادسة واقتصر عليه المصنف رحمه الله فيما يأتى وجمع بينهما بان اصلها فى السادسة
واعلاها فى السابعة ويأتى ان نبقها كقلال هجر وان اوراقها كآذان الفيلة وانه يغشاها
نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب فى ظلها مائة عام ويخرج من اصلها
انهار اربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت سدرة المنتهى لانه ينتهى اليها
ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها وقيل انه ينتهى اليها علم الخلايق فلا يعلم وراؤه
اومنتهى الملائكة فلا يتجاوزونها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة
الى غير ذلك من الاقوال (وما رأى من ايات ربه الكبرى) ما موصولة عائدها مقدر
اى رأه اومصدرية والكبرى مفعول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه اوهو صفة لاياته
ومن تبعيضية اوزائدة وآيات الله كل ما رأه مما يدل على عظمته اوجبريل على صورته
الاصلية اوما يغشى السدرة من الانوار التى لايمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو
رفرف اخضر سد السماء والرفرف ما يسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط (ومن
خصايصه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما خصه الله به من دون الانبياء عليهم
الصلوة والسلام مع ماله من المعجزات التى تساوى معجزات سائر الانبياء كما فصل فى محله
(قصة الاسراء وما انطوت عليه) اى احتوت عليه وتضمنته (من درجات الرفعة)
اى العلو فى الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمراقى
الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة (مما نبه عليه فى كتابه العزيز) فى سورة
الاسراء وسورة النجم (وشرحته) اى كشفته وبينته (صحاح الاخبار) وفى بعض
النسخ صحايح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال فى القاموس يقال صح يصح فهو
صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحايح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح
اومصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف اى الاخبار الصحاح وهى

مارواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل فى مصطلح الحديث (قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) وقد مر الكلام على لفظ الاسراء وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا اضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بناء على انه غير معين فلا يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وانكر بعض النحاة عليه وخطأ من قال به كما ذكره ابو على فى تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه اواسم مصدر وابتداء السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسراء والرؤية ربما توهم ان الله تعالى فى جهة فنزهه عن ذلك وهى مع التنزيه تدل على التعجب ولما كذبوه فى الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده فى نسبته لمثله وبما انعم عليه من النعم التى خصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر اى سبحوه تسبيحا وقال ليلا اى فى مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه جدير بدخول سرادق العز والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا واسراؤه به صلى الله تعالى عليه سلم كان من الحجر وهو نائم به وروى انه كان فى بيت امهانى وجمع بينهما بان جبريل اتاه فى بيت امهانى فايقظه جبريل عليه الصلوة والسلام وذهب به الى الحرم ثم تباطأ لحيثه فنام فى الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمى به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اى هو السميع لما قيل فى حقه والبصير المطلع على احواله وقيل انه للنبى صلى الله عليه وسلم اى هو السميع لكلام ربه المشاهد لآياته (وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الواو للقسم والنجم عام لكل نجم اوالمراد به الثريا لعلته عليه اوالمراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهوى بمعنى غرب اوانقض اوطلع اونزل عليه وحيه واقسم به لوقوع ذلك ليلا وله تعالى ان يقسم بما شاء او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط فى التفاسير اذا علمت ما ذكر من النص (فلا خلاف بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلوة والسلام) بحسب النقل الشاهد له العقل والمسلمون يجمعون عليه وانما اختلفوا فى كونه يقظة او مناما كما سيأتى (اذ هو نص القرآن) تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذى لا يجحده مسلم (وجاءت بتفصيله) بعدما اجمله النص (وشرح عجائبه) الواقعة فيه (وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) اى ما خصه الله به فى الاسراء (احاديث كثيرة منتشرة) وفى نسخة اخبار كثيرة ومعنى منتشرة انها متفرقة فى كتب الاحاديث باسانيد مختلفة (رأينا) من الرأى وهو النظر والتدبر فى الامور المهمة بعد ما رأينا جمعها يطول ويعسر (ان نقدم اكملها) اى الحديث الذى هو اكملها اى اجمعها لهذه القصة واصحها والمراد بتقديمه اختياره

كما فى قوله * فقلت له هاتيك لعمى ابها * ولا تنتس ان المهم المقدم * وهذا رواه مسلم فلذا جعله اصح من غيره بناء على رأى المغاربة من انه اصح من البخارى (ونشير الى زيادة من غيره) اى من غير هذا الحديث وقعت روايتها لغير مسلم وهى مهمة (يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد ابو على) هو الحافظ بن سكره وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو بحر) بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاص الامام المشهور (سماعى عليهما) اى بسماعى ممن يقرؤ عليهما فان حديثا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تسمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا لدفع توهم غيره (والقاضى ابو عبد الله التميمى) وهو محمد ابو عبد الله بن عيسى التميمى استاذ المصنف الذى تفقه عليه واليه اشار بقوله وغيره واحد من شيوخنا والشيخ فى الاصل معناه الكبير سنا ثم صار فى العرف اسما لمن يقرؤ عليه الناس ويستفيدون الناس منه لانه فى الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الامن كبر سنه وكان فى العصر الاول يقال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوى (قالوا حدثنا ابو العباس العذرى) بضم العين المهملة وسكون الدال المعجمة والراء المهملة نسبة لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ قال (حدثنا ابو العباس الرازى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابو احمد الجلودى) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابو سفيان) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم ابن الحجاج) صاحب الصحيح الامام المشهور قال (حدثنا شيبان) بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة (بن فروخ) بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخاء معجمة وقال ابن حجر فى التبصرة انه بدون واو والذى نعرفه فى لغة العجم انه بالواو فان صح ماقاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعة وهو علم غير منصرف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطأ لا ينبغى ذكره وكذا قول التلمسانى انه ينصرف ولا ينصرف وصرفه اكثر (وقال صاحب المعين انه اسم لابراهيم الخليل عليه الصلوة والسلام وهو ابو الحجم كما فى المطالع ونقله النووى فى شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو ابو محمد الحبطى الايلى روى له اصحاب السنن وهو امام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حماد بن سلمة) بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه قد يغلط توفى سنة سبع وستين ومائة ترجمته فى الميزان قال (حدثنا ثابت البنانى) بضم الباء الموحدة نسبة لحى من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن اسلم رأس العلماء العابدين فى عصره توفى سنة سبع وعشرين ومائة وعمره ستة وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه خرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (عن انس بن مالك) صاحب

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق) بزنة علام وهو من دواب الجنة سمى به لشدة بريقه ولمعانه اولسرعته كالبرق الخاطف كامر (وهو دابة) اى على صورتها وهى فى عرف اللغة ذوات الاربع واصل معناها وضعا كل مايدب اى يتحرك ويمشى من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث (ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل) اى فى الجثة وابيض خبر بعد خبر لاصفة دابة وطوله باعتبار ما بين عنقه وذنبه لانه اعون فى مد خطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادى البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوائمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت لايشبه الدواب قال ابن المنير فى المقتفى انما اوتى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق تأنيسا له بجريه على العادة والله تعالى قادر ان يرفعه بغير شئ واظهارا لكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا له بمركوب فى وفادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لاحرب واظهارا للآية فى اسراعه العجيب وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب صلى الله تعالى عليه وسلم البغلة فى حنين اظهارا لثباته وشجاعته وتساوى الحرب والسلم عنده وبغلته بيضاء ايضا كالبراق وقال ابن المنير شهباء والاشهب المائل الى البياض والشاة البرقاء هى البيضاء ومنه البراق ويجوز الجمع فى التسمية بين البياض واللمعان والسرعة (يضع حافره عند منتهى طرفه) الحافر مجازا كالمشفر فان الحافر لايطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كما للبقر لكنه لقربه من البغل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء كما مر والطرف العين والمراد به النظر ولايلزمه ان يصل الى السماء بخطوة كما توهم (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فركبته حتى اتيت بيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلوة والسلام معه ام لا فقيل ركب معه لانه ورد فى بعض طرق هذا الحديث فسارت على ظهره انا وجبريل وسيأتى التصريح به عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويؤكده ما تقدم فى عدة ممن اردفهم ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح فى الحديث بان صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميرى ان الله انزله بدونه اظهارا لقدرته وقيل انه هبط به ايضا ولكنه لم يتعرض له اكتفاء بذكر العروج (فربطته) اى البراق (بالحلقة) بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهى معروفة واختلف فى فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وجعله بعضهم خطاء وقال الليثى بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة (التى تربط بها الانبياء) وروى به فى مسلم وفى السماء لتأويل الحلقة بشئ ونحوه وقالوا امر التذكير والتأنيث سهل وعبر بالمضارع حكاية

للحال الماضية ولم يبين اين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذى
فى حديث الترمذى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار
جبريل عليه الصلاة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو المعروف
ولا اعرف ما قاله عمن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق انه البراق بناء على ان الانبياء
كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه جميعهم فهو ظاهر والافراد بالانبياء الجنس وان ثبت
للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق
قوى يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فائدة فى الربط لا يضر لانه مسخر لايخالف
فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه واشارة الى مباشرة الاسباب وانها لاتمنع
التوكل وكفاك شاهدا اعقلوا وتوكلوا (ثم دخلت المسجد) الاقصى وعطف بثم
للتراخى الرتبى وجعل بعد مرتبة المسجد عن الارض التى لبست بمسجد بمنزلة
البعد الحقيقى (فصليت فيه ركعتين) تحية المسجد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم
يصلى قبل فرض الصلوة بالاسراء وفرض عليه صلوة اختلف فيها فقيل صلوة
الليل وقيل صلوة بالغداة وصلوة بالعشى ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات
الخمس فى الاسراء من غير تعيين اوقاتها فكانوا يصلونهـا متى ارادوا مجموعة
ومفرقة ثم عينت اوقاتها بوحى من الله (ثم خرجت) من المسجد (فجاءنى جبريل
باناء من خمر واناء من لبن) وخيرنى فى شرب ايهما اردت (فاخترت اللبن) فأخذه
وشربه (فقال جبريل اخترت الفطرة) وروى اخذت الفطرة الجبلة والطبيعة التى
فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة اى ما اخترته هو الموافق للخلقة
الانسانية التى خلق الله النـاس عليها وللطبايع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ
وطعام نافع موافق للانسان سريع النماء ولذا كان غذاء للاطفال دون غيره
وفى حديث آخر هديت وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغوت امتك وفى طريق
آخر هدى الله بك او اصاب بك وروى ان الآنية كانت ثلاثا واناء فيه ماء
وفى رواية اربع هى واناء فيه عسل والاصح مارواه المصنف وقال ابن المنير التخيير
انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة او مباحين كمجالس الحسن او ابن
سيرين او مابين واجب وممنوع اومباح وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء
اريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا اواريد الاذن فى احدهما لابعينه مشكل فما
معنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل له اصبت الفطرة باختيار اللبن اى
ثبت الخلقة عليه وبه نبت اللحم ونشز العظم او اخترته لانه الحلال الدائم فى دين
الاسلام واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذى يرفع الاشكال ان يكون
المراد تفويض الامر فى التحريم والتحليل الى اجتهاده الذى وافق فيه الصواب
بناء على جواز الاجتهـاد له فيما لم يوح اليه شئ وانه صلى الله تعـالى عليه وسلم

معصوم فى اجتهاده بخلاف غيره انتهى واجاب غيره بان الخمر لم تحرم اذ ذاك
او انه كان فى السماء وليست دار تكليف اوهى من جملة خمور الجنة وليست محرمة
و يجوز ان يترتب عليها غى امته كما تترتب القبائح على بعض المباحات قال ابن المنير
واللبن فى الرؤيا يعبر بالعلم ففيه اشارة الى انه لمامليء قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك
بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليه وشحن قلبه وقالبه بالانوار
والاسراء وان كان يقصة الا انه ربما وقع فى اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر
كما يعبر المنام ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال الحسن وجاء فى الحديث
انه قدم له الاناآن قبل العروج وجاء فى حديث آخر انه بعده و يجمع بينهما بان
تقديمهما له صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل تصويب فعله
تأكيدا التحذير مما سواه (ثم عرج بنا الى السماء) بفتح العين والراء اى عرج جبريل
وصعد وضمير بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق اوهوله وجبريل وفى نسخة بى وفاعل
عرج البراق والباء التعدية اوالمصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسماء
هى السماء الدنيا هنا ولم يبينه لظهوره (فاستفتح جبريل) وهو امايقرع لها او بصوت
قيل والظاهر الاول لانهم يعرفون صوته اى طلب فتحها من الملائكة الموكلين لها
(فقيل) الموكل بها (من انت) ايها المستفتح (قال) المستفتح انا (جبريل)
فهو جبريل مبتدأ مقدرهوانا اوالمستفتح وفيه اشارة الى ان من دق الباب ينبغى
له ان يسمى نفسه ولايقتصر على قوله انا وان السماء لها ابواب تفتح خلافا للحكماء
المانعين للخرق والالتيام عليها (قيل ومن معك قال محمد) عطف على مقدر اى
جبريل ومن معك قيل انما استفتح لان معه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولوكان
وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما وتأنيسا له وقال ابن المنير استفتاحه
لان ابوابها مغلقة ولم تفتح الا لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تنويها بقدره ولو
صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك (قيل وقد بعث اليه) اراد الاستفهام فحذف الهمزة
للعلم بها واصله اوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها ويحمل كلامهم على انه
اذا لم يكن قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير فى المقتفى ولم يرد
بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول
ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما عن اصل بعثته بالنبوة والبواب لم يطلع عليها
لاستغراله بشانه لاوجه له لان المراد بسؤاله بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد
نبوته ليست تصلح للسببية الا انه يحتمل كونه تعجبا مما انعم الله به واستبشارا بعروجه وهذا
مع مافيه احسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالته على ان من اذن له فى شئ يقتضى
رفع الموانع عما اذن له فيه فمن اذن له بالبيع اذن له فى قبض الثمن والوكيل اذا اذن له
فى شيء اذن له فى لوازمه فلذا لم يطلب البواب الاذن له فى الفتح ولذا (قال) جبريل

(قد بعث اليه ففتح لنا) بالبناء للفاعل او المفعول وفي بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان حاشية الملك اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه وان لم يؤذن لهم فيه وليس هذا من افشاء السر لانه تعرض لرضاء الملك لا استدعاء انما هو لاكرام فحصل له البشرى ثم قال فائدة هنا جليلة العبادات منقسمة الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه وان ادى معناه كالاحرام بلفظ التكبير والتشهد الى ما لا يحجر في لفظه فيقوم مقامه كل ما ادى مؤداه كدعاء الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما يعلم من جهة الشريعة اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدي من القبيل الاول او من الثاني فيقوم مقامه ما يؤدي معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من لم يتلفظ به ويقول ليس هذا بسلام يستحق الرد واكثر السلف والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل لانه قال الملك حياه مرحبا ونعم المجيء وكذا من لقيه من الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا انا بادم) عليه الصلوة والسلام (فرحب بي ودعا لي بخير) اي قال لي مرحبا بك اي جعل الله تعالى مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرامه وبره واذا هي الفجائية وبدأ بادم عليه الصلوة والسلام لانه اسبقهم وجودا (قال ابن المنير في المقتفى اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسراء في ذكر الانبياء عليهم الصلوة والسلام وترتيبهم في السموات فمنهم من لم ير التكلم في سره اصلا ومنهم من تكلم فيه من مشايخ الصوفية وفيه كلام طويل افردنا برسالة لا يسع المقام تفصيله ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال انما اختص من اختص من الانبياء بلقائه صلى الله تعالى عليه وسلم على عرف الناس اذا تلقوا الغائب مبتدرين للقائه فلا بد ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال في شرح البخاري وذهب بعض شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمثيل لما سيتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم كما اتفق لهم مما قص الله تعالى في كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن التعبير فمن رأى في منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فادم عليه الصلاة والسلام تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعداوة ابليس وحيلته كخروجه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة باذية قومه له وللمسلمين وعيسى ويحيى عليهما الصلوة والسلام دليل على ما سيلقاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من اذى اليهود لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى فرفعه الله اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ دبروا حول قتله وسموه في ذراع شاة كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعله قومه مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع ثمه

عباس وابن عمه عقيل اذا فداهما وقال يوم فتح مكة ادعفا عن قريش واطلق الطلقاء اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الى آخره ففعل كما فعل يوسف عليه السلام وهارون دليل على عداوة قومه وان تنقلب بعضتهم مودة كما كان هارون عليه السلام محببا عند بني اسرائيل حتى آثروه على موسى عليه السلام وادريس دليل على كتبه صلى الله عليه وسلم الى الآفاق لانه اول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه وموسى دليل لفتحه عليه السلام مكة وقهر المستهزئين كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم في اسناد ظهره للبيت المعمور كحاله في حجه في آخر عمره ولد القيد في آخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب في منازلهم ولقياهم وهذا مما ينبغي تأمله فانه مما تفرد به وللمشايخ في ذلك كلام كما مر واشار اليه الشيخ في فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال كالمنام من الفال ونحوه تعبر كما يعبر الرؤيا ولعمر رضي الله تعالى عنه في ذلك امور كثيرة كقوله اذ سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال من الحرقة اسم قبيلة فقال اين مسكنك قال بالحرة فقال ابن انت منها قال من ذات لظى فقال ادرك قومك فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث انه رأى رجلا في سماء الدنيا عن يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر ليساره بكى يعني آدم وذريته وقد استشكل انه يعارض قوله تعالى * ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء * والحديث الصحيح ان ارواح الكفرة في سجين اسفل سافلين واجيب بان المراد بذلك ارواح العصاة وما في الآية والحديث المراد به ارواح الكفار الجاحدين وهؤلاء يرحمهم وقد نهى ابراهيم عليه الصلوة والسلام عن استغفاره لابيه وللموعدة التي وعده جعل في صورة ضبع يدعو حين القائه في النار حين يحزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز ان تمثل ارواح الاشقياء والسعداء ويراهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مثلوا له وان لم تكونوا هنالك كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال الآخر وهو كيف يرى ارواح السعداء والاشقياء وكثير منهم لم يموتوا وما قيل ان المراد بالاسودة العصاة غير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم مما مر ان آدم عليه الصلوة والسلام انما كان في اول السموات لانه اول الانبياء وجودا وليكون اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم (ثم عرج بنا الى السماء الثانية) فيه ما مر اولا (فاستفتح جبريل) عليه الصلوة والسلام (فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد) عليه السلام (قيل قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم الصلوة والسلام فرحبابي ودعوا لي بخير) بالف التثنية وفي بعض الروايات او قد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابني الخالة لان مريم بنت عمران اختها ايساع ام يحيى على ما قاله السهيلي وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان مريم بنت حنة بنت فاقوذا وام يحيى ام ابيه زكريا فاقوذا ايضا فاتحدا في الجدة

فيكونا ابنا خالة لان الخالة اخت ام والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول زكريا لما اراد كفالة مريم عندي خالتها وارتضى هذا السعد في شرح الكشاف فعلى هذا في كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهري يقال هما ابنا عم ولا يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الآخر ابن عمه ايضا ومن كان ابن خالة انسان كان الآخر ابن خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كان في الثانية لانه رفع الى السماء وسينزل منها فجعل في مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لذته وبينهما من القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا جعلا في سماء واحدة ولم يكن في سماء انسان من الانبياء غيرهما وقال ابن المنير لما كان عيسى عليه الصلوة والسلام سينزل كان بمعنى ليحيى وحده (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف) عليه الصلوة والسلام (واذا هو قد اعطي شطر الحسن) تقدم معناه وان الشطر النصف (فرحب بي ودعا لي بخير) لم يذكر الدعاء والقول بانه قوله مرحبا لاوجه له فانه لا يسمى دعاء ولما كان اقاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم دليلا على مفارقة اهله ووطنه على وجه يؤذن بعزة ونصرة وهو بعد الهجرة والدعوة فهو اذ ذلك من اطواره رآه في الثالثة وقد تقدم بسطه (ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فذكر مثله فاذا انا بادريس) عليه الصلوة والسلام (فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) ولما ترادف الوحي عليه عليه الصلوة والسلام بعد الهجرة واظهر المؤمنون شعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس في الرابعة لشهرة علمه وكتابته وقيد عن الاسلام وكمال رفعته وفي تلاوة الآية ايماء لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد ابي نوح وهو المعلم بالحكمة لانه اول من نظر في النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم في الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي اخرى شاذة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذي لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروي هذا عن ابن مسعود وعلى هذا لا اشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف في رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما يرفع سائر الانبياء او في حياته كعيسى ففي قصص الانبياء ان الملائكة عليهم الصلوة والسلام احبته لكثرة عبادته فسأل ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم حيي ثم سأله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فسأله ان يدخله الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له اخرج قال يارب اني ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها ابدا فاوحى الله لخازنها دعه فاذني فعلي ما فعل فبقي في الجنة في السماء الرابعة نقله ابن المنير وسنه على وجه كونه في الرابعة على الاصح وقيل انه في الثانية وقيل في السادسة (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة

فذكر مثله فاذا انا بهارون) عليه الصلاة والسلام (فرحب بى ودعا لى بخير)
جعل فى الخامسة لانه كان وزيرا لموسى عليه الصلوة والسلام لايفارقه فلذا كان
فى جواره (ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى) عليه الصلوة
والسلام (فرحب بى ودعا لى بخير) لما كان اجل الانبياء بعد ابراهيم عليه الصلوة
والسلام وكتابه اعظم الكتب قبل القرآن وجاهد فى الله وظفر بما لم يظفر به غيره
رفعت مرتبته على غيره وترقى فى حظائر القدس تحت منزلة الخليل فكان فى السادسة
(ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم) عليه الصلوة والسلام
لما كان ابراهيم افضل الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خليل الرحمن
كان ارفعهم منزلة وما ذكرناه فى وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر نظرا
لمناسبة الحال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هناك مناسبة
اخرى بين اهل كل سماء ومن فيها من الرسل وهذا مما لانعرفه (مسندا ظهره الى
البيت المعمور) وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة وهو محاذ للكعبة ويسمى
الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه
قال التلمسانى قيل وفيه دلالة على ان الافضل فى غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل
الافضل استقبالها فعلى هذا لعله اسند ظهره ليتوجه للنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ويخاطبه بما مر وانما اسند ظهره للبيت لانه الذى اول من بنى الكعبة من الناس
اولا (واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لايعودون اليه) لان الحجة مرة كفرض
الحج علينا اولاشتغال غيرهم وكونه فى السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه
فى الرابعة (فذهب بى الى سدرة المنتهى) ثم يقل عرج لانها فى السماء السابعة وتقدم
معنى سدرة المنتهى (واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل
وانما شبهه لها وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة فى بلاد الحبش وهم كثيرا ما يأتونها
للتجارة واليها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها والا فالتشبيه بما لايعرف عادة
غير مقبولة (وثمرها كالقلال) جمع قلة وهى الجرة وشبهها بها لامتداد ظلها ولطف
ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما يحكى امور الدنيا صورة
والفرق بعيد (فلما غشيها) اى طرأ عليها وغطاها (من امر الله) الظاهر ان المراد
بامر الله وحيه او تجليه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها بذلك اشرق
عليها نور الهى فزهت به وحسنت حسنا لاينعت ونورا لا يمكن ان تقابله الابصار
لقوله بعده (ما غشى) اى امر عظيم غشى فان الابهام بمثله يفيده كقوله تعالى
* الحاقة ما الحاقة * وامثاله (تغيرت) اى عن حالها التى كانت عليه (فما احد من
خلق الله يستطيع) ويقدر (ان ينعتها من) اجل (حسنها) الذى طرأ عليها
لكونها من اشجار الجنة المعتدة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار

الارض احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ما قلناه قوله (فاوحى الله الى عبده ما اوحى)
وفي هذا الابهام تعظيم لطريق الكناية الابهامية حتى كانه مما لا يمكن ان يدرك فيمت
وفي هذا الموصول وتعريفه اشكال اجبنا عنه في حواشي التسهيل لان ما موصولة
تتعرف بالعهد الذي في الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة
وقيل المراد بها الملائكة التي تغشاها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش
من ذهب وجواهر نزل عليها او جراد من ذلك و قال مجاهد رفرف اخضر وقيل
طيور خضر وانما نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسر
ما اوحى بقوله (ففرض علي) وعلى امتي (خمسين صلاة) تكون (في كل يوم وليلة) وقيل
ما اوحاه اليه مبهم لا يعلمه احد وقيل سورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على الانبياء
عليهم السلام حتى يدخلها هو صلى الله عليه وسلم وعلى الامم حتى يدخلها امته وقال
السيوطي في الخصايص فرضت الصلاة خمسين و الغسل من الجنابة وغسل
نجاسة الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلاة (فنزلت الى موسى) عليه الصلوة والسلام
انما قال نزلت لانه كان في السادسة والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم ونزل له لبساوره
لانه يعلم ما في شريعته من الاحكام والصلوات ومارس من ذلك اكثر من ابراهيم
لانه لم يفرض على امته ما فرض على امة موسى عليه الصلوة والسلام (فقال ما فرض
ربك على امتك) قال اولا فرض علي وقال هنا على امتك لان ما فرض على النبي
فرض على امته ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف
من كل منهما ما ذكر في الاخر فحذف من الاول وعلى امتي ومن الثاني علي ووقع
فرض الصلاة في السماء لانها اعظم العبادات ففرضت في اجل المواضع وبين انه
فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشانها ولذا قيل يكفر تاركها اوذهب
الشافعي الى انه يقتل كما سياتي (قلت) فرض (خمسين صلاة) منصوب لانه تمييز
(فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف) منها رفع بعضها وانما اشار عليه بذلك
لمحبته له وجعله له ما يليق بنفسه وقيل ذلك لانه سأل الله تعالى ان يكون من امته
لما رأى في التورية مما لامته صلى الله تعالى عليه وسلم من الكمال فقال يارب من هؤلاء
قال امة احمد فقال يارب اجعلني منهم فخشي ان يفرض عليهم تكاليف شاقة وهو
منهم فيقصروا بها وقال السراج البلقيني انما قصد موسى تكرار رؤية محمد عقب
رؤيته لله بعينه كما قيل * لعلي اراهم او ارى من يراهم * وموسى عليه الصلوة والسلام
وان كان يرى الله في الاخرة لكن رؤيته روحانية وهي ليست جسدية عينية ولا تتيسر
في كل حين قال ابن حجر يحتاج ما قاله البلقيني الى ثبوت تجدد رؤيته في كل مرة يعني
رؤية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللاري ما قاله البلقيني
لا يتوقف على تجدد الرؤية ويكفي حصول اصلها (فان امتك لا يطيقون ذلك)

خص الامة اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبنى على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ فى مقدماته حتى يعلم امتثاله و يطيقون بضم اوله مضارع اطاقه (فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم) عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره كقتله يقتله وفيه مقدر اى خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم فلم احد لهم صبرا على ذلك فكيف حال امتك وفى نسخة قبلك (فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف عن امتى) مفعوله محذوف للعلم به اى ما فرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعنى لما مر او حياء منه بسؤاله لنفسه (فحط عنى خمسا) منها واصل الحط معناه تنزيل الحمل وشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال الله تعالى * لا تحملنا ما لا طاقة لنا به (فرجعت الى موسى فقلت) له (حط عنى خمسا) منها (فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف) وفى نسخة ما سئله (قال فلم ازل ارجع بين ربى) تعالى (و بين موسى) اى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى عليه الصلوة والسلام (حتى قال) الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة) استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور فى كتب الفروع الحنفية (لكل صلاة عشر فتلك خمسون) فى الثواب والاعتبار لان الحسنة بعشر امثالها كما سيأتى تحقيقه (ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) واحدة لنيته عملها (فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة) الهم القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم وذهب الباقلانى انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله تعالى * ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم * والكاتب الملائكة فتكتب حتى ما فى القلب كما قاله الطحاوى وفى حديث مسلم القدسى كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات الى سبعمائة الى اضعاف كثيرة وهو صريح فى ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبى انها لا يجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما فى الاحياء ان اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة وراء ظهره بحيث لو التفت لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات وجزم النية ويسمى هذا العقد وهذه قد يكون لها مبداء ضعيف فاذا اصغى الى الخاطر حتى طالت مجاوزته للنفس

حتى تنخرم النية واذا انخرمت فقد يندم و يترك وقد يغفل فلا يعمل وربما يعوقه عائق عنه فهى اربعة احوال وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختيارى وكذا هيجان الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عفى عن امتى ما حدثت به نفوسها فحديث النفس خاطر يهجس فى النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما اضطرارى لا يؤاخذه او اختيارى يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عائق غير خوف الله تعالى كتبت سيئة لان همه فعل اختيارى له (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت الى موسى) اى انتهى سيرى فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وما قاله هنا اشارة الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده (فاخبرته) بما قال الله تعالى له (فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) من الخمس (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما قصه من حديث الاسراء (فقلت) لموسى عليه الصلوة والسلام (قد رجعت الى ربى) مرارا وراجعته فى سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) ان اراجعه فى السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا فى جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب اهل السنة الى جوازه وهو مبنى على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه وبقصة الذبيح اذا امره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فمنهم من قال لم يأمره لانه منام ورد بان رؤيا هم وحى يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امر بمقدماته من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله انى اذبحك يرده والفداء يأباه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين اوقلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ منا قض والجواب بانه المأمور وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته لانا فرض عليه فرض عليهم واذا قال له موسى عليه الصلوة والسلام ان امتك لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جائز واعلم انهم يريدون بالمنسوخ حرا تكليف لا نفس الامر كما انه قد تم ووقع فى بعض طرق هذا الحديث ان موسى عليه الصلوة والسلام قال له اسئله التخفيف فانى اعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر عليه الصلوة والسلام ما قاسى لما قال انا اعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية لما رآه ومثله لا يضر وما قيل من انه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون اولا بيان لما فى اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلا نسخ فيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم

فهمه على ظاهره فراجع ربه في غاية البعد (قال القاضي) هو شيخه القاضي الشهيد المذكور في اول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدي (جود) بفتح الجيم وتشديد الواو اي حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبيح (ثابت) البناني الراوي (هذا الحديث عن انس رضي الله تعالى عنه ما شاء) اي احسن في روايته واتقنها اتقانا محكما لان ما نكرة موصوفة اي تجويدا شاءه اي بذل جهده وفعل كل ما دخل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها من الروايات وقيل ما شاء كناية عن كثرة تجريد ملتبسها بجودة تجويدا كثيرا (وقد خلط فيه غيره) خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شيء في شيء والمراد انهم ادخلوا في حديث الاسراء ما ليس منه كشق الصدر كما سنبينه (لا سيما) اي لا مثل روايته وفسرها الرضي رحمه الله تعالى خصوصا وقال الدماميني رحمه الله تعالى انه لا سند له فيه وشيء منصوب وما بعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء وفيه كلام طويل بيانه في غير هذا الكتاب ونحن في غنية عنه (من رواية شريك بن ابي نمر) بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعي الصدوق الثقة القاضي المدني وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله تعالى لما وقع له في حديث الاسراء من الاوهام الاربعة التي اشار اليها المصنف رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفي سنة اربعين ومائة وله ترجمة في الميزان (فقد ذكر في اوله) اي ذكر شريك رحمه الله تعالى في اول حديث انس رضي الله تعالى عنه (مجيء الملك له) اللام للتقوية لان جاء متعد بنفسه (وشق صدره) عليه الصلاة والسلام (وغسله بماء زمزم) وقد تقدم انه بالثلج وفي رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد على العشر منها ما في سنده فان قتادة رحمه الله تعالى رواه عن انس رضي الله تعالى عنه عن مالك بن صعصعة والزهري رحمه الله تعالى عن انس رضي الله تعالى عنه عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه وشريك جعله عن انس رضي الله عنه من غير واسطة وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتأخير ووافقه على ذلك مسلم رحمه الله في صحيحه وما ذكره المصنف رحمه الله موافق لقدح ابن حزم فيه الا ان الحافظ ابا الفضل ابن طاهر انتصر له في جزء مستقل العه فيه وقال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الآفة من شريك اذ لم يسبق اليه لا تقبل فان ائمة الجرح والتعديل وثقوه وروو عنه وقالوا لا بأس به وحدث عنه مالك رحمه الله وغيره من الثقات وحديثه اذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا بأس به وقد روى عنه سليمان بن هلال وهو ثقة وتفرده بقوله الآتي وذلك قبل ان يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع لا يقتضي رد جميع ما روى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله اراد

ان يقول بعد ان اوحي اليه فقال قبله انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابي رحمه الله تعالى وقال النسائي انه قول ليس بالقوي وكان بعضهم لايحدث عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله وابوداود رحمه الله تعالى انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فيعد ما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره في مواضع من هذا الحديث منها امكنة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها اوفي السادسة وفي نهري النيل والفرات وكون اصلهما في سماء الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسراء وكون الكوثر في السماء الدنيا وهو في الجنة ونسبة الدنو والتدلي الى الله تعالى وهو لجبريل عليه الصلوة والسلام وكون مراجعته صلى الله تعالى عليه وسلم في سؤال التخفيف عند الخامسة وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته في السند والمتن الذي قال المصنف رحمه الله تعالى انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها (وهذا) اى المذكور من الشق والغسل (انما كان وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (صبي) عند مرضعته حليمة رضي الله تعالى عنها (وقبل الوحي) واتى بانما ردا لقول شريك رحمه الله تعالى انه كان ليلة الاسراء واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان معه كما مر ومرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليثبت قلبه بالوحي وليلة الاسراء ليقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري وصححه البرهان والحلبي الاربعة الاول (وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه) اى شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة (وذكر قصة الاسراء) فقال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه يقول ليلة الاسراء جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لابليالي فلا خطأ فيه (ولاخلاف انها) اى ليلة الاسراء (كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا) هذا اشارة الى الخلاف في سنة الاسراء وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله تعالى انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا ان يقال هذا الاسراء كان مناما غير هذا كالذي روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان بالمدينة فانه منام ايضا قال ابن المنير رحمه الله تعالى في المقتفي رجح القاضي عياض رحمه الله تعالى انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولايرد عنه

ان خديجة رضي الله عنها كانت تصلي معه وقد اختلف في مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال اقلها انها ثلاث سنين والصلوة لم تعرض الا في الاسراء لان هذه الصلوة غير المفروضة كالتي صلاها في بيت المقدس وصحح ابن المنير رحمه الله تعالى الاول لان قوله غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربي رحمه الله تعالى لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران احدهما احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان راويه احفظ واوعى قلبا كقول الفقهاء ان الشهادة المورخة تقدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قال ابن المنير رحمه الله تعالى وكان مقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشرة قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثاني عشر الاثنين كان اوله الخميس واول شهر الاسراء السبت اوالاحد اوالاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلثة ايام او اربعة او خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التي قبلها او رابعة اوسادسة واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس بذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على اقل الاحتمالات اول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين واول الاخر منه الاربعا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كيوم الجمعة لآدم عليه الصلوة والسلام فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف في شهره فقيل انه شهر ربيع الاول وقيل الاخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل بعد ليلة سبع وعشرين اوسبع عشر او ثاني عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفي الهدى السوي ان ابن تيمية رحمه الله سئل هل ليلة الاسراء افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القائل ان ليلة الاسراء افضل ان اراد انها ونظائرها من كل عام افضل فلا وجه له وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم فيها مالم يحصل له في غيرها ومالم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ما انعم الله به عليه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من انزال القرآن وهو يحتاج الى علم بحقايق تلك الامور انتهى (وقد روى ثابت عن انس رضي الله تعالى عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا) اي كما روى عنه قصة الاسراء مجيء جبريل بالنصب مفعول روى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان

عند ظئره) بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة والراء المهملة والهاء وهي المرضعة التي لبست بام وهي حليمة السعدية (وشقه) مصدر منصوب معطوف على مجئ (قلبه) مفعول الشق (تلك القصة) بدل من مجئ بدل اشتمال وفي نسخة بتلك اى معها (مفردة من حديث الاسراء) وفي نسخة مفردة وهو منصوب على الحال (كما رواه الناس) غير شريك وهم اكثرا لحفاظ المحدثين (فجود) من ضبطه اى هذا الراوى المميز بين القصتين كما اشار اليه بقوله (في القصتين) اى قصة الاسراء وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احديهما بالاخرى (وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة) لا قصتان كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء معراجا آخر (وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هنالك) اى صعد به الى السماء من البيت المقدس لانه ارفع مكان في الارض (فازاح) بزاى معجمة والف وحاء مهملة اى ازال واذهب (كل اشكال) اى مشكل (اوهمه) اى اوقعه في ذهن الناس ووهمهم (غيره) اى غير ثابت كشريك الذى وقع في روايته الوهم والتخليط السابق بيانه (وقد روى يونس) بن يزيد الايلي القرشي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروى عن الزهرى ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن يزيد بن مرة الزهرى التابعي رحمه الله تعالى لقى عشرة من الصحابة توفي ليلة الثلاثا لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب واوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعوله المارة وكان احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا للمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا (عن انس) بن مالك خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته (قال كان ابوذر) الصحابى الغفارى (يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتي) بضم الفاء وكسر الراء اى شق اورفع جانب منه حتى صار مكشوفا لينزل منه الملك المرسل اليه ولم يأته من الباب وقد قال تعالى ﴿وأتوا البيوت من ابوابها﴾ قال ابن المنير تنبيها على المبالغة في المفاجأة وان استدعاءه للكرامة كان بدأمن غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة اوهو تمهيد لشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم والتئامه من غيرتألم لشق السقف كما تقدم قبل وكان حلفاء بنى العاص اذا نصبوا حليفة نقبوا جداره واخرجوه منه تنويها باصره وانه لم يكن يطلب منه والبيت لام هانئ واضافه اليه لادنى ملابسة وروى انه كان بالحطيم وروى ببطحاء مكة فان كان مرارا فظاهر والايحتاج للجمع (فنزل جبريل) عليه الصلوة والسلام (ففرج صدرى) بفتح الفاء والراء وقدتقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلااشكال فيه

(ثم غسله) اى صدره (من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب) تقدم بيانه وما فيه (ممتلئ حكمة وايمانا) تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز اى ملئ نورا ينشؤ عنه ما ذكر او انه تعالى قادر على تجسيم المعانى والاعراض كما قيل فى وزن الاعمال وذكر الطست وأن كانت مؤنثة لتأ ويلها بالاناء فان كان قوله (فافرغها) ضميره للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الاناء وفرغته تفريغا اذ صببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها ولانه عطف تفسير (ثم اطبقه) اى الصدر اى اعاده محله اشارة الى شقه والتيامه بغير آلة وقيل شق بمنقار الملك وخيط بخيط لما ورد كنت ارى اثر المخيط فى صدره (فائدة) قال ابن الجوزى فى كتاب الوفاء بعد ما ذكر حديث ولادته مختونا ولم يراحد سوأتى فان قيل فلم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق صدره واخرج قلبه قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه احق ادون التطهيرين التى جرت العادة ان تفعله القابلة والطبيب واظهر اشرفهما وهو القلب واظهر آثار التجلى والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى (ثم اخذ بيدى فعرج) بنا (الى السماء فذكر القصة) بتمامها واخذه بيده يحتمل انه على حقيقته وان تكون كناية عن جعله شارعا فى العروج (وروى قتادة) ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الضرير اعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفى سنة سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط ونسب للتدليس ولبس كذلك (الحديث) مفعول روى (بمثله) اى بمثل الرواية المذكورة (عن انس عن مالك بن صعصعة) الخزرجى المازنى روى له البخارى واصحاب السنن حديث الاسراء قال وروى خمسة احاديث (وفيها) اى فى رواية قتادة المفهومة من قوله روى (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) عن غيرها من الروايات (وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود) اى اكثر اتقانا وجودة منها فى الروايات ولذا اختاره المصنف رحمه الله تعالى خلافا للنووى اذ رجح رواية قتادة كما عرفت (وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات) من الرواة فى بعض طرقه (نذكر منها نكتا مفيدة فى غرضنا) من تأليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسراء النكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة جمع نكتة وهى ما ينكت من الارض وما يكون فى الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر اما لخفائه لغيره اولكون الفكر يخط فى الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية فى ذلك وقد يجمع على نكات ايضا (منها) اى من النكت المفيدة (فى حديث ابن شهاب) الزهرى الذى تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفى حديث الى آخره صفة مبتدأ مقدر وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن قبله لان المعنى من النكت الى آخره ومثله جائز قياسا مطردا (وفيه) اى فى حديث

ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان احسن والضمير في فيه راجع لحديث الاسراء (قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) فانه ليس كل نبي من احداده وفي عمود نسبه لكنه جار منهم عن سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره ياولدي وفي غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبي العظيم مثلا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات لانه بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكي فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبي به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان في العرف لايمدح به الكبار لان الصلاحية شيء لايقتضي الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المير رحمه الله ان الله اطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا صالحا ولايصلح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم وبين آحاد الامم كما انه لايجوز ان يقال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظم والتجبر وان كان كذلك في نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا الموصوف كما في شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام ومن قائل وذما في غيره كصالح ومدارك (وفيه من طريق) البخاري المسندة (عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (ثم عرج بي حتى ظهرت) اي علوت وصعدت كما في قوله والشمس في حجرتها لم تظهر اي لم تعل او بعدت كقوله وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وفي نسخة ثم انطلق بي حتى ظهرت (بمستوى) بضم الميم وفتح الواو والباء بمعنى في او على وهو اسم مكان عال اووسط اوواسع منبسط (اسمع فيه) اي المستوى (صريف الاقلام) الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد صوت القلم على الورق اي انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى محل سمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهي تكتب ماتنقله من اللوح اومايؤمر بكتابته من الوحي وغيره فالاقلام على ظاهرها قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو صريح في ان اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تأوله ونحن نؤمن به على ظاهره وحقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب منه لان مثله لايسمع من بعيد وروي لمستهى بدل بمستوى قال التوربشتي يعني انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه على التكوين ومايراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل وهذا منتهى لايرام ولاتصل اليه الافهام ولاينطق فيه غير صرير الاقلام (وعن انس) فيما رواه عنه الشيخان (ثم انطلق بي) بالباء للفاعل والضمير فيه لجبريل عليه الصلوة

والسلام او بالبناء للمجهول (حتى اتيت سدرة المنتهى) تقدم معناه (فغشيها الوان لاادرى ماهى) لكونها لبست بما تشبه الوان غيرها فى الحسن اولان شدة نورها يمنع تحقيقها (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ادخلت الجنة) وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها فى السماء وهوالذى نعتقده بلاشبهة (وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته) اى فارقته وقدتم لى ما تم وفسر ضمير المفعول بقوله (يعنى موسى عليه الصلوة والسلام بكا) لحزنه اذلم ينل هو وامته ما ناله صلى الله تعالى عليه وسلم لامنافسة وحسدا لتنزههم عن مثله (فنودى) اى ناداه الله او الملك وقال له (ما يبكيك قال رب) هذا يدل على الاول بحسب الظاهر (هذا غلام) اطلاقه هذا عليه وهو اذ ذاك كهل اوشيخ لانه فى نحو الخمسين امالانه اسن منه اولانه فى الزمن الاول يعد مثله غلاما وقال ابن قرقول معناه القوى وهو غير قوى (بعثته بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى) لما علم عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وتأييد رسالته علم كثرة امته وقدورد انه يراهم فى عرض المحشر اضعاف الامم وقد جوز كون بكائه غبطة وهى غير مذمومة كالحسد بل هى محمودة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من اكثرية امته فى الجنة فضيلته على غيره لانه لازم بين واما كونه على قلة امته فلبس بشئ (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى الاسراء الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من ان الاسراء يقظة الا انهم قالوا لا يتعدى عامل لضمير والفاعل ضمير مثله الا فى افعال القلوب وما حمل عليها كعدم وفقد وجوزوا حملها عليها لمشابهتها لرأى العلمية لفظا ومعنى لانها جهة ادراك اجاروا فيها ذلك وقد سمع كقول عائشة رضى الله تعالى عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومالنا طعام الا الاسودان الماء والتمر وقول الحماسى

* ولقد ارانى للرماح درية * من عن يمينى تارة وامامى *

(فى جماعة من الانبياء) اى بينهم اومعهم (فحانت الصلاة) بالحاء المهملة اى دخل وقتها وحان حينها لا بمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت القرينة على خلافه وهذه الصلاة قيل انها العشاء لان الاسراء يكون فى اول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبياء كما رواه المحدثون واختاره النووى قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة اوباجسادهم لانهم احياء ثم ان هذا ان كان بعد الاسراء فهى الصلاة المفروضة لان المعراج تعدد كما سيأتى تفصيله والا فهى نفل وليس المراد بالصلاة الدعاء كما قيل لان قوله (فاممتهم) اى صليت معهم جماعة وانا امام لهم يأباه ظاهرا (فقال قائل) قيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام (هذا مالك خازن النار) اى الموكل بها وباهلها (فسلم) مالك (عليه) اى على القائل او سلم جبريل على مالك وهو

الظاهر ويحتمل ان جبريل امره عليه السلام بالسلام على مالك (فالتفت) اى مالك (فبدأني بالسلام) على والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وابتداؤه بالسلام لانه قادم وليعظمه ويعلمه با منه منه لتأمين الله له لان السلام امان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب ولهم صور مهولة جدا وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه احد من الملائكة الا ضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ما ورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم في صلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الي فتبسمت واجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت النار الا في هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية وبغيرها وفي فتاوى النووي هذه الصلوة تحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسماء ويحتمل ان تكون بعدها والظاهر الاول (وفي حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ثم سار) اى جبريل عليه السلام (حتى اتى الى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة) المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لان الفارس يطلق على مقابل الماشي سواء كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد وردت تسمية البراق فرسا في حديث المعراج في رواية اخرى انه اتى بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جاء في قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التي كانت قبلة قال البرقي في غريب الموطأ انها من عرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صماء في وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي اعلاها موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التي امسكتها اذ مالت واذا كان بعضها يبعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء وعدى ربط بالى لتضمينه معنى ضم او الى بمعنى الباء او عند كقوله * الى اشهى من الرحيق السلسل (فصلى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام وقيل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (مع الملائكة) لما وجدهم يصلون ثمه (فلما قضيت الصلاة) اى تمت وفرغوا منها وقضى مبني للمجهول نائب فاعل الصلاة وتاؤه ساكنة للتأنيث وضبط في الشرح الجديد بالبناء للفاعل وضم تائه على انه التمات وهو خلاف الظاهر فان اسند لرواية فيها ونعمت (قالوا يا جبريل من هذا معك) خبر بعد خبر اوحال (قال هذا محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (خاتم النبيين) والرسل لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى آخرهم كما مر وقوله في الحديث لا نبوة بعدى الا ما شاء الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه

الرواية كما مر ولا يرد عيسى عليه الصلوة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينبأ بعده كما مر (قالوا وقد ارسل اليه قال نعم) تقدم شرحه (قالوا حياه الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة) هى تحية ودعاء بالبقاء والسلامة فان حي واحيى بمعنى ومن زائدة اومبينة للضمير وجعله الملائكة اخالهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله فى ارضه استخلفه فيها لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق عن التلقى بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال التلمسانى لايقال للسلطان خليفة الله لان الله حى لايغيب وانما الخليفة لمن يغيب او يعجز وانما يقال له خليفة فقط ان اتبع الشرع والسنة والايقال له امير (ثم لقوا ارواح الانبياء) ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة او بعد العروج فى مراتبهم فى السماء اى لقى الملائكة ارواح الانبياء وفى هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها فى الملاء الاعلى على ما كانوا عليه فى الدنيا من الرتبة ومانقدم ايضا يحتمل هذا (فاثنوا وعلى ربهم) اى اثنى الملائكة على ربهم اذلاقوا ارواح الانبياء كما تقول اذا رأيت احدا من الصالحين الحمد لله الذى من علينا بلقائك الا ان آخر الحديث يدل على انهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام بدليل قوله الاتى كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى وقوله (وذكر كلام كل واحد منهم) اى من الانبياء (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلوة والسلام ثم ذكر كلام النبى صلى الله عليه وسلم فقال وانا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على ربى فاقول الحمد لله الذى ارسلنى رحمة للعالمين) فيه مخالفة لما ذكر فى اول الحديث من الانبياء وهو من باب الابدال لا الزيادة الا ان يكون اقتصرها على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحديث بنعم الله لامدح والعالمين شامل للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم فى الدارين فى معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من الخسف والمسخ والاستيصال (وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو كما مر اما صفة مصدر اى ارسالة كافة اى عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلنى اواسم فاعل حال من الياء اى حال كونى كافا للناس والتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا ونذيرا) اى مبشرا بالخير لمن آمن واتقى محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة او متداخلة حمل اولا على ما انعم به عليه ثم ثنى بماله من المنافع والفوائد (وانزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ) سمى الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام وخصه العرف بالعلمية وهو مصدر صار بمعنى الفارق اوالمفرق آياته او احكامه والتبيان بكسر التاء كتلقان شاذ قياسه الفتح وهو جائز فى غير القرآن وكونه مبينا لكل شئ كما قال مافرطنا فى الكتاب من شئ

يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض واجمالا فى بعض واحالة
على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ امر باتباعه على الاجماع بقوله ويتبع
غير سبيل المؤمنين واتباع ائمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما فى الكشاف
وغيره من التفاسير (وجعل امتى خير امة) كما قال كنتم خير امة اخرجت للناس
وفسره بقوله تعالى * تأمرون بالمعروف الآية (وجعل امتى امة وسطا) اى
عدولا اخيارا جامعين بين العلم والعمل وسائر الصفات التى بين التفريط والافراط
استعير من المكان المستوى الجوانب لما ذكر (وجعل امتى هم الاولون وهم الآخرون)
هم ضمير مبتدأ و يفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين
ومعنى اوليتهم سبقهم الناس فى القيام من القبور وفى دخول الجنة وفصل القضاء
وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجى وقد فسره بهذا فى حديث البخارى وهو قوله
نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب قبلنا وليس تفسيره بسبق
السعادة فى الازل كما قيل بواضح (وشرح لى صدرى) اى وسعه بالعلم والايمان والحكمة
واليقين بحيث لا احزن على امر من امور الدنيا اوشقه وملاءه بانواره كما مر (ووضع
عنى وزرى) اى طهر قلبى من حظ الشيطان وعصمنى فلا ارتكب ما لا يرضى الله ولذا
قال الله تعالى * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر * فسوى بين ما تقدم
وما تأخر لعدم وقوعهما اوخفف اعباء النبوة والتبليغ بالعاصمة يادبه على ان الجملتان
فى غاية التناسب (ورفع ذكرى) اى جعلنى مذكورا فى الملأ الاعلى وجعل اسمى طراز
الجنان ومقرونا مع اسمه على كل لسان وعلى المنابر فى كل اقامة واذان كما قال حسان
رضى الله عنه * وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد *
(وجعلنى فاتحا) للنبوة اذ خلق روحى قبل الارواح ونبأها قبل كل نبى (فقال
ابراهيم عليه الصلوة والسلام بهذا) اى بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منهما
لا الاول فقط كما قيل (فضلكم محمد) اى زاد فضله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم
وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهيم عليه الصلوه والسلام خطابا بالانبياء
لما سمع مقالته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ذكر انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اوجبريل فقوله (عرج به) مبنى للفاعل او المفعول (من السماء الدنيا ومن سماء الى سماء)
نحوه (كما تقدم وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) الذى رواه ابن عرفة
فى جزأيه وابو نعيم فى الدلائل (وانتهى بى) اى جبريل عليه الصلوة والسلام اى وصل
نهاية عروجه بى او هو مبنى للمفعول (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) وتقدم
ان الاكثر على انها فى السابعة والجمع بينهما بان اصلها فى السادسة وفروعها فى السابعة
لانه قيل ان خروج النيل والفرات من اصلها يقتضى انها فى الارض وورد انها
فى الجنة قال ابن المنير رحمه الله تعالى فان قلت كيف انصبابها الارض قلت يمكن

ان يكون كالمطر فيغرق ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه و يحتمل ان انصبابها في نواحي من الارض غائبة عن شاذيب عزيزة متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها مالم يقف على مباديه الى الآن قلت يشهد له قصة النيل و بهذا يجمع بين كونها في السماء و الجنة في الارض و قوله (اليها ينتهي مايعرج به من الارض) بالبناء للمفعول اى ماتعرج به الملائكة عليهم الصلوة والسلام من امور الارض للعرض على الله من امور عبيده (فيقبض منها) بالبناء للمجهول والقاف و الضاد المعجمة قبلها باء موحدة مفتوحة كذا صححوه اى تقبضه الكتبة و تكتبه و من للابتداء والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم (واليها ينتهي مايهبط من فوقها) من العرش بواسطة الملائكة المقربين (فيقبض منها) اى يوحي اليهم عمله ولو قيل ضمير منها للملائكة للعلم بهم من السياق كان اظهر (قال تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى) اى امر عظيم لايعلم كنهه وظاهر السياق ان المراد بهذا امر الله ووحيه وكان عليه ان يبينه (وقال) ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (فراش من ذهب) اى ذهب على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر اى غشيها فراش والفراش معلوم (وفي رواية ابي هريرة من طريق الربيع بن انس) البكري البصري نزيل خراسان التابعي الثقة يروي عن انس رضي الله عنه والرواية عنه مشهورة توفي سنة تسع وثلاثين ومائة (فقيل لي هذه سدرة المنتهى) التي سمعت بها والظاهر ان القائل جبريل عليه الصلاة و السلام و وقع في بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون اضافة كالآتي اى السدرة التي هي المنتهى فالمنتهى مدل منها (ينتهى) ويصل (اليها كل احد من امتك خلى) بفتح المعجمة واللام المخففة اى مضى كقوله تلك امة قد خلت وفي نسخة بضم الخاء وتشديد اللام المكسورة (على سبيلك) اى على طريقتك وسنتك اى من مات من امتك مؤمنا يعرج بروحه مع الملائكة اليها فيقال هذا عبدك فلان ابن فلان فيؤتى له بصك الامان و بهذا فسر قوله تعالى * ان كتاب الابرار لفي عليين الآية (وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها) اى عروقها الداخلة في الارض (انهار من ماء غير آسن) اى لايتغير طعمه ولونه ورايحته اصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفي التغير في الحال لان كثيرا من انهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هي القابلة للتغير واذا كان البحر المحيط بالدنيا مالحا على ماقرره ارباب الطبايع في علم الحكمة (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) اى لم يحمض كغيره اذا مكث (وانهار من خمر لذة للشاربين) اى لذة سايغة ليس كخمر الدنيا المرة المستكره شربها حتى على من ابتلى بشربها حتى قالوا انقل من القدح الاول (وانهار من عسل مصفى) من القذى والشمع وان لم تمسه نار لانه

لبس رحيق النحل وقئ الذباب (وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم فاعل من اظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لا سائر الخلق اذ لا يصح هنا وهذا عبارة عن سعة ظلها فان قلت قد تقدم انها كآذان الفيلة قلت اجيب بانه فى الشكل ومن قال التشبيه فى الكبر فيه ما فيه (فغشيها نور) من الانوار الالهية (وغشيتها الملائكة) وهم نور مصور قابل للصور (قال فهو كقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى فى تفسير هذه الآية على قول كامر (فقال الله تبارك وتعالى) ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفائض منه ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره والتعالى العظمة والرفعة فى عظمة الربوبية كالمحسوس فانه منزه عنه (له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) اصله اسئل خفف وحذف المفعول للعموم اى سل كل ما تريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) اى اصطفيته وخصصته بالخلة وسيأتى تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة (واعطيته ملكا عظيما) قال ابن المنير الملك العظيم الذى اوتيه ابراهيم يحتمل انه ما اوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك بنى اسرائيل من ذريته كما قال الله تعالى * فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا او المراد قهره صلى الله تعالى عليه وسلم لعظماء الملوك فى عصره كنمرود اذ ظاهر اعظم من المقهور وجاء فى التفسير ان الملك النبوة فان قلت كيف هذا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم للاعرابى خفف عليك فلست بملك وقال ابو سفيان للعباس رضى الله تعالى عنهما اذا وقفه على كتائب الفتح فلم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضراء التى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب اخضر ولذا قال ابن هانى

*وجنبتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر*

ورد عليه ان هذا ابن اخيك عظيما فقال لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم يرض تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم ملكا قلت المنفى الملك العرفى المذكور فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تعود ملكا واما الملك الحقيقى الدينى فليس بمنفى ومع هذا لا يجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم عليهما السلام انهما ملكان لان مقام النبوة اشرف وعدمه فيه صلى الله عليه وسلم وفى آبائه من دلائل النبوة ولذا سأل هرقل هل كان فى آبائه من ملك وخرجت الخلافة عن اهل بيته لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع ما يرد على الفقهاء فى تقسيم الملك الى دينى ووقف وسلطنة (وكلمت موسى تكليما) اى خصصته بكلامك له من غير واسطة حقيقة كما يشير اليه التأكيد خلافا لمن انكره من المعتزلة كما بين فى الاصول (واعطيت

داود وملكا عظيما) اى ملكا شرعيا لاعرفيا وهو والخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال (والنا له الحديد) بحيث كان فى يده كالعجين يتخذ منه الدروع (وسخرت له الجبال) وكانت تسبح معه اذا سبح (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اذ ملكته الدنيا باثرها (وسخرت له الجن والانس) فكانت الجن تخدمه عليه الصلوة والسلام فى بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضئ فى الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل مافيه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لا يعصونه فى شئ (والشياطين) وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدر له والجواهر ويعملون له مايريد (والرياح) فكانت تجرى بامره كما يشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا (واعطيته ملكا لاينبغى لاحد من بعده) كان سأله من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فملك مافوق الارض وماتحتها وقد عرض هذا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبدالله (وعلمت عيسى) وهو صغير (التورية والانجيل) الذى انزل عليه وحفظ التورية وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما هو حكم وحقائق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتورية وفى نسخة وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه) الذى ولد اعمى بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمك وقال التلمسانى هو الذى لايبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخارى عن قتادة ولا يعلم هذا فى لغة والمعروف ما تقدم والذاهب البصر بعد الابصار اعمى والاكمه الذى سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر او الذى اعترته ظلمة وغيبت بصره انتهى وفى كلامه تناقض فان المعنى الاخير هو عين ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة ليس متهما بالمجازفة فى تفسير القرأن لاسيما وقد تابعه البخارى ومتابعته تعتمد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف اللغة (والابرص) وهو علة مزمنة لايتيسر علاجها للحكماء بها يبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعى رضى الله تعالى عنه فسخ النكاح به (واعذته) اى حفظته واجرته (وامه) مريم (من الشيطان الرجيم) لرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وسيأتى فى حديث مسلم مامن مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من مسه الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه افضل الصلوة والسلام لان المتكلم لايدخل فى عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مشيرا الى السماء ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذى مع كل احد حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام وفى هذا كلام فى الكشاف وشروحه سيأتى بيانه مع الكلام

على الحديث (فلم يكن له عليهما سبيل) اذ حماهما وعصمهما منه (فقال له ربه) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل عليهم الصلوة والسلام (قد اتخذتك حبيبا) هذا فى مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سيأتى ولم يذكر مايقابل مابعده لانه معلوم اذ هو لم يرض الملك وقدحا دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن اعظم من التورية والانجيل وابراء الاكمه ونحوه وقد وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما سيأتى وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان (فهو مكتوب فى التورية محمد حبيب الرحمن) وهذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفى السعديات للهمدانى قال ثبت فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج ان اخلع نعلى فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لاتخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يارب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يااباالقاسم ادن منى لست عندى كموسى فان موسى كليمى وانت حبيبى انتهى وقد سئل الامام القزوينى عن وطئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت اصلا وانما الذى صح فى الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى ما وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك فى اخبار ضعيفة اومنكرة لايعرج عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله (وارسلتك الى الناس كافة) قد تقدم شرحه وكذا قوله (وجعلت امتك هم الاولون وهم الآخرون) لسبقهم فى دخول الجنة وتأخرهم وجودا والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ لشريعتهم (وجعلت امتك لايجوز لهم خطبة) هى كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكانت عادة العرب اذا اجتمعوا فى ناد قام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا وتصالحوا اواردوا وعظا وقس فى سوق عكاظ خطيب مشهور فجاء الشرع على نهجهم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقع امر قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقى ذلك مشروعا فى الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه (حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى لايعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيها بكلمتى الشهادة لما ورد فى الحديث * كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء * اى هى ناقصة لابركة فيها وهذا يقتضى ان التشهد فيها ركن او شرط قيل وهذا لم يقل به احد من الفقهاء وائمتهم فان قيل المراد انه لايصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة اى لاتصح الا خطبة المسلم المصدق بك والامة امة الدعوة فهو

بعيد واجيب بان الشافعي وغيره اشترط في الخطبة الصلوة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك ولايخفى ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليلة وتسبيحة وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لابد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثنى بها على الله و يصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم و يدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة وما دون ذلك لايسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعي والحديث شاهد له (وجعلتك اول الانبياء خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح ثم خلق الارواح ونبأه فهو اولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) وارسالا كما تقدم بيانه (واعطيتك سبعا من المثاني) اى الفاتحة لانها سبع آيات وهي تثنى وتكرر في كل ركعة اوالسبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها اومع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرير المواعظ والعبر فيها (ولم اعطها نبيا قبلك) كما تقدم بيانه (واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي) الكنز المال المدفون فشبه به ما في اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه بجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قرأها بمال عظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث * من قرأها كفتاه * اى عن قيام الليل اومن الشيطان ويؤيده ماروى عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال * انزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان ولايكون له عليه سلطان * قال التوربشتي المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الى آخره وانصرنا ولما قرأهن صلى الله عليه وسلم قيل له قدفعلت واوثر الاعطاء لمناسبة الكنز (لم اعطها نبيا قبلك) اى لم يعط مثل ثوابها احد قبله صلى الله عليه وسلم (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى فاتحا لكل خير وشريعة وهو اعم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فمن فسره فقد قصر (وفي الرواية الاخرى) التي رواها مسلم (قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا) من الخصائل المخصوصة به صلى الله عليه وسلم (اعطى الصلوات الخمس) اى لم تجتمع لغيره ولغير امته ولا لنبي قبله فان الانبياء قبله كانت لهم صلوة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان عليه السلام يصلي قبل الاسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي رحمه الله في آخر الخصائص انه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى * ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا * وقد مر ذلك (واعطي خواتيم سورة البقرة) كما تقدم (وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من امته المقحمات) بضم الميم وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل

من الاقحام وهو الالقاء والمراد الكبائر التى تلقى صاحبها فى النار او المهلكات وهذا
كقوله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * اى
بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور (وقال) اى ابن مسعود رضى الله
تعالى عنه فى الحديث الذى رواه (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) هذا لفظ القرآن
والمقول عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله (رأى جبريل فى صورته) الاصلية
التى خلق عليها (له ستمائة جناح) لا فى صورة تمثل بها فان الله اعطى الملائكة
قوة التشكل باى صورة ارادوا ونقل الشمنى عن السهيلى فى قوله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان الله ابدل جعفرا رضى الله تعالى عنه بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة
حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الادمية
اشرف وانما هى عبارة عن قوة روحانية ملكية اعطيها جعفر رضى الله تعالى عنه
كما اعطى الملائكة فان اجنحتهم صفات ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى
* فيهم اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع * يدل على ذلك اذ لم ير طائر باكثر من جناحين
وكيف بستمائة كما فى صفة جبريل عليه الصلوة والسلام فدل على انها صفات
لا تضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا اشبه بكلام الفلاسفة
والحشوية فاى مانع من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين
غير ضار والاحاديث صريحة فى انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت
ملونة كاجنحة الطواويس ولا ينكر هذا الا من ينكر الملائكة وكون جناحى جعفر
رضى الله تعالى عنه حقيقتين يؤيده كون ارواح الشهداء فى جوف طيور خضر
فى الجنة فاى حاجة للتأويل ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلى (وفى حديث شريك)
المتقدم مع ما فيه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى موسى فى السابعة) وهو مخالف
لما مر انه فى السادسة فان كان الاسراء متعددا فظاهر انه لا منافاة والا فيجمع بينهما بانه
رآه اولا فى السادسة ثم صعد الى السابعة فرآه بعد رجوعه فيها (قال) اى النبى صلى الله
عليه وسلم او الراوى على انه من كلام شريك فهو مدرج فيه (بتفضيل كلام الله) اى
علو رتبته عليه الصلوة والسلام وصعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم
الله فالباء سببية وهو مضاف للفاعل قال شريك فى الحديث (ثم علا به) اى برسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من السابعة (فوق ذلك) الاشارة للسماء السابعة (بما لا
يعلمه الا الله) اى بمقدار لا يعلم محله وحقيقته وقيل نهايته وهو بدل من فوق والباء
للاستعلاء كما فى قوله تأمنه بقنطار او بمعنى الى كما فى قوله تعالى * وقد احسن بى *
فكان مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم ارفع من مقام موسى عليه الصلوة والسلام
ولذا عقبه بقوله (وقال موسى) اذا رأى رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم

(لم اظن ان يرفع على احد) ومنشأ ظنه تفرده بتكليم الله وقد شاركه في ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على سائر الانبياء واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى عليه الصلوة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور في التورية واللايق بالانبياء عليهم الصلوة والسلام التواضع وهذا مما يطعن به في رواية شريك (وقد روى عن انس) ابن مالك (رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسراء الذى فرضت فيه الصلاة وان كان محتملا ايضا كما مر (وعن انس) رضى الله تعالى عنه كما رواه البزار والبيهقى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلوة والسلام) اصله بين فاشبعت فتحته الفا وهو ظرف مضاف للجملة مضمن معنى الشرط والعامل فى اذ معنى المفاجأة اى وقعودى يوما فاجأنى فيه دخول جبريل اووقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رحل من ذى يمن (فوكز) اى ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره بحيث لايطلع على ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف (بين كتفى) وفى رواية بينا انا نائم وجمع بينهما بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولذكره ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفى بعض الشروح انه كان ببيت المقدس (فقمت) معه من محل قعودى (الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر) مثنى وكر وهو للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبى كما بينه اهل اللغة اى بيتين شبيهين بالعش وضعا وهيئة لا مقدارا لانه لايسع الادمى ولو كان كبرا فى الطير كالنسر والعقاب (فقعد) اى جبريل عليه الصلوة والسلام (فى واحدة وقعدت فى الاخرى) قيل اسم لانه كالعش يذكر ويؤنث والغالب على السنة اهل مكة تأنيثه اوهو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وما قيل لانه مأوى اناث الطيور غالبا لاوجه له (فنمت) بالنون والضمير للشجرة اى زادت وارتفعت وروى سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى (حتى سدت الخافقين) هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما اى غيابهما اوحركتهما واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة واذا حسن قوله * اما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما القى رهطك *
* ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك *
(ولوشئت) لعلوها وقربى منها (لمسست السماء) بكسر السين وفتحها ويروى لمسبت بسين واحدة من اللمس اوهو مخففة ونقل حركته (وانا اقلب طرفى) تقليب طرفه بمعنى نظره فى جوانبها لثباته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم دهشته وتأمله فى آيات الله فى الافاق (ونظرت جبريل) اذ قلبت طرفى فوقع عليه بحذائى (كانه حلس) بكسر الحاء المهملة

وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط في البت (لاطئا) اى لاصق بالارض والمراد انه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالارض من الغشي الذي هو فيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم متثبت لم يمسه روعة كما غشي جبريل عليه الصلوة والسلام ويقال فلان حلس بيته لمن لا يخرج منه قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة اومنية قاضية ولاطئ بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لاصق كما في الصحاح وفي بعض النسخ حلس لاطئا بفتحتين ونصب لاطئ وصحح رواية ولم يفسر وجهه كانه حال جبريل (فعرفت فضل علمه بالله علي) اى عرفت بما اعترى جبريل عليه الصلاة والسلام من الخشية انه اعرف بالله مني لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه عليه الصلوة والسلام لانه افضل منه ورد بانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل والملائكة المقربون قد يعرفون من احوال الملكوت ما لا يعرفه غيرهم فان كان افضل والقول بانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لا يناسب هنا (وفتح لي باب السماء ورأيت النور) قيل هو نور العرش او الله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله نور السموات والارض والحكماء والمتكلمون جوزوه من غير تأويل قال الاشعري نور لا كالانوار وقال الغزالي النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا كلام لا يصرح به (ولط دوني الحجاب) وفي نسخة واذا دوني الحجاب ولط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة مبني للمجهول يقال لططت الباب اذا اغلقته وكذا اذا سترته يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما شاهد النور ارخي بينه وبينه حجاب ستره عنه وسيأتي الحجاب وتأويله عن قريب (وفرجه) بضم الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا لضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهي ما بين الشيئين من خلاء او بين اجزاء شيء مفتوحة اى فرج الحجاب المرخى وطاقاته الذي يخرج منها نوره (الدر والياقوت) وهما نوعان من الجواهر معلومان (ثم اوحى الله الى ما شاء ان يوحي) بالبناء للفاعل او المفعول وحديث انس هذا سقط من بعض النسخ (وذكر البزار) بفتح الموحدة وتشديد الزاي المعجمة والف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذي يستخرج منه السليط وبالذال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا هو احمد بن عمرو ابن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل توفي بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار كذا هو في اكثر النسخ قال البرهان الحلبي وفي نسخة بخط الحافظ مغلطاي البزار براي معجمة آخره وفي صحته نظر والمعروف انه براء مهملة آخره (عن علي رضي الله تعالى عنه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يعرفه (الاذان) الذي شرعه له

الاعلام بدخول وقت الصلاة (جاء جبريل بدابة يقال لها البراق) مر الكلام عليه وظاهر سياقه ان هذا معراج آخر غير الذي كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا بعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه يقتضي ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسيأتي ما فيه (فذهب يركبها) اي شرع في الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب بمعنى المضي تقول ذهب يقول كذا اي شرع في مقاله وقوله (فاستصعبت) تلك الدابة (عليه) فقال لها جبريل اسكني فوالله ما ركبك عبدا كرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى انتهى بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبيناه وكذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل (من هذا) الملك (قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) تقدم شرحه فلا نكرره وتأنيث البراق لغة او مأول بدابة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلي رضي الله تعالى عنه وفي سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف ومال السهيلي لصحته وذكر الحجاب وسيأتي بيانه (فقال الملك) الذي خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلوة والسلام (الله اكبر الله اكبر) الى آخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق برب العزة فلهذا شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ما عرف في كتب الفقه والسنة (فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله وقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر) الراوي (مثل هذا) الذي ذكر قولا وجوابا للمؤذن (في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح) لانه لا يتصور في حقه معناه اولان جوابه لا حول ولا قوة الا بالله اي لا يقدرنا على الصلاة والسعي لها واداء حقوقها الا من هي له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ما قبله (وقال) اي الراوي (ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقدمه) على من كان بحضرته من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (فام) اي صار اماما يؤم (اهل السماء) حال كونهم (فيهم آدم ونوح عليهما الصلوة والسلام) خصهما بالذكر لانهما ابو الانبياء الجسمانيين كما انه ابوهم الروحاني المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حي اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضي منذر بن سعيد والعرب تريد بها حيء سريعا حثيثا لا كما يقول الفقهاء مطيعا وفي حي لغات مذكورة في كتب العربية واصلها حي هلا ثم قد تفرد حي وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال افلح الرجل اذا اصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على البقاء في الجنة (قال ابو جعفر محمد بن الحسين) بن علي بن ابي طالب وهو ابو جعفر الامام المشهور في آل الرسول واهل بيته (راويه) اي راوي هذا الحديث الذي رواه عن ابيه عن جده (أكمل الله لمحمد

صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) والعلو (على اهل السموات واهل الارض)
اما على اهل الارض فلانه صلى الله تعالى عليه و سلم اشرف الرسل وامته اشرف
الامم واما على اهل السماء فلانه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من سائر الملائكة
بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما تدل عليه الاحاديث المذكورة اقول ههنا ان ما ذكر
يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسراء قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله تعالى
عليه وسلم كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة الى ان هاجر الى المدينة وفي
حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما الصحيح المذكور في الصحيحين قال كان
المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا في
ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل
بوق اليهود فقال عمر رضي الله تعالى عنه اولا تبعثون رجلا ينادي بالصلوة فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بلال قم فناد الصلوة وفي حديث ابي اسحق
بزيادة على ما ذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجي النداء
فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد طاف بي الليلة
طائف مر بي رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله
اتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال اولا
ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله اكبر الله اكبر الى آخره
فلما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انها رؤيا حق فقم لبلال
فالقها عليه فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بلال رضي الله تعالى
عنه سمعه عمر رضي الله تعالى عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله
والذي بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم الحمد لله وفي وسيط الغزالي انه رأى هذه الرؤيا بضعة عشر رجلا وانكره
النووي كابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضي الله تعالى عنهما فهذا
يدل على ان الاذان انما روى بالمدينة وما ذكرنا يدل على انه بمكة في الاسراء وهما
متعارضان الا ان الثاني صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله تعالى قول
القرطبي انه لا يلزم من رؤيته في الاسراء مشروعيته في حقه فيه انه يأباه قوله في الحديث
لما اراد ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان وقول الطبري يحمل الاذان
في الاسراء على معناه اللغوي يأباه ذكره بالفاظه بعينها وما قيل من انه صلى الله
تعالى عليه وسلم رآه في الاسراء ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين
واخره الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثم لما رأوا ذلك اظهره ليكون مدحه على
لسان غيره في غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حتى قدم المدينة (فول
هذا كله كلام مضطرب والذي ظهر لي في التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه

ان المذكور في رواية البزار اسراء غير المعروف وانه بروحه او في رؤياه لان الاسراء
تتعدد فيكون رأى في منامه ذلك ورؤيا الانبياء وحي وعقب ذلك قص عليه الصحابة
رضي الله تعالى عنهم رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح
من غيره وليسروا بموافقتهم رأيهم وكون ذلك مأثورا عنهم والا فهو فرض كفاية
مشروع ومباح لا يثبت برؤيا غيره فيحتاج الى الاجتهاد بما يوافق الرؤيا وهو خلاف
وهذا ان شاء الله من بركات مولمات مشكلاته ثم ان المصنف رحمه الله تعالى استشعر
اعتراضا فيما مر من الحديث الذي ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه
الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله (قال القاضي) ابو الفضل عياض مؤلف هذ
الكتاب (رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق) اي
(لا في حق الخالق) زاد الفاء في خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز وكذا
ما ورد في الحديث حجابه النور لان الحجاب بمعنى المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين
وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضي تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا
قال ابن عطا رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الذي اظهر كل شيء كيف يتصور
ان يحجبه شيء وهو اظهر من كل شيء كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الواحد الذي
ليس معه شيء (فهم) اي الخلق (المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه) لما سيأتي
ولذا علا علي كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذي احتجب بسبعة اطباق وقال ويحك
يا لكع ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه فقال (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب
او بفتح فسكون مصدر (انما تحيط بمقدر محسوس) اي بذي مقدار له طول وعرض
وعمق في جهة تحس بتوجه الناظر فيقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك (ولكن
حجبه عن ابصار خلقه وبصائرهم) جمع بصيرة وهي القوة المدركة لغير المحسوس
من العقل ونحوه فلا تحيط به ابصارهم اي لا تدرك ادراك احاطة بذاته لاقتضائه
التحديد والتناهي ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله لا تدركه الابصار كما ذكره
البيضاوي ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الاية وسيأتي الكلام عليها ولا
تدركه بصائرهم والمراد بالادراك العلم اي لا يعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما
يقينا (و) حجبه عن (ادراكاتهم) اي انواع العلم والادراك معطاة عن ادراك ذاته
فلا رؤية ولا تصور ولا اكتناه في غير آناه (بما شاء وكيف شاء ومتى شاء) متعلق بحجب
اي منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر
بل بسبب ارادة وكيفية لا يدركها في اي زمان اراده وفيه ايماء الى ان رؤية الله في الدنيا
ممكنة وفي الاخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبياء
عليهم الصلوة والسلام ومن امسك ذيل حقيقتهم (كقوله) اي كقول الله في الكفار
(كلا انهم عن ربهم) اي ان الكفار (يومئذ) اي يوم القيامة وفي الاخرة اذ تم

المؤمنون برؤيته ورضوانه (لمحجوبون) وقال كقوله بالكلف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله فان قلت الحجب امر نسبي لابد من تعلقه بالطرفين فيلزمك ما فررت منه قلت نعم هو نسبي ولكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وسائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه فيجوز ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يرى من فوقه وهو يشاهد و يشاهد حركاته والحجاب للمشهود لا للشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا اومقيدا اذ انهم لم ما سمع من الشارع لا يلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القرآن والحديث (فقوله في هذا الحديث الحجاب) بالجر على حكاية الحجاب اوالرفع (و) قوله (اذ خرج ملك من الحجاب) اراد ملك الاذان الذي سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (يجب ان يقال) في تفسير معناه (انه حجاب حجب به) الله تعالى (من وراءه ملائكته عن الاطلاع) بكسر الطاء المشددة اى رؤيتهم متعلق بحجب (على ما دونه) اى ما خلفه ووراءه من جانب الغيب و باطنه فهو الباطن والظاهر (من سلطانه) الظاهر انه اراد به ما يقتضيه قدرته عند تصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الا باذنه نادرا (وعظمته وعجايب ملكوته) ومالا يدركه من ذلك والمراد بالملكوت عالم غيب الغيب اى ما غيب عن الملائكة (وجبروته) وهو يطلق على القهر وعلى عظايم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همزة قال الحلبي وهو مهموز في بعض النسخ وهو لحن (ويدل عليه) اى يدل على ان الحجاب لغيره لا لذاته (من الحديث قول جبريل) له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه) فانه صريح في ان الحجاب انما حجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله تعالى عما في سرادق جلاله وخلف حيطة عظمته (فدل على ان هذا الحجاب) المذكور في الحديث (لم يختص بالذات) اى لم تختص محجوبيته بذاته تعالى اذ حجب بعض الملائكة ايضا كملك الاذان و بما فسرنا به علمت انه لا يتوهم ان المصنف رحمه الله حقه ان يقول يختص بغير الذات لان نفي الاختصاص يقتضي المشاركة كما لا يخفى (ويدل عليه) اى على عدم اختصاص الحجاب بالذات كما مر (قول كعب الاحبار (في تفسير سدرة المنتهى) اى في بيان سبب تسميتها به (قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم) فهذا وجه تسميتها به ومنه يعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجدون معناه يقفون ويعلمونه (واما قوله) في الحديث (الذى يلي

الرحمن) لما كان ظاهره انه حائل بينه وبين غيره اشار الى تأويله بقوله (فيحتمل) اى يفسر بانه (على حذف المضاف اى الذى يلى عرش الرحمن) فالمضاف المقدر لفظ عرش اولفظ امر (اوامرا ما) زيادة ما للعموم اوللتعظيم اى يلى امر الرحمن (من عظيم آياته) من بيانية لايضاح ما ابهم لولا وهو اوقع فى النفوس لحصوله بعد التشوق اليه (اومن مبادى حقايق معارفه) اى امرا يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله (مما هو) اى الله تعالى (اعلم به) من رسله وملائكته عليهم الصلوة والسلام (كما قال تعالى واسئل القرية التى كنا فيها اى اهلها) اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ لان القرية لا تسئل وانما يسئل اهلها (وقوله) تعالى فى حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله اكبر من كل كبير (فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى) اى الملك القائل (انا اكبر وظاهره انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سمع فى هذا الموطن) اى المكان الذى كان قارا به كما يقر الانسان فى وطنه (كلام الله) من غير واسطة كما سمعه موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن من وراء حجاب) حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لايراه ثم استدل على ذلك بقوله (كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء حجاب اى وهو) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لايراه) اى لايرى الله معاينة اذ (حجب بصره) اى بصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عن رؤيته) اى رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فى هذه الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال (فان صح) الحديث و (القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه) عيانا حين اسرى به (فيحتمل انه فى غير هذا الموطن) الذى سمع فيه الاذان (بعد هذا) الموطن والمقام (اوقبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) عيانا فى مقام آخر (والله اعلم) ❊ فصل ❊ فى تحقيق الاسراء اعلم انهم اختلفوا فى المعراج والاسراء هل كانا فى ليلة واحدة اوليلتين وهل كانا جميعا يقظة اومناما او بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسراء كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسراء فى اليقظة ايضا بل قيل انه اربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو شامة رحمه الله تعالى بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات الى آخر ما فصله وقال انه لبيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسراء والمعراج وان الاول سيره للبيت المقدس والثانى صعوده منه للملاء الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل الدنى على انه بطريق الانسلاخ الذى ذهب اليه الصوفية فاخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لاينبغى التعويل عليه وانما ذكرناه لنسهك عليه لئلا تغتر بكلام بعض جهلة

المتصوفة والحكماء (ثم اختلف السلف والعلماء) من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلماء من تعدهم (هل كان اسراء بروحه اوجسده) اسراء بالنصب خبر كان اى هل كان الاسراء اسراء الى آخره (على ثلاث مقالات) اى اختلف واقع على ثلاثة اقوال للسلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله (فذهب طائفة) اى جماعة ممن صرح به (الى انه) اى الاسراء (اسراء بالروح وانه رؤيا منام) عطف تفسير لابدل كما توهمه الدلجى وفى تفسير القاضى اختلف فى انه كان فى المنام اوفى اليقظة بروحه او بجسده وقوله بروحه او بجسده لف ونشر اى بروحه فى المنام او بجسده مع روحه فى اليقظة وليس متعلقا بقوله فى اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثانى كما سيأتى قال البرهان وبقى قولان احدهما انه تعدد مرة بجسده ومرة اومرات بروحه والثانى انا نقول بالاسراء ولا نعين كونه يقظة اومناما كما فى الهدى النبوى وهو غريب (مع اتفاقهم) سلفا وخلفا على (ان رؤيا الانبياء حق ووحى) لانهم عليهم الصلوة والسلام تنام اعينهم ولاتنام قلوبهم ولان الشيطان لم يسلط عليهم فيتمثل لهم والوحى على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه مايقع بعينه وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل عليهما الصلوة والسلام ومنها مايعبر ويأول (والى هذا ذهب معاوية) بن ابى سفيان بن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحق وهو رضى الله تعالى عنه صحابى ابن صحابى توفى بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وسبعون اوست وثمانون وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وشئ من شعره وظفره فكفن بردائه وازاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى وحكى مبنى للمجهول (والمشهور عنه) اى عن الحسن (خلافه) اى له قولان اشهرهما انه كان يقظة (واليه) اى الى ماذكر عن الحسن اولا (اشار محمد بن اسحق) بن يسار صاحب المغازى وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم (وحجتهم) اى دليل القائلين بانه رؤيا منام (قوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى اريناك الافتنة للناس) لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن اسلم حين بلغهم ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولاحجة فى ذلك لان لها تفاسير اخر وفى بعض النسخ هنا (وقيل رآها عام الحديبية) اسم بئر مشهورة وياؤها مخففة وروبت مشددة ايضا كما سيأتى بيانه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى انه هو واصحابه دخلوا مكة كما قال الله تعالى * لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق * الى آخره فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فقيل لم يقل فى هذا العام وقيل الآية فى قصة بدر لقوله تعالى * اذ يريكهم الله فى منامك قليلا * وقيل المراد بها رؤيا بنى امية تنزو على منبره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) مما احتجوا به (ماحكى عن عائشة رضى الله

تعالى عنها مافقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة مافقد
بالبناء للمفعول وفى رواية لم تفقد مجهول ايضا قال التلمسانى وهى الاشبه بالصواب
فهو اخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجته بل لم توجد انتهى وستأتى
الاشارة اليه فى كلام المصنف مع ان له صلى الله تعالى عليه وسلم زوجات اخر فلا يلزم
من عدم فقدها لذلك فقد غيرها له وقيل ولاحجة فيه ايضا لاحتمال انه تعالى اراد
ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفى مقدم على الاثبات ولايخفى مافيه من التكلف
(و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية (بينا انا نائم) قال ابن المنير فى المقتفى جنح
هؤلاء الى قضايا طوها تحيل الاسراء يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو
استبعاد عادى طوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد فى بعض الروايات من التصريح بانه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فايقظه الملك وقوله بين النائم واليقظان ليس
بصريح بان النوم استمر بل كان مجئ الملك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو وسن
وباقل من ذلك يستيقظ النائم المستغرق لاسيما الوسن واحتجوا على انه استمر بان المنام
مصرح به وبما ورد فى بعض الطرق اى الآتية فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام ورد
عليهم بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية اى كما سيأتى بيانه وبالجملة فان
صح النقل فى الطرق وتعارضت وتعذر التأويل حمل على التعدد وتنزيله على
اسراآت بعضها يقظة وبعضها مناما لايقال لو كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة
فانها انما فرضت دفعة قلنا فرضت فى اليقظة وجاء المنام بعد ذلك كالذكرى
وتجديد العهد اوتقدم المنام كالتقدمة والتعريض بالفرض وبما سيكون ثم فرضت
يقظة وكثيرا مايرى النائم انه فعل فعلا كان فعله قبله ويقع له انه الفعل المتقدم بعينه
فيكون ذلك لمعنى ما انتهى (وقول انس رضى الله تعالى عنه وهو نائم فى المسجد
الحرام وذكر القصة) الواردة فى حديث الاسراء الذى رواه البخارى وهو يدل
على انه كان مناما (ثم قال فى آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام) اى انتبهت
من منامى فوجدتنى به بهذه الحالة فانتفى كونه حجة لذلك وقد علمت مافيه (وذهب
معظم السلف والمسلمين) عطف للعام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه لا
ينبغى لمسلم اعتقاده (الى انه اسراء بالجسد) مع الروح (وفى اليقظة) المقابلة للنوم
وهى بفتح الياء والقاف وتسكينها لحن الالضرورة شعرية كقول التهامى * فالعيش
نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى * وبالتسكين علم كاليقظان (وهذا هو
الحق) الذى يقتضيه الاسلام اذ لاحاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع
ولو كان كذلك لم ينكره احد من العقلاء (وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة
وعمر وابى هريرة) رضى الله تعالى عنهم وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من
الاقوال فى اسمه مشهور كما تقدم (ومالك بن صعصعة) الصحابى المدنى كما تقدم

(وابي حبة البدري) بفتح الحاء المهملة بلا خلاف ثم باء موحدة مشددة على الاصح وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم هاء واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت ابن النعمان كما في الاستيعاب واختلف في ابي حبة الانصاري وابي حبة البدري هل هما واحد او اثنان على اختلافهم في ضبطهم المتقدم وقوله البدري اي شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقيل اسمه كنيته (وابن مسعود والضحاك) وهو ابن مزاحم البلخي المفسر المكي بابي القاسم او ابي محمد يروى عن ابن عباس وابي هريرة وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة خمس ومائة وقيل سنة ست واخرج له اصحاب السنن الاربعة دون الشيخين (وسعيد بن جبير) المشهور وهو الوالبي ابو محمد اخرج له اصحاب الكتب الستة (وقتادة) المتقدم ترجمته (وسعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها كما تقدم في ترجمته (وابن شهاب) ابو بكر محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن شهاب الزهري كما تقدم (وابن زيد) عبد الرحمن بن زيد ابن اسلم وترجمته في الميزان (والحسن) ابن ابي الحسين البصري كما تقدم (وابراهيم) النخعي المتقدم ذكره (ومسروق) ابن الاجدع ابو عائشة الهمداني احد الاعلام الذي لم تخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان اعلم بالفتيا من شريح توفي سنة ثلاث او اثنين وستين واخرج له اصحاب الكتب الستة ولقب بمسروق لانه سرق وهو صغير ثم وجد (ومجاهد) بن جبر المتقدم ترجمته (وعكرمة) بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما احد اوعية العلم الثقة وهو اباضي وسيأتي بيان الاباضية آخر الكتاب روى له الشيخان وتوفي سنة خمس او ست او سبع ومائة وترجمته مفصلة في الميزان (وابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته (وهو دليل قول عائشة رضي الله تعالى عنها) قيل كيف يكون الاسراء يقظة دليل قول عائشة ما فقدت جسده الشريف الدال على انه منام لا يقظة وهذا عجيب اذ ذكره في المذهبين وجعل ما يبطله دليلا عليه كما سيأتي فهذا سهو منه بلا ريبة (اقول لا شك انه وارد وان كلامه لا يخلو من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شيء واصله دليل على عدم صحة قول عائشة لانه لم يثبت نقله عنها وقد يقال مراده انه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه اكثر الصحابة وانها قائلة بانه يقظة كالجمهور كما سيأتي في كلامه فالمراد ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من تغليط المصنف وهو الانسب بقوله (وهو قول) محمد ابن جرير (الطبري) المتقدم ترجمته (واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة) اي كثيرة والعظمة تطلق على الكثرة كثيرا وان كان المعروف خلافه او المراد انهم ائمة مقدارهم جليل (من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين) وعلى كثرة نقله وشهرة الاخبار الصحيحة به لا بأس بمخالفة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها فيه

(وقالت طائفة) هذا هو القول الثالث (كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس) فقط (و) منه (الى السماء بالروح) يعني مناما ولايخفى بعده اذ لم ينقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام ثمة وهذه الحالة لاتناسب النوم ثمة وقوله (واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس) وفي نسخة الى المسجد الاقصى وهي الموافقة للنظم الشريف وهي اصح عندي واعلم انهم فسروا العروج الروحاني بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكماء واهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء) تفسير وتفصيل للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضى انه لم يتجاوز الى السماء ببدنه الشريف ولاحجة فيه لان كونه غاية لمسيره في الارض لاينافي صعوده لمايحاذيه في جهة العلو وماقيل من انه انما يتم اذا كان الاسراء مرة واحدة وعلى تقديره يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج منه الى السماء والحكمة في عدم ذكره لها بيانه للسنة دون الكتاب وهو ابلغ في المدح انتهى ليس بشيء ولو قيل انه هو الذي انكروه وانه اكتفى باقل ما تثبت به معجزته واقتصار على ماتفهمه عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول ابن المنير في المقتفى ورد الاحتجاج بان الحكمة في تخصيص المسجد الاقصى ان يسأل قريش على سبيل الامتحان عن الاعلام التي عرفوها والصفات التي شاهدوها في بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم عما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عما رأى في السماء اذلاعلم لهم بذلك انتهى واقصى بمعنى ابعد لانه ابعد مسجد في الارض وآخر محل عبدالله فيه بحق وقوله (الذي وقع التعجب فيه) ضميرفيه للاسراء اي وقع التعجب في شانه لقطع مسافة طويلة في بعض ليلة والتعجب يفيده قوله سبحان لانه مصدر منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لايليق بعظمته ثم شاع استعماله في التعجب ووجهه مذكور في الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات كونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لما تعجب منه وقد ورد استعماله في حق الله اوورد في الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * عجب ربنا من كذا وهو من المتشابه لاستحالة ما تعجب منه اواستبعاده * واشار الى المراد من تعجب الله فقال (تعظيم القدرة) منصوب لانه مفعول له اي لتعظيم قدرة الله الباهرة المؤثرة على وفق الارادة وفي نسخة بعظيم بالباء الجارة (والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم به) اي بالاسراء والجار متعلق بتشريف ويجوز رفعهما بوقع اي وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح وكذا قوله (واظهار الكرامة له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) اي الى المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع

الضمير اعتناء به لانه من اجل كراماته واعظم معجزاته (قال هؤلاء) الذاهبون الى ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الاقصى وهم ارباب المذاهب الثالث (ولو كان الاسراء بجسده الى) مكان ارفع (زائد على المسجد الاقصى لذكره) الله تعالى فى القرآن حتى قص قصة الاسراء (فيكون) ذكره فيه (ابلغ فى المدح من عدم ذكره (ثم اختلفت هذه الفرقتان) الثانية والثالثة فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس) حين اسرى به (ام لا) فقيل صلى به وام معادلة لهل وهو من نوادر العربية سمع ذلك فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لجابر رضى الله عنه * هل تزوجت بكرا ام ثيبا وانكره بعض النحاة (ففى حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته) صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء (فيه) اى بيت المقدس وستأتى رواية اخرى انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم فى السماء وفى رواية انه لم يصل بهم فيه كما اشار اليها بقوله (وانكر ذلك) اى صلاته بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه (حذيفة بن اليمان وقال) كما رواه احمد بن حنبل رحمه الله تعالى (والله ما زالا) اى جبريل والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزال هذه تامة اى لم ينفصلا ولم ينزلا (عن ظهر البراق حتى رجعا) الى الارض فكان جبريل عليه الصلاة والسلام راكبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه كان ماشيا (قال القاضى) ابو الفضل عياض ايضا المؤلف رضى الله تعالى عنه (والحق من هذا وصحيح) رواية (ان شاء الله) قيده بالمشيئة مع انه امر واقع وانقطع تبركا وتأدبا وللاشارة الى احتمال التعدد فكل رواية لاتنافى الاخرى فلا ينافى قوله ان شاء الله كونه حقا صحيحا كما قد يتوهم وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * وانا ان شاء الله بكم لاحقون (انه اسراء بالجسد والروح) فقط منا ما او يقظة (فى القصة كلها) اى فى قصة الاسراء الى المسجد الاقصى والسموات (وعليه تدل) اى مما يدل عليه بدلا نص القرآن وهو (الآية) الدالة على ظاهرها صريحا (وصحيح الاخبار) المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء والاحاديث الآحاد الدالة على دخوله الجنة ووصوله الى العرش او طرف العالم كما سيأتى وكل ذلك بجسده يقظة (والاعتبار) بالرفع معطوف على ما قبله كما صححه البرهان والمراد به التتبع لاقوال السلف او دقيق الفكر والتأمل فى الاحاديث المروية والقصة يعنى انه يدل على ذلك العقل والنقل (ولا يعدل) بالبناء للمجهول من العدول اى لا يخالف احد ويرجع ويميل (عن الظاهر) الذى يقتضيه العقل والنقل (والحقيقة) المبادرة من لفظ الحديث الصحيح وليس عطف تفسير كما قيل (الى التأويل) متعلق بيعدل اى لا يصرف عن ظاهره ويؤول النصوص الواردة فيه (الا عند الاستحالة) اى الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقته وليس

ما نحن فيه كذلك (وليس في الاسراء بجسده حال يقظته استحالة) يقتضي العدول عن الظاهر والتأويل وما قيل من ان ما ذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التأويل قيام المعارض للظاهر من الروايات التي اوردها المخالف الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بان هذه الرواية عنده اصح واقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثرتهم جدا كما قيل به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة ايضا فتدبر (تنبيه) الاستحالة المذكورة اي عد الاسراء محالا صدر من كفار قريش ومن بعض ضعفاء المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محالا لانها بعيدة بحيث تقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطأ عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش بلقيس في مسافة ابعد من هذه في طرفة العين وغير ذلك مما هو مأثور مشهور وقد نطقت النصوص بان السماء لها ابواب تفتح وتغلق ولا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي تبعا للامام الرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد اورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها في حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند الشافعي تقدم المجاز الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا اسند الى الله فهو مأول وكذا صيغة التعجب وفي حديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في احاديث كثيرة والعجب والتعجب اصله ان يفاجأ امر لم يعلمه من فاجأه فيستعظمه وهذا لا يليق بالله عز وجل فالمراد لازمه يعني انه خلقه عظيما بحيث يتعجب من خلقه او المراد الرضاء والقبول لان من اعجبه شيء رضيه وقبله ولا يتعجب مما يكره غالبا فاذا اراد تعظيم شيء اخرجه بما يقتضي تعظيمه الى آخر ما فصله وسبحان كثر استعماله في ذلك وقوله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) تعليل لصحة كونه يقظة ولعدم الاستحالة (وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) ووقعوا في فتنة اي بلية عظيمة توقعهم في العذاب ردتهم وتكذيبهم له وانكارهم لما اخبر به صلى الله عليه وسلم بما هو خارق للعادة وهو مما اخبر به لانه معجزة تحداهم بها (اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر) تعليل لعدم

الاستبعاد والتكذيب فان قلت هذا يقتضى ان رؤية الله فى المنام جائزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها قلت قال الامام الغزالى ان الخلاف فيها غير معتد به ولان المرئى مثاله وفرق بين المثال والمثل وقد افرده برسالة فان اردت تحقيقه فراجعها (بل لم يكن منهم ذلك) المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان (الا وقد علموا ان خبره انما كان عن) اسرائه ب(جسمه وحال يقظته) اخذا مما قاله لهم واما كون رؤيا الانبياء وحى وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره فما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام قد صدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق الانكار بان رؤياهم حق كلام فى غاية السقوط اى ماذكر فى الحديث المتقدم وذكر مبنى للمجهول ويصح بناؤه للفاعل ايضا والى بمعنى مع كقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم وللغاية بتقدير من البيت المقدس الى المذكور فى الحديث بقرينة المقام وقوله (من ذكر صلاته ببيت المقدس) بيان لما وبيت المقدس هو مسجد الياومعنى اليا بالسريانية وهى لغة آدم عليه والسلام بيت الله (فى رواية انس اوفى السماء على ما روى غيره) كما تقدم بيانه (وذكر مجئ جبريل له) صلى الله عليه وسلم (بالبراق وخبر المعراج) بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود فى جهة العلو كالسلم وقد تقدم بيانه (واستفتاح السماء) اى طلب فتحها له صلى الله تعالى عليه سلم من جبريل (فيقال) من انت اى تقول ملائكة السماء لجبريل من انت فيقول جبريل فيقال له (ومن معك فيقول محمد ولقائه) الضمير لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الانبياء فيها) اى السماء (وخبرهم معه) فيما وقع لهم معهم من المكالمة (وترحيبهم به) اى قولهم له صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح اوالابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها ومعناه السعة اى صادفت مكانا رحبا داسعة وهو كناية عن وجوده فيه مايسره ويكرمه (وشانه فى فرض الصلاة) خمسين عليه وعلى امته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على مجئ والشان الامر العظيم الذى جرى له فى ذلك (ومراجعته موسى) اى رجوعه فى المشاورة فى ذلك كما مر (وفى بعض هذه الاخبار) والحديث الذى رواه الشيخان عن انس رضى الله تعالى عنه (فاخذ يعنى جبريل بيدى) اى امسك يده ليصعد معه (فعرج بى الى السماء) اى صعدوا معه (الى قوله ثم عرج بى) بالبناء للفاعل اوالمفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال فى القاموس اذا كان خلقة فخرج فعرج اويثلث فى غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى

ولبعض الادباء فى اعرج من رسالة

* قامت العصابيده مقام رجله * وقلت اعواد الاغصان من اجله *

ولم يطهروا ذلك لغيره جاهلية وحكمة خفية ولذا اسلم على كرم الله وجهه فى صباه وكان رضى الله تعالى عنه معه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ذلك ابو طالب فى شعره المشهور فى السير فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلا شك انه كان يصلى قبل الاسراء بالغداة والعشى صلاة غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل المرضى لجماعة اذا وقع من احدهم ينسب للجميع وهو مجاز بليغ مشهور اى صلى معه بعض آلنا وهو على رضى الله تعالى عنه او يقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس رضى الله تعالى عنه فاندفاع الايراد الذى طوه غير متدفع ظاهر فلا حاجة لما قيل الصلاة هنا لغوية بمعنى الدعاء (ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الان كما ترون) وتشاهدون والغداة والغدو بمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير مضاف اى صلاة الغداة وهى صلاة الصبح (وهذا) المذكور برهان ودليل (بين) بتشديد الياء المكسورة اى ظاهر واضح (فى انه) اى الاسراء (بجسمه) وروحه لا بروحه فقط كما قيل وقيل انما البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر (وعن شداد بن اوس) بن ثابت بن المنذر بن الحرام ابو يعلى الانصارى الصحابى نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الائمة الستة واحمد فى مسنده وهذا الحديث ليس فيها وانما رواه البيهقى وابن مردويه توفى سنة ثمان وخمسين ودفن بفلسطين وهو ابن اخى حسان بن ثابت كما مر فى ترجمته عن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه افضل الصحابة وفى اكثر النسخ عن ابى بكر من رواية شداد بن اوس عنه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به) فى هذا ما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله (طلبتك البارحة) وهى الليلة الماضية قبل ليلتك ومنه المثل ما اشبه الليلة بالبارحة فهو تقدير بعد ليلة اسرى به ومعنى طلبتك اى تفقدت جسدك فى مضجعك (فلم اجدك) فيه او فيه تقديم وتأخير اى طلبتك البارحة ليلة اسرى بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان جبريل حملنى) وفى نسخة حمله (الى المسجد الاقصى) وان بكسر الهمزة او مفتوحة والتقدير بان الى آخره قيل هذا يحتمل انه كان ببيت عائشة رضى الله تعالى عنها بدليل السياق لكنه معارض بقول عائشة المتقدم وقوله حملنى جبريل مخالف لكونه على البراق الا ان يقال لكونه سببا له اسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده وعن عمر رضى الله تعالى عنه كما رواه ابن مردويه من طرق (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد) الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اى دخلت المسجد الذى تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود عليه الصلوة والسلام ففيه مضاف مقدر اى تحت (فاذا ملك قائم) لم يسموه (معه آنية ثلاث

وذكر الحديث) اى ساقه الى آخره واذا هنا فجائية اى فاجأ فى بغتة لقاؤه والآنية بالمدجع اناء كوعاء وزنا ومعنى واوانى جمع الجمع وليس مفردا كما توهم العامة كما مر ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل خبر هى مقدرة وكان الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكانه اول بكأس ونحوه يعنى اناء من خمر واناء من لبن واناء من ماء وانه خير فيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرت ولو اخترت الخمر غوت امتك وهذا تمام الحديث وقد تقدم واعترض عليه بانه محتمل لكونه مناما ولا مانع فى هذه الرواية اصلا فقوله (وهذه التصريحات طاهرة) فى انه كان يقظة (غير مستحيلة) شرعا وعقلا حتى تقتضى استحالتها التأويل (فتحمل على ظاهرها) ولا يعدل الى التأويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك (وعن ابى ذر) الصحابى الغفارى رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (فرج) مبنى للمجهول مخفف الراء ونائب فاعله (سقف بيتى) وفى نسخة عن سقف بيتى والمعنى كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء (وانا) مقيم (بمكة) قبل الهجرة وهذا مع قوله سابقا بينا انا بالحجر او الحطيم وقول ام هانى السابق ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو بيتى بينهما من المعارضة ما لا يخفى فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولا يكفى هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هانى لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيان بيته من بابه انه مبالغة فى المفاجأة وتنبيه على ان دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفاء العباسيين قلت وليدل على ان هذا امر الهى وكرامة تسر ولا تضر ولو اتى من الباب لتوهم انه احد من اعدائه الذى هو بين اظهرهم (فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام فشرح صدرى) وفى رواية ففرج صدرى اى شقه وهى انسب بفرج البيت (ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة) لانه افضل المياه حتى الكوثر فى قول ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم الفه صغيرا وكبرا وشرح الصدر لا ينافى شق القلب لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو صغير عند ظئره حليمة رضى الله تعالى عنها فهذه مرة ثانية فالاولى ليطهره من الكدورات البشرية ويرشحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجائب الملكوت فهو وقع مكررا فى مرة غسل بماء زمزم وفى اخرى بماء ثلج ليثلج صدره ويصبره فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما لم يقع هذا للكليم عليه الصلوة والسلام لم يطق فى الدنيا رؤيا ولم يذكرها انه كان معه ملكان بطست وماء كما مر وانه وضع عليه خاتم النبوة وسيذكره (ثم اخذ بيدى فعرج بى) بالباء للفاعل او المفعول كما مر

وشرح صدره كان بعد نزول جبريل عليه الصلوة والسلام اليه والتعقيب بالفاء عرفي نسبي فلا ينافي قوله (وعن انس اتيت) بالبناء للمجهول لا للفاعل كما توهم (فانطلق بي) مجهول ايضا وفي نسخة فانطلقوا بي بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان اخران معهما طست الذهب كما مر ولا منافاة بين الروايات كما يتوهمه من لا بصيرة له (الى زمزم فشرح عن صدري) اي شق صدره وقلبه ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجايبه (و) روى مسلم (عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لقد رأيتني) جواب قسم مقدر للتأكيد بالمثناة الفوقية المضمومة ورأى علمية او بصرية (في الحجر) تقدم ضبطه ومايتعلق به (وقريش تسألني عن مسراي) جملة حالية والمسرى مصدر ميمي اواسم مكان اي سأله كفار قريش عن علاماته بعدما كذبوه تحقيقا لمازعموه (فسألتني) قريش وتأنيثه باعتبار القبيلة (عن اشياء) من بيت المقدس وامارته (لم اثبتها) اي لم اكن اثبت صورتها في ذهني وفكري لاشتغاله بماهو اهم منه سابقا من معاينة ماوقع له ثمه من صلاته مع الانبياء وتهيئه للعروج فسقط ماقيل من ان هذا يدل على انه كان مناما لان النائم اقل ضبطا لما يراه في منامه من المستيقظ ورؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم حق وان نامت عيناه لاينام قلبه (فكربت كربا ما كربت مثله قط) بضم الكافين من الماضي المجهول والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث والغم مثير النفس كاثارة ذلك وفي المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر في شيء (فرفعه الله لي انظر اليه) اي رفع الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس حتى ينظر اليه ويثبت مافيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة انظر اليه حالية او مستأنفة (ونحوه عن جابر رضي الله تعالى عنه وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثم رجعت) عن مسراي (الى خديجة) ام المؤمنين رضي (وماتحولت) اي والحال ان خديجة رضي الله عنها ماتحولت وتحركت (عن جانبها) التي كانت عليه حين فارقها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضي انه كان في بيت خديجة وقد تقدم انه كان في بيت ام هاني رضي الله تعالى عنها وفي رواية انه كان في الحجر وفي اخرى في الحطيم وهو الحجر الذي يلي الميزاب الذي هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروى عن مالك وعن ابن جريج هو ما بين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه ما بين الركن الاسود الى الباب

﴿ فصل في ابطال حجج من قال انها نوم ﴾ لا يقظة وان الاسراء لم يتكرر مرارا اربعة كما ارتضاه ابو شامة رحمه الله تعالى وتأنيث ضمير انها لان الرؤيا مؤنث

سماعى لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل (احتجوا بقوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى اريناك الافتنة فسماها رؤيا) وهذا مبنى على ان رآى مشترك فيكون بمعنى ابصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها رؤيا ورآى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأى وهذا هو المشهور وقد رده السهيلى فى الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة ايضا بين البصرية والحلمية واورد له شواهد من كلام العرب وقد مر ترجيح ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا (قلنا) جوابا عما احتجوا به (قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده يرده لانه لايقال فى النوم اسرى) اذ الاسراء كما مر هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لاسيما وقد ذكر فى الحديث مايستلزمه لزوما بينا من صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلوة والسلام واستصعاب البراق عليه وغير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه رأى فى منامه انه اسرى به بعيد جدا ولذا جعله ابطالا لما قالوه لانه فى قوة الخطاء فاقيل ان الاولى ان يقول يخدشه ما ذكر ليس بشئ يعول عليه (وقوله فتنة للناس) اى بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ورده بعضهم (يؤيد انها رؤيا عين) باصرة يقظة (واسراء بشخص) اى سير بجسده حقيقة يقظة لاتخيلا نوما كما قيل (اذليس فى الحلم) بضمتين اوضم وسكون وهو مايراه النائم واصل معناه العقل يقال حلم فى نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الراغب (فتنة ولايكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) اقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين البعيد ومن بيان لذلك اولمثل اى يرى فى مدة قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولاينكره عليه احد من العقلاء ثم اشار الى رد دليلهم بوجه آخر فقال (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية) التى استدلوا بها وعلى بمعنى مع هنا والعلاوة ضم امر لآخر كقوله

* على ان قرب الدار خير من البعد * والمراد بالاية وماجعلنا الرؤيا الآية

(فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) القضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا على الاصح لما سيأتى وروى قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء مخففة وهاء تأنيث وتشد ياؤه ايضا وعليه اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة وهى صحيحة رواية ودراية فلاوجه لمنعه وسميت بها لسجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان ثم صار اسما لبئر بها وقرية على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة وهل هى من الحل او من الحرم او بعضها من الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل منها بعض العلماء وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقام بالمدينة منصرفه عن غزوة بنى المصطلق فى شوال وخرج فى ذى القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو الف وخمسمائة وساق

الهدى معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريشا ذلك خرج منهم جمع صادين له صلى الله تعالى عليه وسلم عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لا تدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فغرز سهما له فى بئر فعار ماؤها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفراء بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاء سهيل بن عمرو العامرى وقاضاه على ان ينصرف ويأتى فى العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام يأمن بعضهم بعضا على ان من اتاه مسلما منهم رده اليهم ومن اتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ما وقع واذا سمى عام القضية قال ابن عبد السلام فى قواعده فان قيل لم التزم صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح وما شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية فى الدين قلنا وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهى قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لا يعرفهم اهل الحديبية وفى قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما ارادوه وهو اهون من قتل اولئك مع انه علم ان فى تأخير القتال مصلحة عظيمة وهى اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء اى فى ملة الاسلام وقال لو تزيلوا الآية والى هذا اشار بقوله (وما وقع فى نفوس الناس من ذلك) اى من صلح الحديبية حتى راجعه عليه السلام فى ذلك عمر مرارا وقال ما قال واستمرت خواطرهم وقال ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ورسوله وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك عاد والرضاء والوفاق (وقيل) فى تفسير الآية وسبب نزولها (غير هذا) الذى تقدم من ان هذه الرؤية لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبيل بدر وهى التى فى قوله تعالى * اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وفى حديث آخر بين النائم واليقظان) كأنه كان جالسا (وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت) وانا بالمسجد الحرام (فلا حجة فيه) للقول بانها رؤيا منام كامر (اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو نائم) بدليل قوله فى الحديث فهمز بي بعقبه السابق مع ما يضاهيه (او اول حاله) على البراق (والاسراء به وهو نائم) ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل ايضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام (وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) فانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه

وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظت من نوم آخر تكلف لاحاجة اليه وتأييده بانه لم يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة مسيره ومسقته نام بعده للاستراحة بعد منه فلذا عبر عنه بقوله (فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت) اى دخلت فى وقت الصباح لان صيغة الترجى تقتضى ضعفه على عادة المصنفين فى التعبير بها (او استيقظت من نوم آخر) غيرما كان قبله فى الحجر اوفى بيت ام هانى اوغيره (بعد وصوله بيته) اى البيت الذى كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة فلا ينافى ماقلناه (ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه) بدليل قوله تعالى ليلا فى الآية كما ذكره المفسرون (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام) وعبر بقد اشارة لضعفه ايضا (لما) بكسر اللام او تخفيف الميم احترازا من ما المصدرية (كان غمره) اى لاجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره (من عجائب ماطالع) اى شاهد ورأى (من ملكوت السموات والارض) الذى لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الماء ويقطر منه ففيه استعارة تصريحية تبعية اومكنية وتخييلية اوهو تشبيه بليغ كقوله الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها واتبعها بقوله (وخامر باطنه) بالخاء المعجمة والف وميم وراء مهملة بمعنى مازجه وخالطه لابمعنى ستره ومنه الخمر لسريانها فى بدن شاربها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية (من مشاهدة الملأ الاعلى) وتعبيره بالمشاهدة يقتضى مافسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما فى قول سلمان الفارسى لابى الدرداء رضى الله عنهما حين دعاه الى الارض المقدسة ياأخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض يقع على اى خصب يستروحه الارض يعنى ان وطنه ارفه وارفق به فلا يفارقه والمراد بالملأ الاعلى السموات وما فيها او الملائكة لان الملأ الجماعة الاشراف (ومارأى من آيات ربه الكبرى) العظيمة التى تدهش عظمتها من رآها وماقيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اثبت الرسل قلبا فلا تعروه لذلك دهشة ليس بشئ لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله (فلم يستفق) يقال افاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه (ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام) يوهمه اذ المراد به حالة اعترته وانسته عالم الدنيا وكسته حلة ملكية على انه لوسلم كان مؤيدا للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله عليه وسلم النوم فى رجوعه كما توهم فانه ينافى قوله (ووجه ثالث) وهو ان (يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى) ظاهر (لفظه) وضاد مقتضى يجوز فيها الفتح والكسر والمراد

ملفظه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام (ولكنه سرى بجسده) وعيناه نائمتان (وقلبه حاضر) وان غض بصره كالنائم منافهو مساو لليقظان (ورؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام (حق تنام اعينهم ولاتنام قلوبهم) وقد قيل عليه ان كون عينه صلى الله تعالى عليه وسلم نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المعتاد لافائدة فيه وماذكره المصنف من الحكمة الآتية من انه لئلا تشغله المحسوسات عن الله لايدفع ماذكر لان الحكم حينئذ للروح فلامعنى لرفع الجسد وهوحاصل بدونه و قوله تعالى * لنريه من آياتنا * يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله الآتي ولا يصح ان يكون هذا في وقت صلاته الى آخره والجواب بانه لبشاهده الملائكة و يفيض عليهم بركاته لايجدى نفعا (وقد مال بعض اصحاب الاشارات) يعني بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة مايأخذونه من الحقايق من النصوص القرآنية وغيرها وهم لايقصدون بتفسيرهم انه صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام ومن لايعرف ذلك يعترض عليهم بمالاوجه له (الى نحو من هذا) اى الى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه حيث (قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله) قال الزمخشري في شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كما لحنوا في قولهم محسوسات لان فعال لايبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدماميني في شرح التسهيل والنووي في شرح مسلم فعلى هذا لالحن في هذه العبارة (ولا يصح ان يكون هذا) المذكور من الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم وهونائم ليوفق بين الروايتين ان لم نقل بالتعدد (في وقت صلاته بالانبياء) عليهم الصلوة والسلام لان النائم لايصلي ولا تصح صلوته وظاهره انه فيما عداه من امور الاسراء صحيح بلا تردد وانما يأباه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاة ربه ومراجعة موسى عليه الصلوة والسلام لذلك فكان ينبغي ان يقول والامور الواقعة في حديث الاسراء لايصح في بعضها ان يكون مناما فان قيل يجوز ان يكون رأى ذلك في المنام قلنا وكذا يجوز ان يكون رأى في منامه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما (ولعله كان له) صلى الله تعالى عليه وسلم (في هذا الاسراء حالات) وكان في بعضها نائما غاضا لبصره تأدبا اولئلا يرى سوى ربه وفي بعضها مستيقظا وفي بعضها بين النائم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث الذي وقع فيه هذا ملفق من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولوتركه المصنف كان احسن لمامر (ووجه رابع) لتأييد كونه يقظة وتأويل مايخالفه (وهو ان يعبر بالنوم هنا) في هذه الرواية (عن هيئة النائم من الاضطجاع) بيان للهيئة والاضطجاع الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولاقائم فهو استعارة

اومجاز مرسل للرومه غالبا النوم فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفى بعض النسخ اذ كثيرا مايعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفى بعض الشروح هنا تكرار لاحاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا ولبس بلازم (ويقويه) اى يقوى هذا التأويل (قوله فى رواية عبد بن حميد) الامام الحافظ المقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا وهو ابو نصر عبد الرحمن ابن الكشى ويقال للحى بشين او جيم (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذى بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة اخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث وستين ومائة (بينا انا نائم وربما قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مضطجع) وتعبيره بهذا تارة وبهذا اخرى يشهد لانهما بمعنى (وفى رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وتاء تأنيث ابن خالد القيسى البصرى الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وفى بعض النسخ بدل هدبة معاوية (عنه) اى عن همام (بينا انا فى الحطيم وربما قال) فى الحجر تقدم الكلام فيه والتوفيق (وقوله فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان) يؤيد كون المراد بالنائم المضطجع (فيكون سمى هيئته) اى هيئة النبى صلى الله عليه وسلم او هيئة النوم (بالنوم لما كانت) تلك الهيئة (هيئة النائم) حقيقة (غالبا) اى فى الغالب وبما ذكرنا سابقا من ان هذا فى اول وصول الملك له سقط ما قيل من ان هذا يبعده السمع لان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة وصلوته بالانبياء عليهم الصلوة والسلام يأباه واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فأول ايضا بما مر فلا ينافى هذا وتأمله (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب) اى قربه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الواقعة فى) رواية (هذا الحديث) اى حديث الاسراء (انما هى من رواية شريك عن انس رضى الله تعالى عنه وهى منكرة من روايته) لامطلقا والانكار المراد به معناه اللغوى او مصطلح المحدثين وهو روايته المتغير بسوء حفظه والمخالف للثقاة وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت (اذ شق البطن) اى بطنه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره عليه الصلوة والسلام) وهو عند مرضعته حليمة كما مر (وقبل النبوة) اى قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلى وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتثبيته للنبوة ومرة اخرى بعد بعثته ليقوى على المعراج ومشاهدة عجائب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية تقتضى انها منكرة وقيل انه وقع اربع مرات عند حليمة وبحراء وليلة الاسراء ومرة اخرى فى النوم الا ان ابن حجر قال ان هذه لم تثبت

كما تقدم (ولانه) اى شريك (قال فى) هذا (الحديث) الذى رواه عن انس رضى الله عنه (قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع) من المحدثين (كان بعد المبعث) مصدر ميمى بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه (فهذا كله يوهن) بتشديد الهاء اى يضعف او تخفيفها لانه يقال وهنه واوهنه فوهن اى ضعف (ما فى رواية انس) هذه التى رواها شريك عنه (مع ان انساقد بين من غير طريق) اى من طرق متعددة لامن طريق واحدة (انه انما رواه عن غيره) من الصحابة كمالك بن صعصعة وابى ذر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من مرسل الصحابى وقيد ان مرسل الصحابى اذا روى من طرق مقبول فهذا لايضعفه (وانه لم يسمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لانه سمعه من غيره (فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) من مسلم فلعل مستعارة من الترجى بجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على انس رضى الله عنه وقد سمع بضعة عن مالك بن صعصعة وبعضه عن ابى ذر وبعضه عن ابى هريرة (وقال انس مرة كان ابوذر يحدث) اى ينقل حديث الاسراء السابق عنه صلى الله عليه وسلم (واما قول عائشة) رضى الله تعالى عنها (مافقد جسده) صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابو اسحق وجرير وتقدم ان فيه رواية ما فقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو فى هذه الرواية مبنى للمجهول (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة) له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان بمكة قبل تزوجها اوقبل ولادتها كما اشار اليه بقوله (لانها لم تكن حينئذ) اى فى وقت الاسراء وزمانه (زوجة) له صلى الله عليه وسلم (ولا فى سن من يضبط) بالتحتية والفوقية اى لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة اوهى حدثت به عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية ما فقدت فيه تقدير اى قال فلان اوفلانة مافقدت الى آخره وهو فى غاية البعد كما قيل (ولعلها لم تكن ولدت) بالبناء للمجهول (بعد) مبنى على الضم اى بعد هذه القصة ووقوعها وهى ضد قبل ويستعملان فى التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول اوالمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شايع وحينئذ لاينبغى ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سيأتى وكونها حدثت به عن غيرها يأباه سياقه (على الخلاف فى) زمن (الاسراء متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام) بمكة قبل الهجرة (على قول) محمد بن مسلم بن شهاب (الزهرى ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة فى) وقت (الهجرة بنت ثمانية اعوام) فعلى هذا لم تكن ولدت فى زمن الاسراء (وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة) هذه

اللام توقيتية اى وقت هى سنة خمس كما فى مسئلة النجاة فى باب العدد وفصل التاريخ (وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه) اى القول الاصح الاولى والاحسن (انه خمس) لان مثله يكون كثير الشبه بخلاف فى النادر لغريب لذى لا نظير له (والحجج لذلك تطول ولبست من عرضنا) اى ليس مقصودنا فى هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفاء بما صح من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتعصيبه كما فى المقتفى لابن المنير فان الاقوال فيه كثيرة اصحها عندى قول ابراهيم الحربى انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحق اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد فشا الاسلام وفى مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا بوجه لا على القول بانه منام كما وقع لعائشة انه كان بالمدينة ورجح القاضى عياض القول انه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلوة لم تفرض الا فى الاسراء وهو غير وارد لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء صلوة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لنا فى ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر وصلا عن اليوم وقول الحربى عين فيه ليلة بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران احدهما احاط راويه بتفصيل فى القصة زائد والمفصل حفظ ذهنا ووعى قلبا ممن اجمل وعليه الفقهاء فى كتاب الشهادة اذا رجحت احدى البينتين واليوم الذى اسفرت عنه ليلة الاسراء يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الاول وذلك ان ثانى عشر من الشهر يوم الاثنين كان اوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متفقا بلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة وقد تكون الوقعة من كل سنة خامس يوم من الوقعة التى قبلها او رابعة او سادسة واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى آخر ما ذكره وقد قدمناه (وان لم تشاهد ذلك) المذكور من زمن الاسراء (عائشة) رضى الله تعالى عنها (دل) عدم مشاهدتها على (انها حدثت بذلك عن غيرها) من الصحابة فحديثها من مرسلات الصحابة وهو صحيح اتفاقا كما عليه المحدثون الا انه لم يوفق بينه وبين غيره (فلم يرجح خبرها على خبر غيره) الظاهر ان يقول فيرجح خبر غيره على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما سيأتى (وغيره يقول

حلافه مما وقع نصا) اى صريحا فان النص له معان منهــا هذا (فى حديث ام هانى) وفى نسخة من حديث ام هانى بيان لما (وغيره) كحديث ابى ذر ومالك بن صعصعة وابى هريرة وقدقيل عليه ان حديث ام هانى المذكور فى الفصل الذى قبل هذا غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لاوجه له (وايضا) منصوب على المصدرية مصدر آض بمعنى رجع (فلبس حديث عائشة) اى قولها مافقدت جسده (بالثابت) عنها عند المحدثين لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده محمد بن اسحق وقد ضعفه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) الواردة فى الاسراء عن غيرها (اثبت) اكثر ثبوتا واصح من حديثها (لسنا نعنى) اى لااريد انا وغيرى من المحدثين بقولنا انها اثبت (حديث ام هانى) وقولها ما اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما) اى وحديث عن غيرها كحديث عمر رضى الله تعالى عنه الذى (ذكرت فيه خديجة) رضى الله تعالى عنها لانهما لم يردا فى الصحيح بل احاديث آخر تعارضها غير هذين (وايضا فقد روى فى حديث عايشة مافقدت) باسناد الفعل المعلوم لضميرها كما روى مافقد بالبناء للمجهول المسند لغيرها كما مر (ولم يدخل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة) والاسراء كان بمكة وهى صغيرة لبست عنده اولم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتأويله بما علمت من هذا او بكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد (وكل هذا) اى ذلك المذكور سابقا ولاحقا مما سبق وما تأخر (يوهنه) بالتشديد والتخفيف اى يضعفه (بل الذى يدل عليه) اى الذى يدل على ماذكر من عدم صحته عنها (صحيح قولها) اى ماصح عنها رضى الله تعالى عنها من رواية اخرى (انه) اى الاسراء (بجسده الشريف لانكارها رؤياه لربه) ليلة الاسرى (رؤيا عين) فان هذا يدل على انه اسرى بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه لم يربه عيانا (ولو كانت) الرؤيا فى الاسراء (عندها مناما لم تنكره) لان رؤيا المنام جائزة وانما الكلام فى رؤيا العيان والخلاف فيها فراعها فى ذلك الآتى يدل على ماذكر وهذا يدل على ان لها قولا آخر مرويا عنها مخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فذكره ولبس وصف قولها بانه صحيح مناقض لما مر من الطعن فى حديثها لان هذا رواية اخرى لها وماقيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها ناش من عدم التدبر (فان قيل) فى رد كونه يقظة (قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فجعل ما رآه للقلب) اى اثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان اخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل او بمقدر اى مسندا للقلب (وهذا) الجعل او المذكور (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالجر عطفا على نوم (لامشاهدة عين وحس) بصرى والعطف تفسيرى (قلنا) فى الجواب عنه (يقابله) اى يعارضه فيسقطه عن مرتبة الاحتجاج وستأتى الاشارة الى انه لايعارضه

ايضا (ما زاغ البصر وما طغى) زاغ بمعنى مال وطغى تجاوز عن الرؤية المحققة بل اثبتها وتيقنها (ما ضاف الامر) اى امر الرؤية (للبصر و) يقابله ايضا (ما قد قال اهل التفسير) فى تأويله اى معناه حتى لا يعارضه و ينافيه (فى) تفسير (قوله ما كذب الفؤاد ما رأى اى) معناه (لم يوهم القلب العين) فهو مقول القول والقلب مرفوع فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله (غير الحقيقة) مفعول ثان له لانه ينصب مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض الشروح انه يجوز فى كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم اوتأخر وتوقف فى فهمه التلمسانى وليس محل توقف لان المراد ان البصر والبصيرة متفقان لم يخالف احدهما الاخر لوقوفهما على الحقيقة لان العين قد ترى امرا ثم يتبين خلافه وانه غير محقق وقد يتصور القلب شيئا فيشاهد خلافه والحاصل ان رآه ليس تخيلا كاذبا بل امرا محققا تواطأ عليه العين والقلب وما قيل من ان الامور القدسية يدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر ليس بمسلم (بل صدق رؤيتها وقيل) فى التوفيق بينهما ودفع التنافى (ما انكر قلبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما رأته عينه) وهذا قريب بما قبله ولتعارضهما ظاهرا لم يدرجه فى حيز ابطال كونه مذهبا وبعضهم عليه واورده سؤالا وجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط ما قيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لافرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطرأ عليه وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما رآه و توهمه خلاف ما شاهد بعينه

﴿فصل واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل﴾

بعينه يقظة فى اسرائه بجسده والرؤية تختص بالبصر فقولنا بعينها هنا وان اطلقت على غيرها تكون على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم (فاختلاف السلف فيها فانكرته عائشة رضى الله عنها) ذكر ضمير الرؤية لانها تأنيث المصدر غير معتبر او باعتبار الوقوع كما قيل وفى بعض النسخ وانكرتها وهى ظاهرة وانكارها له وقع فى مسلم وغيره كما اشار اليه بقوله (حدثنا ابو حفص بن غياث) بكسر السين وفتح الراء المهملة المخففة وآخره جيم (ابن عبد الملك) المراد بالملك الله فى الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو امام حافظ شيخ المصنف رحمه الله تعالى وحده ورد لغوى جليل القدر (الحافظ بقراءتى عليه) تقدم الكلام فيه (قال حدثنى ابى وابو عبد الله بن عتاب) تقدمت ترجمته (قالا حدثنا القاضى يونس بن مغيث) بضم الميم وكسر الغين المعجمة والمثناة التحتية الساكنة والمثلثة ويونس مثلث النون كما مر وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله لا يضاهى لعرف فى باب الصدر وولد فى رجب سنة سبع واربعين واربعمائة وتوفى بقرطبة سنة

اثنين وثلاثين وخمسمائة ثمان من جمادى الاولى (قال حدثنا ابو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) ثابت بن حزم العوفى السرقسطى وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل فى غريب الحديث يروى عن ابيه وجده وعمر جده حتى قرأ عليه وكان ثابت وقاسم يشتركان فى التأليف والشيوخ والرحلة وولد ابوه سنة خمس وخمسين ومأتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة (قالا حدثنا عبد الله ابن على قال حدثنا محمود بن آدم) هو المروزى توفى سنة ثمان وخمسين ومأتين (قال حدثنا وكيع) بن الجراح بن مليح بن عدى الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى سنة ست اوسبع وسبعين ومائة (عن ابن ابى خالد) هو اسمعيل بن سعيد البجلى الكوفى توفى سنة خمس او ست واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عامر بن مسروق انه قال لعائشة) رضى الله تعالى عنها (يا ام المؤمنين هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) عز وجل ليلة الاسراء بقرينة السؤال لانها لاتنكر رؤية الآخرة ولا رؤية المنام (فقالت) مجيبة له (لقد قف شعرى) القفيف فى الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوى (مما قلت) اى خفت من كلامه ان يهلك الله من قاله واستعظمه لانه امر منكر لايرضاه الله ولم يثبت عندها وقال التلمسانى قف بمعنى اقشعر واصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ماقاله واستعظامه وما فى قولها مما قلت مصدرية اوموصولة (ثلاث من حدثكم بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) مستدلة له فانه لا تدركه الابصار الاية بناء على ان الادراك شامل للرؤية وانه حكم كلى فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة اى لايحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع الايجاب الكلى سلب جزئى لم يكن فى الآية دليل على ماذكروا يأتى بيانه عن قريب وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفى الرؤية مطلقا ورده اهل السنة كما فصل فى كتب الاصول وروى فى بعض النسخ من حدث بلا كاف عن العرفى والثلاث الاولى هى هذه والثانية قولها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحى ثم قرأت ياايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الى آخره والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية واعلم ان هذا الحديث فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى عن يحيى عن وكيع بسند المصنف رحمه الله تعالى فهو بدل وموافقة كما فصله البرهان (وذكر) مسروق (الحديث) تمامه كما سمعته آنفا من ذكر الثلاث

قال مسروق وكنت متكأ فجلست وقلت يا ام المؤمنين انظروني ولا تعجلي الم يقل الله تعالى ولقد رأه بالافق المبين ولقد رأه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلوة والسلام فقال انما هو جبريل لم اره على صورته التي خلق عليها غير ها تين المرتين كما رواه مسلم (وقال جماعة) من المحدثين والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس في رؤية الاسراء بقول عائشة رضي الله تعالى عنها (وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله) اى مثل قول ابن مسعود وعائشة (روى عن ابى هريرة) رضي الله تعالى عنه في تفسير قوله تعالى ولقد رأه نزلة اخرى (انه) بفتح الهمزة (قال) اى ابو هريرة (انما رأى جبريل) لا ربه عزوجل كما قيل فاتى بصيغة انما للرد على من فسر الاية بما ذكر (واختلف) بالبناء للمفعول في النقل (عنه) اى عن ابى هريرة فروى عنه انه قال رأه بعينه كغيره وفي رواية اخرى انكره (وقال بانكار هذا) القول المجوز لرؤيته ووقوعه (وامتناع رؤيته تعالى في الدنيا) وجوازه في الآخرة (جماعة من المحدثين) انكروا صحة نقله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (والفقهاء) ذكروه في مباحث الردة والكفر وان احد لو قال رأيت الله بعيني في الدنيا هل يكفر ام لا (والمتكلمين) من علماء اصول الدين والخلاف بين اهل السنة والمعتزلة في هذه المسألة وادلتها مشهور في كتبهم حتى انه افرد بالتأليف (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه راه بعينه وروى عطاء عنه) اى عن ابن عباس (انه رأه بقلبه) وعطا هو ابن ابى رباح الفقيه المكي (وعن ابى العالية) وهو رفيع بن مهران الرياحي وقيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز (عنه) اى عن ابن عباس (انه رأه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق) صاحب المغازي عن عبد الله ابن ابى سلمة (ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم) مراده هل رأه يقظة بعينه فقوله (والاشهر عنه) اى عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينه) وفي نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التي قبله وان كانت ظاهره انه غيره لتخالفهما في العبارة (وروى ذلك عنه من طرق) اى باسانيد مختلفة لفظا لا معنى يقوى بعضها بعضا وهو لا ينافي ماروى عنه انه رأه بفؤاده فهو كقوله تعالى * ما كذب الفؤاد ما رأى ما زاغ البصر وما طغى * كما مر (وقال) اى ابن عباس فيما روى عنه الحاكم والنسائي والطبراني وهو في معنى ما قبله في ان الرؤية فيهما بصرية (ان الله اختص موسى بالكلام) بغير واسطة لقوله تعالى * وكلم الله موسى تكليما (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى * واتخذ الله ابراهيم خليلا (ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية) البصرية لا القلبية لعدم اختصاصها به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل عليه ان الخلة والكلام

ثبتا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا فتفريق هذه الخصايص غير ظاهر واجيب عنه بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه الله فى الاسراء فى مقام اعلى والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلوة والسلام فى حديث الشفاعة حيث قال انما كنت خليلا من وراء وراء فهذا الجواب لايجدى نفعا فالاولى ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة فى الارض و بالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تعالى فى هذه الدار ايضا وسيأتى بيانه (وحجته) اى دليله على الرؤية (قوله تعالى (ما كذب الفؤاد مارأى) اى مااعتقد قلبه خلاف مارآه ببصره فى مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما فى ان كلامهما خلاف الواقع اى ما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره ليلة الاسراء لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار عائشة رضى الله تعالى عنها لذلك فقد تقدم ما فيه واستدلالها بقوله تعالى * لاتدركه الابصار * اجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة بل رؤية على وجه الاحاطة بجوانب المرئى لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول فى المكان كقول اصحاب موسى انا لمدركون والزمان كما يقال ادرك فلان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الصفة كما يقال ادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار الشئ المتناهى المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كما ان البصر قطع المسافة التى بينه و بينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ماليس فى جهة لايتحقق فيه معنى اللحوق فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفى المطلقة وهذا تحقيق ما فى التفسير وكتب الكلام (افتمارونه على مايرى) اى اتجادلونه فى رؤيته لما رآه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للجدال لان كلا من المتجادلين يمترى ماعند صاحبه لطلبه له (ولقد رآه نزلة اخرى) اى مرة اخرى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت له فى تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة نزلة لسماء اخرى لما راجع فى حط الصلوات وهذا مراده هنا (قال الماوردى) الامام الجليل ابوالحسن على بن محمد الشافعى صاحب التآليف الجليلة كالتفسير الكبير والحاوى وغيرهما وتقدمت ترجمتها وهذا نقله عنه ابن سيد الناس فى سيرته (قيل ان الله قسم) اى جعل (كلامه ورؤيته) مقسومين (بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم فرآه محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرتين) حيث كان قاب قوسين اوادنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى) عليه الصلوة والسلام (مرتين) مرة وقت ارساله لفرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق انه كلمه فى الدنيا مرارا عديدة فى مناجاته ولذا خص عليه الصلوة والسلام بالكليم لانه لم يكلمه فى الدنيا بغير واسطة غيره ولايلزم من هذا شرفه على نبينا صلى الله تعالى

عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه فى حظائر قدسه لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس خص بكونه كليما واندفع مامر (وحكى ابو الفتح الرازى) ليس هو الفخر الرازى كما توهم (و ابو الليث السمرقندى) الحنفى وقد قدمنا ترجمته والمحكى مامر عن الماوردى كما اشار اليه بقوله (الحكاية) الذى ذكرها الماوردى (عن كعب) ولبس ضعيفة وصيغة قيل فى كلامه ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما يكون فى امر واحد يوزع بين اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لا ينبغى قلت هذا وهم من قائله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله

* قسم الاله الامر بين عباده * فالصب ينشد والخلى يسبح *

(وروى عبد الله بن الحارث) كما ذكره الترمذى وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب البصرى سكنا الوالى بهامات نعمان بعدا نقضاء فتنة ابن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وثمانين ومن الرواة ايضا عبد الله بن الحارث ابو الوليد البصرى حدث عن ابن عباس رضى الله عنهما وهو زوج اخت محمد بن سيرين وجزم التمنى رحمه الله انه هو المذكور هنا وهو الراجح لان عبد الله الاول وان وافقه فى الاسم والنسبة لكن الحارث حده وهذا راوى ابن عباس كما مر (قال اجتمع ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكعب) الاحبار (فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين) خص بنى هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لاسيما قبل الهجرة وكان احتما عهما بعرفة كما ذكره الترمذى وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما فى النسخ ولو نصب على الاختصاص جاز وليس المراد بنى هاشم ماسوى العباس وظاهره انه رأى واجتهاد منهم وهذا لا ينافى مامر عن ابن عباس رضى الله عنهما لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المصنف (فكبر كعب) الاحبار لسروره بمقالته الموافقة لما عنده (حتى جاوبته الجبال) اى رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال وجعله جوابا تجوزا ويجوز ان يكون تكبيره تعجبا مما قاله واستعظاما له كقوله (وقال) اى كعب الاحبار (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه) فيكون منكرا لرؤيته بعين رأسه اويقول هو موافق لان الرؤية القلبية لاتنافى البصرية وعليه السراج وانفرا د موسى عليه الصلوة والسلام بكونه كليما لما مر من ان المراد كلامه مرارا فى الارض فلا ينافى كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه ايضا بغير واسطة كما مر (وروى شريك) تقدم الكلام عليه وعلى روايته (عن ابى ذر فى تفسير الآية) المذكورة ما كذب الفؤاد ما رأى الآية وفيه نظر (قال رأى محمد) و فى نسخة بدله النبى (صلى الله عليه وسلم ربه) هذا كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه

بقلبه بشهادة اول الآية وفيه نظر (وحكى السمرقندي) الحنفي المتقدم (عن محمد ابن كعب القرظي) بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر الظاء المعجمة نسبة لبني قريظة وهو تابعي واسمه محمد كما تقدم (وربيع ابن انس) التابعي الذي تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي ولم اره بعيني) وهذا يحتمل ان يكون في المرة الاولى فانه روي عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين فلا ينافي ما مر وما قيل من ان المراد نفي مجرد الرؤية اونفي رؤيته كسائر الاشياء المرئية تعسف لا ينبغي ذكره هنا (وروى مالك ابن يخامر) بضم المثناة التحتية وخاء معجمة بينهما الف وميم مكسورة ثم راء مهملة علم معدول ممنوع من الصرف وهو سكسكي حمصي يقال ان له صحبة والاصح انه تابعي روى عن معاذ ابن جبل كما ذكره المصنف وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين او اثنين وسبعين وروى عنه جماعة (عن معاذ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربي) في حديث رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح اوله قال معاذ رضي الله تعالى عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغداة ثم اقبل علينا فقال اني سأحدثكم اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي ونعست وفي رواية فوضعت جنبي فاذا انا بربي في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت انت اعلم اي ربي فوضع كفه وفي رواية يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض ثم تلى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض الى آخره ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال وما هي قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات واسباغ الوضوء اماكنه في المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وروي يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم الليل والناس نيام قال قل اللهم اني اسئلك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وهذا الحديث اخرجه ايضا الترمذي والبغوي في المصابيح وهو تمثيل لتجلي الله له بلطفه وحسن معاملته وما افاضه عليه من المعارف الكاشفة لغيبه مع ثلج صدره ببرد اليقين وتحقيقه في شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوي وادراج بعض الشراح له هنا في المتن كعادته غير صحيح (وذكر كلمة) اشارة لما مر وهو اسم جمع لكلامه مضافا لضمير الله او الحديث لادنى ملابسة (فقال) الله (فيم يختصم الملأ الاعلى) اي فيم يسأل الملائكة بعضها بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة للخطايا

ولذا امره صلى الله تعالى عليه و سلم بالدعاء بنيل كال هذه المراتب (الحديث) بالنصب اى اقرأ اواذكر (وحكى عبد الرزاق) همام بن رافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الائمة الستة وتوفى سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة (ان الحسن) البصرى السابق ذكره وترجمته (كان يحلف بالله لقدراى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعين بصره (وحكاه ابو عمر الطلمنكى) عمرية رفر وهو بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليهما ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ احمد بن عبدالله بن لب بن يحيى المعافرى الاندلسى عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلاثمائة وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة وروى عنه ابن حزم وابن عبدالبر وغيرهما من الاعلام (عن عكرمة) مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب) وهو رؤية الله بعينه (عن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه (وحكى ابن اسحق) محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (ان مروان) بن الحكم بن ابى العاصى ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولارواية واعاله رواية عن عثمان رضى الله تعالى عنه وبسر وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفى سنة خمس وستين فى رمضان ثم تولى ابنه عبدالملك وترجمته مفصلة فى التواريخ (سأل اباهريرة رضى الله تعالى عنه هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعينه (فقال نعم وحكى النقاش) محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته (عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه رأى ربه) بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا بصره (رآه رآه رآه حتى انقطع نفسه) بفتحتين اى عجز عن التكلم واعيى فترك التكلم (يعنى نفس احمد) بن حنبل وانما فسره بذلك لئلايتوهم عوده لابن عباس (وقال ابو عمر) السابق ذكره (قال احمد بن حنبل رآه بقلبه جبن على القول) بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهرى فتحها وهو ضعف فى القلب يقتضى عدم الاقدام يريد انه لم يتجرأ تأدبا عن ان يقول اى عن القول (برؤيته فى الدنيا بالابصار) بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر وتعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق (وقال سعيد بن جبير) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (لااقول رآه ولالم يره) اى توقف فى ذلك ولم يمل لاحد القولين (وقد اختلف فى تأويل الآية) يعنى قوله تعالى * ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى * فى النقل (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه) رواه مسلم عنه فى صحيحه فى تفسير هذه الآية فالضمير فى رآه لله والرؤية قلبية (وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل) فالضمير فيها لجبريل عليه

الصلوة والسلام كما في مسلم عن ابن مسعود وابي هريرة رآه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح يتناثر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوي (وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه) وهو كابيه امام في السنة والفقه اخذ عنه الاعلام وتوفي سنة تسعين ومائتين في سن ابيه (انه قال رآه) اي بعينه لانه المتبادر وقد روى عنه التصريح به ولا ينافي ذلك ما مر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخفيه في بعض المجالس لمقتض لذلك (وعن ابن عطاء في) تفسير (قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اي قوى قلبه واذهب رعبه حتى سرع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه (وقال ابو الحسن علي بن اسمعيل الاشعري) ابن ابي بشر بن اسحق بن ابي سالم بن اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن ابي بردة ابن ابي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمعروف ان ابا الحسن هذا شافعي المذهب وقال التلمساني انه مالكي المذهب ونسبته الى اشعر وهو ثابت بن ادد ويشجب بن يعرب زيد بن كهلان بن سبا وكان حبرا عظيما وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة اربع وعشرين وثلثمائة وقيل لاربع وثلاثين في ذي الحجة (وجماعة من اصحابه انه صلى الله تعالى عليه وسلم راى الله ببصره وعيني رأسه) تأييد لكون الرؤيا بصرية واضافة العينين للرأس احتراز عن عين قلبه وظهره فانها وردت في الحديث فان لم تكن عينا حقيقية (وقال) الاشعري رحمه الله تعالى (كل آية) ومعجزة (اوتيها نبي) اي اعطاها الله نبي (من الانبياء فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد وصله ابن المنير في المقتفى والكلام فيه طويل لايسعه كتابنا هذا ولا ينافي هذا تخصيص موسى عليه الصلوة والسلام بالكلام كما مر قيل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسماء بالكلام كما مر فله التصرف في العوالم ومنه تستفيد وتستمد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة واي معجزة كانت لنبي فهو له اولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا اشار في البردة بقوله * وكل آي اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم * اقول الحق ان نقول ان الله خلق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الارواح وخلع عليها خلعة النبوة ثم خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبياء بان يؤمنوا به واخذ عليهم الميثاق ان ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما اجابوه اشرق عليهم نوره الروحاني الرباني وصارت في ارواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات كما لاولياء امته اذا اظهروا الكرامات لما اشرق عليهم نوره وهذا هو الذي قصده الابوصيري رحمه الله تعالى فاعرفه (وخص من بينهم) اي اختص صلى الله تعالى عليه وسلم عن سائر الانبياء (بتفصيل الرؤية) اي بتفضيله

برؤية ربه عيانا في الدنيا فلم يره غيره فيها (ووقف بعض مشايخنا في هذا) اي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة او شيخ على خلاف القياس وفيه كلام في شرح ادب الكاتب (وقال ليس عليه) اي على ثبوته (دليل واضح) اي صحيح ظاهر (ولكنه جائز) بحسب العقل (ان يكون) اي ان يصح ويوجد في الدنيا (قال القاضي ابو الفضل) عياض المصنف (رضي الله تعالى عنه والحق الذي لا امتراء فيه) اي القول الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هي الشبهة (ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا) لانه موجود حقيقة في كل موجود وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس في العقل ما يحيلها) اي ما يقتضي انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا يؤيد العقل فقال (والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه الصلوة والسلام لها) بقوله رب ارني انظر اليك وموسى من اولي العزم لا يسأل من الله تعالى ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله والاكان جاهلا باحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه في تحقق الرؤية لا في وقوعها فقط فاقيل من انه ليس الكلام في جوازها بل في وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقائلون بامتناعها لهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة والقائلون بالجواز العقلي ذاهبون لمنع الشرعي ولذا قال السبكي رؤية الله في الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف بصدد اثبات الوقوع له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو امر نقلي لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطرادي انتهى ليس بشيء لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع امر نقلي قد بينه اولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله عن السبكي مخالف لما ارتضاه المصنف واذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره كلام مموه تركه خير منه وما ذكره المصنف هو دليل اهل السنة على جواز رؤيته تعالى والمعتزلة يقولون لم يسألها لجوازها عنده بل لتبكيت القائلين له ارنا الله جهرة ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه تنوين نبي للتنكير والتعميم اي اي نبي كان وكيف بالكليم عليه الصلوة والسلام وقيل انه للتعظيم اي نبي عظيم من اولي العزم كبار الرسل والاستحالة عادة مقررة وعقلا لانه بعث لتعليم امته الشريعة والعقائد الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله و يمتنع فلو جهل ذلك كان الله امر له بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل او عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤالا حقيقيا اما لو كان لالزام غيره او تبكيته لمن سألها من قومه فلا وهذا مردود لان السياق يأباه وتفصيله في علم الكلام (بل لم يسئل) موسى من الله تعالى (الا جائزا غير مستحيل) لان سؤال المحال من مثله محال وكونه سألها مع علمه باستحالتها ليتأكد الدليل العقلي بالسمع وليطمئن قلبه كما قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ثم قال ليطمئن قلبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم و حل ل

لم يسئله لذلك وانما كان علم ان الله متخذا خليلا يحيى الموتى بدعائه فسأل ذلك ليعلم اهو هو ام لا ولو سلم فلا يلزم طلب ما لا يجوز وينافى الادب عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لى علم ذلك جوازا او استحالة (ولكن وقوعه ومشاهدته من العيب) اى جوازه مقرر ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه امر مغيب عن كل احد كسائر المغيبات الجائزة كالخمس وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر (الذى لا يعلمه الا من علمه الله) باجازة به واطلاعه على حاله وقوعا وعدمه مطلقا او فى بعض الاحوال فلذا اعلمه الله به (فقال له الله لن ترانى) اى الرؤيا جائزة ولكنك لا تصل اليها فى الدنيا (اى ان تطيق) اى تقدر (ولا تحتمل رؤيتى) اى لا تقوى عليها فى هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز (ثم ضرب له مثلا) اى اتى له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلى الله عيانا ليكشف له امرها ويعلم حاله من حال غيره (بما هو) وفى بعض النسخ بما متعلقا بضرب (اقوى من بنية موسى واثبت) اى اشد قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر الباء الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب (وهو الجبل) فى قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ماعلق به ممكن ايضا فعلم منه جواز الرؤية والى ذلك اشار بقوله (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا) اى يقتضى استحالته فيها (بل فيه) ما يقتضى (جوازها على الجملة) كما سمعته آنفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضى امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف فى كلامهم فى الجملة والمعنى واحد لان المراد جوازا اقتضاه على طريق الاجمال وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها (ولا) دليل قاطع على (امتناعها) وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او فى الدنيا (اذ كل موجود) فى الخارج جوهرا كان او عرضا الا فى العلم والذهن كما قيل لتصور الممتنعات وهو تعليل الجواز لان اذ تأتى للتعليل كما حققه النحاة واهل المعانى والتعليق بالمشتق يقتضى علية مبدأه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين البارى تعالى وسائر الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضى صحة رؤية نحو الاصوات والروايح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل منقول عن الاشعرى وهو التزام جواز رؤيتها والكلام فى الجواز لا الوقوع (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب (ولا حجة) مسلمة عندنا للخصم (لمن استدل على منعها) اى الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار (لاختلاف التأويلات فى) هذه (الآية) كما حققناه لك فلا اعادة فى الاعادة (واذ ليس) معطوف على قوله اذ كل موجود او على قوله لاختلاف لان معناه ليس (يقتضى قول من قال) بمنعها (فى الدنيا الاستحالة) مطلقا بل تخصيص

الدنيا يقتضي وقوعه في الآخرة فيدل على الجواز في الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان
هذه الاية اعظم ادلتهم على نفي الرؤية في الدنيا والاخرة ثم بالغ في الرد عليهم بان
ما استدلوا به عليهم لا لهم (وقد استدل بعضهم بهذه الاية) اي قوله لا تدركه الاية
(نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) كما يعلم من ذكره اختلاف
التأويل وانما استدل بها لان نفي الشيء عند البلغاء يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا
يقال للحائط انه لا علم له والله تعالى قد ساق نفي ادراك الابصار في سياق المدح وانما
يمدح بامر ثبوتي كما لا بالعدم الصرف وكل نفي مدح به تضمن امرا وجوديا كنفي السنة
والنوم المتضمن لكمال القيومية ونفي الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفي
الابصار معناه انه لا يرى اصلا كسائر المعدومات لم يكن مدح بل المراد لا يحيط
بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم ولذا فسره ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما بلا تحيط به الابصار كما ذكره المصنف وكذا ذكره غيره فنفي
الاحاطة تفسير للرؤية بدونها او المراد العموم اي لا تراه جميع الابصار فان مبناها حينئذ
فهي سالبة في قوة موجبة جزئية كما مر واليه اشار بقوله (وقد قيل لا تدركه ابصار
الكفار وقيل) معنى (لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس) لانه كما قيل يحتمل
ان يكون رفعا للايجاب الكلي بان لا يلاحظ الايجاب الكلي اولا ثم يرد عليه النفي وحينئذ
لا احتجاج لهم علينا فانا قائلون بان الكفار لا يرونه او المنفي ادراك بتقليب الحدقة
نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا
كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهي في قوة السالبة
الجزئية كما تقرر بمعنى لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفي بالبعض يدل بالمفهوم
على الاثبات للبعض فالاية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص لا نسلم عمومها
للاوقات لانها سالبة مطلقة وهي اعم من السالبة الدائمة وما ذكر من ان تدركه
الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دائمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل
الظاهر عكسه اقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر
لان القضية المهملة والدال على رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب
الجزئي والتعرض للنفي عن البعض بل السلب الجزئي لازم معناها الصريح المحتمل
للسلب الكلي والجزئي مع الايجاب للبعض فمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب
الجزئي لا يدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئي فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة ان
لو كان صريح مفهوم القضية (وقد قيل) في بعض التأويلات (لا تدركه الابصار)
نفسها (وانما يدركه المبصرون) يعني ان الادراك نوع من العلم وهو صفة الناظر حقيقة
لا نفس النظر فانه واسطة وآلة ولا يخفى ركاكة هذا التأويل وان كانت عهدته
على قائله (وكل هذه التأويلات) السالفة (لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها)

بل جوازها كما مر فلا حجة فيها (وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن ترانى الاية) التى استدل بها بعض المعتزلة وقال لن للنفى المؤبد والمؤكد فاذا نفى عن موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد ورد بانها للنفى فى المستقبل فقط وكلام الله تعالى وغيره دال عليه كما اثبته النحاة بما هو مشهور فى كتبهم ونفى الرؤية عنه لايدل على نفيها عن غيره لانه نفى مخصوص فلا دليل لهم فيه (وقوله تبت اليك) من سؤال الرؤية المقتضى لانه محال وطلب ما لا يليق فهو ذنب وسيأتى جوابه (لما قدمناه) من ادلة الجواز الصريحة المقتضية لتأويل هذه الاية (ولانها) اى هذه الاية (ليست على العموم) بل مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام فى المستقبل والنفى الخاص لايدل على عموم ولا استحالة (ولان من قال معناها لن ترانى فى الدنيا انما هو تأويل) فلا دليل فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القائل بين معنى الاية ولم يذكر انه تفسير مأثور ولا انه برهان على المنع العقلى والعموم فلا حجة فيه (وايضا فليس فيه نص الامتناع) اى صريح عموم امتناع الرؤية لكل احد (وانما جاءت فى حق موسى عليه الصلوة والسلام) اى ان آية لن ترانى مخصوصة بموسى عليه الصلوة والسلام فكيف يستدل بها على امتناع الرؤية مطلقا فى الدنيا وغيرها يقظة ومناما كما ذهب اليه المعتزلة ولا يلزم من نفى الوقوع نفى الجواز الذى نحن بصدد اثباته (وحيث تتطرق التأويلات) اى اذا امكن تأويل ما استدلوا به (وتتسلط الاحتمالات) اى توجد احتمالات فى الدليل (فليس للقطع به سبيل) فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا ظهر الاحتمال سقط الاستدلال وفيما استدلوا به على امتناع الرؤية امور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف واصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه التأويلات بصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل الاستعارة التبعية اوالمكنية والتخييلية وكذا فى التسلط لانه من السلاطة وهى القهر والغلبة قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب وغيره من اهل اللغة وقيل يتطرق من الطرق وهو الخلط اومن التطارق وهو التتابع والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط (وقوله تعالى تبت اليك) الذى استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لعدهم سؤال الرؤية ذنبا لاستحالتها لادلالة على مدعاهم لان له تفسيرا آخر (اى من سؤالى ما لم تقدره لى) فى الدنيا فى ذلك الوقت لحكمة خفية لما غشيه من انوار عظمته حتى صعق كما يقول من فعل امرا جائزا اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن مثل هذا كما قال ابن ساتة السعدى * أأمل مأمولا لغير صدودها * فوا حجتى انى الى المجد تائب * وتقدره بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها (وقد قال ابو بكر الهذلى) الامام العلامة تلميذ ابن القوطية صاحب الافعال كان من الادباء الظرفاء وله شعر بديع

(فى) تفسير (قوله تعالى لن ترانى اى لبس لبشر ان يطيق) اى يقدر (ان ينظر الى فى الدنيا وانه من نظر الى) فيها (مات) وقيل هذا مأخوذ من قوله وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق النظر فى الدنيا لسبحات جلاله الامن اقدره الله تعالى واذا لم يطق ذلك مثل موسى عليه الصلوة والسلام فغيره يموت فجأة لخوفه اولاحراق سبحات انواره وفى هذا دليل على جواز وقوعه فى الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعيش كما قيل ان من رأى الملك فى الدنيا يعمى كما نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وان قيل انه لم يصح والمراد غير الابتداء هنا (وقد رأيت لبعض السلف) من المتقدمين (و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) لمانع منها لا لذاتها من حيث هى هى لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اى لضعف ابدانهم المركبة كما قال الله تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهى امر اودعه الله تعالى فى البدن بها الادراك اى المراد به المعنى اللغوى (وكونها) اى التراكيب والقوى او هو راجع للقوى فقط (متغيرة) بالازدياد فى اول امرها ثم التنزل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها (عرضا للآفات) هو حال او خبر بعد خبر لكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق فى مباحث الفصل والوصل والعرض بالعين والضاد المعجمة اصله الهدف الذى ينصب لرمى السهام فشبه الجسد بهدف وآفات الدهر ومصائبه كسهام لا تزال ترمى بها حتى يفنى كما قال ابو العتاهيه * ان الفتى لعرض الايام * يرميه نبل الدهر والايام * يصيبه رام ويخطى رام * يجوز ان يكون بالعين المهمله اى معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال التلمسانى روى معترضة بدل قوله متغيرة اى ذات اعراض وهى الآفات والامراض او من العرضة اى متعرضة للآفات وقيد بعضهم عرضا بفتح العين المهملة اى منصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف والآفة والعاهة كل ما يعرض لشئ فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف ابدانهم وقواهم فى الدنيا (فاذا كان فى الآخرة) اى اذا احياهم الله تعالى وادخلهم دار البقاء (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (ورزقوا قوى ثابتة) بمثلثة ونون ومثناة تحتية اى قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفى بعض النسخ باقية بموحدة ومثناة فوقية فقوله (باقية) تفسير له اى مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها (واتم انوار ابصارهم وقلوبهم) اى جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدى (قووا بها على الرؤية) جواب اذا وضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التى منحها الله تعالى لهم فى الآخرة

فهذا يدل على وقوع الرؤية في الآخرة وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا
صح ذلك منهم ايضا ولذا شق صدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واودع فيه ما
قوى به على ذلك كما تقدم وهذا كما اوحي لايوب عليه الصلاة والسلام قال عطاء
اوحى الله لايوب انك لتنظر الى غدا فقال يارب افبهاتين العينين فقال اجعل لك
عينين باقيتين فينظر الى البقاء بالبقاء (وروى) وفي نسخ وقد رأيت (نحو هذا
لمالك بن انس) رحمه الله تعالى (قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد
على الله (لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان) النظر او الناظر (في الآخرة
ورزقوا ابصارا باقية ورؤى الباقي بالباقي) ظاهره ان البقاء الابدي علة لصحة الرؤية
والفناء مانع ولا مدخل للبقاء في الرؤية كما ان الفناء والحدوث لا مدخل له في المنع لان
الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشيء عند اهل السنة فكانه اراد ان البقاء يلزمه
قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ما قبله ولذا قيل ان مراده ان
الرائي والمرئي لابد ان يكون بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا عادت
وكساها الله صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحي القيوم للمناسبة في الجملة وان كان
بقاؤه قديما ذاتيا وبقاؤها طار عرضي وهو كلام اقناعي (وهذا كلام حسن مليح)
عنده على ما فيه (وليس فيه دليل على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على
الجواز اذ لا مانع منه (الا من حيث ضعف القدرة) البشرية في الدنيا (فاذا قوى الله
من شاء من عباده) بان رزقه قوة تطيق ذلك (واقدره على حمل اعباء الرؤية) اى
جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة
وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو في المحسوسات حقيقة فاستعيرت
للمعاني (لم تمتنع) الرؤية (في حقه) لتمكنه منها بما منحه من القوة (وقد تقدم ما ذكر
في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ونفوذ ادراكهما) بدال مهملة
اى خروجه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بضم اوله مبنى للمجهول اى اعطياها
(لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله اعلم) بحقيقة ذلك (وقد ذكر القاضي ابو بكر)
محمد بن الطيب امام اهل السنة الباقلاني بالنون نسبة الى الباقلاء على خلاف القياس
كالصنعاني توفي سنة ثلاث واربعمائة وقيل ثلاث وتسعين وثلاثمائة قالوا وليس
هو الامام ابو بكر بن محمد بن العربي شيخ المصنف (في اثناء اجوبته عن الآيتين)
اى في خلال كلامه في الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لا تدركه الابصار
ولن تراني (ما معناه) ما موصولة او موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه
بالمعنى دون اللفظ والعبارة (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله فلذلك خر
صعقا) مغشيا عليه مع صحته لان وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان
جاز ان يكون لتجليه وظهور انواره لكن هذا مناف لظاهر قوله لن تراني وقوله

انظر الى الجبل ولما نبّه المصنف اولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم (وان الجبل) ايضا (رأى ربه) اى خلق فيه ادراكا ورؤية (فصار دكا) اى انهد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك (بادراك خلقه الله له) كما نقله الماتريدى عن الاشعرى رحمهما الله تعالى وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذى قدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر كل البشر (واستنبط) اى استخرج (ذلك) واصل الاستنباط استخراج الماء من البئر فاطلق على مطلق الاستخراج او استعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى عليه الصلوة والسلام ورؤية الجبل (والله اعلم) فيه اشارة الى انه لم يصرح به (من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) اى مدكوكا والدك والدق متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا او ترابا وقيل غبارا وقيل استوى بالارض وقيل احترق فرقا قال الواحدى هذا الجبل يسمى زبيرا وليس هو الطور (وخر موسى صعقا) اى سقط صائحا مغشيا عليه من هول مارآه من هذا الجبل (وتجليه للجبل ظهوره له حتى رآه) اى شاهد المتجلى ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو لم يخلق له حياة وادراكا ورؤية لم يخف جوفا هدّه وفتته (على هذا القول) اى قول ابى بكر الباقلانى السابق ان موسى والجبل رأياه معا وهذا بناء على مذهب اهل السنة فى انه يجوز خلق العلم والنظر فى اى جرم اراده وليس من شرطه البنية ولمزاج كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة قيل هذا غلط فان التجلى لموسى لا للجبل وكون موسى خر صعقا مما هو لدكة الجبل وشدة وقوعه لا من تجلى الله له ورؤيته ويناسبه قوله (وقال جعفر) (بن محمد) الصادق المتقدم ترجمته (شغله الله تعالى (بالجبل) وصوات دكه حين امره بالنظر اليه (حتى تجلى) اى ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلوة والسلام فرآه (ولولا ذلك) اى اشتغاله بالجبل بان ظهر له نور التجلى ابتداء (مات صعقا) بسكون العين وكسرها وعلى الاول وهو تمييز وعلى الثانى حال (بلا افاقة) من صعقته وغشيه (وقوله هذا) اى قول جعفر (يدل على ان موسى عليه الصلوة والسلام رآه) كالجبل لا انه معنى التجلى لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فما قيل من انه فى غاية البعد لان التجلى الواقع فى الآية انما هو للجبل لا لموسى عليه الصلوة والسلام غير متجه لان المصنف رحمه الله تعالى انما بنى كلامه على ماقاله هؤلاء وفهموه والناقل لاعهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سأل الرؤية فى مناجاته لربه امره بالنظر للجبل ليلهيه به حتى اذا تجلى له ابتداء لم يهلك وتحرقه الانوار ويثبت هذا بناء على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم احياه الله وما قاله هؤلاء مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه انما امر موسى عليه الصلوة والسلام بالنظر للجبل ودكه ليعلم انه لاطاقة له على رؤيته تعالى

فان مالا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان (وقد وقع لبعض المفسرين) انه قال (فى الجبل انه رأه) بحياة وادراك خلقه الله تعالى فيه فرأه وشاهده وقد نقله الماتريدى عن الاشعرى وهو الظاهر من التجلى وان حملوه على معنى آخر قال فى الكشاف فى تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اى مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث استدل التجلى للاقتدار وليس بشئ (وبرؤية الجبل) لله عزوجل (استدل من قال برؤية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم له) قيل الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان رأى واستقر فاما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفى الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه الا ان يقال معنى قوله (اذ جعله دليلا على الجواز) انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن فى نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا لا حاجة لتأويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (ولا مرية) بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد (فى الجواز) اى جواز الرؤية (اذ ليس فى الايات) التى استدل بها على عدمها كاية لا تدركه الابصار ولن ترانى ونحوها (نص فى المنع) للرؤية صريح فيه اذ هى مأولة بل مشيرة للجواز كما مر (واما وجوبه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وجوب وقوع رؤيته لربه فى الاسراء بعين رأسه واعترض عليه بانه لم يقل احد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصايصه التى يجب اعتقادها تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه شئ وكل ذلك محض تمحل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع فى الخارج انقلب واجبا لغيره وان كان فى حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذى لا يساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا لغيره ولا معنى له فالظاهر ان نقول ان الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحى لانه لو ورد مصرحا به فى نص قطعى من القرأن او الحديث المتواتر او المشهور وجب علينا اعتقاده ولا يسع احدا من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار فى اخر الفصل بقوله وجب المصير اليه الا ترى انه لما صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بالاسراء وورد فى القرأن انه اسرى به من الحرم للبيت المقدس لا يجوز انكاره سواء كان مناما او يقظة او هو بمعناه اللغوى وهو الوقوع فانه اصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفى منقول منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ائمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت

جزو بها وقول الفقهاء الواجب اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجري مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين انتهى والى هذا اشار فقهاؤنا في الفرق بين الفرض والواجب فقوله (والقول بانه رآه بعينه) يشير اليه من طرف خفي فلا اشكال في كلامه وهذا يقع في مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب ايضا فلا يرد على ما قلنا ان وقوعه في مقابلة الجائز في كلامه يأباه فان هذا كله انما جاء من توهم انه اريد بها ما قاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق برآه او توكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهي حسنة اذا جاءت احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله * رأيت من اهواه لما ان رما * فقلت هذا قاتلي بعينه (فليس فيه قاطع) اي دليل قطعي (ايضا) كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعي (ولا نص) اي دليل صريح فيه من الكتاب والسنة (اذ المعول فيه) اي المعتمد في استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (على آيتي) اي على آيتين في سورة (النجم) ما كذب الفؤاد ما رأى و لقد رآه نزلة اخرى الاية * (والتنازع فيهما مأثور) اي النزاع في المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل و الرؤية له بصورته الاصلية (و لا احتمال فيهما ممكن) لعدم صراحتهما وقطعيتهما في المدعى (ولا اثر) اي حديث (قاطع متواتر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اي بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه بعين رأسه (وحديث ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما الموقوف عليه المتقدم الذي ذكر فيه انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) اي اخبر به عما كان يعتقده بحسب ما ادى اليه علمه الجازم (ولم يسنده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي لم ينقله عنه ويقول انه صرح له بذلك حتى يعتبر (فيجب العمل) اي القول به والجزم (باعتقاد مضمنه) بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة اي ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعني ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآني ولا حديث قطعي حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة كثير من الصحابة والعلماء في وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح الغزالي و النووي واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى وان قيل انه مال لخلافه في شرح مسلم (ومثله) اي مثل قول ابن عباس في اثبات الرؤية (حديث ابي ذر) الغفاري رضي الله عنه الذي رواه مسلم قال سألته صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال رأيت نورا في آخره (في تفسير الاية) يعني آية سورة النجم (وحديث معاذ) ابن جبل (محتمل للتأويل) بما مر (وهو مضطرب الاسناد) اي الطريق في روايته (و المتن) هو نفس الحديث وكلام الرسول الذي رواه لانه المراد منه و المتن صفة

الفهم الثاقب ولم يلتفت بجمع ما يقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ المنقول لبشرح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعل من الضرب قيل اضطراب سنده لانه رواه تارة عن ابى عباس الحضرمى مرسلا لانه ليس بصحابى وتارة عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رأيت ربى فى احسن صورة فقال فيم يختصم الملاء الاعلى الحديث الذى تقدم وفيه لما صلى الغداة قال صليت الليلة ما قضى لى ثم وضعت جنبى فاتانى ربى وفى اخرى عنه قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت فاذا انا بربى واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذى وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو احسن ما يتمسك به فى الرؤية وكذا قال المنذرى فى الترغيب فاذكره المصنف رحمه الله تعالى من اضطرابه ان اراد معناه اللغوى لاختلاف الفاظه فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف الفاظه ولا يختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحى وهو ما اختلف فيه روايات فاكثر فروه بوجوه مختلفة لم يترجح احدها فليس فيه شئ منه ولو كان كذلك اوجب ضعفه وائمة الحديث صححوه كما سمعته آنفا وفيه نظر (وحديث ابى ذر آخر مختلف) الفاظه المروية ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوى (محتمل) للرؤية العينية وغيرها (مشكل) من حيث المعنى لجعله ذاته تعالى نورا (وروى) بالبناء للمجهول (نور) منون مرفوع ويروى منصوبا ايضا (انى) بفتح الهمزة وتشديد النون والف بعدها مقصور بمعنى كيف (اراه) اى منعنى وحجبنى اوظهر لى نورا ورأيت نورا غشينى فكيف ارى ذات الله وقد حال بينى وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية فى جارى العادة وروى نورانى بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعانى وقيل انه تصحيف والصواب الاول وفى المقتفى للبرهان ان يحتمل هذه الرواية ما سبق بان يكون معناه الخالق للنور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف رحمه الله تعالى لم ار هذه الرواية ومن المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها اوهدى اهلها اومنور قلوبهم اوذو بهجة وجمال وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء ما رأيت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ وزاد احمد فى حديث ابى ذر رجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤية ولا بعدمها والمتفق على روايته هو الاول وكيف للانكار او التعجب اى كيف يتمكن من رؤيته ويحتمل انه قاله لان عهده من حديث اسلامه ممن لا يفهم مراده لانه روى رأيت نورا وما ذكره البرهان تكلف فان النور من اسمائه تعالى (اقول كل هذا كلام مدمج والذى ارتضاه الغزالى ان النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره

وهو وان كان مترجما حكميا صوفيا فقد وقع في كلام الاشعري بما يوافقه قد قال المحقق النور لبس كالانوار كما سيأتي وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفي بفرط الظهور فان فهمت فهو نور على نور وقوله انه جسم غير مسلم (وحكى) اى نقل (بعض مشايخنا انه) اى هذا الحديث اوهذا اللفظ (نوراني اراه) قد عرفت معناه وسمعت ما قاله المصنف اى في شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت (وفي حديثه) اى حديث ابي ذر (الاخر) اى المروى من طريق آخر (سألته) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له هل رأيت ربك (فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا) هذا محتمل لان يكون اطلق عليه النور حقيقة كما مر او باعتبار لازمه كسائر اسمائه التي لا تليق حقيقتها به او ان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا اشار المصنف بقوله (فهو) اى النبي صلى الله عليه وسلم (قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى) بناء على ما فهمه ولم يرتضه بعض الشراح (والى هذا) المعنى وانه لم يره (يرجع قوله نور انى اراه) فانه تعجب او انكار لرؤيته (اى كيف اراه) هذا كقوله تعالى * كيف تكفرون بالله * فكيف للانكار او التعجب اى كيف يمكن من رؤيته (مع حجاب النور المغشي للبصر) اى الساتر والمانع له عن الرؤية كالغشاوة (وهذا مثل ما في الحديث الآخر حجابه النور) وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسي والبخاري عن ابي موسى الاشعري وهو ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه احرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح (وفي الحديث الآخر لم اره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلى) قوله تعالى (ثم دنى فتدلى) اى نزل ليقرب من عبده وهذا بناء على ان الضمير فيهما لله تعالى لا لجبريل عليه الصلوة والسلام وتدليه من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال (والله قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب) بان يدرك بقلبه ما يدركه ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له واقفا على ذاته لان في القلب نورا هو مبدأ الابصار فيقر به الله حتى يرى بلا واسطة للعين (او كيف شاء) اى بكيفية اخرى غير خلق الادراك في قلبه اراد ها لمن اراد ان يتجلى له بان يجعل له علما ضروريا يدركه به على وجه لا يعلمه الا هو (لا اله غيره فان ورد حديث نص) صريح (بين في الباب) في ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التأويل (اعتقد) بالبناء للمجهول اى اعتقده كل من وقف عليه وثبت عنده (ووجب المصير اليه) اى وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه (اذ لا استحالة فيه) اى فيما ذكر من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذي قاله اولا كما وعدناك به (ولا مانع قطعي يرده) فيمنع من اعتقاده ويوجب تأويله او التوقف فيه

كسائر المتشابهات (والله الموفق للصواب) اى الخالق للتوفيق المنعم به على عباده وفى
الختم بهذا لطف لما فيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية محتاج للتوفيق
ولا شبهة فيما قاله مولانا فى ان الاصح الراجح انه عليه السلام رأى ربه بعين رأسه حين
اسرى به كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه ايضا ذهب الى انه امر
غير قطعى فلا اعتراض عليه بانه انارا د بالقطعى كلام الله اوحديث متواتر فسلم
لكنه لبس ملازم فكم من امر عجله وجز منسابه و هو لبس فى القرآن ولا فى الحديث
المتواتر وان اراد انه لبس فيه حديث صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه
تركه خير منه ﴿فصل واما ماورد فى هذه القصة﴾ اى قصة الاسراء (من مناجاته لله)
اى مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى المحادثة و بمعنى
المسارة مما يرضاه واصل معناها ان يخلو بمن خاطبه على نجوة اى مكان مرتفع من
الارض وقيل هو من النجاة لان من سره نجا من ان يطلع عليه غيره ثم ساع فى مطلق
المخاطبة فلذا عطف عليه قوله (وكلامه معه) ليبين المراد به والضمير الاول للرسول
كضمير مناجاته اولله كضمير معه اى كلامه معه الثابت بقوله (فاوحى الى عبده) المقرب
اليه والى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم عليه السلام او جبريل وقدمر ان مقام
العبودية اشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه (ما اوحى) اى ما
يوحى امرا عظيما لا يحيط به العبارة ففى الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محرم
الاسرار المعارف لا يطلع على ما اطلعه الله عليه غيره ففى الابهام ولفظ العبد هنا
موقع لا يليق بغيره (الى ما تضمنته الاحاديث) الاتية والى بمعنى مع اوغاية الابتداء
مقدراى ينتهى من الكلام الى ما تضمنه الاحاديث (فاكثر المفسرين) جواب اما
قيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ والنادر منهم فالحق العبارة جمهور
المفسرين والامر فيه سهل (على ان الموحى) اسم فاعل للايجاب قوله فاوحى
فى هذه الآية (الله الى جبريل عليه الصلوة والسلام و جبريل الى محمد صلى الله
تعالى عليه و سلم لا شذوذا منهم) اى الجماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم
فيه فشذوذا اما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل مبالغة
فى اتصافهم به حتى كانهم عينه (فذكر) مبنى للمفعول (عن جعفر بن محمد الصادق)
صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه (قال اوحى اليه بلا واسطة) اى كلم الله محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة ملك اوغيره والمراد بالوحى هنا الكلام وان
كان اعم منه فعلى هذا ضمير اوحى لله والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وسلم وهذا
بيان للمذهب الشاذ (ونحوه) اى ومثل ما قاله جعفر نقل (عن الواسطى) وقد تقدمت
ترجمته (والى هذا) القول المنقول عن جعفر و الواسطى (ذهب بعض المتكلمين
ان محمد كلم ربه فى الاسراء) بفتح همزة ان وهو وما بعده بدل من هذا (وحكى)
بناء المجهول (عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس) رضى الله تعالى

عنهم (وانكره) اى انكر تكليم الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة قوم (آخرون) ولبس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يأباه (وذكر النقاش) السابق ذكره فى تفسيره المشهور نقلا (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصة الاسراء عنه عليه الصلوة والسلام ى) تفسير (قوله فدنى فتدلى قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) اى تخلف عنه فى المعراج لان له مقاما لا يتعداه (وانقطعت الاصوات عنى) بعد ما فارقته وبعدت عنه (فسمعت كلام ربى وهو يقول لى) جملة حالية اى قائلا لى (ليهدأ روعك يا محمد) بلام الامر ويهدأ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر فاذا ابدل الفاء جاز حذفها كالمعتل الاخر والروع بفتح الراء الخوف والهدأ معناه السكون والمعنى ليسكن فزعك اى ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الراء المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف ويجوز ان يراد بالمفتوح ايضا القلب لانه محله فالروايتان بمعنى (ادن ادن) امر من الدنو وهو القرب اى تقدم وادخل الى حظائر القدس وانما قال له تنشر يفاله صلى الله تعالى عليه وسلم واعلاء لمرتبته وتأنيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات ولذا امره باطمئنان قلبه اولا وكرر امره تأكيدا او بيانا لزيادة قربه من الله تعالى وان كان اقرب اليه فى كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاحاره عنه بقوله دنا اشارة الى امتثاله الامر (وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه فى الاسراء) السابق ذكره (نحو منه) اى ما يفيد مثله فالحاصل فى قوله فاوحى الآية ان الضمير الاول فى اوحى لجبريل وفى عبده لله والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثانى يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحى اولله اى اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه ويجوز ان يكون الضمير فى اوحى الاول لله وعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اى اوحى الله الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اى اوحى الله تعالى الى جبريل والضمير فى اوحى الثانى لله اى اوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحى ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اى اوحى الله لعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما اوحى جبريل اليه فايحاؤه اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثانى لله والمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى لمحمد ولكل رسول لانه امين وحيه وما مصدرية او موصولة والذى اوحاه احكامه او امر الصلاة او اوحى اليه لا يدخل نبى واممه الجنة قبلك وقبل امتك او هو سر فى سر

كما قيل * بين المحبين سر ليس يعرفه * قول ولا قلم للخلق يحكيه *

وسيأتى تفسير بقية الآية وتحقيقه (وقد احتجوا فى هذا) اى استدلوا على انه تعالى

كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء) ووجه الاحتجاج به بقوله (فقالوا هي)
اقسام الكلام المثبتة في هذه الآية على وجه يفيد نفي ما عداها لان معنى ما كان
لا يصح ولا يقع (ثلاثة اقسام) منحصر فيها الاول منها (الكلام من وراء حجاب)
يحجب من خاطبه وكلمه عن رؤيته ذاته لا يحجب الله شيء ولا يحجبه شيء كما مر تفصيله
فهو يسمع كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور وما لا يعلمه الا الله
(كتكليم موسى) اى كتكليمه تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام في الدنيا وموسى
لا يراه فانه سيه فيما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى من غير واسطة ملك
وهو لا يرى ذاته تعالى (و) القسم الثاني من الوحي يكون (بارسال الملائكة) الى
رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي اوحاه اليهم وهذه الحالة في الوحي
(كحال جميع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام (واكثر حال نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم) وموسى ايضا في غير حظ من كلامهما بغير واسطة في الدنيا قيل سواء
رأوا الملك او لم يروه فان الوحي على اقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان
يراه وفيه نظر فان هذا داخل في قوله وحيا وفي قوله بارسال الملائكة اشارة الى انه غير
مختص بجبريل لما روي ان اسرافيل عليه الصلوة والسلام وكل به صلى الله تعالى
عليه وسلم ثلاث سنين في اول الامر وقد قسموا الوحي الى نحو اربعين قسما ولكنها
لا تخرج عن هذه الاقسام (الثلاث) من اقسام الوحي وكلام الله لرسله عليهم
الصلوة والسلام (قوله وحيا) اى القاء في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته
اصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل امر وحي وذلك يكون بالكلام
على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة ببعض
الجوارح وبالكتابة ويقال لما يلقى لانبيائه وحي وهو على اضرب حسبما دل عليه
قوله وما كان لبشر الى آخره فذلك اما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ
جبريل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة معينة واما بسماع كلام من غير
معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالقاء في الروع كما ذكر ان روح القدس نفث في
روعي واما بالهام او منام انتهى فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسيشير اليه المصنف
(ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة) اى الكلام من غير وهو في الاصل
مأخوذ من الشفة فتجوز به عن هذه المخاطبة والمكالمة (مع المشاهدة) اى معاينة
المخاطب لمن كلمه من غير واسطة ولا حجاب مانع من الرؤية فيختص الله بها من شاء
من خلص عباده المقربين كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استدل بهذه
الآية على نفي الرؤية لحصر تكليم البشر في ثلاثة فاذا لم يره من يكلمه وقت الكلام
لم يره غيره اجماعا واذا لم يره هو اصلا لم يره غيره ايضا اذ لا قائل بالفصل والجواب

انه يحتمل ان يكون المراد حصر التكليم فى الدنيا فى هذه الثلاثة اونقول يجوز ان تقع الرؤية حال التكليم وحيا اذ الوحى كلام بسرعة كما تقرر وهو لاينافى الرؤية فلا دليل على ما ذكر اصلا كما حققه ابن الخطيب فى رسالته المشهورة يعنى ان اعلام احد احدا بامر اما بغير مسافهة وكلام معروف وبمشافهته بواسطة او بدونها والثانى انه مع مشاهدة او بدونها فانحصر فى هذه الصور الاربعة والآية استوفت الاقسام الا ما كان مع مشاهدة الذى خص الله من اراد وقد علمت ان ماذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الا ان سند منعه غير صحيح ولم يعرج احد منهم على تحرير كلامه هنا (وقد قيل) القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفا (الوحى هنا) فى هذه الآية (مايلقيه فى قلب النبى) اى فى قلب اى نبى كان من الانبياء عليهم الصلوة والسلام الهاما ونحوه (دون واسطة) اى بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه والالهام كما قال الزركسى ماحرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذى عليه الجمهور انه خيال لايجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحى بقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ونحوه وقال السمعانى فى انكار اصله لايجوز انتهى ولايخفى ان الخلاف فى غير الهام الانبياء ومن كان فى حكمهم فانه وحى وعلى هذا ينبغى تقييد ما فى شرح جمع الجوامع وقال الواحدى فى تفسيره نقلا عن الواقدى فى تفسير قوله تعالى *وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى* الآية ان الرسول الذى ارسل الى الخلق بارسال جبريل عيانا وشفاها والنبى يكون نبوته الهاما اومناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا وقال النووى فى تهذيبه ماظاهره ان النبوة المجردة لاتكون برسالة ملك وليس كذلك وكلام الغزالى الذى يستشهد به يرد عليه انتهى (وقد ذكر ابو بكر البزار) بموحدة وزاى معجمة والف وراء نسبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهى لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذى تقدمت ترجمته (عن على كرم الله وجهه فى حديث الاسراء) الذى رواه المصنف رحمه الله تعالى تمامه فى اول الباب (ما هو اوضح فى سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الاية) يعنى قوله تعالى * فاوحى الى عبده مااوحى لان الاية فيها احتمالات وحديث على رضى الله تعالى عنه فيه التصريح بسماعه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدى فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل فى قول وان خلافه سند وكذا كون الوحى فى الآية مبهم وتمه معين ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية اختصاص موسى عليه الصلوة والسلام بالتكليم كما توهم (فذكر) اى البزار وعلى رضى الله تعالى عنه (فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لى من وراء الحجاب) ى

قال الله تعالى للملك الاذان (صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك) الا قوله حي على الصلاة حي على الفلاح كما مر و لكونه معلوما لم يذكره عليه ووجهه ان المشروع لسامع الاذان ان يقول ما يقوله المؤذنون كلمة بكلمة تصديقا له باقراره الا قوله حي على الصلاة الى آخره فانه يقول فيه لا حول ولا قوة الا بالله وهذا لا يليق به تعالى فلذا لم يحكه (تنبيه) هنا امران الاول اختلف العلماء في صفة الاذان على اربع كيفيات مشهورة احدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب اهل المدينة ومالك وغيره واختار جماعة من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثني الشهادتين اولا خفيا ثم تثنيتهما مرة ثانية برفع الصوت والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعي رحمه الله تعالى وهو تربيع تكبير الاول والشهادتين وتثنية باقي الاذان والصفة الثالثة اذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقي الاذان وبه قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى والصفة الرابعة اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحي على الصلاة وحي على الفلاح يبدأ باشهد ان لا اله الا الله حتى يصل حي على الفلاح ثم يعيده كذلك مرة ثانية اعني الاربع كلمات نسقا ثم يعيده ثالثة و به قال الحسن البصري وابن سيرين كذا قال ابن رشد في كفاية المقتصد الثاني ان حديث علي رضي الله تعالى عنه يقتضي ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرتين لما رآه بعض الصحابة في منامه كما مر ولا يخفى ما بين الحديثين من التعارض و لم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجيب بانه ثبت بوحي لكنه صادف ذلك المنام فاظهر العمل به تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر ان يقال انه لم يثبت بحديث الاسراء الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين وبهذا تم التوفيق بينهما (ويجيء الكلام في) بيان (مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول الفصل من الباب منه) وسنذكر ما فيه ثمة (وكلام الله عز وجل (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه) اختص ورد لازما ومتعديا كما هنا بمعنى خصه (جائز غير ممتنع عقلا) اي ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر ولا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم (ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه) اي دليل قطعي يمنعه كما لم يرد دليل قطعي بثبوته ايضا (فان صح في ذلك) اي في الكلام بلا واسطة لغير موسى عليه الصلاة والسلام (خبر اعتمد عليه) في الجزم بوقوعه وروي احتمل وكلاهما مبني للمجهول كما قاله البرهان (وكلامه تعالى لموسى) وروي ومكالمته لموسى عليه الصلاة والسلام (كائن حق مقطوع نص ذلك) بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كما ترى اي نص عليه (في الكتاب) العزيز والقرآن (واكده)

الله تعالى (بالمصدر دلالة على الحقيقة) اى دلالة على ان الكلام فيه بمعناه الحقيقى
وان اختلف اهل السنة فى معناه الحقيقى القديم بل هو الكلام اللفظى اوالنفسى كما
ذهب اليه الاشعرى وتحقيقه فى كتب الاصول وهو بحث طويل الذيل لايسعه هذا
المقام وهذا رد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام فى جسم آخر
كالشجرة فسمعه عليه الصلوة والسلام منها لانهم نفوا الكلام النفسى وقالوا اللفظى
حادث لايقوم بذاته ودعوى قدمه لايعقل عندهم فهو متكلم عندهم خالق الكلام
وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل فباطل لان الفاعل الحقيقى
فى اللغة من قام به الفعل لامن اوجده فهذا ناش من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقى
اللغوى والحقيقى فى الحقيقة ونفس الامر كما حققه الابهرى فى حواشى العضد فيلزمهم
اثبات المشتق بدون ثبوت مأخذه له فان قالوا هو مجاز فالتأكيد بالمصدر فى قوله وكلم الله
موسى تكليما يرده لان التأكيد اللفظى والمعنوى يمنع التجوز كما ذكره اهل المعانى
وهذا من قبيل الاول كما اشار اليه المصنف هكذا قرره الاصوليون ورده ابن
عبد السلام بان التأكيد بالمصدر لمنع التجوز فى الطرف ودفع الشك فى الحديث
لا المحدث عنه والاسناد اذ التأكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن
صدر والتأكيد لتحقيق وقوعه فقط واجاب ابن عرفة بان تأكيد المصدر
وان كان لازالة الشك فى الحديث فلا بد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة
الشك عن حديث فلان ولذا قال البيانيون فى قول هند روح ابن زنباع تهجوه
*بكى الخز من روح وانكر جلده*وعجت عجيجا من جذام المطارف*
انه ترشيح للمجاز (اقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تأكيد المصدر
يرفع التجوز عن الاسناد فيقتضى ان التكليم مسند لفاعله الحقيقى والمعترض يمنعه
ويقول انما يمنع التجوز فى الطرف وهو الكلام لامؤكد لفعله كما صرح به واهل المعانى
لم يتعرضوا لهذا والبيت وارد عليهم لان العجيج مجاز وقد اكد فلا يمنع مجازا
اصلا وكونه ترشيحا عليه لاله وبهذا عرفت ما يرد على المصنف (ورفع مكانه) اى
مكان موسى الكليم (على ما ورد فى الحديث) الصحيح الذى فيه مقامات الانبياء عليهم
الصلوة والسلام الذين لقيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى السموات حين
اسرى به انه (فى السماء السابعة) هذا بناء على بعض الروايات والذى صححه
الحاكم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى السماء السادسة وجزم به ابن المنير
وغيره وماذكره المصنف رحمه الله موافق لما ذكره البخارى فى التوحيد وعدل عن
المشهور لانه انسب بمراده ولقول بانه علت و ب ذى فى السماء السابعة ابراهيم
عليه الصلوة والسلام وهم من قائله وقوله (بسبب كلامه) متعلق برفع اى بسبب
رفعته عليه الصلوة والسلام على غيره كونه شرفه بكلامه فى الدنيا (ورفع محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم) حين اسرى به (فوق هذا كله) اى فوق هذه المقامات كلها

فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بهيكله البشرى (حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام) تقدم شرحه (وكيف يستحيل) ويمتنع عقلا (فى حق هذا ويبعد) بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه (سماع الكلام) من كلام الله تعالى بغير واسطة (فسبحان) تنزيه لله وتعظيم له جدا على ما انعم به لا تعجب فانه غير مناسب هنا (من اختص من يشاء) من رسله وخلص عباده (بما شاء) من جزيل نعمه وكرمه (وجعل بعضهم) راجع لمن باعتبار معناه (فوق بعض درجات) كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبياء وخصه بنعم لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وابهمه تعظيما لشانه واشارة الى تعينه كما قيل

* واقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وانت كل الناس *

وان اختلف المفسرون فى المراد به فى الآية ولا يخفى ما فى ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة وبراعة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

﴿ فصل واما ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب ﴾ عطف تفسيرى وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر (من قوله ثم دنى فتدلى) الدنو القرب ولذا عطفه عليه عطفا تفسيريا وهو حسى ومعنوى والتدلى الامتداد من علو الى اسفل كما يلقى الدلو فى البئر هذا اصله ثم استعمل فى القرب من العلو حسا اومعنى فهو اخص مما قبله ولا تقديم ولا تأخير فيه اصلا والاصل فتدلى فدنا ولبساعى لان العطف بالفاء يأباه والتأسيس خير من التأكيد وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كتمطى اصله تمطط والضمير فيهما لجبريل عند الجمهور اى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما رأه بصورته هاله فرده الله تعالى لصورته التى كان عليها فقرب منه وقيل الضمير لله اى دنا من نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما سيأتى بيانه (فكان قاب قوسين اوادنى) القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدر والقوس معروف وقيل هى هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين وروى عن ابن عباس وعلى الاول قيل فيه قلب اى قابى قوس اى بينهما مسافة مقدار قاب قوسين اى بين النبى وجبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورجح هذا الوجه على رواية شريك انه الله ولهم فيها كلام كثير

﴿ وقال ﴾

وقال الرازي هذا على عادتهم اذا تعاقد كبيران اوتصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما يضع كفه بكفه او لتحقق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقيل للشك بالنسبة للراوي وقيل بمعنى بل او الواو وادنى افعل تفضيل اي اقرب من قاب (فاكثر المفسرين) جواب اما (ان الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلوة والسلام) اى كل منهما تدت لكل منهما الا الله اي دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للاخر او المراد ان الدنو لمحمد والتدلي لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا ما رأيته بصورته الاصلية (او مختص باحدهما من الاخر) اى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم او بجبريل والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل او دنا وتدلى جبريل من محمد (او من السدرة المنتهى) اي يختص الدنو والتدلي من السدرة لا من الاخر (قال الرازي) فخر الدين المشهور (وقال ابن عباس) كما رواه ابن ابي حاتم عنه (هو) اى الذى دنى وتدلى في الآية (محمد دنا فتدلى من ربه) ودنوه كناية عن قرب منزله ومساعدته من قدسه ما لم يتيسر لغيره (وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب) فهو ترق في تقربه من ربه قربا معنويا لا حسيا (وقيل هما) اى دنا وتدلى (بمعنى واحد اى قرب) قربا معنويا بخيله انعامه ولا يخفى ان العطف بالفاء غير وارد في مثله واذا ضعفه واخره والقول بانه للتأكيد وافادة انه قرب بليغ لا تساعده العبارة (وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما في رواية ابن جرير عنه (هو) اى من اسند اليه الدنو (الرب دنا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد الدنو المكاني تنزه الله عنه ولا العلم لانه لا يختص به حتى يذكر في مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة باعلاء مقامه واطلاعه على عجائب ملكوته (فتدلى اليه) اى نزل الرب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو على حد قوله تعالى * ينزل ربنا الى السماء الدنيا في الثلث الاخير * اى تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتيسير ما يحطانه كما سيأتي بيانه فقوله (اى امره وحكمه) لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل واعاهو ضمير الله ايضا وهو استعارة او كناية عما ذكر واليه اشار القاضي رحمه الله تعالى بقوله المقصود من الآية تمثيل تحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد عنه (وحكى النقاش) في تفسيره (عن الحسن) البصري انه (قال دنى) الله (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) دنو مرتبة وقرب معنوي (فتدلى) اى (فقرب منه) بعنايته واختصاصه والاولى فزاد قربه اليه كما مر (فاراه ما شاء ان يريه من) آثار (عظمته وقدرته) فارى بصرية تعدت لمفعولين او علمية مفعولها الثالث مقدر اى اراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة والاول اظهر واقرب (قال) اى النقاش او الحسن (وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر) فاصله

فتدلى فدنى اى (فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج) وهو البساط مطلقا او البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفى الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجانب الدرع وما تدلى منه واحده رفرفة فهو من البسط والعرش وفسر بالرابى والمرافق وقيل الثوب العريض اوحواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه و يطلق على الستارة وطرف الخيمة وفى الحديث زرنا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورفع لنا الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء فى الجنة وهو بساط اذا استقروا عليه طار بهم لاى جهة ارادوها بقدرة الله تعالى وورد فى المعراج انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلوة والسلام فتناوله وطار به الى العرش يرفعه ويخفضه وجبريل رافعا صوته بالتمجيد فهو مركب له صلى الله تعالى عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه الوجوه و بانه رياض الجنة والى هذا اشار بقوله (فجلس عليه ثم رفع) اى رفعه الله بقدرته وهو مبنى للمجهول (ودنا) الرفرف او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من ربه) بالمعنى السابق (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد ان علا الرفرف (فارقنى جبريل وانقطعت عنى الاصوات) اى اصوات الملائكة عليهم الصلوة والسلام (فسمعت كلام ربى) عزوجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله تعالى فى بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر وفيه اثبات الكلام اللفظى لله تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم الشهرستانى فى مقالته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام النفسى يسمعه الله تعالى بقدرته والبحث بطوله مقرر فى علم الكلام (وعن انس فى الصحيح) اى مروى فى صحيح البخارى (عرج بى جبريل) صاعدا (الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة) عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلى الاعلى من قولهم نخلة جبارة اى طويلة مرتفعة هذا هو المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما اراده من امر ونهى وان فسر به ايضا والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد استغربه الذهبى وفيه بعض (فتدلى) تقدم تفسيره (حتى كان) رب العزة (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلوة) كما مر (وذكر حديث الاسراء) بتمامه كما تقدم (وعن محمد بن كعب) القرظى السابق بيانه (هو) اى الموصوف بانه دنى كما سيأتى بيانه (محمد) صلى الله عليه وسلم اى (دنى) محمد صلى الله عليه وسلم (من ربه فكان قاب قوسين) اى مقدار قوسين فى القرب منه (او ادنى قال) اى محمد بن كعب (وقال جعفر بن محمد) وهو الآتى بعده ايضا (ادناه ربه حتى كان منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد) المذكور (والدنو من الله

لا حد له) اى الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالاجسام بل دنو معنوى (ومن العباد بالحدود) المكانية الحاضرة لهم لا الحد المنطقى المميز للماهية (وقال) جعفر (ايضا) كما قاله السابق (انقطعت الكيفية عن الدنو) من جانب الله اى دنوه من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه امر معنوى غير محسوس والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسئل عنها بكيف وهذه لفظة مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا تنسب اليها ثم صحح ذلك بقوله (الا ترى) الخطاب عام لكل من وقف عليه كقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار والرؤية نظرية او ادعائية او علمية والا بفتح الهمزة وتخفيف اللام وما فى بعض النسخ الا بصورة الاستثناء وانه سمع منه بعيد (كيف حجب) بالبناء للفاعل اى منع (جبريل) بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه (عن دنوه) الى ربه (ودنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما) موصولة او موصوفة وفى نسخة ودنوه مصدر منصوب على كيف اى الا ترى الخ وترك دنوه (اودع قلبه) صلة ما او صفة له واودع مبنى للمجهول وقلبه نائب فاعله وفى بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان (من المعرفة) الالهية والمواهب الربانية (والايمان) مما لا طريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى الايمان بما يقتضيه العقل كوجود البارى ووحدانيته ومعنى قوله (فتدلى) اى نزل عما كان عليه قبل هذا (لسكون قلبه الى ما ادناه) اى ربه لما اطمأن قلبه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) فى انه هل يصل الى حضرة القرب وينال اثابته بالاكرام والانعام ويترقى الى اعلى مقام فانجح الله تعالى امنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى الناس معرفة وايمانا واثبتهم جاشا وايقانا واشدهم طمانينة وسكونا وبهذا سقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين اختطفه الرفرف خشى ان يكون ذلك لاحد مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله وشك فيما يؤول اليه امره فلما خاطبه الله وقال له ليهدأ روعك علم ان الله انما اراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين والا فظاهره لا يليق بمقامه (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف (رضى الله عنه اعلم انما وقع) بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم (من اضافة الدنو والقرب هنا) اى من اسناده (الى الله ومن الله تعالى) ووصفه به فالاضافة بالمعنى اللغوى لا الاصطلاحى وقوله هنا اى فى هذه الاية (فليس بدنو مكان) هو خبر ان المفتوحة وزيد فيه الفاء لان اسمها موصول اى ليس فيه قربا محسوسا بل معنوى (ولا قرب مدى) بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والاظهر ان معناه المكان الممتد كما يقال مدى البصر ومده ولا عبرة بما قيل انه فى حفظه به

ورد في الحديث كما ذكره النووي في شرح مسلم (بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته) الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدأ وتقدم معنى المنزلة والرتبة وانها العلو المعنوي (وتشريف رتبته) بالجر ويجوز رفعه واشراق انوار معرفته) اي اظهار آثار معرفة الله عليه ففيه استعارة مكنية او تبعية ان كان من قبيل لجين الماء (ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته) اي وقوفه على ما في عالم الملكوت لما هو مغيب عن خلقه الا من خصه الله تعالى باطلاعه عليه (ومن الله تعالى له) اي اما دنو الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسي معناه (مبرة) مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القول والاحسان (وتأنيس) اي لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات وغاب اليفه وهو جبريل عليه الصلوة والسلام (وبسط) اصل معناه التوسعة قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط ويطلق على المسرة ايضا وليس بمعنى تولد لانه ورد في الحديث فاطمة بضعة مني يبسطني مايبسطها كما مر وذكره ابن قرقول في مطالعه وهو المراد اي تأنيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره (واكرام) تجليه وتعظيمه (ويتأول فيه) اي يأول الدنو الوارد في الحديث (مايتأول في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا) يعني ان الدنو الواقع في الآية كما ورد مثله في بعض الاحاديث ان اولياء الله تعالى قريبون من الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد يأول بعلم الله بواطنهم وظواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعليه قوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون كما اول النزول المسند الى الله تعالى في حديث ابي هريرة رضي الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له بالاقبال عليهم بانعامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهم وتأويله بنزول ملائكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتأول فيهما مبني للمجهول (على احد الوجوه) في تأويله من ان نزوله تعالى اعاهو (نزول افضال) بتفضيله وانعامه (واجمال) اي فعل جميل بهم على عادته (وقبول) لتوبتهم واستغفارهم (واحسان) بالجود والكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف من مجاز النقص اي ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة اجابته وانجاح طلبته ولزيادة لطفه واعتنائه به عن قربه كبير له مقام عال حتى انه قد ينزل اليه اذا سمع نداءه فهو استعارة تمثيلية او تبعية تصريحية (وقال الواسطي) المتقدم ترجمته (من توهم انه) تعالى ولله المثل الاعلى (بنفسه دنا) دنوا حقيقيا محسوسا بذاته لادنو لطف واكرام معنوي مجازي فقد (جعل ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال ثمة بتاء ايضا كما يكون بها مرسومة خطا بانه لفظا في الوقف

ومعناه هنالك واصل وضعها للاشارة الى المكان بعيدا اوقريبا على اختلاف فيهما
وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه
اشارة للآية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله (مسافة) باعتبار مدلوله
فان جعلت الاشارة اليه على تقديرانه على حقيقته ولا والمسافة لمفازة من التنوق
وهو شم التراب والبول ومنه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب
ولا مسافة لاستحالتها عليه تعالى (بل كما دنا) احد من المخلوقات برتبته (بنفسه
من الحق) اي الله تعالى (تدلى) نزل من علو الى اسفل (بعدا) اي لبعده عما قصده
فهو مفعول له او تمييز من نسبة تدلى (يعني) الواسطي بقوله هنا تدلى بعدا اي كلما
جاول القرب نزل لساحة البعد (عن درك حقيقته) متعلق بمقدر يعني بعدا او بعدا
عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبي في حاشيته درك بفتح الدال والراء المهملين
وضبطه بعضهم باسكان الراء والاشهر هنا الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد
الدرج فبالفتح لاغير وحكي فيه الوجهان وفيه نظر (ادلاد ونحو ولابعد) بالمعنى
المكاني لاستحالتهما عليه تعالى بما رد بما يوهمه مأول كما عرفته والاعلم حقيقته لكنها
ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه للتعرض له هنا (وقوله قاب قوسين او ادنى) بالمعنى
الذي مر بيانه وهذا جواب عن سؤال دفع لما يتوهم من انه يقتضي قربا حقيقيا ومسافة
كما اشار اليه بقوله (فمن جعل الضمير) المقدر في قوله تعالى ثم دنا فتدلى (عائد
الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا) التأويل السابق انه (كان) الدنو
المذكور (عبارة عن نهاية القرب) اي معبرا به عن غاية القرب المعنوي من عباده
(ولطف المحل) اللطف عبارة عن الامور الخفية ومالا يدركه البصر كما في قوله وهو
اللطيف الخبير اي هو عبارة عن دنو معنوي ومنزلة معنوية لاتحس بالابصار (واتضاح
المعرفة) الالهية التي وهبها من العلم اللدني في حظائر قدسه لمن خصه برفعة المنزلة
من خلص عباده الذين جعلهم محرم اسراره واتضاح المشاة الفوقية افتعال من
الوضوح وفي بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدر او ضحه ايضاحا (والاشراف
على الحقيقة) اي الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف وهو
المكان العالي ثم اريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية او مجازا (من محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم) اي كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم (و) وكان الدنو المعنوي (عبارة عن اجابة الرغبة) اي اجابته مأموله
لدى هو غاية لمطلوبه ومرغوبه (وقضاء المطالب) اي اعطاءه مطلوبه الذي طلبه
منه ووعده به وفي القصد اشارة الى انه كالدين لان عدة الكريم دين (واظهار
التحفي) بحاء مهملة وفاء ومثناة تحتية وهو المبالغة في البر (وابانة المنزلة) بالنون
والباء بمعنى اعلائها ورفعها (والمرتبة) عطف تفسير (من الله) متعلق بدنوه

اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه تعالى (ويتأول فيه) بالبناء للمجهول اى
يتأوله القرب والدنو بتأويل مثل (مايتأول فى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم
فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى
(عن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتانى يمشى) اى من اطاعنى وسعى فى اداء
امتثال أوامرى واراد انه يمشى مشيا غير بطئ بالهوينا لمقابلته بقوله (اتيته
هرولة) وهى المشى والجرى بسرعة والمراد انى اعجل له جزائى واوصل اليه
احسانى سريعا وتفسيره سبقته بجزائى غير صحيح هنا (اى) والتأويل الذى
اول به من تقرب الى آخره ومابعده هو (قرب بالاجابة) لدعائه وهو مرفوع خبر
لمبتدأ مقدر (والقبول) لتوبته (واتيان بالاحسان وتعجيل بالمأمول) اشارة لمعنى
الهرولة وهذا بعض حديث قدسى صحيح رواه ابوهريرة رضى الله تعالى عنه
اوله قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى فى واحد منهما
قذفته فى النار ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا
اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء
ذكرته فى ملاء خير منه واطيب ومن جاءنى يمشى اتيته هرولة ومن جاءنى يهرول
جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه واطاعه فالتقرب
تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتفويض اموره وانه يضاعف ثوابه
ويزيد بماهو خارج عن القياس وليس فى قوله فى ملاء خير منه دليل على افضلية
الملائكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى وهذا تأييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه
بانه تكرار من غير فائدة ﴿فصل فى ذكر﴾ مايدل على (تفضيله) صلى الله تعالى
عليه وسلم (فى القيمة بخصوص الكرامة) اى بما خصه يوم القيمة وفضله به على
سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم الصلوة والسلام وذكر ما يدل على ما عقد له
بحديث اسنده المصنف من طريق الترمذى فقال (حدثنا القاضى ابوعلى) الشهيد
المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابوالفضل) ابن خيرون
السابق ترجمته ايضا (وابوالحسين) بالتصغير هو المبارك بن عبد الجبار هكذا هو فى
اكثر النسخ الصحيحة وفى بعضها ابوالحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره الحافظ
البرهان فالحسن ليس بالحسين هنا وهذا الحديث فى اول الكتاب مسندا الى
الترمذى بهذا السند (قالا حدثنا ابويعلى) بفتح اوله وهو احمد بن عبد الواحد بن
محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم فى ترجمته (حدثنا السنجى) ابوعلى
الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السابق ذكره وضبطه قال (حدثنا ابن محبوب)
ابوالعباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه قال (حدثنا الترمذى قال حدثنا الحسين
ابن يزيد الكوفى) المعروف بابن الطحان اخرج له ابوداود والترمذى وقال

ابو حاتم انه لين توفي سنة اربع واربعين ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا عبد السلام بن حرب) النهدي روى عنه اصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان (عن ليث) ابن ابي سليم بالتصغير القرشي الكوفي العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة (عن الربيع بن انس عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) اى خرجوا من قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم رأسهم وقائدهم فيبعث قبل موسى وسائر الرسل كما سيأتي وهذا الحديث انفرد به الترمذي وقال انه حسن غريب (وانا خطيبهم اذا وفدوا) اى قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء امورهم وحط اياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر المأذون له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب * على عادتهم اركان لكل وفد خطيب في المجمع غالبا وهذا انسب هنا من قوله امامهم لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على افضليته صلى الله عليه وسلم وانه لا يدهش لهول المحشر (وانا مبشرهم) بالخلاص من الحبس وطول موقفهم (اذا ايسوا) من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذ زفت الازفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمزة وهما لغتان وروايتان (لواء الحمد بيدي) يوم القيامة ليعرفه صلى الله تعالى عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف واللواء معروف وهو لواء حقيقي سمي لواء الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره او لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

* اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين *

فهو اشارة لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده وامته الحمادون وهو احمد ومحمد وتقدم الكلام عليه واللواء والعلم والراية والبند متقاربة معنى لكن اللواء اكبرها وروى الطبري ان لواء الحمد يحمله على كرم الله وجهه بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة بينهما (وانا اكرم ولد آدم على ربي) اى اشرفهم ذاتا وصفة واقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختص عرفا بالسخاء وهذا تحدث بنعم الله تعالى واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة على ربه والضمير لاكرم او آدم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره (ولا فخر) جملة حالية مؤكدة اى انا لا ذكره للفخر بل للتحدث بنعم الله اولا افخر بهذا اذ لي عند الله ما هو اعظم واشرف من هذا مع اني لم انله بسعيي واجتهادي مني وخبره محذوف اى فيه او عندي ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره ليظهر علوه على غيره (وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث)

وزحر بفتح الزاي المعجمة وسكون الحاء ثم راء مهملتين وهو عبد الله بن زحر الافريقي
العابد واصل معنى الزحر الصوت والانين ومنه الزحير للمرض المعروف في الامعاء
والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام وروى عنه اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان
واخرج له البخاري في الادب وفي روايته زيادة ومغايرة في اللفظ على الرواية السابقة
وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه وفي رواية ابن زحر والربيع بن انس وفي رواية العزفي
عنه عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروي عنه انس بن مالك رضي الله
تعالى عنه كما قاله التلمساني (انا اول الناس خروجا اذا بعثوا) كما تقدم (وانا
قائدهم اذا وفدوا) القائد في الاصل الذي يقود الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة
في الرئيس الذي تتبعه الناس ويرتضونه وفي امر الجيوش وجمعه قادة وتقدم معنى
الوفد وان المراد به القادمون للحشر فالمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم
ثمة حسا ومعنى (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اي انا المتكلم بين يدي ربي في امرهم
والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا نطقا لحيرتهم والانصات السكوت بمعنى
(وانا شفيعهم اذا حبسوا) في الموقف واضطربوا وفزعوا للانبياء عليهم الصلوة
والسلام فقال كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة
العظمى في فصل القضاء (وانا مبشرهم) بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه
(اذا ايئسوا) انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا ليأسهم من النجاة وقيل الابلاس
الحيرة والندم ومنه المبلس (لواء الكرم بيدي) قريب مما مر لفظا ومعنى (وانا اكرم
ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف على الف خادم) في الجنة من الحور العين
(كانهم لؤلؤ مكنون) رواه الترمذي وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور
لم تمسسه الايدي فهو كناية عن كونها كمرادات بها بحيث لم ير مثلها (وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه) في حديث رواه الترمذي وصححه (واكسى حلة من حلل
الجنة) اصل معنى الحلة ثوبان من برد اليمن واحد فوق واحد ثم اطلق على كل لباس
فاخر يعطى رعاية للابسه وفيه دلالة على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته
اذ كسي وجميع الناس عراة وحفاة (ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق
يقوم ذلك المقام غيري) ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه صلى الله تعالى
عليه وسلم في جانب اليمين في مقام لم يقم فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب من التكريم
الدال على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رجائه بما يليق بمقامه الشريف
والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعات من المخلوقين (وعن ابي سعيد
الخدري في حديث رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه (انا سيد ولد آدم يوم القيامة)
ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص كما سيأتي بل لانها سيادة مسلمة

له صلى الله تعالى عليه وسلم وهي اشرف من سيادة الدنيا ومر ان الصحيح ان السيد
يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور وعلى ثلاثة اقوال مشهورة
(و بيدي لواء الحمد ولا فخر) تقدم معناه (ومامن بني آدم من سواه) بدل من نبي
اى جميع الانبياء (الاتحت لوائي) اى تابع لى فى القيامة وليس المراد انه تحته حقيقة
وعطف فى بالفاء لانهم بعده من غير ما صلة والمراد الترتيب الرتبي او الحقيقى
(وانا اول من تنشق عنه الارض) يوم تبعثر من فى القبور وتنشق بقدرة الله تعالى
وفيه اكرام له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فخر) تقدم معناه (وعن ابى هريرة
رضي الله تعالى عنه) فى حديث صحيح رواه مسلم (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
انا سيد ولد آدم يوم القيامة) اى انا اشرفهم واقربهم عند الله فى يوم لايسود فيه
غيرى كما مر (واول من ينشق عنه القبر) اى قبره الشريف (واول شافع) يشفع
للناس فى الموقف (واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اى اول من يؤذن له فى الشفاعة
وتقبل شفاعته وتفصيله ما فى حديث البخارى يحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون
له صلى الله تعالى عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا ما شاء فاستأذن على
ربى فيؤذن لى فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء ان يدعني فيقول ارفع رأسك
محمد وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث
رواه الترمذى والدارمى (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) كما مر (وانا اول
شافع) فى ازالة هول الموقف (واول مشفع) تسمع شفاعته وتقبل (ولا فخر) لى فخر
تكبر وتبجح فيما خصنى الله به (وانا اول من يحرك حلق) باب (الجنة) لتفتح لى ولم
يدخلها بعدى وحلق بفتح الحاء المهملة واللام و يجوز كسر الحاء فيكون برنة بدر
جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفى القاموس ليس فى الكلام حلقة
محركة الا جمع حالق اوهى لغة ضعيفة والمراد بباب الجنة مخصوص به صلى الله تعالى
عليه وسلم يسمى باب محمد و باب الرحمة ولها ابواب غيره وقيل المراد جميع ابوابها
وانه المتبادر والظاهر خلافه (فيفتح لى) بابها (فادخلها) وفى رواية وادخلها
بالواو (و) يدخلها (معى فقراء المؤمنين ولا فخر) و يفتح بالتحتية والبناء للمجهول
والشائع حرفتها او الفوقية والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهلة فى الفتح
والدخول والمراد بالفقراء الفقراء الصابرين وهو شامل للمساكين والفرق بينهما
مشهور والخلاف معروف وفى هذا دليل على ان الفقير الصابر افضل من الغنى
الشاكر وقيل الغنى الشاكر افضل والاول اصح ولذا اختار الفقر كثير من الانبياء
والاولياء وانفق ابو بكر رضى الله تعالى عنه ما له فى سبيل الله ليدخل فى سلكهم
والمحمود منه ما كان مع غنى القلب والنفس فان الغنى ليس بكثرة العرض وانما هو
غنى النفس وهو كما قيل * غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيئا عاد

ذاك الغناء فقرا * وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من يدخل الجنة لاينافي ماورد في حديث الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا رضي الله تعالى عنه وقال له يابلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك وفي رواية سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤياه لافي هذا الدخول اوهو كما قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده و المطرق في طريق سيده وهو بيان لفضيلة الاذان وانما سأله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان اعلم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معي لبس المساواة بل التبعية فلايقال لاحاجة لقوله معي في الجملة وهي حالة تقتضي المقارنة (وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشرف من جميع الخلق (وانا اكثر الناس) اي الانبياء عليهم الصلوة والسلام وكذا روي ايضا (تبعا) جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر من سائر الامم ويقتضي هذا اكثرية اجره عليهم ويأتي التصريح به وافضليته على كل واحد منهم وعلى جميعهم ايضا كما قررناه في محله (وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (انا سيد الناس) واجلهم واعظمهم (يوم القيامة) خصه مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم في الدنيا والاخرة لظهوره ثمه واختصاصه به ظاهرا من غير منازع ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسيأتي تفصيله في كلام المصنف رحمه الله تعالى (وتدرون لم ذلك) فيه استفهام مقدر اي اتدرون ماسبب هذه السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به (يجمع الله الاولين والاخرين) في المحشر (وذكر حديث الشفاعة) اي ذكر انس رضي الله عنه هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه ولم يذكره هنا لانه سيأتي في الشفاعة وانه اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم عليه الصلوة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فاقول انا لها الخ (وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اطمع) اي ارجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه له كقوله والذي اطمع ان يغفرلي خطيئتي يوم الدين وتعبيره صلى الله تعالى عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه (ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة) لان امته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الامم واجر اعمالهم له مثله لان من سن سنة حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة واعمالهم له مضاعفة وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو اعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك باخع نفسك (وفي حديث آخر اماترضون) معاشر المسلمين (ان يكون ابراهيم) الخليل عليه الصلوة

والسلام (وعيسى) عليه الصلوة والسلام (كلمة الله فيكم) اى محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم (يوم القيامة) فيعدان من امتى وخصهما بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اشرف الانبياء بعد محمد صلى الله تعالى عليه سلم وهو ابو الانبياء وابو اسمعيل عليهما الصلوة والسلام الذى كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى يبعث آخر الزمان على دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويغير احكام النصرانية واما اداة استفتاح كلام او مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (انهما فى امتى يوم القيمة) اى يعدان منهم (اما ابراهيم فيقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (انت دعوتى وذريتى) اذ دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك الخ فجعل عين الدعوة مبالغة اى انت ممن جعله الله منهم باجابة دعوتى والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل ولده اسمعيل عليه الصلوة والسلام ولم يبعث فيهم نبى سواه فهو المجاب دعوته (واما عيسى) اى كونه تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى جملة امته يوم القيامة (فالانبياء كلهم اخوة) اى كالاخوة فى اتحاد امورهم مع الله تعالى ومع الخلق والاخوة اما لاب وام ويقال لهم بنو الاعيان اولاب فقط وهم بنو العلات اولام وهم بنو الاخياف فلذا قال (بنو علات) المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهم من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمى نهلا وكان الزوجات موارد للزوج او كان اولادهم شاربهم مختلفة فى الرضاع وهذا اقرب الى هذا اشار بقوله (امهاتهم شتى) وامهات جمع ام واصلها امهة ولذا جمع على امهات وصغر على اميهة وقيل انه فى الاصل مضاعف لقولهم امات واميمة وقيل اكثر ما يقال امات فى البهائم ونحوها وامهات فى الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كرضى ومريض اى مختلفة فى الدوات والنسب وشبه الدين والعقيدة الحقة التى هى سبب لقائهم بالاب الواحد لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ردهم على طريقة الاستعارة واثبت لهم الاخوة تخييلا وكونه بنو علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرائع والاحكام بالامهات فى حفظهم وتعشيهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية او ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل انهم صلى الله عليهم بعثوا متفقين فى اصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع وقيل اراد انهم فى ازمان متباينة والاول اولى (وان عيسى اخى) بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة فى الرسالة والصفات الحميدة (ليس بينى وبينه نبى) لانه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما احد من الانبياء

(و) لما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان (اولى الناس به) وهو افعل تفضيل من الولاء والتوالى وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القريب فيقال اولى بمعنى احق واقرب من حيث المكان او الزمان او النسب او الدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخارى ومسلم وهو انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فى الاولى والآخرة الانبياء بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبى وهو حديث صحيح روى من طرق فعلم ان ما ذكره الراغب والزمخشرى وابن عربى فى فصوصه من انه كان بينهما نبى اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة اهلكت الزرع والضرع فالتجاء قومه اليه فاخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التى خرجت منها فقال لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى اطفيها وامرهم ان يدعوه ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا اخرج اليهم سالما فلم يصبروا ونادوه فى اليوم الثانى فخرج وقال لهم اضعتمونى واضعتم امرى وامرهم ان يدفنوه اربعين يوما يصبرون فيها فاذا تمت اتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ وما عليه يقينا فلما تم الميعاد كما قال هم مؤمنوا قومه ان ينبشوا قبره فابى اولاده خوف العار وان يقال لهم اولاد المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبى اضاعه قومه غير صحيح وما قيل من ان المراد نبى مشرع مبلغ للاحكام يأباه لفظ الحديث فان النبى اعم ولو كان كما ذكر قال انه رسول واحسن منه ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرزق ذلك وكل ما نقل من انه كان نبيا وبعده غيره كلقمان وسفيان فان مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم عليه الصلوة والسلام ابو الانبياء عليهم الصلوة والسلام واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى عليه الصلوة والسلام قريب العهد وسيصير من امته حقيقة وهذا لا ينافى قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما توهم لان المأمور به اتباعه فى التوحيد والعقائد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده انه موافق له وتأمل (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاحاديث السابقة (انا سيد الناس يوم القيامة) جواب عن سؤال مقدر وهو لم خص سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اليوم وهو غير مخصوصة به (وهو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة) بل سيد جميع المخلوقات والجملة حالية (ولكن اشار) عليه الصلوة والسلام بقوله هذا كما تقدم (لانفراده) عن غيره (فيه بالسودد والشفاعة) العظمى الدال

على عظمة قدره عند الله (دون غيره) من الرسل والملائكة المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وتهمز الواو لضم ماقبلها وهى لغة طى بمعنى السيادة وسيدوزنه فيعل اوفعيل وداله الثانية للالحاق (اذ لجأ الناس اليه) اى التجاؤا واستندوا للتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم (فى ذلك) الوقت اوذلك الامر وهو تعليل لما قبله (فلم يجدوا سواه) صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم و يخلصهم مما هم فيه من الكرب الذى لايطيق غيره دفعه (والسيد) معناه لغة (هو الذى يلجأ الناس اليه فى حوائجهم) اى يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنى انا من يقضى حوائج جميع الناس فى الموقف ومن هذا ظهر للتخصيص وجه آخر الا ان هذا تفسيرله بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه وسواده والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس اومفرده حائجة مقدر اونادر وقد ورد فى الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن انكره كالحريرى وقد شنع عليه ابن برى وانشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب قضاء الحاجة وهو دأبه فى الدنيا والآخرة ولله در الصرصرى فى قوله

* الا يارسول الله الاله الذى * هدانا به الله فى كل تيه *
* سمعت حديثا من المسندات * يسر فؤاد النبيل النبيه *
* وانك قد قلت فيه اطلبوا * الحوائج عند حسان الوجوه *
* ولم اراحسن من وجهك * الكريم فجد لى بما ارتجيه *

(فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (حينئذ) اى فى وقت التجائهم اليه (سيدا منفردا من) سائر (البشر) اى منفردا عن جميع الناس حتى الانبياء عليهم الصلوة والسلام بهذه السيادة (لم يزاحمه احد فى ذلك) اى لم يشاركه احد فى كونه ملجأ للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة (ولا ادعاه) لانكشاف الامر يوم القيامة حتى لايمكن احدا ان يدعى مالبس فيه (كما قال تعالى لمن الملك اليوم) يعنى انه تعالى يقول يوم القيامة لمن الملك فى هذا اليوم او ينادى به مناد على رؤس الاشهاد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) اى الملك مخصوص به اويقول اهل الموقف يعنى ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم اليوم كقوله تعالى * لمن الملك اليوم * ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم سيادته به (والملك له تعالى فى الدنيا والآخرة لكن) انما خصصه بملك هذا لانه (فى الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا) متعلق بالمدعين ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شىء فانقطعت الدعاوى (وكذلك)

اى مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوى وتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى (لجأ الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة) العظمى المعهودة (فكان سيدهم فى الاخرى) اى الاخرة لانه يقال لها اخرى وآخرة وفى نسخة فى الآخرة (دون دعوى) من احد من اهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع (وعن انس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (آتى) بمد الهمزة (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) اى اطلب الفتح بتحريك الحلقة (فيقول الخازن) اى بواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح ان لها خزنة (من انت فاقول) انا (محمد فيقول بك امرت) اى بسببك امرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما اشار اليه بقوله (ان لا افتح لاحد قبلك) والجملة مستأنفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اى امرت بلا افتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة وسبق ذرته فى الاحاطة على سائر الذرات وفيه اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر الناس عملا واعتقادا وافضلهم لقوله تعالى *وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون (وعن عبد الله بن عمرو) ابن العاص حديث رواه الشيخان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر) اى مسافة كل جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به القرطبى فى شرح مسلم وورد فى حديث مرفوع رواه الترمذى ان لكل نبى حوضا ترده امته وروى انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما فى ارض الموقف والآخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر وقوله (وزواياه سواء) يدل على انه مربع (وماؤه ابيض من الورق) بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا او ما ضرب منها و فى نسخة من اللبن وابيض افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد فى الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه شاذ وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب وانما يقال اشد بياضا وابلغ ونحوه (وريحه اطيب من المسك) الريح كالرائحة ما يشم ويطلق على الهواء وهو الاشهر ويجوز ارادته ايضا لان الهواء اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا (كيزانه كنجوم السماء) كثرة واشراقا وكونها اكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء لتأكيده بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو اناء صغير يتناول به الماء للشرب والاصل انه اناء ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب كما تقدم فان كان

فيه شراب فهو كأس (من شرب منه شربة لم يظمأ ابدا) اى لم يعطش بعده ابدا
وروى لن يظمأ ولا يظمأ ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفى الماضى
والمراد هنا نفى الظمأ فى المستقبل بدليل قوله ابدا المفيدة لاستغراق المستقبل واجيب
بان المراد نفى الماضى كانه لم يذق ظمأ فى الماضى لشدة اللذة التى انسته ما قبلها واما
ابدا فانها تكون للماضى ايضا كما فى التسهيل (اقول) هذا تعسف فالحق انها
لنفى المستقبل بقرينة قوله ابدا وهى ترد كذلك اذا قرنت بالشرط نحو ان لم تحسن لى
غدا كان كذا وهو كثير فى كلامهم ومن هنا شرطية اوفى معناها فهذا سهو من قائله
ويظمأ مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها الفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون
بالاشتهاء وهو انما تكون لمن عطش واهل الجنة منعمون فى المأكل والمشرب واجيب
بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس بشئ لانه قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما
يشاهد فى خمور الدنيا وروى من يشرب بالرفع على ان من موصولة ومجزوما على
انها شرطية كما تقرر (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه) جندب ابن جنادة (نحوه)
اى روى عنه ما هو بمعناه اوقريب منه وان لم يكن مثله (وقال) زيادة على ما مر فى
روايته (طوله ما بين عمان الى ايلة) اى طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدين
وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم وهو المروى فى
حديث الحوض قرية بالشام وحكى فيه التخفيف ايضا وهو المراد والتى باليمن
بالضم والتخفيف لاغير وقيل انها المرادة هنا لرواية ما بين بصرى وصنعا والمراد
زيادة الطول فلا تعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام
وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق وقيل غير ذلك وهى سميت بعمان
ابن لوط لانه سكنها وقيل نعمان بن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلوة والسلام
(يشخب فيه ميزابان من الجنة) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الشين وضم الخاء
المعجمتين وفتحها وموحدة ومعناه انه ينصب مع صوت وروى يغت بغين معجمة
مضمومة ومثناة فوقية ومعناه يتوالى صبه وروى ابن ماهان يثعب بمثلثة وعين مهملة
وموحدة ومعناه يتفجر ماؤه واصل الشخب ما يخرج من الضرع عند الحلب
والميزاب بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء مسيل الماء (وعن ثوبان مثله) اى مثل
حديث ابى ذر (وقال) اى ثوبان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
(احدهما) اى احد الميزابين (من ذهب والآخر من ورق) اى فضة (وفى رواية
حارثة بن وهب) الخزاعى الصحابى المعروف رضى الله عنه واخرج له اصحاب الكتب
الستة (كما بين المدينة وصنعا وقال انس ايلة وصنعا) هى بصاد وعين مهملتين
مدينة باليمن والنسبة اليها صنعانى على خلاف القياس و بينها و بين المدينة مسيرة
شهر والمراد عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعا ايضا.

(وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه الشيخان (كما بين الكوفة) مدينة العراق المشهورة (والحجر الاسود) والروايات متحدة كما عرفته فانها تقريبية لاتحديدية فخاطب صلى الله تعالى عليه وسلم كلا بما يعرفه ولاحاجة الى ان يقال انه وقع الخطاب به عند الحجر الاسود كما قيل واصل معنى الكوفة الكوفة رمل مستدير وحجارة يمن فسمى بها ثم شرع المصنف رحمه الله فى بيان هذا الحديث روى من طرق كثيرة دالة على صحته وانه على ظاهره ولذا ذهب المصنف رحمه الله تعالى انه متواتر فقال (وروى حديث الحوض ايضا) كالروايات المتقدمة (انس) بن مالك الانصارى الصحابى خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير الطريق المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا يقتضى مغايرة ماتقدم (وجابر بن سمرة) بفتح فضم ابن جنادة الصحابى السوائى وما فى بعض النسخ هنا فى اول النسخ جابر وسمرة قال البرهان صوابه جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب فى النسخ مكتوب عليه صحيح ثبتت صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبد الله وسمرة الان ورواية جابر بن عبد الله فى مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها ماثبت رواية بن سمرة كما فى مسلم وغيره (وابن عمر وعقبة) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابى احد العبادلة وعقبة وهو ابن عامر الصحابى المشهور الجهنى (وحارثة بن وهب الخزاعى) الصحابى المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة (والمستورد) بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهرى نزيل مكة ثم مصر الصحابى (وابو برزة الاسلمى) نضلة بن عبيد الله الصحابى الامام الجليل وبرزة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وزاى معجمة تليها هاء توفى سنة ستين اوار بع وستين وحديثه فى الصحيح والترمذى واسلم قبيلة معروفة (وحذيفة بن اليمان) العبسى الاسهلى الصحابى صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن ماجة (وابو امامة) بن صدى بن عجلان الباهلى الصحابى وحديثه اخرجه الطبرانى وامامة بضم الهمزة (وزيد بن ارقم) الخزرجى الصحابى المشهور وحديثه اخرجه ابن حنبل والحاكم وصححه (وابن مسعود) الصحابى المشهور وحديثه اخرجه الشيخان (وعبد الله بن زيد) الصحابى الذى ارى الاذان فى منامه كما مر وحديثه اخرجه الشيخان ايضا (وسهل ابن سعد) الصحابى (الساعدى) منسوب لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التى كانت فيها بيعة ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وسويد بن جبلة) بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزارى قيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابى ولم يرو عنه الاحديث واحد وقيل لعله سويد بن عقلة ولهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه فى سنن البيهقى والاولى تأخيره للاختلاف فى صحبته (وابو سعيد الخدرى) الصحابى المشهور وقد تقدم (وعبد الله الصنابحى) بضم الصاد المهملة وفتح النون والف يليها باء موحدة

مكسورة وحاء مهملة وياء نسبة صحابي وقيل نسب لجده صنابح واسمه عبد الله
وقيل ابو عبد الله وقيل ابو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح اسم بطن من العرب
وفي الشرح الجديد لم اقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال
الصنابحي وآخر اسمه صنابح بن الاعز فلعله نسب لجده وفي التابعين عبد الرحمن
بن عسيلة الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقيل صوابه الصباح (وابو هريرة)
وحديثه في الصحيحين (والبراء) بن عازب وحديثه في الصحيحين ايضا
(وجندب) عبد الله بن سفيان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون
وفتح الدال المهملة وضمها وفي الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه متى اطلق
فالمراد هنا (وعائشة) ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها (واسماء ابنتا ابي بكر) الصديق
رضي الله تعالى عنهم والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ (وابو بكر وعمر بن
الخطاب وابن بريدة) مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها
وهما تابعيان فلا ينبغي ذكرهما هنا مع الصحابة وفي مسند احمد رواية حديث
الحوض عن عبد الله بن بريدة وقال حدثني به اخي قال البرهان لعل القاضي اراد
بابن بريدة هذا او قال بريدة فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا
في الحوض في الكتب الستة ومسند احمد وله ذكر في مسند البزار (وابو بكرة) وهو
نفيع بن الحارث كناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف
لما منع من الخروج (وخولة بنت قيس) بن فهد بن قيس الانصارية النجارية
الصحابية زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وحديثها في مسند احمد
والطبراني (وغيرهم) من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا فلذا تركناهم
اقتداء به وقد تقدم ان المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وقيل تواتره
معنوي لقول ابن الصلاح انه لا تكاد توجد شروطه ﴿فصل في تفضيله﴾ صلى الله
تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء (ب) صفتي (المحبة والخلة) كما سيأتي تحقيقه
اي بكونه حبيب الله وخليله (جاءت بذلك الآثار الصحيحة) معنى ورواية وقد تقدم
الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق على الحديث مرفوعا كان او موقوفا
او غيرهما واما تخصيص الفقهاء الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم وما رواه الخطيب
في جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضة وما جاء عني فهو حديث وما جاء عن
الصحابي فهو سنة وما جاء عن اتباعهم فهو اثر وما جاء عمن دونهم فهو بدعة فهو
موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوي والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال
الله تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما لا خلاف فيه الا ان المحبة ميل القلب لما تلتذ به
حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة الحسنة كمحبة الصلحاء
والعلماء او غيرهم من ارباب الكمال وهي في حقه تعالى وليست بميل قلب ونحوه بل
هي ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحبه له من طريق الفضل

لامس طريق الانس والراحة وهو الذي كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والخلة صفة الخليل وهو مما يستوى فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من يخالك اى يوافقك فى خلالك ويسايرك فى طريقتك من الخل وهو الطريق فى المرسل او يسد خلتك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب له قائم باموره بحيث لا يحوجه لغيره اصلا (واختص صلى الله تعالى عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله) اى جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم عليه الصلوة والسلام وان كان غيره من الانبياء محبوبا لله ايضا ثم استدل على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه مسندا عن البخارى فقال (اخبرنا ابو القاسم ابن ابراهيم الخطيب وغيره) هو الامام المقرى خلف ابن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخاء المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين واربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثا سادس عشر صفر والتكنية بابى القاسم جائزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما سيأتى (عن كريمة بنت احمد بن محمد) وفى نسخة بنت محمد وصححها رواية بعض الشراح وفى الاكمال انها كريمة بنت احمد ابن محمد ابن حاتم المروزية سمعت صحيح البخارى من الكشميهنى وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى ان ماتت قالت (حدثنا ابو هيثم) الكشميهنى وقد تقدم ضبطه وترجمته (وحدثنا حسين بن محمد) بن سكرة (الحافظ) السابق ذكره (سماعا عليه) فهو احد شيوخه وهذا سند وطريق آخر للمصنف فى رواية هذا الحديث وفى نسخة وحدثنا وتكتب عند الانتقال من سند لآخر اشارة الى التحول كما فصلوه فى مصطلح الحديث قال (حدثنا القاضى ابو الوليد) الباجى الذى بيناه سابقا قال (حدثنا عبد بن احمد) عبد بغير اضافة ابوذر الهروى السابق ذكره قال (حدثنا ابو الهيثم) الكشميهنى السابق فى الطريق الاول قال (حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) الفربرى الامام الحافظ راوى البخارى المشهور كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا محمد بن عبد الله) المعروف بالمسندى والبخارى يروى عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد ههنا كما ذكره الكلاباذى وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن السمان توفى يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا ابو عامر) عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدى بفتح العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث بصرى مشهور اخرج له الائمة الستة توفى سنة خمس ومائتين

قال (حدثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام ومثناة تحتية وحاء مهملة ابن سليمان العدوى المدنى اخرج له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوى توفى سنة ثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ابو النضر) بالضاد المعجمة الساكنة سالم بن ابى امية المدنى الثقة راوى انس توفى سنة تسع وعشرين ومائة (عن بسر بن سعيد) بضم الباء الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدنى الزاهد الثقة توفى سنة مائة (عن ابى سعيد) سعد بن مالك ابن سنان الخدرى السابق ترجمته رضى الله تعالى عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر) هذا حديث صحيح رواه البخارى وغيره من طرق متعددة ومفعوله الثانى محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فان لم يكن للجزاء سبب غيره لزم من امتناعه امتناعه ولا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابى بكر خليلا لمعنى لا اصل فى محبة احد من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربى فلو فرض جعلها لاحد كان ابو بكر اليق به من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه واهله فى طاعته وهذا صريح فى تفضيله على غيره وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهى الصداقة والمحبة التى تتخلل باطن القلب فالمعنى ان محبته مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهى الحاجة فالمعنى انى ابرؤ من الاعتماد والافتقار الى غير ربى وفى هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل وهو تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغى للمصنف ان يذكر حديثا صريحا فى اتخاذ الله خليلا وتقدم ما ذكره فى آخر الفصل غنى عن الرد (وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخالة من الجانبين اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غنى عن العالمين (ومن طريق عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه) التى رواها البخارى وغيره وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا كما اتخذ ابراهيم عليه الصلوة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابا بكر كما توهم وفى هذا دلالة على انه من جانب الله فتم دلالته على انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولاينا فيه كون ابراهيم عليه الصلوة والسلام خليلا كما سيأتى تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) فى رواية الدارمى والترمذى (قال جلس ناس من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه) اى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس اصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور (قال) ابن عباس رضى الله عنهما (فخرج) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى اذا دنى) قرب (منهم سمعهم يتذاكرون) اى يذكر بعضهم لبعض فيتحادثون او يذكر بالتذكير كل منهم من عنده ما نسيه (فسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حديثهم) وفسر هذا الحديث بقوله

(فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) اى من دون خلقه اواختاره للخلة من بينهم اى تعجب عجبا من هذا والعجب يكون من امر فيه غرابة ولا اغرب عند من عرف عظمة الله وعنايه عن مخلوقاته وان كل شئ من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم غير ان نبينا كان خليلا انه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يرد اختصاص ابراهيم بكونه خليلا على ما مر (وقال آخر ماذا) اى ليس اتخاذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا (باعجب من كلام موسى) حتى ناجاه فى الدنيا (وكلمه الله تعالى تكليما) مع انه تعالى فى الدنيا لم يكلم انبياءه الا بواسطة ملك الوحى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) هذه الفاء فصيحة فى جواب شرط مقدر اى اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك فاذكروا عيسى عليه السلام وكونه كلمة الله وروحه وسمى عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون اب بمجرد قوله كن اولاهتداء الناس كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوى فى تعينه لكل شئ فى عرصة العلم الالهى الازلى مرتبة الحرفية فاذا اصبغه الحق بنوره الذاتى وذلك بحركة معقولة معنوية يفيضها شأن من الشؤن الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلماته تعالى كما قال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب * اى الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة تولد فالاضافة للتشريف (وقال آخر) ممن كان ثمة (وآدم اصطفاه الله) اى اختاره وجعله صفيه وهذا كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية وانه غنى عن العالمين (فخرج النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم فسلم) لما ذكر قوله فخرج اولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تأكيدا فقيل كرره ليتيط به غير ما نيط به اولا و يحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثانى من آخر قلت هذا لتوهم ان العطف ينافى التأكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا كما فى التسهيل ان التأكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر انه كقوله * كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون * وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وههنا بحث نفيس وهو ان ماقاله النحاة ينافى ما اتفق عليه اهل المعانى من ان التأكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضى المغايرة والتأكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمسئلة من مسائل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجيب وان وقفوا عليه واعتقدوا خلافه فهو اعجب كما قيل * فان كنت لا تدرى فتلك مصيبة * وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد سمعت كلامكم وعجبكم) اى تعجبكم وقولكم عجبا كما مر فى اول الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى ادركت اوفيه مقدر عامل فى الثانى اى وعرفت عجبكم على حد قوله قلدته سيفا ورمحا

اي واعجبنه ولا حاجة لما ذكر لما قدمناه لك وقوله (ان الله اتخذ ابراهيم خليلا) وقد صحح في النسخ المقروءة بفتح همزة ان فهو بدل وفي الشرح الجديد يجوز ان يكون جملة مستأنفة كان سائلا سأل ما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ وان يكون مقول قول محذوف وهو يقتضي ان ان مكسورة الهمزة (وهو كذلك) اي اتخذه خليلا (وموسى نجي الله) اي كليمه والمناجاة المكالمة واصل معناها ان يخلو بنجوة من الارض ليس بها غيره ثم شاع فيما ذكر وقيل اصلها من النجاة فمعناه ان يكلمه بما فيه خلاصه (وهو كذلك) اي هو نجي الله وكليمه فذكره واقع (وعيسى روح الله وهو كذلك) اي هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف او هو بمعنى رحمة الله (وآدم اصطفاه الله وهو كذلك) كما قلتم فان الله اصطفاه واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكونه ابا البشر (الا وانا حبيب الله) الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستأنف فيحقق ما بعده نحو * الا ان اولياء الله لا خوف عليهم * وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة الى ان هذه الصفة اعلى درجة مما قبله اي من كل ما وصف به الانبياء قبلي فانا موصوف بما هو اعلى واعلى وهو كوني حبيب الله اي محبوبا له فانه فعيل بمعنى مفعول وما قيل من انه من القول بالموجب الذي هو كقوله تعالى * ليخرجن الاعز منها الاذل * ولله العزة ولرسوله * فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذي ارادوه فانهم ارادوا بالاعز غير المؤمنين وبالاذل المؤمنين فعكسه عليهم وهو على ضربين كما تقرر في علم المعاني غير صحيح لانهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصد الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار انه لازمه ولذا قال التلمساني انه قريب من القول بالموجب لانه قرر اولا ما ذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك ثم نبه على انه افضل منهم كلهم وقوله (ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي) تقدم شرحه في حديث آخر (ويدخلنيها) بضم المثناة التحتية والضمير للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله ان الله ملككم اياهم (ومعي فقراء المؤمنين) اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر كما مر والجملة حالية (ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) وفي حديث ابي هريرة) الذي رواه البيهقي وصححه (من قول الله تعالى) وفي نسخة في قول الله والاصح روايته بلفظ من (لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذتك خليلا) كما تقدم (فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن) قال التلمساني انه وقع هكذا في النسخ المعتمدة من الشفاء بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة

وياء موحدة وهي هكذا وفي نسخة المصنف المبيضة المروية عنه و صحفها بعضهم
فكتب ات و هي لفظة عبرانية بمعنى انت وقال الدلجي اب بعد السين تاء
مثناة فوقية وفسره بانت وعبر الشمني بقوله بعد السين جرة اى مدة خطية
فلم يعينها لشكه فيها قيل حاصله انه ثبت لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وصف
المحبة من غير مشاركة فيها والخلة التي شاركه فيها ابراهيم عليه الصلوة
والسلام وقد اثبتها صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه في آخر خطبة خطبها
قبل وفاته بخمسة ايام فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه انه قد كان لى
فيكم اخوة واصدقاء وانى ابرؤ الى الله ان اتخذ احدا منكم خليلا ولو كنت متخذا
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا او تيت
البارحة مفاتيح خزائن الارض والسماء وهو تعريف منه صلى الله تعالى عليه وسلم
باعلى مقامه واكمل حالاته وبين خلته وخلة ابراهيم عليه الصلوة والسلام فرق
لان خلته حقيقية اصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلته الذاتية ولذا قال ابراهيم
في حديث الشفاعة انما كنت خليلاً من وراء وراء فالخليل غيره وهو محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم انتهى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مختص بالمحبة و بالخلة
الحقيقيتين والافقد قال تعالى * يحبهم ويحبونه * ولكل صفة مراتب فهو
صلى الله تعالى عليه وسلم مختص باعلاهما وسيأتي تحقيقه قريبا (قال القاضي ابو
الفضل رضي الله تعالى عنه) هو عياض المصنف (اختلف) بالبناء للمجهول اى
اختلف العلماء (في تفسير الخلة) وبيان معناها (واصل اشتقاقها) بيان لمحل
الخلاف ومنشائه وفي قواعد الطوفي الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه في
حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة الواحدة
المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا في بعضها خفيا في البعض
فيحتاج في رده الى ذلك المعنى الى تلطف في معرفة المناسبات انتهى وتفسير اقسام
الاشتقاق وتحقيقه مذكور في كتب ابن جني كالخصائص وغيرها (فقيل الخليل)
المذكور هنا (المنقطع الى الله) اى الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله (الذى
ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) اى خلل ونقص يحتاج لجبر وتكميل
لخلوصه فيه ويقينه الذى لا يختل اصلا وتحقيقه ما قاله الامام الراغب انه يقال خل
الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة بالضم الطريق في الرمل و بالفتح
الاختلال العارض للنفس لشهوتها او لحاجتها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة
والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس اى تتوسطها وتؤثر فيها تأثير السهم في الرمية
اولفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلوة والسلام خليل لافتقاره الى الله و قيل

من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم البلخي هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطأ لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبده فان محبته الباطنة لا يجوز ان يخالله وهذا منه تشبه فان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حبته اذا اصبت حبة قلبه فاذا استعملت في الله اريد مجرد الاحسان وكذا الخلة فيجوز في احدهما كما يجوز في الآخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة تخلل الخلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المصنف رحمه الله تعالى دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التي هي مأخذه فلا يرد ان اول كلامه في الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوي فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر في الاصل ولعل الكلام في معناه اللغوي الوضعي الثبوتي فتفسيره بالسلبي غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه (وقيل الخليل) معناه (المختص) بمن خالله مطلقا فهو الصديق الذي صار من خلص احبابه واصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واحتج بما كلفه من فعل وترك فتصار فيه قصور (واختار هذا القول غير واحد) من الائمة المحققين وجمع من الشراح (وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاستصفاء) اي كون محبته ومودته صافية اي خالصة من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله (وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه) الموالاة المحبة وفي بمعنى اللام كقوله تعالى * والذين جاهدوا فينا * اي لاجلنا اي لا يحب الا من احبه الله من المؤمنين اهل الطاعة ولا يبغض الا اهل المعصية والضلال كقوله تعالى * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله * ولذا قال

* اذا صافى صديقك من تعادي * فقد عاداك وانفصل الكلام *

(وخلة الله له) اي لابراهيم عليه الصلوة والسلام (نصره) على عدوه كنمرود وهذا جواب سؤال مقدر اي قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلا له (وجعله اماما لمن بعده) لقوله تعالى * اني جاعلك للناس اماما * اي مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبياء بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لو لم ينتصر خالفه من بعده ولذا ذكره بعده تأييدا او تأكيدا (وقيل الخليل اصله) اي اصل معناه الذي وضع له لغة (الفقير المحتاج) صفة كاشفة مفسرة له (المنقطع) اي المنفرد عن الناس لعدم اعوانه واخوانه (مأخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهي الحاجة) لاحتياج صاحبها لغيره لعجزه عما يقوم بامورة (فسمي بها) اي لقب بما اشتق منها وهو الخليل (ابراهيم) فالضمير للحاجة او للفظة الخلة والاظهر انه بتقدير مضاف اي بمشتقها

ونحوه (لانه قصر) بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص (حاجتـه على ربه) اى لم يكن له حاجة لا الى ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقصله (وانقطع اليه بهمه) الهم هنا ما يهتم به المرء و يعتنى به و يعزم عليه يعنى كانه قصر حاجته على الله قصرا له وعزمه على الله وعلى ما يرضيه (ولم يجعله قبل غيره) قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل الذى يدرك ويرى فاراد انه عده وفى جانبه وانه لم يجعل امره ورجاءه فى غير الله اى لم يطلب شيئا من غيره ولم يؤمله (اذ جاءه) اى جاء ابراهيم عليه الصلوة والسلام (جبريل) عليه الصلوة والسلام (وهو فى المنجنيق ليرمى به) اى وقد وضع فيه ليرمى به (فى النار) التى اوقدت لاحراقه وكان لهبها اشتد حتى لم يمكن احدا ان يدنو منها حتى يرمى شيئا فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بان يشد سوارى مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم تضرب سارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى البارود والمدافع وهو فارسى معرب وفى وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم واصله من جه نيك اى ما اجودنى وهو مؤنثة كما قال

* لقد تركتنى منجنيق ابن جندل * احيد عن العصفور حين احيد *

وميمه زائدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور (فقال له) جبريل عليه الصلوة والسلام (الك حاجة) عندى من سؤال ما يجيبك ونحوه (قال اما اليك فلا) حاجة لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم (وقال) ابو بكر (ابن فورك) بضم الفاء وفتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحح فى النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربى معناه الفار ولا يعرف فى اللغة وانما المذكور فيها انه عنى نوع من الظباء ومن قال معناه الفار لعله اراد انه من عجمة الناس وتحريف عامتهم قلت رأيت فى كتب التواريخ ان ملك الهند ارسل الاسكندر رسولا اسمه فورك وسألت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضى انه اعجمى غير مصروف وعندى انه يجوز فيه الوجهان وقدمر فيه كلام لنا وما قلناه هنا زبدته (الخلة صفاء المودة) وهى المحبة مع التودد وهى المواسية والمساعدة وصفاؤها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعرى

*والخل كالماء يبدى لى ضمائره *مع الصفاء ويخفيها مع الكدر*

(التى توجب الاختصاص) اى يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بالا يلازم صحبته واسعافه (بتخلل الاسرار) جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها فى باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شئ من احواله والباء سببية وقيل

الاسرار بنجا و يف حات القلوب وهومجاز لو معناه رسوخ المودة في القلب واعلم انه
تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء
كان حسن صورة او كمال كمحبة العلماء والصلحاء او انتفاع وانعام لان القلوب مجبولة
على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من يحبه والتودد اليه فاذا زادت المودة
وخلصت كانت خلة فان قلت فحينئذ الخلة اخص من المحبة فيكون افضل فلم قيل ان
المحبة افضل قلت المحبة اعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة
قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل
الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا
والعشق لا يجوز في الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره
وان وقع من بعض الحكماء والصوفية وان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فلبس
كهذا المحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هي التي اختص بها نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم بعد الاسراء لما رأى الله وشاهد من جماله وجلاله و وصل من قربه
لمرتبة لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب وتمت له خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج
لغيره ولا سأل سواه وعرض عليه مفاتيح خزائن السموات والارض واعانه الله
ونصره نصرة عزيزة وغفر له ما تقدم وما تأخر مع انه لم يصدر عنه زلة واطلعه
على اسراره وحظائر قدسه واي خلة كهذه فلذا كان صلى الله تعالى
عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله ايضا و قال الخليل عليه الصلوة والسلام انا
خليل من وراء وراء كما مر وكرر وراء اشارة الى زيادة قرب نبينا في الارض والسماء
فلا منافاة بين اختصاصه و وصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه اجل صفاته
واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل من الخليل وهذا من جانب العبد
واما من الله فهو له بمعنى تقريبه وانعامه وتعليمه ما لم [illegible] غيره وتفضيله على ما
سواه وحفته له اسعافه له بحليل هذه النعم وتوفيقه لخلة نصب بصره وبصيرته
حتى كانه معه في كل حين ما عرفه (وقال بعضهم اصل الخلة المحبة) يحتمل
ان اصل معناها الوضعي المحبة لانها من تخلله في قلبه وروحه و يحتمل ان المراد
ان المحبة اساس الخلة ومنشؤها لانها تكون بعد تحققها (ومعناها)
اي معنى خلة الوضعي بناء على الثاني وهو الراجح وقيل ضميرها راجع للمحبة المرادفة
لها (الاسعاف) اي الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد (والالطاف) بفتح
الهمزة اي الانعام والاحسان قال الزمخشري في شرح مقاماته الالطاف الهدايا
واحدها لطف بفتحتين قال كل له عندنا التكريم واللطف انتهى و يحتمل انه جمع
لطف كقفل وهو التوفيق لفعل كل خير و تسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف

(والترفيع) باعلاء مرتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة (والتشفيع) باذنه له فى الشفاعة وقبولها وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كما مر فيشفع فى فصل القضاء ولرفع درجات قوم فى الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذى وسيأتى ولبعض المؤمنين فى التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من اهل النار بعدم دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابى طالب لجعله فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه كما رواه البخارى وهو لاينافى قوله تعالى لايخفف عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه فى حواشى القاضى والقول شفاعة بعض الانبياء والصلحاء وقيل التشفيع بمعنى التأييد والتقوية من الشفع (وقد بين ذلك تعالى) اى كون المحبة والخلة تقتضى الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم (فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم الآية) يعذبكم مضارع بمعنى الماضى اى عذبكم فى الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان اى لوكنتم ابناؤه واحباؤه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك اوهو على اصله اى لم يعذبكم فى الآخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لله لا يعذبه ولايسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لادليل فى الآية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الا عدم مؤاخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع فى احباء الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه بالمناقشة والابتلاء ولادليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو مما يقتضى منه العجب وقولهم ابناء الله اى منا ابناؤه وهو المسيح وعزير اونحن اتباع بنيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم رأوا فى التورية يا ابناء احبائى فبدلوها يا ابناء ابكارى (فاوجب للمحبوب) اى بطريق اشارة النص فهم ان كل محبوب وخليل يجب (ان لايؤاخذ بذنوبه) اى لايعاقب بها و يجازى عليها (قال) ذلك البعض (هذا) اسم الاشارة يتخلص به من كلام لآخر فيكون خبر مبتدأ مقدر اى الامر هذا اومبتدأ خبره مقدر وقد يذكر كما فى قوله هذا ذكر او مفعول فعل مقدر اى خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله لكن الرسم يخالفه (والخلة اقوى من البنوة) بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه ابنا متولدا منه ثم بين ذلك بقوله (لان البنوة قد يكون فيها العداوة) اى معها وفيمن اتصف بها وهو من طرفية الصفة للموصوف (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى منهم من يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم (ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة) لان المحبة معناها ود ذا خلة فيه اولازمة له وهى ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة فانها وان كانت الفطرة تقتضى المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفى هذا فلا وجه للاعتراض بان الاصل فيها المحبة والعارض لايعتد به كما توهم ومن العجب انه ايده بقولهم زيد ابوك عطوفا وكم له مثلها تجاوز الله عنه (فاذن) تفريع على

ماقبله (تسميته ابراهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام بالخلة) اى بما اخذ من الخلة
وهو الخليل والمراد بالتسمية الوصف تجوزا وقدم ابراهيم عليه الصلوة والسلام لتقدمه
رتبة وشهرته وهو باضافة تسميته وفى نسخة اضافة بالضمير (اما بانقطاعهما الى
الله تعالى) هذا ناظر لان الخلة الحاجة اى لاعتمادهما عليه واما لمع الخلو فقط
(ووقف حوائجهما عليه) اى جعلها موقوفة على انعامه لاكتفائهم بفضله
(ولانقطاع عمن دونه) اى الانقطاع اليه تعالى وترك غيره (والاضراب عن
الوسائط والاسباب) الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا
امسك عنه وتركه (اولزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) معطوف على مابعد امابان
الله اختصهما زيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغني الخليل خليله وهذا
ناظر الى انه من الخلة بالضم (اوخفى الطافه عندهما) خفى بالخاء المعجمة لان لطفه يكون
من حيث لايدرى اوبالحاء المهملة اوزيادة مبالغة فى اكرامه لهما يقال احفى به وحفى اذا بالغ
فى اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة اوما اضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره
وقيل انه بكسر الهمزة مصدروعيه مامر (وماخالل) اى تخلل ودخل (بواطنهما
من اسرار الهيته) اشارة الى انه من التخلل كما تقدم وفى نسخة من اسرار الهية بمثناة
تحتية موحدة (ومكنون غيوبه) جمع غيب وهو مالايدرك بالحواس الظاهرة اوماسيكون
قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولايطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول والمكنون
بمعنى المستور (ومعرفته) اى معرفة افاضها عليهما من علمه اللدنى اومعرفة ذاته وصفاته
بما لايطلع عليه كل احد (اولاستصفائه لهما) اى لاختياره لهما من دون خلقه
وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر
مضاف لفاعله وقوله (واستصفاء قلوبهما) مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف
للمثنى يجوز افراده و جمعه و تثنيته اى جعل مراتبهما صافية خالصة له صالحة
لاسراره ومعرفته (عمن سواه) بحيث لايكون فيهما غير معرفته وحبه (حتى لم يخاللهما)
اى يدخل فى خلالهما (حب لغيره) هو نتيجة الاستصفاء وما له فرتبتهما وصفى
قلبهما من كدر حب السوى الناشئ عن الطبع البشرى (ولهذا) اى لكون معنى
الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية (قال بعضهم الخليل
من لايتسع قلبه لسواه) لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لايبقى فى قلبه سواه
وسوى مراقبته كما قيل * تملك بعض حبك كل قلبي * فان ترد الزيادة هات قلبا *
(وهو) اى ماذكر من معنى الخليل وبعده (عندهم معنى قوله صلى الله تعالى عليه
وسلم) فى حديث البخارى اى من امن الناس على فى صحبته وماله ابا بكر (ولوكنت
متخذا خليلا) من الناس غيرربى ارجع اليه فى امورى واعتمد عليه فيما يهمنى (لاتخذت
ابابكر خليلا) لانه اعز اصحابى واقدم اصدقائى ولوتعلق قلبى باحد لم يكن يتعلق

غيره لما عرفه من ايثاره على نفسه واهله (ولكن اخوة الاسلام) وقديم الصحبة التي هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل * صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب * وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية وفي الخلة واثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة تفضلا منه فالخلة اعظم من البنوة والاخوة واخوة بهمزة مضمومة وروي في الاكمال انه خوة بدون الف وهي لغة قليلة (واختلف العلماء ارباب القلوب) اى اصحاب القلوب الكاملة الصافية فمن غيرهم كأنه لا قلب له والمراد بهم الاولياء وذو النفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم في العلوم الباطنة دون ظواهر الالفاظ (ايهما) اى المحبة والخلة (ارفع) اى ايهما افضل في نفس الامر وعند الله (درجة الخلة او درجة المحبة) وكني برفع الدرجة عن رفع ما فيها وافضليته والتقدير اظهر درجة لخ (فجعلهما بعضهم سواء) اى الدرجتين او المحبة والخلة متساويتين في الفضيلة لا تفاوت بينهما (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا) لا يخفى ان هذا انما يقتضي تلازمهما لا مساواتهما رتبة ودرجة ثم اشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بموصوف فقال (لكنه) اى الله او الامر والشان (خص) بني للفاعل او المفعول ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب او الرفع (بالمحبة) بان سمى الاول خليلا والثاني حبيبا وهو امر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه (وبعضهم قال درجة الخلة ارفع) منزلة وافضل واعلا درجة ويشهد له ان المحبة مأخوذة من معنى الخلة واخص منها لكنه قيل انه يرد عليه ما تقدم من قوله في مناجاته حيث قال له الله سلني اعطه فقال يارب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا او ما في معناه بما يقتضي ان درجة المحبة ارفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو من الاشكال والجواب ان القائل انما فضله بمجموع ما ذكر في الحديث (واحتج) هذا القائل لمدعاه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث رواه البخاري (لو كنت متخذا خليلا غير ربي لم يتخذه) اى غير الله خليلا (وقد اطلق المحبة) اى وصفه بمحبته غير ربه والجملة حالية (لفاطمة) الزهراء ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق باطلق (وابنيها) الحسن والحسين (واسامة) ابن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغيرهم) كابي بكر وعمر وعايشة رضي الله تعالى عنهم وقد ورد هذا كله مصرحا به في احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله تعالى لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس في قلبه وذكره غيره وانها مأخوذة من حبة القلب كما قلت

* قد تملكت حبة القلب مني * واذا سمي الحبيب حبيبا *

فلا ينافي كونه يحب فلانا لانها المطلق الميل و بهذا سقط الاحتجاج بما ذكر ومرآتي
مايؤيده (وا كثرهم) اي اكثر العلماء وارباب القلوب (جعل المحبة ارفع) درجة
وافضل (من الخلة لان درجة الحبيب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من
الحبيب اوعطف بيان (ارفع من درجة الخليل ابراهيم) فيقتضي ان صفته وهي
المحبة افضل من صفته وهي الخلة وفيه انه لايقتضي ذلك لان تفضيل الذات على
الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لاسيما اذا قلنا ان الخلة هي المحبة او
غايتها (واصل المحبة) الوضعي الحقيقي (الميل الى مايوافق المحب) بضم وفتح الحاء
بمعنى المحبوب يقال حبه واحبه بمعنى الا انهم اخذوا اسم الفاعل في اكثر استعمالهم
من المزيد فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثي فقالوا محبوب وحبيب وقالوا في
غير الاكثر حاب ومحب بالفتح كقول عنترة في معلقته * مني بمنزلة المحب المكرم *
فراعوا كلامهما و المراد بما يوافقه ما يرتضيه و يميل اليه فيحب كل مايحبه
ويتبعه ويترك لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال (ولكن هذا)
المعنى يكون (في حق من يصح الميل) القلبي (منه) اي المحب لا المحبوب والعكس
جائز وجزم به بعضهم (و لانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء قبل
القاف اي الموافق فسمي الفاعل بالمصدر او هو على اصله بمعنى الموافقة بين
الشيئين وهذا الاخير خير (وهو درجة المخلوق) وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل
القلبي ممن يصح منه او اشار باعتبار الخبر فيرجع للمثل والدرجة مجازا عن الصفة
(واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاعراض) بعين معجمة وراء مهملة وضاد
معجمة على ما تقدم فالميل بمعنى ترجيح شيء وتقديمه على غيره لفائدة عرض وعلة
للفعل لايجوز على الله ولذا ذهب اكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لاتعلل
بالاعراض لانه يقتضي استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه اما بمعنى الثمرات والفوائد
المترتبة على الفعل فلايضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على
خلافه والاستكمال عنده غير مسلم وقد بسط الكلام عليه في غير هذا الكتاب وفي
نسخة الاعراض بعين مهملة وليس جمع عرض بمعنى مرض و برئه كما قيل بل
بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفي نسخة الاعتراض ولامناسبة لها
ه الا بتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لاتليق برب العزة (فمحبته) اي الله (لعبده
تمكينه من سعادته) اي اقداره على مايفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته
(وعصمته) من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة والعصمة
هنا بمعنى الحفظ (وتوفيقه) في اموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره ايضا
(وتهيئة اسباب القرب) تهيئة بزنة تكرمة بياء مثناة تحتية بعد الهاء وهمزة وهذا
تأنيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول اي يسره لله كل سبب

يتقرب به الى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها (وافاضة رحمته عليه) اى ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية اليه والاكثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء واثبت الاضافة بمعنى الصب تكثرة على طريقة المكنية والتخييلية (وقصواها) بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى من اقصاه اذا ابعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بما ذكر وما بعده وذكر الغاية لان صفاته تعالى التى لا تليق به توحد باعتبار غايتها غاية اعد (كشف الحجب) بضمتين جمع حجاب اى ازالة الموانع (عن قلبه) كالشهوات الدنيوية (حتى يراه بقلبه) اى يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة (و ينظر اليه ببصيرته) وهى قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه (فيكون كما قال) اى الله تعالى او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الناقل له (في الحديث) القدسى رواه البخارى (فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وهو حديث قدسى طويل ومعناه اذا صفى قلبه وشغل نفسه بالله احبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته واطفه به وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فتكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة فيقويه على ذلك حتى يكون كان افعالها صادرة عن الله والى هذا اشار المصنف بقوله (ولا ينبغى ان يفهم) بالبناء للمجهول اى لا يفهم احد (من هذا) الحديث والكلام (سوى التجرد الى الله) اى تجريد افعاله واحساسه عما يشغله عن الله (والانقطاع الى الله) بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره (والاعراض عن غير الله) حتى يصير مراقبا له فى جميع احواله (وصفاء القلب لله) بحيث لا يكون فى فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام ودنس الخلق (واخلاص الحركات لله) بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا عبادته او لما يعين عليها (كما قالت عائشة رضى الله عنها) كما تقدم (كان خلقه القرآن) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها على وفق ما امر به فى القرآن فجعلت القرآن عين خلقه مبالغة والى هذا يشير قولها (برضاه يرضى) اى رضى ويحب ما ذكر فى القرآن انه فعل مرضى لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به ما يصيره قربة (ويسخطه) بفتحتين وضم وسكون (يسخط) اى يكره ما ذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للحصر فلا يرضى الا ما يرضاه ولا يكره الا ما اباه والحاصل علم مما ذكر ان اخلاقه صلى الله عليه وسلم الطبيعية انمحت وذهبت لما اشرق قلبه الشريف فلم يبق له ارادة لغير ما يريده الله ولا رضا لغير ما يرضاه ولا يخفى ارتباط هذا بما قبله من قوله كنت سمعه وبصره فاعرفه (ومن هذا) اشارة الى ما سبق فى اول كلامه من معنى الخلة قبل ذكر الخلاف فيها ومأخذ اشتقاقها عبر بعضهم عن الخلة بقوله

* قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا *
* فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا *

وفي رواية كنت الدخيلا يعني ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل كانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح المجسمة السارية في البدن سريانا مسرى ماء الورد في الورد بناء على ان احد الاقوال فيها الا على انها مجردة خارجة عنه ومتصلة او بناء على انها لطيفة نورانية في احد طاقتي القلب انها الحياة و لاحساس ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المتضمن معنى دخلت اسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته في مسالك روحه او في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر ثم فرع على انه انس في روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وحليله واذا سكت لم يكن في فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين النبات اذا جرى تحته مستترا وكذا المراد بالدخيل ماهو داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول السكاكي لبس الدخيل كالناشي هذا ما قصده الشاعر واشار اليه المصنف وان كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هنا وليس المراد بالغليل حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري لك مضرما جوانح قلبي عطشا لعدم ذكرك فان اراحة النعم واراحة النفس بذكر الاحبة وما زائدة في الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب قوله في الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك في قلبي كما يكتم الحقد والضغائن فالمراد بالغليل الحقد والضغائن ولا يستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لا ينبغي ذكره (فاذن) تفريع لجواب سؤال متفرع على ما سبق (مزية الخلة) اي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يسمع له فعل وتقدم انه يرده قوله في الاساس تميزت عليه اذا زدت في الفضل عليه (وخصوصية المحبة) الخاء ضمها بمعنى اختصاصها وعبر في الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان يشارك فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والخليل عليه الصلوة والسلام فهي مختصة بنبينا باعتبار معنى زائد فيها لاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا وان لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى * فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه * الا ان هذه غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خليلا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله لحديث المتقدم ولو كنت متخذا خليلا غير ربي وبهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية (خاصة بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة خالصة اي مختصة وكان الظاهر ان يقول

حاصلتان لكنه افرد لجعلهما كالشيء الواحد (بما دلت عليه الآثار الصحيحة) الباء للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز ان يكون سببية والمراد بالآثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي الى آخره وقوله الا وانا حبيب الله وقوله (المشهورة) اى الشايعة المشهورة (المتلقاة بالقبول من الامة) ذكر شهرتها والقبول لها مؤيدا لاختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القرآن فقال (وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية) الباء زائدة في فاعل كفى او للتعدية وكفى بمعنى اكتف كما هو مشهور ووجه الدلالة في هذه الآية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقرب تقربا لا يدانيه احد فيه فعلم منه خلته وحبه ولذا قال المصنف وكفى الى آخره ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرائع وتصديقه وذلك محبوب لله واعايد له لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول (حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد) بقوله لما اتبعوني يحببكم الله (ان نتخذه حنانا) بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والاشفاق مأخوذ من الحنين وهو يكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة اى نترك ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه (كما اتخذت النصارى عيسى) ابن مريم عليه الصلوة والسلام حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته الى الله تعالى (فانزل الله تعالى غيظا لهم) مفعول له اى انزل الله ليغيظهم ويعلمهم بغضه عليهم فان الغيظ الغضب على الفاجر (ورغما على مقالتهم) بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل والخزى والاساءة بما يكره واصله كل من لصق بالرغام ولذا يقال رغم انفه وعلى رغم انفه وضمنه معنى التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمآل انه اذله بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه وقوله (هذه الآية) مفعول انزل (قل اطيعوا الله والرسول) ثم بعد ما تبين سبب النزول من انكارهم جعل اتباعه سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله تعالى ذكر الآية وانها ابلغ من الاولى واشد لان الاولى لا تقتضي لزوم اتباعه فانه يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضي الوجوب واقترانها بطاعته يدل على تأكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله (فزاده شرفا بامرهم بطاعته) وايجابها عليهم (وقرنها بطاعته) اى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة في تشريفه والاتباع وان كان عين الطاعة ولازمها فليس هو امر وايجاب ومن عمل عنه قال هما سواء الا ان هذا فيه التصريح بالطاعة (ثم توعدهم على التولى عنه) بالاعراض عن طاعته وهو عدمها (بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) كان الظاهر

ان يقال فان الله لايحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذى هو علة للحكم فكانه قال لايحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق اوللعهد فهذه الآية اصرح وادل على وجوب طاعته وعلو مرتبته صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء كعيسى عليه والسلام (ونقل الامام ابو بكر ابن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول) هذه الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استأنف فقال (جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكرمنه) اى من كلام ابن فورك (طرفا) مفتحتين اى بعضا قليلا (يهدى) اى يدل (على ما بعده) اى باقيه فالبعدية غير مرادة لانه مجاز (فمن ذلك قولهم) اى قول المتكلمين الذى نقله ابن فورك عنهم (الخليل يصل) الى من خالله (بالواسطة) اى بتوسط آخر بينه وبين خليله كما بينه قوله يصل به الآتى ثم بين ان هذا المعنى مأخوذ (من قوله) عزوجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فوصل لمعرفة الله بواسطة ماراه من ايات ملكوته التى اوصلته لمعرفته (والحبيب يصل لحبيبه به) اى هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا مأخوذ (من قوله فكان قاب قوسين اوادنى) فاراه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان المصنف رحمه الله تعالى ناقلا له والعهدة فيما نقله على قائله الا ان هذا غير ظاهر لانه ان اراد بالوصول الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالآية لامناسبة لها بماذكر وان اراد الوصول الى معرفة الله ومشاهدته وكذلك ثم انه لايتم الفرق لانه ان اراد بين مفهوم المحبة والخلة فاذكر لايدل عليه بل ليس بصحيح وان اراد بين ذاتى من قامابه فلايفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبنى على القول بان ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبياء مطلقا او قبل البلوغ مع ان المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب والجمادات فهذا كلام غيرمنقح (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته) اى مغفرة الله له ماقد يصدر عنه محتاجا لعفوه عنه (فى حد الطمع) اى واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها لان الخليل لايؤاخذ خليله بزلاته واصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة له والمقتضية لتحققه (من قوله والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى يوم الدين) اى قول ابراهيم عليه الصلوة والسلام فى قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم (والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين) اى متيقنة وهذا مأخوذ (من قوله) اى قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر) اى كل ماصدر عنك ومالم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يقتضى نقصا وفى الاية اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصدر

منه اذ سوى المتقدم بالمتأخر فى عدم الوقوع ولذا سر صلى الله تعالى عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه من الحديبية وقال نزلت على آية احب الى مما على وجه الارض والكلام على الآية مبسوطة فى التفسير وقد تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال (والخليل قال ولاتخزنى يوم يبعثون) اى لاتفضحنى ولا تعذبنى فى يوم القيامة وقد قيل انه ورد فى الحديث ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام اذا رأى اباه فى المحشر يقول يارب وعدتنى ان لاتخزنى فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع مبين فيقال له انظر لما تحت قدميك فيراه فينكره ويلقى فى النار فحول الله صورته حتى لايعرفه الناس حين يلقى فى النار فيفتضح بين امته قيل ومنه يعلم ان ابوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسا فى النار وفيه ماسيأتى (والحبيب) اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يوم لايخزى الله النبى فابتدئ بالبشارة) بنفى الخزى عنه برؤية مايكره (قبل السؤال) لذلك كما سأله غيره منهم والخزى لبس هو العذاب كما فى قوله تعالى * ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته * وانما هو الفضاحة بكل مولم له اولامته كالعتاب فلايقال ان الله امنه من غضبه وعذابه فما فائدة البشارة بعد هذا ثم ذكر فرقا (والخليل قال فى المحنة) هى الامتحان بمعنى الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين القاه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال (حسبى الله) اى هو كاف لى فى جميع امورى (والحبيب) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له ياايها النبى حسبك الله) يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فتكون كفايته له محققة مقررة بخلاف الاول كما ستسمعه قريبا (والخليل قال واجعل لى لسان صدق) اى ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الالة عما يصدر منها مجازا (فى الآخرين) اى فى الامم الآتين من بعدى الى يوم القيامة فهو طلب ودعاء واجابة الله لها من ان الامة الاوهى تثنى عليه وتحبه (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) اى جعلناه عاليا شريفا لما تضمنه من الثناء مقرونا باسم الله فى الصلاة والخطبة والاذان وغيرها (اعطى) الحبيب (بلاسؤال) منه وهذا بيان لمزية الحبيب كما نبهناك عليه اولا (والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام) اجنبنى بمعنى نحنى بعدنى بعدا حسيا ومعنويا بان لايصدر منهم ذلك وقد اجاب الله تعالى دعاءه لان المراد بنواصلبه وفيهم انبياء عصمهم الله تعالى واتقياء حفظهم (والحبيب قيل له) اى قال الله تعالى له (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) هو كل مستقذر حسا اوطبعا اوعقلا اوشرعا اى الله كرمكم بان حفظكم من الذنوب ومايدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه احصر اشارة الى انه قضى لهم بذلك فى الازل وفى عالم الارواح والذر (اهل البيت) منصوب على المدح اوالنداء اوالمراد اهل بيت النبوة فيشمل اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجاته واتباعه واقاربه ولايختص ذلك بعلى وفاطمة والحسنين كما زعمته الشيعة وهذا

ابلغ مما فى حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفى عبادة الاصنام وهذا عام فى كل ذنب ونقص وذاك خاص بنفيه وهذا شامل لكل من شمله بيته كما سمعته آنفا ومبالغته فى تطهيره بقوله * ويطهركم تطهيرا * ولايخفى ان كل مانقله ابن فورك انما يدل على شرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة علو رتبته على غيره ولاعلاقة له بنفس المحبة الخلة لاسيما الآيات لم يذكر فيها عنوان لفظ الحبيب (وقد ذكرناه) من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف فى ايهما ارفع درجة (تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال) المقصد مصدر ميمى بمعنى القصد اوهو بمعنى المقصود لان مفعل يأتى مفعول كمركب وان كان نادرا اوهو مجاز من المصدر او من اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة اصلية (من تفصيل المقامات والاحوال) بيان للمقصد والمقامات بفتح الميم جمع مقام وهو محل القيام وبضمها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لان المراد به ما لايعقل كحمامات وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه العارف بالله تعالى من الانبياء والاولياء يرتفع به من حضيض البشرية فى درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى ومايطرق عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قلنا والظاهر ان المراد بقوله السابق مما ذكرناه ماخصه من كلام ابن فورك هو جواب عما تقدم من ان هذا لايدل على بيان الخلة والمحبة الذى هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود بيان تفاوت وصفهما فيرجع ما قاله الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح (وكل يعمل على شاكلته) اى لكل احد طريقة يختارها والمشاكلة فى الآية التى اقتبس منها المصنف وهى قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته وهى كما قال الراغب مأخوذة من الشكال وهو قيد يقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اى الله يعلم من طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان الخلاف السابق فى تفضيل الخلة والمحبة مبنى على امور ينظر اليها كل من الفريقين فكأنه لم يجزم باحدهما لان الخلاف كاللفظى وقد قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلوة والسلام فى حد ذاته من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية وقد علمت ما فيه وقد قدمنا لك مايغنى عنه ﴿ فصل فى تفضيله ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم برفعة مقامه على غيره (بالشفاعة) ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة العظمى فى المحشر التى يخلص الله بها اهله من هوله وكربه فقوله (والمقام المحمود) عطف تفسير والافهو من عطف الخاص على العام والمحمود كل

مقام يتضمن كرامة محمد ولكنه خص هنا بفرد معين من افراده اختلف فيه كما قاله
البرهان نقلا عن القرطبي على ستة اقوال فقيل هي الشفاعة العامة السالفة وقيل
اعطاؤه لواء الحمد وهو لا ينافي ما قبله وقيل هو ان يجلس صلى الله عليه وسلم مع الله
على الكرسي وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ويأتي ما فيه ومنهم من اوله وقيل
هو شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخراج بعض اهل النار منها وقيل هو شفاعته
رابع اربعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلوة والسلام ثم يقوم ابراهيم
ثم يقوم موسى او عيسى عليهم الصلوة والسلام ثم يقوم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فيشفع ولا يشفع احد بعده في اكثر مما يشفع وبه فسرت الآية وقيل هو مقام يكون
اقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع الا انها
عند اهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وعند المعتزلة
لزيادة الثواب لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا
على ظاهره او اسناد مجازي اي صاحبه محمودا (قال الله تبارك وتعالى عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا) استشهد بالآية على ما قاله وقد علمت ما فسر به المقام المحمود
ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف اي يقيمك مقاما او بتضمين يبعث معناه
او حال بتقدير اي ذا مقام واما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم
مع الله على العرش والكرسي وقال الواحدي رحمه الله تعالى انه قول فاسد مبني على
التجسيم وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده
فكيف يفسر به وايضا هو يقتضي التحديد والتناهي المستلزم للحدوث وايضا انه
قال مقاما ولو كان كذلك لقال مقعدا ومثله لا يدل عليه البعث ورد هذا بانه رواه
احمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله الرحمن على العرش استوى وقد صححه
الدارقطني وقال ردا على منكره واجاد في ذلك رحمه الله تعالى رحمة واسعة

* حديث الشفاعة عن احمد * الى احمد المصطفى نسنده *
* وقد جاء الحديث باقعاده * على العرش ايضا ولا نجحده *
* امروا الحديث على وجهه * ولا تدخلوا فيه ما يفسده *
* ولا تنكروا انه قاعد * ولا تنكروا انه يقعده *

فجلوسه صلى الله عليه وسلم لا مانع منه واما نسبة ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد
ظاهره بل هو وامثاله مأولة وهي كثيرة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب
النحو فمعناها الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر
ومن الله قالوا انه ايجاب اي جزم بوقوعه اذ الله لا يجب عليه شيء كما تقرر في الكلام (حدثنا)
وفي نسخة اخبرنا (الشيخ ابو علي الغساني الجياني) شيخ المصنف وغسان اسم ماء في الاصل
سمي به قبيلة من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية بوزن
شداد بلدة بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان رحمهما الله تعالى (فيما كتب الي بخطه)

اشارة الى ان هذا الاخبار ليس بالمشافهة اى اخبارا كائنا فى ضمن امور اخر واحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين واهل الاصول كالسمعانى وصاحب المحصول ووقع ذلك فى الصحيحين سواء كاتبه حاضرا او غائبا بشرط ان يعرف خطه قال (حدثنا سراج بن عبد الله القاضى) السابق ذكره وترجمته قال (حدثنا ابو محمد الاصيلى) الذى تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال (حدثنا ابو زيد) المروزى وقد تقدمت (وابو احمد) محمد بن محمد بن يوسف بن مكى الجرجانى (قالا حدثنا محمد بن يوسف) الفربرى السابق ترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام السنة صاحب الصحيح البخارى وقد تقدم قال (حدثنا اسمعيل بن ابان) ابو اسحق الوراق الازدى الكوفى وابان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول تردد فى صرفه وعدم صرفه بعضهم واجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فيتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضى ابان يبين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح وقال الفرقى تحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله ابن يعيش عن الجمهور بناء على ان وزنه افعل بمعنى اوضح فاعل على خلاف القياس وبقى على صله واندفع قول الدمامينى لو كان كذلك وجب تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفى لا يعل وفى شرح مسلم انه يجوز فيه الصرف وعدمه والصحيح صرفه كما فى جامع اللغة ونحوه جزم ابن السيد (قوله عدم صرفه تعسف وقد ثبتت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول ابى عطاء الحماسى

* اتعرف مسجدا لبنى تميم * فويق الميل دون بنى ابان *

(وقال مهلهل)

*طهنى نفسى على عدى ولم * اعرف عديا اذ تمكن فى البدان*

*ظل من ظن فى الحروب ولم * اعرف قتيلا اباؤه من ابان *

الى غير ذلك مما لا يحصى فلا وجه للتردد فيه ولذا قال بعض ائمة المعتمد لم يصرف ابان فهو اتان وهو ما تغة توفى سنة ست عشرة ومأتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ابو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام ابن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفى سنة مائة وتسعة وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضالة والصحيح الاول (عن آدم بن على) العجلى الثقة التابعى يروى عن ابن عمر وغيره (قال سمعت ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (يقول) حال او مفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه (ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى) هذا الحديث رواه البخارى فى التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من اهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابى آخر لا يضر لان مرسل

الصحابي مقبول اقول هذا مما قاله اهل الاصول وقاله الائمة في مصطلح الحديث وفيه
بحث لانه يجوز ان يكون الصحابي ممن قرأ الكتب القديمة او يكون استنبطه من
كتاب او سنة فينبغي تقييده بما ذكر (جثى) بضم الجيم مقصور منون وجوز كسر جيمه
ايضا جمع جثوة مثلث الاول واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى
الجماعة اي يجتمعون جماعات كل امة جماعة تابعة لنبيها كما ذكره وروى البرهان
عن الحافظ العراقي جثاء بضم الجيم والمد وانه كذا صحح في نسخ البخاري وصححه
الهروي وابن الاثير وروى جثي بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد الياء جمع جاث
وهو البارك على ركبتيه وقيده بعضهم بان يجلس كذلك للخصومة وانشدوا (قوله)

* اخاصمهم مدة قائما * واجثو اذا ما جثوا للركب *

ولا شاهد فيه وهذا على خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعل
لا يجمع على فعل كما قيل (كل امة تتبع نبيها يقولون) حال من فاعل يقول اي تكون
معه تابعة له بانضمامها اليه (يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا) اي تنادي كل امة نبيها
باسمه يسئلونه ان يشفع لهم عند ربهم في الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم
بانه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم مثله (حتى
تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي حتى تنتهي الامم وسؤالهم
لواحد بعد واحد تكون غايته ان يلتجؤا له صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيبهم
ويشفع لهم وتقبل شفاعته وفي الحديث طي لجمل علمت من السياق ومن احاديث اخر
صرح فيها بذلك ومعنى تنتهي تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامير قصتي وهذه هي
الشفاعة العظمى وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر (فذلك)
اي ما ذكر من الشفاعة وما معها (يوم يبعثه الله) (المقام المحمود) اي كائن في ذلك اليوم
بنصب يوم على الظرفية فان رفع يجعل القصة المختصة به كانها عين شفاعة ويجوزا
جاز (وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله عليه السلام) اي عن الآية
المذكورة كما اشار اليه بقوله (يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وضمير يعني
راجع لابي هريرة وهذا الحديث رواه احمد والبيهقي (فقال) اي رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم جوابا عن السؤال (هي الشفاعة) العظمى الواقعة لفصل القضاء
وقيل لاخراج المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضمير هي راجع للشفاعة
كقولك هي الحياة او للمقام وانث رعاية للخبر او للآية بالتجوز على ان المراد المعنى
المقصود منها وقيل المراد انها هي الشفاعة في اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو
تكلف جدا (وروى كعب ابن مالك) الانصاري الصحابي احد الثلاثة الذين
تخلفوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وتاب الله عليهم
بنص القرآن وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل مسندا (عنه عليه الصلوة والسلام)

انه قال (يحشر الناس يوم القيامة) بعد الخروج من القبور اى يجتمعون للحساب
(فاكون انا وامتى على تل) بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب او رمل
ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفى القاموس التل من التراب والكوم
من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود او تسامح وفيه اشارة الى اعلى
مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام امته واللطف بهم فى تخليصهم من زحام الموقف
ومشقته (فيكسونى ربى حلة خضراء) وفيه استيناس لما يلبسه الاشراف الآن من
العمامة الخضراء وان كان ذلك مما حدث فى زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم
عن غيرهم وان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه فى
محله والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين احدهما فوق
الآخر او ثوب واحد له بطانة وسمى بذلك لان كلا منهما يحل على الآخر او لكونهما
جديدين كما حل طيهما ثم شاع فى مطلق الكسوة المبسة وكسوته صلى الله تعالى
عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى زمن كما سيأتى
التصريح به فى الحديث وليس فيه تفضيل له عليه لان حلته صلى الله تعالى عليه
وسلم اعلى واحسن وانما قدم جزاء لما فعله به نمرود حين عراه ليلقيه فى النار ورعاية له
لانه ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه جده وزمنه اسبق وسنه ازيد (ثم يؤذن لى)
بالبناء للمجهول من الاذن اى يأذن الله لى فى التكلم بين يديه والشفاعة لاهل المحشر
اجمعين فيقال له قل واشفع تشفع كما مر (فاقول ما شاء الله ان اقول) من حمد الله
بمحامد لائقة والشفاعة العظمى (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافى تفسيره
بالشفاعة العظمى كما قال المحب الطبرى وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من اول
الحديث الى آخره (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث ساقه (وذكر
حديث الشفاعة) معطوف على مقدر وقوله (قال فيمشى) يعنى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بدل من قوله ذكر (حتى يأخذ بحلقة) باب (الجنة) وفى
رواية قال فامشى حتى آخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها وانكره
بعض اهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه (فيومئذ) اى يوم اذ مشى
صلى الله تعالى عليه وسلم واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الوقت
(يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) به فى القرآن فى قوله عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلائق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون
والآخرون فلذا سمى بذلك ووعده مبنى للمجهول ومفعوله الاول عائد على المقام
ويجوز بناؤه للفاعل ايضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمة واخذه بحلقة باب الجنة
وهو معلق ليفتحه فيدخلها من هو معه واحد امدون له على هذا المسلمون واهل الجنة
لان من عداهم الى فى النار فهذا تفسير آخر فتأمله (وعن ابن مسعود) رضى الله

تعالى عنه (عنه عليه الصلوة والسلام انه) اى المقام المحمود الموعود به (قيامه عن يمين العرش مقاما لايقومه غيره) ظاهره ان المقام هو القيام نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذى قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد اقامته ومكثه فى ذلك المقام فلا ينافى مامر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش (يغبطه فيه الاولون والآخرون) اى جميع الامم والناس والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هى تمنى المرء ان ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم وكل امر محمود من غير ان يحب زوالها فان احب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمنى الامر المحمود مطلقا فهو اعم من الغبطة ومنه ما يذم ويحمد والمشهور الاول ويغبط بزنة يضرب وفى نسخة بزنة والنا ظرفية اوسببية والغبطة لا ضرر فيها وقد تكون جيدة وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط انتهى وفى النهاية الاثيرية ان الغبط لا يضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير وا ثم ينقص ثوابه كما يلحق العضاة بخبط ورقها والذى يظهر لى انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما اراد انه لاضرر فيه على الغابط فى امر محمود تمناه من غير تمنى زواله بل ربما يناله مع جده فى تحصيل مثله اوليله شيئا من صاحبه فهو على حد قوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب (ونحوه) اى مثله معنى مروى (عن كعب) هو كعب الاحبار (والحسن) البصرى (وفى رواية هو) اى المقام المحمود (الذى اشفع لامتى فيه) فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر الناس وهو احد الاقوال فى تفسيره كما مر وما فى الشرح الجديد من عود الضمير لقيامه على يمين العرش وان المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى فى فصل القضاء وهى وان لم تكن خاصة بامتى فهم المقصودون بالذات منها تعسف لاحاجة اليه (وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه احمد فى مسنده (انى لقائم المقام المحمود) بكسر همزة ان لوقوعها فى ابتداء كلام مستأنف وقيل انه جواب قسم مقدر اى والله انى لقائم وفيه بيان انه يجوز القسم فى الامر العظيم ولذا اكد بان والاسمية وفيه نظر والمقام منصوب على الظرفية او المصدرية (قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى عن كرسيه) وفى نسخة على كرسيه (الحديث) اى اذكر او انظر تمامه وهو كما رواه احمد رحمه الله قيل له ما المقام المحمود قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به وهو كسعة ما بين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه الصلوة والسلام فيقول الله عز وجل اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره ثم اقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى

فيه الاولون والآخرون وقد علمت ان هذا الحديث من المتشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المصنف رحمه الله تعالى وهو تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل القضاء واجراء حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر في امورهم ويقرب من ساءهم والكرسي غير العرش كما مر والحديث في المصابيح والكلام عليه مفصل في شروحه (وعن ابي موسى) عبد الله ابن قيس الاشعري الصحابي المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجة في سننه رواية (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت) اي خيرني الله بين احد امرين (بين ان يدخل) بالبناء للفاعل او المفعول (نصف امتي الجنة) اي امة الاجابة لا الدعوة (وبين الشفاعة) لبعض المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى في فصل القضاء (فاخترت الشفاعة) على دخول نصف امتي الجنة بين وجه اختياره بقوله (لانها) اي الشفاعة (اعم) اي اشمل واكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن انكرها من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى * ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * لان المراد بالظالمين الكفرة فان الشرك ظلم عظيم (اترونها) بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والضمير للشفاعة اي اتظنون الشفاعة خاصة (للمتقين) جمع متق بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفي نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخي وردوا على من رواه المنقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف وكذا في اصلنا لسنن ابن ماجة وهو اصل صحيح وكتب على هامشه لعق وعليها صحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث روايات والمتقين من التقى قال المزي وحسن هذه الرواية انه روى (ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين) فقابلته بالمتلوثين بمثلثة وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة في اوله ومثلثة في آخره والتلوث التلطخ بالاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو الكثير الخطاء وروى الترمذي شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وقيل المنقى بالنون عام لانه يجوز ان يكون منقى بالتوبة والمتقي اخص وفيه نظر (وعن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي (قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة) بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان واقتصر عليه وروى ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز ان يكون اسم اشارة والرد الجواب وورد بمعنى جاء اي ما اجابك به الله او الملك لما سألته الشفاعة في امتك (فقال

شفاعتي) هو فاعل مرفوع تقديرا اى جعلت اوردعلى ان اشفع (لمن يشهد ان لا اله الا الله) اى لمن اقر بوحدانية الله تعالى ولم يقل وانى رسول الله اكتفاء باحد جزئى كلمة الشهادة للعلم بانه لا بد من الاتيان بهما فى صحة الاسلام (مخلصا) حال من الموصول اى غير مشوبة شهادته بشك اوشرك (يصدق لسانه) بالنصب على المفعولية وقوله (قلبه) مرفوع فاعله ويجوز عكسه اى يطابق اعتقاده لما يطق به (وعن ام حبيبة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه الحاكم والبيهقى وهى ام المؤمنين بنت ابى سفيان ابى حرب اخت معاوية رضى الله تعالى عنهم واسمها رملة على الصحيح وقيل هند وهى من السابقات الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة اربع واربعين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اريت) بضم الهمزة والباء للمجهول اى اعلمنى الله واخبرنى بواسطة الملك (ماتلقى امتى من بعدى) اى اريت مااطلعت به على مايرونها فرأى علية وقيل انه من باب الكشف عما سيكون بتوقيف من الله له صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة وليس من الرؤية البصرية (وسفك بعضهم دماء بعض) منصوب معطوف على ماتلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله قيل اراه ذلك وحيا اومشافهة اوالهاما لمايقع بينهم من الحروب والفتن التى يقع فيها القتل واراقة الدماء (وسبق لهم من الله ماسبق للامم قبلهم) ماض معطوف على ما فى صلة الموصوف اى اريت واعلمت بماسبق لامتى مماقدره الله تعالى عليهم واراده لهم فوقع على وفق ارادته فى الازل وعلمه القديم (وسألت الله تعالى ان يؤتينى فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل) اى اعطاه الله تعالى ماسأله فشفعه فى المذنبين منهم (وقال حذيفة) بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابى رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث موقوف عليه رواه البيهقى والنسائى (يجمع الله الناس فى صعيد واحد) اى فى مكان يجتمعون فيه غير متفرقين واصل معنى الصعيد التراب فاريد به هنا ارض المحشر وقيل هو تربة ليس فيها رمل ولا سبخ يوم تبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس اوالمراد الانس واقتصر على الاشرف فلايرد ان الجن والبهائم تحشر معهم ايضا (حيث يسمعهم الداعى) صوته ونداءه كما قال تعالى * ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون * ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبنى على الضم (وينفذهم البصر) بفتح الياء المثناة التحتية وروى بضمها وكسر الفاء وعلى الاول هى مضمومة والمراد بصر الرائى اى يراهم دفعة واحدة وليس المراد بصر الله كما قاله ابو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويجاوزهم لانهم فى ارض مستوية لا عوج ولا سبخ فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح ايضا لانه لاحاطته

بهم وتجاوزه كانه يخرقهم فلاوجه للرد مع صحة الرواية (حفاة عراة) منصوبان على الحالية وحفاة جمع حافى وهو الذى لانعل له ولاخف وقيل جمع حفى وهو الذى رق جلد قدميه وعراة جمع عارى وقيل جمع عريان وهو قليل فى الاستعمال وهو الذى لاثوب له ولالباس يستره ويعارضه ماروى فى الحديث الصحيح ان اباسعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها وعن معاذ بن جبل ايضا رضى الله تعالى عنه احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء وثيابهم التى قتلوا فيها والحديث وارد فيهم وابوسعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر من عليهم فى المحشر وقيل المراد بثيابهم اعمالهم كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير ولايخفى مافى هذا من الضعف فليحرر (كما خلقوا) حال اى كائنين على حال خلقهم الاول من غير نقص شئ من اجزائهم كما ورد غرلا فشبه حال اعادتهم بحال اخراجهم من العدم كما قال كما بدأكم تعودون وما كافة اومصدرية (سكوتا) جمع ساكت حال من الناس او من ضمير خلقوا (لا تكلم) اصله تتكلم فخفف (نفس الا باذنه) فلايتكلمون الامن اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او الثانى مخصوص بدوى الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما وبهذا يجاب ايضا عن قوله واقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقوله يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (فينادى) بالبناء للمجهول (محمد) بالتنوين نائب الفاعل اوهو غير منون مبنى على الضم والنداء بمعناه الظاهر اى يقال له يامحمد فحذف حرف النداء وعلى الاول ينادى بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين حسن وفى نسخة فينادى يامحمد (فيقول لبيك وسعديك) منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر فى الاستعمال من التلبية وهى اجابة المنادى من الب بالمكان اذا اقام ولايستعملان الابصيغة التثنية والمراد بها مجرد التكرير ولومرات عديدة اى اجبتك اجابة بعد اجابة واساعدك مساعدة لك وانا مقيم على ذلك لا انصرف عنه (والخير فى يديك والشر ليس اليك) اى مقصيك بالفرض وصادر عنك بالتبع لان بعض مايتضمن الخير الكثير يستلزم شرا قليلا فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شرا لايصدر عنه وهو المنزه عن الفحشاء ولايجرى فى ملكه الاماشاء والى هذا اشار القاضى فى تفسيره والمعتزلة قدروا فى مثله والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب الى بعض طلبة الملوك ببعض القبائح

قاله القرافى فى قواعده او المعنى لا يضاف اليك تأدبا و قيل المعنى لا يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله يدى بالسكون لقولهم فى جمعه ايد وقيل يدى بالفتح لقولهم فى تثنيته يدان واستعير للنعمة وللملك والتصرف و القدرة و القوة والنصرة واذا اضيف الى الله تعالى يراد به المعنى المجازى لتنزهه عن الجارحة و ثنى هنا وفى قوله تعالى * لما خلقت بيدى * اشارة الى زيادة تصرفه فيه و اختصاصه به و جعل الخير مستقر فيهما ترشيحا للاستعارة والاحسن انه يقال انه اشارة لما مر ان وجهى تصرفه فى الموجودات بالخير والشر خير ذلك كله فتدبر (والمهتدى من هديت) اى الموفق للهداية من خلقته مهتد يا او وفقته لطاعتك و تعريف الطرفين يفيد الحصر اى لا مهتدى الا من هديته (وعبدك بين يديك) اراد به نفسه الشريفة اى انه صلى الله تعالى عليه و سلم حاضر لديه واقف فى مقام الذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من الجهتين المسامتين ليدى الانسان واستعير لذلك (ولك واليك) اى امره كله لك فانه عبدك وامره موكول اليك (لا ملجأ) بالهمز والقصر للازدواج اى لا يلتجئ ولا يستند لاحد سواك (ولا منجا) بلا همز او به للازدواج اى لا ينجيه ولا يخلصه احد (منك) اى هو عبدك ومصيره اليك (الا اليك) ولبس باتباع ولا لف ونشر كما قيل (تباركت وتعاليت) اى كثر خيرك وزاد عن كل شئ وعلا قدرك فى ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل فى التفسير (سبحانك) اى تنزهت (رب البيت) بالرفع خبر مبتدأ مقدر وبالنصب على النداء اى يارب البيت والمراد به الكعبة او البيت المعمور فى السماء ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف الحج اليه المشابه جمع الخلائق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة (قال) اى النبى عليه السلام لانه معلوم من السياق او حذيفة راويه وهو فى حكم المرفوع (فذلك) اى المقام الذى جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة (هو المقام المحمود الذى ذكره الله) فى القرآن فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا دخل اهل النار النار) قدمه ترهيبا و ترغيبا فى تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النقمة وقع فى النفس (واهل الجنة الجنة) بجر الاول ونصب الثانى اى ودخل اهل الجنة الجنة و المراد غالب اهل النار وغالب اهل الجنة بدليل قوله (فتبقى آخر زمرة من الجنة) اى من اهل الجنة (وآخر زمرة من النار) اى من اهل النار و الزمرة الجماعة لقليلة ومنه شاة زمرة اى قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة او من الزمر وهو الصوت لانها لا تخلو عنه (فتقول زمرة النار) اى الزمرة الباقية من اهل النار (لزمرة الجنة) اى للزمرة الباقية من اهل الجنة الذين لم يؤذن لهم فى دخولها (ما نفعكم ايمانكم) ما استفهامية

اسكارية او نافية حربية اى لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيئا لانهم بجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لايدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها (فيدعون ربهم) الضمير للزمرة المتخلفة من اهل الجنة (ويضجون) اى يصيحون ويرفعون اصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير اهل النار لهم واصل الضجيج رفع الصوت والصياح من الفزع للحوق المكروه والصيحة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا (فيسمعهم اهل الجنة) اى يسمعون صياحهم واستغاثتهم بربهم لأن يأذن لهم فى دخول الجنة (فيسألون آدم) ان يشفع لهم فى دخول الجنة (وغيره بعده) اى يسألون بعد آدم غيره الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلوة والسلام (فى الشفاعة لهم فكل يعتذر) لهم بانه لايقدر على الشفاعة ولم يؤذن له كما مر تفصيله (حتى يأتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل (فيشفع لهم فذلك المقام المحمود) الذى يحمده فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو فى حكم المرفوع (ونحوه) اى فى معناه حديث مروى (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره على بن الحسين) بن على ابن ابى طالب وهو زين العابدين كما تقدم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرفوعا وماقبله موقوف (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما الصحابى وقد تقدمت ترجمته (ليزيد الفقير) هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه اصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها وفقار الظهر خرزات العظم التى من عجب الذنب الى نقرة القفاء وهى اثنان وثلاثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ارتكبوا منه الفقراء الاربع استعارة اى انتهكوا له حرمات اربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة (سمعت) بفتح تاء الخطاب واصله اسمعت فحذف همزة الاستفهام اوهل اى اسمعت اوهل سمعت (بمقام محمد صلى الله عليه وسلم) اى هل رويت فيه شيئا يفسره (يعنى الذى يبعثه الله فيه) اى فجابر اراد السؤال عن حقيقة المقام المذكور فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفى قوله فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة (قال) يزيد (نعم) اى سمعت ماورد فيه اجمالا (قال) اى جابر بن عبد الله الصحابى المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال (فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوللمقام اى يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظمى لاهل المحشر واليه اشار بقوله (وذكر) اى جابر رضى الله تعالى عنه (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين

دخلوا النار بمعاصيهم وهذا بعض حديث رواه مسلم اقتصر منه المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله تعالى كان قد شغفني رأى من رأى الخوارج فخرجت فى عصابة ذوى عدد نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله ماهذا الذى تقولون والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذى تقول فقال اتقرأ القرآن قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ ذلك وقال غير واحد ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس الى آخر الحديث الذى رواه مسلم والكلام عليه مبسوط فى شروحه فالمعنى انه يريد مال الى رأى الخوارج فى خلود عصاة المسلمين فى النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له علم بطلان رأيهم ورجع عنه (وعن انس) فى حديث رواه احمد فى مسنده (نحوه) اى ما هو فى معنى هذا الحديث (وقال) انس بعد ما ذكر ما تقدم (فهذا المقام المحمود الذى وعده) بالبناء للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير البارز للمقام (وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما) فى حديث رواه الشيخان (ودخل حديث بعضهم فى حديث بعض) اى وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى (قال عليه الصلوة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة) فى ارض المحشر للحساب وفصل القضاء (فيهتمون) افتعال من الهم بمعنى الحزن او العزم والتصميم يقال اهتم اذا اغتم وحزن واهتم بكذا اذا جعله من همه وليس من الهمهمة وهى الصوت الخفى (اوقال فيلهمون) بالبناء للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوى فى لفظ الحديث اى يلهمهم الله (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) اى لوطلبنا من يشفع لنا عند الله فى ان يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمنى هنا وقد ذكره النحاة مفصلا فى بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذى لا يمكن (وفى طريق آخر عنه) عليه الصلوة والسلام اى فى رواية اخرى (ماج الناس بعضهم فى بعض) اى دخل بعضهم فى بعض واختلط والاضطرابهم (وعن ابى هريرة) فى حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان (وتدنو الشمس) اى تقرب من رؤس اهل الموقف (فيبلغ الناس من الغم) اى من الكرب وشدة الحر (مالا يطيقون) اى مالا يقدرون على تحمله (ولا يحتملون)

عطف تفسير اى لايقدرون ولايستطيعون (فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم)
اى يقول بعضهم لبعض هذا الكلام (فيأتون آدم) عليه الصلوة والسلام بدؤا به
لانه اول الانبياء وابوهم المشفق عليهم كما قال (زاد بعضهم فيقولون انت آدم
ابو البشر) فينبغى لك ان تشفع لهم وتريحهم (خلقك الله بيده) اى اوجدك من
العدم بقدرته من غير واسطة ام واب (ونفخ فيك من روحه) اضافة الروح له
تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله
(واسكنك جنته) بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح
وقيل المراد بها بستان فى الارض والخلاف فيه مشهور فى كتب التفاسير والادلة
من الطرفين مفصلة فى محلها (واسجد لك ملائكته) اى امرهم بالسجود لك
سجود تحية وتعظيم له وآداء لحقه لاسجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا
شرعا ثم نسخ (وعلمك اسماء كل شئ) كما ذكره الله تعالى فى القرآن وهذا كله مما
يدل على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضى
لقبول شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كابيه بقوله (اشفع لنا عند ربك حتى
يريحنا من مكاننا) هذا وهو المحشر و يريحنا بمعنى يحصل لنا راحة (الا ترى ما نحن
فيه) من الكرب والهول الذى لايطاق (فيقول) لهم آدم (ان ربى غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولايغضب بعده مثله) اى اظهر شدة غضبه
وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذى فى الآخرة بادخالهم النار
وهذا لم يكن قبل يوم القيمة ولابعده فلذا خاف آدم عليه الصلوة والسلام وقال
(ونهانى عن الشجرة) اى عن الاكل منها والمراد بها العنب الذى فى الكرم
او الحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ماله ساق (فعصيت) اى خالفت امره
تعالى بالاكل منها وفى كون هذا معصية كلام سيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلوة
والسلام (نفسى نفسى) اعتذارا عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها
تأكيدا و بيانا لانه لايقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبياء تدريجا
الاول فالاول والاقدم فالاقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم
(اذهبوا الى غيرى) من الرسل يشفع لكم ثم بين من يذهبون له فقال (اذهبوا
الى نوح) فانه الاب الثانى لكم بعدى ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه (فيأتون نوحا
فيقولون انت اول الرسل الى اهل الارض) كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه
وهذا لاينافى اختصاص عموم رسالة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لان عمومها
لايختص بعصره وقال ابن حجر رحمه الله تعالى لانه لم يكن بعد الطوفان الا من
كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن فى اصل بعثته وانما اتفق بعده

ما الحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس واما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك واما كونه اول رسول كما صح فى حديث الشفاعة فالمراد به انه اول رسول ارسل الى جميع اهل الارض فى حياته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات اولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعدة آيات على ان بعثة نوح عليه الصلوة والسلام كانت الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من فى الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه ما اهلكوا لقوله تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * وقد ثبت انه اول الرسل واجيب بجواز ان يرسل غيره فى زمنه وعلم انهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجئ رسول فى زمنه غيره اوخصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بقاء شريعته الى يوم القيمة اودعوته لقومه بتوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب واليه ذهب ابن عطية فى سورة هود وبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد عامة فى بعض الانبياء وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن فى عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة (اقول هذا ما قاله ابن حجر فى شرح البخارى ولم يبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبياء وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه ارسل لبنيه ولم يظهر للكفر فى حياته قوة واثار وكان كالحطيم الضابط لاهله وحده فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم الصلوة والسلام وادريس نبأ فى زمنه وشيث كان وصيه الى ان بعث الله تعالى نوحا فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو اول رسول بعث لدعوة الناس ومجادلتهم ومعاقبتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لايخفى (وسماك الله عبدا شكورا) فى الكتب القديمة لانه كان كلما اكل اوشرب شكر ربه فاشتهر بذلك فى الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقل فى تفسير قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان الضمير راجع له لا لموسى كما قال فانه قول غير مرضى (الا ترى ما نحن فيه) من شدة الموقف وهوله (الا ترى ما بلغنا) بسكون الغين المعجمة وفتحها اى ماوقعنا فيه من الكرب وما وصل الينا منه وقال النووى الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روى الا ترون ما بلغكم ولو كان بالاسكان قال ما بلغتم والوجه ما تقدم (الا تشفع لنا الى ربك) فى الخلاص مما نحن فيه (فيقول مثله) اى ما تقدم بعينه وفى نسخة التصريح به (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولايغضب بعده مثله نفسى نفسى) وقد تقدم شرحه (قال فى رواية انس ولم يذكر خطيئته التى اصاب) صفة خطيئة والعائد

محذوف اى التى اصابها اى التى عملها والانبياء معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته ما فسره بقوله (سؤال ربه بغير علم) فهو منصوب بدل او عطف بيان من قوله خطيئته مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف او حال اى سؤالا كائنا بغير علم منه بان ما سأله لايليق ان يسأله وهو قوله رب ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى ووعدك الحق ان تنجى اهلى من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من اهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم وابنه هذا هو كنعان وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه اهل الكتاب قيل انما عاقه هذا عن الشفاعة وزجر به وجعل جهلا لانه ممن سبق عليه القول من اهله ودلت الحال على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه امره وهذا قول قريب من قول من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فلا وجه لتخطيئة قائله (وفى رواية ابى هريرة) فى حق نوح عليه الصلوة والسلام (وكانت لى دعوة دعوت بها على قومى) اشارة الى ما ورد فى الحديث ان لكل نبى دعوة والمراد ان الله تعالى وعد كل نبى بان يجيب له دعوة يدعو بها على جميع امته فيستجاب او يدعو بها لهم فلا ينافى كون دعاء الانبياء عليهم الصلوة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلوة والسلام فى ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله) وابو الانبياء ومقتداهم فانه احق بالشفاعة واقدر عليها منى (فيأتون ابراهيم فيقولون) له (انت نبى الله وخليله من اهل الارض) اى انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل للشفاعة (اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) اى مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات كذبهن) هى قوله انى سقيم لما دعى الى الاصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه انها اختى وقوله فى حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلوة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله لضرب من التأويل قصده فليس بكذب فان المعاريض مندوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب وخاف ان يؤاخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضى ان لايدارى مخلوقا او يخافه والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء معصوم من الكذب وغيره وعد منها فى مسلم قوله من الكواكب هذا ربى والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل ويلزمه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها فى بعض الروايات وقيل فى قوله انى سقيم انه كانت به حمى حقيقة فلا تعد سقما وفيه نظر وسيأتى تفصيله فى محله ان شاء الله تعالى وهذا اعتذار منه عليه الصلوة والسلام

فى عدم الشفاعة (نفسى نفسى) اى انا مشغول بنفسى وتخليصها (لست لها) اى لست اهلا للشفاعة لغيرى (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة املهم ويأسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة اى الزموه فانه اقدر منى واقرب الى الله وهذا تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين مزيته عليه بقوله (فانه كليم الله) اى لانه كلمه الله فى الارض شفاها من غير واسطة فهو اقوى على الشفاعة منى (وفى رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التورية) التى هى اعظم الكتب الالهية قبل القرآن (وكلمه) بيان لكونه كليما او المراد اوحى الله اليه كلامه (وقربه نجيا) اى جعله قريبا منه حال كونه نجيا له اى مناجيا ومخاطباله والقرب لبس مكانيا بل رتبيا (قال فيأتون موسى) عليه الصلوة والسلام (فيقول لست لها) اى لست اهلا للشفاعة لكم (ويذكر) موسى (خطيئته التى اصاب) اى التى وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله ما اعجلك عن قومك ياموسى كما هو مبين فى التفسير (وقتله النفس) وهو القبطى الذى استغاثه الاسرائلى عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا لقتله وانما هو دفع الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلوة والسلام خشى المؤاخذة به ولذا استغفر منه وعده من فعل الشيطان فلا ينافى هذا عصمته عليه الصلوة والسلام ثم قال كما قال غيره (نفسى نفسى ولكن عليكم بعيسى) عليه الصلوة والسلام (فانه روح الله وكلمته) تقدم بيانه مفصلا (فيأتون عيسى) عليه الصلوة والسلام (فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد) بدل مجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفى نسخة فانه عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) اى غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه (فاوتى) بالبناء للمفعول اى فيأتينى اهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم (فاقول لهم انا لها) الفاء فصيحة اى فيسئلونى ان اشفع لهم فاقول لهم انا اهل الشفاعة مدخر لها (فاستأذن على ربى) اى اطلب منه ان يأذن لى فى القرب منه والشفاعة للناس (فيؤذن لى) بالبناء للمجهول اى يأذن الله لى فى الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب وهو موقف لبس بينه وبين الله فيه حجاب وانما لم نقل من موقف العرض والحساب الى موقف اخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثانى موقف كرامة ولطف ورحمة فهو ادل على قبول الشفاعة واطمئنان قلب الشفيع (فاذا رأيته وقعت ساجدا) اى اذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عيانا سجد تعظيما لله وشكرا لله على تقريبه له وفيه دليل على وقوع رؤية الله فى الآخرة (وفى رواية فاتى تحت العرش) اى اتى انا مكانا تحت العرش قريبا منه (فاخر ساجدا) اى اقع واسقط فى ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا يسمع معه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط

من علو وقوله خروا سجدا تنبيه على اجتماع امرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله تعالى* وسبحوا بحمد ربهم * تنبيه على ان ذلك الخر يركان تسبيحا بحمد الله لابشئ آخر انتهى وقال التلمسانى هذا المكان الذى يأتى له صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى عرصة العرش وهى دار عظيمة وجنة هى اوسع الجنان واكثرها بساتين يجتمع فيها اهل الجنة لرؤية ربهم فى كل جمعة ولم تعد الا رؤيته تعالى واكرام من اكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفى المسارق بدل قوله فاوتى فيأتونى وفى شرحه للكازرونى انه سمع بتشديد النون وبه ضبط قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما فى مسند احمد وقيل مقدارها سبع سنين فانظره (وفى رواية فاقوم بين يديه) اى بين يدى الله تعالى وهو تمثيل لشدة القرب منه وتصويرله وقيل الضمير للعرش وهو بعيد ركيك (فاحمده بمحامد لااقدر عليها الآن) اى لااحسنها ولااعرف كيفيتها فى الدنيا (الا ان يلهمنيها الله) اى الا ان يوقعها الله فى قلبى بالالهام منه والهام الانبياء عليهم الصلوة والسلام نوع من الوحى وهو فى غيرهم ليس بحجة لانه لا ينبنى على دليل (وفى رواية فيفتح الله على من محامده) هو قريب معنى من قوله يلهمنى لان الفتح ازالة الاغلاق الحسى كفتح الباب والقفل ثم شاع فى حصول الشئ ابتداء من غير عسر (وحسن الثناء عليه) هو عطف تفسير لما قبله (شيئا لم يفتحه على احد قبلى) مطلقا والمراد انه لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده وفيه اكتفاء (قال فى رواية ابوهريرة فيقال لى) وانا ساجد (يا محمد ارفع رأسك) من السجود (وسل) ماشئت من الشفاعة وغيرها (تعطه واشفع تشفع) والفعلان مجزومان فى جواب الامر (فارفع رأسى فاقول يارب امتى يارب امتى) اى ارحمها وانج امتى وفى رواية تأتى امتى امتى بدون قوله يارب وهو معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء اى ياامتى واداهم ليأتوه ويكونوا معه لينجوا مما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هى الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف الفاعل لضيق القيام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرر (فيقول) الله له بعد رفع رأسه (ادخل من امتك) اى ائذن له فى دخول الجنة (من لاحساب عليه) اى خواص امتك المتقين الذين لاذنب لهم يحاسبون بسببه (من الباب الايمن من ابواب الجنة) الذى هو اشرف ابوابها وهو الباب الثامن وهو مخصوص باتقياء هذه الامة (وهم) اى الذين لاحساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) وهى باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبه وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب الراضين وباب الصلاة كما بينه المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم

(ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل) الذي في رواية ابي هريرة من قوله فيقال يامحمد ارفع رأسك الى ها (ثم قال مكانه) وفي نسخة وقال مكانه اي اتي به بدلا منه (فاخر) وفي نسخة ثم اخر (ساجدا فيقال لي يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه) الضمير لماسأل اوهوهاء سكت للوقف (فاقول يارب امتي امتي فيقال انطلق) امر اي اذهب من مقام الشفاعة المقرب به (فمن كان في قلبه مثقال حبة من بر اوشعير) المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن ومواز لانه يقابله ليعرف مقدار ثقله فعبر به عن مطلق المقدار ومن بر الى آخره بيان للحبة وهي واحد البر المعروف وقوله (من ايمان) بيان لمثقال اي من كان في قلبه اقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال اوهي نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وامور الآخرة لاتقاس بامور الدنيا (فاخرجه) بقطع الهمزة امر من الاخراج معطوف على الامر قبله (فانطلق فافعل) ما امرني به الله من اخراج من في قلبه اقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت هي الشفاعة العظمى فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد ما بعدها فالمراد اخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من مقام القرب الذي وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال (ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد) التي الهمنيها كما تقدم (وذكر مثل الاول) اي مثل الكلام الاول في قوله فاخر ساجدا الخ (وقال فيه) اي في الحديث الذي رواه مسلم (مثقال حبة من خردل) وهو حب معروف في غاية الصغر والمعنى واحد في كونه كناية عن غاية قلة الايمان (قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال فيه) كما رواه مسلم (من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى) وهو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه القرب في المكان اوالزمان اوالمنزلة كقوله تعالى قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاصغر ويقابل بالاكبر وعن الارذل ويقابل بالخير كما قال تعالى اتستبدلون الذي هوادنى بالذي هو خير وافعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة اي اقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية انس تكرير لفظ ادنى ثلاثا وهو كذلك في بعض نسخ الشفاء وفي بعضها كررمرتين ووقع كذلك في صحيح البخاري من رواية الكشميهني وقوله (من مثقال حبة من خردل) بيان لادنى الادنى وقوله (فافعل) اي اخرج من في قلبه اقل قليل من الايمان (وذكر في المرة الرابعة) من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه وقع مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا اوالفرض فهو ظاهر وان قلنا انه لمجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل لايقبله فانه لايقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر وذهب العضد وغيره من المحققين الى انه يقبله ايضا فان اعنة ادناو تصديقنا ليس كتصديق الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتفاوته باعتبار قوله

التشكيك وعدمه وتحقيقه فى الكتب الكلامية (فيقال لى ارفع رأسك وقل تسمع) اى تجب و يقبل رجاؤك (واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ايذن لى فى) الشفاعة واخراج (من قال لا اله الا الله) اى من نطق بكلمة التوحيد واظهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا ماس غير منافسة له وتفتيش عن حاله فاقيل من انه ان اعتبر تصديق لقلب اللسان فهو كمال الايمان فاوجه الترقى من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر (قال) اى الله تعالى (ليس ذلك اليك) اى ليس ذاك مفوضا اليك بل الى (ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى) قسم دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادة وهى متقاربة (وجبريائى) بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وحور فتحها وياؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة الكبرياء ورد بانه سمع كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤ للمبالغة كالملكوت (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) من غير شفاعة احد واستدل بهذا المتكلمية على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف فى صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال بخلود اصحاب الكبائر من المعتزلة و ما خص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باخراجه من امر ايمانه مزيد يقين او عمل ما وما اخرجه رب العزة من تجرد ايمانه عن كل شئ عداه و يدل له قوله فى حديث الشيخين الذى فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يدعى عرقوا لهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد فى رواية اخرى وقوله من قلبه للتأكيد كما ضربت بعينى وسمعت باذنى (ومن رواية قتادة عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (قال) اى انس لا النبى صلى الله عليه وسلم كما توهم لان الشك فى قوله (فلا ادرى فى الثالثة والرابعة) انما هو من الراوى والمراد الثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه وانطلاقه لاخراج المشفوع بهم قيل فى هذا الحديث اشكال لان اوله يدل على ان هؤلاء اهل الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار واخرجوا منها بشفاعته و اجيب بانهم صاروا فرقتين فرقة فى المحشر تشفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها بشفاعته فى الكلام اختصار وطى (فاقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن اى وجب عليه الخلود) اى لم يبق بعد هؤلاء الخارجين الا من حكم الله فى القرآن بخلوده فى العذاب ولم يؤذن فى الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى *ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * اى شفيعا وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به * ونحوه من الآيات كقوله ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا (وعن ابى بكر)الصديق (وعقبة بن عامر وابى سعيد) الخدرى الصحابى المشهور (وحذيفة) بن اليمان (مثله)اى مثل الحديث السابق (قال) أن قال كل واحد منهم

اوالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فيأتون محمدا
يأباه ظاهرا اذ الظاهر انه يقول يأتوني اي يأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مراجعة
الانبياء وذكرهم العذر في عدم الشفاعة لهم والا تورهم اشرف اهل المحشر
من اتباع الرسل وقال الغزالي في الكشف انهم العلماء العاملون يلهمهم الله
تعالى طلب ذلك من الانبياء قال وبين اتيانهم لكل نبي وآخر بعده الف عام لكن
قال الحافظ بن حجر هذا التعيين للزمن لم اقف له على اصل وقد اكثر في كتبه من
مثله فلا تغتر به انتهى (فيؤذن له) اي يأذن الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم
في الشفاعة (وترسل الامانة والرحم فيقومان عن جنبي الصراط) اي ناحيته يمنة
ويسرة واحده جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة
واصلها مقر الحمل يعني انهما يمثلان او يجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخائن
وقاطع الرحم وحلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر
الناس عليها والرحم هي المذكورة في قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
وهذا التعظيم امر الله وشفقته على خلقه وفي هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوي رد على
المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في الكتب الكلامية ورأى يحيى بن اليمان رجلا
نائما وهو اسود الرأس واللحية شاب فاستيقظ وهو ابيض شعر الرأس واللحية فاخبره
انه رأى في منامه كأن الناس قد حشروا واذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس
ودعي فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يموج به يمينا وشمالا فشاب من ذلك (وذكر
في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم)
في الخلاص من الوقف وهو له يسأل الله السلامة (ويضرب الصراط) اي يوضع
كما ورد في رواية اخرى وعبر به فيما يأتي من ضرب الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب
لدق اوتاده واطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال ان ضربه
يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد من ومن عليه فضربه
لاستعجالهم ونحوه فهم وهذا مما يقتضي منه العجب وهو جسر ممدود اي منصوب عليها
العبور المسلمين عليه الى الجنة وعن الفضيل ابن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة
خمس عشر الف سنة خمسة الاف صعود وخمسة الاف هبوط وخمسة الاف مستوى لا يجوز عليه
الا ضامر مهزول من خشيته عز وجل وهذا معضل لا يثبت فتأمل نفسك اذا
جزت على الصراط ووقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار
وزفيرها وسوادها وسعيرها وكيف بك اذا وضعت احدى رجليك عليه فاحسست
بحده ثم اضطررت الى ان ترفع القدم بعد القدم والخلائق بين يديك يزلون

والزبانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر الى ذلك فياله من منظر ما اقطعه ومد بصرما اصعبه ومجاز ما اضيقه نسأل الله السلامة والاعانة والعافية انتهى وهوعلى متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف او الموسى وعند ابن المبارك وابن ابي الدنيا عن سعيد بن هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس ولبعض مثل الوادى الواسع وهو مرسل معضل انتهى كما ورد فى الحديث وما قيل انه شعرة من عين مالك لا اصل له وانما هو من اكاذيب الوعاظ واصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاى كما بين فى اللغة وكتب التفسير وعلم القراآت (فيمر ون) اى يمرون الناس عليه فنهم من يقع فى النار ومنهم من ينجو وهم فرق (اولهم كالبرق) فى السرعة من غير مهلة ومشقة (ثم كالريح والطير) فى السرعة مع الزمان الممتد اكثر من الاول (وشد الرحال) بالجيم جمع رجل ضد المرأة كما صحح فى النسخ والشروح وصحح العرفى تمهيد الفص رواية عنه كما نقله التلمسانى انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهى رواية ابن ماهان والمراد هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبربه تارة عن البعير انتهى ۞ قيل ان روايته بالحاء المهملة خطأ خطا وان كان لايخلو من التكلف وفى بعض الشروح هنا ما يتعجب منه ولاحاجة لنا بايراده والشد سرعة الجرى وقال الراغب انه مستعار من قولهم اشد الريح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم) فى هذا الحديث يعنى به نفسه على طريق التجريد المعروف فى علم البديع (على الصراط) يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عنده لكنه لقربه منه كالواقف عليه (يقول اللهم سلم سلم) جملة حالية تدل على اعتنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع فى جهنم (حتى يجتاز الناس) يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله اى لايزول يقوله حتى يمروا او علة له اى قوله حتى يسلموا فيمروا والناس اعم من امته وذكر اخرهم جوازا الحديث اى ذكره اى سمى آخر من يمر على الصراط قيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما اسم والآخر لقب والذى رأيناه ان جهينة آخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر فى كتب الحديث وفى شرح التلمسانى قيل آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه فى الصحيح وروى ان الحسن قال ياليتنى كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمة الايمان فى الحديث وقيل لان بدخوله الجنة كملت النعمة على اهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى (وفى رواية ابى هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ) هذا مما رواه الشيخان فهو اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضى ان المراد بالناس السابق امته وانهم اول الامم جوازا على الصراط فله صلى الله تعالى عليه وسلم قصب السبق فى كل امر فهو

اول من نبي في عالم الارواح والذر واول من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها واول من يجيز امته على الصراط ويجير مضارع وليس بعي جار كما قيل (وعن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (توضع للانبياء) عليهم الصلوة والسلام في ارض المحشر (منابر من نور) جمع منبر اي كرسي مرتفع (يجلسون عليها) والناس وقوف على اقدامهم اكراما لهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعة مقامهم ليسر المؤمن بهم ويخزى من كفر (ويبقى منبري) حاليا عني (لا اجلس عليه) حال من المضاف وقوله (قائما) حال من فاعل اجلس فهي متداخلة لا حال بعد حال (بين يدي ربي منتصبا) اي قريبا منه تعالى قربا معنويا منزها عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين في حظائر القدس الناظرين في امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله (فيقول الله ما تريد ان اصنع بامتك) لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو في صورة الاستشارة له (فاقول يارب عجل حسابهم) اي قدم النظر في امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف ويدخل الجنة من هو داخلها منهم ويعلم من عذب منهم عدم خلوده في النار فلا منافاة بين هذا وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها لا يحاسب احد يوم القيمة لا دخل الجنة (فيدعى بهم) اي بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبني للمجهول كقوله (فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) تعالى من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله تعالى به (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي) له وذلك رحمة ايضا (ولا ازال اشفع) في العصاة (حتى اعطى صكاكا) غاية اوعلة لاستمرار شفاعته وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف جمع صك كصكوك واصك وهو الورقة التي تكتب للمصالح والعرف خصها بحجة القاضي وهو معرب جك بالجيم المعجمة (برجال امر بهم الى النار) فهي متعلقة بهم فكانها ترسل خلفهم بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امرهم الله باخذهم ليدخلوها او باخراجهم بعد ما دخلوها (حتى ان خازن النار) الملك الموكل بها وهو مالك او المراد خزنتها فيشمل مالك واتباعه (ليقول) لما رآه من كثرة انقاذه لمن امر به (يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة) الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله العذاب اي لم تدع احدا ممن استحق العذاب يعذب وحتى هنا ابتدائية (ومن طريق زياد) بن عبد الله النصري (النميري) بالتصغير نسبة الى نمير قبيلة سميت باسم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية

(عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض) اى تنشق والفلق
شق الشئ وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق الاصباح (عن جمجمته) بضم الجيم
الاولى والثانية وهى الرأس اوقحف الرأس وعظمه الذى فيه الدماغ وخصها
لانها اول ما يظهر منه (ولافخر) اى لا اقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل
بيانا لما انعم الله به على وتحدثا بنعمته ولا ينافيه ماورد فى الحديث * لاتفضلونى
على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى اخذ بساق
العرش لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل علمه بانه سابق عليه فى البعث وانه
لايلزم منه افضلية موسى عليه فتأمل (وانا سيد الناس يوم القيمة ولافخر) المراد
انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم واشرفهم فى الدنيا والآخرة وخص الثانى
بالذكر لعدم اعتداده بغيره اولانه يعلم منه بالطريق الاولى اولانه مسلم لاينكر كامر
(ومعى لواء الحمد يوم القيمة) اى معى لواء موضوع عندى او هو بيده صلى الله
تعالى عليه وسلم على عادة العرب فى اخذ الرئيس اللواء والمراد لواء الرياسة العظمى
الذى يحمده ويحمد به سائر الخلق لتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم به وهو على
حقيقته او كناية عن تقدمه على غيره (وانا اول من تفتح له الجنة ولافخر) اى
يفتح له بابها وفى نسخة ابواب الجنة (فآتى فآخذ بحلقة) باب (الجنة) بسكون اللام
كامر اى امسكها واحركها حتى يسمع حرنتها (فيقال من هذا) الذى دق الباب
(فاقول) انا (محمد فيفتح لى) لعلمهم بانه اذن له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك
(فيستقبلنى الجبار تعالى) اى فارى الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه
يوم جزاء وانتقام كامر ان الله غضب فى ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده
(فاخر له ساجدا) لما شاهده صلى الله عليه وسلم من عظمة الله تعالى وانعامه عليه
وتجليه له برؤيته ورضوانه (قال السنوسى فى هذا تمثيل بجعله كمن قدم على ملك عظيم
فى سلطانه وكرسى مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تسريا به واظهارا لعظمة
مقامه عنده وتعظيما له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه عن خلقه
ولا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال استقبلنى الرحمن لا الجبار (وذكر نحو ماتقدم)
من حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل (ومن رواية انيس سمعت رسول الله عليه السلام
يقول) بالتصغير وفى بعض النسخ انس مكبرا والصحيح الاول وهو صحابى انصارى
اشهلى ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب وروى عنه شهر ابن حوشب ولم ينسبه
وذكر حديثه هذا الطبرانى فى الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوى وقول بعضهم
يؤيد ضعفه تعلق الشفاعة بما لايعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم (لاشفعن يوم القيمة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر) انه يشفع
لناس اكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا ماتوهمه والعجب ممن اعتذر له بانه لايبعد

ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الجمادات فرقا من نارجهنم وزمهريرها (فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار) اى اذا سمعت ماتقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها فى شفاعته صلى الله عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذى وعده الله تعالى به تبين لك من مجموعها (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود) بالنصب عطفا على اسم ان وخبرها قوله الآتى من حين الى آخره فلا يتوهم انه لاخبر لها مذكور و انه مقدر وقوله (من اول الشفاعات الى آخرها) بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال القرطبى انها اربعة وفى الحديث زيادة عليها وهى شفاعته العظمى فى الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل الجنة الجنة وللمذنبين فى العفو عن ذنوبهم و لمن امر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك (من حين يجتمع الناس للحشر) هذا خبر ان ومن ابتدائية (وتضيق بهم الحناجر) هذا كناية عن شدة الهول والكرب والحشر جمع الناس فى المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهى الحلقوم او طبقتان منه مما يلى الغلصمة اورأسه او المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى يبلغها كما قال الله تعالى * اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين (ويبلغ منهم العرق) بفتحتين وهو معروف (والشمس والوقوف مبلغه) اى نهايته التى يمكن بلوغها والوصول اليها وفى الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم من يكون لركبته ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا فى الماء فى مكان مستو يكون تغطية الماء لهم على السواء ومبلغ الشمس قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس ليست فى سماء الدنيا كما انهم عراة ولايرى احدهم عورة غيره (وذلك قبل الحساب) الاشارة الى اجتماعهم للحشر (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) اى حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مداه (ثم يوضع الصراط) السابق ذكره ومر انه ليس بشعره من جفن مالك كما قيل (ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث) الذى تقدم ذكره (عن ابى هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن) اى اكثر اتقانا من غيره (فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه) من اتقياء امته و يشفع معلوم او مجهول لكونه معلوما (الى الجنة) متعلق بتعجيل (كما تقدم) من دخولهم من الباب الايمن (ثم يشفع) شفاعة ثانية (فيمن وجب عليه العذاب) اى تحقق فالوجوب ليس على ظاهره (ودخل النار منهم) كما تقدم (حسب) بسكون السين وفتحه ونصبه على المصدرية او الظرفية اى على وفق ومثل (ماتقتضيه الاحاديث الصحيحة) السابقة (ثم) يشفع

(فمن قال لا اله الا الله) خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم فان قلت هذا ينافى ما تقدم من قوله فاقول يارب ائذن لى فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا ينافى اخراجهم بشفاعته وفيه خفاء وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من اثمر توحيده زيادة طمانينة له والسابق المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه (وليس هذا) اى الشفاعة فيمن قال لا اله الا الله (لسواه) من الشفعاء (وفى الحديث المنتشر) اى الشايع ولا يلزم منه صحته فلذا قال (الصحيح) الذى رواه الشيخان (لكل نبى دعوة يدعو بها) تقدم ان المراد بها دعوته لجميع امته لا المخصوصة به او ببعض امته والا فللانبياء عليهم الصلوة و السلام دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض اممهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (واختبات دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة) واشار المصنف رحمه الله تعالى الى جواب آخر بقوله (وقال اهل العلم معناه) اى معنى هذا الحديث المقصود منه (دعوة اعلم) بضم الهمزة وكسر اللام مبنى للمجهول اى اعلمه الله وروى اعلموا بالبناء للمجهول اى الانبياء وعلى الاول النائب للفاعل ضمير مستتر وقوله (انها تستجاب لهم) مفعول ثان له اى يتيقنون اجابتها (و يبلغ فيها مرغوبهم) بالبناء للمجهول ومرغوبهم اى مطلوبهم الذى رغبوا فى حصوله ونحوه نائب الفاعل (والا) اى وان لم تقل ان معناه ما ذكر بان يبقى على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع (فكم لكل نبى من دعوة مستجابة) اى اجاب الله تعالى دعاءه بها فى الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) خصوصا (منها ما لا يعد) من الدعوات المشاهد استجابتها (ولكن حالهم عند الدعاء بها) قبل تحقق اجابتها (بين الرجاء) لاجابتها (والخوف) من عدم قبولها (وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة) اى ضمن الله لهم قبولها يقينا وهذه هى الدعوة المذكورة فى هذا الحديث والجار والمجرور حال اى متيقنا اجابتها ثم اشار الى جواب آخر بقوله (وقد قال محمد بن زياد) الجمحى البصرى الثقة الذى اخرج له اصحاب الكتب الستة (وابو صالح) ذكوان السمان الثقة (عن ابى هريرة فى) تأويل (هذا الحديث) وتفسيره (لكل نبى دعوة دعا بها فى) حق (امته) وشانهم سواء كانت لهم ام عليهم (فاستجيب له و انا اريد ان اؤخر دعوتى شفاعة) بالنصب اى لاجل الشفاعة (لامتى يوم القيامة و فى رواية ابى صالح) السابق ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه (لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام مقام بشارة يطلب فيه البسط (ونحوه فى رواية ابى زرعة) ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الامام الثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة وقد اختلف فى اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل

هذا وهم وانما هو هارم وقيل عمرو (عن ابي هريرة) رضي الله تعالى عنه (وعن انس مثل رواية بن زياد عن ابي هريرة) اي موافقة لها معنى واشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب و انه غير الجواب السابق بقوله (فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا) اي ان لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف (فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل لامته اشياء من امور الدين والدنيا منع بعضها واعطى بعضها) فتبين انها ليست الدعوة الموعود بها وهذا اشارة لما في الصحيح من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سألته ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسألته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية يذيق بعضنا بأس بعض فمنعها وهو المذكور في سورة الانعام في آية قل هو القادر على ان يبعث الخ ومن فسر الدعوة التي ادخرها بهذا فقد اخطأ وغفل عن قوله (وادخر لهم هذه الدعوة) بالدال المهملة المشددة اي جعلها ذخيرة مؤخرة (ليوم الفاقة) وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله تعالى وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره (وخاتمة المحن) جمع محنة بكسر الميم وهي البلية المحيرة يعني هول الموقف اذ لا بلية بعده الا النار (وعظيم السؤال والرغبة) بالجر معطوف على يوم الفاقة او على الفاقة او جعل اليوم نفس محنة والرغبة عطف تفسيري لما قبله اوهو اخص منه ولما ذكر ما تفضل به النبي صلى الله عليه وسلم على امته الداخل فيهم دخولا اوليا ختم الفصل بدعائه له بقوله (جزاه الله تبارك وتعالى (ما جزى نبيا عن امته) اي بما جزاه او بمثله و في نسخة احسن (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) دائما ابدا الى يوم الدين ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته تركناه خوف السآمة لا فائدة فيه والله تعالى اعلم ﴿ وصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾ على غيره (في الجنة بالوسيلة) اصل الوسيلة امر يكون موصلا لامر تتعبه كالهدية و لتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشيء برغبة وهي اخص من الفضيلة لتضمنها معنى الرغبة عديت الى قال تعالى * وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيلها بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية في الجنة كما سيأتي فهو مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله تعالى فقد تسامح في العبارة قال الزبيدي يقال وسل اذا تقرب لانها لمقرب (والدرجة الرفيعة) اي المرتفعة العالية و الدرجة هنا المنزلة و اصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة في الدعاء الذي يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة فذكره في الدعاء

لا اصل له (و الكوثر) تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة (والفضيلة) فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد تفضيله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وابوداود والترمذي واقتصر في الرواية على ما في ابي داود دون الترمذي ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما .. ل (حدثنا القاضي ابوعبدالله محمد بن عيسى التميمي) نسبة لتميم هم قبيلة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) تقدم ايضا (بقراءتي عليهما) لا سماعي من لفظهما وفي نسخة عليه بالافراد وهذه اعلى من السماع من شيخه كما علمت (قالا حدثنا ابو علي الغساني) الجياني السابق ذكره قال (حدثنا النمري) بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبدالبر المتقدم قال (حدثنا ابن عبدالمؤمن) قال (حدثنا ابو بكر التمار) بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم ان الاول عبدالله بن محمد ابن عبد المؤمن القرطبي و ابو بكر التمار تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا ابوداود) الحافظ صاحب السنن وقد تقدم ايضا قال (حدثنا محمد بن سلمة) بفتح السين واللام وما في بعض النسخ من انه مسلمة بميم في اوله سهو من الناسخ وهو ابو الحارث محمد بن سلمة المرادي المصري اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مأتين وثمان وار بعين قال (حدثنا ابن وهب) هو عبدالله بن وهب تقدمت ترجمته (عن ابن ابي لهيعة) بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبدالله الحضرمي ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه مالك واصحاب السنن وتوفي سنة مائة واربع وسبعين (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواو وهاء وقياسه حية بالادغام الا انه لم يعتبر فرقا بين العلم وغيره وهو ابن سريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مأتين واربعة وعشرين وروى عنه اصحاب السنن (وسعيد بن ابي ايوب) ابو يحيى ابن مقلاص الخزاعي المصري الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة (عن كعب بن علقمة) بن عمرو بن زيد بن جشم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة اربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول (عن عبدالرحمن بن جبير) القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عبدالله بن عمرو بن العاص) السابق ذكره (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) حال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كأنه مشاهد حاضر (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول) من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لاحول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب و اذا تكرر سماعه تكفي اجابة الاول وفي فتاوى ابن عبدالسلام انه يندب اجابة الكل والاول اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها وعند

قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه (ثم صلوا على) اى قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب ايضا (فانه من صلى على) اى اتى بصيغة من صيغ الصلاة مرة بقرينة قوله (صلى الله عليه بها) اى بصلاته وضميرا به للشان (عشرا) لتضاعف واحدة الحسنات (ثم سلوا الله لى الوسيلة) اى ادعوا الله لى بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله (فانها منزلة فى الجنة) اى مقام عال فيها اعلى مما عداه (لا ينبغى) اى لا يليق اعطاؤها (الا لعبد) عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عباد الله) الاشراف الاقربين بالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هى اقرب منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب فان قلت ما وجه تخصيص الدعاء بها بعد الاذان قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة وهى مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب ان يجازى ذلك بالدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (وارجو ان اكون انا هو) ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدأ وهو خبر والجملة خبر اكون واكون انا تأكيدا للضمير وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب اووضع موضع الظاهر والاصل ان اكون انا اياه وذلك خلاف الظاهر وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عند ربه تأدبا وتشريعا لامته بالدعاء له وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل ليفوز بالثواب كما اشار اليه بقوله (فمن سأل الله تعالى لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد يقعد وروى وجبت وروى له بدل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى ولبس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس بمذنب بل عابد لله تعالى لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة فى دخول الجنة من غير حساب وفى رفع الدرجات وزيادة العطيات ولا يختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا لاجلاله صلى الله تعالى عليه وسلم بل يكفى فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغى ان لا يكون غافلا لاهيا واستحباب هذا لغير المصلى فرضا اونفلا فاما قاله فيها لاتبطل صلاته لانه ذكر الا فى قوله صدقت فانه من كلام الناس فتأمل (وفى حديث آخر) رواه الترمذى ايضا (عن ابى هريرة الوسيلة اعلى درجة فى الجنة) مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهى اقرب الى العرش من سائر المنازل وليس هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه (وعن انس) فى حديث رواه البخارى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير فى الجنة) تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان مناما ويحتمل انه يقظة فى الاسراء (اذ عرض لى نهر)

اى فاجأنى عروضه اى ظهوره بمروري عليه (حافتاه) اى جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهومبتدأ خبره (فيهما لؤلؤمثل القباب) و فى نسخة حافتا ه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة او هى بيت صغير تضرب العرب لتنزل فيه والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤة حقيقة او مثله فى الحسن والنضارة (قلت لجبريل ماهذا) النهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرفه (قال هذا الكوثر الذى اعطاكه الله) اى وهبه لك فى قوله انا اعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه واوانيه ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالخير الكثير كما يأتى بمافيه وهو اصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين اللغة الفصحى ولوفصل وقال اعطاك اياه جاز وورد فى صفته انه ابيض من اللبن واحلى من العسل كما يأتى (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) جبريل عليه الصلوة والسلام (بيده الى طينه) بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته وضرب يده مجازا عن ادخالها فيه (فاستخرج مسكا) اى اخرج من قعره وارضه ليعرفه بفضله وان طينه مسك فليس كانهار الدنيا (و) روى (عن عائشة وعبدالله بن عمرو) بن العاص (مثله) اى مثل حديث انس المذكور (قال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ومجراه) بفتح الميم مصدر ميمى اى جرى هذا النهر اى جرى مائه (على الدر والياقوت) الذى فوق طينه الذى هو مسك كما ان الانهار تجرى على طين وحصى فهذه طينه مسك وحصاه جواهر فلامنافاة بين كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر (وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج) بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وبفتحها مصدر ثلج صدرى بكذا اى برد لتيقنه ابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلاينافى قول النحاة ان افعل تفضيل لايصاغ من الالوان كما مر ويجوز ان يكون صفة كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفى الحديث ان الله اعطانى نهرا يقال له الكوثر لايكاد احد من امتى يسمع خريره الاسمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال ادخل اصبعيك فى اذنيك وسدهما فالذى تسمعه خريره نقله السهيلى وفى رواية ابيض من اللبن وكونه احلى من العسل لاينافى ان من انهار الجنة نهرمن عسل (وفى رواية عنه فاذا هو) اى الكوثر (يجرى) جريا معتدلا (ولايشق شقا) جملة حالية من ضمير يجرى اى لايشق الارض بشدة جريه وكذا سائر انهار الجنة تجرى من غير ان تحد اخدودا كما قاله التلمسانى ويشق مبنيا للفاعل وقيل انه روى مبنيا للمجهول وقيل المراد انه يجرى معترضا لامستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لما ورد فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تظنون ان انهار

الجنة اخدودا لاوالله انها لسايحة على وجه الارض وقد يرجع ما ذكر اليه فيكون
المعنى واحدا (عليه) اى على الكوثر (حوض) والظاهر انه بجانب قريب منه كما
يقال مررت على زيد اى على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد
بكونه عليه انه يمد منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر الا انه بجانبه اذهو
فى الجنة والحوض خارجها الحديث الآتى ليردن على اقوام اعرفهم ولايعرفونى
ثم يحال بينى وبينهم فاقول انهم امتى فيقال لاتعلم ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا
لمن غير بعدى فتأمل (ترد عليه امتى) اى يأتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب
والنجاة من النار (وذكر حديث الحوض) الآتى وهذا يدل على انه غير الكوثر
وقد جاء فى بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من اقوال
عدة واو قيل بتعدد الحوض لم يبعد (ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى روى
عن ابن عباس ما يوافقه (وعن ابن عباس ايضا) اى فى رواية اخرى ذكرها البخارى
(قال) فى تفسير (الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه) تشريفا له صلى الله تعالى
عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص الكثير من الخير
وبالنهر الذى فى الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان معنى
عام خاص فى الحديث والآية فلا كلام فيه وان اراد تفسير ما فى الآية فالاحاديث
الصحيحة وردت بخلافه وفى الآية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق ذكره وقيل
النبوة والكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تحقيقات الشريعة وقيل كثرة الامة
وقيل رفعة الذكر وقيل نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة
له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه
فى الدين وقيل الخمس صلوات التى خصت بها امته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل
الحوض والاصح انه نهر فى الجنة مخصوص (وقال سعيد بن جبير والنهر الذى
فى الجنة من الخير الذى اعطاه الله اياه) يعنى انه على عمومه وهذا داخل فيه او هو المراد
منه (و) يؤيده ما روى (عن حذيفة) ابن اليمان (فيما ذكره عليه الصلوة والسلام
عن ربه) حيث يبلغ له فى الحديث قال فيه (واعطانى الكوثر وهو نهر فى الجنة
يسيل فى حوضى) الذى فى الموقف او بعد الصراط يسقى منه امته وفيه اشارة الى
تفسيره بالحوض لان ماءه منه (وعن ابن عباس) فى حديث صحيح رواه ابن جرير
بسنده وابن حبان (فى) تفسير (قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) اى
يعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك وتقر عينك (قال) من جملة ما اعطاه (الف
قصر من لؤلؤ ترابهن المسك) اى هى من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور
الذى دل عليها وقوله الف قصر (وفيه) اى فى كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا
رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر (ما يصلحهن) الضمير عائد عليه ايضا رعاية

لعنساء وقيل ضمير فيه عائد عليه نظرا للفظ قصر اولتأويله بما ذكرنا قيل بيان
صوابه فيهن لاوجه له والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات
والالات كالاواني كما اشار اليه بقوله (وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له) اى في كل
قصر ما يناسبه ويليق به (من الازواج والخدم) بفتحتين جمع خادم وفعل جمع
لفاعل ورد في الفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع زوج اوزوجة
وذكر هذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على
ابن عباس انه كان فاعل قال ابن عباس لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر
ورواه الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن
عبدالله عن علي ابن عبدالله بن عباس عن ابيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه اري
ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا
سجى الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل الف قصر الخ وقيل في الآية انه اعطاه
ما هو شامل لكل خير اعطاه ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما
نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذن والله لا ارضى وواحد من امتي في النار وقد تقدم
الكلام عليه ﴿فصل﴾ في بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله تعالى عليه
وسلم افضل الرسل واعظمهم عنده وجرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله (فان قلت)
واتى بالفاء الاستئنافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه (قد تقرر من دليل القرآن)
وفي نسخة فاذا تقرر اى تحقق وثبت واضافة دليل للقرآن بيانية اوتخصيصية لامية
(وصحيح الاثر) اى الحديث وهو معطوف على القرآن اوعلى دليل (واجماع الامة)
المحمدية (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (اكرم البشر) اى اشرف بني آدم (وافضل
الانبياء) والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يأباه لما فيه من
خلاف المعتزلة في خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك
(فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل) بين الانبياء والناهية
بتفضيله عليهم (كقوله) صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ورواه المصنف
رحمه الله تعالى من طريق مسلم (فيما حدثناه) متعلق بقوله اوحال منه (الاسدي)
نسبة الى اسد قبيلته قال (حدثنا السمرقندي) تقدمت ترجمته (قال حدثنا الفارسي)
عبدالغافر السابق ترجمته (قال حدثنا الجلودي) تقدم بيانه وبيان نسبته قال
(حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال (حدثنا مسلم)
الامام صاحب الصحيح المتقدم قال (حدثنا ابن المثنى) محمد ابو موسى البصري
توفي سنة اثنين وخمسين ومأتين كما تقدم قال (حدثنا محمد بن جعفر) ابو عبدالله
الهذلي البصري الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال
وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفي في ذي القعدة سنة ثلاث اواربع وتسعين

و مائة قال (حدثنا شعبة) ابن الحجاج ابن بسطام كما تقدم (عن قتادة) تقدم بيانه قال (سمعت ابا العالية) التابعي السابق ترجمته (يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه و سلم يعني ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو احد العبادلة وغالب رواياته عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لصغر سنه في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل اربعة احاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي) اي ما يصح ولا يجوز (لعبد) من عباد الله نبيا كان او غيره (ان يقول انا خير من يونس بن متى) بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية والف مقصورة وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول اشهر كما مر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلوة والسلام وكان بعد سليمان عليه الصلوة والسلام وقيل كان بينهما ايوب عليه الصلوة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة فبعث الله الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو ابن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى ذلك للملك واعلمه انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واجل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل فقالوا ان راينا امارات ذلك آمنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء بغيم اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين النساء والاولاد بهن وضجوا الى ربهم فرحمهم فقبل توبتهم فساح يونس عليه الصلوة والسلام في الارض ومر براع سقاه لبنا فقال له اقرأ على قومي السلام فقال له يا نبي الله لا استطيع فان من كذب ما قتل فقال له ان كذبوك فشاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقاله فشهد له الشاة وعصا فقصد قومه وملكوه عليهم اربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة ايام فانتظر يونس فخاف لانه من كذب ولم يقم بينة قتل في شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسألوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا ابق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين* فنبذ بالعراء وهو سقيم كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة يقطين استظل بها و اصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او زيادة هلكوا فنادى ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين* واختلف في مكثه في بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما

وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر لما يعلم مما يأتى وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع
فى نفسه شئ لقلة صبره وعدم ثباته فى الشدايد ويأتى ان المنهى عنه تفصيل يؤدى
الى تنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال انا خير من بعض الانبيا يخشى عليه الكفر
ان لم يكن نبيا فان كان فلا يدعى له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن لذلك وقاله
افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله (وفى غير هذه الطريق)
المذكور آنفا (عن ابى هريرة قال يعنى رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ينبغى
لعبد الحديث) اى اذكره الخ كما مر (وفى حديث ابى هريرة) رضى الله تعالى عنه
الذى رواه الشيخان فى رجل من الانصار تنازع مع يهودى بالمدينة وبينه المصنف
رحمه الله تعالى بقوله (فى اليهودى) اى فى رجل من اليهود ولم يذكروا اسمه (الذى
قال والذى اصطفى موسى على البشر) اى اختاره وفضله على سائر بنى آدم من
الانبياء وغيرهم (فلطمه رجل من الانصار) لم يذكروا من هو وفى سيرة ابن اسحق
ان اسم اليهودى فنحاص (وقال) اى الرجل الانصارى (تقول ذلك) اى تفضيل
موسى على البشر (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا) جملة حالية اى مع
وجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع
ظهر مقحمة اى بيننا (فبلغ ذلك) الذى قاله اليهودى والرد عليه (النبى صلى الله عليه
وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء) بالضاد المعجمة اى لا تقدموا على الحكم بافضلية
بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتى وجوز بعضهم ان يكون
بالصاد المهملة اى لا تفرقوا وتميزوا بعضهم على بعض (وفى رواية لا تخيرونى على
موسى) وهذه الرواية فى الصحيحين وسنن ابى داود والنسائى والنهى عن تفضيل
يقع من غيره مؤد الى نقص او على سبيل العصبية والتفاخر فلا ينافى قوله انا سيد ولد آدم
ولا فخر وسيأتى تفصيله (فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس
ابن متى) وفى هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل اولى العزم فالتفضيل
عليه اقوى فيما نحن بصدده ولا وجه لما قيل من انه كان ينبغى تقديم هذا الحديث
على الذى قبله والحديث المذكور اوله استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال
المسلم مقسما والذى اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودى والذى اصطفى موسى
على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره
بما جرى بينهما فقال لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق
فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى احوسب بصعقة الطور او بعث قبلى
ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت القصة فى عرض سلعة وقال
البرهان لا اعرف اسم اليهودى والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودى اسمه فنحاص

اى كما تقدم واللاطم ابو بكر رضى الله تعالى عنه الا ان قوله فى الحديث رجل من الانصار يأباه الا ان يقال الانصار هنا بمعناه اللغوى وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هى المذكورة فى قوله تعالى* ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله* وهذا هو الاستثناء المذكور فى الحديث فالصعق الاحياء والاخراج من القبور مجازا لان حقيقتها الصراخ مع غشى يخر منه وقيل المراد بها حقيقتها وانها فى عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبى ان هذه الرواية دخل فيها حديث فى حديث ولذا استشكل عليهم والذى يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل ترحال وانتقال من حال الى حال والانبياء والشهداء احياء لكنهم غيبوا عنا فى مراقدهم فاذا نفخ فى الصور فمن مات حى ومن كان حيا من الانبياء ونحوهم كالمغشى عليه صعق ثم افاق ولذا ورد فى حديث مسلم فاكون اول من يفيق فلذا تردد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى انه اول من تنشق عنه الارض وافاق ام موسى عليه الصلوة والسلام سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغشى عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه افضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نفى الجهة ودليلها فقال دليلها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى لانه خاطب الله فى قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمه اقرب من يونس (وعن ابى هريرة) فى حديث رواه البخارى (ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب) ذكروا فيه احتمالين ان يكون انا عبارة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى من فضلنى على يونس عليه الصلوة والسلام فقد كذب وان يكون انا عبارة عن القائل غيره اى اى احد من الناس قال انا خير من يونس لتوهمه انه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان احدا لا يبلغ درجة الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول ويأتى بيان الثانى فى كلام المصنف رحمه الله (وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى وفى حديثه الآخر) اى حديث ابن مسعود الذى رواه مسلم وابو داود والترمذى (فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية) اى يا افضل الخلق كلهم والبرية اى يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد الياء من برأ ابرأ مهموزا بمعنى خلق من البرأ بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة ياء كما فى النهاية (فقال ذاك) وفى نسخة ذلك والاشارة لخير البرية (ابراهيم) الخليل عليه الصلوة والسلام وهو فى الحقيقة افضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السيوطى انه متفق عليه (فاعلم) جواب الشرط فى قوله

فان قلت وهو شروع فى تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة فى التفضيل وعدمه (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) الناهية عن التفضيل وما يخالفها (تأويلات) تقدم بعض منها وسيأتى تحقيقها (احدها انه نهيه) صلى الله تعالى عليه و سلم (عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم) بالبناء للفاعل اوالمفعول اى يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا السابق عبارة عنه عليه الصلوة والسلام (فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) اى اعلام به من الله واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل فى الحديث خاصا بموسى و يونس عليهما الصلوة والسلام فيه دلالة عليه فى الجملة فلا يرد ماقيل انه لا يقتضى المنع مطلقا فتأمله (وان من فضل بلا علم فقد كذب) لانه لا يطابق ما فى نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد فى النهى والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا (وكذلك قوله لا اقول ان احدا افضل منه لا يقتضى تفضيله هو) لانه نفى لقوله وهو لا يدل على انتفائه فى نفس الامر وما كل ما يعلم يقال وضمير تفضيله هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى تفضيله على يونس اولبونس صلى الله تعالى على نبينا وعليه السلام (وانما هو فى الظاهر كف) اى امتناع اومنع لغيره (عن التفضيل) بينهم وقد يكون لامر آخر (الوجه الثانى انه قال صلى الله تعالى عليه و سلم على طريق التواضع و نفى التكبر والعجب) بضم فسكون اى عجبه وخيلائه بنفسه ومدحه لها فانه كذلك فى العالب والتكبر اظهار عظمته و العجب استحسانه لنفسه و سيأته و التواضع ليس الجانب وخفض جناحه لغيره (وهذا) الجواب (لا يسلم من الاعتراض) الوارد عليه لانه يعد الاخبار بخلاف الواقع الذى هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان نفى التكبر والعجب يقتضى ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه ما لا يتوهم فى غيره من صلحاء امته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى الله الله عليه وسلم كما تقدم (الوجه الثالث) ان مقصوده صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه (ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى) بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اى ينجر و يوصل (الى تنقيص بعضهم) تفعيل من النقص اى يقتضى وصفهم بما فيه نقص لهم وذم (او الغض منه) بفتح العين والصاد المعجمتين المشددة المكسورة كالغضاضة وهى النقص والعيب واصله من غض الطرف و الصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر وضميرمنه للبعض وفى نسخة منهم و يفهم من هذا جوازه ان لم يؤد لما ذكر (لاسيما) اى خصوصا (فى جهة يونس عليه الصلوة والسلام) اى فى حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة ومنه موجهات القضايا ولاسيما عده النحاة من ادوات الاستثناء وليس هذا محل الكلام عليه (اذ اخبر الله عنه بما اخبر) فى قوله ولا تكن كصاحب الحوت الخ (لئلا يقع فى نفس من

لايعلم منه) اى لايعلم من يونس وماقص من قصته (بذلك) اى بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله (غضاضة) اى نقص وحقارة يتوهمها من لاعلم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله (وانحطاط من رتبته الرفيعة) استعارة بتنزيل شرفه منزلة امر عال حسا نزل من علو الى سفل (اذ قال الله تعالى) حاكيا (عنه اذ ابق الى الفلك المشحون) اى خرج الى سفينة مملوة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم (فظن ان لن نقدر عليه) اى لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا او تمثيل لحاله بحال من ظن انا لانقدر عليه فى مراغمة قومه لعدم انتظاره لامرنا روى ان معاوية قال لابن عباس ايظن نبى ان لايقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن برى اى من الارادة فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله خطيئته وقوله (لمن لاعلم عنده) بمعانى القرآن وماقيل فى تأويل هذه الاية متعلق به (حطيطته) اى نقصه (بذلك) ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر الاية وقد نقل المفسرون فيه اقوالا فقيل معنى ذهب مغاضبا انه غضب من قومه لامر ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى احد وغيرها ولايذهب بغير امر ولذا قال الله تعالى له * ولاتكن كصاحب الحوت * واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم تأويله وقيل احسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوى انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لايليق ان يقال لعصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام عن مثله (الوجه الرابع منع التفضيل) بين الانبياء والرسل الذى افاده النهى الوارد فى الحديث انما هو (فى حق النبوة والرسالة) نفسهما لا الانبياء والرسل قال السنوسى فى شرح عقايده بعدما ذكر ما قاله المصنف ومما دل على عدم التفاضل بين الانبياء فى نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال ثبت لفلان النبى النصيب الاقل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التى تقتضى ان النبوة مقولة بالتشكيك ولاشك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطئ المستوى افراده ولايلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفى ذكره ذلك فى النبوة دون الرسالة ايماء لفرق بينهما فى ذلك فتأمله وقريب منه قوله (فان الانبياء فيها) اى فى النبوة من حيث هى هى (على حد واحد) فرتبتها وقدرها متحد فيهم (اذ هى شئ واحد) اى متحد فى جميعهم (لا تفاضل) اى لا تزيد بعضا على بعض (وانما التفاضل) والتفاوت (فى زيادة الاحوال) اى العوارض الطارية عليها (والخصوص) اى ما خص به بعضهم دون بعض (والكرامات)

التي اكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والاخروية (والالطاف) اي العطايا التي اعطاها الله بعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا (واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور آخر زائدة عليها) طارية لبست من نفس حقيقتها كما بناه (ولذلك) لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد كان (منهم رسل) غير اولى العزم (ومنهم اولوا العزم من الرسل) والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه اولى به و بغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله بشر بعثه المأمور بالتبليغ فهو اخص من النبي على المشهور من الرسل بالكسر وهو تابع الذر ومنه على رسلك اى تمهل وتثبت وقد اختلف في اولى العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وهم اصحاب الشرايع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم. محمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل هود و نوح وصالح وشعيب لوط وموسى وهم المذكورون على نسق في الاعراف والشعراء وقيل هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحق لصبره على الذبح في قول و يعقوب لصبره على فقد ولده ونور بصره و يوسف لصبره على السجن وايوب لصبره على الضر وقيل هم المأمورون بالجهاد وقيل نجباء الرسل المذكورون في الانعام واختاره الحسن لقوله * اولئك الذين هدى الله الخ * وهذا مبني على تفسير العزم ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال (ومنهم من رفع) اى رفعه الله (مكانا عليا) وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما اخنوخ رفع الى السماء او الجنة كما قاله المفسرون، وكذا عيسى (ومنهم من اوتى الحكم صبيا) وهو يحيى اذ احكم الله عقله ونباه واتاه الحكمة وفهم التورية واكثر الانبياء نبي بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا (واوتى بعضهم الزبور) وهو داود وفي نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فيشمل موسى وعيسى وادريس وشعيب وداود وقيل انه يكون مصدرا كما في الحجة لا في على (واوتى بعضهم البينات) اى المعجزات الظاهرة الباهرة التي لم يوتها احد قبله من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله تعالى به وهو عيسى عليه الصلوة والسلام (ومنهم من كلم الله) من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور ولما رأى نارا (ورفع بعضهم درجات) عالية فضله بها على غيره وهذا اجمال لفضائل لم تذكر اوالمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيمة ومن اجلها القرآن وغيره مما يفوت الحصر (قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال) تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية)

هذا بيان لما قبله او باطر لجميعه كما اشرنا اليه و قوله ثلاث انثه باعتبار الجماعة (قال بعض اهل العلم) بالكتاب والسنة (والتفصيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر او على ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله (في الدنيا) متعلق بالتفضيل (وذلك بثلاثة احوال) وفي نسخة لوجه (ان تكون آياته ومعجزاته ابهر) اى اقوى واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها او اظهر (واشهر) عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية (اوتكون) بالنصب (امته اركى واكثر) اى انقى واكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * وقد ارسل للناس كافة (او يكون) بالنصب (في ذاته افضل) بزيادة علمه وخصاله المحمودة (واظهر) بالمعجمة اى اشهر و بالمهملة انقى وانقى (وفضله في ذاته) ونفسه (راجع الى ما خصه الله به) اى ماله ومعناه (من كرامته) اى اكرام الله له بمآثر ومناقب عظيمة وهو ماله (واختصاصه) بالجر معطوف على مدخول الى او من وقوله (من كلام) بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسى و نبينا صلى الله عليه وسلم (او خلة) تقدمت وانها لابراهيم اوله ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (او رؤية) عينا قبل دخول الجنة كما في المعراج (او ما شاء الله) واراده لهم غير ما ذكر (من الطاف) بفتح الهمزة اى عطايا كما تقدم وفي نسخة الطافه بالاضافة (وتحف ولايته) اى تحف اولاها لهم (واختصاص) مما اخفيهم به من قرة اعين لا يعلمها الا هو (وقد روى) بالبناء للمجهول وهذا رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه وهو رجوع الى تنزيه يونس صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر من الاوهام (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان لنبوة اثقالا) اى احمالا ثقيلة قال تعالى وتحمل اثقالكم جمع ثقل كعنب و يسكن مقابل الخفة قال الراغب واصله في الاجسام ثم يقال في المعاني كأثقله الغرم والوزر وهو في الانسان ذم في اكثر المتعارف وقد يكون مدحا كقوله * تخف الارض اما بنت عنها * وتبقى ما بقيت بها ثقيلا * * حللت بمستقر الارض منها * فتمنع جانبيها ان تميلا * والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة (وان يونس تفسخ منها) الضمير للاثقال والاحمال وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ اى تقطعت اعضاؤه وتفككت لعدم طاقته صلى الله تعالى عليه وسلم بحملها يقال تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذا ازالها ومنه فسخ العقود عند الفقهاء (تفسخ الربع) تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل اى ولد الناقة الصغير الذى يولد في الربيع و بعده الهبع الذى يولد في الصيف وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ اى تفسخ كتفسخة

اى لم يطق مشاقها ولم يصبر عليها وفى تسبيهه بالربع اشارة الى انه كان فى مبدأ امره
وفى قوله اثقالا استعارة تصريحية و فى تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولاينافى
التسبيه ويجوزان تكون استعارة تمثيلية وهواحسن ثم بين مراده فقال (حفظ رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) بنهيه عن التفضيل (موضع الفتنة) اى مايقع الناس
بسببه فى فتنة وامر محذور من تنقيص الانبياء عليهم الصلوة والسلام فجعله
كانه موضع لها تقرفيه (من الاوهام) التى يتوهمها من لا علم له وهومتعلق بحفظ
اى صانه مما يتوهم اوهو بيان لموضع (من يسبق اليه بسببها) اى المواضع اوالاوهام
وقيل المراد بسبب اثقالها من سام وضجر وقيل بسبب فتنة وقيل بسبب قصة يونس
عليه السلام (جرح فى نبوته) بفتح الجيم اى ذكر مالايليق بمقام النبوة ممايقتضى عدم
العصمة (اوقدح فى اصطفائه) اى ذم وتنقيص لكونه صفوة مختار اعتدربه مفضلا
على غيره والقدح ذكر المعايب والنقايص (وحط من رتبته) اى تنزيل له من علومقامه
(ووهن فى عصمته) اى عدعصمته فيها ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة
فلذا نهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه
لتساويهم فى حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفاتهم كما سمعته مفصلا
(شفقة منه) صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصب مفعول له اوعلة لحفظ (على امته)
اى يقع منهم ما لايليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة
بسخط الله تعالى وعقابه (وقد يتوجه) اى يحصل توجيه آخر فى الجواب عماص
اويتأتى وينبئ (على هذا الترتيب) اى على ماتمهد على النبوة من الاختصاص
بامور اكرمها الله تعالى بها (وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا) فى احاديث
السابقة (راجعا الى القائل نفسه) المذكور فى قوله لاينبغى لاحد ان يقول فليس
المراد نضمير المتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجوه المتقدمة اى (لايظن
احد) من الناس غيرالانبياء (وان بلغ من الزكاء) اى انه بلغ من الزكاء بالزاى المعجمة
اى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى انه بخط المصنف رحمه الله تعالى هكذا ورواه
العزفى تقييد المصنف بالدال المعجمة وهو الفطنة (والعصمة) اى الحفظ من الذنوب
وليس المراد بها ماخص به الانبياء وهى المذكورة فى قوله اسألك العصمة فى الخطرات
والسكنات ولذا احوز بعضهم الدعاء بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر فى فتاويه
والطهارة اى البراءة من الاوزار (مابلغ) اى مبلغا عظيما فما مصدرية اوموصولة
(انه خير من يونس) ابن متى وهذا معمول يظن المنفى (لاجل ماحكى الله عنه) تعليل
لظنه اى ماقصد فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم فى غيهم
وعدم اجابتهم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان وسوق كلامه موذن

باب القائل من غير الانبيا كما يشهد له قوله (عن درجة النبوة) ورتبتها العالية (افضل واعلى) عند الله من درجة غيرهم من الاتقياء وهذا امر فرضى اومبنى على عدم العلم بالنهى عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون نقيا وقد صدر منه تنقيص الانبياء الذى قيل انه كفر وايضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبى (عن تلك الاقدار) جمع قدر بفتح القاف والذال المهملة اى ما قدره الله عليهم لحكمة باهرة ولبس بمجمة وان جاز تأويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى (لم يحطه عنها) اى لم ينزل يونس عليه الصلوة والسلام عن درجته (مقدار حبة حردلة) التى هى اصغر الحب والاحسن حبة خردل بدونها (ولا ادنى) اى اقل واصغر من حردلة اى لم يقصد اصلا (وسنزيد فى القسم الثالث فى هدايا نا) بايضاحه وتفصيله (ان شاء الله) ذلك (فقد بان لك الغرض) المقصود الذى قصدناه فى هذا الكتاب (وسقط بما حررناه) اى بما قررناه اولخصناه اوكتبناه (والتحرير التخليص) واظهار الزبدة لان اصله جعل الشئ حرا اى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذى صار عاما واصله كتابة ملخصة اوكتابة العتاقة كما فى الكشف (شبهة المعترض) الذى اعترض على ما تقدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده ولما كان ما تقدم فى ذكر فضائله واسمائه صلى الله عليه وسلم دالة على ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه بقوله

﴿ فصل فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ﴾

(وما تضمنته من فضيلته) اى ما هو بعض مدلوله اولازم لمقتضاه حتى كانه ضمنه والاسماء جمع اسم والكلام على كونه من السمة او السمو اعتنا باشهرته عن ذكره واما البحث عن كونه عين المسمى اوغيره فبحث لا طائل تحته فلا وجه لذكره ها وقد افردناه بالتأليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل اللقب والكنية وعلى مقابل الصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ما شاع اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم سواء كان علما اوصفة اوغيرهما وسواء اختص به وضعا ام لا فهو العلم وما يشبهه وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولو ادعاء فلا يرد كثرة اسماء الخمر اوهوا كبرى وهو ظاهر وفى شرح الترمذى ان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم كما ان لله تعالى الف اسم ونقل مغلطائى انها تبلغ ثلثمائة وقيل انها تسعة وتسعون كاسماء الله ومنها ما هو بلفظ الفعل والمصدر واكثرها صفات مادحة كما اشار اليه المصنف بقوله تضمنته من فضيلته ولابن دحية تأليف مستقل فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكرها حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن ابيه بسند متصل الا ان المصنف رواه عنهم مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال (حدثنا ابو عمران موسى ابن ابى تليد الفقيه) تليد

بفتح المثناة الفوقية وآخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه فتاؤه مبدلة من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا ابو عمر الحافظ) ابن عبد البر وقد تقدم ايضا قال (حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته ايضا قال (حدثنا قاسم ابن اصبغ) بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحده تحتية وعين معجمة وهو قاسم ابن اصبغ ابن محمد بن يوسف بن واضح بن عطاء الامام الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموى مولاهم القرطبي كان صدرا عالى الاسناد ثقة ولذا قطع الرواية فى آخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع واربعين ومأتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الاولى ولد سنة سبع واربعين ومأتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الاولى سنة اربعين وثلثمائة قال (حدثنا محمد بن وضاح) بن بزيغ متولى ملك الاندلس ابو عبد الرحمن ابن معاوية الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده سنة تسع وسبعين ومائة او سنة مأتين بقرطبة وتوفى فى المحرم سنة سبع وثمانين ومأتين قال الذهبي انه صدوق روى عنه كثير من اهل الاندلس قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى عالم الاندلس وراوى الموطأ وليس له رواية فى الكتب الستة الا نادرة وقد تقدم الكلام عليه (عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) ومحمد هو ابو على وقد روى عنه الزهرى وهو روى عن ابيه جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل وهو صحابى اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابنا محمد ورافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفى سنة تسع وخمسين واخرج له الائمة الستة واحمد فى مسنده وهذا الحديث اخرجه مالك فى الموطأ والترمذى فى الشمائل والبخارى وهو حديث صحيح مسندا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسما) قدم الجار والمجرور للتقرير والتأكيد او للتخصيص باعتبار انه لم يسم بها احد قبله او لاشتهارها فى الامم الماضية فالتخصيص المستفاد من التقديم اضافى لا حقيقى لزيادتها على ذلك وقال السيوطى فى كتاب الروض الانيقة فى اسماء خير الخليقة انه يطلعه الله تعالى على بقية اسمائه وقال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى قيل انها موجودة فى الكتب القديمة وعند الامم السالفة ورد بان فيها اكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال ابن عساكر فى كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او التخصيص لان المراد خمسة اسماء فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف للظاهر وقال ابن فارس ان اسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم الفان وعشرون وقيل المراد خمسة سماه بها ربى وباقيها اوصاف واسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى بما لم يسمه به الله او يسمى هو به نفسه او ابوه وجده (انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى

الكفر) اى يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما يأتى
فى الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله تعالى * قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف * وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كان الظاهر ان يقول به لكنه
راعى فيه المعنى كقوله * انا الذى سمتنى امى حيدرة * والكلام عليه مفصل فى كتب
العربية (وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) بتشديد الياء مفتوحة
وتخفيفها ساكنة اى يحشرون على اثرى و بعد نبوتى اذ ليس بعده صلى الله تعالى
عليه وسلم نبى كما يأتى تفسيره وقد روى ان الحشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى
ملته دون ملة غيره (وانا العاقب) الآتى عقب الانبياء عليهم الصلوة والسلام فلا نبى
بعده وعيسى عليه الصلوة والسلام تقدم انه يأتى على شريعته وقال ابن الاعرابى
العاقب من يعقب غيره فى الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسيأتى تفصيل معنى الحديث
(وقد سماه الله فى كتابه) وهو القرآن (محمدا واحمد) فى قوله تعالى * ما كان محمد ابا
احد من رجالكم * وقوله يأتى من بعدى اسمه احمد * وكونه محكيا عن عيسى عليه
الصلوة والسلام لا ينافى كون المسمى له الله ولذا قيل ان عيسى عليه الصلوة والسلام
انما اطلعه الله عليه باعلام الله واذنه له فالمسمى حقيقة هو الله (فمن خصايصه تعالى
له) اى الكائنة له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له اوهو
متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه مفعول له واللام زائدة للتقوية والظاهر انه
اسم غير موصوف بالتعدى وضده (ان ضمن اسماه) ما على ضمن ضمير الله والضمير
المضاف اليه للنبى صلى الله عليه وسلم (ثناه) مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل
او للمفعول باعتبار ان الضمير لله اوللرسول ان شاء الله عليه (وطوى اثناء ذكره)
بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمراد جمع ثنى كفعل وهو ما انعطف من الوادى ويقال
هو فى اثنائه ومثانيه اى داخله ونصبه على الظرفية وطوى من قولهم طوى الثوب
اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفاء فالمعنى اخفى داخل ذكر
النبى اى فى اسمائه التى سماه بها (عظيم شكره) اى شكره العظيم والضمائر لله اوللنبى
فان كان ضمير شكره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاضافته له من اضافة الفاعل
او المفعول اى كونه شاكرا او مشكورا شكرا عظيما لان اكثرها اوصاف علمت عليه
او اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية او اعلام منقولة ملموح اصلها
فيفيد المدح والاعلام وضعت لتعيين الذات لكن المنقولة من الصفات تشعر
بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول آل عليها وعظم اعلامه كذلك (فاما اسمه
احمد) وزنه (افعل مبالغة فى صفة الحمد) مبالغة مرفوع خبر بعد خبر او منصوب
مفعول له والجار والمجرور صفة والمبالغة لانه افعل تفضيل حذف المفضل عليه
قصد التعميم نحو الله اكبر اى من كل شئ ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه علم

وكيف يفيد ماذكر وماقيل من انه للتفضيل لاللمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم واطاله من غيرطائل على عادته وقال السخاوى فى سفر السعادة احمد اسم النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولامن افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية فى الحمد قال الاعشى

* اليك ابيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد المحمد *

انتهى وفيه نظر لايخفى وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لانه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب القديمة وقد سماه به موسى وعيسى عليهما السلام كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمده فى مقام لم يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وستأتى تتمته (ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد) فهو فى الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبئ عن الكثرة ففيه مبالغة ايضا ولهذه الصيغة معان اخر مذكورة فى كتب التصريف وفى شرح الهادى انه مرتجل قال ابن معطى وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل فى غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور وروى عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة انه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ماحملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه فقال اردت ان يحمده اهل السماء ويحمده الناس فى الارض واخرج عنه ابن اسحق مسندا ان امه آمنة بنت وهب حدثت انها اتيت حين حملت به صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى * اعيذه بالواحد * من شر كل حاسد * وكل بر عاهد * وكل عبد رائد * يرود غير رائد * وروى فانه عند الحميد الماجد * حتى اراه قد اتى المشاهد * فاذا وضع فسميه محمدا فان اسمه فى التورية احمد يحمده اهل السماء والارض واسمه فى الفرقان محمد فسمته بذلك وقال ابو الربيع ابن سالم فى سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويتبعه اهل السماء والارض فلذا سماه محمدا مع ماحدثته به آمنة انتهى (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد) بفتح الحاء وكسر الميم والبناء للفاعل اى اجل الحامدين (وافضل من حمد) بالبناء للمجهول قيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم احمد والثانى لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لمافيه من التكثير وكون الله لم يسم به غيره وكان افضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان تعين فى محمد الثانى وحور

ابن القيم في احمد ان يكون بمعنى المفعول اى اكثر محمود به والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ في مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو اريد الفاعل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبناء اسم التفضيل من المفعول شاذ كما نقل من ذات التحيين وكون حماد ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لاوجه له (اقول هو لم يعين ماقاله وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الاصل وترجيحه حماد على احمد ليس لابلغيته بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذ فسلم ولكنه سمع من العرب في قولهم العود احمد واثبته العلامة الزمخشري واول من قال العود احمد خداش ابن حابس التميمي وقول المصنف (واكثر الناس حمدا) اى محمود به بدليل قوله (فهو احمد المحمودين) والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا (واحمد الحامدين) هو ومابعده بيان لوجه التسمية بهما ويصح ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر وقيل اسمه احمد قبل محمد في النشأتين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد الهمه اياها لم يحمده بها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن في عالم الخلق والامر ولما ظهر للثقلين حمد على السنتهم استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيامة كان احمد الخلق فسمى احمد فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمى محمدا وفيه من التكلف مالايخفى ويأتى فيه كلام للسهيلي (ومعه لواء الحمد يوم القيامة) تقدم ان اللواء علم الجيش وهو اكبر من الراية اى انه تحت امره او في قبضته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا ومحمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بنداء الملائكة معه او باعلان الحمد حلقه ونحوه واصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكذا الانبياء ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم في اهل الموقف وعدم التأويل اسلم (ليتم له كمال الحمد) مبنى للمفعول اوالفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله (ويشتهر) وفي نسخة ويتشهر (في تلك العرصات) بسكون الراء ويجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها بناء وجمعها عراص وعرصات وفي التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها اى يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والمحشر (بصفة الحمد) وهو الثناء على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان او بغيره وفيه كلام في شرح الزوراء للجلال الدوانى (ويبعثه ربه هناك) اى في العرصات (مقاما محمودا كما وعده) بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا

ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطى او على الظرفية لمشابهته للمبهم اوهو حال على مافصل فى الكشاف وشروحه ثم بين محموديته بقوله (يحمده فيه الاولون والآخرون) اى جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع (لشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم) فى فصل القضاء كما تقدم (ويفتح عليه فيه) اى فى ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى حمد اى يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمه واصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلق للصعب ومن بيان لمقدر اى امرا ونحوه اولما بعده ان قلنا بجوازه كامر وقوله (كما قال عليه الصلوة والسلام) اشارة الى وروده فى الحديث كما تقدم (ما لم يعط غيره) من الانبياء و يعطى مبنى للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل (وسمى) الله تعالى لعلمه من السياق اوهو مجهول وهو الاولى (امته فى كتب انبيائه) كالتورية والانجيل كما ورد فى الاحاديث (بالحامدين) اى المبالغين فى الحمد وروى الدارمى عن كعب انه قال نجد مكتوبا فى التورية محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الى آخره (فحقيق ان يسمى محمدا واحمد) اى بان يسمى لانه يتعدى بالباء وقديتعدى بعلى كما فى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما فى الحجة لابى على وتفريعه على ماقبله لانه اذا حمد بما لم يحمده غيره وحمده الاولون والآخرون وكثر حمد امته كان جديرا بذلك (ثم فى هذين الاسمين) محمد واحمد اى فى تسمية الله له بهما قبل وجوده (من عجائب خصائصه) اى من العجائب التى خصه الله بهما ولم يسبق احد لمثلها (وبدايع آياته) اى غريب علامته التى اخترعت وتفسير البديع بالحسن فيه مسامحة (فن آخر) اى نوع آخر غير ماتقدم (وهو ان الله جل اسمه) اى عظم فى ذاته وفيه مناسبة وايماء لعظمة اسم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اذقرنه باسمه وخصصه كما اختص باسمائه الحسنى (حمى) اى منع وصان عن (ان يسمى بها احد قبل زمانه) مع ذكرهما فى الكتب القديمة والامم السالفة كامر وبشر نبى اسمه احمد وانما صان اسمه ليعلم اذاسمى بهما انه النبى الموعود به وعد من الخصائص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انهما اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبياء وغيرهم لم تسبق تسمية غيرهم بها كآدم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى * ولم نجعل له من قبل سميا (اما) اسمه (احمد الذى اتى فى الكتب) الالهية السالفة (وبشرت به الانبياء) كعيسى وموسى كما قال تعالى * ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد * وقال تبع الاول كما نقل فى السير * وعلك بعدهم رجل عظيم * نبى لايرخص فى الحرام * يسمى احمد ياليت انى * اعمر بعد مخرجه بعام (فمنع الله بحكمته) اى بسبب حكمته

او معا ملتبسا بعلمه وحكمته التي استأثر بها او اظهرها لبعض خلص عباده (ان يسمى به احد غيره ولا يدعى) مبنى للمجهول بوزن يرمى اى يسمى (به مدعو قبله) يسمى قبله قال اكثر العلماء ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الخضر عليه الصلوه والسلام اسمه احمد قول مردود واهٍ كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجيان بضم العين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان وبفتح الجيم وتشديد الياء فلا اصل له وقيل تسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن ثمامة الطائى واحمد بن دومان البكيلى واحمد بن زيد بن خراش السكسكى ومن القبائل بنو احمد فى همدان و بنو احمد فى بكيل و بنو احمد فى طى ولم يكن قريبا من عهده من تسمى صيانة له واما بعده فاول من تسمى به احمد بن عمرو ابن تميم الفرهودى او الفراهيدى ابو الخليل النحوى الزاهد و ببركة هذا الاسم كان له من العلم والتقوى مالم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله (حتى لايدخل على ضعيف القلب لبس) اى التباس واشتباه لعدم تمييزه وضعف القلب من لاعقل له تام ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق والباطل فيتردد فى صدق مدعى النبوة بمجرد شئ سبق له فيجوز كونه احمد الموعود به فى الكتب فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذى هو محله وقوته كناية عن ضده وان اشتهر فى الجرأة وعدمها (اوشك) معطوف على لبس و يجوز ان يراد به هنا مايقابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن يقينه هنا وتأييده بما لايجدى لبس تشئ (وكذلك محمد) اى مثل احمد فى عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وجعله مشبها به لانه لم يسم به اصلا على الاصح (ايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع ويراد به فى العرف التشبيه فهو تأكيد لقوله كذلك (لم يسم به احد من العرب ولاغيرهم الى ان شاع واشتهر قبل وجوده صلى الله عليه وسلم) قيل فى النسخ مصغر كعبيد لتقليل زمانه وتقريبه (وميلاده) عطف تفسير على وجوده اى ولادته او زمانها وقيل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها وجلت به صلى الله تعالى عليه وسلم امه آمنة نهارا وولد ليلا فى شعب ابى طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندرى وقيل كان فى الساعة العاشرة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل * ربيع فى ربيع فى ربيع * وقيل ولد فى شعب بنى هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين او خمسين او تسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى (ان نبيا يبعث) اى يرسل من بعث بمعنى اثار وقد فصل زمان بعثه بعثه وسنه اذ بعث فى السير (اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك) الاسم (رجاء ان يكون) اى لاجل رجاء ان يكون الولد المسمى به (احدهم) اى احد ابنائهم المسمى محمد (هو) اى النبى الموعود ببعثه فهو اسم يكون واحدهم منصوب

خبر مقدم او مرفوع اسمها وهو خبرها استعير فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاول اولى (والله اعلم حيث يجعل رسالاته) اقتباس لبيان انه لم يفد هم ذلك اذ ليس كل محمد رسول ولا كل فاطمة بتول والآية زيادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكماء ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اجتهدت بمن جد في العبادة والتصفية حتى صار احسن الناس خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقي وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف متصرف هو هنا مفعول به لفعل مقدر اى يعلم لان افعل لا ينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لا يوصف بانه في مكان او زمان لقدمه وتفصيله في كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرئ به هنا وانما سموا ابناءهم به لما بلغهم من الاخبار والكهان وروى في المبشرات وبشروا بقرب زمانه وكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم (وهم) اى المسمون باسمه قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم رجاء لكونه المبشر به (محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسى) وقال البلاذرى انه محمد بن عقبة بن احيحة وتردد فيه ابن حجر في الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وهاء والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم الف وحاء مهملة والاوسى نسبة للاوس قبيلة الانصار (ومحمد بن مسلمة الانصارى) ابن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصارى ووصف هذا بالانصارى دون محمد بن احيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم وانما يقال الانصارى لمن اسلم منهم ولذا قال الذهبي من عدة محمد بن احيحة من الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا ابو عبد الرحمن المدنى حليف بنى عبد الاشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمى محمدا في الجاهلية كما في الاصابة عن الواقدى من غير تردد فيه وهو صحابى شهد بدرا وكان عمر رضى الله تعالى عنه يعده لكشف المعضلات في خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث واربعين وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد ابن مسلمة ليس في محله لانه بصدد ذكر من سمى محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لا وجه له لما سمعته من خلافه مما هو مصحح في السير نقلا عن الواقدى وما قاله قول مرجوح وان ما قاله مغلطاى في سيرته (ومحمد بن براء البكرى) نسبة لبكر قبيلة مشهورة وبراء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة تليها مدة وهو ابن طريف بن عتوارة بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة واسم ابيه براء رأيته مصححا كذا في حواشي الحلبي وفي غيره بدا بفتح الوحدة وتشديد الدال المهملة قيل وقد تخفف وقال البرهان الحلبي ان محمد بن احيحة ومحمد بن مسلمة

ومحمد بن براء لم يدركوا الاسلام بل هلكوا في الجاهلية فعدهم فيمن اسلم امر عجيب ولا يليق بالمصنف وان كانوا ممن سمي بمحمد قبل البعثة (و) كذا (محمد بن سفيان بن مجاشع) التميمي فانه لم يدرك الاسلام وقد حظي ابو نعيم في عده من الصحابة (ومحمد بن حمران الجعفي) بضم الجيم نسبة الجعفة قرية معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم الف ونون وفي بعض نسخ السير عمران بدله وهذا ايضا لم يدرك الاسلام كما قاله البرهان (ومحمد بن خزاعي السلمي) بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة لقبيلة وخزاعي بضم الخاء وزاي معجمتين والف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان واسم ابيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام ايضا كما قاله البرهان الا ان هذا لا يعترض به على المصنف لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام اسلم ام لا وهم ست (لا سابع لهم) وهذا على ما اختاره المص ومنهم من نقص عددهم كالسهيلي فانه لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض وسيأتي لهم سابع وقد علمت ما طعن به في محمد بن مسلمة (ويقال ان اول من تسمى به) اي باسم محمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة بمحمد (محمد بن سفيان) ابن مجاشع التميمي السابق ذكره (واليمن) اي اهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه (تقول) وفي نسخة يقولون لم يسم به اولا هذا (بل) الذي سمي اولا (محمد بن اليحمد من الازد) وفي نسخة الازدي نسبة الى الازد من اليمن ابوهم ازد ذي الغوث ويقال اسد وفي نسخة بعد ما ذكر ومحمد بن سراة بالسين ايضا ومن نسله الانصار كلهم وازد شنوءة عمان والسراة واليحمد قال البرهان انه في النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الميم واصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي انه بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم وكذا في تقييد المهمل للغساني وهو علم منقول من المضارع وال مقارنة لنقله لا داخلة بعد العلمية فانه شاذ قبلها كقوله ٭ ما انت بالحكم الترضى حكومته ٭ وكيف به بعدها ٭ وقال ان هذا ليس من الستة فيكون سابعا وهو ينافي قوله هنا لا سابع لهم وفي سيرة مغلطاي زيادة محمد بن عدي بن ربيعة المنقري ومحمد بن عثمان السعد قال واظنهما واحدا ومحمد الاسيدي ومحمد بن عتواة الليثي ومحمد بن جرمان العمري ومحمد بن حولة اليمالي ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن ابرواية بن مالك فزاد تسعة او ثمانية وتوقف المصنف رحمه الله تعالى في واحد منهم وقد قيل في بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المصنف لا ينافي هذا الا في قول الانصاري كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمحا (ثم حمى الله) اي صان ومنع بصرفه الهمة (كل من تسمى به) اي بمحمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعي النبوة) تقديره من ادعى ادعائها بنفسه بان يقول انا نبي

(او يدعيها احد له) بان يقول هو نبى (او يظهر عليه) بفتح الياء التحتية وضمها مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول والاول اظهر وضمير عليه لمن (سبب تشككه احد فى امره) اى شئ فى ذاته يكون سببا موقعا للناس فى شك فى انه هو النبى الموعود كنجابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق الساهرة او يجرى على يديه مايشككهم من سحر ومخرقة والعطف باو بعد حى الذى هو فى معنى النفى والنهى يفيد العموم كقوله ولا تطع منهم آثما او كفورا ولو عطف بالواو اوهم ان المحمى عنه المجموع وان وقع بعض منها (حتى تحققت) اى ظهرت وتبينت فى الخارج (السمتان) اى الصفتان اللتان هما المحمدية والاحمدية اللتان هما علمان لموافقة اسمه لمسماه وفى بعض النسخ السيتان بياء بعد السين وهو خطأ كما قال التلمسانى وطغيان من القلم (له صلى الله عليه وسلم) متعلق بالفعل او بالسمتان وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر به فى الكتب السالفة والامم الماضية فادعى الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه (ولم ينازع فيهما) بفتح الزاى المعجمة والبناء للمجهول اى لم ينازعه احد فى السمتين (واما قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (وانا الماحى الذى يمحو الله به الكفر) بيان لمعناه المراد منه ولذا اتى بقوله بعده (ففسر فى الحديث) بالفاء التفسيرية وفسر مبنى للمجهول اى فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقرينة قوله فى الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول وال للمح الوصفية ولما ترآى هاهنا سؤآن لان احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود فى كثير من الناس والبلدان اشار الى دفعهما بقوله (ويكون محو الكفر اما من مكة) بعد الفتح اذ اظهره الله تعالى عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر (وبلاد العرب) الظاهر انه وجه آخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما تلاشى واضمحل حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصله الله على يد خيرته من خلقه (و) كذلك قوله و (ما زوى له من الارض) اشارة لما ورد فى الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها واصل الزوى بالزاى المعجمة الجمع ومنه انزوى احلد بالنار اى انه تعالى جمع له جميع الارض بيد قدرته وطواها فى قبضة قدرته حتى نظرها كلها وبشره بان امته تملكها كلها حقيقة بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام او قبله ان قلنا ان ما ملكوه منها اعظمها واشرفها وهو الذى ارتضاه المصنف لقربه (ووعد) اى الله او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما ورد فى الحديث (انه يبلغه) اى يصل اليه ويحوزه (ملك امته) بضم الميم ويجوز كسرها اى تملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد ورد انه زوى له جانبا من الارض واخبره بانه يبلغه ملك امته ويمحو

ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقي منه كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه
وبركته نسب المحو له صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه الماحي حقيقة وقد قيل انه
كله جواب واحد وقوله (او يكون المحو عاما) شاملا لجميع الارض وليس المراد بها
ارضا مخصوصة (بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله)
جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص بما مر فالمراد بالمحو علو الدين وعلته لغيره
من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو اهله على جميع من عداهم
بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله
تعالى عز وجل * هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله * ويوضحه ان المحو لغة اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء العين
وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما قيل من ان هذا جعله
المصنف وجها واحدا وحمل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضي وجعل
بعض اهل الارض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى
وجعل محو آثار غيرهم كمحو ذواتهم ونسخ اديانهم وكتبهم التي هي بمنزلة ارواحهم
وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ونحوها من صحائف الوجود ففيه مجاز
باعتبار وجوه مختلفة (وقد ورد تفسيره) اي الماحي بغير ما مر (في الحديث)
والتفسير المذكور (انه الذي محيت به سيئات من اتبعه) بما انعم الله تعالى به على امته
من المكفرات وبما قبله من شفاعته لهم في الدنيا والآخرة والعفو كالمغفرة موافق
المحو لغة ومعنى وهذا مروي عن المصنف وقد سقط من بعض النسخ فاسناده الى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والعافي والغافر حقيقة هو الله تعالى
وهذا من خصائص امته وقد فسر قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر سيغفر لامتك وقد روى هذا التفسير الذي ذكره المصنف للماحي الحاكم في مستدركه
وابو نعيم والبيهقي وقال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطي انه
متصل ولفظه واما ماحي فان الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل
معناه ان من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم يمحى ذنب كفره وما عمله فيه قال الله
تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي الحديث الاسلام يجب ما
قبله او يهدم ما قبله وخص بهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يمح احد
الكفر كما محاه اذا جاء على فترة وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مسير النيرين والمراد
بكونه من خصائصه ان الله تعالى لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو
مطلق مخصوص اوقوع خلافه في الآيات والآثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام
لامته استغفروا ربكم انه كان غفارا (وقوله) في هذا الحديث (وانا الحاشر) فسره
صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله بعده (الذي يحشر الناس) جميعهم مؤمنهم وكافرهم
لدخولهم كلهم في شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف والحشر وتعجيل

الحساب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين (على قدمى) بالتخفيف والتشديد كما مر وفى رواية على عقبي ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للحشر وليس بمراد فسره بقوله (اى على زمانى وعهدى) وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفاء فى عصرهم ثم قال (اى ليس بعدى نبى كما قال وخاتم النبيين) فهو اما تقدير مضاف اي على اثر قدمي من غير فاصل او القدم سواء كان مفردا اومثنى ما يتبعه الناس فيه وهو السريعة وقال الكرمانى معناه على اثرى كما جاء على عقبى اوعلى زمانى ووقت قيامي على القدم بظهور علامات الحشر فيه اذ لانبى بعده ويحتمل انه يريد اول محشور لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويجوز بها عن معان اخر كما فى الاساس فيه الي جعله تحت قدمه اذا اعفاعنه وله قدم في كذا اى تقدم فنسب له ذلك لتقدمه وبه وكونه السبب فيه ثم انهم يحشرون في المحشر حتى يشفع لهم وهو حاشر فى هذا الحشر الثانى الى مقرهم من جنة اوار فيتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الخلائق وهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد فى رواية من روى قدمى بالتشديد مثنى وقول الكرمانى ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابى وان كان ظاهره انه من بنات افكاره وارتضاه ابن دحية وما ذكره المص وان سبق اليه فيه حقا الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية اومجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطى ان الله وصف نفسه بالحشر فى قوله ويوم نحشرهم فيكون هذا من اسمائه التى سماه بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك وحشر الناس فى وقت نبوته لبقاء ملته لانها لاتنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وتقدم ان كونه خاتم النبيين اى آخرهم اومن ختموا به على قراءة الفتح لاينافيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه ينزل تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم عاملا بشرعه ولذا يدفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم آخر من نبئ وعيسى نبئ قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول سمى حاشرا لانه حشر اى الصيرمن حصونهم وحرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية (وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء) عليهم الصلوة والسلام اى خلفهم فى الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر بمن لانبى بعده فان العاقب الآخر وقد فسر فى حديث مروى عن ابن جبير فهو اصح واحسن (وفى الصحيح وانا العاقب الذى ليس بعده نبى) وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد لقوم فعناه خليفة الله لانه احق بخلافته من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل انه اسمه عند اهل النار من امته لان الله تعالى يسميهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف (وقيل معنى على قدمى انه يحشر الناس بمشاهدتى) اى بقربى ومعى عراي منى اسبق للناس فى القيام من القبر (كما قال الله تعالى لتكونوا

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على ان الشهادة الحقيقية كما ورد فى الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد لامته بالصدق وهو معنى جعلهم امة وسطا اى عدولا وخيارا كما مر بيانه واخر المصنف رحمه الله تعالى هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى (ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة اسماء) جواب عن سؤال مقدر تقديره ان له صلى الله تعالى عليه وسلم اسماء كثيرة فجعلها خمسة او عشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة (قيل انها موجودة فى الكتب المتقدمة) المنزلة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام كالتورية والانجيل (وعند اولى العلم من الامم السالفة) اى السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ومر صدد لما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم له اسماء اخر فى الكتب القديمة ايضا او كون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعيد (والله اعلم) بوجه التخصيص فيما ذكر (وقد روى عنه عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه ابو نعيم فى الدلائل وابن مردويه فى تفسيره من طريق يحيى التميمى وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (لى عشرة اسماء) وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث (وذكر منها طه ويس كما حكاه مكى) تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اعاده ليتبعه تفسيره الذى ذكره وقال ابو بكر ابن العربى فى احكام القرآن اختلف الناس فى معناه على اربعة اقوال الاول انه اسم من اسماء الله تعالى قاله الامام مالك وروى عنه اشهب قال سألته هل ينبغى لاحد ان يسمى يسين قال ما اراه ينبغى لقوله تعالى *يس والقرآن الحكيم* اى هذا اسمى يسين قال ابن عباس يس يا انسان بالحبشة ويا طه ويا رجل وروى عنه انه اسم الله كما قال مالك الثالث انه كنى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له يس اى يا سيد كما يأتى الرابع انه من فواتح السور وروى عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمانى الله تعالى فى القرآن سبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروى اشهب عن مالك لا يتسمى احد بيسين لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسماء التى لا يدرى ما معناها فربما كان ذلك معنى ينفرد به الرب فلا ينبغى ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال الله تعالى * سلام على آل يسين * قلنا ذلك مكتوب بهجائه فتجوز التسمية به وهذا ليس بمتهجى وهو الذى تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس الا

ان فيه بحثا لان تجويزه للتسمية بيس من وجه و منعه من آخر وانه عند التلفظ لايعرف منه الهجاء وعد مه اللهم الا ان يقال مراده المنع في غير ماورد في القرآن فتدبر (وقد قيل في بعض تفاسيرطه انه ياطاهر ياهادي) على انه اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه السيوطي عن ابي الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسماء الله وماذكره السيوطي رحمه الله مروي عن الواسطي واراد به ان كل حرف منه يروى من اسم فالطاء من طاهر من كل عيب وذنب و الهاء من هاد الى كل خير فهو اسم مركب من اسمي حرفين كما في الم وفي البخاري عن سعيد بن جبير معناه يارجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن و قيل معناه طاء الارض و الهاء ضمير الارض وقيل يارجل بالسريانية فعرب و قيل هو بالنبطية وهي لغة اهل سواد العراق قال معناه بلغة عك يا حبيبي وقيل طوبى لمن هدى (و) قيل (في) بعض التفاسير (يس انه يا سيد حكاه السلمي) بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن كما تقدم في ترجمته (عن الواسطي) نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته (وجعفر بن محمد) هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروي في اسمائه عن ابي الطفيل و رواه البيهقي في دلائله مسندا و قال السهيلي لو كان من اسمائه لقيل يا يسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روى عن الكلبي انه قرأه بالضم ايضا و قيل معناه يا انسان بلغة طيء اصله يا انيسين فاقتصر على بعض منه وقد بسط الكلام عليه في حواشي البيضاوي وكذا في بصائر اوائل الكتاب وقيل معناه يارجل وقيل ياسيد البشر (وذكر غيره) اي غير الواسطي انه روى (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لي عشرة اسماء وذكر الخمسة التي في الحديث الاول) الذي سمعته آنفا (و) زاد عليها و(قال وانا رسول الرحمة) لقوله تعالى * وما ارسلناك الارحمة للعالمين * لانقاذهم من العذاب في الدنيا والآخرة فمن اتبعه نجا في الدنيا من القتل ومن ذلة الكفر والجزية وفي الآخرة من العذاب المخلد والخزي المؤبد واراحهم من اتعب فيها فلذا سمي بذلك كما قال (ورسول الراحة) لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمؤمنين في الدنيا لما رفع عنهم ما كان في الامم السالفة من الاصر والمشاق على شريعته من الرخص والتخفيفات وفي الآخرة راحتهم العظمى لامنهم وازالة تعبهم ورفع التكاليف عنهم وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبي ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا في حرم الايمان آمنين وامنت امته من عموم الخسف والمسخ وسترت عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل الليلة كذا وكذا وتسميته صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة رواه ابن ماجة والحاكم مسندا عن ابي هريرة وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الراحة وما سبق انسب بالاية (ورسول الملاحم) جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت بذلك

لالتحام الابطال فيها اى ازدحامهم فيها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبي ولامته من الجهاد والقتال ماوقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته ولايزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وهذا لاينافي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لانه رحمة حقيقة اذ في قتاله غنيمة للمسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وامن دار الاسلام وغير ذلك مما لايحصى والجواب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع مافيه لايناسب العالمين (وانا المقفى قفيت النبيين) كلاهما بتشديد الفاء كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم وهو اما بمعنى التابع الذى جاء على اثرهم لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف على احوالهم وشرايعهم فاختار له الله من كل شئ احسنه وكان في قصصهم له ولامته عبر وفوائد اوالمراد انه خاتمهم وآخرهم ووقع في بعض النسخ المتقى بزيادة التاء الفوقية واقتصر عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي ثم ان المقفى ذكره غير الطيبي ولم يرد به نص صريح وفيه نظر (وانا قيم) بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد (و) فسره المصنف بقوله و(القيم الجامع الكامل) اى الجامع لمكارم الاخلاق النفسية الكامل فيها اوالجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قاله ابن الاشرم لماولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الآمدى * بدأت دينا بعد دين قد يدم * * وكنت في الدين كانى في ظلم * ياقيم الدين اقما نستقم * كما ورد في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى ملك فقال انت قيم وخلقك قيم * اى مستقيم حسن وفى النهاية القيم القائم بامور الخلق ومدبر العالم في جميع اموره وهو مرادف للقيوم الذى هو من اسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشئ من اسماء الله تعالى بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القيوم كما يسمى بغير ذلك من اسمائه والقيم ايضا من اسماء الله تعالى كما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم * انت قيم السموات والارض ومن فيهن * وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله السيوطى في الرياض الانيقة (كذا وجدته) اى تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيم في كتب الحديث (ولم اروه) بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا انى وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستأنس به وهذا رواه الديلمى في مسند الفردوس وفى النهاية الاثيرية ايضا كما مر (واری ان صوابه) بحسب الرواية (قثم بالثاء) المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف فرأى انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه ابن اسحق في حديث غريب هو وقال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم * اتانى ملك فقال انت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة * قال ابن دحية فى اشتقاقه معنيان احدهما من القثم وهو الاعطاء يقال قثم له من العطاء اذا اعطاه فسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه والثانى من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل وجميع الخير والمناقب وقد علمت ما فيه (كما ذكرناه بعد) بالبناء على الضم اى فيما سيأتى (عن الحربى) قال البرهان لهم ابو اسحق الحربى وابو اسحق بن الحسين الحربى والثانى ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما وثقه الدارقطنى وصحح عليه فى الميزان وذكر الذهبى انه مبهم (وهو اشبه بالتفسير) يعنى انه اقرب شبها بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجمع ايضا كما تقدم آنفا وقد كان عبد الله ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى بابى محمد وابى قثم وقالوا انه الجامع للخير او لسمل امته ويأتى ان هذا الاسم معروف فى جماعة من اهل البيت منهم قثم شقيق الحارث عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة سمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم ايضا وقثم بن عبد الله بن العباس ثم عاد المصنف الى ذكر القيم بالتحتية واشار الى ما صححه فقال (ووقع ايضا فى كتب الانبياء) المنزلة من السماء كصحف ابراهيم وداود (قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم) اى يا الله والحقوا الميم فى آخر هذا الاسم ايذانا بجمع اسمائه وصفاته فالسائل اذا قال اللهم فكأنه قال ادعو باسمائه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع فى آخره ايذانا بسؤاله باسمائه كلها ولذا قال العطاردى اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من اسمائه وقال النضر من قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمائه ووجه هذا بان اللهم بمنزلة واو الجمع فانها من مخرجها فكان الداعى بها يقول يا الله الذى اجتمعت له الاسماء الحسنى والصفات العلى وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون فى نحو مسلمون (ابعث لنا محمدا يقيم السنة) اى الطريقة الشرعية والدين (بعد الفترة) اى انقطاع الوحى والرسل وضميرلنا للناس (فقد يكون القيم بمعناه) اى بمعنى المقيم للسنة المأخوذ مما ذكر لدلالته مما ذكر عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه فى الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفى التورية كما نقله السيوطى ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهى الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص ما بين عيسى ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معناها الضعف وتسمية ترك العبادة فترة منه فليس معنى اصليا كما توهم فان كان ضميرلنا له ولقومه فجملة ابعث الدعائية تمنى ان يبعث فى زمنه وقيل ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة وفى كتاب فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابن القيم ان اللهم لا تستعمل الا فى الطلب

نحو اللهم اغفر لي قلت وهذا ينافي قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله في موضع لا يكون بعده دعاء نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتأمله (وروى النقاش) تقدمت ترجمته (عنه عليه السلام) انه قال (لي في القرآن سبعة اسماء) تقدم المراد بالاسماء وانها تشمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال (محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله) تقدم الكلام على بعضها وسيأتي تتمته ومحالها من القرآن معلومة في اوائل السور وغيرها كقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبي والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه او المراد ما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان رؤف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما في قوله تعالى * بالمؤمنين رؤف رحيم * ثم استبعد كونهما اسمين بعد القرآن غير مسلم لما مر وقوله في القرآن يشير الى ان له اسماء اخر ليست فيه وفي الصحيحين في فترة الوحي بينا انا امشي اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء على كرسي بين السماء والارض فرعبت منه ورجعت فقلت زملوني زملوني وفي رواية دثروني فانزل الله تعالى * يا ايها المدثر قم فانذر والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التي كان عليها حين النزول والمدثر المتلفف في الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلب وادغم كما هو معلوم من علم التصريف وقال ابن الوردي انما نزل يا ايها المدثر عقيب قوله زملوني لان هذا التزمل اريد به الدثار من برد يعتري المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحي عليه فخاطبه بما طلب من تزمله اي يا ايها المتزمل المتدثر دع الدثار وخذ في الانذار تأنيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما امر به كما تقول لمن ارسلته لامر فخوف وتشطعه يا ايها المخوف امض لامرك وقال السهيلي فيه ملاطفة لانه ورد بالنذير العريان ووصفه بالانذار مع الدثار تمليح بالطباق وهو من نوع بديع وكان تدثره صلى الله تعالى عليه وسلم بقطيفة في بيت خديجة وذكر عائشة بدل خديجة خطأ لانه كان بمكة وعائشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالقرآن وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من الزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلي ليس المزمل من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة رضي الله تعالى عنها من المعاتبة وما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان يمر لها مرطا مرطها طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهي نائمة لا اصل له فان نزول يا ايها المزمل بمكة ودخوله صلى الله تعالى عليه وسلم على عائشة انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله تعالى به في آيات

والعبودية اشرف صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم واصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان رقيقا ام لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بعين التقصير وفي بعض النسخ (وفي حديث عن جبير بن مطعم هي) اسماؤه صلى الله عليه وسلم (ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي) وقد علمت معانيها (وفي حديث ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفى) وفي رواية كما تقدم المقتفي (والحاشر ونبي التوبة) هذا الحديث اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وقد مر تفسير هذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها او يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته اصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط امور شاقة كما لم تقبل توبة بني اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر قوله تعالى * ان الله يحب التوابين * بشرط الندم والعزم على عدم العود ورد حقوق العباد او استحلالهم ونحوه كما فصلوه في محله فهو لا ينافي قبول توبة غير هذه الامة في الجملة (ونبي الملحمة) تقدم تفسيره (ونبي المرحمة وللرحمة وكل صحيح ان شاء الله) رواية ودراية كما تقدم ايضا (ومعنى المقفى هو معنى العاقب) كما مر مفصلا والاولى تفسير كلا منهما بمعنى هربا من التكرار فمعنى المقفى التابع لهدى النبيين وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه اشار بقوله (قيل) معنى المقفى (المتبع لهدى النبيين واما نبي الرحمة والتوبة) يأتي جواب اما وقيل معنى نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة (والمرحمة والراحة) لان من رحمه الله تعالى فقد اراحه من العقاب واذا علمه بذلك اراحه من القلق (فقد قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة والسيف اي القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستيصال فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ليطبقهما عليهم واباؤه ذلك رجاء ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير على العمل القليل مع قصر اعمارهم وقد اثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة اعمارهم واعمالهم باقل من ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفي جعله صلى الله تعالى عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة (وكما وصفه) اي مثل وصفه الذي وصفه به في هذه الآية

وصفه له في غيرها (بانه يزكيهم) اي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والاثام المدنسة لهم بقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقيل لامته (و يعلمهم الكتاب) اي القرأن (والحكمة) اي العلوم النافعة و العقائد الحقة و معاني القرأن و فسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القرأن ايضا والحكمة من الله معرفة حقايق الاشياء وايجادها على غاية الاحكام و من الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذي وصف به لقمان و يصح ارادته هنا ايضا (و يهديهم الى صراط مستقيم) اي يدلهم على طريق لا عوج فيه بالوحي والشريعة يوصلهم الى سعادة الدارين (و بالمؤمنين رؤف رحيم) قدم متعلقه للتخصيص او للاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرأن قصدا للاقتباس عن مشكاته وتقديم الرؤف كما مر لانه الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم على ما مر وما قيل من انه قدم للفاصلة وخفه التأخير بناء على انه اشد الرحمة تقدم رده (وقد قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او الله في غير القرأن اذ لم يقع فيه بهذا اللفظ (في صفة امته انها امة مرحومة) في الدنيا والاخرة في الحياة والممات والامة امة الدعوة او الاجابة (وقد قال تعالى فيهم) اي في حقهم وشانهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) معطوف على جملة الصلة في قوله تعالى الذين آمنوا (اي ترحم بعضهم بعضا) اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه و بالرحمة على خلق الله (فبعثه الله) وفي نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه (رحمة لامته) متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور و هو في الحقيقة سببه و رحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له او حال من الله او من ضمير النبي بمعنى راحما لهم (ورحمة للعالمين ورحيما بهم) اي جعله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه بهم و حمله على ذلك ولا تكرار فيه مع ما قبله (ومترحما) و(مستغفرا لهم) اي داعيا لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم عليهم ففيه جنس ترتيب وايهام للتأكيد (وجعل امته امة مرحومة و وصفها بالرحمة) لاجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون تاسيا للمامر لاعتنائه وتفضيله (وامرها) اي الامة (عليه الصلوة والسلام بالتراحم واثنى عليهم) اي امر امته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله (وقال) عليه الصلوة والسلام (ان الله يحب من عباده الرحماء وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن) وهذا خبر لفظا مآل معناه الامر فلذا اردفه بصريحه بقوله (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) بالرفع والجزم و حديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل و يؤخذ من كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة انه لا ينبغي ان يدعى له بالرحمة فقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد في الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده

فى غيره وسيأتى تفصيله فى بحث الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واما رواية نبى الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهى صحيحة) متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهرة معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فرض عليها القتال واحلت له الغنائم ونصر بالرعب ووقع له من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقى ذلك فى امته الى يوم القيامة وما احسن ما قيل

* جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما احسن المحراب فى المحراب *

فلاختصاصه بذلك اضيف له (وروى حذيفة) وفى نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد والترمذى فى الشمائل (مثل حديث ابى موسى) الاشعرى السابق اى بمعناه ولفظه (وفيه ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم) بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص بكثرتها (وروى الحربى) تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المصنف رحمه الله تعالى ورواه ابو نعيم فى الدلائل عن يونس بن ميسرة (فى حديث انه عليه الصلوة والسلام) بيان لانه مرفوع (قال اتانى ملك فقال انت قثم) بالثاء المثلثة كعمر اى مجتمع اى مجموع فيك كل كمال وخير فكنى عن ذلك بكونه مجتمع فى ذاته ولذا عقبه بقوله (قال والقثوم الجامع للخير) كله فى ذاته ولغيره (وهذا اسم) له صلى الله عليه وسلم (هو فى اهل بيته معلوم) فسمى به غيره كما تقدم هو وتفسيره (وقد جاءت من القابه) وهى اسماؤه المنقولة واللقب ما اشعر بمدح واما قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب فمخصوص بما فيه ذم مؤذ كما ذكره المفسرون (وسماته) بمعنى صفاته اوهو عطف تفسيرى والسمة فى الاصل الوسم والكى ثم عم لكل علامة واستهر بمعنى الصفة اوالمراد الصفات الواردة (فى القرآن) لان اكثر ما فيه صفات منزلة منزلة الاعلام (عدة كثيرة سوى ما ذكرناه) مما تقدم ذكره ومنها ماهو حقيقة ومنها ماهو استعارة (كالنور والسراج المنير) كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وقال وسراجا منيرا وفسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور لا يطفئ ويأبى الله الا ان يتم نوره وهذا بناء على ما اختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذى حققه المشايخ نور الله تعالى مراقدهم كما فى مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التى يفيض بعضها على بعض قال والنور الحقيقى هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعرى انه نور ليس كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وبهذا صرح فى هياكل النور فلذا سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية سمى سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية فلبس الوصف به لغوا ولا مؤكدا فان فهمت فنور على نور فهو فى الاصل استعارة ثم ان كان سمى به صار حقيقة (والمنذر والنذير)

وهما متقاربان معنى واصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى * انما انت منذر ولكل قوم هاد * وقال انى انا النذير المبين * وفى البخارى انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى وانا النذير العريان فالنجاة النجاة فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعنى واتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق والنذير للمبالغة فى صدقه وجده فى انذاره ووصفه بالعريان لانه ابلغ فى انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تأكيدا لانذاره (والمبشر والبشير) قال تعالى * انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخبر سار وقوله تعالى * فبشرهم بعذاب * تهكم وسميت بهما لتغييرهما بشرة الوجه اى ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا او عتاقا كما بين فى كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقد مر ذلك كله وقال السيوطى انه من اسماء الله ايضا لقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وفيه نظر (والشاهد والشهيد) قال تعالى انا ارسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم شهيدا * ونحوه والشهادة كما فى الصحاح الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة وسمى به لشهادته على الامم لتبليغ انبيائهم لهم ويشهد على امته بالايمان كما ورد فى الحديث ويأتى ان الشهيد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم او الشاهد على عباده يوم القيامة ثم سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والحق المبين) قال تعالى * حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم * ونحوه وفسرا به صلى الله تعالى عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشئ الى الواقع والحق نسبة ما فى الواقع الى الشئ من حق اذا ثبت وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من ابان ويكون متعديا ولازما بمعنى بين فمعناه الظاهر فى نفسه والمظهر لغيره قال تعالى * لتبين للناس ما نزل اليهم وان المبين من اسمائه تعالى لتبين الوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده امر معادهم ومعاشهم وشرايعهم (وخاتم النبيين) بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كطابع كانه ختمهم بنفسه فهو استعارة فى الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى * ولكن رسول الله وخاتم النبيين * من ختمت الامر اذا تممته وبلغت آخره وفى الصحيحين مثلى ومثل الانبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا واحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث امته تحت الارض ولئلا تطلع الامم على احوال

امته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه السلام على شريعته كما تقدم (والرؤف الرحيم) تقدم معناهما مفصلا (والامين) فعيل بمعنى مفعول مبالغة و يكون بمعنى فاعل كقوله تعالى * وهذا البلد الامين * وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع فى القرآن فى قوله تعالى * انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين * فى قول بعض المفسرين ان المراد به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وان كان المشهور خلافه وانه جبريل وقال المصنف انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطى عنه وقيل انالم نعلمه فى القرآن فى غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هو دونه كقوله تعالى * فى موسى انى لكم رسول امين * وفيه تكلف وقد سمى به و بالمأمون فى الجاهلية قال كعب بن زهير

* سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا *

ومر انه لما تشاحت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا اول من يدخل من هذا الباب نضعه فدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رأوه قالوا قد جاء الامين وانه كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودايع والامانات (وقدم الصدق) كما عده كثير من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم و فى البخارى عن زيد ابن اسلم فى قوله تعالى * و بشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم * قال هو محمد صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه مفصلا اول الكتاب وعن على كرم الله وجهه كما اخرجه ابن مردويه انه قال فى تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية تشبيها بان يشفع لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله تعالى به وكذا روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان معناه شفيع مصدق ومر عنه فى كلام المصنف رحمه الله تعالى شفيع صدق عند ربهم ومر فيه عن سهل ان معناه سابقة رحمة اودعها الله تعالى اى عهد له بها ازلا انه سيجعله رحمة لهم ولذا عقبه المصنف رحمه الله بقوله (ورحمة للعالمين) فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام و يطلق على التقدم لانه يكون بها و يقال لفلان قدم اى مقدم كما قال ذو الرمة

* لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادى طمت على الفخر *

وكونه رحمة لجميع العالمين كما فى قوله تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * وقد مر الكلام عليه (ونعمة الله) فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فسمى نعمة كما سمى رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال (والعروة الوثقى) قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمى فى قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى * هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة الثابتة فيه استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع فى هوة الضلال كما ان من

عسك حبلا متينا صعد من حضيض المهالك (و) من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم (الصراط المستقيم) ذكره ابن دحية وقال ابو العالية في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله تعالى موصل اليه وتقدم ان الصراط بالصاد والسين والزاي المسمة الطريق المستوى او الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه فاستعير له صلى الله تعالى عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد ولذا عقبه بقوله (والنجم الثاقب) اشارة لقوله تعالى وبالنجم هم يهتدون وروى عن السلف في قوله تعالى والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وهو بعيد وقدمر هذا وما قبله في كلام المصنف رحمه الله عن جعفر الصادق في تفسير والنجم اذا هوى وان الثاقب بمعنى المضيء المتوهج قال * اضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه * وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله تعالى عليه وسلم كما يهتدى بالنجم او لانه استنارت به ظلمة الجهل فان رخص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل (والكريم) المتفضل او العفو او الكثير الخير او العلي كما يأتي وكله صحيح في حقه صلى الله تعالى عليه وهو سمي به في قوله تعالى * انه لقول رسول كريم * بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل كما مر ويأتي والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته بهذه الآية لاتصافه صلى الله عليه وسلم به وبمعناه في الاحاديث الصحيحة (والنبي الامي) قال الله تعالى * الذين يتبعون الرسول النبي الامي * وهو من لا يقرؤ ولا يكتب وقيل هو الذي يقرؤ ولا يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال احدها وثانيها هذان وقيل كان يقرؤ ويكتب وقيل كان لا يقرؤ ولا يكتب في اول امره ثم لما زالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم وسيأتي تفصيله مع انه مقدم مرارا والامي منسوب الى الام كانه على الحالة التي ولدته امه عليها او الى ام القرى وهي مكة او الى امة العرب وكنى به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوبة الى الامة لانه امة بنفسه واميته معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ما ظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته بالاخبار الامم السالفة وشرايعهم وهو لا يقرؤ ولا يكتب ولم يدارس ولم يتلق ممن قرأ وكتب امر غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانهما آلة وواسطة له غير مقصودة في نفسهما فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع ما في ذلك من الرتبة والاستعلاء بكتابة عن ملاقاته كما قال الله تعالى * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون * وروى انه صلى الله تعالى

عليه وسلم قال لاازيد الخط ائلا يقع ظل القلم على اسم الله تعالى رواه الترمذى ولم يسنده فجازاه الله تعالى على ذلك ان يرفع ظله عن الارض فلا يوطأ وان لا ترفع الاصوات على صوته وسيأتى ان من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالتنقيص له حكم الساب (وداعى الله) اى داعى الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال الله تعالى * وداعيا الى الله باذنه واجيبوا داعى الله ونحوه وفى الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا وصنع مأدبة فمن اجاب الداعى رضى عنه السيد ودخل الدار واكل من المأدبة فالسيد هو الله والداعى محمد والدار الاسلام وقال البخارى الجنة وكذا المأدبة قال السيوطى وقد وصف الله تعالى نفسه بانه داع فى قوله تعالى * والله يدعوا الى دار السلام * فهو من جملة اسماء الله تعالى التى سماه بها وقال على لسان الجن اجيبوا داعى الله ففيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبى قبله وفسر قوله بعثت الى الاسود والاحمر بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه والسلام وقد يوفق بينهما بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله تعالى لانه لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبى صلى الله عليه وسلم مأمور بدعوتهم وتكليفهم العمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم وتسخيرهم له كسليمان (فى اوصاف كثيرة وسمات جليلة) عظيمة محلة اى ورد ما ذكر فى القرآن والآثار مع صفات اخرى كثيرة اطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه فجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوى على مظروفه وسمات جمع سمة وهى العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالمرسن للانف وشاع حتى صار كالحقيقة او بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن فى العبارة (وجرى بها وكتب الله المتقدمة مثلها) اى وقع منها فى كتب الله المتقدمة على القرآن كالتوراة والانجيل وغيرهما وجرى حقيقته اسرع من المشى وفى المبايعات بمعنى سال كجرى النهر ثم شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر فى قوله * ويحدث الماء الزلال مع الصفا * يجرى النسيم عليه يسمع ما جرى (وكتب انبيائه) قيل المراد بها كلمات منقولة فان لهم عليهم الصلوة والسلام احاديث دونها احبارهم فى زمانهم قبل نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنه ودونها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته لما قبله (واحاديث رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه او قالها اصحابه بنقل عنه ودونه وهذه كلها تسمى احاديث ايضا (واطلاق الامة) عن الصحابة والمراد الاعم اى تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة ام لا مشهور ومتعارف وهو فى الاصل من الاطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماؤه صلى الله عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم

كأسماء الله تعالى فإنه اشتهر فيها وتلق بالقبول في حكم المنقول فان الامة لاتجتمع على الضلالة وقد وقع هكذا في كثير من اسمائه وصفاته (حملة شافية) فاعل حرى من شفا المريض اى شافية من داء الجهل اومن شفا العليل وهو حر العطش لانه يروى الظمأ ويثلج الصدر (كتسميته بالمصطفى والمجتبى) هذا مما اطلقه عليه الامة ولم يرد في كتاب ولاسنة وهما بمعنى وفي الصحاح احتباه بمعنى اصطفاه واختاره واصله كما قاله الراغب من جبت الماء في الحوض اذا جمعته لجمعه صلى الله تعالى عليه وسلم المكارم والصفات الحميدة بفيض الهى من غير سعى كما قال تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * قال السيوطى المصطفى من اشهر اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله المختار وفي مسند الدارمى ان في التورية محمد رسول الله عبدى المختار الى آخره (وابى القاسم) وهذا اشهر كنية له صلى الله عليه وسلم ومنها ابو ابراهيم كما يأتى وابو المؤمنين وابو الارامل كما ذكره السيوطى وهذا ورد في الحديث الصحيح ففي مسلم عن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى فانى ابو القاسم اقسم بينكم ويأتى الكلام في اوائل القسم الرابع ومثله ما في كتاب الدخائر والاخلاق في ادب النفوس ومكارم الاخلاق انه كنى به لانه يقسم الجنة بين اهلها يوم القيامة والذى جزم به اهل السير انه كنى بابنه القاسم وهو اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم من خديجة ولادة ووفاة وظاهر النهى فيه تحريم التكنى بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعى وقيل انه جائز بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم والنهى مخصوص بحياته ورجحه النووى ووجهه ان النهى عن ذلك لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لاذاه وهو يزول بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله تعالى من ندائه به وفي قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روى عن جابر مرفوعا من تسمى باسمى فلا يتكنى بكنيتى ويأتى بسط ذلك في القسم المذكور قال السبكى وحيث حرمناه فالمحرم الكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكنى وهو قول المسمى لذلك واما الاطلاق فامر ثالث الا ان يكون ذلك الشخص لايعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا في عمر ابنه القاسم فقيل سنتان وقيل غير ذلك (والحبيب) وحبيب الله تعالى وهذا ثبت بالحديث الصحيح الذى رواه البيهقى في الشعب عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذنى حبيبا وقال وعزتى وجلالى لاوثرن حبيبى على خليلى ونجيى وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على ايهما افضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينه بحيث لايفتر عن ذكره وتملكه لقلبه بحيث لايكون فيه محل لسواه والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما ولاشك انها

بهذا المعنى افضل واعلى فقول ابن القيم فى كتاب الداء والدواء ما يظنه بعض العالطين من ان المحبة اكمل من الخلة فى جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبته عائشة وغيرها لم يصادف محزه (ورسول رب العالمين) لم ينظم هذا فى سلكه ماوقع فى القرآن لانه وان ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهرى الرسول المبلغ لاخبار من بعثه من قولهم جاءت الابل رسلا اى متتابعة والفرق بينه وبين النبى مشهور (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته وسمى شافعا ايضا وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله (والمتقى) والتقى والاتقى لحديث مسلم انا اتقاكم لله والتقوى لها مراتب مفسرة فى تفسير البيضاوى (والمصلح) للخلق بارشاده وهدايته قال المصنف رحمه الله وجد على بعض الحجارة القديمة محمد تقى مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال مابينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبائل العرب كما قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم (الطاهر) بالمهملة لطهارته صلى الله عليه وسلم من النقايص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية الى طهارة فضلاته كغائطه وبوله ودمه ورجحه السبكى والبلقينى وافتوا به كما مر وقد شربت بوله ام ايمن وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله تعالى عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم (والمهيمن) ويأتى ان هذا سماه به عمه العباس رضى الله تعالى عنه فى شعره المشهور الذى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم به وقد تقدم روايته له وفيه

*حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق*

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروى فتحها ايضا وهو كما انه اسم له صلى الله عليه وسلم صح انه من اسماء الله تعالى ومن اسماء القرآن قال الله تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وفسر فى الآية بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرآن على انه حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة فى القرآن وقال ابن قتيبة انه من اسماء الله تعالى معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القائم على خلقه وقيل الامين اى وتبعه المصنف فى بعض ذلك كما يأتى بيانه واصله مؤيمن قلبت همزته هاء وقيل المهيمن وهو فى اسماء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى الاول او الرابع او الخامس انتهى وهو عنده اى المصنف مصغر مؤمن على ماسيأتى وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسماء الله واسماء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن بل كل معظم

لايجوز فيها التصغير كما يأتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابو علي في الحجة انه اسم مكبر ورد بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ماقاله واذا وصف به القرآن فمعناه رئيس الكتب العالي عليها لحفظه من التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق ويبعده تعديته بعلى الا ان يقال انه لمافيه من معنى العلو وعلى انه من الامن ظاهر لانه امنهم من الخوف (والصادق والمصدوق) وسمى بالصدق ايضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره ابو بكر ابن عربي وفي صحيح البخاري حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق قاله ابن مسعود وكذا ورد هذا في عدة احاديث رواه السيوطي لانه صدق الانبياء والكتب التي قبله والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدي كما ورد صدق وعده والصادق من اسماء الله ايضا ورد في حديث الاسماء كما قاله السيوطي رحمه الله تعالى (والهادى) عده جماعة من اسمائه اخذا من قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وهو من اسماء الله تعالى ايضا ويأتي ان الهداية تطلق على خلق الاهتداء ويوصف بها الله تعالى خاصة وهو المنفي في قوله انك لاتهدي من احببت على قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يوصف بها الله تعالى والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على الداعي ومنه ولكل قوم هاد ولاتستعمل الا في الخير وقوله واهدوهم الى صراط الجحيم تهكم وهدايته صلى الله عليه سلم لمافيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد اشبعنا الكلام عليه في حواشي القاضي (وسيد ولد آدم) وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث كثيرة صحيحة كما في حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد آدم وفي الصحيحين انا سيد الناس يوم القيامة وهو من اسماء الله تعالى ايضا كما اثبته البيهقي في كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله تعالى وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بالله مطلقا وقيل يختص به معرفا وقيل يختص بغيره ولايجوز اطلاقه عليه واستدل للاول بانه لماقال له صلى الله عليه وسلم وفد بني عامر انت سيدنا قال السيد هو الله وهو حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا مما يوصف به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما روى عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على الله تعالى ولان معناه رئيس القوم الذي يفخر ويعز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لايليق بالله تعالى ولذا فسر اذا اطلق على الله بمامر واما اختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف في امور غيره وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجأ لكل احد وهو مختص به تعالى وهذا اضعفها فان قلت اذا صح الاول ماتصنع بالحصر في حديث السيد هو الله قلت اذا ثبت وصف لشيء وحده اومع غيره واريد رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا وافرادا او يعرف الطرفان كالمعبود

الله وهو كالذي قبله معنى الا انه قد يختار ايماء لعظمة مخاطبه فهو ابلغ في مقامه
او يجعل من اثبت الزاعم له الصفة عين من هي له في نفس الامر كما يقال للدهري الدهر
هو الله اي لا دهر ولا تصرف لسوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق
برهاني كقوله ان كان للرحمن ولد الى آخره وهذا نوع ادق من غيره سماه الشيخ
التنويع وذكره سيبويه في باب الاستثناء فقوله السيد هو الله يحتمل اجراؤه على
ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من اسماء الله تعالى
فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المكنوزة في دفائن الخواطر
وقد قدمنا ذلك اول الكتاب في الباب الاول وانما اعدناه لطول العهد به والمراد بولد
آدم النوع الانساني وكذا كل جماعة سموا باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه
واطلاقه عليهم كما يقال تميم له ولاولاده وكذا يقال بنو تميم لما يسمى تميم وهو القبيلة
وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله القرافي في كتاب العقد المنظوم
وعده من الفاظ العموم فان الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغي ان يكون
الاضافة للاستغراق بقرينة المقام اي انا سيد كل ولد آدم وان كان الجمع فالامر
ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد آدم سيادته على آدم اذ فيهم من هو افضل من آدم
كابراهيم وموسى عليهم الصلوة والسلام فقد تكلف ما لا حاجة اليه لعدم وقوفه
على ما ذكرناه في الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة وانه خص يوم القيامة لانه
يظهر فيه سيادته على سائر المرسلين من غير منازع فيه وان كان سيدا في الدارين كما مر
(وسيد المرسلين) كما ورد في احاديث صحيحة واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم افضل
من سائر المرسلين فهو افضل من سائر النبيين لان الرسول افضل من النبي وان اختلف
في تفصيل الرسالة والنبوة (وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) جمعهما المصنف
رحمه الله تعالى لورودهما كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال ليلة اسري بي انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلألأ نورا واعطيت ثلاثا قيل لي
انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم
بامام النبيين وامام المتقين وامام الناس وامام الخير كما في الرياض الانيقة ولانه
ذكره ابن سيد الناس في سيرته وعن قتادة في قوله تعالى * يوم ندعو كل اناس بامامهم
ان الامام المراد به النبي صلى الله عليه وسلم والامام في اللغة المقتدى به ويطلق على
الواحد كقوله تعالى * اني جاعلك للناس اماما * وعلى الجمع كقوله تعالى * واجعلنا
للمتقين اماما * قاله ابن الانباري وسمي صلى الله تعالى عليه وسلم امام النبيين لانه
اسبقهم في النبوة الروحانية ولانه امهم في الاسراء كما مر واخرج احمد والترمذي اذا
كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم وفي رواية لاحمد
كنت امام الناس ومنها اخذ تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم به وامام المتقين

ان اريد به امته صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر وان اريد الاعم موافقة لرواية امام الناس فلاقتداء الانبياء به وفى بعض الشروح ان كل متق سواء كان من امته اومن الامم السالفة مقتد به لانهم فى السير الباطنى اشرفوا على المقام المحمدى وآمنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد فى حديث رواه ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير رسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون * وقايد اسم فاعل من القود وهو مقدمه على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفى القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض فى جبهة الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض فى القوائم وفى الصحيحين ان امتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه بيانهم وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيامة والتعبير به وبالقود مما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى انهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله * الناس للموت كخيل الطراد * والسابق السابق منها الجواد * و بها استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى واجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء عليهم الصلوة والسلام اختصوا به دون اممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة اثر الوضوء لاينافى كونه من اثر السجود وادعاء انه غيره فيه نظر (وحبيب الله) تقدم بيانه مفصلا (وخليل الرحمن) تقدم تحقيقه (وصاحب الحوض المورود) رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطى حديث الحوض مروى عن اكثر من خمسين صحابيا وتقدم سرد بعضهم فى كلام المصنف ومنهم ابو برزة الاسلمى وحديثه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان لى حوضا مابين ايلة الى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق اى فضة والآخر من ذهب ماؤه احلى من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء وقال القرطبى ذهب جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما فى الموقف قبل الصراط والذى فى الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم

في السعي الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط و ورد ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمي به لاختصاصه به وفي بعض الكتب لكل نبي حوض وتسميته به صلى الله تعالى عليه وسلم لعظم حوضه وزيادته ومثله يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه الشرب عادة فلذا عبر به وهو وان كان اسم مفعول لا يدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به (والشفاعة) اي من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه (و) صاحب (المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر (و) صاحب (الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة) الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد في حديث مسلم السابق سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو واصل الوسيلة كما قال السيوطي القرب من الله والمنزلة عنده وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى في الدنيا والآخرة غني عن البيان (وصاحب التاج) قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم وكني به عن انه من صميم العرب واشرفهم حسبا ونسبا وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل في السير ولنافيه رسالة مستقلة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة ودخل مكة في الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهو لا ينافي رواية انس رضي الله تعالى عنه انه كان على رأسه مغفر ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة حمراء ايضا ولم يلبس خضراء اصلا (و) صاحب (المعراج) وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للسماء والاسراء سيره من مكة الى القدس فهو مصدر ميمي فبينهما فرق وان اطلق كل منهما على الآخر كما مر وهو الذي تصعد عليه الارواح والملائكة ولم يصعد عليه في الدنيا بجسده احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص بالتسمية به (و) سمي ايضا صاحب (اللواء) قال السيوطي المراد به لواء الحمد الذي تقدم وقد يحمل على اللواء الذي كان يعقده صلى الله تعالى عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو مما يحمل في الحرب ليعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله واول ما حدثت الرايات في الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية

(والقضيب) اى من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وتبعه السيوطي ويأتي انه وقع مفسرا به في الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذي يمسكه الخلفاء وفي كتاب البيان للجاحظ انه كانت له صلى الله تعالى عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل ما بين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب وخطبائهم فاذا اريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثاني فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم و اقيل من ان المراد به القضيب الذي اعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف في معجزاته تكلف ناش من ضيق العطن (وراكب البراق والناقة والنجيب) البراق دابة عراب من المخلوقات العلوية روي ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوائمه كالثور وذنبه كالعز الوابس مذكر ولا انثى وسمي به لسرعته اولبياضه وصفائه اولما فيه من قليل سواد من قولهم شاة برقاء وركبه صلى الله عليه وسلم لما اسري به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبياء ام لا وهل ركب معه جبريل ام لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر وان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده والنجيب الجمل وقد سمي براكب الجمل ايضا في الكتب القديمة كما سمي عيسى عليه الصلوة والسلام براكب الحمار ولذا قال المحشي لما جاءه كأنه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به استشهد ان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمي به مع ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه اولهجرته عليه اوكونه من صميم العرب وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم جمال ونوق مذكورة في السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه من اعرابي وهو الذي شهد له به خزيمة وهو غريب (وصاحب الحجة) وهي الدليل الذي يحج به الخصم وهو المراد او المراد المعجزة وقد بلغت الفا واعظمها القرآن (والسلطان) بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر و يؤنث وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة ويصح ارادة كل منها هنا وسمي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا في كتاب شعيا و بعض الكتب القديمة (والخاتم) اى صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه صلى الله تعالى عليه وسلم كزر الحجلة و بيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة الله وحده لا شريك له او محمد رسول الله اوتوجه حيث شئت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به في كتاب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف في العرب ولا في الانبياء من ختم الكتب سواه وفيه نظر (والعلامة) اى علامة النبوة وهي الخاتم ايضا وقد ورد

نعته به فى الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم والدال على ان
الانبياء ختموا به كما ورد فى حديث ويجوز ان يراد به مطلق العلامات التى كان اهل
الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناءهم (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء ثم راء مهملة
والف وواو وتاء تأنيث وهى العصا قال فى النهاية لانه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يمسك بيده القضيب ويمشى بالعصا بين يديه وتغرز له ليصلى اليها وقال
الجوهرى هى العصاة الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال المصنف كما يأتى
انها العصا الواردة فى حديث الحوض انه يذود بها الناس عنه وقال النووى انه
ضعيف او باطل لان المراد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه الناس ويعلم
اهل الكتاب انه المبشر به فى كتبهم فلا وجه لتفسيره بامر يكون فى الآخرة فالصواب
ما تقدم ومن سنن الانبياء حمل العصا تواضعا (والنعلين) اى صاحب النعلين وقد
ورد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا فى الانجيل وفى كيفية نعليه كلام مفصل
افرده بعض اهل العصر بالتأليف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نعلان سبتية
بكسر السين اى لا شعر عليها او مدبوغة وما قيل من انه سمى به لما فيه من مخالفته
لاهل الجاهلية من تنعلهم فى رجل واحدة وقد ورد النهى عنه فى الحديث الاول
تركه (ومن اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب) الالهية المنزلة على من قبله
من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (المتوكل) هو اسمه فى التورية ونصها انت
عبدى ورسولى سميتك المتوكل وهو الذى يكل امره الى الله ويعتصم به والتعلق
بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع
التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم ارسخ الانبياء قدما فيه وتوكل العوام مباشرة الاسباب
مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق
التوكل لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب
بالكلية (والمختار) اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء لانه من خيار وفى التورية
عبدى المختار لا فظ ولا غليظ (ومقيم السنة) سمى به فى التورية والزبور فى قوله
اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
والمراد سنة من قبله من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد
ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة
المرغوب ويعد لها ويسويها (والمقدس) بالتشديد اسم مفعول وفى الرياض الانيقة
معناه المفضل على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب
والنقايص من التقديس وهو التطهير ومن اسماء الله تعالى القدوس اى المنزه عن
سمات النقص والحدوث وقيل تقدست به الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم
(وروح القدس) بضمتين وضم وسكون وهذا سقط من بعض نسخ الشفاء اى الروح

المقدسة من النقايص وروح القدس فى القرآن فسر بجبريل عليه الصلوة والسلام والقدس الطهارة اوالله واضافة الروح له تشريفية كروح الله لعيسى (وروح الحق) الحق هوالله وقال الشيخ ابن عربى فى الفصوص انه اسم الله الاعظم وهوصلى الله عليه وسلم مظهره (وهو) اى روح القدس وروح الحق (معنى البارقليط فى الانجيل) فانه فيه سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الفارقليط وفسر بما ذكر وروايته مفسرا به فى شرح الانجيل للمسيحى الطيب الا انه حرفه وقال المراد بروح الحق احد الاقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله (وقال ثعلب) وهو احمد بن يحيى الشيبانى البغدادى امام اهل اللغة والعربية المشهور ومولده فى حدود المأتين و وفاته فى جادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومأتين فى تفسيرله (البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل) قال ابن دحية وهواسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب المنزلة القديمة وروى عن ابن عباس ايضا وروى بالفاء الفصيحة و بالباء غيرصافية وفى المقتفى للحلبى الذى احفظه انه بموحدة فى اوله والف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها ايا مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهوالصحيح وفى بعض الحواشى انه روى بفتح الراء وقد تسكن وقاف تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفى الرياض الانيقة معناه الحامد اوالحماد والذى عليه اصحاب الانجيل ان معناه المخلص و عبارة الانجيل انى ذاهب الى ابى وابيكم ليبعث اليكم الفارقليط وفى شرح هيا كل النور للدوانى انه بالفاء ثم الف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة والف مقصورة وهو لفظ عبرانى معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التى هى باطن النبوة والمراد بابى وابيكم ربى وربكم والاوائل يسمون المبادى بالاباء انتهى فالحاصل انه بباء مسومة بفاء وآخره الف ثم عرب بباء وفاء وحذفت الالف من آخره ففيه ثلاثة اوجه وقالوا حقيقته المخلص كما علمت وتفسيره بالفارق الى آخره بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهله النصارى ان البارقليط لما نزل على التلاميذ من السماء بها يفعلون العجايب وفى ترجمة الانجيل اذا وحستمونى فاحفظوا وصيتى وانا اطلب ليعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله قال بعض اهل العلم بالكتب السابقة هذا صريح فى ان الله يبعث اليهم من يقوم مقامه فى تبليغ رسالته وتكون شريعته مؤبدة وليس الا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يختلفون فى معنى الفارقليط والذى صح عنهم انه الحكيم الذى يعرف السر وفى الانجيل ما يدل على ان الرسول قائه قال هذا الكلام الذى تسمعونه ليس هو لى بل للاب الذى ارسلنى كلمكم بهذا وانا معكم و اما البارقليط وروح القدس الذى يرسل الى باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكر جميع ما قوله لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط كما رأيته فى شرح الانجيل واما لاب فكلمة تعظيم للعلم وهم يسمون العلماء آباء روحانية وقوله يرسل باسمى اى يشهد بصدق

رسالتي و بهذا اتضح لك لفظه ومعناه وهذا مما انتخبته من كتب عديدة فاحفظ (ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب) وروى موذ موذ وميذ ميذ الاول هو الذي صح روايته عند المصنف والثاني ذكره العزفي وقال انها اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في التورية وهو بميم مفتوحة والف غير مهموزة وذال معجمة ساكنة كما في المقتفى وقال انه ينبغي ضم ذاله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره انت ماذ ماذ اي ياماذ ونقل الشهاب الحجازي الاديب شيخ السيوطي نقلا عن السهيلي ان ميمه مضمومة والفه مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرار للتأكيد والمراد انه طيب في نفسه وفي دنياه وطيب في صفاته وآخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر اومركب خلاف الاصل وقيل ان داله مهملة وفي شرح رسالة الكندي المنسوب للغزالي انه سمع ممن اسلم من احبار اليهود انه في التورية اشارة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله لابراهيم اني قد استجبت لك في اسمعيل وانا اباركه واعظمه بماذ ماذ وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين في مقابله وباء موحدة والعين ودالين باثني عشر وهو عدد الحاء والدال من محمد وهذا يقتضي ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب الحواشي والشروح وما قاله التلمساني من انه يحتمل ان يكون مأخوذا من الماذي وهو العسل الابيض لحلاوته في ذاته وصفاته او الماذي بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشئ لانه يقتضي انه عربي ولم يقل به احد قط (وحمطايا) هذا وماقبله رواه ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وضبطه السمي في حاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة والفين بينهما مثناة تحتية وفي العربيين انه بكسر الحاء وميم ساكنة تليها ياء مثناة تحتية والف ثم طاء والف هكذا حمياطا وفي المواهب انه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية والف وطاء مهملة والف بعدها وقال انه بكسر وياء اونون واما معناه فقال ابو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من الحرام ويحمي الحرم اي يمنع ماكان في الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين او بضم ثم فتح وفي الرياض الانيقة معناه حامي الحرم او نبي الحرم (والخاتم والحاتم ذكره كعب الاحبار) تقدمت ترجمته واختلف الشراح في ضبطه وروايته فقيل هما بالخاء المعجمة الا ان الاول بفتح التاء والثاني بكسرها اوبالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلاوجه لاعادته وقيل الاول معجمة والثاني مهملة وفسر بانه احسن الانبياء خلقا وخلقا وكما ذكره الظاهر انه من الحتم وهو الاحكام لاحكام القضاء والاحكام ويجمع على حتوم كما قال امية ابن ابي الصلت

* عبادك يخطئون وانت رب * بكفيك المنايا والحتوم *

والخاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبياء كالخاتم الذي يتزين به فهذا اذا كان تفسير للخاتم بالمعجمة فهو في قوله (وقال ثعلب والخاتم الذي ختم الله به الانبياء والخاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا) تكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في الشروح والحواشي وهو مروي عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة وانما معناه ما تقدم حتما الا ان يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحت ولك ان تقول انه من الحتامة وهي بقية الطعام كانه آخر ما بقي من نعم الله تعالى وقرن بالخاتم وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره (ويسمى بالسريانية) وهي لغة آدم عليه الصلوة والسلام واول اللغات ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صار اصول اللغات ثلاثا السريانية والعبرانية والعربية وفي بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين وراء ساكنة او مكسورة وما قيل انه من السر لان الله تعالى علمها لآدم سرا بعيد وقال السيوطي رحمه الله تعالى ان سؤال القبر بالسريانية (مشفح) بضم الميم وفتح السين المعجمة وفاء مفتوحة او مكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاؤه مهملة وسمي به صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب شعيا وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه ونقل بعض اهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لاها اي يحمد الله وتبع فيه التلمساني (والمنحمنا) قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة والف مقصورة وقال التلمساني الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه في تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه (واسمه في التورية احيد) قال السمني هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال مهملة وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربي وفي الكامل رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التورية احيد وانما سميت احيد لاني احيد امتي عن نار جهنم وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبطه بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها وهو عربي من حاد يحيد اذا عدل ومال ان لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردي في تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي الشرح الجديد ان الذي في النسخ بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة

تحتية ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفى نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء وماقيل انه من الواحد لانفراده فى ذاته وصفاته فيه مالايخفى (وروى ذلك ابن سيرين) الامام الحجة الثقة الزاهد الورع الشايع صيته فى الآفاق ابو بكر محمد بن سيرين الانصارى وروى عنه الائمة الستة وتوفى بعد مائة وعشر وهو من اعلم التابعين رضوان الله عليهم اجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة فقال (ومعنى صاحب القضيب اى السيف) كما تقدم ومعنى مبتداء خبره (وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال) اى الله فى الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوزا تكلف وفى القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب سمى به من القضب لانه اقتطع من الحديد (معه قضيب حديد يقاتل به وامته كذلك) اى يقاتل بالسيف الاعداء ثم اشار الى معنى آخر فقال (وقد يحمل على انه القضيب الممشوق) اى قد يعبر به وهو مجاز من الحمل على الظهر فيجعل التأويل به لجعله عليه استعارة صارت حقيقة شايعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لماقبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو فى السيف بمعنى انه بالغ فى القطع الى حد لم يصل اليه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنايمه فان كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد مر انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصا على عادة العرب فى اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصيا يشيرون بها كما قال الشاعر * فى كفه خيزران ريحه عبق * فى كف اروع فى عرنينه شمم * كما فى كتاب العصا للجاحظ وفى القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشئ ليطول وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن وقال ابن الجوزى كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب وهو (الذى كان يمسكه عليه الصلوة والسلام وهو الآن عند الخلفاء) يمسكونه تبركا به فكان لهم واحدا بعد واحد (واما الهراوة التى وصف بها) وصفا لغويا فى تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحملها و يتوكأ عليها وهو من سنن الانبياء (فهى فى اللغة العصا واراها والله اعلم) بضم الهمزة اوفتحها بمعنى اظنها اواعتقدها اوان المراد بها هنا فى التسمية (العصا المذكورة فى حديث الحوض) الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (اذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن) اذود بمعنى اطرد وامنع وهذا بدال معجمة فى اوله ومهملة فى آخره وهذا الحديث رواه مسلم فى المناقب هكذا لاهل اليمن اى لاجلهم فانهم على بعد شقتهم اجابوا دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما اراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروى لاهل اليمن كما ذكر ومع صحته

معنى قالوا انه من طغيان القلم وعن النووى ان هذا التوجيه ضعيف او باطل لان
المراد بتعريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة يعرفها الناس ويستدل بها
عليه وانه المبشر به فى الكتب السالفة التى مر فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما
فى الآخرة مما لم يتيقنوه ولكن يكفى فى ذلك ذكره ماوقع فى الكتب الالهية التى
لم يقرأها او يقول من فسره بهذا لعله اراد تفسيره بامر مختص به و بصيره علما له
وتقدم انه قيل الاحسن حمله على العصا التى اعطاها صلى الله تعالى عليه وسلم
لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصرى يمدحه صلى الله
تعالى عليه وسلم * وعصاه لما مسها بيمينه * فضلت عصا صارت الى ثعبان *
يعنى انها صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلوة والسلام بعصاه (واما
التاج فالمراد به العمامة) كما تقدم (ولم يكن حينئذ) اى فى عهد مبعثه وحياته
صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب والعمائم تيجان العرب) اى قائمة مقام تيجان
العجم المعهودة بينهم والتاج مايوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم
جمع عمامة وسيأتى الكلام على عمامته صلى الله تعالى عليه وسلم ولما لم يقع فى وصف
الحبيب المعمم بامر قال (واوصافه) اى الاوصاف التى اطلقت عليه (والقابه
وسماته) جمع سمة وهى العلامة كما تقدم (فى الكتب كثيرة) اراد بها كتب الحديث
والسير او الكتب الالهية (وفيما ذكرناه مقنع ان شاء الله) اى فى المقدار الذى
ذكره مايحصل به القناعة عن غيره مما فى الكتب وفى المصباح مقنع كجعفر مايقنع به
يعنى انه اسم مكان تحوز به عما يقتنع به وقيل انه مصدر ميمى من قنع بمعنى رضى والاول
اولى وفى بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهى (وكانت كنيته المشهورة)
والكنية ماصدر باب اوام ونحوه (اباالقاسم) اشتهر بها صلى الله تعالى عليه وسلم
لانه اول اولاده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وروى عن انس رضى الله تعالى
عنه) رواه احمد فى مسنده والبيهقى (لما ولد له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ولده (ابراهيم) من امارية القبطية جاريته المشهورة (جاءه جبريل عليه
الصلوة والسلام فقال السلام عليك ياابا ابراهيم) فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كنى به
صلى الله تعالى عليه وسلم ابو الارامل وابو المؤمنين وقرئ فى الشواذ وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم وقيل ان هذا وامثاله مما لم يوضع للانشاء الحقيقية لقب
لاكنية كابى تراب

* فصل فى تشريف الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم *

اى تعظيمه وتفضيله (بما سماه به من اسمائه) عز وجل والباء سببية او للتعدية
(الحسنى) اى الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين
الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال فى الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة
اذا كانت وصفا لااسما اذا كانت اسما فهى متعارفة فى الاحداث والحسنى تكون

في الاحداث دون الاعيان انتهى (ووصف به من صفات العلى) بالضم جمع عليا ككبر وكبرى وفي بعض النسخ العليا وفي المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع لتأنيث اعلى بمعنى افضل واشرف والصفتان كاسفتان (قال القاضي ابو الفضل) هو عياض المصنف (رضي الله عنه) وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره اوزاده تلاميذه كقوله في بعض النسخ (وفقه الله) والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهي جملة دعائية معترضة (فما احرى) بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى احق واولى وهي صيغة تعجب من زيادة لياقته (هذا الفصل) قال البرهان الفصل ضبط في الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف في النحو (بفصول الباب الاول) المعقود لثناء الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما اشار اليه بقوله (لانخراطه في سلك مضمونه) اي لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التي حرست عند ها السنة الاقلام وفي السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط بهذا المعنى بل هو مناف له فان اختراط السيف اخراجه من غمده واختراط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا انهم استعملوها كثيرا في كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشري والسكاكي ولم يزل هذا يختلج في صدري ولم احد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال في جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا في استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله في جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك (وامتزاجه) اي اختلاطه بحيث لايتميز احدهما عن الاخر ومنه المزاج (بعذب معينها) وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجاري مطلقا او على وجه الارض واصله معيون فاعل كبيع فهو من عين الماء وميمه زائدة وقيل ان وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من امعن في سيره والعذب الحلو الذي يتعذى به وفي تفسيره بالعزيز مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره في الباب الاول فقال (لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه) اي لم يفتح الله عليه به اولا باخراجه في محله واصل الاستنباط اخراج الماء فعبه مع ماقبله مناسبة لطيفة وفي ذكر الخوض الاتي بعده لطف *يزيدك وجهه حسنا * اذا مازدته نظرا* وقوله (ولا اثار) اي دل دلالة واضحة (الفكر) بكسر الفاء وسكون الكاف اوفتحها جمع فكرة (لاستخراج جوهره والتقاطه) اي استخراجه من بحاره او اخذ لقطته وهذا ناظر لانخراطه في سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه درة ودرة (الاعند الخوض في الفصل الذي قبله) اي لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع

فيما قبله واصل الخوض السروع في المرور في الماء فاستعير لمطلق السروع الا انه كما قال الراغب اكثر ماورد في القرآن فيما يذم السروع فيه (مرأيا ان نضيعه اليه) اي الى الفصل الذي قبله باب نذكره عقبه لمناسبته له ومراده ان يجعله كالضيف الذي انزل عنده فلذا قال (ونجمع به شمله) اي نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق اي نجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد (فاعلم) خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كامر (ان الله خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلوة والسلام بكرامة) اي بامر اكرمه وشرفه به (خلعها عليهم من اسمائه) اي اعطاها لهم والبسها اياهم والاصل في الخلعة انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه او يوليه ولاية وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا واليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله في اول هذا الفصل في تشريف الله له بما سماه باسمائه ففيه لطف لم يتنبه واله وفي نسخة عليه بالافراد وفي نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما فيها من الشهرة واظهار التكريم (كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم) في قوله تعالى * وبشروه بغلام عليم * يعني اسحق وقوله تعالى * فبشرناه بغلام حليم * يعني اسمعيل وهذا بناء على ان المبشر به اسحق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا جمع المصنف رحمه الله تعالى هنا بين اسحق واسمعيل (وابراهيم بحليم) في قوله ان ابراهيم لاواه حليم (ونوح بشكور) اي كثير الشكر في قوله تعالى *ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا* في الاسراء بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلوة والسلام كما تقدم (ويحيى وعيسى ببر) في قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتي وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر لما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد وضرب في الاعمال وقد استعمل منه قوله تعالى * ليس البر ان تولوا وجوهكم * الآية ولذا لما سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن البر تلا هذه الآية وبر الوالدين التوسع في الاحسان اليهما ويستعمل البر في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب (وموسى بكريم وقوي) في قوله تعالى * وقد جاءهم رسول كريم * وقوله ان خير من استأجرت القوي الامين وفي بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته (ويوسف بحفيظ عليم) اي حافظ كثير العلم وهذا في قوله تعالى *اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (وايوب بصابر) في قوله تعالى *انا وجدناه صابرا نعم العبد (واسمعيل بصادق الوعد) في قوله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفاء ما وعد به من صبره

على الذبح ووفائه به ولا يرد عليه ان فيما ذكرما هو من كلام الملائكة والانبياء لانه تعالى
حكاه واقره فكان في الحقيقة وصفا من الله بما ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما
السلام لا ابن حزقيل عليه السلام فانه قول غير مشهور وما قيل من ان هذه الصفات
يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم او حلم يقال له عليم وحليم مثلا فلا
اختصاص لهذه الاسماء بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثناء الله تعالى وثناء غيره
فالاختصاص من حيث ان الله تعالى وصفهم بها وفيه غاية الاختصاص وثناء الله
على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق ايضا لا ينافيه لان الثناء بهذه الصفات على
هؤلاء من حيث ان الله تعالى جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلوة
والسلام هو الذي وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان في حال الطفولية والله هو
الذي انطقه على خرق العادة فالواصف هو الله في الحقيقة كلها تكلفات نحن في
غنية عنها فان المصنف لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله تعالى ما سمى
به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك اذا اجريت على الله تعالى فلها
معان لا تليق بغيره ولما كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على انها بمعنى لا يليق
بغيرهم ايضا وقد قال ابن القيم في كتاب الفوائد ان الاسماء التي تطلق على الله تعالى
وعلى غيرها اختلف فيها فقيل انها حقيقة في الله مجاز في غيره وقيل على العكس
وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان (كما نطق بذلك
الكتاب العزيز) اى دل عليه القرآن نصا وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر كما في
قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستيعابه لما ليس
في غيره من الكتب (من مواضع ذكرهم) اى مستفادا من مواضع ذكرهم فيه
وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم (وفضل محمدا نبينا صلى الله تعالى عليه
وسلم) في القرآن على غيره ممن ذكر (بان حلاه منها في كتابه العزيز) الباء سببية
متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهى الصفة
الظاهرة او الحلى التي يتزين بها اى بان وصفه وزينه وكرمه بما وصفه وسماه به
في القرآن (وعلى السنة انبيائه) في الكتب المنزلة عليهم او فيما نقل لنا عنهم (بعدة
كثيرة) بكسر العين وتشديد الدال اى بعدة اسماء وصفات كثيرة غيره بكثرتها
لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (اجتمع لنا منها جملة) اى انه جمع منها اسماء
متعددة (بعد اعمال الفكر) مصدر اعمله اى جعله فاعلا لما يريده فكانه استخدم
افكاره في السطر فيما يؤخذ منه ويدل عليها (واحضار الذكر) اى استحضارها
وتذكرها وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقرآن هنا لا وجه له
والحاصل انه اجتهد في جمعها وبذل فيها جهده وطاقته (اذ لم نجد من جمع منها
فوق اسمين) قيل هما رؤف رحيم في سورة براة (ولا من تفرغ فيها التأليف فصلين)

الفراغ خلاف الشغل الحسي والمعنوي يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك غيره واذ تعليل لماقبله (وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) نحو هنا بمعنى قريب اي يقرب من هذه العدد فلا يضر زيادة اونقص قليل منها كما ان فوق فيما سبق بمعنى ازيد والتحرير بمعنى الكتابة او التهذيب والتحقيق كما مر (ولعل الله تعالى) اي ارجو من الله تعالى عز وجل الذي الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد الدعاء (كما الهم الى ما علم منها) من الهم معنى ارشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام اي علمني من هذه الاسماء (وحققه) اي بين حقيقته اوجعله محققا متيقنا واطلعه عليه (يتم) هذه (النعمة) وهي التعليم والتحقيق (بابانة) اي اظهار (ما لم يظهره لنا) حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به اوهي للمبادرة كما في قولهم كما يدخل صلي (الآن) مبني على الفتح والالف واللام لازمة زائدة اي لم يظهره الى حين تحرير هذا الفصل (ويفتح غلقه) بفتح العين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو ما يغلق اي يقفل به كما في المقتنى وفي بعض الشروح انه بضمتين وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحة ثم بكسرة بزنة كتف من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية في قوله يفتح (فمن اسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود) فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد (لانه حمد نفسه وحمده عباده) ببناء الفعل للفاعل فيهما وذكر الاول توطئة للثاني وبيانا لانه المحمود الحقيق وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه لقوة النطق فيه وكأنه في الحالين حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه اي لموليه ومعطيه فليس احد مستحق الحمد سواه (ويكون ايضا) اي الحميد في اسمائه كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل كما قال (بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات) والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال الغزالي في شرح الاسماء الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع اخلاقه وعقائده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فاشار الى انه ورد اطلاق ما هو بمعناه عليه فقال (وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا واحمد) وهما بمعنى حميد على الوجهين (فمحمد بمعنى محمود) لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة في كونه محمودا (وكذا وقع اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اي تسميته بمحمود (في زبور داود) وفي نسخة زبر بكسر الزاي وضمها وضم الباء وسكونها وهو مصدر اوجمع بجعل كل جزء منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لادليل فيه على تسميته باسم الله تعالى فلا يناسب ما هو بصدده ثم اشار الى المعنى الثاني بقوله (واحمد بمعنى اكبر من حمد) بالموحدة وحمد مبني للفاعل (واجل من حمد) بالبناء للمفعول ففيه لف ونشر (والى نحو هذا) اي كون اسمه بمعنى

ماذكر (اشار حسان) بن ثابت الانصارى المشهور (بقوله) فى شعرله من قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد * والشعر هكذا بتمامه

* الم تران الله ارسل احمدا * ببرهانه والله اعلى وامجد *

* وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد *

* نبى اتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان فى الارض تعبد *

* فارسله ضوءا منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند *

وشق مبنى للفاعل من شق الشئ اذا جعله قطعتين اى اشتق له صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه اسما اجله وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال المصنف رحمه الله تعالى نحو ولم يقل الى هذا لان ما فى الشعر انه مأخوذ من محمود والمصنف رحمه الله تعالى بصدد اخذه من حميد وريد فى هذا

* اغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد *

* وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الذكر المؤذن اشهد *

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخارى فى تاريخه وعزاه لابى طالب وهو منقول عن على بن زيد فحسان رضى الله تعالى عنه توارد معه اوضمنه واستعان به (ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب) لان الرأفة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه (و) قد (سماه) الله (فى كتابه) اى القرآن (بذلك) اى الرؤف الرحيم (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره) اى المتصف بالوجود الازلى الابدى من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شانه ومايجب ثبوته من صفاته وافعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر (وكذلك المبين) اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا (اى البين) الظاهر (امره واكهيته بان وابان بمعنى) واحد فيكون متعديا ولازما وابان يكون بمعنى قطع وفصل ايضا وبينه على اللزوم وعلى التعدى (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) فى الدنيا (ومعادهم) فى الآخرة (وسمى النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك) اى الحق المبين (فى كتابه فقال) تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر لعظيم آياته ومعجزاته فلاوجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة (وقال) تعالى (وقل انى انا النذير المبين) اى المحذر لكم من الله والمبين لكم اموردينكم (وقال) تعالى (قد جاءكم الحق من ربكم) على ان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد به القرآن (وقال) تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) من الله (قيل) هو (محمد) اى المراد به فى هذه الآية وتكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم

بتكذيب رسالته وماجاء به (وقيل) المراد به (القرآن) بدليل التكذيب (ومعناه) اى الحق (مناصد الباطل) من حق بمعنى ثبت (والمحقق صدقه وامره) هو تفسير لما قبله اومعنى آخر وفى تفسير البيضاوى الحق الثابت الذى لايسوغ انكاره فعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج (وهو بالمعنى الاول) ضميرهو راجع الى قوله المحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والمبين) على هذا التفسير (البين) الظاهر الذى لايخفى (امره ورسالته) وهذا على كونه من بان اللازم (او) هو (المبين) بتشديد المثناة التحتية المكسورة (عن الله ما بعثه به) للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ اوهو حال بتقدير ناقلا (كما قال) تعالى (لتبين للناس مانزل اليهم) من شرايعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدى (ومن اسمائه تعالى النور) وقد قدمنا ما قاله الغزالى انه حقيقة فى ذات الله تعالى لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكماء ويشير اليه قول الاشعرى رحمه الله تعالى انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلى فى الفرق بينه وبين الضياء بانه ذات المنير والضوء والضياء اشعته المنتشرة عنه ولذا قال جعل الشمس ضياء والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولاحاجة لتأويله اذا اطلق على الله فان اردت فطالع مشكاة الغزالى والمشهور فيه التأويل كما اشار اليه بقوله (ومعناه ذوالنور وخالقه) عطف تفسير وهذا تأويل له بتقدير مضاف فيه لما مر (اومنور السموات والارض) فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على اهلهما (بالانوار) الفائضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقى (اومنور قلوب المؤمنين بالهداية) ولذا ورد تفسيره بالهادى وهذا على استعارة النور للهداية لما فيها من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور الهادى ففيه مجاز على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة (وسماه) اى سمى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (نورا فقال قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) المراد بالنور فى هذه الآية (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم لظهور آياته (وقيل القرآن) لا زالته ظلمة الكفر والجهل ولايشكل على الاول افراد الضمير بعده فى قوله يهدى به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون او كما قيل لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور اولانهما كالشئ الواحد وهداية احدهما عين هداية الآخر وقد صرح الفراء فى تفسيره بجوازمثله جوازا مطردا وبه ورد القرآن فى آيات كثيرة كما بيناه فى السوانح وانشد عليه شاهدا

* رمانى بامر كنت منه ووالدى * بريئا ومن جول الطوى رمانى *

(وقال فيه) اى فى وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشانه (وسراجا منيرا)

فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بينه بقوله (سماه ذلك) كالنور الذى لايخفى (وبيان نبوته) اى كونها بينة ظاهرة (وتنوير قلوب المؤمنين و العارفين به) وبما جاء به و هذا ناظر لقوله ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تبيين لاطلاقه على القرآن ضمنا (ومن اسمائه تعالى) التى شرف بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (الشهيد) من الشهادة و هى المعاينة و الاخبار بما عاينه اومن الشهود وهو الحضور (ومعناه العالم) لان من شاهد شيئا علمه علما تاما قال تعالى * لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون * اى تعلمون وفى شرح المواقف الشهيد القائم بالغائب و الحاضر و يوافقه اطلاق المصنف فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالى اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد فتدبر (وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة) اديين لهم ما صدر منهم فى حياتهم الدنيا اذ لايخفى عليه خافية (وسماه) اى سمى الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (شهيدا وشاهدا فقال يا رسلنا شاهدا) مفعولا شهادتك على امتك ولهم وهو حال مقدرة (وقال) تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اشارة الى ماروه مسلم من ان الله يسأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم فتنكر اممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد و امته فتشهد امة محمد و يشهد عليه الصلوة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الآية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن شهيد معنى رقيبا او قدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم فان الانبياء يحاسبون يوم القيامة و هو لايحاسب و فضيلة لامته اذ لم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وهو) اى الشهيد الذى اطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى الاول) اى الشاهد او بمعنى الشهيد الاول الذى اطلق على الله تعالى والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا لذكر امته قبل آية اسمه الشهيد (ومن اسمائه تعالى) اى من اسماء الله التى سمى بها نبيه الكريم (ومعناه الكثير الخير) وهو اصل معناه لغة وان اختص فى عرف اللغة و العرف العام بالسخى الكثير العطاء و اليه اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقيل المفضل) بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطى عفوا بغير وسيلة وسؤال (وقيل العفو) فعول من العفو وهو التجاوز عن عن سيئات من اساء قيل وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها و هو فى الاصل القصد لتناول الشيء فاستعير لقصد ازالة المحو (وقيل العلى) وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلى فى ذاته وصفاته وفسره الغزالى بانه الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولايبالى كم اعطى ولا لمن

اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا فيغنيه عن الوسائل واستغناء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يباله غيره الا باكتساب وتمحل ومع ذلك لا يستو فى جميع انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وفى الحديث المروى) الذى رواه ابن ماجه فى سننه (فى اسمائه تعالى) اى فى اسماء الله وهو متعلق بالمروى او بمقدر اى عد فى اسمائه (الاكرم) الزائد على غيره فى صفة الكرم وهذا تقتضى مشاركته غيره فى هذه الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفى غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالى وهو مختص بالله والتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم او على اصله على طريق التسامح كما فى قوله احسن الخالقين قال ابن عبد السلام فى اماليه هذا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان المعنى اعظم ارادة من سائر المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان اريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لا موجد غير الله واجاب الآمدى بان معناه اعظم من يسمى بهذا الاسم واستشكل بان التفاضل فى غير ما وضع له اللفظ ويصح على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك فى القرآن فى قوله تعالى * اقرأ وربك الاكرم * ولك ان تقول ان الذى فى الآية على سبيل التوصيف والذى ذكره انه عد فى الحديث فى سلك الاسماء الحسنى وهو ادل على مراده (وسماه الله تعالى كريما) اى سمى الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اى قال بعض المفسرين هو فى هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو جبريل عليه الصلوة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما مر لانه الظاهر من السياق (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا اكرم ولد آدم) اى اشرف من سائر الخلق الانبياء وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم اشار بقوله (ومعانى الاسم) اى الكريم والاكرم (صحيحة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) لاتصافه بغاية الكرم الى انه لاتصافه بمعناه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سواء كان اسما او صفة فسقط ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسماء الاعلام وقوله اكرم ولد آدم المراد به تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل ينبغى ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو غفلة عما قررناه بل هو ناش عن عدم فهم كلام المصنف

رحمه الله تعالى وفي ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما واكرم (ومن اسمائه تعالى العظيم) وهو الذي عظم حسما اوقدرا اورتبة والمراد الثاني لانه عزوجل هو العظيم على الاطلاق لعلوه مرتبة من العظمة لاتحيط بتصورها الافهام ولاتخيلها الاوهام لتنزهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته ولذا قال (ومعناه الجليل الشان) بهمزة اوالف مبدلة منها (الذي كل شئ دونه) اي قاصر عن ان يوصل رتبته اذلا كمال يدنو من كماله في ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا انه قيل ان الكبير هو الكامل في ذاته و الجليل هو الكامل في صفاته و العظيم هو الكامل فيهما (وقال) تعالى (في) حق (النبي عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم) فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق مالا يصبور في احد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به وكان من اسمائه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم لا له فيه لبس ولان العظمة مختصة بالله او يقول انه توطئة لقوله (ووقع في اول سفر من التورية) بكسر السين وسكون الفاء وراء المهملة وهو الكتاب (عن اسمعيل) نبي الله بن خليل الله عليهما الصلوة و السلام وكان الظاهر ان يقول في حق اسمعيل وكانه صفة سفر اي سفر فيه ما يصدر عن اسمعيل عليه الصلوة والسلام (وسيلد عظيما لامة عظيمة) وفيه مبالغة في وصفه للعظمة اذ جعل اتباعه عظماء فما بالك به

* واذا سخر الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء *

(ومن اسمائه تعالى الجبار) وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجئ جبر بل تجبر فهو متجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير ويتصف به من الناس الشديد العدوان وله معان في كلام العرب القهار والمسلط قال الله تعالى وما انت عليهم بجبار كما يأتي والقوي العظيم الجسم والمتكبر والقتال والنخلة الطويلة وتجبر النبت طال وجبره على كذا اكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء وسكونها وقال ابوعبيد انه مولد والمجبر الذي يجبر العظام المكسورة اي يصلحها يقال اجبرت وجبرت وهو اكثر قال * قد جبر الدين الاله فجبر * ويقال جبرتها ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقي لغة اختلفوا في تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف رحمه الله (ومعناه المصلح) للعالم ولامور عباده تفضلا به من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الافعال (وقيل القاهر) فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور في قبضة تصرفه يفعل به مايريد (وقيل العلي العظيم الشان) من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار اي طويل فاستعير من العلو الحسي للمعنوي ولذا فسروه بالعالي فوق خلقه فهو صفة ذاتية (وقيل المتكبر) المعظم الذي يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت اي كبر وعظمة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في سجوده وركوعه سبحان ذي الملك

والملكوت سبحان ذي العزة والجبروت (وسمى النبي صلى الله عليه وسلم) البناء للمجهول اى سماه الله تعالى (فى كتاب داود) اى الصحف الالهية المنزلة عليه صلى الله عليه وسلم (بجبار فقال) الله تعالى مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود لتحققه فى علمه الحضورى عنده (تقلد ايها الجبار سيفك) يقال تقلد السيف اذا جعل حمائله على عاتقه وحمله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال (فان ناموسك) اى الوحى النازل عليك او عظمتك فى قلوب الناس وهذا المعنى شايع بين الناس واصل معناه كما فى القاموس صاحب السر المطلع على باطن امرك او صاحب سر الخير وصاحب سر الشر جاسوس وقترة لصايد وهى شئ يختفى فيه الصايد ليأخذ الصيد وفى البيان للجاحظ قال الزبيدى الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق من نمس الكلام اخفاه وسمى جبريل عليه الصلوة والسلام بالناموس الاكبر لانه يخفى الكلام حتى يلقيه الى الرسل عليهم الصلوة والسلام انتهى (وشرايعك) يحتمل انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر فى قوله (مقرونة بهيبة يمينك) اى بالخوف من سيفك فكنى عما ذكر عنه او بجور باليمين عما فيه (ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى معنى الجبار الذى هو من اسماء الله اذا اطلق فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم يقال كذا ورد فى حق كذا اى امره وشانه المتحقق فيه ولو فسر الجبار فى كتاب داود بالمجاهد القتال الذى هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولى من قوله (اما لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم) اى ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم امور دينهم فعلى هذا سمى صلى الله تعالى عليه وسلم باسم الجبار بمعنى المصلح اولقهره اعدائه) وفى نسخة لقهره اعدائه وهذا اشارة الى انه سمى بالمعنى الثانى الذى مر بيانه (او لعلو منزلته على البشر) فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلى ولو قال على الخلق كان احسن وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق الاولى وفيه نظر (وعظيم خطره) هذا اشارة الى انه اما مستعار من العلو الحسى فينزل الرتبى منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع فى مكان عال او علو القدر وهو العظمة وهذان على هذا الوجه وعلى الاول كقول ابى تمام وقد ذكر علو محمد وجه

* ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة فى السماء *

واصل الخطر ما يعطى فى الرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر ورجل خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالى رحمه الله تعالى فى قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصولته على الاقتداء به وعلى متابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده احد الا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم به غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد فى استدراجه

واستبناعه وانما حص بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث
قال لوكان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى و انا سيد ولد آدم و لا فخر و فى كلامه
انف وتسرو ايجار اذا صل معناه فى حقه عليه الصلوة و السلام كمعناه فى حق الله
وان لم يكن يساويه او يقاربه و يدانيه ولما كان المعنى الاخير و هو المتكبر لا يصح فى
حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بوجه من الوجوه قال (ونفى عنه فى القرآن جبرية
المتكبر) بفتح الباء كجبروه وجبروت وجبورة كفروجة الكبر كما قاله القرطبى فى شرح الاسماء
الحسنى واضافها الى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال
القرطبى الجبرية بفتح الباء خلاف القدرية عن الجوهرى وحكى عن الزجاج الجبرية
بالاسكان وهو الصواب وعن ابى عبيد انه مولد (التى لا تليق به) صلى الله تعالى عليه
وسلم لما تقدم من تواضعه ولان الكبرياء والتكبر من صفات الله التى لا تليق بغيره ومعنى
تليق يناسب و يصح (فقال وما انت عليهم بجبار) تفسير لقوله نفى عنه وتقدم انه
فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق و مما
ذكرناه علم ما فى قول القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف
ان لا يتصف باسم الجبار و لا يتعاطاه و انما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه
يأباه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغى تقييده ببعض معانيه و قيل تفسيره
بالمسلط اولى لانه نزل فى حق اهل مكة وانكارهم لبعثته فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم
على الايمان و يتسلط عليهم حتى يسلموا والآية منسوخة بآية السيف لانها من
سورة قاف وهى مكية وانما امر صلى الله تعالى عليه وسلم بالقتال بالمدينة وعلى
ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى يكون غير منسوخة (ومن اسمائه تعالى الخبير)
وقد ورد فى القرآن معرفا ومنكرا وقال * الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر
بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوى عنده ظاهره و باطنه ولذا قيل
للحارث خار و يكون بمعنى المخبر والمختبر والله تعالى مختبر لعباده قال تعالى * ونبلوكم بالشر
والخير فتنة فهو من صفات الافعال و يكون بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان
بمعنى المخبر يرجع الى صفة الكلام فقوله (ومعناه) اذا اطلق على الله (المطلع على
كنه الشئ) اى الواقف على حقائق الاشياء وكنه الشئ بضم فيكون له معان
منها الحقيقة كما فى التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله فى شرح المفتاح انه مولدة
لا وجه له وتعديه بعلى لانه بمعنى (العالم بحقيقته) وهى ذاته لا غايته كما قيل (وقيل
معناه المختبر) واصله المجرب والمراد به فى حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر
من غيره فيلزمه الحجة او يعلم سلوكه المحجة وهو اعلم بهم وفى بعض النسخ المخبر انبياءه
ورسله بكلامه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيمة باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه شئ

ثم شرع فى بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال (قال الله تعالى) وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن (فاسئل به خبيرا) اى عنه والباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستواء على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى (قال القاضى بكر بن العلا) بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد ابن العلا بن زياد القشيرى من ولد عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه توفى ليلة السبت لتسع بقين من ربيع الاول سنة اربع واربعين وثلاثمائة (المأمور بالسؤال) فى الآية (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من كل من يتأتى منه السؤال لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب (والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه العالم بحقيقة ما ذكر دون غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا (وقال غيره) اى غير القاضى بكر (بل السائل النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب به (والمسؤل الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين) اى على التفسيرين فالباء بمعنى على اوظرفية اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لولم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثانى فلان اذنه له فى السؤال دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمختبر (قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) اى سمى خبيرا لما اعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التى اطلعه عليها بوحيه وما حمله عليه من المعرفة العظيمة (مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به) دون ما لم يؤذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وما قبله لانه سمى خبيرا باعتبار ما احاط به بعد سؤاله والقبل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر (ومن اسمائه تعالى الفتاح) قال الراغب اصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثانى ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها ومنه الفاتح والفتاح للقاضى وفتح الممالك الظفر بها عنوة وفتح الله برزقه اذا جاءه من حيث لا يحتسب (ومعناه) فى حق الله (الحاكم بين عباده) فى فصل القضاء اوبانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال (او فاتح ابواب الرزق والرحمة) لهم بتيسير ارزاقهم لهم وتهيئة اسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام اى المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى * ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها * وهو استعارة فى الاصل صار حقيقة عرفية (والمنغلق من امورهم عليهم) بالجر عطف على ابواب اى فاتح المنغلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح او بالمنغلق (او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق) الذى هو الله او خلاف الباطل او يزيل

اقفال قلوبهم المانعة لهم او غشاوة ابصارهم و بصائرهم حتى يعرفوه و يهتدوا بهدايته ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة لانهما بمعنى وفي بعض النسخ بفتح بالباء الجارة والظاهر الاول و هذا معطوف على مقدر اى المتعلق بتيسيره او بفتح الى آخره (ويكون) الفتاح (ايضا) كما كان بمعنى الحاكم (بمعنى الناصر) المعين لان من شان الحاكم نصرة المظلوم وحمايته استشهد له بقوله (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) اى لانه فسر هكذا (ان تستنصروا فقد جاءكم النصر) من عند الله بخذلان اعدائه ونصرته للحق (وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر) لان الفتح جاء بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدئه ومعنى مبتدئ النصر انه موجده ومبسره وما النصر الا من عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة ابى جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفريقين واكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى تهكما بهم ان قد نصرتم (وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل) الذى تقدم ذكره (من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة) والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التى فيه لا تنافى مشاركته له في اصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغى ذكره (وفيه) اى في حديث الاسراء (من قول الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما خاطبه به اذ عرج به (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى اول الانبياء وآخرهم لما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نبى قبل خلقهم وقد تقدم بيانه او المراد به ما قاله في شرح قوله (وفيه) اى في حديث الاسراء (من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم في ثنائه على ربه) اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل (وتعديد مراتبه) اى مقاماته بين يدى ربه (ورفع لى ذكرى) بجعله قرينا لذكره كما تقدم (وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم) وانما خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته كشريعته (او الفاتح لابواب الرحمة على امته) اذ هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة الدارين (او الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) لدعوتهم الى معرفته تعالى وتوحيده (او الناصر للحق) والدين القويم بجهاده في سبيله تعالى (او المبتدئ بهداية الامة) لتقديمه ذلك على كل مهم له (او المبدأ المقدم في الانبياء) كما سماه اولا والمبدأ بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فبها والا فيجوز فتح الميم وسكون الباء الموحدة المفتوحة اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول (والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبياء في الخلق) خلق نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق في اتباع من ادركه منهم (وآخرهم في البعث)

باعتبار الزمان وبما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر غير الاخير به الان يقال انه وقع على اتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يقل انه لا بد في اسمائه من اختصاص معانيها به فتدبر (ومن اسمائه) اي من اسماء الله التي سمى بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (في الحديث) الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه في تعداد الاسماء الحسنى (الشكور) وفي القرآن ان ربنا لغفور شكور وللشكر معنيان لغوي وعرفي مشهوران واما في حقه تعالى ف(معناه المثيب) اى المعطي الثواب الجزيل (على العمل القليل) فهو من صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثناء المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لا يختص باللسان فهو استعارة او من اطلاق السبب على المسبب كقوله تعالى * لئن شكرتم لازيدنكم * وهذا قريب مما قيل انه الذي يجزي على قليل من عمل الطاعة في ايام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد كما قال تعالى * كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية * اي في الحياة الدنيا لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك (وقيل المثني على المطيعين) وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيقي واقرب وقد اثنى الله على عباده الصالحين كثيرا في القرآن وكتبه المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطاء الله في حكمه * من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثني باحسانه عليك * فهو انما اثنى في الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان اسماء الله التي سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد تشرف بها غيره كما مر فقال (ووصف) اى الله عز وجل (به نوحا عليه الصلوة والسلام بذلك فقال انه كان عبدا شكورا) قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينافي ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باسمائه ولا حاجة اليه مع قوله (وقد وصف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك فقال) في حديث مشهور تقدم ذكره (افلا اكون عبدا شكورا) فان الاستفهام الانكاري يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره في حق نوح عليه الصلوة والسلام مبني على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى عليه الصلوة والسلام كما ذهب اليه بعض المفسرين (اى معترفا بنعم ربي) مقرا بها (عارفا بقدر ذلك) مؤديا لحقه (مثنيا عليه) بلساني واركاني (مجهدا) بتشديد الهاء اى باذلا جهدي وطاقتي ومتعبا (نفسي في الزيادة من ذلك) اى من الاعتراف والثناء عملا (بقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم) من النعم التي شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبني اسرائيل واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم (ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة) اي احاط علمه بكل شيء مما غاب وخفي وما حضر وظهر

ودق وجل وعلمه تعالى لا يسعه علم غيره وتحقيقه فى علم الكلام (وهو وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه مزية منه) بمزية كعية بمعنى فضيلة وقال العلامة فى شرح المفتاح لاينبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفى الاساس مزية عليه ومن تنبيه على ذلك وفسر المزية بقوله (فقال وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) بما خصك به من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى ان له صلى الله تعالى عليه وسلم مزية فى ذلك لم ينلها غيره ولاينافيه قوله (وقال) كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مما لاطريق له سوى الوحى غير المتلو ولذا اعاد الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما علمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه فى هذه المزية وانما ذكر هذه الآية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانه معلم لغيره غير متعلم من غير ربه (ومن اسمائه تعالى الاول والآخر) وقد سمى به فى القرآن والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاستقاق وكون فائه واوا وهمزة معلوم فى العربية ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام فيه وانما الكلام فى معناه فى اسماء الله تعالى فقال ابن العربى للعلماء فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان ولاشئ قبله ولامعه قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقيل انه الذى لاابتداء له وقيل انه الذى له كل شئ وبه كل شئ ومنه كل شئ كما يقال فلان اول هذا الامر وآخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته لاوليائه ومقابله الآخر فقيل هو الموجود بعد الخلق فلاشئ بعده وقيل هو الذى لاانتهاء له وقيل الذى يرجع اليه كل شئ وقال الضحاك هو الذى اخر الاواخر اى الذى جعل لكل شئ آخرا وقيل الآخر بقضائه وقدره وقال الغزالى رحمه الله تعالى الاول والآخر متناقضان فالشئ الواحد لايكون اولا وآخرا من وجه واحد فانت اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول لانها استفادت منه الوجود واما هو فوجود بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه اليه فهو آخر ما يرتقى اليه درجة العارفين ولما كان الاول والآخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسروه بما فيه دقة والى هذا اشار المصنف بقوله (ومعناهما السابق للاشياء) اى جميع الموجودات (قبل وجودها) لانه الذى اوجدها وابدعها (والباقى بعد فنائها) ثم صرح بالمقصود من دفع الايهام فقال (وتحقيقه انه ليس له اول ولاآخر) ولاابتداء ولاانتهاء فلاسابق عليه ولاباقى بعده فهو واجب الوجود ووجوده عين ذاته لايتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبى انه الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده فى الابد وبعد الانتهاء وعلى هذا يكون من اسماء الذات ويجوز ان يكون

من اسماء الافعال على معنى اول الاول وآخر الآخر فى الوجود ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (وقال عليه الصلوة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) يعنى انه فى عالم الذر والارواح خلقت روحه و نبئ قبلهم ولذا عبر بالانبياء دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا فى وجه آدم اذ لا يطابق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وآخرهم فى البعث) فهو خاتمهم ونبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته لاتنقطع بموته (وفسر بهذا) اى بتقدم خلقه وتأخر بعثته (قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه (فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الذكر لتقدمه فى الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله عزوجل واذ اخذنا الآية فقال كنت اولهم فى الخلق وآخرهم فى البعث واما ماروى عن مجاهد فى ان هذا فى ظهر آدم عليه الصلوة والسلام فتفسير آخر لاوجه لذكره هنا (وقد اشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فى قوله كما تقدم لما بكى على النبى صلى الله عليه وسلم اذ توفى بابى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين الآية واعلم ان قال الخفاجى ونحوه لانه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه صلى الله عليه وسلم لان التقدم الذكرى ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده (ومنه) اى من قبيل ذكر كونه اولا وآخرا (قوله نحن الاخرون) اى هو صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثة وامته آخر الامم (السابقون) اى اول من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) صلى الله عليه وسلم كما تقدم (انا اول من تنشق عنه الارض) فى الخروج من القبر للحشر (واول من يدخل الجنة) هو وامته كما مر (واول شافع واول مشفع) اى مأذون له فى الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله (وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم) لبيان اطلاق الاخر عليه ايضا فعلم منه انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول والاخر كما يقال على الله وان كان اطلاقهما على الله بمعنى مختص به كما مر واطلاقهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى آخر مقيد بقيود آخر تدل على تغايرهما وكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته فى لفظه فسقط ما قيل ليس هذا المعنى بالمعنى الاول قطعا ولانسبة بينهما فهو غفلة منه وزلة قدم اذ مثله لايخفى عليه مثله واعلم انه وقع هنا فى بعض الحواشى انه سماه بالاول والآخر والظاهر والباطن وفسر الاول والآخر بما مر والظاهر بانه الذى لايخفى على عاقل وجوده اوالقادر والباطن بالمحجوب عن عباده فى الدنيا اوالذى لايحاط به اوالذى لاكيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروى فيه حديثا وهو ان جبريل عليه

الصلوة والسلام نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا اول
السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال ياجبريل
كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلى وهى صفة للخالق لاتليق الا به فقال
ان الله تعالى امرنى ان اسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين
وشق لك اسماء من اسمه وصفة من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا
وسماك آخرا لانك خاتم النبيين وسماك بالباطن لانه عزوجل كتب اسمك مع اسمه
بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق اباك آدم بالف عام الى مالاغاية له
ولانهاية وامرنى بالصلوة والسلام عليك فصليت الف عام حتى بعثك اليه بشيرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهر فى عصرك
واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فما منهم احد
الا وقد صلى عليك صلى الله تعالى عليه وسلم فربك محمود وانت محمد وربك
الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى فضلنى على جميع النبيين
فى اسمى وصفتى انتهى وهذا مما لم نره لغيره (ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة
المتين) بالتشديد المحكم قوته فالمتين اخص من القوى ولذا وصف بها والقوى
وذو القوة ورد اطلاقهما عليه فى القرآن واصله قويو فاعل بالقلب والقوة
خلاف الضعف وهى ما يجد به القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وان لم يفعله
فهى والقدرة متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه
ومنه قوله تعالى * واعدوا لهم مااستطعتم من قوة * وقال الخطابى القوى
يكون بمعنى القادر ومن قوى على شئ قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذى
لايستولى عليه العجز بحال من الاحوال فيما لايتناهى وهى مخصوصة بالله ولذا قال
تعالى ان القوة لله جميعا فلاقوة لعبده الااذا قواه الله تعالى ولذا تعبدنا بقول
لاحول ولاقوة الا بالله كما قيل * بك اسطو اذا سطوت ولولا * لك لما استمسكت
قوى اوصالى (ومعناه القادر) وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما اشرنا اليه
ولكنهما متلازمان ولذا فسره به الخطابى وايده القرطبى فى شرح الاسماء
الحسنى الا انه لاخلاف بينهما (وقد وصفه الله تعالى) اى وصف الله تعالى
نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك فقال) انه لقول رسول كريم (ذى قوة
عند ذى العرش مكين) اى ذى مكانة ورتبة علية عند الله (قيل) المراد بذى قوة
(محمد وقيل جبريل) عليهما الصلوة والسلام وعليه اكثر المفسرين وبه استدل
المعتزلة على تفضيل جبريل ولادليل فيه كما سيأتى (ومن اسمائه تعالى) التى سمى بها
رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الصادق المصدوق) كما رواه ابن ماجة والمصدوق

بمعنى المصدق فيما جاء به وقد وردا فى اسماء الله الحسنى (فى الحديث المأثور) المروى بسند صحيح (وورد فى الحديث ايضا تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالصادق المصدوق) وتقدم لفظه والكلام عليه فى الفصل السابق (ومن اسمائه تعالى الولى) كما قال تعالى * الله ولى الذين آمنوا * اى الذى يتولى امرهم ويقوم بنصرتهم ومن اسمائه ايضا الوالى وهو بمعناه (والمولى) كما قال تعالى * ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم (بمعناهما) اى المولى والولى (الناصر) اى الذى ينصرهم على اعدائهم (وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله) والذين آمنوا اى ناصركم ولم يقل اولياؤكم لان نصرتهم واحدة اولان الناصر انما هو الله وغيره بتبعيته واعانته كما قال تعالى * وما النصر الا من عند الله (وقد قال عليه الصلوة والسلام انا ولى كل مؤمن) كما رواه البخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ورواه احمد وابوداود انا اولى بكل مؤمن من نفسه وفى البخارى ايضا انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى اول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسئل هل عليه دين وهل له وفاء فان قالوا له عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم والا صلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنائم قال صلى الله تعالى عليه وسلم * من مات وعليه دين فعلى قضاؤه * فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردى انه لم يكن واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وهل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقضيه من الغنائم اومن خالص ماله احتمالان (وقد قال تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم) اى احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضى ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والآخرة (وقال عليه الصلوة والسلام) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قال الشافعى وهذا الحديث ورد فى قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى انما مولاى رسول الله * صلى الله عليه وسلم * فلما سمعه رسول الله * صلى الله تعالى عليه وسلم * قال من كنت الى آخره ولا دليل للشيعة فيه على انه كرم الله تعالى وجهه احق بالخلافة لاسيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلاحجة لهم فيه (ومن اسمائه تعالى العفو) مبالغة فى العفو عن السيئات وهو محوها وازالتها ولذا قيل انه ابلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر واما الصفح بمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قال (ومعناه الصفوح) فلا يرد عليه انه لاينبغى تفسيره به (وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه) عليه الصلوة والسلام (فى القرآن) اذ امره به فيه اذ قال خذ العفو

وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بذلك فكان ممتثلا له متخلقا به فيقتضى الاتصاف به على ابلغ وجه واتمه اذ كان جبلة له صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه فى القرآن وانما امر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يعصى له امرا لا يقتضى كونه على وجه المبالغة التى دل عليها صيغة فعول والامر لا يقتضى التكرار على الاصح (والتورية والانجيل وامره بالعفو فقال) بيان لما فى القرآن (خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح) هذا مبنى على ان العفو فى هذه الآية الصفح ويدل عليه ما روى انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل ماهذا فقال لا ادرى حتى اسئل ربى فسأله ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه البغوى والقرطبى ونقل بصيغة التمريض وعليه اعتمد المصنف بقوله (وقال له جبريل وقد سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك) فاختصره والذى عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما فى قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت بآية الزكاة فلا شاهد فيها على ما نحن بصدده (وقال) هذا بيان لما فى التورية وفى بعض النسخ التصريح بقوله (فى التورية) والانجيل (فى الحديث المشهور) الذى تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح) وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضى الله تعالى عنه فى قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس التفضيل فيه على اصله اوانه فظ على من يستحق المغالظة كالكفرة (ومن اسمائه تعالى الهادى وهو) الضمير للهداية التى فى ضمن الهادى وذكره لان تأنيث المصدر غير معتبر اولانه بمعنى ان يهدى كما فى الكشاف (بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده) اللام زائدة للتقوية لتعدى التوفيق بنفسه واصل معنى الهداية كما قاله الراغب الدلالة بلطف لما يوصل اوالموصلة على الخلاف المشهور وهل على انواع الاول ما يعم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثانى دعاؤه اياهم على السنة رسله والثالث توفيق الذى يختص به من اهتدى والرابع الهداية فى الآخرة التى فى قوله الحمد لله الذى هدانا لهذا والانسان لا يقدر يهدى احدا الا بدعاء ولذا نفيت تارة واثبتت اخرى انتهى والى احد انواعها اشار بما ذكره واشار الى الاخر بقوله (وبمعنى الدلالة والدعاء) اى الدعوة (قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام) اى الجنة (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) اى يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه وهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق

وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبنى على مذهب المعتزلة فى خلق العباد لافعالهم وان ما ذكره المصنف لاتساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشئ عن عدم معرفته بقدر المصنف رحمه الله (واصل الجميع) من معانى الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها لغة (من الميل) فمعنى هداه الى كذا صرفه اليه واماله عن غيره لانه من التهادى وهو التمايل وفى الحديث خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يتهادى بين اثنين اى يتمايل (وقيل) انها مأخوذة لغة (من التقديم) ومنه هوادى الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذى ارتضاه الراغب ثم شرع فى بيان اطلاقه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقيل فى تفسير طه انه ياطاهر ياهادى) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقى لما فى قوله * قلت لها قفى فقالت قاف * اى وقفت (يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يريد الله تعالى بهذين الاسمين نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه (وقال له الله تعالى) خطابا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) اى تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهى المشهورة وعلى المجهولة هو لله (وقال فيه) اى فى حقه وشانه صلى الله تعالى عليه وسلم (وداعيا الى الله باذنه) اى بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا فى ذلك واصل الاذن معروف الاجازة وعبر فى الاولى بقوله له لكونه بصيغة الخطاب يقال قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن فى الثانية خطابا قال فيه لانه فى حقه ووصفه فلا وجه لما قيل انه لاوجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى ان معانى الهداية منها مايختص بالله ومنها مايطلق عليه وعلى غيره فقال (والهداية بالمعنى الاول) وهو التوفيق بخلق الاهتداء (يختص بالله) فانه لايقدر عليه سواه ولذا نفى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى (قال تعالى انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) ويريد توفيقه (وبمعنى الدلالة) بكسر الدال المهملة وفتحها وهى اراءة الطريق (تطلق على غيره تعالى) كالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين العلماء لوقوع الدلالة منهم وقوله تعالى * انك لاتهدى من احببت * نزلت فى ابى طالب عمه لافى العباس عمه رضى الله تعالى عنه كما قيل وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه فى مرض موته وقال له ياعماه قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله وعنده ابو جهل وصناديد قريش فقالوا له اترغب عن ملة المطلب فكان آخر ما قال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الآية والشيعة يقولون انه قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت (ومن اسمائه تعالى) التى سماه صلى الله تعالى عليه وسلم بها (المؤمن المهيمن قيل هما) فى اسماء الله

تعالى (بمعنى واحد) ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته (فمعنى المؤمن) على هذا القول (في حقه تعالى المصدق وعده) اى ماوعد به (عباده) في الدنيا من الثواب ونعيم الآخرة والنصر العزيز في الدنيا الى غيرذلك من وعد من لايخلف الميعاد (والمصدق قوله الحق) اى الذى صدق ماقاله من الحق كما قال فورب السماء والارض انه لحق (والمصدق لعباده المؤمنين ورسله) اى يصدق ماقالوه اوجاعلهم صادقين في قولهم ملتزمين للصدق في اقوالهم وعهودهم كما قال الله تعالى * رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فعلى الاول اللام غير زائدة وعلى الثانى مزيدة للتقوى وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه في القرآن والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن اى مصدق فانه كذلك في لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه مصدق مؤمن عباده اوالذى لايخاف ظلما وقيل معناه الذى يأمن اولياءه عذابه كما قال الشاعر

* والمؤمن العائذات الطير تمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسند *

وقال الحاكم معناه انه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابى بعد مافسره بالمصدق انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده و يفى بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة والآخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولايخيب آمالهم كقوله انا عند ظن عبدى بى (وقيل الموحد بنفسه) بقوله تعالى * شهد الله انه لا اله الا هو * و قوله تعالى * انى انا الله لااله الا انا * فصدق مانطقت به الكائنات وحكته البراهين من توحيده في الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله (وقيل المؤمن عباده) كلهم مؤمنهم وكافرهم (في الدنيا من ظلمه) لتنزهه عنه ومارنك بظلام للعبيد (والمؤمنين في الآخرة من عذابه) معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن مصنف بمعنى معطى الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد ماببن معنى المؤمن شرع في بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال (وقيل المهيمن بمعنى الامين) فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء واصله مؤيمن وميمه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين كما ذكر وفي بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا ان يراد معنى مادته المأخوذ منها وهو من اسمائه الواردة في القرآن والحديث واجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى في بيت العباس واطلق على ابى بكر ايضا رضى الله عنه في قول الشاعر * الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه في العرف والنكر * ولم ينكره وقال ابن الحصار لانعلم احدا سمى به الا انه لبس في الشرع ماينعه وقوله (مصغرمنه) اى مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان اسماء الله تعالى لايجوز تصغيرها لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم

فى قوله * دو يهية تصغرمنها الانامل * لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره فصغروه تلطفا منهم كما قال وتقدم * ماقلت حبيبي من التحقير * بل يعذب اسم الشئ بالتصغير * واما اسماؤه تعالى واسماء انبيائه عليهم الصلوة والسلام فلا يجوز ذلك فيها قطعا و انما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كياء ضيغم وحيدر ولبست للتصغير وقد جاء فى كلامهم الفاظ على وزنه كسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار و يقال له بيطر ايضا والمدبر بالموحدة من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابى عن بعض اهل اللغة المهيمنة بمعنى القيام على الشئ والرعاية له وذكره ابن الانبارى فى الزاهر ولغرابته اختلفوا فى معناه على اقوال عشرة الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المصنف رحمه الله (قلبت الهمزة هاء) لانها اخف منها كما قالوا فى اراق هراق وفى الك هنك وقول المصنف انه مصغر منه اى من مادته ونوعه والا فهو من الامن مصغر مؤمن و يجوز ان يعود ضمير منه الى مؤمن فلبس مراده انه تصغير امين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ماقيل انه سهو منه لان تصغير امين امين بضم اوله وتشديد يائه وجعله شاذا لاداعى اليه واسماء الله لا تصغر فياؤه زائدة للتكثير ثم ذكر اسما آخر من هذه المادة فقال (وقد قيل ان قولهم فى الدعاء آمين) بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه ومه قال الحسن معناه استجب اوافعل ولا تخب وامن اذا قال آمين وقائله مجاهد (انه اسم من اسماء الله تعالى) بدل من قوله ان قولهم قيل اصله على هذا امين بالقصر مبنى على الفتح ودخلت عليه همزة النداء وابدلت الثانية الفا ورده ابن قرقول بانه لبس فى اسماء الله اسم مبنى وقال الراغب عن ابى على ان القائل بذلك اراد انه فيه ضمير الله لان معناه استجب و قيل انه عبرانى وقيل سريانى وقيل لايعلم اصله (ومعناه معنى المؤمن) اذا كان اسما لله ولذا قيل ينبغى تقديمه على هذا والكلام عليه مفصل فى التفاسير والقول الثانى فى المهيمن ما اشار اليه بقوله (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) اى الحاكم اوالذى يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد (ه) الرابع (الحافظ) للموجودات عن العدم حتى يريد غيره اوالمحصى لاقوالهم وافعالهم والخامس انه بمعنى العلى المتعالى والسادس الشريف وهو قريب مما قبله والسابع المصدق والثامن الوالى قاله عكرمة والتاسع القاضى قاله ابن الزبير والعاشر الرقيب وفيه كلام فى شرح الاسماء الحسنى للقرطبي ثم شرع فى ذكر تسمية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن) اى يسمى بهذه الاسماء الثلاثة التى سمى الله بها وان لم تتحد معانيها من كل الوجوه لشهادة حديث انى لامين فى الارض وامين فى السماء وكانت قريش تسميه

صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما مر واشار اليه بعد وسيأتى ذكر المهيمن (وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين) ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلوة والسلام كما تقدم اى مطاع امره وامين على وحيه واسراره (وكان يعرف بالامين وشهرته قبل النبوة وبعدها) بين اهل مكة وطوائف العرب * والفضل ما شهدت به الاعداء * وهذا مؤيد لما قوله لان شهرته بذلك بتقدير الله تعالى واظهاره فلا يرد عليه انه نص بتسمية الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم لا الناس حتى يقال انه لم اقره ورضى به دل على انه باذن الله تعالى وسمى بالمأمون كما مر فى قول كعب حين كتب لاخيه بجير فى حال جاهليته

* سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا *

فاسمعها صلى الله تعالى عليه وسلم قال مأمون ان شاء الله ان لم نقل المراد به ابو بكر رضى الله تعالى عنه ثم بين تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمهيمن بقوله (وسماه العباس) ابن عبد المطلب عمه عليه السلام (فى شعره مهيمنا فى قوله) فى الشعر الذى قدمناه مع شرحه (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وتقدم شرحه فانظره (وقيل المراد يا ايها المهيمن) ولولا هذا لم يكن اسما ومرضه المصنف رحمه الله تعالى وتبرأ منه بعزوه لقائله بقوله (قال القتيبى) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى البغدادى الامام المشهور نسبة لقتيبة جده توفى سنة ست وسبعين ومائتين وتآليفه كثيرة (والامام ابو القاسم القشيرى) عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلته وانما مرضه لانه تكلف ضعيف لان العرف بال لايادى وتقدير ايها مع تقدير حرف النداء لا يرتضيه نحوى واثقل من هذا ما قيل ان البيت هاء بمعنى العز والشرف كما فى قوله * ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول * واداعيره وشرفه بالمهيمن كان صفة له على اتباع وجه لان صفة لصفة صفة ومثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل الفرك (وقال تعالى) فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مؤمن اى مصدق (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اى يصدق) لعلمه بخلوصهم واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم او مزيدة والآية نزلت فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قالوا فى حقه امرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف ويعتقد فانه اذن اى يصدق بكل ما يسمعه فقال تعالى * قل هو اذن خير لكم يؤمن الخ (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انا امنة لاصحابى) هذا طرف من حديث النجوم امنة فى السماء فاذا ذهبت اتى السماء ما توعد وانا امنة لاصحابى فاذا ذهبت اتى اصحابى ما يوعدون واصحابى امنة لامتى فاذا ذهب اصحابى اتى امتى ما يوعدون يعنى ان النجوم اذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها واذا كثر سقوطها عند بعثته

صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم
امان لاصحابه رضي الله تعالى عنهم من وقوع بأسهم بينهم ووقوع لفتن فاذا توفاه الله
ابتدأ وقوع ذلك كقصة عثمان وعلي والحسين واصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم
امان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر فاذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك وامنة بفتح
الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او بزنة المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد
وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وآمنة يثق بكل احد وامين ويؤمن به انتهى
ونحوه في الاساس وكونه جمع امين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد
وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تأييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر
تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم باسماء الله اذ ليس من هذا القبيل (ومن اسمائه
تعالى) التي اطلقت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (القدوس) مبالغة من القدس
وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف في الاشهر وان كان الاقيس
فتحها وهو لغة منه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور الا
السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين السطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام
القرطبي في شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه (ومعناه المنزه عن النقايص
المطهر عن سمات الحدوث) اي علاماته وآثاره فلا يتصف بشيء منها (وسمي
بيت المقدس به) اي من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس مخفف بزنة مرجع
اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال
المشددة من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال
له البيت المقدس التوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرماني وقد تقدم (لانه يتطهر
فيه من الذنوب) بزيارته والعبادة فيه وروى النسائي باسناد صحيح عن النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلوة والسلام لما بنى بيت المقدس
سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
وان لا يأتي بيت المقدس احد لا ينهزه الا الصلوة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته
امه فاعطي جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطي كما تشد الى الكعبة ومسجد النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنه الوادي المقدس) المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله
فيه موسى عليه الصلوة والسلام سمي به لان الله تعالى قدسه وشرفه بظهور كلامه
فيه وهو من الارض المقدسة ايضا فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا
(و) منه (روح القدس) بضمتين وضم فسكون كما مر وهو جبريل عليه الصلوة
والسلام قال الله تعالى قل نزله روح القدس لنزوله بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة
والفيض الالهي وهذا هو الاصح وفيه وجوه آخر (ووقع في) بعض (كتب الانبياء)

المنزلة من عند الله تعالى عليهم (في اسمائه عليه الصلوة والسلام المقدس) هذا
هو الصحيح وما في بعض النسخ من انه القدوس من غلط الناسخ قاله فانه يجوز ان
يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا (اى المطهر من الذنوب) لعصمة الله تعالى له
صلى الله تعالى عليه وسلم من التدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شيء منها
يسمى ذنبا بالنسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر) وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تأخر بها كما سيأتى
بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة (او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه) بناء للمجهول
فيهما التنزه البعد ولذا اخره لاشعار التطهير بالوقوع وقوله (باتباعه عنها) متعلق
بيتنزه والباء سببية لان من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع شرعه المطهر
لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال
الله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته (ويزكيهم) يطهرهم
من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الآثام (وقال ويخرجهم من
الظلمات الى النور) اى من الكفر والمعاصى الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم
وتوفيق الله لهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية (او يكون
مقدسا) الموصوف به صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى مطهرا من الاخلاق الدميمة
بالمعجمة اى المذمومة (والاوصاف الدنية) الحقيرة التى لا تليق بجنابه صلى الله تعالى
عليه وسلم وفى الشرح الجديد هنا ما تركه خير منه (ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه)
الممتنع) الذى لا ينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال
الهذلى فى العقاب * حتى انتهيت الى مراش عزيزة * سوداء روثة انفها كالمخصف *
كذا قاله القرطبي نقلا فى شرح الاسماء الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله (الغالب)
القاهر من صفات الافعال فكان ينبغى له ان يقول او الغالب لانه معنى آخر كما صرحوا
به فى شرح اسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقى ونعت تنزيهى
كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبى لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق
الغالب على الله لم يأت فى عداد الاسماء بل ورد فى قوله والله غالب على امره اى الغالب
من مخلوقاته ما يريده احبوا او كرهوا وفى التنزيل كتب الله لاغلبن انا ورسلى وقال
الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما فى اليمين اى الممتنع اى الممهل
انه يمهل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ امره انما يملى لهم ليزدادوا اثما (او الذى
لا نظير له) هذا معنى آخر قال الخطابى العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه
عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعدله شيء وانه لا مثل له
انتهى ومما سمعته من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل انما ينحصر فى فرد كالشمس والقمر
داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود اخر ليس بشيء (والمعز لغيره) فهو فعيل بمعنى

مفعل وهو عزيز في العربية ولذا اخره المصنف يعني به انه لا عزيز الا من اعزه فالعزة له وبيده لا بيد غيره ولذا اصح الاستشهاد له بقوله (وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والآية نزلت في حق المنافق ابي ابن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم ان انحصار العزة في الله لا يقتضي انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز في الاسم الشريف ان يكون المعز المعظم وقد يقال يكفي في كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وانه محل الاستشهاد (اى الامتناع وجلالة القدر) معطوف على ما قبله لانه معنى العزة عدم النظير وتقديره وبزيادة المصنف له ذكر اندفع ما تقدم ايضا وقال الغزالي العزيز من العباد من يحتاج اليه في المهم وهو الحياة الاخروية وهو مما يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوي العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول ووصفه بها الله لا على طريق الاسمية فقال (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة) الاول بكسر اوله والثاني بفتحه والبشارة الخبر السار سمي به لانه يؤثر في بشرة الوجه ولذا لو قال لعبيده من بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه على ترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرني عتق الجميع كما مر والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم كما مر (فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه) اسمه المسيح عيسى ابن مريم ومن يكتفي بوجود المادة يجوز ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومثله يكفي في كونه توقيفيا والاشعري رحمه الله تعالى يقول لا بد من وروده بعينه (وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اى مبشرا لاهل طاعته) بما يسرهم في الدنيا والآخرة (ونذيرا لاهل معصيته) بما يسوءهم من العقاب ونحوه (ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة لاعادته (تنبيه) في فتاوى السبكي رحمه الله تعالى في قوله في سورة الاسراء انه هو السميع البصير ان الضمير في قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد في اربعة مواضع من القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون هذان اسمان من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر اللذين يدرك بهما الآيات التي تريه اياها وهو نذير والانذار بالعقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر وعلى هذا وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لانه لا احد اكمل منه في الانذار والاستدلال انتهى (اقول يعني

ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر
المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو امر عام ففسره بما يخصصه به
ويصيره مدحا له ولا حاجة لهذا مع بعده فانه قد تبين توجيه اظهر منه وهو السميع
الكلام الله تعالى من غير واسطة والناظر الى نور جماله وجلاله بعين بصره وهذا مما
اختص به صلى الله عليه وسلم ❊ فصل قال القاضي ابو الفضل ❊ عياض المؤلف
(رضي الله عنه وهها نكت) وفي نسخة وها انا ذا كر نكتة وها ء حرف تنبيه والاكثر
وقوع اسم الاشارة خبرا عن المبتدأ الواقع بعدها نحو ها انا ذا اقول وقد لا يؤتى به
كما صرحوا به فمن ظنه لازما واعترض على المصنف رحمه الله تعالى لم يصب
والنكتة بضم اولها وفتح المثناة الفوقية هي الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتأمل
سميت بها لان صاحبها كثيرا ما ينكت في الارض بقضيب ونحوه وهو بمعنى النكت
لغة (اذيل بها هذا الفصل) اي اختمه بها واطوله فيكون كذيل الثوب الذي
يطول به وفي حديث مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه انه كان في الجاهلية
مترفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة اليمن اي يطيل ذيلها واليمنة برد من برود اليمن ففيه
استعارة تصريحية تبعية واليه اشار بقوله (واختم به هذا القسم) الذي فيه ذكر
الاسماء (وازيح الاشكال بها فيما تقدم) اي ازيل ما يشكل على سامعه (عن كل
ضعيف الوهم) قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة
للعقل فان ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله (سقيم الفهم)
كالتفسير له وسقمه بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره في الاول بالضعف وفي هذا
بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها (تخلصه من مهاوي التشبيه)
بكسر الواو جمع مهواة وهي كالهاوية الحفرة العميقة التي من يقع فيها يصعب
طلوعه وفي اضافة التشبيه لمهاوي تشبيه بكلجين الماء وهي تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه
تشبيه الله وصفاته بغيرها لان اطلاق بعض الاسماء على الله وعلى غيره يقتضي
ذلك (وتزحزحه) اي تزيله وتبعده قال تعالى ❊ فمن زحزح عن النار (عن شبه
التمويه) اي الشبه بزنة غرر جمع شبهة وهو ما يلتبس واصله ما لا يتميز عن غيره
لما بينهما من المشابهة والتمويه من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له
وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال في الاساس سرج مموه مطلي
بالذهب او الفضة وحديث مموه مزخرف وما احسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه
انتهى وانما سمي تمويها لانه يذاب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر اخبره بخلاف
ما سأله عنه (وهو) عائد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويزيح الاوهام والمحب
ممن اعاده على ضعيف الوهم وسقيم الفهم (ان تعتقد ان الله جل اسمه) اي عظم
وتنزه عن الحاد في اسمائه بالتأويلات الباطلة ولقد اصاب قوله هنا جل اسمه محزه

زخرفة
تمت

وطبق مفصله (في عظمته وكبريائه) الكبرياء الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته في نفسها ولظهور الاولى ورد في الحديث الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني في شيء منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل ليس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما سيأتي من قوله لايشبه الى آخره وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه اى متصفا بهما وبما بعدهما وكني بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية او هو ظرف مستقر كانه لتمكنه وانفراده باعلى مراتبهما فيهما انتهى وففيه تكلف (وملكوته) اى عظم وعز سلطانه وهي كما مر صيغة مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا (وحسنى اسمائه) اى اسماؤه الحسنى ووصفت بالحسنى لدلالتها على احسن المعاني وامدحها فهي صفة كاشفة لا مخصصة وسواء ما يختص به كالخالق وما يطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم اخر (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهي الشريفة الرفيعة وروى على بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى (لاتشبه شيئا من مخلوقاته) بالتاء الفوقية اى المذكورات من لفظ العظمة وما بعده وهو خبر ان وما بعده متعلق به او حال مما قبله وليس معترضا كما قيل (ولاتشبه به) مبنى للمجهول بضم الفوقية وتشديد الباء الموحدة ويجوز ضبطهما بالتحتية اى معاني اسمائه وصفاته لاتشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على اعظم رتبة لايصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم تقديره ان بعض اسمائه تعالى اطلق على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فيلزمه مشاركة عبيده له فيها كما قال (وان ماجاء) من اسمائه تعالى (مما اطلقه الشرع) في القرآن والاحاديث والكتب الالهية (على الخالق وعلى المخلوق) كشكور وحفيظ وغيره مما تقدم واعاد الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما (ولاتشابه بينهما في المعنى الحقيقي) الذي هو مأخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد اسماؤه تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هي حقيقة فيه مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة في غيره او حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسماء الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لاينافي العلمية بخلاف العباد فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه اطلق عليه باعتبار غاياته الا ان يقال انه حقيقة شرعية فان تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لايستلزم اشتراكها بل كونها مقولة بالتشكيك فقوله (اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق) لايتم دليلا على مدعاه (فكما ان ذاته لاتشبه الذوات) اى حقيقته ونفسه ومن ذهب الى ان الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول الالف واللام

الا ان الطاهر صحته و يشهد له قولهم الذوين للملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان (فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين) وكون ذاته لا تشبه شيئا من الذوات هو الحق الذى ذهب اليه الاشعرى وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها فى الحقيقة وان امتازت بالوجود والالوهية وغيرهما وتفسيره فى الكتب الكلامية واعلم ان فى اطلاق لفظ الذات على الله تعالى شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول ال عليه غير صحيح لغة و قال السهيلى ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز تعريفها الا انها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد فيقولون ذات البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما ورد فى الحديث الصحيح ثلاث كذبات فى ذات الله تعالى وقول خبيب رضى الله تعالى عنه

* وذلك فى ذات الاله وان يشاء * يبارك على اوصال شلو ممزع *

وقد اثبت ذلك البخارى واحمد فى مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست هذه اللفظة كما زعموا فى اللغة والشرع الاستقراء ولم يرد الا مجرورا بفى والظرفية غير صحيحة فهى صفة لمؤنث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة * محلتهم ذات الاله ودينهم * ومن فسره بغير ذلك فقدوهم فتدبر (اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاعراض) الاول بعين مهملة والثانى بعين معجمة او العكس ثم راء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل الجوهر اى لا يقوم بذاته او بمعنى كالمرض ويكون بمعناه ايضا لان ما يعرض للبدن ان استمر فهو مرض عند الاطباء والا فعرض و يطلق كل منهما على الاخر والثانى هو الامر الباعث على وجود الفعل وايجاده و هذا تعليل لكون ذات الله تعالى وما تعلق بها لا يشبه شيئا من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لا تنفك اى لا تفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافى لوجوب الوجود الذاتى خلافا للحكماء والكرامية و افعاله تعالى لا تعلل بالاعراض وان كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة وهى تسمى عرضا ايضا ولكنه ليس محل خلاف وذهب النسفى و بعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظى فان العرض ان كان ما يستكمل به الفاعل و يحتاج اليه فهو منفى عنه والا فيجوز اثباته له خلافا للحكماء و ليس هذا محل بسط الكلام فيه وفى كلامه تجنيس (وهو تعالى منزه عن ذلك) فلا يحل به عرض ولا يفعل لعرض (بل لم يزل) موجودا ازلا و ابدا (بصفاته واسمائه) الدالة على ذاته وصفاته فهى قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام فى قدمها ومنها ما هو عينه ومنها ما هو غيره او لا عينه ولا غيره عند الاشعرى واما صفات الافعال كالاحياء والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية و المصنف رحمه الله تعالى تبعهم هنا و قيل انها حادثة

اذهي اضافات تعرض له ولامحذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة ايضا و اسماؤه على ماذكره قديمة ايضا لانه تعالى سمى نفسه بها في كلامه وهذا بناء على قدم الكلام اللفظي وهومذهب السلف و بعض الخلف كالشهرستاني (وكفى بهذا) اي يكفي في اثبات كون ذاته وصفاته واسمائه لاتشبهه شيء فيها (قوله تعالى ليس كمثله شيء) فانه صريح فيه سواء قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لايبخل والكاف غيرزائدة اوقلنا انها زائدة وقيل الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل على المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما (ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين) الدر بفتح الدال و تشديد الراء المهملتين اصل معناه اللبن الحليب و يتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام في لله للتعجب وكذا يستعملوه فيقال لله دره للثناء عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا الله هو لانه ابلغ بمراتب لتحجبهم من ان يرتضعه كما يقال لله ابوه و بلده واضافوه لله اشارة الى انه لايقدر عليه سواه واراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم فان العارف مختص في العرف باولياء الله تعالى (التوحيد اثبات ذات) وهي ذات الله تعالى (غيرمشبهة للذوات) جميعها بوجه من الوجوه (ولا معطلة من الصفات) اصل معنى العطل فقد الزينة والشغل والمراد به النفي هنا اي غير منفي عنها الصفات كما يقوله المعتزلة هربا من تعدد القدماء والمحذور تعدد ذوات قدماء لاذات وصفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة (وزاد هذه النكتة) وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ (الواسطي) تقدمت ترجمته (بيانا وهي) اى الزيادة التي زادها فهو عائد على ما فهم مما قبله (مقصودنا) لدلالتها على ما عقد له هذا الفصل (فقال ليس كذاته ذات) اي ليس كحقيقته حقيقة ولا يشاركه وجه من الوجوه اذ لو شاركته لزم امر آخر مميز ذاته عن ذات غيره والا لاتحدا وهذا يستلزم التركيب والحدوث (ولا كاسمه اسم) اى لايشبه مدلول اسمه مدلول اسم آخر كما مر (ولا كفعله فعل) لانه في غاية الكمال والاتقان وليس بعرض و لاغرض كما مر (ولا كصفته صفة) لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك (الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) في بعضها كسميع و بصير ونحو مثل ذلك في حقه ليس مثله في غيره وان كان اللفظ متحدا لمناسبة ما تم وضحه فقال (وجلت الذات القديمة) اى عظمت وتعالت وتنزهت عن (ان تكون لها صفة حديثة) اى محدثة موجودة بعد العدم لانها ان كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص لايليق بكماله والا استحال اتصافه و هذا مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم (كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها (وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) الماتريدية والجماعة اذا اطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة (وقد فسر الامام

ابو القاسم القشيرى) تقدمت ترجمته (قوله هذا) اى قول الواسطى السابق (ليزيده بيانا) و ايضاحا على ايضاح (فقال هذه الحكاية) اى المحكى المنقول عن الواسطى (يستمل) وفى نسخة اشتملت (على جوامع) اى امور جامعة مستوفية (من مسائل التوحيد) وهو اعتقاد ان الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته لامثل له ولاضد ولاند ولاشريك له فى الوهيته واستحقاقه للعبادة (وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات) لفتح الدال المهملة اى الامور الحادثة (وهى بوجودها مستغنية) مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) فى حقيقته ولوازمه وكماله (وهو) اى فعله (لغير جلب) لفتح الجيم وسكون اللام وفتحها و باء موحدة وهو التحصيل واصل معناه السوق (انس) اى استيناس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانيس والجليس (اودفع نقص حصل) اى لبس شئ من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغنى المطلق (ولابخواطر واعراض) والباء سببية وفى نسخة لخواطر باللام التعليلية واعراض بعين مهملة اى لبس شئ من افعاله تعالى لخواطر يطرأ عليها وباعث يدعوه لفعله كما تقدم وفى نسخة ولابجواهر واعراض بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله على مافيه وقوله (وجد) ماض للمجهول كما قاله البرهان ووقع فى مقابلة قوله حصل اى لبس لدفع نقص حاصل ولالخاطر وغرض موجود وفى بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال اى لبس فعله باجتهاد وجد منه والذى غره قوله (ولامباشرة ومعالجة) الاان قوله (طهر) يأباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عائد على الفعل فان معناه لبس فعله لدفع نقص حصل له اولخاطر وغرض وجد فى نفسه ولا لكد طهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة فى محله فوصف النقص بحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد بغتة فى نفسه كما هو شانه كما ان شان المباشرة كونها محسوسة فهذا ناش من عدم تأمل كلامه والمباشرة فعل الشئ بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل من باب بمباشرة وتولد كانه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا اقتتلوا اى لبس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شئ من ذلك انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون (وفعل الخلق لايخرج عن هذه الوجوه) المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة (و) قد (قال آخر من مشايخنا) جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفى العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل اللغة انه لااصل له ولم يسمع فى كلام العرب ورد بانه سمع كما فى شرح الفصيح (ماتوهمتموه باوهامكم) اى كل شئ واقع فى اوهام الناس انه حقيقة البارى لبس كما توهمتموه (اوادركتموه بعقولكم) اى تصورتموه وعلمته عقولكم (فهو محدث مثلكم) لان

الاوهام والعقول مألوفة بادراك ما تشاهده وتظن ان الله تعالى جل وعلا مثله وتقيس الغائب على الشاهد والله تعالى اجل من ان يحيط به الادراك والادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية وهو تعالى منزه عما لا يليق به مما الفته النفس من المدركات وليس المراد انه لا يدرك ذاته وصفاته بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لا يدرك كنه ذاته وصفاته ومسمى اسمائه لكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه لا رب ولا معبود سواه (وقال الامام ابو المعالي الجويني) امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ابو المعالي امام الائمة عربا وعجما فريد دهره نخبة الفلك وكتة عطارد صاحب الفضائل والتآليف الجليلة ولد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرة واربعمائة في خامس عشرين من ربيع الثاني وجوين بضم الجيم من نواحي نيسابور وهو شيخ الغزالي ومفخره (من اطمأن) بطاء مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج اي تقرر وتيقن عنده بعد الشك والتنبه (الى موجود انتهى اليه فكره) اي تيقن امرا موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه انه الله (فهو مشبه) اي معتقد لتشبيه الله تعالى بغيره مما في خزانة فكره وهو خطأ لانه ليس كمثله شيء وفكره انما هو مدركاته المشاهدة فيأتيه التشبيه منها واحترز بقوله اطمأن عن الوسوسة فانها لا تثبت بتشبيه لعدم ركون النفس لها (ومن اطمأن الى النفي المحض) الخالص بان نفى ذات البارى حقيقة او حكما كالفلاسفة القائلين لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد (فهو معطل) ناف للصانع وهم الدهرية القائلون بالطبايع الى غير ذلك مما لا يصدر عن عاقل (وان قطع) اي جزم (بموجود) انه واجب الوجود (اعترف بالعجز عن دركه حقيقته) بسكون الراء وقد تفتح اصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك لوصول العقل اليه اي عجز عن علم بكنهه (فهو موحد) لانه عرف الله ووحده واعترف بانه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب وروى عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال يا من غاية معرفته العجز عن معرفته اذ كان غاية معرفته ان يعرف الاشياء فيعلم انه ليس شيء منه ولا مثله بل هو موجد كل ما ادركته انتهى (وما احسن قول ذي النون المصري) الزاهد العارف الله تعالى ابو الفيض ويقال ابو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمي كان ابوه نوبيا توفي رحمه الله تعالى سنة خمس واربعين ومأتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه قرأ من خط قديم * تدبر بالنجوم ولست تدري * ورب النجم يفعل ما يشاء * وله ترجمة في الميزان (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء) اي في ايجادها وابداعها (بلا علاج) اي بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة (و) تعلم ان (صنعه لها بلا مزاج) المزاج لغة كالمزج الخلط وما ركب عليه البدن من الطبايع وعند الاطباء كيفية له من العناصر المتماسة بحيث يكسر سورة

كل منها سورة الاخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لايحتاج الى مادة ومعاونة تركبه منها بل قدرته تعالى العلية اوجدته ابتداء من العدم بعد ان لم تكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شيء من العلل الاربع كما اشار اليه بقوله (وعلة كل شيء صنعه) بمجرده ومجرد قدرته (ولا علة لصنعه) تعينه فى ايجاده اذ افعاله تعالى لا تعلل بالاعراض (وما تصوره وهمك فالله بخلافه) فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه افعال غيره فهو منزه عن ان تتصوره الاوهام (وهذا كلام عجيب نفيس محقق) من النفاسة وهى الشرف وعلو القدر (والفصل الاخير) من كلام ذى النون وهى الفقرة الثالثة اعنى قوله وما تصوره وهمك فالله بخلافه (تفسير لقوله) عز وجل اى بمعنى قوله (ليس كمثله شيء) فان ما لامثل له لا يرتسم فى الوهم (والثانى) اى الفصل الثانى وهو قوله وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه (تفسير) وبيان (ل) معنى (قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون) فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين (والثالث) فى العدد وهو الاول اعنى قوله حقيقة التوحيد ان تعلم قدرة الله فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج (تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وفى كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير (بتنا الله واياك على التوحيد) اى على العقيدة الحقة فى اعتقاد وحدانية الله تعالى فى ذاته وانفراده بجميع شؤنه (والاثبات) اى اثبات ما يليق بذاته لذاته و بصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافى للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد مجرد التوكيد (والتنزيه) لذاته وصفاته عما لا يليق بها (وجنبنا) اى بعدنا (طرفى الضلالة والغواية من) طرفى (التعطيل والتشبيه) من بيانية واراد بالضلال التعطيل و بالغواية ادعاء التشبيه والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كله استدلال على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما فى حقيقة المدلول والمسمى كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه القسمية تسريما وتميرا لهم مما عداهم اردفه بما يتم به التمييز وهو المعجزات فقال ﴿ الباب الرابع ﴾ من القسم الاول (فيما اظهره الله على يديه) صلى الله عليه وسلم ما على اليد هو ما وضع فوقها وكنى به عما كان مشاهدا (من المعجزات) وهى الامور الخارقة للعادة التى يظهرها الله تعالى على يد انبيائه عليهم السلام لالزام من كذبهم اذ العجز عن الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها و بين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبى والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبى ايضا كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرف به من الخصايص والكرامات) اى ما خصه الله تعالى به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينها و بين السحر ليس ادعاء النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انها امر الهى ليس بمزاولة العزائم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهى دالة على صدقه فى دعوى النبوة

وما كان قبل البعثة فهو ارهاص اى تأسيس للنبوة وادخلها بعضهم فى المعجزة قال الزركشى فى البحر اختلف فى دلالتها فذهب القشيرى الى انها وضعية ومادل وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام فى الارشاد وابو اسحق انها عقلية وقال الامدى فى ابكار الافكار الذى ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان مايدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعى النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثانى فلان الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتهما على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله تعالى صدق عبدى انتهى (قال القاضى ابو الفضل) عياض المؤلف (رضى الله تعالى عنه حسب المتأمل) بسكون السين اى يكفيه او كفايته والمتأمل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا (ان كتابنا هذا لم نجمعه) اى لم نؤلفه (لمنكر نبوة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن كفر به (ولا لطاعن فى معجزاته) اى معترض ومعارض معاند فى ثبوت بعضها وان كان مظهرا للاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن برى الاكثر فى طعن السلاح بضم عين المضارع وفى القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة فتأمله (فيحتاج) بالرفع على الاستئناف او النصب فى جواب النفى بناء على رأى من جوزه مستدلا بقوله

الم الق بعدهم حيا فاخبرهم الا يزيدهم حبا الى هم*

وقد منعه بعض النحاة وهم نحاة المغرب (الى نصب البراهين عليها) اى على اثباتها بالادلة القاطعة الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها من قولهم نصب رأيا اذا اشار اليه بان لا يعدل عنه كما فى الاساس (وتحصين حوزتها) بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاى المعجمة وهى الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو القاصد لخراب المملكة ويقال حمى حوزه وبيضة بلده اذا حفظ جواره ومايلزمه حفظه (حتى لا يتوصل المطاعن اليها) جمع مطعن وهو الطعن والرد بالاباطيل الفاسدة التى تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة او للمعجزة والاول اولى وابلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها ويذكر شروط المعجزة (والتحدى) بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة وياء تحتية وهو طلب المعارضة واصله مقابل للحادين فى حدى الابل (وحده) معطوف على يحتاج الداخل فى حيز النفى وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله (وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع ورده) اى لا يذكر فساده ورده معطوف على فساد او ماض

معطوف على ابطل اى لم نجمعه لاجل شئ من ذلك حتى يحتاج الى ذكر مايدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو دأب المتكلمين ان يقدموا قبل مباحث اثبات النبوة او ذكر المعجزات مبحث ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه وبين البداء وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ونبوة عيسى عليه الصلوة والسلام لنقلهم عن التورية مايدل على تأبيد شريعة موسى عليه الصلوة والسلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل فى كتب الاصليين (بل الفناه لاهل ملته) اى انما الفناه لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به (الملبين لدعوته) بالباء الموحدة المشددة اى القائلين له اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال (المصدقين لنبوته) لاقرارهم واعترافهم بكل ماجاء به ولا يقال ان جميع التأليف الاسلامية كذلك فانه لبس بشئ ثم بين الداعى لتأليفه فقال (ليكون تأكيدا فى محبتهم له) صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى ان يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك ماجاء به مؤكد لمحبتهم له صلى الله عليه وسلم (منماة لاعمالهم) بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدر او اسم محل اى يزيدهم رغبة فى اعمالهم الصالحة او يبلغهم الاعمال او يبلغ اعمالهم الى الله تعالى من نميت الحديث اذا بلغته (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) بذلك فانه يزيده او يثبته فى قلوبهم وفى تقديمه زيادة الاعمال على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول فى قبول الايمان الزيادة مقرر فى محله (ونيتنا) بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الالف اى قصدنا وما عزمنا عليه فى هذا الباب (ان نثبت فى هذا الباب) ان نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الافعال او التفعيل (امهات معجزاته) اى كبارها وعظامها جمع ام (ومشاهير آياته) غاير بينهما تفننا فان الآيات بمعنى المعجزات ايضا او المراد ما اشتهر من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تحد ى غيره (ليدل) ما اثبتناه على عظيم قدره (عند ربه) لما اجراه على يديه من عظيم الآيات (واتينا منها) اى ذكرنا من تلك المعجزات (بالمحقق) اى بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة (والصحيح الاسناد) اى ماصح سنده وتقدم ان الاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث منقول فى سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة فى كتاب ابن الصلاح وغيره (واكثره) اى اكثر ما اتينا به (مما بلغ القطع) اى وصل الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك كالقرآن (او كاد) اى قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه قوى حتى صار متيقنا بما حفه من القرائن وحذف معمولى كاد شايع فى كلام العرب لاسيما فى السجع كما فيما نحن فيه (واضفنا اليها) اى ضممنا الى المعجزات المحققة

والمقار بة لها (بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة) يعني ائمة الحديث الذين تلقى الائمة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقي والسنن و بقية الكتب (واذا تأمل المتأمل المصنف ماقدمناه) اي من نظر بعين الرضاء والانصاف في صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي قدمها المصنف رحمه الله تعالى قبل هذا الباب وهذا تأكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لان من تأمل صفاته علم انه غير محتاج في اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتأكيد ذلك كما قال المتنبي * صفاته لم تزده معرفة * لكننا لذة ذكرناها *
(من جميل اثره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين وهو بقية الشيء وما يبقى بعده من آثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحايف الايام وقيل جمع اثره من اثره يؤثره ايثارا اذا اعطاه ومآثر العرب مكارمها ومفاخرها التي تروى وتذكر (وحميد سيره) جمع سيرة كسدرة وسدر وهي الطريقة والسنة المحمودة (وبراعة علمه) اي علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة وبروعا اذا فاق في علم اوغيره (ورجاحة عقله) اي عقله الرائد بحيث لووزن بغيره رجح عليه (وحلمه) الراجح ايضا (وجملة كماله) اي جميع كمالاته التي لم تجمع لغيره (وجمع خصاله) جمع خصلة وهو الصفة الحسنة وهي مجاز من الخصل وهي مايعطى في الرهان فاستعير لما ذكر كما في الاساس (وشاهد حاله) اي ماحكي عما كان يشاهد من حاله وفي تعبيره بالشاهد لطف لان فيه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر (وصواب مقاله) اي مايحكى من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جملة وقوله (لم يمتر) جواب اذا اي لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد (في صحة نبوته) التي ادعاها واظهرها (وصدق دعوته) اي صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم في مدعاه اوفيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيده و نه (وقد كفى هذا غير واحد) هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجهل ومابعده وغير مفعوله (في اسلامه والايمان به) اي كفاه ما رآه من احواله صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب برهان وآية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وتبعه من غير تلعثم كابي بكر رضي الله تعالى عنه فان كان كلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ماخلق هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذي كنت ارجوه منك (فروينا عن الترمذي) الامام المشهور صاحب السنن وقدمنا ترجمته (وابن قانع) بقاف ونون مكسورة وعين مهملة بعد الف وصحفه بعضهم بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقي بن قانع الامام الحافظ كما تقدم (وغيرهما باسانيدهم) جمع اسناد وجمع وان كان مصدرا لنقله الى الاسمية (الى عبد الله بن سلام) الصحابي المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام واختلف في بعضها

ايضا (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) في هجرته هو وابو بكر رضي الله تعالى عنه (جئته لانظر اليه) جواب لما يعني انه سمع بقدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف امره وهو من علماء اهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء (فلما استبنت وجهه) استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والسين للمبالغة (عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب) اي لاح له من سيماه ونور النبوة في محياه صلى الله تعالى عليه وسلم ان مثله لايكذب فيما ادعاه فخلق الله تعالى فيه علما ضروريا فصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ماكان علمه من صفته في التورية والكتب السالفة وقال رضي الله تعالى عنه لليهود يا معشر يهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوبا في التورية باسمه وصفته واني اومن به واصدقه ثم شرع في ذكر سنده لما رواه عن الترمذي ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين مااستشهد له به فقال (حدثنا به) اي بحديث ابن سلام (القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله تعالى) الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي) بالتصغير ومن قال ابو الحسن مكبرا فهو مخطئ (وابو الفضل ابن خيرون) تقدمت ترجمته (عن ابي يعلى البغدادي) بفتح التحتية وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم (عن ابي علي السنجي) تقدم ضبطه وبيان نسبته (عن ابن محبوب) المعروف بالمحبوبي راوي السنن (عن الترمذي) كما تقدم قال (حدثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال (حدثنا عبد الوهاب الثقفي) ابن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن ابي العاص الثقفي الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط في آخر عمره توفي سنة اربع وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان (ومحمد بن جعفر) هو غندر كما تقدم (وابن ابي عدي) محمد بن ابراهيم بن ابي عدي البصري الثقة توفي سنة اربع وتسعين ومائة وروى له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) بن فروخ ابو سعيد القطان البصري التميمي الحافظ احد الائمة الاعلام توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته في الميزان (عن عوف بن ابي جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم (الاعرابي) سمي به لسكناه بدرب الاعراب قاله ابن دقيق العيد وهو ثقة ثبت توفي سنة سبع واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة كما في الميزان (عن زرارة بن ابي اوفى) وفي نسخة ابن اوفى وهو من غلط الناسخ وزرارة بضم الزاي المعجمة وراءين مهملتين وهو مكني بابي حاجب قاضي البصرة ثقة عالم تقي ام في داره فقرأ فاذا نقر في الناقور فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له اصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) كما تقدم (وعن ابي رمثة التيمي) بكسر الراء المهملة وسكون الميم وثاء مثلثة قبل هاء علم منقول من رمثة نوع من النبات واختلف في اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل عبد ذلك التيمي

وقيل التميمي اختلف في نسبته لتيم اوتميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلدي ايضا (اتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي) حكاية لحاله التي جاءه بها والا فلا دخل له في القضية (فاريته) اي ارانيه وعرفني به غيري باشارة ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه يريه لانه لم يكن رآه قبل ذلك (فلما رأيته قلت هذا نبي الله) اي بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف ودال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدي نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ماقالوه تابعه واسلم في اول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقي ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولاثالث لهما (لما وفد عليه) اي لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام وقد تقدم ان الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد اني راق فهل بك من شيء فارقيك فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما قالوه ومما نسبوه اليه كما بينه بقوله (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله) جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية او خبرية مشهور وحسن تأكيده سؤاله له وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله انعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه على ابلغ وجه ثم قال (نحمده ونستعينه) فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاقين بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم اردفها بجملة اخرى لانشاء حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرات ولذا قطعها عما قبلها واتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددي واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لايقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب والمعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده او على جميع امورنا التي من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما ارشدنا اليه من ان الطالب للشيء يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه بقوله (من يهده الله) اشارة الى انه طلب منه الهداية الى الطريق المستقيم كما في اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها قوله (فلا مضل له) اي لايقدر احد على اضلاله (ومن يضلل فلا هادي له)

وفيه تعريض بمن تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم باسناده له ما لا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال (واشهد) اعلم واذعن واعتقد (ان لا اله الا الله) اى لا معبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد (وحده لا شريك له) فى الوهيته وجميع شؤنه وهو مؤكد لما قبله لتضمنه الحصر المقدم عليه (وان محمدا عبده ورسوله) ارسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة اى اعتراف بانه عبده وجواب لما قوله (قال له) ضماد المذكور لما سمع ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم (اعد على كلماتك هؤلاء) المذكورة من قوله الحمد لله الى آخره وانما طلب اعادتها ليتأملها ويفهم ما اراده وهؤلاء واولئك اشارة الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر * ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد اولئك الايام * فالمشار اليه هنا الكلمات (فلقد بلغت قاموس البحر) اى اشتهرت مقالتك هذه فى جميع اقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته او قعره كما فى كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخر فروى تاعوس بمثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروى فاعوس بفاء بدل القاف ورواه ابو داود قاموس او قاعوس على الشك فى الميم والعين الموحدة وروى ناعوس بالنون ايضا وقيل ان الكل تصحيف ما عدا قاموس وقاعوس كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر اى سمعه كل ذى روح حتى دواب البحر وهو مبالغة فى شيوعه وروى قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب من لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ (هات) بكسر التاء اسم فعل معناه اعط (يدك ابايعك) بالجزم فى جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به من غير تردد وليس فى كلامه ما يدل على صدق مدعاه ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به (وقال جامع بن شداد) فى حديث رواه عنه البيهقى وهو ابو صخرة الاسدى الكوفى المحدث روى عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائى وتوفى سنة ثمان او سبع عشرة او عشرين ومائة (كان رجل منا يقال له طارق) بن عبد الله المحاربى وهو صحابى كما اشار اليه بقوله (فاخبر انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة) كما قال ابن شداد وغيره ولروايته عنه وقال ابن حبان انما رآه بمكة بذى المجاز وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المصنف (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن لقيه معه (هل معكم شئ تبيعونه) انما سألهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع والشراء (قلنا هذا البعير فقال بكم) تبيعونه (قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر) بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا مما يكال (فاخذ بخطامه) بخاء معجمة

وطاء مهملة وميم هو كالزمام و زنا ومعنى اى رسنه الذى يقاد به والباء مزيدة اى اخذه ليجره ويذهب به (وسار) اى ذهب من عندنا بالعير (فقلنا) اى قال بعضنا لبعض (بعنا) بعيرنا (من رجل لا ندرى من هو) حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم فى الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به فى رواية اخرى وقوله من هو مفعول ندرى والمعنى لا ندرى جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن وهو متعد بنفسه اما بناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من فى الاثبات وقال النووى انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال انكحه وزوجه وانكح وزوج منه وقد وقع هذا فى كثير من الاحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقهاء وفى مسلم لو بعث من احبك وفى البخارى نبيعه من الصواعين الى غير ذلك مما لا يحصى (تنبيه) قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كنى به عن العدد وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان تمييزها لا يكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون الى انها بحسب ما يكنى بها عنه كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبدا كناية عن مائة فصاعدا وكذا كذا عبدا كناية عن احد عشر واخواته وكذا وكذا عبدا كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله فى شروح التسهيل وقد افرده بالتصنيف ابن هشام وغيره (ومعنا ظعينة) جملة حالية والمراد بالظعينة المرأة من الظعن وهو الارتحال ولذا قيل ان حقيقته امرأة فى هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امرأة والجمل نفسه وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها (فقالت) اى المرأة لما سمعت كلامهم (انا ضامنة لثمن البعير) اى اعطيه لكم من عندى ان لم يجئ لكم منه وانما ارادت انها واثقة بانه لا بد ان يجئ به لما وقع فى قلبها من ان مثله صلى الله عليه وسلم لا يغدر ولا يخلف بفراسة صحيحة شاهدته ولذا قالت (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) هذا استيناف بيان لوجه ضمانها لمن لم تعرفه بانها رأت فى وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسن سيماء تدل على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم فى تشبيه الوجه الحسن به والا فهو ابهى من البدر مثل نوره وحسنه ولقد اجاد بعض الظرفاء فى قوله بلاغيبة البدر وجهك اجمل * وما انا فيما قلته متحمل * لكنما الشئ بالشئ يذكر كما قيل * ظبى اذا ما بدا محياه * اقول ربى وربك الله * وقد هجا ابن الرومى البدر فقال * لو اراد الاديب ان يهجو البدر * رماه بالخطة الشنعاء * قال يا بدر انت تغدر بالسارى * وتعرى بزورة الحسناء * كاف فى سحوب وجهك يحكى * بمشط فوق وجنة برصاء * يعتريك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الجرباء * ويليك

النقصان فى آخر الشهر * فيمعولك من اديم السماء * (لا يخبس بكم) اى حسن صورته صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه يقال خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده واخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة (فاصبحوا) اى مضى بعد اخذه صلى الله تعالى عليه وسلم العير يوم وليلة ثم دخلنا فى صبيحة يوم بعده (فجاء رجل) من اتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه (فقال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم) ثم استأنف جواب سؤال مقدر او مطوى كانهم قالوا ما فعل او ما يقول فقال (يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) الذى جاء به (وتكتالوا) اى تكيلوا منه ثمن العير (حتى تستوفوا) اى تأخذوا الثمن من التمر الذى جاء به وافيا كاملا غير ما اكلتموه فانه هبة منه لكم وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى وفى الحديث خياركم احسنكم قضاء (و) ورد (فى) حديث رواه ابن اسحق فى (خبر الجلندى) وقصته (وهو) اى الجلندى (ملك عمان) وسلطانها فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى القاموس جلندا بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا وبضم ثانيه وبقصر ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى * وجلندا فى عمان مقيما * ثم قيسا فى حضرموت المنيف * ولا حجة له فيما ذكر لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبى وفى شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا يدخل عليه الالف واللام ومعناه القوى المحتمل من الجلادة كما قاله المعرى فى رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفى الشروح نقلا عن الذهبى ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذى نقله النويرى فى تاريخه الجزم به وانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عمرو بن العاص فى سنة ثمان من الهجرة الى جيفر وعبد ابنى الجلندى وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان احلمهما واحسنهما خلقا وقال انى رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليك والى اخيك فقال اخى مقدم على فى السن وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكث ببابه اياما ثم دعانى فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقرأه ثم دفعه الى اخيه فقرأه فقال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فلما رجعت اليه قال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى فقلت انى خارج فلما ايقن بمخرجى ارسل الى واجاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبى صلى الله عليه وسلم وخليا بينى وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم حتى بلغنى وفاة رسول الله عليه السلام انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان اى الجلندى لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يسمى جلندى واما ما فى بعض الشروح من ان فى بعض النسخ ملك غسان بتشديد السين كسداد

أسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندي ملكهما كما لا يعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة هو الذي صححه السهيلي والشراح كلهم (لما بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) كما سمعته مفصلا (قال الجلندى والله لقد دلني على هذا النبي الامي) الذي لا يقرأ ولا يكتب ووصفه به لشهرته صلى الله تعالى عليه وسلم به في الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم (انه لا يأمر بخير الا كان اول آخذ به) اى اول عامل بما امر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له) كما قال صلى الله عليه وسلم انى لاتقاكم لله واخشاكم له وهو كما قيل * لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم * وقوله انه الى آخره اسم كان و بلا وهو فاعل دل (وانه يغلب) اعداءه وينتصر عليهم وهو مبني للفاعل (فلا يبطر) اى لا يطغى و يستر ويظهر الفرح وهو حفة مذمومة و بطر من باب علم (و يغلب) بالبناء للمفعول اى يغلب احيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله في ايامه (فلا يضجر) اى يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما اصابه في سبيل الله احتسابا لاجره ورضاء بما قدره الله تعالى كما هو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (و يفى بالعهد) فاذا عاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدا لا ينكث عهده كما قال الله تعالى واوفوا بالعهد (و ينجز الموعود) اى يعجل ما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول و يجوز ان يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر (واشهد انه نبي) لما تحققه من اخلاقه وكمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تأمل صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزته (وقال نفطويه) ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن عرفة بن سليمان الازدي الواسطي النحوي المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ما قبل الواو ويسكنونها الماء (في قوله تعالى) مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا بناء على الوقف على قوله الله نور السموات والارض وان معنى قوله مثل نوره وان الضمير في قوله مثل نوره لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان المشكاة هو اوصدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة بركته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزة و برهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الآية وان هذا احد تفاسيرها وانه بعيد وانما اعاد هنا لما فيها على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتأمل يشهد و يصدق نبوته وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار في كلامه كما توهم

وهو على هذا تشبيه تمثيلي وهو ظاهر (يقول) الله تعالى (يكاد منظره) اى ما يتعلق
به النظر من ذاته صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (يدل على نبوته وان لم يتل
قرآنا) اى وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القرآن لانه اعظم معجزاته
وتلاوة القرآن معلومة وروى وان لم يقل قرآنا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال
(كما قال ابن رواحة) رضى الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصارى
الصحابى احد شعراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد
الا الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها
وهم زيد بن حارثة وجعفر بن ابى طالب ومما روى من مدحه صلى الله عليه وسلم قوله

* لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر *

ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره
وفى رواية كانت بداهته وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله
لم يعصه اى مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهو على فقد الشرط
اولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الآيات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر
الحال فلا اشكال فيه اصلا واصل ينبيك ينبؤك بالهمزة فابدلت ياء واسكنت على حد
قراءة باريكم وفى جعل المنظر مخبرا من البلاغة ما لا يخفى (وقد آن ان تأخذ) اى تشرع
(فى ذكر النبوة والوحى والرسالة) يقال اخذ فى القراءة اى شرع فيها واصل الاخذ
التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب اوانه (وبعده) اى بعد
ذكرها نشرع (فى معجزة القرآن وما فيه من برهان ودلالة) اى دليل قاطع على
نبوته وهى بفتح الدال وكسرها مصدر وبستعمل بمعنى الدليل ﴿فصل اعلم﴾
امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه اوليس سأله تأليفه
كما تقدم (ان الله جل اسمه) اى عظم وعظمت اسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلالته
بالطريق الاولى (قادر على خلق المعرفة) وهى العلم بالجزئيات ويكون بمعنى مطلق
العلم ايضا (والعلم بذاته) علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة (واسمائه وصفاته)
الذاتية وغيرها (وجميع تكليفاته) التى الزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات
(ابتداء) فسره بقوله (دون واسطة) يتوسط بينه وبينهم فى اعلامهم وتعليمهم
ما ذكر (لو شاء كما حكى عن سنته) اى عادته تعالى وطريقته (فى بعض الانبياء) عليهم
الصلوة والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان اوقع ذلك فى
قلوبهم وكشفه لهم او الهمهم او اراهم ذلك فى مناماتهم الصادقة وهذا مما شاع
وذاع وملأ الاسماع وكون كل علم منقسم الى نظرى وضرورى المراد به غير علوم
الانبياء كما صرحوا به وفى الكشاف جرت العادة بان كل علم نظرى كسبى ثم فى قدرة
الله تعالى احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم

الانبياء التي ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر فجمع بين كونه مقدورا لينالوا الاجر وعدم تقدم النظر لينتفي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبياء جميعها ضرورية غير مسلم (وذكره بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) بناء على ان الوحي يشمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان بواسطة ملك فقط (وجاز ان يوصل) الله معطوف على قوله اولا قادر (اليهم جميع ذلك) المذكور من العلوم السالفة (بواسطة يبلغهم) صفة واسطة بالموقية او التحتية اي يوصله بكلام يدل عليه (وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء) عليهم الصلوة والسلام سواء رأوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اولم يروهم كما كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم الوحي احيانا كصلصلة الجرس وليس رؤية الملك مخصوص بالانبياء عليهم الصلوة والسلام بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كريم (اومن جنسهم كالانبياء مع الامم) الذين يبلغونهم عن الله ما امرهم بتبليغه (ولا مانع لهذا) المذكور تقسيمه (من دليل العقل) اي من دليل هو العقل فالاضافة بيانية او هي حقيقية يعني انه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لالذاته فمنعوا ارسال الرسل كفرا وضلالا عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية كما اشار اليه بقوله (واذا جاز هذا ولم يستحل) اي لم يعد محالا عقلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) الطاهرة المحققة (وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به) عن الله وبلغوه لاممهم (لان المعجزة مع التحدي من النبي) اي اظهار النبي معجزة له وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بما يماثلها لان معنى التحدي هو الطلب المذكور لانه مأخوذ من حدى الابل اذا تغنى لها لينشطها ومن دأبهم فيما ان يتقابل شخصان بينا وبان ذلك فهو من النبي (قائم مقام قول الله) لذي اقدره على ذلك وامره به (صدق عبدي) ورسولي فيما ادعاه لما معه من البرهان الذي لا يقدر عليه احد من جنسه (فاطيعوه واتبعوه) في كل ما يأمركم به لانه من عند الله (وشاهد على صدقه) في كل ما اتاه وهو معطوف على قوله قائم خبران وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية او وضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر (وهذا) الكلام (كاف) فيما قصدناه (والتطويل فيه خارج عن الغرض) الذي صنف الكتاب لاجله في ارادتنا (اي الوقوف عليه (مجده مستوفى) خبر من اوجوابها اي يقف عليه بتمامه وتفصيله (في مصنفات ائمتنا) وعلمائنا وفي نسخة في كتب ائمتنا (والنبوة في لغة من همزه) اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز هو الاصل

كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر ولذا قيل انه لغة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه انكر على من قال له يا نبيء الله بالهمز و يأتي
الكلام عليه (مأخوذ من النباء وهو الخبر) لانبائه واخباره عن الله تعالى وقال الراغب
النباء الخبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال له نبأ حتى يتضمن هذه
الاشياء الثلاثة و يكون صادقا فالخبر اعم منه (وقد لا يهمز) بالتاء الفوقية والبناء للمجهول
اي النبوة و يجوز قراءته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ (على هذا التأويل) اي تفسيره
بالنباء (تسهيلا) اي تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة
التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها و بين الحرف
الذي منه حركتها وليس بمراد هنا (والمعنى) اي معنى النبي المفهوم من الكلام على
هذا القول (ان الله اطلعه على غيبه) اي اعلمه واخبره بمغيباته (واعلمه انه نبيه) الموحى
اليه (فيكون نبيا منبئا) بصيغة المفعول مشدد الباء الموحدة و يجوز تخفيفها اي يكون
من اطلعه واعلمه نبيا بمعنى منبئا (فهو فعيل بمعنى مفعول او يكون) معناه (مخبرا)
بكسر الباء اسم فاعل (عما بعثه الله به ومنبئا) اسم فاعل بتشديد الباء وتخفيفها (عما
اطلعه الله عليه) من علمه ومغيباته فهو (فعيل بمعنى فاعل) على هذا (و يكون عند
من لم يهمزه) اي يقول بان اصله المهمز من النباء مأخوذ (من النبوة) مصدر نبا نبوة
سلوة في الاصل نقل وشاع بمعنى المرتفع (وهو) ذكره باعتبار اللفظ اي نظرا للخبر اي
(ما ارتفع من الارض) فهو كان نبوة لفظا و معنى ثم بين المراد منه بقوله (معناه ان له)
عند الله وفي الواقع (رتبة شريفة ومكانة نبيهة) اي عالية مشهورة والنبيه ضد الخامل
لتنبه سعده من نومة الخمول و المكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية فجعل علوه
معنى لظهوره كعلوه حسا (عند مولاه) و ربه الذي تولى اموره (منيفة) عالية
لا يصعد لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول لانه اي النبي مرفوع على غيره
او بمعنى فاعل لانه مرتفع لماله من رفيع الدرجات (فالوصفان) اي وصفه بالنبي
بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع (مؤتلفان) اي متوافقان بحسب المعنى لان من نبأه
الله واطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك
او ان اراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرء
والبرية التزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة وبهما قرئ في السبع كما يأتي وقرأ نافع بالهمز في
جميع القرآن الا في موضعين ان وهبت نفسها للنبي لا تدخلوا بيوت النبي والخلاف
انما هو في ايهما اصل ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى المهموز (واما الرسول فهو
المرسل) اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة (ولم يأت فعول) بفتح
اوله اسم مفعول من الافعال (بمعنى مفعل) بضم الميم وفتح العين المهملة (في اللغة)
اي لغة العرب وكلامهم و يجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها (الا نادرا) اي الا في الفاظ

قليلة قال السمين في الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان البادر فعول بمعنى مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا انه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اى مضروب به وقد ورد في قول كثير بهذا المعنى وهو قوله

* لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بسر ولا ارسلتهم برسول *

اى برسالة فما قيل ان فيه شيئا ليس بشئ (وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسل اليه) اى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة (واشتقاقه من) الارسال بمعنى (التتابع) اى التوالى والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اى فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله (اذا تبع بعضهم بعضا) كما ورد في الحديث انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقاقه بقوله (فكانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (الزم تكرير التبليغ) مرة بعد اخرى الى امته (والزمت الامة اتباعه) فرقة بعد فرقة وامة بعد امة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه باو كما في نسخة كان احسن فما قيل من ان في كلامه بحثا لانه مأخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر ارسلته لاختلاف المعنى كلام ناش من عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة (واختلف العلماء) في جواب قولهم (هل النبي والرسول بمعنى) واحد فهما مترادفان (او بمعنيين) فهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة ام بمعنيين واذا قيل ان او احسن هنا وفيه كلام في المغنى وشروحه ليس هذا محله (فقيل هما سواء) اى متساويان او مترادفان لان الاول التساوى في الماصدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثاني التساوى فيهما وعبارته شاملة لهما الا ان ما بعده اقرب الى الاول فمعناهما كل من اوحى اليه بشرع (واصله من الانباء وهو الاعلام) والارسال فيه اعلام ايضا لانه انما ارسل لذلك فهما متساويان وان اختلف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله ولا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته وكذا قوله ان الآية لا تدل على ما ذكر فانه من تلقى الركبان (واستدلوا) على تساويهما (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) لانه علق فعل الارسال بهما فاذا ارسل النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا واليه اشار بقوله (فقد اثبت لهما معا الارسال قال) المستدل (ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا) وقيل عليه ان الآية لا تدل على ان النبي اعم من الرسول

فانها ترق من ذكر الاخص الى ذكر الاعم والحديث الاتى الناطق بزيادة عدد الانبياء على عدد الرسل يأباه واعادة النبي تقتضي المغايرة فاذكر ممنوع (وقيل هما مفترقان من وجه) فبينهما عموم وخصوص وجهي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول فآله الى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سيأتي بيانه والمشهور انه على هذا من اوحي اليه بامر الهي امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحي اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه كتاب والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (اذ قد اجتمعا) اى النبوة والرسالة (فى النبوة التي هي الاطلاع) بتشديد الطاء وتخفيفها اى سكونها (على الغيب) اراد به ما لم يعلمه من اوامر الله تعالى وتشريعه له مايختص به او به وبغيره (والاعلام) من الله تعالى (بخواص النبوة) اى مايختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحي بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلوة والسلام اذ كلمه الله تعالى قبل ارساله (او الرفعة بمعرفة ذلك) المذكور من الاطلاع والاعلام وفى نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية (وحوز درجتها) اى درجة النبوة العلية والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاى معجمة وهي حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة الى انها من النبأ المهموز ومابعده الى انه من النبوة الواوى وهي الرفعة كما تقدم ولا تكلف فى شيء من كلامه كما توهم (وافترقا) اى النبوة والرسالة (فى زيادة الرسالة) اى الامر بالتبليغ المعتبر (فى الرسول) دون النبي (وهو) اى الرسالة وذكره مراعاة للخبر وهو (الامر بالانذار والاعلام) بما امر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذي حصل به الافتراق فى ماصدق عليه النبي ولا مخالفة بينه وبين ماقاله المنطقيون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فى ماصدقا عليه لا فى المفهوم وهذا كلام ناش من قلة التدبر (كما قلنا) اشارة الى ماقرره اولا (وحجتهم) اى دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص من وجه وليسا مترادفين مأخوذة من الآية نفسها التي استدل بها من ذهب الى القول وهي عليهم لا لهم (التفريق بين الاسمين) يعني النبي والرسول فان العطف واعادة النبي يدل على تغايرهما (ولو كانا شيئا واحدا ماحسن تكرارهما فى الكلام البليغ) وليس المقام مقام اطناب وتأكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونحوه (قالوا والمعنى) ان معنى الآية على هذا (وما ارسلنا قبلك) اى اوحينا واعلمنا (من رسول الى امة) امر بتبليغهم ما ارسل به وفى بعض النسخ من نبي والاولى اوفق بالنظم واظهر (او نبي غير مرسل الى احد) فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا وفى كلامه نوع خفاء اراد بعضهم ان يصلحه فافسده وفى الآية ترق لانه ترقى فى النفي بذكر العام بعد الخاص وفى الاثبات ترقي به على العكس كما تقول ما فى الدار انسان ولا حيوان ولو عكسته كان ذكر الانسان بعده لغوا فان قلت الذي استدل به اولا

تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضى ان النبى مرسل ايضا وماذكره المصنف لايدفعه قلت وجه دفعه بما ذكر انه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تأويل ارسلنا بمعنى يشملهما اى ماارسلنا ملائكتنا بوحينا لاحد من نبى اورسول لان ارسل متعد بنفسه اوهومن قبيل * وزججن الحواجب والعيونا * ومن زائدة بعد النفى اى ماارسلنا ولانبأنا نبيا فتأمل (وقد ذهب بعضهم) مجاز من الذهاب وهوالخروج من مكان الى آخر قال فى الاساس ذهب فلان الى قول ابى حنيفة اذا اخذبه واتخذه مذهبا (الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) ولم يكن مقررا لشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدأ بفتح لتاء صفة شرع و يجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول اولى (ومن لم يأت به) اى بشرع مبتدأ لم يسبق اليه (نبى غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار) فبينهما عموم من وجه آخر (والصحيح والذى عليه الجماء الغفير) بمد الجماء وفى نسخة الجم والمعنى واحد اى الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفى الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاؤا جماء غفيرا يمد ويقصر والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير اى جميعا وال زائدة والغفير صفة لازمة للجماء لايفرد بدونها من الغفر وهوالستر كانهم لكثرتهم ستروا وجه الارض ومعناه جاؤا جميعا بجملتهم شريفهم ووضيعهم وهواسم ينصب كالمصدر كجاؤا جميعا وقاطبة والجم الكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولايلزم نصبه عند الكسائى وعليه يمشى كلام المصنف رحمه الله تعالى لاعلى من الزمه النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى يستكملها ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم (ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا) وهو صادق فى القولين الاخيرين فبينهما عموم وخصوص وجهى لانه يشترط فى الرسول دون النبى ان يؤمر بالتبليغ او يكون له شرع جديد اوانزل عليه كتاب والاول هوالمشهور ولذا قال المحدثون اذا ورد فى الحديث ذكر احدهما او قال قال رسوله اونبيه لايجوز له ان يبدله من يرويه وقيل انه لايلزم ولكنه اولى وهذا فى غير الاذكار فانهما توقيفية ولذا ورد فى حديث ان بعضهم قال فى بعض الادعية آمنت بكتابك الذى انزلت ورسولك الذى ارسلت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم قل ونبيك الذى ارسلت كما فى شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم يشمل رسل الملائكة كجبريل عليه الصلوة والسلام لكن الكلام انما هو فى رسل البشر وقال صاحب القاموس فى كتاب الصلاة ان النبى من اوحى اليه بامر يختص به فى نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه فان امر بتبليغ ماامر به لامة مخصوصة او لجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم مختص به فهو رسول لا نبى وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فهو نبى ورسول فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبى وقال انه الحق الذى لاشك فيه وهو مخالف لكلام

المصنف رحمه الله تعالى واعلم ان النبي ان كان من النبإ فهو مهموز وان كان من النبوة فغير مهموز كما تقدم وكلاهما جائز وبهما قرئ في السبعة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاعرابي قال له يا نبيء الله اي بالهمزة لست بنبيء الله ولكني نبي الله لان نباء في لغة بمعنى خرج من ارضه وطرد فلا يهامه ذلك منعه وورد ايضا لاتنبؤا باسمي فاما انا نبي الله ومعنى لاتنبؤا لاتهمزوا وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله ابن سيدة (واول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليهما وسلم) ولاينافي هذا ما في البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه الصلوة والسلام انت اول الرسل الى اهل الارض لانهم لم يقولوا انه اول الرسل مطلقا بل اول الرسل الى اهل الارض في عصره ولذا قال في الدعاء عليهم لاتذر على الارض من الكافرين ديارا وآدم عليه الصلوة والسلام انما ارسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس وشيث عليهما الصلوة والسلام لم تعم رسالتهما وهذا لاينافي اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعموم الرسالة الى آخر الزمان فلم تختص بعصر ولا بقوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كما تقدم (وحديث ابي ذر) الذي رواه احمد في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه وسيأتي بطوله (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي) وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبي انه اصح حديث ورد في عدد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل ان اصحابه عليهم الصلاة والسلام كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وعن كعب الاحبار انهم الف الف ومائتي الف وعن مقاتل انهم الف الف واربعمائة الف واربعة وعشرون الفا وقد عرفت ان الاول اصح ما في الباب (وذكر ان الرسل منهم) اي من الانبياء عليهم الصلوة والسلام (ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم عليه الصلوة والسلام) وقيل اربعة عشر كعدد اصحاب طالوت ويوافقه ان احرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلاثمائة واربعة عشر اذ فيه ثلاث ميمات لان الحرف المشدد بحرفين ولفظ ميم ثلاثة احرف بجملتها مائتان وسبعون ولفظ دال بخمسة وثلاثين ولفظ حا بتسعة وفي اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة في المرسل موجودة فيه صلى الله عليه وسلم وزيادة واحد على القول الاول والحديث الاول طويل اورده الحاكم في مستدركه كما مر ونقل عن البرهان ما في بعض رواية من الكلام وطويناه لانه لاثمرة له هنا (فقد بان لك معنى النبوة والرسالة) على الاقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص من وجه او مطلقا كما فصلناه (ولبستا) اي النبوة والرسالة (ذاتا للنبي عند المحققين) اي ليستا امرا ذاتيا في الرسول جبلة طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز وليست النبوة

مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكماء وانما هي امر طارئ عليه بارادة الله تعالى وفضله والله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته (ولا صفة ذات) اي ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه قبل الوحي اليه (خلافا للكرامية) فهؤلاء قالوا انهما امران غير الوحي وامر الله له بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه (اقول ان اراد هؤلاء ان الله تعالى خلق له نفسا قدسية واودع فيها قوى يستعد بها لتلقي الوحي والعلم بربه وان سمى النبوة هذا وان اطلقوها على ما يترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد في آبائه وينقل في اصلابهم وذلك من نعم الله ايضا كالايجاد ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال في المعرب اخبرني صديقي الثقة ابن خولتان عبد العزيز العربي ذكر في تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن حذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل سجستان وهي بلدته كما قال فيه البستي

* ان الذين لجهلهم لم يقتدوا * بمحمد بن كرام غير كرام *

* الفقه فقه ابي حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام *

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قاله السمعاني وقال لان والده كان يحفظ كرما ويعمل فيه وكذا صححه في الميزان وقال ابن صلاح انه لا معدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي وانكره ابن الهيصم وهو من اهل مذهبه ادعى انه ادرى كما مر عن البستي وانما هو مخفف الراء مع فتح الكاف بمعنى كرم او كرامه وبكسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب في العقائد وغيرها وله رواية في الحديث وكان يجوز الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الترغيب والترهيب لانه له لا عليه فعليه ما عليه ومات في القدس في صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (في تطويلاتهم) في بيان مقالاتهم وتأييدها (وتهويل) اي تخويف وتقريع لمن عدل عن مذهبهم في هذا (ليس عليه تعويل) اي هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتمد عليه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته ففي القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا اقرب لتسمية المصنف (واما الوحي فاصله) اي معناه الحقيقي الذي وضع له اولا (الاسراع) وفي الحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوحه اي اسرع فيه والهاء للسكت وقال الاعشى * مثل ريح المسك ذاك ريحها * صبها الساقي اذا قيل توح * ويقال اوحى بمعنى اومأ او تكلم بكلام خفي (فلما كان النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمى) اى ما يأتيه من ربه (وحيا) اى متلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة فى كل ما يوحى اليه (وسميت الانواع الهاميات وحيا) كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل (تشبيهها بالوحى الى النبى) فى سرعة وقوعها فى القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء امر فى الروع باعث على الفعل او الترك (وسمى الخط وحيا) على الاستعارة التحقيق ايضا او المجاز المرسل (لسرعة حركة يد كاتبه) هو وجه الشبه بينهما (ووحى الحاجب واللحظ) هو فى اصل مؤخر العين ثم اطلق على النظر فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار (لسرعة اشارتهما) اى حركتهما بسرعة للاشارة بهما (ومنه) اى من اطلاق الوحى على الاشارة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومأ) بهمزة فى آخره وقد استعمل منقوصا ايضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى (ورمز) بتخفيف الميم اى اشار بالعين او بالشفة (وقيل) معناه هنا (كتب) لان الوحى يكون بمعنى الكتابة كما تقدم (ومنه قولهم) اى قول العرب (الوحاء الوحاء) بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب ايضا كما فى الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغراء (اى السرعة) والعجلة (وقيل اصل الوحى) لغة (السر والاخفاء ومنه) اى من كونه بمعنى الاخفاء (سمى الالهام وحيا) لخفائه وهو اظهر مما تقدم من ان معناه السرعة (ومنه) اى من هذا القبيل (قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) اى من يوالونهم ويصادقونهم من المشركين (اى يوسوسون فى صدورهم) اى يلقون فى قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش او مردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام الالقاء فى القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله (ومنه) قوله تعالى (واوحينا الى ام موسى) ان ارضعيه (اى القى) بناء المجهول (فى قلبها) مناما والهاما وقيل انه وحى حقيقى كالوحى للانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقد قيل ذلك) التفسير السابق (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة) والذى رجحوه فى هذه الآية ان المراد بالوحى فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى عليه الصلاة والسلام وحديث ابى ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس فجلست اليه فقلت بابى انت وامى امرتنى بالصلاة فاى الصلاة قال الصلاة خير موضوع استكثر منه او اقل قال فقلت فاى الاعمال افضل قال ايمان الله وجهاد فى سبيل الله فقلت اى المؤمنين اكمل ايمانا قال احسنهم خلقا فقلت اى المسلمين اسلم قال من سلم المؤمنون من يده ولسانه فقلت اى الهجرة افضل فقال هجر السيئات فقلت اى الصلاة افضل قال طول القنوت قلت اى الليل افضل قال

جوف الليل الغابر قلت اى الصلاة افضل قال فرض يجزى عبد الله وعند الله اضعاف
كثيرة قلت اى الصدقة افضل قال جهد من مقل يصير الى فقير قلت فاى الرقاب
افضل قال اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت فاى الجهاد افضل قال من هرق
دمه وعقر جواده قلت اى شئ اعظم مما انزل الله قال آية الكرسى يا اباذر ما السموات
السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض وفضل
العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابى انت وامى فكم الانبياء
قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة
عشر جم غفير قلت من كان اولهم قال آدم قلت نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده
ونفخ فيه من روحه ثم سواه قال يا اباذر اربعة سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو
ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب
ونبيكم يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وسائرهم من بنى اسرائيل فاول
الانبياء آدم وآخرهم اما واول الانبياء من بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم
كتاب انزله الله تعالى قال مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين
صحيفة وانزل على اخنوخ ثلاثين صحيفة وانزل على ابراهيم عشر صحايف وانزل
على موسى قبل التورية عشر صحايف وانزل التورية والانجيل والزبور والقرآن قلت
ما كان فى صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها ايها المغرور المسلط انى لم ابعثك
لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها وفيها
على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد
وحرفة لمعاش ولذة فى غير محرم ﴿فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء﴾
عليهم الصلوة والسلام (معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها) العجز عند
العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال ايضا بكسر
الجيم فى الماضى وفتحها فى المضارع كما حكاه الاصمعى وغيره ويقال عجزه كذا اذا فاته
وقيل المعجز فى الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن تحدى فلم يقدر على المثل فان من
خرجت عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم ومالهم عليه قدرة
لا يتصور عجزهم عنه ايضا فان العجز يقارن المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة
منهم ولم توجد فالمعنى مجاز امتناع المعارضة وانتفاء القدرة وحقيقة ان الاعجاز
اثبات عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز واسند لسببه الذى هو اظهار
الخوارق وجعل اسما لها فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كتاء علامة وفيه
بحث لا يخفى (وهى) المعجزة (على ضربين) اى هى اسم شامل لنوعين مقدور
وغير مقدور (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى مقدورهم الذى يمكنهم الاتيان

مما يماثله من نوعه (فعجزوا عنه) الفاء فصيحة اى وطلب منهم فعجزوا عنه (فتعجيزهم عنه) اى جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله اى تعجيز الله اياهم (فعل الله دل على صدق نبيه) اى خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه فهو فى قوة قول الله تعالى صدق عبدى فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده علم ضرورى بصدقه (كصرفهم عن تمنى الموت) اى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم الله تعالى والزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * اى قل لهم يا محمد ان كنتم احباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من احب الله احب الله لقاءه ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد ولو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودى وسيأتى بيان هذا مطولا فى محله وهذا اعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان تركا وعدما متضمن لمعنى وجودى وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال (وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) القائل بان اعجازه بالصرفة اى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رؤس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف الى مجالدة السيوف كما هو المشهور معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعى وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف المركوزة فى طبايعهم من معرفة فنون البلاغة واساليبها على القولين المشهورين فى الصرفة والذى عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو عما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع ومطابقة المقامات وبدائع الفواتح والمقاطع وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة وطلاوة تعين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة فى الاصول والمعانى وغيرها من كتب السلف (ونحوه) مما نوعه مقدور لهم (وضرب) من المعجزة (هو خارج) عن قدرتهم اذ تحداهم به (فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى) الذى وقع لابراهيم ولعيسى عليهم السلام فما قيل ان ما كان بدعاء عيسى عليه السلام معجزة له انما كان من الله لامه بشهادة واحيى الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذنى لا وجه له وهذا ايضا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح (وقلب العصا حية) معجزة لموسى

صلى الله تعالى عليه وعلى نبيا وسلم وسيأتي انه ما من معجزة لنبي من الانبياء الا ولنبيا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها وزيادة (واخراج ناقة من صخرة) بلا واسطة واسباب معتادة معجزة لصالح عليه الصلوة والسلام لما اقترح عليه جندع ابن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها كاتبه ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض الشرح بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فامن جندع في جمع من قومه وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة (وكلام الشجرة) وفي نسخة السحر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهور (ونبع الماء من الاصابع) اى من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم ايضا كما سيأتي ولله در الابوصيرى في قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

*ومنبع الماء عذب من اصابعه * وذاك صنع به فينا جرى النيل*

(وانشقاق القمر) معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار فلقتين تشاهده الناس وقد ثبت هذا في الاحاديث الصحيحة وروى من طرق متعددة خرجها السيوطي وبه فسر قوله تعالى * اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل التوبة تقضى لتفصيله وهذا النوع كله وامثاله (مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله) عز وجل (فيكون) اجراء (ذلك) الذى لا يفعله الا الله (على يد النبي) اى وقوعه من نبي من انبيائه بحسب الظاهر فعله وهو في الحقيقة (من فعل الله تعالى) الذى اظهره على يده بقدرته (وتحديه) بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدأ وقوله (من يكذب به) مفعوله قوله (ان يأتي بمثله) بتقدير الجار اى لان يأتي بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله (تعجيزا له) خبر بعد خبر اى يظهر عجزه عن ذلك (واعلم ان المعجزات) جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لما لم يعقل (التى ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وصدرت منه (ودلائل نبوته وبراهين صدقه) عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسيأتي مما لا تحصى (من هذين النوعين معا) خبران اى بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرأن ونحوه (وهو) اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (اكثر الانبياء معجزة) منصوب على التمييز اى معجزاته اكثر من معجزات سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام (وابهرهم آية) تمييز والآية المعجزة لانها علامة للنبوة وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر او غلب يقال بهر القمر فهو باهر اذا املاء الارض ومن ذلك قول عمر ابن ابي ربيعة

* ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب *

وفيه وجوه ذكرها الادباء فالمعنى ان معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر واظهر

واقوى (واظهرهم برهانا) هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان يريد المعجزة ايضا (كما سنبينه) في آخر هذا الباب وفي قوله اكثر واظهر مايدل على ان سائر الانبياء ثبت بدلائل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وبراهينه اقوى واظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى به آيات بينا وقد اطلق عليها آية وبرهان الا انه لم يطلق عليها في القرآن معجزة قيل ولا في السنة والمعجزة مخصوصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وخوارق الاولياء تسمى كرامة وقد يطلق عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه غيره (وهي) اي معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في كثرتها لايحيط بها ضبط اي لايحيط بها حصر وعدد اوحفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه احاطته بافراده في كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له في الاساس ثم بين ذلك بقوله (فان واحدا منها) اي معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو القرآن) فانه بجملته معجزة وكذا آياته وسوره قال الامام مجد الدين في نهاية العقول التحدي وقع مرة بالقرآن كقوله تعالى على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ومرة بعشر سور كقوله تعالى بعشر سور ومرة بسورة كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله ومرة بآية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدي وهو كقول الرجل لمن يماحره هات قوما كقومي هات كنصفهم هات كربعهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا اشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (لايحصى) اي لايعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل في مطلق العدد ولذا قال الاعشى *ولست بالاكثر منهم حصى * واما العدة للكاثر * (عدد معجزاته) اي معجزات القرآن (بالف ولا الفين) لما في كل آية من الاعجاز ولا اكثر من ذلك لما في الفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لايحصى (لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة منه) اي طلب منهم بلغاء قريش (فعجز عنها) فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله اوهو مبني للمجهول وهو اولى (قال اهل العلم) بالقرآن وبلاغته (واقصر سورة) من القرآن وهو منون اوهو جمع مضاف لضميره (انا اعطيناك الكوثر) سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث آيات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة النصر الا ان حروف هذه اقل منهما (فكل آية) طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها (اوآيات منه) اي القرآن (بعددها) اي بعدد الكوثر آيات وحروفا وكلمات (وقدرها معجزة) للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان لاقل مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم

كثرته (ثم فيها نفسها) اى فى سورة الكوثر (معجزات) كثيرة (على ما سنفصله) بذيه تفصيلا (فيما انطوى) اى اشتمل القرآن (عليه من المعجزات) التى لا تحصى ولا تحصر (ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين) اى علم واستقر انقسامها انقسام الكلى الى جزئياته فشبه استقرارها باعتلاء الراكب على مركوبه لانها اما ان تعلم علما يقينيا قطعيا اولا فالاول (قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرآن فلا مرية) بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية وهى الشك والتردد كما تقدم بيانه (ولا خلاف بمجئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به) الباء الاولى بمعنى فى والثانية صلة المجئ (و) لا خلاف ولا مرية فى (ظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتى فى قوله من قبل الله على ما فيه (واستدلاله) اى استدلال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على صدقه ونبوته (بحجته) الاضافة بيانية اى بحجة هى القرآن (وان انكر هذا) المذكور الذى لا مرية فيه (معاند جاحد) اى منكر له عنادا مع علمه به (فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا) وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التى لا تسمع ولا تصدر من عاقل (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه (فى الحجة به) اى الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين وما انزل الله على بشر من شئ الى غير ذلك (فهو) اى القرآن (فى نفسه) اى فى كلامه الفرد (وجميع ما تضمنه) واشتمل عليه (من معجز) اى من كل امر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات (معلوم ضرورة) علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما هو من كلام البشر كما يأتى بيانه والفصل ما شهدت به الاعداء (فوجه اعجازه معلوم ضرورة) عند اهل اللسان لا عند كل احد لما فيه من فنون البلاغة (ونظرا) اى استدلالا عند غيرهم اولافتقار بعض وجوهه اليه (كما سنشرحه) ونبينه قريبا (قال بعض ائمتنا) اى علماء الحديث والتفسير لا المالكية اذ لا اختصاص لما ذكر بمذهب (ويجرى هذا المجرى) بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمى اى يقارب ما تقدم ويشبهه لان ما جرى فى مجارى شئ ساواه (على الجملة) اى اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل يجرى (انه قد جرى على يديه) اى صدر منه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات وخوارق عادات) عطف تفسيرى او من عطف الخاص على العام والاول اولى (ان لم يبلغ) اى يصل (واحد منها معينا) اسم مفعول حال من النكرة لوصفها ولو رفع كان اولى (القطع) والجزم مفعول يبلغ (فيبلغه جميعها) اى مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوى كشجاعة على وزهد الحسن البصرى فان كل حال من احوال

هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها اجمالا بلغ ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كدلالة الحجارة مما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وغير ذلك (فلا مرية في جريان معانيها على يديه) مشهورة ناطقة بتصديقه شاهدة برسالته (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) من الامم السالفة (انه) اي نبيهم قد (جرت على يديه عجائب) اي امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم والبابهم حتى تعجب المتعجب منها (وانما) وقع (خلاف المعاند في كونها) اي تلك العجائب صادرة (من قبل الله) بكسر القاف وفتح الباء اي من المبدأ الفياض المبدع البديع (وقد قدمنا) اولا (كونها) بيان كون العجائب (من قبل الله وارد ذلك بمثابة قوله) اي الله عز وجل لرسوله (صدقت) في نبوتك وما ادعيته ومعنى مثابته مرتبته وفي حكمه مفعلة من اثابه كما ادعوضه ومنه الثواب بالمثلثة جزاء الطاعة والجاحد العنيد يزعم تارة انه سحر وكهانة وانما سمع من كلام الشعر والمجذوب كلام حق سحرها الى غير ذلك من الخرافات التي صاروا اليها سحرة اذا عرفت هذا (فقد علم وقوع مثل هذا) الذي وقع للانبياء عليهم الصلوة والسلام ولامم السالفة فاعلمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر (ايضا) كما وقع لاولئك (من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة) اي علما ضروريا تواترا تواترا معنويا (لاتفاق معانيها) اي لتوافقها كلها في معنى واحد (كما يعلم ضرورة جود حاتم) الطائي وشهرته تغني عن ذكره فاخباره في الجود مشهورة ايضا وكان في الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وادرك ابنه عدي الاسلام وكان من كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم (وشجاعة عنترة) بالهاء ويقال له عنتر ايضا وهو عنترة بن معاوية بن شداد العبسي وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب ازرق ونونه اختلف في زيادتها وهو من فرسان العرب وشجعائها المشهورين (وحلم احنف) بن قيس التميمي ادرك الاسلام واسلم لكنه لم ير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من كبار التابعين واحنف بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهورة في كتب وعنه في الحلم حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم وشح ذلك على طريق اللف والنشر المرتب فقال (لاتفاق الاخبار الواردة) اي المروية (عن كل واحد منهم) ثم ابدل من قوله عن كل واحد قوله (على كرم هذا) يعني حاتما (وشجاعة هذا) يعني عنترة (وحلم هذا) يعني احنف باشارته لهذا القرب كرمهم وحضورهم في الذهن (وان كان كل خبر من اخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) اي وحده (لا يوجب العلم) القطعي (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتره بانفراده واما المتواتر ما يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والحلم والحاصل ان ما جرى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم تواتر تواترا معنويا لا لفظيا حقيقيا والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار

واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا وآخر بانه اعطاه بعيرا وآخر بانه وهبه عبدا وآخر بانه كساه وآخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق الاعطاء والتواتر الحقيقى ان يخبر جماعة عن جماعة الى آخره يؤيس تواطئهم على الكذب فى خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر واستدلال بشروط مقررة فى الاصول خلافا لامام الحرمين والرازى فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على مقدمات اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص ولا اسلام (والقسم الثانى) من المعجزات (ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع) عطف تفسيرى اى لم يصل الى مرتبته (وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر) اى له شهرة وشيوع بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا (رواه العدد) الكثير (وشاع الخبر به عند المحدثين) الحفاظ الذين رووه وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضرورى ولا النظرى وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعى وقيل انه يفيد العلم النظرى والمشهور انه يفيد الظن ولابد ان تكون شهرته عن اصل ورواية فان اشتهر لا عن اصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يعتد به المحدثون ما لم يعلم اصله فان علم ذلك يقوى بشهرته فى الجملة (والرواة ونقلة السير) جمع ناقل كتحدثين ككاتب وكتبة والسير جمع سيرة كما مر وهى اخبار المغازى (والاخبار) عطف تفسيرى (كنبع الماء من بين الاصابع) اى اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) الذى رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذى رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) لم يشتهر ولم ينتشر بل (اختص به) رواية (الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير) اى القليل (ولم يشتهر اشتهار غيره) كالقسم الاول والنوع الاول من القسم الثانى ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما فى جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال احمد انه يفيد العلم مع عدالة راويه لوجوب العمل به ولو لم يفده لم يجب العمل به وله ادلة مذكورة مع الجواب عنها فى الاصول (لكنه اذا جمع الى مثله) من احاديث المعجزات (اتفقا فى المعنى) من اصل الاعجاز وثبوته كما اشار اليه بقوله (على الاتيان) اى اتيان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمعجزات قدما) من خرقها على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوى له (قال القاضى ابو الفضل) عياض المصنف (رضى الله تعالى عنه وانا اقول صدعا بالحق) تقديم المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما قاله وقوله صدعا اى صادعا فهو حال او مفعول لاجله او مطلق لمقدر او لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه او يصدع شبهته ويطلبها

اومن انصداع الفجر لظهوره ويقال الفجر صديع لهذا (ان كثيرا من هذه الآيات) والمعجزات (المأثورة عنه) اى المروية عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (معلومة بالقطع) لتواترها حقيقة اومعنى (اما انشقاق القمر) اى اما معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش آية غير ما جاء به اولا فاراهم ذلك فهي ظاهرة باهرة (فالقرآن نص بوقوعه) اى صرح به فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق اى اقترب وقد حصل من آيات اقترابها انشقاقه ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة المشهورة ومجيئه بقد يأبى تأويله بان معناه انه سينشق اذ اقامت القيامة والتعبير عنه بالماضي لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه لبس معه قرينة تصححه كما توهم الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر (واخبر بوجوده) فى هذه الآية وقراءة انشق تؤيد التأويل فقد تعارضا ويرجح الاول انه الاصل والمتبادر منه (ولا يعدل عن ظاهر) بالتنوين اى عن ظاهر القرآن (الا بدليل) قوي يقتضي العدول عنه وتأويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده انه آية ليلية قد تخفى على بعض الناس (وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار) اى احتمال خلاف الظاهر ورد فى الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتي (من طرق كثيرة) تؤيد حمل الآية على ظاهرها لاسيما وقد روي فى الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ ابن حجر ان ما روي فى الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا قبله ابو اسحق الاسفرائني والحميدي وابو الفضل بن طاهر فان احتف به قرائن وورد من طرق اخر زاد قوة وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعي ثم اشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف فى مثل هذه المطالب فقال (فلا يوهن) بالتخفيف والتشديد اى يضعف (عزمنا) اى ما عزمنا عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل (خلاف اخرق) بالاضافة اى مخالفة احمق واصله الذي لا يحسن العمل بيده كانه يخرق ما يريد زينه وقال الثعالبي فى فقه اللغة فى انواع الحمق اولها احمق ثم ابله فان كان مع عدم الرفق فهو اخرق فالحاصل ان المخالف فى مثله جاهل لادراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف بقوله (منحل عرى الدين) فهو بالجر صفة اخرق اى هو مع جهله قليل الدين ضعيفه لعدوله عن ظاهر النصوص وتشبثه باذيال الشبه وعرى بضم العين وفتح الراء المهملتين والف مقصورة جمع عروة وهي ما يعقد فى الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرا مقصور الناحية ومنه العروة هو ما يتمسك به قال الله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين بالعروة فهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء

وان شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما فى الحديث كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار فى كلام العرب كقوله اني بحبلك واصل حبلي فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين (ولا يلتفت الى سخافة مبتدع) الالتفات الانحراف للنظر الى شئ ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوي والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع وقوله (يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين) اشارة الى ما هو من شان اهل البدع من القائهم الشبه والمشككات على الضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا يقبل مثل هذه الآراء الواهية واما ضعيف العقل فقد يأخذ باقوالهم فينفعهم ويمتثل (بل يرغم بهذا انفه) اي يرد ما قاله و يظهر جهده وسخافة عقله حتي يفتضح ويذل ويخزى لان اصله ان يلصق انفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتسخير وكنى به هاهنا عما فسرناه به وهذا اشارة الى ما ذكر من القول الصحيحة التي لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل (وينبذ بالعراء سخفه) النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه والقاه والعراء بالمد المكان الخالي الذى لا سترة فيه و بالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه ونبذ سخفه بالعراء اى القاه فى مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا ابلغ من عدم الالتفات الذى هو مجرد الاعراض وعدم الاعتداد بالشئ وهذا ترق لان الاول يكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا ابعاد له لرميه بالفلاة ولا تكرار فى كلامه وتعبيره باهماله مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر فى الآية على ظاهره لوروده فى الاحاديث الصحيحة من طرق متعددة فى حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيامة يوم تنشق السماء لم يأت بشئ وان ارتضاه جمع لانه لو وقع ساع وذاع وملأ الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب يضرب المثل بالقمر لوضوحه كما قال التسترى فى لامية العرب

وقد حب الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وارحل *

وقيل معناه انشاق الظلام بطلوعه كما يقال انفلق الصبح وانشق كما قال النابغة

* فلما ادبروا ولهم دوي * دعانا عند شق الصبح داعى *

والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد فى السنة واتباعهم لاقوال الحكماء الداهبين الى امتناع الخرق والالتيام فى الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية

(وكذلك قصة نبع الماء) من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) القليل ببركته ووضع يده الشريفة فيه (رواها) اى القصة (الثقاة) من حفاظ المحدثين (والعدد الكثير من الجم الغفير) تقدم معناه مفصلا ويأتى ايضا مع زيادة (عن العدد الكثير من الصحابة) كالشيخين عن انس رضى الله عنه والبخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قيل استعمل الجم الغفير مجرورا بالحرف والذى فى كتب العربية انه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره ايضا اذ لا مانع منه (ومنها) اى رواية قصة تكثير الماء والطعام (مارواه الكافة عن الكافة) اى مارواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع فى كلام كثير من العلماء والفصحاء وقد خطأهم فيه الحريرى فى درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال فى القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها ال ولا تصاف ووهم الجوهرى وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح الدرة وبينا انه مردود رواية ودراية فانه سمع فى كلام العرب فان اردت معرفة ذلك فانظره (متصلا عن من حدث بها) اى بتلك القصة (من جملة الصحابة واخبارهم) بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله مارواه (ان ذلك) بفتح الهمزة اى ما ن الى آخره ويجوز كسرها (كان فى موطن) بمعنى محل واصله محل التوطن (اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق) بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسى معرب كنده بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع احزاب المشركين واليهود بها حول المدينة فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة اشار عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ولم يكن ذلك معروفا عند العرب وانما هو من مكائد الفرس وكان ذلك فى شوال وقيل فى ذى القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها فى السير (وفى غزوة بواط) بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة اربعة برد بقرب رضوى وهو جبل ايضا وهى التى ظفر فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعير قريش سنة اثنين ولم يكن بها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر الاول ولو اشار بالاول الى قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه فاتاه صلى الله عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فأكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو الف وبالثانى الى قصة بواط وهى انه وضع عنده صلى الله تعالى عليه

وسلم ماء قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس فلما اتوا وضع يده الشريفة في الماء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضؤا كلهم كما سيأتي (وعمرة الحديبية) بالجر عطف على المجرور في قوله والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان او بئر فيه قريبة من مكة سميت بشجرة حدباء فيها وهي التي وقع تحتها بيعة الرضوان وهي بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة ست والآية التي كانت فيها انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها وماء البئر قليل جدا نزعه الناس وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية ابن عميرة فغرزه في البئر فجاش ماؤها وجاءت جارية من الانصار معها دلوها قالت به على ناجية وهو في القليب وقالت منشدة

* يا ايها المائح فينا دلوي دونكا * اني رأيت الناس يحمدونكا *
* يثنون خيرا ويمجدونكا * ارجوك للخير كما يرجونكا *

الى آخر ما فصل في السير وسيأتي بتمامه (وغزوة تبوك) في السنة التاسعة من هجرته عليه الصلوة والسلام او السابعة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير مصروف سميت بعين ماء بها امرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان منهمين جعلاهما فيها ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهما مازلتما تبوكانها اي تحفرانها ليخرج ماؤها واشار المصنف الى آية فيها رواها ابوهريرة رضي الله تعالى عنه وهي ان الناس اصابتهم مجاعة فقال عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعا بنطع وبسطه ودعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف من ذرة والآخر بكف من تمر والآخر بكف من شعير فجمع ذلك وبرك عليه ثم قال خذوا فاخذوا في اوعيتهم حتى ما بقي في العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف رحمه الله تعالى لكل آية فصلا كما سيأتي (وامثالها في محافل المسلمين) مجرور معطوف على موطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والمأتم مجمع النساء والنادي مجمع الناس في الشتاء ودار الندوة والمصطبة مجمع الغرباء وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر الناس في بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشراء وقد يخص بمحل بيع الخمر (ومجتمع العساكر) اي محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب (ولم يؤثر) بالياء للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث (عن احد من الصحابة مخالفة للراوي)

نائب الفاعل (فيما حكاه) الراوي من الامور والآيات المذكورة (ولا) نقل عن احد (انكار لما ذكر عنهم) وذكر مبني للمجهول نائب فاعله (انهم رووه كما رآه) اي لم ينقل انكار انهم رأوا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رآه منهم الاخر بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض آياته صلى الله تعالى عليه وسلم (فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق) لانه في محله اقرار (اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل) يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت كالنطق ليس على اطلاقه كما ذكره الفقهاء واهل الاصول ولذا قالوا السكوت في محل الحاجة بيان (و) المنزهون عن (المداهنة في كذب) فان الصحابة كلهم عدول لايخشون في الله لومة لائم والمداهنة الملاينة والمطاوعة الا ان الفرق بينها و بين المداراة ان المداراة في الحق و المداهنة في غيره ولذا جعلت من الغش قال الله تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون وهي استعارة من الدهن للين كلام صاحبها وجانبه وهي مذمومة لانها نفاق (وليس هناك رغبة ولارهبة تمنعهم) اي الصحابة رضي الله تعالى عنهم ليسوا ممن يطمع و يرغب في دنيا غيره ولايخافون احدا عدل عن الحق لصلابة دينهم فلايداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم مايمنعهم من الانكار على من كذب (ولو كان) الاحسن ان يقول فلو بالفاء لترتبه على ماقبله (ما سمعوه منكرا عندهم) اي في اعتقادهم (وغير معروف لديهم) اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثله (لانكروه) على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل ومايخالف الظاهر واما احتمال ان غيرهم سمع مالم يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير مناف لها لان الصحابة رضي الله عنهم في العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله صلى الله تعالى عليه وسلم واقواله لتوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها والمعجزات المتحدى بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله نعم بعد عصرهم يجوز هذا لأن خبر الاحاد مقبول فتدبر (كما انكر بعضهم) اي بعض الصحابة (على بعض) منهم (اشياء رواها من السنن) اي سنن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية (والسير) جمع سيرة وهي احوال الغزاة (وحروف القرآن) اي قراآته المتعددة فان كل وجه من القراءة يطلق عليه حرف وبه فسر حديث انزل القرآن على سبعة احرف اي لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور من معانيه وفي السنن الستة ان عمر رضي الله تعالى عنه انكر على هشام بن حكيم قراءة قرأ بها في سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما اقرأتنيها فقال اقرأ ياهشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال له هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرؤا ماتيسر منه وفيه بيان لحكمته وكما وقع بين عمر وابن عباس رضي الله عنهم

في انكاره عليه ماقاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث (وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك) يعني ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطاء والوهم اذا ذكر امرا لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بسنن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيره او بالقرآآت وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا يقال بالرأى فانهم لامداهنة عندهم ولامداراة في الحق الا ترى ان عمر رضي الله تعالى عنه مع جلالته لما قبل الحجر الاسود وقال انى اعلم انك حجر لا تضر ولاتنفع ولكن رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه على كرم الله وجهه فقال له لاتقل كذا فان الله تعالى لما اخذ العهد على ذرات بنى آدم اودع كتاب العهد فيه وقال من قبله فقد وفى بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة فدعا له عمر وقال لا عد مالك يا ابا الحسن والوهم والخطاء هنا بمعنى وروى وهنه بالنون من الوهن وهو الضعف في الرأى (مما هو معلوم) بيان لذلك (فهذا النوع كله) من المعجزات المروية بطريق الاحاد ولم يشتهر اشتهارا يقرب من التواتر (يلحق) بفتح اوله وضمه (بالقطعي) اى يعدمن قبيل المقطوع به (من معجزاته كما بيناه) من نقل بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتى (وايضا) لناوجه يؤيد كونها كالقطعي (فان امثال) هذه (الاخبار) المتعلقة بالمعجزات الثابتة في عصر الصحابة لولم تكن صحيحة وكانت من الاخبار (التى لااصل لها) رواية (و بنيت على باطل) بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ (لابد مع مرور الازمان) عليها في نقلها في عصر بعد عصر (وتداول الناس) اى تلقى الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه واحده بعضهم من بعض قال الله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس (واهل البحث) اى التفتيش عنها والمراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقما (من انكشاف ضعفها) اى ظهوره (وخمول ذكرها) بان تنسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لااصل لها (كما يشاهد) بالمثناة التحتية اوالفوقية ويجوز قراءته بالنون اى يعرف ويتحقق (في كثير من الاخبار الكاذبة) التى ظهرت في بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت كان لم تكن شيئا مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه (والاراجيف الطارئة) اى الاكاذيب التى حدثت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وفتحها و قيل انه جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية ولذا سمى البحر رجافا لاضطراب امواجه وقال بعض الشعراء فيمن اصابته رعشة في يده

* ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من اسمائه الرجاف *

وهى هنا بمعنى الاخبار السيئة التى تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارئة

بالهمزة والياء التحتية من طرأ اذا حدث وتجدد (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة اوراية كبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة (هذه الواردة) اى المروية (من طريق الاحاد) بالمد اى التى رويت احادا ولم تتواتر (لاتزداد مع مرور الازمان الاظهورا) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا (ومع تداول الفرق) اى تكلم الناس بها فرقة وهو بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرقة (وكثرة طعن العدو) من اعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة (وحرصه على توهينها) اى تضعيفها وفى نسخة بدل حرصه حضه بضاد معجمة اى حثه وتحريضه (وتضعيف اصلها) بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء (واجتهاد الملحد) اى بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقة والالحاد الميل عن الاستقامة والحد ولحد فى دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس فى قوله تعالى * ان الذين يلحدون فى آياتنا * هو تبديل الكلام ووضعه فى غير موضعه وفى نسخة باجتهاد بدون تاء من اجهد اى اتعابه نفسه وكدها (على اطفاء نورها) اى ابطالها فشبه المعجزات لسراج منير ونار على علم فى الظهور والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله اوضمنه معنى الملازمة والانكباب فهم كما قال الله تعالى * يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره * ومن حكم اهل الهند ان الرجل ذو المروة والعقل يكون خامل المرأة غامض الامر فما تبرح به مروته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التى يصوبها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن الرومى قوله

* كالذى طأطأ الشهاب ليخفى * وهو ادنى له الى التضريم *

ومنه اخذ الارجانى قوله

ما الشائك يلتظى من غرور وله آخر ترقب فعه *

*كلما رامه للرأس رفعا *زاد حفضا كانه نار شمعه*

واحسن من هذا كله قولى فى بعض الحساد

رام بالذل ان ينكس قدرى حاسد زادنى سنا وسناء*

قلت ان الشهاب شعلة نار كلما نكسوه زاد ضياء*

وقوله (الاقوة وقبولا) معطوف على قوله الاظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وقوته بظهور حقيته وتيقنه وهو مقابل لما فى ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم (وللطاعن) اى المنتقص الذى يعيبها ويسعى فى ابطالها والجار والمجرور حال من المستثنى بعده بعدما كان صفة وعداه بعلى فى قوله (عليها) لانه ضمنه معنى

المتعدى عليها لانه يتعدى بى وقوله (الاحسرة) وهوالتأسف والتندم على مهم فاته وآيس منه (وعليلا) بالعين المعجمة واصله حرارة وتلهف فى الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازاالحقد المضمر والحسد معطوف عليه وان لم يشاركه فى متعلقه الا بتأويل فتدبر (وكذلك) اى كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الارداد (اخباره) بكسر الهمزة مصدر اخبر (عن الغيوب) جمع غيب وهوماخفى علمه عن الناس كالدجال والمهدى ودابة الارض وغير ذلك مما اخبر به بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (وانباؤه) بوزن اخباره ومعناه (بما يكون) فى المستقبل من اشراط الساعة ومايقع بين امته عليه الصلوة والسلام من الفتن وغيرها (و) ما (كان) فى الماضى كاحوال الانبياء عليهم الصلوة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لايعلم الا بوحى اوحفظ الكتب الالهية التى لم يقرأها ولم ير من عرفها (معلوما) انه (من آياته) ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر واما الثانى فلانه عليه الصلاة والسلام امى ولا يخفا لطف من علم ذلك

كفاك بالعلم فى الامى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم*

(على الجملة بالضرورة) اى معلوم بعلم ضرورى مجموعه واجماله وان لم يكن كل فرد كذلك (وهذا حق) اى امر محقق متيقن (لاغطاء عليه) ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه (وقد قال به) اى اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به ويقال به اذا ذهب اليه واختاره (من ائمتنا) المقتدى بهم من الاشعرية اوالمالكية (القاضى) ابوبكر الباقلانى الاصولى المالكى لانه المراد به اذا اطلق وبه صرح صاحب المقتفى هنا قال والمراد بقوله (والاستاذ ابو بكر) ابن فورك كما تقدم من كلام المصنف وقيل المراد بالاول ابو بكر ابن العربى شارح الترمذى وبالثانى ابو بكر الباقلانى اوالعكس والاول مالكى والثانى عده المصنف من المالكية وعده السبكى فى طبقاته من الشافعية وقال التلمسانى ان المراد بالثانى ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى والاستاذ بضم الهمزة وآخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسية بالدال المهملة والمولدون يريدون به الطواشى وقد بسطنا الكلام عليه فى كتابنا شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل (وغيرهما) من الائمة اى ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضرورى قطعى فهى متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر مفرداتها (وما عندى اوجب قول القائل) وفى نسخة تأخيرما عن عندى وهى نافية ومعنى عندى فى اعتقادى وحكمى وهو متعلق باوجب (ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد) اى من قبيل خبر الاحاد التى لا توجب العمل واوجب بمعنى اقتضى واستلزم والجأ اى لم يلجئه لذلك (الاقلة مطالعته للاخبار) السوية ومطالعتها الاطلاع عليها (وروايتها وشغله) بضم اوله اى اشتغاله (بغير ذلك من المعارف)

غير الاحاديث من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تأدب مع العلماء وعدم المجاهرة بالقدح فيهم (والا) اى لولم نقل بقلة اطلاعهم لاستعمالهم عما ذكر (من اعتنى) اى كانت له عناية واستعمال (بطرق النقل) اى الامور النقلية السماعية (وطالع الاحاديث والسير) السوية بان درسها وقرأها (لم يرتب) اى لم يحصل عنده ريبة وشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) عند المحدثين والحفاظ (على الوجه الذى ذكرنا) من جمع طرقها وضم بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله لم يرتب قاصر رد اعتراضه على من قال انها احاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم اشار الى دفع شبهة هى انه لو كانت الاحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معنى عند غيره فقال (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر) الحقيقى (عند واحد ولا يحصل عند آخر) فالطريق الاولى التوير المعنوى وقد قيل بمثل هذا فى البسملة وجمع به بين الخلاف وبين الائمة فان اثباتها فى اوائل السور واسقاطها قراءتان متواترتان من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان خفى على كثير (فان اكثر الناس يعلمون بالخبر) المتواتر (كون بغداد موجود) وهى المدينة المشهورة بدار السلام اما لسلامة اهلها من فساد وتغير المزاج اولان نهرها يسمى السلام وهى فارسية معربة ومعناها محل البساتين لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اى عطية الصنم ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثانى وعكسه و بغدان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال الباء ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال اصح وقالوا بغدين ايضا (وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة) بكسر اولهما وهما بمعنى والخلافة هى الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى السلطنة بحق وسميت امامة لان الامامة والخطبة فى عهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والخلفاء الراشدين لازمة له لايقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها مقرها ومحلها واول من بنى بغداد هذه ابو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس (واحاد) بالمد جمع واحد (لا يعلمون اسمها) لعدم سماعه (فضلا عن وصفها) من كونها دار الخلافة متنزهة عظيمة البناء وفضلا منصوب بالمصدرية يفيد اولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط فى العربية مشهور ثم ذكر مثالا آخر فى الشرعيات فقال (وهكذا) اى مثل امر بغداد (يعلم الفقهاء من اصحاب مالك) المقلدين لمذهبه فخرج بالصحبة عما ذكر تجوزا مشهورا (بالضرورة) اى بالعلم الضرورى اى الذى هو لا الاضطرارى لتواتره عندهم فقوله (وتواتر النقل عنه)

كالمفسر له (ان مذهبه ايجاب ام القرآن) اى الفاتحة ووجه التسمية مشهور (فى الصلوة للمفرد والامام) دون المأموم فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلوة الجهرية وغيرها وكذا مذهب ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه كما فصل فى كتب الفقه (واجزاء النية) اى نية صوم رمضان كله (فى اول ليلة من رمضان عما سواه) الضمير راجع لاول فلا يحتاج فى بقية الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى الكفاية والاغناء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الاصفهانى فى شرح المحصول والفرق بينه وبين الصحة مفصل فى كتب اصول الفقه (وان الشافعى رضى الله عنه يرى) من الرأى بمعنى المذهب (تجديد النية كل ليلة) قبيل الفجر فعنده ان النية واجبة فى كل ليلة لامدونة وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة فيفتقر الى نية جديدة لحديث انما الاعمال بالنيات والمراد الاعمال الشرعية اى انما صحتها وغيره يقدر انما كمالها كما بين فى محله (والاقتصار على مسح بعض الرأس) اى ويعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الرأس يجزى عند الشافعى لتواتر نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الرأس كله احتياطا (وان مذهبهما) اى مالك والشافعى (القصاص) اى وجوبه (فى القتل بالمحدد) اسم مفعول مشدد الدال وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه (وغيره) مما لا حد له كالعصا والحجر والسحر (وايجاب النية فى الوضوء) فهى واجبة عندهما لانه عبادة فلابد من النية فيه ليكون قربة ولتمييز العبادة عن العادة باخلاص العمل بالنية (واشتراط الولى) وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد (فى النكاح) اى فى صحته وانعقاده كما فصل فى كتب الفقه (وان اباحنيفة) النعمان بن ثابت الامام المشهور شهرته تغنى عن ذكر ترجمته (يخالفهما فى هذه المسائل) فلا يوجب القصاص فى غير المحدد بل الدية ولا يوجب النية فى الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما فى الاسرار للدبوسى ولا يشترط فى النكاح الولى كما فصلوه يعنى ان مذهبه يخالف مذهبهما فى هذه المسائل فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا فى كتبهم فيقولون خالف فلان فى كذا فلانا وان تقدم عصره عليه (وغيرهم) اى غير الفقهاء واصحاب المذاهب (ممن لم يشتغل بمذاهبهم) اى مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة (ولا روى اقوالهم) ممن قلدهم واشتغل بكتبهم (لا يعرف هذا) الا الامر الذى وقع فيه الخلاف منهم (من مذاهبهم) واقوالهم (فضلا عما سواه) اى سوى هذا من دقايق المذاهب ومسائلها الغريبة (وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا) بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد (ان شاء الله تعالى) ذلك

﴿ فصل فى اعجاز القرآن ﴾

اى فى بيان اعجازه و القرآن بالهمزة وقد تسهل وتبدل و وزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله (اعلم وفقنا الله واياك) اى رزقنا التوفيق والجملة دعائية وتصديره باعلم تنبيها له على ما بعده امر مهم يلزم علمه (ان كتاب الله العزيز) بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولى اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوى الغالب و بمعنى الذى لا نظير له و يجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله او الكتاب ولك ان ترفعه قطعا والكتاب المراد به القرآن لغلبته فيه و له معنيان الكلام النفسى و ما بين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض المحققين كالشهرستانى والكلام فيه مشهور والمراد الثانى لانه هو المتصف بالاعجاز (منطو) اى مشتمل ومحتو افتعال من الطى و هو معروف (على وجوه من الاعجاز كثيرة) اى انواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر (و تحصيلها) اى محصلها اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اى مضروبه و الضمير للوجوه (من جهة ضبط انواعها) اى حصرها و جعلها مضبوطة محفوظة (فى اربعة اوجه) خبر تحصيل او متعلق بقوله ضبط (اولها حسن تأليفه) اى نظم كلماته مؤتلفة متوافقة (والتيام كلمه) عطف تفسير اى كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعى لكلمة كتمر وتمرة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح (وفصاحته) قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور فى كتب المعانى (ووجوه ايجازه) اى قلة لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة فى المعانى (و بلاغته الخارقة عادة العرب) عادة بالنصب مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال (وذلك) اى ما ذكر من عادتهم (لانهم) اى العرب (كانوا ارباب هذا الشان) الشان هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم اربابها اى اصحابها المالكون لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة فى اتصافهم بالفصاحة و البلاغة (وفرسان الكلام) جمع فارس او جمع فرس الذى هو جمعه والفرس يكون ايضا جمع فارسى بمعنى عجمى كما فى شرح شواهد الايضاح و منه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام الذين تمكنوا من التصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا به فى ميادين البلاغة والرهان وفازوا بقصب السبق فيه (قد خصوا من البلاغة والحكم) اى خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم اى المعانى المحكمة المتقنة وما يحث على مكارم الاخلاق و محاسن الصفات وفيه كلام [illegible] (بما لم يخص به غيرهم) قيل كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد فى غيرهم لكنه غيره لئلا يشاكل ما قبله ولان نفى الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم فلا يقال انه لا يلزم من نفى الاختصاص نفى الوجود وهو المقصود وفيه بحث

(من الامم) اى جميع الامم السالفة واللاحقة (واوتوا) بالبناء للمجهول اى اعطاهم الله (من ذرابة للسان) المراد الجارحة المعروفة و الكلام نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه و قيل هى ان تسقى السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة قال

* ارحنى واسترح منى فانى * ثقيل محملى ذرب لسانى *

وهذا امر محمود و قديكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال الله تعالى سلقوكم بالسنة حداد (ما لم يؤت انسان) اى لم يؤته غيرهم من الامم لكنه اتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله (ومن فصل الخطاب) اى الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذى لالبس فيه ولاخفاء كما تقدم (مايقيد الالباب) جمع لب وهو العقل و يقيدها بمعنى يجبرها اذا سمعته حتى كانها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه و براعته (جعل الله لهم ذلك) المذكور الذى خصوا به (طبعا وخلقة) مركوزفى طبايعهم لابتكلف وتقليد لغيرهم (وفيهم غريزة) اى جبلة وسجية مركوزة فيهم (وقوة) المراد بالقوة مقابل الفعل وليس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة ايضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لابأس به هنا لانه مقام خطابة اوالمراد بالقوة القدرة اى هذا امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه ولذا عقبه بقوله (ياتون منه على البديهة بالعجب) اصل معنى البديهة المفاجاءة ولذا قيل لكل كلام من غيراتعاب فكر و نظر بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدايع بداية وهذا معلوم فى بداية العقول ولحقه فى بداية جرمه و العجب بمعنى الامر الذى يعد عجبا لحسنه و حزالة معناه فكانه لم يعهد مثله وما قيل انه غير صحيح هنا لاوجه له (ويدلون به) بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة و باللام من ادلى دلوه فى البئر ارسله لاخذ الماء ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضى الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه وقد دلونا اليك مستشفعين اى توسلنا (الى كل سبب) اى طريق ووسيلة الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤساء فاذا ذكروا هذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتقود بعنان البيان سواد القلوب والخواطر وفى قوله سبب هنا تورية لانه فى الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلاء فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب العالى الشبيه باسباب السموات اى نواحيها كانه شبه ذلك الطلب فى عزة نيله بنواحى السماء والعرب كانوا يصلون الى هاتيك المطالب بما نالوه من القرايح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله (فيخطبون) الى آخره انتهى ولايخفى انه لايلائم مانحن فيه (بديها) اى ينشؤن الخطب بمقتضى

طبايعهم بديهة من غير تكلف (في المقامات) اى محافل الناس ومجامعهم على رؤس
الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام اومقامة يقال قام بين يدى الامير بمقامة
حسنة اذا تكلم بعظة وكانوا يخطبون قياما فلهذا سميت مقامة ثم اطلقت على نفس
الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريرى وغيرهما (وشديد الخطب) اى
الامر العظيم الشان الذي من شانه ان يقع فيه المخاطبات و المراجعات فكان لكل
قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهما تهم وقيل ان الخطر الشان عظم اوصغر
وسبب الامر ولاينا سب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا لا يدل على سجية و غريزة
قوية (ويرتجزون به) اى ينشدون رجزا في تلك المقامات بديعة يعدونه كالخطب
ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر (بين الطعن والضرب) كما ينشدون في
انديتهم وهذا كقول على رضى الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر * انا الذى سمتني
امى حيدرة * كليث غابات كريه المنظرة * اكيلكم بالسيف كيل السندرة *
وامثاله مما لا يحصى (ويمدحون) من يستحق المدح في مقاماتهم بديهة بالملح الاشعار
(ويقدحون) اى يذمون و يهجون يقال قدح في عرضه اذا عابه ومن فسره
بقوله اى يقدحون افكارهم فيستخرجون معجز الكلام في احسن نظام لم يصب
مجز الكلام (ويتوسلون) بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا (ويتوصلون)
عطف تفسيرى اى بالمذكور الى مطالبهم العالية (ويرفعون) من مدحوه بمدائحهم
حتى يرتقي مرتبة لم يكن له بشهرة مدحه فيصير نابه الذكر بعد ان كان خاملا كما وقع
للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب احد في
تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا
فيهن (ويضعون) مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم فعيه لف ونشر
(فيأتون من ذلك) المذكور كله (بالسحر الحلال) السحر في الاصل الفطنة
والكل مادق ثم انه يسمى به الكلام البليغ الذى تلذ به النفوس وتنجذب له القلوب ومنه
ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقي معروف وهو قبيح
محرم فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق واقع وهو
بامور يعرفها اهلها سيأتى الكلام عليها عند قوله وقولهم ان هذا الاسحر
يؤثر (ويطوقون) بالتشديد من الطوق وهو ما يجعل في العنق من ذهب ونحوه
(من اوصافهم) البديعة البليغة وفيه استعارة مكنية وتخييلية اى من وصفهم
لغيرهم بمدحهم (اجمل من سمط اللآل) اجمل بمعنى ازين واحسن وسمط
بكسر فسكون المراد به حسنه لعمومه بالاصابة فمن قال صوابه سموطه لم يصب
وهو السلك مادام فيه الخرز والا فهو خيط و قال البرهان السمط الخيط مادام فيه
الخرز والا فهو سلك وتبعه الاتقاني ونسبه للجوهرى وقال ان غيره

قال ابن السمط الجوهر والسلك الخرز والنظام للابر وفيه نظر وفصله عقد المدايح على اللآلى لانه لايفنى ولايقاوم ويثمن لعزته واصل اللآل اللآلى بهمزة فى آخره قابدلها ياء لسكونها وقبلها تم عامله معاملة المعتل فى الوقف فاسقطها كالقاضى (ويخدعون الالباب) الخداع هو المكر واظهار امر على خلافه لمن تريد به امرا مكروها والالباب جمع لب وهو العقل كامر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة مكنية وتخييلية وتقدير ذوى العقول يذهب رونق الكلام (ويذللون الصعاب) اى يسهلون بمصاحبتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال معجمة من الارض الذلول وهى التى يسهل المشى فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهى الناقة التى لاتنقاد (ويذهبون الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد (ويهيجون الدمن) بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز كسر الهاء مع سكون الياء اى يحركونها ويظهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهى فى الاصل مافى مبارك الابل من بعرها المتلبد بما عليه من ابوالها استعير للحقد المضمر المجتمع فى الباطن وهى استعارة مليحة شايعة فى كلامهم قال

* ارعى الامانة لا اخون ولا ارى * ابدا ادمن عرضة الاخوان *

وكون المراد به آثار السكان فى الديار والمعنى انهم يندبون الاطلال وسكانها فيهيجون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعيدها فلا يعتد بما قيل (ويجرئون الجبان) بالتشديد والهمز من الجراءة وهى الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اى يجعلونه شجاعا بعد جبنه (ويبسطون يد الجعد البنان) بلصاقة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها مدها واذهاب جعودتها وهى انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد والبنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهى الانبساط والمعنى انهم بمصاحبتهم يصيرون البخيل كريما قال ابو عبيد الجعد فى صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فى المدح معناه شديد الخلق مدبر للامور او ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر فى العجم وفى الذم معناه القصير او البخيل (ويصيرون الناقص كاملا) بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعا وان كانت الطباع يعسر تغيرها وتبدلها (ويتركون النبيه) الشريف المشهور (خاملا) اى خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال (منهم) اى من العرب (البدوى) وهم سكان البادية النازلون فى الاخبية والدارات وهو بالباء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين الذين لايسكنون القرى والامصار وتسمى ساكنها حضرا وحاضرة

الحضور بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية اوللبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوى بالفتح اوالكسرة اوهو نسبة للبدا كالفتى بمعنى البادية ايضا (ذو اللفظ الجزل) اى صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير ايضا ومنه الثواب الجزيل (والقول الفصل) بالصاد المهملة اى الفاصل بين الحق والباطل قال الله تعالى * انه لقول فصل وما هو بالهزل * واصل معنى الفصل الحز ومنه فصول الكتب (والكلام الفخم) اى المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم اوالممتلئ المعانى الرائقة يقال حسه فخم اذا كان ذا جلال ومهابة اوهو من التفخيم ضد الترقيق لاعتيادهم باخراج الحروف من اقصى مخارجها والجهر بها القوله (والطمع الجهورى) اى طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنها الحروف المجهورة قال فى القاموس جهر ككريم فخم الصوت ارتفع وكلام جهر ومجهر وجهورى قال وفى الحديث نادى بصوت جهورى وفى نسخة جوهرى نسبة للجوهر وهو الخالص النقى اوالقديم الجرى فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس وفى القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ومن الشئ ما وضعت عليه جبلة والجرى القدم انتهى والواو زائدة وقيل انه بمعناه المعروف معرب والعرب تمدح بالجهر بالكلام وتعريه عن الهمهاء والحسن كما قال الاعرابى

* جهير الرواء جهير الكلام * جهير العطاس جهير النغم *

وهذا اشبه بطريقة المصنف رحمه الله تعالى فى فصاحته (والمنزع القوى) مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الماء من البئر اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمى اواسم مكان والاول اظهر اى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام بطبايعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شق عليه (ومنهم الحضرى) نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة ايضا والحضارة سكنى الحضر وهى الامصار والقرى (ذو البلاغة البارعة) اى الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه (والالفاظ الناصعة) اى الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة (والكلمات الجامعة) للمعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة الموجزة (والطبع السهل) اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذى هو ارق من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ تسرى به مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن (والتصرف فى القول القليل الكلفة) فيخرج من نوع الى نوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او القول فلا يورد فى كلامه ما يعسر فهمه على السامع لغرابته اوتعقيده (الكثير الرونق) اى الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحترى

* وبديع كأنه الزهر الضاحك * في رونق الربيع الجديد *
* مشرق في جوانب السمع ما * يخلقه عوده على المستعيد *

(الرقيق الحاشية) اصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا (وكلا البابين) اي كلا القسمين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله (فلهما في البلاغة الحجة البالغة) قيل ان في الكلام تقديرا واصله واما كلا البابين الى آخره فالفاء واقعة في جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان اولى ولو قيل كلا مبتدأ خبره مقدر تقديره وكلاهما مما احتفوا به او له شان عظيم وما بعده مبني عليه كان احسن لان اما حذفها من غير عديل ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القائل في قوله
* كلاهما حين جد الجري بينهما * قد اقلعا وكلا انفيهما رابي *

(والقوة الدامغة) اي الغالبة لغيرها من سائر اللغات واصل الدمغ الضرب على الدماغ واريد به ما ذكر من الغلبة والقهر يقال دمغ الحق الباطل اي ابطله ودمغت فلانا قهرته (والقدح الفالج) بكسر القاف وسكون الدال والحاء المهملتين واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التي كانوا يقامرون بها في الجاهلية ولها اسماء مشهورة ومنها ماله نصيب زائد ومنها ما لا نصيب له والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الفائز يقال فلج امره اي ظفر وسعد اي لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها وقيل المراد ما تنتجه الافكار واصابة الآراء وجودة الابطال وهو امر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام فيه (والمهيع الناهج) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية وهي الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله السالك فتجوز به عن المسلوك كماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية واراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها (لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم) قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لا يسلك سماء المجهول ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما هو بصدده فان البليغ الفائق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره ما ادق نظره والمراد انهم يعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ في مقامه على ما يقتضيه حاله وسبكه في قوالبه ونظره لاساليبه المطاوعة له ومعرفته بذلك (والبلاغة ملك قيادهم) بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة اي والبلاغة مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفي قيادهم فعدل

عنه لما ذكره لانه ابلغ ففيه استعارة فى الملاك و القياد وهى اضافية على حد قوله مكر الليل يعنى انهم متصرفون فى افانينها من غير تكلف (قد حووا دونها) اى جمعوا وحازوا انواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن (واستنبطوا عيونها) اى استخرجوا خيارها ومحاسنها واصل معنى الاستنباط استخراج الماء من الابار والعيون النابعة فعيونها فى موقعها وفيها تورية لايهامه لعيون الماء و المراد خيارها لان عين كل شئ خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم (ودخلوا من كل باب من ابوابها) اى سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باى عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية و بسط الكلام فى مقام وايجازه فى مقام آخر والتصريح والاخفاء وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله (وعلوا صرحا) وهو البيت العالى المزخرف بناؤه والبيت المفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا و يجوز تشديدها (لبلوغ اسبابها) جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشئ آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو اى علوا قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل قصر الملك فينال عند لقائه انعامه واحسانه و فيه ايماء لقوله تعالى يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب الآية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا بها لكل ما ارادوه فصروا بعباراتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية للتشبيه مرتبة الاعجاز التى عجزوا عنها سما لم يصلوا اليها (فقالوا) اى تكلموا بكلامهم الذائع (فى الخطير) اى فى الامر العظيم الذى له خطر اى شرف ومزية على غيره (و المهين) بفتح الميم اى الحقير من المهانة وهى الحقارة (وتفننوا) اى اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين (فى الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة واصله اللحم المهزول الذى يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد (و) ضده (السمين) وفى حديث ام زرع زوجى لحم جمل غث وفى المثل غثك خير من سمين غيرك وقد علمت ان فقالوا قالوا فى اكثر النسخ بالقاف من القول وفى بعضها فعلوا بالعين المعجمة وفتح اللام اى زادوا والاول رواية الانطاكى وفسره التلمسانى بانشاد المديح والهجاء والمدح والذم او الجدل والهزل وله وجه (وتقاولوا) تفاعل من القول اى اداروا الكلام بينهم (فى القل و الكثر) بضم اولهما واخيرهما بكسرهما اى القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا قيل وفيه ثقل ولو قال فى الكثير والنزر كان احسن واخف وانسب بقوله (وتساجلوا فى النظم والنثر) و التساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجلت الماء صببته ثم لما كانوا يتناوبون فى سقى الماء استعاروا المساجلة للعطاء وللمفاخرة كما قال * من يساجلنى يساجل ماجدا *

يعلو الدلو الى عقد الكرب * وقيل الحرب سجال اى تارة يغلب وتارة يغلب (كما قيل
* فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر *

فالمراد انهم تناوبوا وتفاخروا وتعارضوا فى عد المآثر كما هو متعارف عندهم ولبس المراد به المبارزة بان يدعو احدهما الآخر للقتال فيبرز من الصف كما قيل ماله لا وجه له هنا وهى جائزة لفعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والعظم والترفع عن البيان (فما راعهم) اى بينما هم كذلك جاءهم امر بغتة لم يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله وفى الاساس ما راعنى لا تحسبك اى ما شعرت الابه وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع (الا رسول كريم) بعث صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم (بكتاب عزيز) لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله وهو اسم اسماء مفرع من عام مقدر اى لم يفجأهم ويمنعهم شئ سوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءهم من الله اتاهم بخلاف هواهم وعكس ما هم اد كما وايتوهموه من رتبتهم فى البلاغة لا يموقها كلام فاتاهم بكتاب اخرس شقاشقهم واصم اسماعهم والباء للمصاحبة اى مؤيد بكلام معجز (لا يأتيه الباطل) اى لا يأتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطله كالنسخ والطعن المقبول (من بين يديه) اى قدامه وفى مقابلته (ولا من خلفه) اى وراء ظهره والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع من المطاعن اضمحل وانمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى * لا ريب فيه * وقال تعالى * جاء الحق وزهق الباطل (تنزيل من حكيم) محكم لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته (حميد) محمود يحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال (احكمت آياته) اى نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذى وقع فى غيره من الكتب فهو من احكمت الدابة اذا وضعت فى فمها حكمة تمنعها الجماح او جعلت حكمية لاشتمالها على امهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهى جملة كلمات من القرآن لها ابتداء ومقطع (وفصلت كلماته) اى فصل وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة والاحكام الشرعية والمواعظ والاخبار الصادقة او جعلت سورا او انزلت نجما نجما او فرقت بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد (وبهرت) اى غلبت وادهشت (بلاغته العقول) جميعها لغرابة اسلوبها وحسن بديعها الذى اعجز البلغاء (وظهرت فصاحته) اى اتضحت كالشمس وسط النهار اوجليت وارتفعت مرتبة اعجازها (على كل مقول) اى كل كلام نظما ونثرا (وتظاهر) الظاء المثلثة كما فى اكثر النسخ تفاعل من الظهر وهو الفوز ونيل الامانى (ايجازه) اى قلة الفاظه الواقعة باداء المعانى من غير خلل (واعجازه) اى كونه فى اعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر

فالمعنى ان الايجاز اخذ من الاعجاز مايليق به والاعجاز استوفى من الايجاز مايحق له ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد فى كتب اللغة مايفسره به فقد قصر و فى بعض النسخ بالضاد المعجمة تحت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى و هو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم اذا تجمعوا وتعاونوا و قيل انه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اى وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية فى بابهما و الاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض (وتظاهرت حقيقته ومجازه) اى تعضد كل منهما الآخر و قواه لما صار له ظهيرا ومستندا لما بينهما من العلاقة اوتشابهما فى الظهور لوضوح معانيه وظهور قرائنه كما لا يكون فى بعض المجازات من الخفاء والتعقيد (وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه) اى تشابهت وتساوت اوائله واواخره من قولهم فلان يبارى فلانا اذا فعل مثله والتبارى يكون بمعنى التسابق فى الجرى فالمعنى ان مطلعه و هو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والآيات وخواتمها يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى وهو عبارة عن تشابههما (وحوت كل البيان) اى ما ينبغى بيانه واظهاره (جوامعه) اى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى الفاظ قليلة (وبدايعه) اى ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله فى كتاب وكلام الله تعالى بما لايقبل تحريفا ولايخشى تصحيفا وكفى بالدهر معلما وبالذوق مستمليا (واعتدل) اى استقام من غير افراط ولاتفريط (مع ايجازه) وعدم تطويل لفظه (حسن نظمه) اى تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من ادلة اعجازه وليس هنا مكرر مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدايعه كما توهم (وانطبق) اى وافق (على كثرة فوائده) اى معانيها التى تفيدها (مختار لفظه) اى لفظه المهذب الذى كأنه انتخب ونقى وهذا من وجوه الاعجاز ايضا لان اللفظ الذى يفيد معانى كثيرة من الفصحاء يحتاج غالبا الى ترك الفاظ غير فصيحة (وهم) اى فصحاء العرب من كل باد وحاضر (افسح ما كانوا فى هذه الباب مجالا) اى اوسع يقال فسحت مجلسه فتفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا اى وسعت له فهو فى فسحة مرة وما كانوا بمعنى اكوانهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على التجوز كاخطب مايكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله بابا لوصولهم به الى فهما صد هم اى جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم فى غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان بمعنى عند

فيه تكلف (واشهر) اى اعظم شهرة و فى نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس
(فى الخطابة) بفتح الخاء اى انشاء الكلام فى المحافل وقوله (رجالا) تمييز كالذى
قبله واشهر معطوف على خبرهم اى ورجالهم من غيرهم فى هذا وليس المراد
بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا
منافيا لقوله خصوا بالبلاغة والحكم بما لم يخص به احد من الامم لان اسم التفضيل
يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره
والتفضيل مجازى بان يكون على طريق الفرض كما فى حديث ما رأيت ناقصات عقل
ودين اذهب للب الرجل منكن اذ الخطاب لجنس النساء اونقول انه على حد قوله الخل
احلى من العسل اى انه فى حموضة اقوى من العسل فى حلاوته ولاسم التفضيل
استعمالات اخر ذكروها فى المطولات (واكثر فى السجع) وهو الكلام المنثور الذى
له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا
لايجوز اطلاقه على القرآن (والشعر) وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد (ارتجالا)
اى تكلما به من غير فكر وروية وهو فى الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق
على التكلم قائما لانه كان عادة لهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفى
كتاب بدايع البداية انه فى الاصل الانتصاب بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من
ارتجال البئر وهو ان ينزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما
قالوا مدحه و بدهه الا ان الارتجال اسرع من البديهة وبعده الروية انتهى وفى نسخة
واكثر فى الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المحاورة واصل معناه الدلو كما
تقدم وقيل المراد به المفاخرة (واوسع فى الغريب) المراد به ما يستغرب من الكنايات
والمجازات البديعة لتصرفهم فى الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى تفسير وتفتيش
من كتب اللغة وهو بالنسبة اليناً فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام
لمدحهم (قلت قال ابن هلال فى كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها لمن كانت لغته من
الاعراب والقح من العرب العرباء فاطلاق اهل المعانى غير صحيح ولم ارمن نبه عليه
(واللغة مقالا) اللغة معناه الكلام ولكل قوم لغة ويكون اسما لعلم مدون يبين فيه
معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمى بمعنى القول يعنى ان لغة العرب اكثر من
سائر اللغات الفاظا فقلما يكون معنى الا وله اسماء مترادفة حتى انه يوجد فى كلامهم
ماله مائة اسم فاكثر وقد افردوه بتأليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام
من غيرهم فاذا اعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة
على الغريب من عطف العام على الخاص (بلغتهم التى بها يتحاورون) الجار
والمجرور صفة كتاب اوحال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا
من الحور وهو التردد والضمير راجع للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم

فان كان ماقبله كذلك فلا اشكال فى كلامه (ومنازعهم) بفتح الميم والنون وزاى معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو كما مر الجذب والاخذ والمنزع مصدر ميمى بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذى يرمى به يقال رماه بمنزع اى سهم بعيد المرمى قال * فهو كالمنزع المراش من الشوحط آلت به يمين المعالى * قاله فى الاساس قبل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله (التى عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة اى يترامون بالسهام يقال ناضلته وحرجوا يتناضلون و يتضلون وانضلت من الكنانة سهما اخترته ومن المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة شبه الكلام الدائر بينهم فى المخاصمة والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتعالون فى كلامهم نظما ونثرا فى حال المنازعة وهى المجاذبة فى الاعيار والمعانى وهو بعيد وابعد منه ماقيل ان المنزع مايرجع اليه الرجل من رأيه وطريقته اى اتاهم الكتاب بماهو يدابهم الذى لايتركونه فاكبوا على مداومته (صارخا بهم فى كل حين) حال من الكتاب اوالرسول من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد اى مصرخا بدعوته فى كل وقت يتلو القرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته (ومقرعا) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهملة وعين مهملة اى معيرا وموبخا لهم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة (لهم بضعا وعشرين عاما) سنة وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد ويقال بضعة ايضا فى لغة قليلة وفيه اقوال اخر فى القاموس هذا اصحها ويستعمل مع العشرة وما فوقها الى تسعين ولايختص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على رأس الاربعين وحياته بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين العام والسنة بمعنى وقد تختص الثانية بالشمسية والاول بالقمرية ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط واعلم ان البضع لبس كصريح العدد فى انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وما نقله فى القاموس عن مبرمان يرده ما فى الحديث الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتأويل (على رؤس الملاء اجمعين) الرؤس جمع رأس وهو العضو المعروف الشريف السيد والملاء الجماعة وهو يخص بالاشراف ويقال كلمه على رؤس الناس وعلى رؤس الاشهاد اذا صرح بما يريده واشاعه لان من يريد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤسهم اى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل مظهرا لدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين اظهرهم

والجار متعلق بقوله مفرعا اوتنازعه مفرعا وصارخا (ام يقولون افتراه) هذا حال ايضا اى قائلا وتاليا لهم ام يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القرآن فيكون اقتباسا من مشكاة انواره والافتراء كالاختلاق الكذب والاستفهام انكارى توبيخى (قل) ان كان الامر كما زعمتم (فأتوا بسورة مثله) فى النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم وانتم فصحاء (وادعوا من استطعتم) اى كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه (من دون الله) اى غير الله تعالى فانه القادر على كل شئ (ان كنتم صادقين) فى قولكم انه افتراء وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن اقل مراتبه وليس مقابلا للسجعة الاولى كما قيل ثم انه اتى بآية اخرى فى معناها فقال (وان كنتم فى ريب) فى شك وشبهة (مما نزلنا على عبدنا) اى نزل منجما بحسب الوقايع (فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وقوله من مثله صفة سورة اى سورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض اوللتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم اولعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يعلم العلوم اوصلة فأتوا والضمير راجع للعبد وهذه الآية ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الآيات مما كفانا المفسرون مؤنته (وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) نظما وبلاغة (لايأتون بمثله الاية) وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لاينافى اعجازه فتأمل (وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى محض كذب واختلاق منكم وخص الكذب بالذكر لقوله (وذلك) اى طلب الاتيان بالمفترى تهكما وتقريعا (ان المفترى) اسم مفعول (اسهل) تلفيقا (ووضع الباطل اقرب) تناولا وارزوح تخيلا ومع ذلك لم يقدروا عليه (واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب) لانه يلاحظ فيه مافى الواقع ونفس الامر ثم يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لايخرج عنه (والمختلق) بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال الله تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر مقدر فى النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالى لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يزداد بلى (على الاختيار اقرب) المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار فان الصادق مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد برا واسعا كما قال تعالى * الم تر انهم فى كل واد يهيمون * وقيل ههنا بحث وهو ان التحدى بقوله فأتوا بسورة الى آخره ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظا فلايخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوى الامران والذى دار فى خلدى ان ذكر مفتريات لمشاكلة قوله

افتراه تهكما وتقريعا لا لما قاله المصنف رحمه الله تعالى انتهى وليس بشئ لانا نختار الثاني ونقولهم انهم لعجزهم لايستويان وهو فى غاية الظهور فتدبر وضمن اقرب معنى اهون ولذا عداه بعلى كقوله تعالى وهو اهون عليه ولولا ذلك عداه بالى او اللام (ولذا) اى لكون المختلق اسهل و اقرب من الحق الصحيح عبارة (قيل) اى قال الادباء ومن لهم دربة فى صناعة الصياغة للكلام (فلان) اى المنشئ لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء (يكتب كما يقال له) اى كتب فى شان امر واقع لرسالته ففتق اكمام الكلام عن زهر المعانى الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها فى نادى البراعة (وفلان) ممن ينشئ المقامات (يكتب كما يريد) من كل مايطرؤ على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكى عن بديع الزمان انه رتب له مراتب بين كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسائل فلما احمر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى مثله عن الحريرى ايضا (وللاول) الذى يكتب كما يقال له (على الثانى) وهو الذى يكتب كما يريد و المراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب (فضل) اى زيادة شرف ورتبة (وبينهما شأو) اى مسافة ومدى (بعيد) والشأو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل الفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد فتجوز به عن المسافة ثم كنى به عن التفاوت الزائد (فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعهم) اى يعيرهم ويعيبهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرآن (اشد التقريع) لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم (ويوبخهم غاية التوبيخ) هو بمعنى ماقبله لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن فيه مثله (ويسفه احلامهم) اى يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل (ويحط اعلامهم) بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهى الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا اى ينكس راياتهم ويهد جبالهم ويذل ساداتهم ويزرى باسمائهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم واظهار ضلالهم وسوء حالهم (ويشتت نظامهم) اى يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجدا له وجلاده والنظام مايتنظم به الدرر ونحوها والتشتيت التفريق كما مر فاستعير لما ذكر (ويذم آلهتهم) اى اصنامهم التى عبدوها فى الجاهلية (وآباءهم) الذين اقتدوا بهم فى الكفر وقالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون والآباء بالمد جمع اب (ويستبيح ارضهم وديارهم) بجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم عنها (واموالهم) ماملكوه من الاثاث والمواشى وغيرها (وهم فى كل هذا) المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده الى استباحة الاموال والديار (ناكصون) يقال

نكص على عقبيه اذا احجم وتأخر فاستعير للاعراض عن معارضته فمفعوله وما اتى به للقرآن (عن معارضته) والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها (محجمون عن مماثلته) اى عن الاتيان بشيء مماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص بمعنى تأخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال حجمته فاحجم وهو من النوادر كنثل كببته فاكب (يخادعون انفسهم) اى يمنون انفسهم امانى كاذبة و يؤملون آمالا فارغة و يمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال فكانهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله تعالى وما يخدعون الا انفسهم وتحقيقه فى الكشاف وشروحه (بالتشعيب) وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها (والتكذيب) اى بادعائهم كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذى لا مرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا تحثه على اتباع الباطل وهو تعسف لا وجه له والذى غره قوله (والاغراء بالافتراء) هكذا فى النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومدة وفى بعضها الاغتراء افتعال منه وقال التلمسانى صوابه الاغراء بغير تاء وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة اى الزمناها اقول قال بعضهم اصله من الغراء الذى يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما فى القاموس من انه يقال اغتراه اذا لصقه والمصنف اجل من ان يوهم فى اللغة فله قدوة فيها ولا حاجة الى انه لمشاكلة الافتراء والافتراء الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليست فى المجرد كما قرروه فى قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (وقولهم) بالجر معطوف على التكذيب (ان هذا الا سحر يؤثر) اى ينقل و يروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الاية ان الوليد لما سمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه يتكهن وانه شاعر هل رأيتموه قال شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحرا ما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده فاهتز النادى فرحا و يأتى ذلك كله مبسوطا واعلم ان السحر كما نقله الاكفانى فى ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكبرها غاية الحكيم للمجريطى وهو حقيق وغير حقيق يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله سحروا اعين الناس وقوله واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ولما خفيت اسبابه اختلفت طرقه فطريقة الهند تصفية النفس وتجريدها لانهم رأوه افعالا تصدر عن النفس وطريق النبط عمل اشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة وبخته فى وقت مناسب وتلك الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن اوتعلق

في الهواء وتحرق والعزايم تصرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون اجرامها في وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على اسماء وعزايم مجهولة لانهم يخاطبون بها حاضر الاعتقاد انها تصدر عن الجن بتسخير الملائكة وانواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال والاستحضار وتكون يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل ينطق بلسانه كصبي وامرأة حال غيبته عن الحس ويختص باسم الاستحضار فان كان مناما احتص باسم الجلبان انتهى ملخصا (وسحر مستمر) اى دائم باق لما رواه من تتابع الوحي غضا طريا اومحكم متقن واصله من المرة وهو فتل مرائره وهي طاقاته اوذاهب غيرقار من المرور اومستبشع من المذاق (وافك افتراه) اى كذب اخترعه واختلقه والافك اسوأ الكذب (واساطير الاولين) اى شيء اخذه مما سطره الاولون وزخرفوه وهو جمع سطر اى صف من الكتابة على خلاف القياس وقال المبرد انه جمع اسطورة كارجوحة واراجيح على القياس اوله مفرد مقدر كاسطارة واسطيرة وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الآية وقتل يوم بدر (والمباهتة) بالجر عطفا على التكذيب وهي بمعنى البهتان وهي الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله (والرضاء بالدنية) بالهمزة وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التي لايرضى بها من له عقل ومروة وفسرها بقوله (كقولهم قلوبنا غلف) لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو امر مذموم لايرتضيه العقل وهو جمع اغلف اى في غلاف يقال سيف اغلف فهي بمعنى في اكنة جمع كان برية كان غطاء ومعناها مغطاة وغلام اغلف بمعنى اقلف والغلفة القلفة وقيل انه جمع غلاف واصله غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اى هي اوعية للعلم مملوءة به فلانحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لانفهم ماتقول ولاتصل الينا وهذا هو الملايم لكلام المصنف ولقوله (وفي اكنة مما تدعونا اليه) وهو القرآن والايمان (وفي آذاننا وقر) اى صمم واصل معناه الثقل والحمل (ومن بيننا وبينك حجاب) اى مانع عن وصول مايقوله لنا وفي من اشارة الى انه مبتدأ وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن ادراكها مادعاه له ومع اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له (و) قال الذين كفروا (لاتسمعوا لهذا القرآن) اى لاتصغوا وتنصتوا له (والغوا فيه) بفتح الغين المعجمة وضمها من لغى يلغى ويلغو والاول اصح وهو المقروء به والمراد هنا رفع الاصوات باى كلام كان حتى يشوش على قاريه فيقطع قراءته او يمنع من استماعه ولغو الكلام مالايعتد به وهو من اللغا وهي اصوات الطيور يقال لغى لغوا ولغا وقد يسمى كل

كلام قبيح لغوا قال تعالى لايسمعون فيها لغوا اى فحشا كما قاله الراغب وانما فعلوا
هذا لعجزهم عن معارضته (لعلكم تغلبون) قاريه بقطع قراءته فعلمتهم انما هى
بالجهل والسفه كما هو شأن العاجز المعاند ومثله دنية لاترضى (ولادعاء) مجرور
كالذى قبله (مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة لفرط عنادهم
ومكابرة ولو استطاعوه مامنعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين
سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم من ان يغلبوا خصوصا
فى الفصاحة وقائل هذا هو النضر بن الحارث ايضا لكنه اسنده الى الجميع كاسناد
فعل الرئيس الى المرؤسين اوعلى حد قولهم بنوا فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم
(وقد قال لهم الله تعالى) مكذبا لهم (ولن تفعلوا) فنفى قدرتهم فى المستقبل
فلو قدروا لجيئتهم فعلوا ولم يقل فلن تأتوا بسورة من مثله لمافيه من الكناية والايجاز
(فافعلوا ولاقدروا) نفى الفعل ظاهر والقدرة فى الانسان قوة غير محسوسة فنفيها
يعلم من انهم وبخوا وعيروا فلم ينطقوا ببنت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم
(ومن تعاطى ذلك) اى فعله وتكلم بما توهمه معارضة واصل معناه المناولة
(من سخفائهم) ممن له طيش وقلة عقل (كمسيلمة) تصغير مسلمة فلامه مكسورة
وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطأ منهم والصغير للعرب وهو كذاب يضرب
به المثل فيقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمنى من بنى حنيفة قبيلة وهذا
لقبه واسمه هارون ويقال له ابو ثمامة وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه وقيل قتله وحشى
قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وكان له حيل وبيرنجات يوهم انها معجزات وارسل
للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام عليك
اما بعد فانى قد اشركت معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن
قريشا يعتدون علينا (فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكتب اليه
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى امابعد فان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه الذى زعم انه وحى
نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا
والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدع نقى الى كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشراب
تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع (فكشف عواره) وفى نسخة
بدون فاء وابانتها احسن اى اظهر مما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه
وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح وآخره راء مهملة وتفتح
العين ايضا وقيل انها الافصح (لجميعهم) اى العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب
الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولاحاجة لتسويد وجه الصحف به والعوار مأخوذ

من عور العين وفيه اشارة الى ما نقل من انه مسح عين من استشق بمسحه فابيضت عينه (وسلبهم الله) اى احد منهم والضمير لمن وجمع نظرا لمعناه (ما الفوه) اى اعتادوه بطباعهم (من فصيح كلامهم) بيان لما اى لما ارادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفة وهذه الجملة معطوفة على جملة ما فعلوا وليست الواو للمعية ولا حالية كما قيل (والا) اى وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة (فلم يخف على اهل المير) بفتح الميم وسكون التحتية والزاى المعجمة اى التمييز والعقل وزاد الفاء فى الجواب لانه ماض لفظا ومعنى او بتقدير المبتدأ اى فهم لم يخف الى آخره ووجهه دفع توهم كون الاستئنائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط يقال مازه يميزه اذا ميزه اى لو نظر تلك الجمل ومازها ظهر انه كلام ما راق وما رهى (انه ليس من نمط فصاحتهم) بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة اى من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التى اعتادها فانه معجز خارق عن طوق البشر وضمير انه للقرآن يقال عندى متاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا لانه نفى عنه كونه من جنسه (ولا جنس بلاغتهم) لركاكته وفهاهته (بل ولوا عنه مدبرين) اضراب عن مثله ومدبرين اى معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا واعرضوا (واتوا مذعنين) بذال معجمة وعين مهملة اى منقادين مسلمين والاذعان الانقياد واما اطلاقه على العلم فى قولهم اذعان السنة تصديق فمولد ليس من كلامهم (من بين مهتد) اى مصدق بحقيقته واعجازه لهداية الله تعالى له (و بين مفتون) متحير فى امره منكر لاعجازه وفيه لف ونشر مشوش (ولهذا) اى لكونه ليس من نمط كلامهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاية) لما سأله ان يقرأ عليه شيئا من القرآن لينظر فى امره وقرأ هذه الاية عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عظة له وتنبيه وهو من رؤساء عقلائهم فرجا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطى وهذا الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلا وفى المغنى فى الاحياء فى آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الى آخر ما ذكره المصنف هنا وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وكذا ذكر ابن اسحق فى سيرته فان صح فهما قصتان والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله

المخزومي وباقي نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة (قال) لما سمع ما تلاه عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (والله ان له) اي لماتلا (حلاوة) اي عذوبة وفصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لمايستلذه السمع (وان عليه لطلاوة) بضم الطاء ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر ايضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذي قبله وأكده بالقسم وان والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لايشبه غيره من الكلام (وان اسفله لمعدق) بلام التوكيد وضم الميم وسكون العين المعجمة وكسر الدال المهملة كما في النسخ كلها من العدق بفتحتين وهو كثرة الماء ورواه ابن اسحق وان اصله لعذق وان فرعه لجناة والعذق فيه بفتح العين المهملة وسكون الدال المعجمة هو النخلة التي اصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال السهيلي ورواية ابن اسحق افصح لانها استعارة تامة فيها اجراء الكلام لشمه اوله والجناة بفتح الجيم والنون الثمرة (وان اعلاه لمثمر) اي له ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انها كلام اصله قوي ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء او استعارتان تمثيليتان واراد باسفله ماتضمنه من المعاني كما يقال تحت هذا الكلام معان غزيرة وان اراد باعلاه مايتجه من الفوائد والعوائد التي تظهر من فهم معانيه وتيقنها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت واينعت ثمرتها وكثرت وغذت ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد القضية مع بنى على هذا قوله (ما هذا بقول بشر) لانه لايشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفي نسخة ما يقول هذا بشر بصيغة المضارع اي ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه يعني انه ليس مفترى مختلقا ومن البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز للجن ايضا مع ان في هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فافيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا اعلم برجزه ولا بقصده مني ولا باشعار الجن والله مايشبه الذي يقول شيئا من هذا وانه ليعلو ومايعلى وانه ليحطم ماتحته كما رواه البيهقي في الدلائل ثم انه روى الفريري ان القاري على الوليد عثمان بن مظعون لا النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه المصنف رحمه الله تعالى فان عثمان رضي الله تعالى عنه قال مااسلمت ابتداء الاحياء من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزلت ان الله يأمر الآية واياعده فاستقر الايمان في قلبي فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال ياابن اخي اعد الى آخر الحديث وهذا يؤيد ماسبق من تعدد القضية (وحكى ابوعبيد) القاسم بن سلام بتشديد

اللام الامام في الفقه والحديث واللغة البغدادي الحبر الهمام الجليل اخذ عن الشافعي
وغيره وكان عبدا روميا لرجل من هراة واحد اله و ترجمته معروفة توفي سنة اربع
او ثلاث وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) واعرض
عن المشركين اي اجهر بما امرت بتبليغه ولا تبال بما يقولونه وما موصولة او مصدرية
واصل معنى الصدع التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل
وما قيل من انه لا يجوز ان تكون مصدرية لانه بمعنى امرك وهو مصدر مبني للمفعول
والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العائد اي تؤمر به ولا يجوز
الا اذا جر بما جر به الموصول واتحدا متعلقا والاول متعلق باصدع والثاني بتؤمر سهو
من قائله وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في المصدر الصريح لا في ان
والفعل كما في هذه الآية ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه (فسجد)
الاعرابي لما ادهشه من بلاغته (وقال سجدت لفصاحته) اذ ليست آية سجدة وانما
هزه العجب لفصاحته حتى ذل وخر ووجهه في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتى
قال بعضهم للشعر سجدات وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم
وضمير فصاحته للكلام المقروء لا للقارئ كما توهم لانه لا يناسب المقام (وسمع) اعرابي
(آخر رجلا يقرؤ) قوله تعالى (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) اي لما يئسوا من
يوسف عليه الصلوة والسلام وزيدت السين والتاء للمبالغة في اليأس وخلصوا بمعنى
اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين في تدبير امره وهو يطلق على الواحد المذكر
وغيره (فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام) لاعجاز بلاغته وخروجها
عن طوق البشر فانك اذا دققت قولك لما لم يطمعهم يوسف عليه الصلوة والسلام
ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم بهذا الخطب
عرفت بالذوق انه لا مناسبة بينهما ولولا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها
(وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان قائما بالمسجد) اي مسجد رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله قائما مصطلح الامام
فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله (وعلى رأسه قائم) اي في جانب رأسه رجل
منتصب القامة وليس المراد انه واطئ لرأسه وهو حقيقة عرفية في مثله والجملة حالية
والضمير لعمر رضي الله تعالى عنه وفي نسخة فاذا هو بقائم على رأسه فاذا فجائية والباء
للملابسة (يشهد شهادة الحق) اي يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
(فاستخبره) اي طلب عمر رضي الله تعالى عنه الاخبار عن سبب تشهده وعن
حاله (فاعلمه) ذلك الرجل المتشهد (انه من بطارقة الروم) بطارقة جمع بطريق
بكسر الراء معرب ترك ومعناه الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال
الجواليقي في كتاب المعرب البطريق بلغة الروم وهو القائد الجيش وجمعه بطارقة

وتكلموا به ولما سمعت العرب بالبطارقة اهل رياسة وسموا الرئيس به يريدون المدح قال ابو ذؤيب

* هم رجعوا بالعرج والقوم شهد * هوازن تحدوها حماة بطارقة *

انتهى وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه في كتاب ليس البطريق معرب بطريق عربته العرب قديما قال

* يعلو الطوائف فردفي التلال له * كبطرك قد مشي في غيط كتان *

وهذا مما يتعجب منه محرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن عيصو بن اسحق وكان اصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر و الواحد رومي وقول الجوهري رامي غلط منه (ممن يحسن كلام العرب وغيرها) من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذا توطئة لانه يفهم القرآن والانجيل ويقدر على النظر في معانيهما ولذا قال (وانه سمع رجلا من اسارى المسلمين) بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم لكل من اسر وصار في يد عدوه (يقرأ آية من كتابكم ايها المسلمون يعني القرآن (فتاملتها) اى نظرت بفكري في معناها (فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم) عليه الصلوة والسلام في الانجيل (من احوال الدنيا والآخرة) بيان لما اى من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب للفوز والنجاح في الآخرة (وهي) اى الآية التي سمعها (قوله) عزوجل (ومن يطع الله ورسوله) في امره مما فرض وسن ونهيه عن غيره (ويخشى الله ويتقه) اى يخافه ويجتنب ما يستوجب عقوبته (فاولئك هم الفائزون) بسعادة الدارين وقوله جمع بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرأ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روي يقرؤن بضمير الجمع للاسارى وهو محتاج للتكلف (وحكى الاصمعي) بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير ابن اصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر ومائتين (انه سمع جارية) اى امرأة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح (فقال لها قاتلك الله ما افصحك) تعجب من فصاحة لسانها وبالغ في تعجبه فانها تقال لمن اتى بامر بديع غريب وهي في الاصل جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان كانه ممن يستحق ان يحسد ويدعى عليه (فقالت اوتعد) بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير او داخلة على مقدر معطوف عليه ويعد بالياء التحتية مجهول او الفوقية معلوم (هذا) الكلام (فصاحة) اى فصيحا (بعد قول الله) اى مع فصاحة القرآن لايقال لكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه ازرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا نسب بجنب ما هو اعظم نفاسة منه فانه يعد غير نفيس كما قيل

* ولاقبح فيها غيران جمالها * يصير كل الغانيات نباجا * (واوحينا الى ام موسى)
اى الهمناها او اريناها منا ما (ان ارضعيه الآية) اى فاذا خفت عليه فالقيه
فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين جمع فى آية واحدة
بين امرين) ارضعيه والقيه (ونهيين) لاتخافى ولاتحزنى (وخبرين) اوحينا
وخفت عليه (وبشارتين) رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والمراد بالفصاحة
هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبدالقاهر (فهذا) اى الجمع بين
ماذكر فى آية واحدة (نوع من اعجازه) اى القرآن (منفرد بذاته) اى مستقل بنفسه
غير محتاج لغيره (غير مضاف لغيره) اى غير تابع لنوع غيره من البلاغة (عن التحقيق)
لما فى الواقع عند من عرفه (والصحيح من القولين) بالجر معطوف على التحقيق
والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم القول بان اعجاز القرآن هل هو
مجموع بلاغته واسلوب نظمه اوهو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده
بدون اضافة احدهما الى الآخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر
وهذا هو المتبادر من سياقه وقيل والمراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التى
لايرتقى احد الى مرتبتها والقول بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات
ولاشك فى ان من يقال باعجازه لبلاغته واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر لمعناه ايضا
اذ لايمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشى فى برهانه انه قال اكثر المحققين على ان
اعجازه من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان اجناس الكلام مختلفة
ومراتب البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل
والجائز الطلق الرسيل فهذه اقسامها المحمودة والاول اعلاها والثانى اوسطها
والثالث ادناها وقد حازت بلاغة القرآن من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة
والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة والجزالة يعالجان
الوعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية مبينة وانما تعذرت
على البشر لان علمهم لايحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامهم لاتدرك
جميع معانيها ووجوه نظمها فيتخيروا احسنها حتى يأتوا بمثله وانما يقوم الكلام
بلفظ حامل ومعنى عليه قائم ورباط لهما ناظم فاذا تأملت القرآن وجدته استوفى ذلك كله
ورقى لاعلى درجاته وهذا لايتيسر لغير العليم القدير فاصبار معجزا لانه جاء باحسن
الالفاظ وابدع النظم والتأليف واصح المعانى من الدعاء للتوحيد وطاعة الرب
المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر
عن مساويها واضعا كل شئ فى موضعه بحيث لايرى محلا اولى من محل مودعا فيه
مثلات اخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة بزمانها جامعا للحجج والمحتج له
والمؤكدة للزوم ماد عااليه ولا شك ان استيفاء هذه الامور منسقا احسن نسق لايمكن

لغيره عز وجل (وكون القرآن من قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف
وفتح الباء الموحدة واللام اي من عنده قال الله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين
ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة اي المجاراة فيقال لاقبل لي بكذا ومنه قوله بجنود
لاقبل لهم بها والمراد كونه منبعه فقوله (وانه اتى به) عطف تفسير فليس المراد انه
كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم (معلوم ضرورة) للتواتر وتوفر الدواعي على نقله
(و) كذا (عجز العرب عن الاتيان به) اي بمثله (معلوم ضرورة) لمشاهدتهم له
(و) كذا (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (متحديا) اي طالبا منهم الاتيان بمثله
(معلوم ضرورة) لسماعهم له (و) كذا (كونه في فصاحته) في نسخة مسافة استعارة
تبعية بتشبيه السبب بالطرف المتمكن فيه (خارقا للعادة) اي مجاوزا لعادة فصحاء العرب
في كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا تجاوزه وتعداه (معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة) اي انواعها ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم
عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا لا تحصى وهم احرص الناس على ذلك
(وسبيل من ليس من اهلها) اي طريق من ليس من اهل الفصاحة العالية الموصلة
لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم (علم ذلك) اي الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير
(بعجز المنكرين من اهلها) لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا (عن
معارضته) والاتيان بمثله وعن متعلق بعجز (واعتراف) هو في الاصل افتعال من المعرفة
صار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله (المقرين) بانه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر
مقام الضمير (باعجاز بلاغته) لهم ولغيرهم عن ان يرقوا بنت شفة الامن غلب
عليه الشقاء وتعلق هذا بالنحس بصدده اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله
سبيل مبتدأ وعلم بر نة مسك خبره مصدر علم يعلم والمبتدأ معرفة باضافته لمن
الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشي هنا خبط يتعجب
منه فمنهم من قال انه علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله وبعجز الى
آخره خبره اي سبيل علم من ليس اهلا لذلك اي كونه خارقا للعادة وهو بعجز الى آخره
واعجب منه قوله ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شفته اذا
انشقت فهو اعلم وبعجز متعلق بمقدر وقيل علم فعل ماض مبني للمجهول او للمعلوم
وهو تخليط لاداعي له ثم ذكر آيات استوضح بها ما قدمه فقال (وانت اذا تأملت)
اي امعنت النظر ودققته لكي تطلع لما له فيه امل وانت فاعل فعل مقدر يفسره ما بعده
على حد قوله تعالى اذا السماء انشقت ان منعا دخولها على الجمل الاسمية (قوله
تعالى ولكم في القصاص حيوة) وما اودع فيه من البدايع الروايع مع لطائف الايجاز
وانوار الاعجاز الساطعة من مشكاته ورسوخ عروقه في الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته

في المذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاعراب بجعل القتل الذي هو ضد الحياة طرفا لها لان من علم انه اذا قتل اقتص منه كف عنه فكان سببا لحياة من يهم بقتله وهو اوجز مما عدوه من افصح كلامهم وهو قولهم القتل انفى للقتل مع ما فيه من التكرار والقتل مطلقا لا ينفيه بل القصاص تصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة في شروح الكشاف والمفتاح والتمرة تدل على السحرة ولا اقول البعرة تدل على البعير لما فيه من نجاسة سوء الادب (وقوله ولو ترى اذ فزعوا) من حلول الاجل او من بعثهم من القبور او في يوم بدر (فلا فوت واخذوا من مكان قريب) اي من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها ففي هذه الآية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من له بصيرة (وقوله تعالى (ادفع بالتي هي احسن) اي ادفع سيئة من اساء اليك بالحسنة التي هي احسن من كل شيء حسن او باحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان احسن بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما في هذه الآية من الايجاز بحذف مفعول احسن وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن واطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم احسن الى من اساء كفى المسيء فعله وفي طي ذكر السيئة نكتة سنية واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع السائل وتكلف المناسبة بينهما وبين قوله (وقوله تعالى (وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي) فبعيدة بمراحل وتكلف من غير طائل وفي هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه ناداهما كما ينادي العقلاء وامرهما بما يؤمرون به تمثيل لباهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما اراد كالمأمور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة امره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك ومنها لطائف اخر مفصلة في شرح المفتاح (الآية) وتمامها وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين (وقوله) تعالى (فكلا) ممن ذكر قبله من المكذبين (اخذنا بذنبه) اي عاقبناه به (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اي ريحا عاصفة فيها حصباء وهي الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام (الآية) وتمامها ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثاني قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفي الآية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق (واشباهها) اي ما شابهها مما ذكر في البلاغة ووجوه الاعجاز (من الآي) اسم جنس جمعي ككلم وكلمة او اسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تأملت ثم اضرب بيانا لانه لا ينحصر في آيات مخصوصة مشيرا الى وجوه من الاعجاز فيها فقال (بل اكثر

القرآن) وجواب اذا قوله (حققت ما بينته) لك آنما (من ايجاز الفاظها وكثرة
معانيها) مع لطائف ودقائق (و) لطائف (ديباجة عبارتها) قيل معنى الديباج
نوع من الحرير له و يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب
فاصله ديبا زيد فيه الجيم كما يقال فى قولون وهو من الامراض قولنج ثم استعير فقالوا ديج
المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجتاه اى خداه وفى
ضده يبتذلهما ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم ديباج القرآن
اى رياضه التى يرتع فيها القارى فالمراد حسن عبارته ففيه استعارة مكنية وتخييلية
شبهت العبارة بحمى واثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما مر (وحسن
تأليف حروفها) حيث كانت سالمة من التنافر والثقل (و) حسن (تلاءم كلماتها)
بالهمزة وقد تبدل ياء فيقال تلايم وملايمة اى مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو
خطأ من [illegible] الهمزة [illegible] مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين
[illegible] فيه تعقيد ولا ضعف تأليف وتنافر كلمات (وان تحمل لفظة
منها جملا كثيرة) اى فيها معان كثيرة وفوائد عزيزة وجعل مايدل عليه تحته تجوزا
(وفصولا جمة) اى انواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا
والجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله (وعلوما زواخر) بزاى وخاء معجمتين ثم راء مهملة
اى علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه
ففيه مكنية وتخييلية ويجوز ان يكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وزواخر ممنوع
من الصرف وملق بعض النسخ من تنوينه لمناسب لاوجه له (ملئت الدواوين) اى
امتلأت كتب التفسير وغيره من الفنون (من بعض ما استفيد) بالبناء للمجهول اى
اخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا ملأها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يحويه
كتاب كما قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربى ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه (وكثرت
المقالات) اى كلام الائمة والمصنفين (فى المستنبطات عنها) اى فى المعانى والاحكام
المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء
من البئر اذا استخرجه فما استفيد هو ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره (ثم هو)
اى القرآن وعطفه بثم لتراخى رتبته عما قبله (فى سرد القصص الطوال) اى ذكرها
فى اثنائه مستعار من سرد الدرع لنسجه (واخبار القرون السوالف) معطوف على
القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من
سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد اهله (التى يضعف فى عادة
الفصحاء عندها الكلام) صفة للقصص والاخبار اى انها لطولها اذا اريد ذكرها بتمامها

يصعب على الفصيح حكايتها ويضعف نطقها عن ادائها واجمالها لمن لا يعلمها لا تفيده فائدة يعتد بها ولبس المراد انه واقع في الخارج يعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له (ويذهب ماء البيان) اى رونقه وحسنه لانه لطوله قد لا تتناسب كلماته و يشق نظامه ويحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعاني وهو معطوف على يضعف الصلة ففيه عائد مقدر كالذى قبله (آية لمتأمله) اى علامة بينة لمن تأمل نظمه وسرده القصص والاخبار وآية خبر المبتدأ الذى هو ثم هو مبتدأ مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف واللام القائمة مقام الضمير الذى هو في سرد قصصه آية لمن تأمله حق التأمل وقوله (من ربط الكلام) صفة لآية ومن بيانية او متعلق بمقدر اى يظهر كونه آية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام (بعضه ببعض) بالجر بدل من الكلام اى من كون اجزائه الى غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها (والتئام سرده) بالهمزة والياء اى مناسبة كلماته المسرودة اى المتتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها في بعض مع فصاحتها وحسن تأليفها (وتناصف وجوهه) المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعضاؤه متناصفة حسنا اى لا ينقص حسن بعضها عن بعض وهو من مليح الكلام الذى لا يعرفه الا من ذاق حلاوة البلاغة كما اشار اليه المبرد رحمه الله تعالى في الكامل قال الشاعر

* لما عرضت الى تناصف وجهها * عرض المحب الى الحبيب الاول *

واصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كأنك تعطيه نصفا وتأخذ نصفا ومن ظن عدم تغاير هذه المعاني فقد وهم (كقصة يوسف عليه الصلوة والسلام على طولها) قصها الله تعالى على اعجب ترتيب وابدع تهذيب بحيث لم ينقص ما يأباها ولم يخل عقد نظامها مرتبطة الهوادي بالاعجاز على الاصح وجه واوضح نهج (ثم اذا ترددت) اى اذا كررت (قصصه) المذكورة في القرآن من قولهم فلان يتردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

* اذا كنت لم اكثر زيارة حبكم * فحبى لكم بغير تردد *

اى ما كرر من قصص القرآن ليس تكرارا مخلا اذ قد (اختلفت العبارات عنها) فذكرت من كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا (على كثرة ترددها) وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها و يحكى عن ابن عباد رحمه الله تعالى انه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته في محفل عظيم قام الناس لتعزيته فلم يعد عبارة للمعزين له مع كثرتهم وكونه في حالة حزن والم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته (حتى تكاد كل واحدة) من القصص

(تنسى في البيان صاحبتها) يعني ان سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارات غير الاولى والسياق ومناسبة المقام تفيد فوائد اخرى وتجدد لمن سمعها حظا عظيما للعبارات المغايرة لما تقدمها (وتتناصف في الحسن وجه مقابلتها) لتفاوتها باعتبار المقامات المحكية فيها كقصة آدم وحواء وموسى عليهم الصلوة والسلام مع بني اسرائيل (ولا تنفر النفوس من ترديدها وتكريرها) وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان فيه مكررات كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم (ولا معاداة لمعادها) اى لا يعادى الطباع المكررة المعاد في القرآن من قصصه كما قال الشاعر * طبع النفوس معادات المعادات * وفيه تمليح لما ذكر وتجنيس لطيف

* فصل الوجه الثاني *

من وجوه اعجاز القرآن (من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب) اشار بالاسلوب والصورة الى رشاقة عباراته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه الوارد فيهما فانه معاز عن ان لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرهما مما كان عادتهم ومحاوراتهم فيرى الاسماع بموائد عوائده وبهذا اضمحل ما قيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تأليفه والتئام كلمه راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله (المخالف لاساليب كلام العرب) مغن عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع اسلوب وهو الفن والنوع وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر توخي المعاني على حسب الاغراض التي صيغ لها الكلام لا توالبها في النطق وضم بعضها لبعض كيف ما اتفق (ومناهج نظمها ونثرها) مجرور معطوف على اساليب اى مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اى لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيره (الذي جاء عليه) صفة نسبه اى النظم الذي جاء عليهم من عند الله تعالى واردا على اسلوبه العجيب الذي لا يشبه كلام البشر (ووقفت مقاطع آيه) جمع آية مضاف لضمير القرآن وفي نسخة آياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر كلام الذي يقف عليه القارئ فيقع تاما او كافيا واسناد الوقف اليها مجازي والواقف انما هو القارئ وهو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه الى وهو معطوف على اصله (وانتهت فواصل كلماته اليه) وفي بعض النسخ ووقفت مقاطع آيه عليه والفواصل جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بتقدير مضاف الخ قالوا لا يقال في القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت آياته (ولم يوجد) اى لم يسمع كلام بليغ (قبله ولا بعده نظير له) يماثله في بلاغته وعلو مرتبته وغرابة اسلوبه (ولا استطاع) وقدر (احد مماثلة شيء منه) بان يأتي بكلام ما يشبهه في الجزالة والبلاغة (بل حارت فيه عقولهم) فوقعوا في الحيرة فالعناد يمنعهم من الاعتراف

وظهور اعجازه بكذبهم فى قولهم انه مفترى اوسحر او نحوه مما لايقبله الطبع (وتدلهت به دونه احلامهم) بفتح الدال المهملة واللام المشددة اى دهشت وتحيرت فى شانه فهو مما قبله وفى نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا والاحسن ان يقصر التدله بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقى من حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته كما فى قوله تعالى* لاتتخذوا بطانة من دونكم * والاحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر يعنى ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو اقل منه فكيف به (ولم يهتدوا الى مثله) اى لم يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشئ يماثله او يقرب منه (فى حسن كلامهم) الذى يقدرون عليه ويقى به قواهم البشرية (من نثر) كالخطب والرسائل (اونظم) من القصائد والنشد (اوسجع) وهو الكلام المقفى غير المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من النثر ويطلق على الاتيان به ونفس التوافق الواقع فيه (اورجز) وهونوع من الشعر معروف واورده بالذكر مع دخوله فى النظم لانه خلافه فى عدم التزامهم رويا واحدا فعدنوعا مستقلا من الكلام افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمى قائله راجزا لاشاعرا (اوشعر) لولم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) تقدم ضبطه وانه ابوخالد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام كما مر واسم ولده خالد رضى الله تعالى عنه سيف الله (وقرأ عليه القرآن) اى اسمع الوليد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض القرآن رجاء اسلامه (رق) قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة ضد الغلظة فتجوز به عن الملاءمة والميل كما قال ابن سعيد المغربى

* قد طال شوقى الى ثغور * ملاءى من الشهد والرحيق *
* عنها احدثت الذى تراه * يعذب من شعرى الرقيق *

(فجاء ابوجهل) لعنه الله تعالى لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام (منكرا عليه) ميله له واستحسانه لما قرأه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وهو حال من فاعل جاء (فقال) الوليد رد الانكار ابى جهل عليه (والله مامنكم) يامعشر قريش (احد اعلم بالاشعار منى) انكارا لقولهم انه شاعر (والله مايشبه الذى يقوله) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن (شيئا من هذا) الشعر الذى ينشد واشار اليه بالقرب لشهرته وحضوره فى الذهن كالشاهد المحسوس (وفى خبره الآخر) اى فى خبر آخر عن الوليد رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما (حين جمع) الوليد (قريش) يعنى اشرافهم ورؤساؤهم (عند حضور الموسم) مفعل من الوسم وهو العلامة

والمراد موسم الحاج وهو زمان احتجاجهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره مجئ زمانه او مجئ اهله ولما كان يجتمع فيه جميع قبائل العرب من كل فج خشى ان يسمعوا باثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيدعوه فجمعهم وحدهم ليتشاوروا ويروا رأيا فيما يصد الناس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما اشار الى بيان ذلك بقوله (وقال ان وفود العرب) جمع وفد وهم الناس الجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف (ترد) اى يقدمون من غير البلاد واصل الورود الذهاب للماء (فاجمعوا فيه) اى فى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وامره اى دبروا وتداركوا (رأيا) اى امرا يعتقدون له فائدة ونتيجة واجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال اجمعت كذا وكذا واجمعت عليه و اكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالكفر نحو فاجمعوا امركم و شركاءكم ويقال اجمع المسلمون على كذا اذا اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز ان تكون همزته همزة وصل ايضا لانه يقال جمع له رأيا ايضا وبه فسر قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اى جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قال الراغب ولا عبرة بانكار الحريرى فى الدرة لصحته كما بيناه فى شرحها (لا يكذب بعضكم بعضا) اى اتفقوا على امر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف فى شانهم (فقالوا انقول) هو (كاهن) وهو الذى يخبر عن المغيبات ويدعى معرفة الاسرار وكانوا فى العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من له جنى يخبره ويلقى اليه الاخبار ومنهم من يدعى معرفة ذلك باسباب وامور يأخذها من كلام السائل وفعله وحاله ويقال له عراف واكثرها امور ظنية تخطئ وتصيب احيانا (فقال) الوليد لهم (والله ما هو بكاهن) اى حاله لا يشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذى كانوا يلفقونه ويتفقونه وفيه اكاذيب باطلة فليس هذا رأيا مقبولا يروج عند العقلاء (ما هو بزمزمته ولا سجعه) الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والباء للملابسة اى لبس معروفا بزمزمته او للكلام المفهوم من السياق اى وما كلامه مشبها بزمزمته والزمزمة صوت خفى لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة مرفى يحضرون بها الجن وزمزمة المجوس قراءتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول القائل فى الجنين كيف يدى من لا اكل ولا شرب و لا استهل ومثل ذلك يطل وقال هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فينا فى كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم به احيانا فلما لم يرض الوليد هذا الرأى فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قالوا نقول) هو (مجنون) اى رجل اختلط عقله فاختل كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له وهو المعروف عند الاطباء واصله من جنه

واجنه اذا ستره لاستار عقله و منه الجان والجنين (قال) الوليد رداً لرأيهم هذا (ماهو بمجنون ولابخنقة ولاوسوسة) اى لايشبه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاختناق والجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شئ يلقى فى القلب او فى السمع بصوت خفى وقد يحدث المرء به نفسه ولذا سمى حديث النفس (قالوا فنقول شاعر قال) اى الوليد (ماهو بشاعر) اى ليس كلامه بشعر ولاوزنا ولامعنى اذ الشعر مدح وهجو وتشبيب ولبس فيما سمعوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم بشئ من ذلك (قد عرفت الشعر كله) بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقوله (رجزه) هو نوع من الشعر معروف يسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجمعها اراجيز وسمى رجزا لاضطرابه فى وزنه واختلاف اوزانه واختلاف قوافيه (وهزجه) بفتحتين ومعجمتين وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسرها ولكن الذى قالوا ان اسماء البحور منقولات اصطلاحية نقلها الخليل ابن احمد فهى منقولة من الهزج لنوع مضطرب من الاغانى ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تستغنى به كان اقرب وانسب بقوله (وقريضه) لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه فى اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعول بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطع نوعا مخصوصا من الكلام لعرض له فالظاهر ان المراد به مايقابل القصائد و هى المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه وفى العرف معرفة محاسن الشعر وقبحه (ومبسوطه) اى مطولات قصائده مطلقا المقابلة لماقبله فيتناول جميع انواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن فسره ببحر البسيط وقال زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله (ومقبوضه) فقد تكلف مالادليل عليه وكان المراد بمقبوضه مختصر اوزانه المسمى فى العروض بالمجزو والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف ثانى السبب الخفيف الذى هو خامس مفاعيلن الذى حذفت ياؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح احدثه المولدون لاتعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله لانه توكيد لايصح البدل منه لا لانه لايقع مفعولا كما توهم (قالوا فنقول) هو (ساحر قال) اى الوليد (ماهو بساحر) اى انكره لمايعلمه من ان الساحر هو الذى يستعين على ما يأتى من خارق العادة بامر علوى او بعزائم يسحر بها الجن او بطلسمات يستخرج بها السفلى بالعلوى والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولذا قال (ولانفثه ولاعقده) بفتح العين المهملة وسكون القاف او بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد حبال او شعر مضفور ونحوه كما يعرفه السحرة مما يؤثر امورا خارقة للعادة فى الخارج عنه وكنى به عن انه ليس عمل ممايعمله

السحرة فقد تربى صلى الله تعالى عليه وسلم بين اظهرهم ولم يراحد منه ذلك ولذا
حط أهم الوليد في وصفهم له صلى الله تعالى عليه وسلم و بين لهم ان تدبيرهم الباطل
لا يروح على عاقل كما قيل * يا سطوة الله حلى عقد ما ربطوا * وشتى شمل
اقوام بنا احتلطوا * * الله اكبر سيف الله قاطعهم * وكلما قد علوا في ذمهم
هبطوا * (قالوا فما نقول) بالنون اوبالمثناة الفوقية اى نحن اوانت ياوليد وما رأيك
(قال ما انتم بقائلين من هذا) اى من مثل هذه الاراء (شيئا) في حقه (الا وانا
اعرف انه باطل) ليس بمقبول عندي ولا عند العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير
لتقوية الحكم لانه يقدم لتقوية الكلام اوللحصر لتعسفه اعتقاد بعض جهلهم
فيه والجملة حالية مستثناة يجوز اقترانها بالواو وعدمه (وان اقرب القول) في حقه
وان كان مفتري (انه ساحر) بفتح الهمزة وكسرها كما في كل ما وقع بعد افعل
تفضيل مضاف للقول على ابدال المصدر خبرات والجملة المحكية والا تحتاج الرابط لانها
على المبتدأ هنا وهذا رجل عاقل ختم الله تعالى على قلبه وسمعه ونسجت عناكب
الضلالة على بصيره ثم بين وجه اقربيته بحسب النظرة الحمق بقوله (فانه سحر) اى
كالسحر ووجه المشابهة انه (يفرق بين المرء وابنه) بالباء الموحدة والنون اوالياء
المثناة التحتية ومعناهما ظاهر (والمرء واخيه) وفي نسخة بين المرء وابيه واخيه
(والمرء وزوجه) اى امرأته وفيه لغتان هذه وزوجته بتاء التأنيث (والمرء وعشيرته)
اى اقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك
ماعداه لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان مشاهدا في الصحابة رضي الله تعالى
عنهم ومنهم من ترك ملكه كسير زين النجاشي كما في سيرة ابن هشام والتوفيق بين
هذا و بين ما حكاه الزمخشري عن الوليد هذا من انه قال لهم ماهو الاسحر امارأيتموه
يفرق بين المرء الخ وما حكاه عنه من قوله ان هذا الاسحر يؤثر كما تقدم انه اراد
ماهنا من انه كالساحر فيما ذكر لكنه ساقه في معرض الجزم وليروح عندهم او انه قال
مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما في الآية ومناسبة ماذكر لما هو بصدده
في غاية الظهور فالقول بان الانسب ان يذكر ما حكي عنه من انه قال لبني مخزوم والله قد
سمعت محمدا يقول انها تقول كلاما ماهو ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه
لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما تقدم ولا وجه له (فتفرقوا) من المجلس الذي
جمعهم للمشاورة فيه (وجلسوا على السبل) بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليخبروا
الوافدين بما قالوه حتى لايتبعوه صلى الله تعالى عليه وسلم و (يحذرون الناس) منه
حتى لايصدقوه فيقولون لكل من رأوه محمد شانه كذا وكذا فاحذروه لايفتنكم عن
دينكم والجملة الاولى معطوفة اوحالية بتقدير قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما
حالان متداخلتان فقالوا ذلك لكل من قدم للحج ففشا امره صلى الله تعالى عليه

وسلم فى قبائل العرب وخشى ابوطالب من ذلك ومن تعييب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لآلهتهم وسبها ان يقع منهم مايحرضهم على ضرره فقال فى قصيدته اللامية الطويلة المشهورة يمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن حاله وماهو عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها فمنها قوله

*لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد * واخوته دأب المحب المواصل *

الى آخرها ولولا خوف الاطالة اوردتها لما فيه من مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان حقيقته وتقييده بحميته (فانزل الله فى الوليد) وقصته المذكورة التى هى سبب النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله تعالى له (ذرنى ومن خلقت وحيدا الآيات) اى دعنى معه فاناا كفيه من كيد اعدائه وان كان وحيدا منفردا عن اهله وعشيرته لم يكن لهم له اولا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الاسحر يؤثر ان هذا الاقول البشر * والكلام على هذه الآيات مفصل فى التفسير والمقام لايسعه (وقال عتبة بن ربيعة) بن عبد شمس ابن عبد مناف والد هند ام معاوية رضى الله تعالى عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر كافرا (حين سمع القرآن ياقوم لقد علمتم انى لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته) هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة لقراءته بعضها وانه قرأ القصص السالفة وقال الشعر وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره بمراد اذ لايمكن لمثل ماادعاه (والله لقد سمعت قولا) يعنى به القرآن العظيم الذى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتلوه (والله ماسمعت مثله قط) هو للاستغراق فى الماضى (ماهو بالشعر) الباء زائدة اى ليس بشعر ولا يشبهه كما مر (ولا بالسحر ولا بالكهانة) اى ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن فى قائله شئ من اعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقسامة كما قاله السريسى فى شرح المقامات (وقال النضر) بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن (ابن الحارث) ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذى قتله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة فى السير (نحوه) اى مثل ماقاله عتبة والوليد فى اعترافه بالقرآن وانه لايشبه كلام البشر (وفى حديث اسلام ابى ذر) الغفارى الصحابى رضى الله تعالى عنه وهو جندب بن جنادة كما مر وغفارة قبيلة من العرب مشهورة وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقى فى دلائل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة

وكذا كان يقول كنت رابع الاسلام وقوله (ووصف اخاه انيسا) بالتصغير ووصف
ماض والجملة حالية بتقدير قد (فقال) تفسير لوصفه المذكور (والله ماسمعت باشعر
من اخى انيس لقد ناقض) بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو
هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام لمعنى لايمكن اجتماعه
مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب
نقايض الشعر فى الجاهلية انه اذا قال احدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم
على قوم غيره اوذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ونقيض حسبه وآله فيعارضه غيره
بشعر يذكر فيه ضد ما قاله فيسمى ذلك مناقضة ويقال للقصائد نقايض ومنه
نقايض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفى الاساس
يقال فى كلامه تناقض وهذا مناقضه ونقيضه وتنقيضه وتناقض القولان
والشاعران وناقض احدهما الآخر يقول قصيدة فينقض صاحبه عليه وهذه
القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقايض ومنه نقايض جرير والفرزدق
انتهى وفسره فى الشرح الجديد بما فى النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البناء
وهو هدمه اى ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى
وهو تفسير لايفى بالمقصود لما عرفته (اثنا عشر شاعرا فى الجاهلية) اى عارضهم
فى قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على
انشائه وزمان الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيدا لماسيأتى
من انكاره عليهم فى قولهم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر (انا احدهم)
ذكره اعترافا بقوة شاعريته (وانه) اى اخاه انيسا (انطلق الى مكة) اى ذهب اليها
بعد ما كان فى غنم لهما ترعى فقال لاخيه ان لى صاحبا بمكة فاكفنى امر الغنم حتى
آتيك فانطلق حتى اتى مكة فابطأ على ابى ذر ثم اتاه فقال ما حبسك قال رأيت رجلا
يزعم انه على دينك الى آخر القصة التى ذكرها البيهقى واشار الى بعض منها المصنف
بقوله (وجاء بخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى) اخيه (ابى ذر) وكان اسلم بمكة
قبل اخيه واسلم اخوه بعده فهما صحابيان (قلت) له بعد ما اخبرنى (ما يقول الناس)
فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) يقولون (شاعر كاهن ساحر) اى بعضهم
يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الى بطلان ما قالوه بقوله (لقد سمعت
قول الكهنة) جمع كاهن مثل كاتب وكتبة (فما هو) اى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم اوكلامه ملتبس (بقولهم ولقد وضعته) بالضاد المعجمة المفتوحة والعين المهملة
الساكنة اى وضعت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (على اقراء الشعر) يعنى انه
قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه مايشبهه وهو مجاز من قولهم وضع النعل
على النعل اى طابقه به لينظر هل هو مساو له والاقراء بفتح الهمزة والمد جمع قلة اريد
به الكثرة هنا قال فى القاموس من اقرأ الشعر انواعه وانحاؤه اى امثاله فهو جمع قرء

بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وانواعه وتجوزه وقال الزمخشري انه قوافيه التي يختم بها كاقراء الطهر التي ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع آياته وحدودها (فلم يلتئم) بالهمز من الملايمة اى لم اره متناسبا ولا موافقا لفظا ولا معنى واين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لاتكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا في مدح النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم واما الهجاء فينبغي ان لا يختلف في عدم كتابتها فيه كما قاله التلمساني (ومايلتئم) اي يتيسر و يتفق (على لسان احد بعدي انه شعر) بفتح همزة انه اى لايتم لاحد غيري ان يقول انه شعر لانه ليس احد اعلم بالشعر واقدر عليه مني فلو امكن لاحد ان ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلت فحيث لم يتيسر لي لايتيسر لغيري والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا اعقبه بقوله (وانه) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لصادق) في قوله انه كلام معجز من عند الله (وانهم) اى الكفرة (لكاذبون) في جميع ماقالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل انت كاف حتى انطلق فانظر قال نعم وكن على حذر من اهل مكة فا نطلقت حتى اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذي تدعونه الصابي فاشار اليه فمال علي اهل الوادي يرجمونني حتى خررت مغشيا علي ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة ومالي طعام الا ماء زمزم فسمنت وما وجدت جوعا فبينما انا في ليلة و امرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رأياني ولتا وانطلقتا فاستقبلهما ابو بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هابطين من الجبل فقالا ما لكما قالتا صابي بين الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و ابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام وكنت اول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله و بركاته فمن انت قلت من غفار فرفع رأسه ثم قال متى كنت ههنا قلت منذ ثلاثين ليلة و يوم قال ماكان طعامك قلت ماكان لي طعام الاماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال ابو بكر يارسول الله ايذن لي في طعامه الليلة فانطلقت معهما حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يفيض لي من زبيب الطائف فكان ذلك اول طعام اكلت بمكة ثم اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني وجهت الارض ذات نخل ما احسبها الا يثرب فهل انت تبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك و يواجرك فانطلقت حتى اتيت اخي انيسا فقال لي ما صنعت قلت اسلمت فقال ما بي رغبة عن دينك فاني اسلمت وصدقت ثم اتيت امي فقالت مثله ثم احتملت واتيت قومي فاسلم نصفهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

المدينة وكان يؤمنا حناف وهو سيد قوما فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة اسلم بقية قومي وجاءت اسلم فقالوا يارسول الله نسلم على الذى اسلم عليه احوا ننا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار (والاخبار في هذا) الذى ذكر من اعتراف البلغاء باعجازه وانقياد من هداه الله تعالى منهم للايمان به (صحيحة كثيرة) مع اختلاف انواعها ورواياتها (والاعجاز) لجميع الخلق بتعجيزهم عن الاتيان بمثله (بكل واحد من النوعين) الذين ذكرهما والنوع الاول منهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اشارة الى قوله فى اول هذا الفصل اولها حسن تأليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه فى اعلا طبقات البلاغة والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية معان ووجوه يقتضيها المقام وتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر منها والنوع الثانى ما اشار اليه بقوله (او الاسلوب الغريب بذاته) يعنى كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور فانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب فان وقع فيه من غير تكلف سجع احيانا ونظم حتى ذهب الخطيب فى تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات واشعارها التى تقع فى اثناء الانشاء نادرا ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان فى النوعين تداخلا اذا لم يتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ما ذكره مما لا طائل تحته (اذ كل واحد منها) بضمير الواحدة المؤنثة الراجع للبلاغة وفى نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين وقيل الاولى اولى وكل مبتدأ خبره (نوع اعجاز على التحقيق) غير محتاج الى الآخر ثم بين اعجازه بقوله (لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منها) وفى نسخة منهما كما تقدم (خارج عن قدرتها) لانه (مباين) اى مخالف (لفصاحتها وكلامها) لما فيه من وجوه البلاغة التى لا تحيط بها قدرهم ولم تألف طباعهم مع انسجامها وعذوبة الفاظه (والى هذا) القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف فى اثباته (ذهب غير واحد) اى جماعة كثيرة (من ائمة المحققين) لعارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعنى ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذى لا يشبه كلام البشر ولا يطيقه القوى والقدر مع انه بلغتهم وكلماتهم التى يعرفونها كما قيل فى معنى الحروف فى اوائل السور نحو الم والمر يعنى انه كلام مركب من هذه الحروف التى تركب منها كلامهم فلم يأتوا بمثله (وذهب بعض المقتدى بهم) اسم مفعول بوزن مصطفى (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب) لا بكل واحد منهما وحده (واتى على ذلك) القول الذى

اختاره وضمن اتى معنى استدل فعداه بعلى (بقول مجمه) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اى ترميه ولايعتد به (الاسماع) بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية تسبيه الاذن الفم و الكلام بالماء فى الرقة والعذوبة وتريد الحرارة كما قال بعض اهل العصر

* يكاد من عذوبة الالفاظ * تشرب ه مسامع الحفاظ *

وقال العزى * وتعبير المعتاد يحسن بعضه * فلو ورد خد بالانوف يقبل *

(وتفرعنه القلوب) من النفار وهو الذهاب بسرعة فكان القلوب تهرب منه لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قول ضعيف مردود ولذا قال فى الاول انه قول الائمة المحققين واسلاف المقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول بالصرفة (والصحيح ماقدمناه) من ان كل واحد منهما وجه فى الاعجاز كاف فيه (والعلم بهذا كله) اى العلم باعجازه وبلاغته واساليبه العجيبة على ان القولين (ضرورة وقطعا) بنصبهما اى من سمعه قطع بما عنده من العلم الضرورى فى انه اعلى طبقات الكلام او هو مما يدرك بالذوق ولايدرك الوصف كالملاحة والطريق له تتبع كلام البلغاء وخدمة علم البلاغة الذى يورثه علما ضروريا ولذا قال (ومن تقدم فى علوم البلاغة) اى عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها فى طرقها المختلفة فى الوضوح وانواع محاسنها البديعة وهو من علمى المعانى والبيان وتوابعهما (وارهف) اى سن وحدد ودقق من قولهم ارهف السيف فهو مرهف اذا سنه ودق فى حده (خاطره ولسانه) اى فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذى يخطر على قلب الذى هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم و العقل فارهافه ممارسته حتى يتمكن من علمه و اللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون فى سرعة نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله (ادب هذه الصناعة) اى صناعة البلاغة وعلم المعانى والبيان وادب بوزن طلب يكون بمعنى الظرف والحسن والعلم يقال ادبه فاحسن تأديبه اى علمه واصله من المأدبة وهو الطعام الذى يدعى له كما قيل الادب مأدبة ما لاحد منها مأدبة ويصح ارادة كل واحد هنا واقربها الاخير واما اطلاق الادب على علمى النظم والنثر فمولد وان قرب من معناه الاصلى واصل الصناعة معرفة مايزاول بالجوارح كالخياطة ثم شاع فى معنى العلم (لم يخف عليه ماقلنا) اى جميع ماتقدم وان كلا منهما نوع مستقل (وقد اختلف اهل السنة فى وجه عجزهم عنه) اى فى سببه ومنشأه بوجه عجز الفصحاء عن معارضته (فاكثرهم يقول) اى قال وعبر به لحكاية الحال الماضية حتى كانها حاضرة (انه) وجه اعجازه ما ش (مما جمع فى قوة جزالته) الجزالة الغلظة

والصلابة والقوة يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزيل فاستعيرها لاحكام نظمه وعدم ركاكته واضاف اليه القوة اشارة الى انه في اعلى مراتب الاحكام حتى لا يتطرق اليه خلل اصلا ولا يختلف نظمه و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا و لا حاجة لتفسيره بالقوة و يقال للقوة قوة و يصح اضافتها اليها (و نصاعة الفاظه) بفتح النون والصاد والعين المهملتين اى وضوحها و خلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضاء الجزل اى القاطع للشك ونصاعته باضافه وهو تكلف لا داعى اليه وكونه اشارة الى المحسنات البديعة لا وجه له (و حسن نظمه وايجازه) لسلاسته وانسجامه (و بديع تأليفه) وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية (واسلوبه) طريق بلاغته اى لا يسلكها كلام غيره وقوله مما جمع مقدم من تأخير متعلق بقوله (لا يصح ان يكون في مقدور البشر) مقدور اسم مفعول و مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة اى لا يمكنهم القدرة على مثله لما جعد مما لا تطيقه قدرتهم (وانه من باب الخوارق) اى جنسها و نوعها يقال هذا من باب هذا وبابته اى من جنسه (الممتنعة عن اقدار الخلق عليها) اى التي لا يقدرون عليها كأنها امتنعت منهم وابت منها وعنهم وهو من بليغ الكلام (كاحياء الموتى) بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم (وقلب العصا حية) كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وسيفا حديدا كما وقع لنبينا واطلقه المصنف رحمه الله تعالى ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هو المناسب لقوله (وتسبيح الحصا) في كفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ثبت في معجزاته ثم ذكر مذهبا آخر فقال (وذهب الشيخ ابو الحسن) الاشعرى امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته (الى انه) اى القرآن المعجز (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) اى انه فرد من افراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج في جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو تجوز معروف (و يقدرهم الله عليه) عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال (و لكنه لم يكن هذا) فيما مضى (ولا يكون) في الحال والمستقبل (فمنعهم الله عن هذا) اى عن معارضته والاتيان بمثله وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على التكلم بمثله وعندهم بوجوه البلاغة واساليبها حالة التحدى لكن الله صرفها دواعيهم عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع و التبكيت وتكرير الطلب وهو قول النظام والاستاذ من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدى القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا ارادوا ذلك لم يقدروا عليه و تسمية التحدى صرفا بحسب ظاهر حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعرى الا انه لم يشتهر عنه وكلام المصنف محتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان

بمثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقتدار فهو الثانى وحمله بعضهم على الثانى
وقال يحتمل ان يكون المراد بابى الحسن رجل آخر غير الاشعرى ولا حاجة لمثله من
التكلف (وعلى الطريقين) بل الطرق من اعجازه ببلاغته واسلوبه والصرفة
(فعجز العرب عنه ثابت) محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم ونفخ عنادهم
لاطفاء نوره وماراده الا اشتعالا واضاءة (واقامة الحجة عليهم) بتكليفهم باقل قليل
منه (بما يصح) اى يمكن وينبغى فانه ورد بهذا المعنى فى اللغة (ان يكون فى مقدورهم)
على مذهب الاشعرى (وتحديهم) مصدر مضاف لمفعوله اى طلب النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم من العرب الفصحاء (ان يأتوا بمثله) اى مثل القرآن فى البلاغة
وعجز العرب مبتدأ خبره ثابت واقامة مبتدأ خبره (قاطع) بعجزهم عما لاريب فيه
(وهو) اى ما ذكر او التحدى بما هو مقدورهم (ابلغ فى التعجيز) بغيره مما لا يقدرون
كاحياء الموتى (واحرى) افعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى احق واولى
(بالتقريع) وهو التوبيخ والتعنيف من القرع بالعصا وهو الضرب (والاحتجاج بمجئ
بشر مثلهم) من جنسهم واهل لغتهم (بشئ ليس من قدرة البشر لازم) على القول
الاول من اعجازه بذاته وصورته (وهو) اى المذكور من عدم قدرتهم (ابهر آية)
اى اظهرها واغلبها لسائر الآيات الباهرة لارتفاع شانه وعلوه فى مرتبة لايدانيها
كلام بليغ كما مر تفصيله (واقمع دلالة) بالنصب على التمييز والجر على الاضافة
والدلالة بكسر الدال مصدر او بمعنى الدليل واقمع من قمعه اذا قهره وردعه واذله
بعجزهم عن معارضته (وعلى كل حال) من الاحوال السابقة اى سواء قلنا بانه معجز
ببلاغته او بالصرف عن معارضته فقد عجزوا (فما اتوا فى ذلك بمقال) اى لم يسمع
منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع (بل صبروا على الجلاء)
بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والاهل (والقتل) لفرط عنادهم وعدم انقيادهم
(وتجرعوا) اى شربوا جرعة بعد جرعة (كاسات) جمع كأس وهى ما يشرب به
الخمر ونفس الخمر (الصغار والذل) بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف
تفسيرى وفيه استعارة تصريحية او مكنية اى صبروا على التحقير والاهانة وتجرعوا
غصصها (وكانوا من شموخ الانف) بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع انف
كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين
المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد (واباءة
الضيم) بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر ابى اذا امتنع مما يكرهه والضيم
الذل والتحقير (بحيث لا يؤثرون) بالمثلثة اى لا يرضون (ذلك) اى الذل والضيم
(اختيارا) اى باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم (ولا يرضونه الا اضطرارا) اى
قسرا والجاء عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز او المفعول المطلق (والا)

مركب من ان الشرطية ولا النافية اى وان لم يكن الامر كما ذكر (فالمعارضة) للقرآن بالاتيان بمماثله (لوكانت من قدرتهم) بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة اى لوكانت المعارضة مقدورة لهم (والسعل بها اهون عليهم) جملة حالية اى استعالهم بمعارضته اسهل عليهم من الصبر على ماذكر (واسرع بالنجح) بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم (وقطع العذر) اى قطع ما اعتذروا به من عدم المعارضة من الاعذار الفاسدة (وافحام الخصم) اى اسكاته عما قرعهم به (لديهم) اى عندهم وهو متعلق بجميع ما قبله من اسرع واهون وقطع وافحام (وهم من لهم قدرة) تمييز والجملة حالية ولبس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلفه وهم مبتدأ اول ومن استفهامية وهم الثانى خبره او بالعكس على المذهبين والجملة خبرهم اى وهم اى شئ هم اى هم امر عظيم لايقدر قدره ولايعلم كنهه وهو من ابلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وهو مشهور كما فى كلام العرب والعجم وقد يقال بدون من اى هم القوم المعروفون بالبلاغة وشهامة النفس واباءة الضيم الذين لايعادلهم فيه احد فما هيك بما اوقعهم فى حضيض الذل ومزقهم الصبا والدبور ايدى سبا (على الكلام) متعلق بقدرة (وقدوة) اى مقتدى بهم وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة (فى المعرفة به) اى بمعرفة الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفاء قريحتهم (لجميع الانام) متعلق بقدوة واتى به للقافية اى هم فى كل ذلك ثمة مقتدى بهم لاتبعا لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا ثم انهم لما ذكر شتم اسهم وتكبرهم ربما توهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله (ومامنهم) احد (الا من جهد) ماض بزنة ضرب فالاستثناء مفرغ عن عام مقدر (جهده) بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه اى يجتهد فيه ويتعب نفسه كقوله تعالى لايجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ما عندهم فى الطلب فلم يقدروا على شئ منه (واستفيد ما عنده) بالدال المهملة اى استفرغ ما فى طاقته وقوته (فى اخفاء ظهوره) اى القرآن اوالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (واطفاء نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره ولوكره المشركون (فاجلوا) اى اظهروا من جلاء العروس على المنصة بزينتها لذكر البنات بعده (فى ذلك) اى ما اجتهدوا فيه وحاولوه (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والهاء فعيلة بمعنى مفعولة اى مخبأة فى ضمائرهم ومستورة تحت استار سرائرهم (من بنات سفاههم) اى كلمة يلفظون بها سميت بالبنت والسفه بالام لظهورها منها وهى استعارة مشهورة

مكنية اومصرحة (ولاتوا بنطفة) بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء وهي الماء الصافي من نطف بمعنى صب والناطف السائل والمراد القطرة القليلة وفي بعض النسخ بقطة بالقاف مقدمة على الطاء وتسمى اللؤلؤة نطفة ايضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الماء وعلى كثيره كما جاء في الحديث فجاء رجل بنطفة في اداوة وهو المراد هنا (من معين مياههم) المعين الماء الجاري ظاهرا والميم زائدة من العين وقيل انها اصلية من معن بمعنى سار في الارض ومياه جمع ماء واصله موه اي لم يقدروا على شئ مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة مرشحة اومكنية اي مع ما لهم من موارد فصاحتهم وجاري كلامهم لم يجدوا قطرة من عذب قطراته (مع طول الامد) اي اتساع زمن التحدي (وكثرة العدد) من فصحائهم (وتظاهر) اي تعاون ومساعدة (الوالد وما ولد) اي الكبير والصغير وهذا دفع للشبه وازالة الاعذار اذ لو ضاق الزمان وقل الاحوان كان لهم معذرة ما (بل ابلسوا) بالبناء للفاعل وفتح الهمزة يقال ابلس اذا آيس قيل ومنه ابليس ليأسه من رحمة الله تعالى ولو كان اسمه عزازيل ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول (فما بنسوا) بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد بتشديدها كما في قوله * ان كنت غير صائد فبنس ومعناه نطقوا قيل هو مختص بالنفي واورد البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفي المخفف فتدبر (ومنعوا) بالبناء للمجهول (فانقطعوا) عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين فابلسوا فما بنسوا يشير لعجز طاقتهم عن بلاغته ومنعوا اي منعهم الله ايماء للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لايخطر ببال عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر شاعرا في حقهم هاموا المعارضة وكيف وقد وبخوا اشد توبيخ وحقرت اصنامهم وسفهت احلامهم وقوتلوا حتى نكست اعلامهم وقد مر ما نبهنا لك عليه من اشارة المصنف رحمه الله تعالى لهذا وجوابه والاضراب لتوكيد نفي المعارضة كما يقال ما تكلم زيد بل سكت تحيرا (فهذان نوعان من اعجازه) الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه وبصورة نظمه واسلوبه ولم يلتفت الى الصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم

﴿فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز﴾ اي اعجاز القرآن الكريم بوجه آخر غير الوجهين السالفين او غير الوجوه الثلاثة (ما انطوى عليه) اي اشتمل عليه ووقع في ضمنه (من الاخبار) بكسر الهمزة مصدر (بالمغيبات) بفتح الياء المسماة التحتية المشددة جمع مغيب او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره وما سيقع بعد ذلك مما لا يعلمه الا الله والمراد هنا الثاني لان الاول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف قوله (وما لم يكن ولم يقع) ومن فسره بما كان ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل في العطف التغاير فقد خالف كلامه الآتي من جميع

التمثيل به وان كان صحيحا في نفسه لاندراجه فيها (فوجد) بعد ذلك مطابقا لخبره
ومصدقا له وعبر عنه بالماضي وان كان مستقبلا بالنسبة لناقله (على الوجه الذي اخبر
به في هذه الآية (كقوله تعالى) في سورة الفتح (لتدخلن المسجد الحرام) اللام داخلة
على جواب قسم مقدر للتأكيد والتحقيق (ان شاء الله) علقه بالمشية مع تحققه تعليما
للعباد اوتلويحا بعدم دخول بعضهم لموته اوغيبته او حكاية لما قاله ملك الرؤيا
اوالنبي صلى الله عليه وسلم (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية انه دخله مع اصحابه
واخبرهم بذلك فظنوا انه في ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم
ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما اخبر (وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم
سيغلبون) فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس بعد مدة اقل من عشرين سنة وكان كما
اخبر الله به في كتابه وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان
المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاؤلا بغلبتهم
للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم
ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية واخبر ابو بكر
رضي الله تعالى عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد
اخبر الله تعالى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له امية بن خلف كذبت فقال
بل انت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيني وبينك اجلا على عشر قلائص يأخذها
الصادق منا فراهنه على ذلك لثلاث سنين واخبر رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله قال في بضع سنين وهي
من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد
سبع سنين فاخذ القلائص ابو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق
بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما امره بالتصدق بها لانه قد علم خبثها لانها
ستحرم او شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (وقوله تعالى ليظهره
على الدين كله) هذا وعد من الله تعالى بان دين رسول الله سيظهر ويغلب سائر
الاديان وتقهر امته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما
قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تأييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة من الكثرة
في المال والجند (وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم
الآية) اي ليجعلنهم خلفاء في ارضه مالكين لها منصورين على اعدائهم وهذه
الآية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة في خلافة ابي بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه (وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها) اي الى آخر السورة وهذه

الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة تابعة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى العباس رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول وعبر بالمجيء ايماء الى ان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها مترقبة القدوم وفيه من البلاغة ما لا يخفى ثم اشار الى تفسير ما ذكر بقوله (فكان جميع هذا كما قال) الله عز وجل مطابقا لما اخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله (فغلبت الروم) وهم جيل من الناس معلومون (فارس) وهم الفرس اى قوم العجم ويطلق على بلادهم ايضا وهو لفظ معرب فان اريد الثاني قدر اهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (في بضع سنين) اى سبع سنين كامل اى في رأس سبع سنين وآخرها والرأس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول ايضا (ودخل الناس في الاسلام افواجا) اى جماعات كثيرة وفوجا بعد فوج لما اعز الله الدين ونشر اعلامه في الخافقين وهذا اشارة لما في سورة النصر السالفة (فمات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين في الارض) اى جعلهم خلفاء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده وآخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت في الذكر قبله وهذا مبني على عموم الذين آمنوا في قوله وعد الله الذين آمنوا الآية لجمع الامة وعدم اختصاصها بابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كما تقدم (ومكن فيها) اى في الارض (دينهم) وهو دين الاسلام اى جعله متمكنا قار الاركان الى يوم القيامة يقال مكنته ومكنت له فتمكن وهو في الاصل من المكان (وملكهم اياها) اى الارض لان اشرف المعمور منها في ايديهم وباقيها في انقياد لهم فهم بالقوة كالمالكين لها او انه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام الى الارض على دينه معدودا من امته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اى ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب الغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة او لشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضي المقدسة وقد وقع للادباء مفاخرة بينهما فقال محيي الدين بن سحنون * من اين للغرب فضل * الا من يتعالى * والشمس تفقد فيه * والبدر يلقى هلالا * دلائل النقص فيه * فكيف يحوي الكمالا * وقال

* فلا تبخس الشرق حقا وخذ * من الوصف فيه على ما اتفق *
* مهب الصباء ومفيد الضياء * ووجه الزمان وثغر الفلق *

وعارضه الوداعي رحمه الله تعالى فقال

* الغرب خير وعند ساكنه * امانة اوجبت تقدمه *
* والشرق من نيريه عندهم * يودع ديناره ودرهمه *
ثم انصف من قال
* حوى كل من الافقين فضلا * يقربه العبي مع النبيه *
* فهذا مطلع الانوار منه * وهذا منبع الانواء فيه *

وهذه لحذادية ونفحة مسكية احتضابها (كما قال عليه الصلوة والسلام) في حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضي الله تعالى عنه (زويت لي الارض) بزاي معجمة وواو وياء مبني للمجهول اي جمعت وطويت (فاريت) مبني للمجهول من المريد اي اراني الله (مشارقها ومغاربها) اي جميع اماكنها وابدانها (وسيبلغ ملك) بضم الميم (امتي ما زوي لي منها) وجمع بمراي عيني وماروي منها هو المشارق والمغارب السالفة وتوهم بعضهم انه غيره وان اول الحديث مخالف لآخره ثم جمع بينهما بان المراد بما روي العموم منها ومامن شانه ان يملك فكانه قال جميعها وفيه مالايخفى وقدم المصنف رحمه الله تعالى خبرالله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) ما اخبر بانه تعالى تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة (فكان كذلك) في المستقبل كما اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله اي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القرآن (لايكاد يعد) بالبناء للمجهول اي لايعد لكثرته (من سعى) اي اجتهد (في تغييره وتبديل محكمه) ويكاد بمعنى يقرب ونفي القرب من العد دابلغ من نفي العدة وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشاد المانع من تبديله وقوله (من الملحدة) بيان لمن اي من الطائفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما من سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتأويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه نقص منه بعض القرآن كما ذكره القرطبي في اول تفسيره (والمعطلة) الذين نفوا الصانع وتستروا بزي الاسلام خوفا من القتل وسعوا في نقص الدين وتزيين ما يروج على بعض العقول القاصرة (لاسيما القرامطة) هم طائفة من الملحدين ايضا قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم والطاء المهملة نسبة لطائفة خبيثة وهم من اهل هجر والحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل جد ان ابي قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام جور ذكروا آباءهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الاسلام في ايام ابي مسلم الخرساني ونقله

الخلافة المروانية وهو من الموالى وهم من اولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغي ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه حماد بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عامرا يمشي وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط في مشيه انتهى اي يقارب خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربي وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرمد فغيروه وعربوه وكان رجلا احمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية في الاصل من الكرمية وهي الحرارة وكان ظهوره في سنة ثمان وسبعين ومائتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر به وانه الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلوة ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت له وقايع وحروب ودعاة وخلفاء مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان ابن الحسن الجنائي فعاث في البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها في يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة واخذ كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب في محله وقد كان بذل لهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة خروجهم ستا وثمانين سنة وكانوا يحرفون القرآن ويتأولونه بتأويلات فاسدة لم تقبلها العقول ومابعد سيما تحور فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه (فاجمعوا كيدهم) بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القرآن (وحولهم وقوتهم) اى اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القرآن (اليوم) منصوب على الظرفية قيل بتقدير اعد اليوم او بنزع الخافض اى الى هذا اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف (بيفا) بكسر الياء المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة اى مدة تزيد (على خمسمائة عام) وهي مدة سعي هؤلاء فيما ذكر (فما قدروا) في هذه المدة الطويلة (على اطفاء شيء من نوره) تمثيل لحالهم في سعيهم في تحريف القرآن بمن اراد اطفاء نور عظيم منتشر في الآفاق (ولا على تغيير كلمة من كلامه) تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا (ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه) فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترق (والحمد لله) على هذه المنة العظيمة وهي حفظ الله تعالى لكلامه وبقاء رونق نظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة اعدائه (ومنه) اى مما اخبر به من المغيبات المعجزة (قوله) عز وجل (سيهزم الجمع ويولون الدبر) نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضي الله

تعالى عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس صلى الله
تعالى عليه وسلم درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر رضى الله
تعالى عنهما فعلمت المراد منها اى سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم
اى يجعلون المسلمين متولين على ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم
بابلغ عبارة ففيها الاعجاز لفظا ومعنى (وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية) اى
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها من الاخبار عن
الغيب ان اناسا من اليمن وبنى خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة فلقوا من
المشركين اذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال
اصبروا وابشروا بفرج قريب فنزلت هذه الآية وكان بعدها ما اوقع الله تعالى
بهم من القتل ونصرة المؤمنين التى شفيت بها صدورهم وخرابهم بالسبى والجلاء
وسلب نعمهم (وقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى الآية) ففيها اخبار بالغيب من
ظهور دينه على سائر الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية
(وقوله لن يضروكم الا اذى) اى لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن فيهم
وتهديدهم (وان يقاتلوكم الآية) اى يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاخبر انهم كلما
قاتلوا خذلوا وكانت عاقبة النصر لنا عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال
(فكان كل ذلك) اى وقع كلما اخبر الله تعالى به قبل على طبق خبره من هزيمة
جموعهم وتعذيبهم بما يشفى صدور المؤمنين واظهار دينه وتولية الدبر كل من
قاتل منهم (و) مما فى القرآن من المغيبات (ما فيه) اى القرآن (من كشف اسرار
المنافقين) اى اظهار ما اخفاه المنافقون فى قلوبهم مما لا يعلمه الا الله تعالى مما انزله
فى حقه فى سورة المنافقين (و) كشف اسرار (اليهود ومقالهم) اى اظهار
ما قالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم (وكذبهم فى حلفهم) اى كذب
المنافقين وقسمهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على مقالتهم انها صادقة
والله يعلم انهم لكاذبون كما ذكر فى سورة المنافقين ومثله كثير فى القرآن (وتقريعهم
بذلك) اى توبيخ الله تعالى لهم بسبب ما قالوه وحلفهم بايمان فاجرة ثم مثل لما ذكر
فقال (كقوله) عز وجل (ويقولون فى انفسهم) اى قول اليهود فيما بينهم وفى
خلوة تناجيهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعذبنا الله بقولنا فى حق محمد
لو كان نبيا دعاءنا عليه حتى بعذب او بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم فى حق
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين فاخبر الله تعالى بذلك وفضح سرائرهم وزاد
قوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله تعالى يخفون فى انفسهم
ما لا يبدون لك الآية) يعنى انهم يسرون فى ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا
بيان لحال المنافقين ومكرهم والذين اخذوا قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس

ولم يكن لهم هم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض فى خلوة من المؤمنين لوكان لنا من الامر شئ ما قتلنا ها هنا الآية فاعلم الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاخبرهم بماقالوه وهو من جملة المغيبات (وقوله) عز وجل (ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية) اى سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين) دعا عليهم بالصمم او بالموت اولا نسمع مادعينا اليه فاخبره الله تعالى بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم اطاعتهم وهو من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القرآن وهذا فى حق اليهود وفى الآية كلام مفصل فى التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله فى هذه الآية وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين اى بالتكذيب والاستهزاء والسخرية فهذا اخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويبرزونه فى صورة التوقير فيقولون راعنا وصفاله صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة موهمين التماس نظره ورعايته لهم مكرا منهم وليا بالسنتهم وكلامهم (وقد قال) الله تعالى حال كونه (مبينا) بالياء اى مظهرا (ما قدره الله) وقضى به (واعتقده المؤمنون) من الظفر باحدى الطائفتين العير او النفير (يوم بدر) اى فى وقعتها لان اليوم يطلق على ذلك فى قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من المغيبات التى اخبرهم بها بقوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) بدل مما قبله (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكى وشاك السلاح للرجل المستعد للحرب بالآية وهذا اخبار للمؤمنين بامر وقع فى انفسهم ودوه واحبوه وهو مغيب عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعلمه به جبريل عليه الصلاة والسلام فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بما لهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج ابو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك اخذ بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابى جهل ارجع بالناس فابى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او قتل النفير وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يودون فى انفسهم اخذ العير لما فيها من المال وقلة ماعند هم من السلاح والرجال فقدر الله تعالى انهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين (ومنه) اى من اخباره بالغيب فى كلامه المعجز (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) وهم خمسة من الكفار اوسبعة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبره

الله تعالى بهلاكهم سريعا وكفايته امرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات التي اخبر بها رسوله كالذي قبله ولذا جعلهما في قرن كما اشار اليه في سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبراني في الاوسط (فلما نزلت) هذه الاية عليه صلى الله عليه وسلم (بشر بذلك اصحابه) اى بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدتهم فاخبرهم (بان الله تعالى كفاه اياكم) باهلاكهم (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) من اهلها (ينفرون الناس عنه) صلى الله عليه وسلم بطعنهم واستهزائهم (و يؤذونه فهلكوا) وهم الاسود الزهري بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي وعدي بن قيس وقيل منهم الحارث بن عيطلة وفكيهة ابن عامر الفهري والحارث بن الطلاطلة ذكرهما الماوردي في اعلام النبوة وروى ان جبريل اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بهلاكهم وكيفيته وقد مر وابه رجلا رجلا وكيفية هلاكهم مفصل في السير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم هلكوا في ليلة واحدة والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعد ما دعا عليهم بفناء البيت فاجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وانزل عليه الاية كما قال في الهمزية

* وكفاه المستهزئين و كم ساء * نبيا من قومه استهزاء *
* فرماهم بدعوة من فنا البيت * فيها للظالمين فناء *
* خمسة كلهم اصيبوا بداء * والردا من جنوده الادواء *

(و) من الاخبار بالغيب (قوله والله يعصمك من الناس) اى يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوء وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة ومر ان هذا لا ينافي ما اصابه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد لان الآية نزلت بعدها او المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضري في خصايصه (فكان كذلك) اى محفوظا معصوما كما اخبر الله تعالى وكان هنا تامة وكذلك اى وقع ووجد كما اخبر به او ناقصة وكذلك خبرها وقوله (على كثرة من رام) اى قصد (ضره) مفعوله وفسره بقوله (وقصد قتله) اشارة الى ما تقدم عن الخيضري من ان العصمة انما هي عن القتل لا عن غيره من انواع الاذى كما مر (والاخبار بذلك معروفة صحيحة) كما في صحيح مسلم عن جابر ابن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزلت تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه

فانصرف حين علا عنه وقال والله لا اكون فى قوم هم حزب لك و مثله كثير

﴿فصل الوجه الرابع﴾ من وجوه الاعجاز القرآنية (ما انبأ به) اى ما اخبر الله به (من اخبار القرون السالفة) هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق الزمان اى اخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ اوساح فى اقطار الارض وقد عمر طويلا وكلا الامرين منتف فى حقه صلى الله عليه وسلم (والامم البائدة) الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست آثارهم (والشرائع الداثرة) بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور ورد بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التى نسيت ونسخت احكامها من دثر بثيابه اذا تلفف بها وفى تعبيره نوع من البلاغة تسمى التفنن لان السالفة والبائدة والداثرة متغايرة اللفظ متقاربة المعانى (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة) بيان لما فى قوله من اخبار على حد قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا على ما حقق فى شروح الكشاف (الا الفذ) الفذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بدال معجمة وفى الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة (من احبار اهل الكتاب) احبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصه بعلماء اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار التابعى المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذى يكتب به واليه نسب كعب المذكور وقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهرى وعن الفرا الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال الاحبار ايضا اى عالم العلماء وكذا فى تهذيب الاسماء للنووى وحينئذ فلا عبرة بقوله فى القاموس كعب الحبر بالفتح ويكسر ولا تقل كعب الاحبار (الذى قطع عمره فى تعلم ذلك) اى تعلم اخبار من سلف وشرائعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره واما من كان اميا فى امة امية لم يقارب من له علم بذلك فعلمه به واخباره مفصلا امر خارق للعادة فى حقه محال لا لذاته بل لذاته (فيورده) متفرع على قوله انبأ اى اذا اخبر به النبى فى الوحى المتلو المنزل عليه يورده اى يذكره (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) حال من الفاعل او صفة مصدر مقدر اى ايرادا كائنا على وجهه اى على اتم حال يليق به وينبغى له كما يقال در الامر على وجهه كما فى الاساس (ويأتى به على نصه) اى فى غاية مرتبة من كماله ورفعته يقال بلغ الشئ نصه اى نهايته كما فى الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه تورية لان عبارة القرآن تسمى نصا (فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه) اى من يعلم تلك الاخبار والشرائع

اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله (او ان مثله) اى مثل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او مثل هذا الكلام (لم ينله) اى لم يصل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتعليم) اى من البشر بل بوحى من الله تعالى (وقد علموا) اى علم الناس من المسلمين والمشركين (انه صلى الله تعالى عليه وسلم امى) اى لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقوله (لا يقرؤ ولا يكتب) صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا لا يكفى لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ وكتب قال (ولا يشتغل بمدارسة) اى بحفظ وتلق من الافواه (ولا مثافنة) بضم الميم وتليها مثلثة ثم الف وفاء ونون اى مداومة طلب ومجالسة تحتك فيه الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع اهل العلم بالاخبار والشرايع للتعلم منهم وهو مجاز من ثفن البعير اذا برك والثفنة ركبه التى يبرك عليها حتى يغلظ من جلد الارض كثفنته على كذا اذا اعتنه وكان يقال بن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه فى طلب العلم او لكثرة سجوده حتى يصير فى جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق لدأب المصنف فى بلاغة وما قيل من انه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رأيه اذا نفذ وذهن ثاقب وان الاول بمعنى الثفنت يد الرجل بكسر الفاء اذا غلظت من كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذى لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اميا لا يقرا والخط ولا يكتبه وانه من معجزاته ورد ما قيل انه مخصوص باول امره وانه كتب بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه بالزندقة كما مر مبسوطا غير مامرة (ولم يغب عنهم) اى لم يغب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به (ولا جهل حاله احدمنهم) من ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من اهل الكتاب (وقد كان اهل الكتاب) اى احبار اليهود والنصارى (كثيرا ما يسألونه) اى فى كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية وما مزيدة لتأكيد معنى الكثرة او هو صفة مصدر مقدر اى يسألونه (صلى الله تعالى عليه وسلم) سؤالا كثيرا (عن هذا) اى عن خبر من تقدم من الامم السالفة (فينزل عليه) عقب سؤالهم جوابا لهم (من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا) المراد بالذكر القرآن المذكر لهم (كقصص) مصدر بالفتح او جمع قصة بالكسر اى سير (الانبياء مع قومهم) فيذكره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم مفصلا بابلغ عبارة والطف اشارة (وخبر موسى والخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح اوله وكسره وهو ما قصه الله تعالى فى سورة الكهف وموسى هو بن عمران الكليم على الاصح لا نبى آخر كما يزعمه اهل الكتاب والخضر هو الياء بن ملكان على اقوال فى الاختلاف فى اسمه وقد اختلف ايضا

في نبوته ورسالته وانه هل هو حي الى الآن اومات قبل تمام المائة الاولى اوقبل زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واكثر علماء الصوفية على انه حي الى الآن الا ان الله تعالى اخفاه عنا وقد اطبق اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه وانه يحج في كل سنة ولبس في ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن يصدق ماقالوه والاكثر انه ولى لانبي ومن الغريب ماقيل انه ملك وقيل انه لايموت الا في آخر الزمان حين يرتفع القرأن وفي صحيح مسلم في حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم ابن سفيان راوي كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر في مسنده وسمي خضرا لانه اذا جلس على ارض اخضرت له اولانه اذا صلى اخضر ما حوله وفي جامع الاصول عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم انما سمي بذلك لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته وفي صحيح البخاري من حديث همام بن منبه عن ابي هريره مرفوعا انما سمي الخضر لانه جلس على فروة فاذاهي تهتز من خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة او الحشيش اليابس قال بن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابي الفروة وجه الارض انبتت واخضرت بعدان كانت جردا (ويوسف واخوته) وهي واسماء اخوته والخلاف في كونهم انبياء ام لاسيأتي مفصلا وقد كان اليهود سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عنهما فانزل الله عليه السورة (واصحاب الكهف) ومعناه المغارة لانهم وجدوا بها واختلف في مكانها ولهم اسماء يونانية اختلف في ضبطها وكانوا فروا من ملك يسمى دقيانوس وقصتهم مفصلة في التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى احبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسألوهم عن ذلك فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم عنها فهو نبي مرسل والافهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأوه وسلوه عن الروح ماهي فان لم يبينها فهو نبي مرسل على مايأتي فسألوه عن ذلك فقال اخبركم غداء ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي اياما اختلف في عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انزل الله عليه ماقصه في سورة الكهف (وذي القرنين) اختلف فيه وفي اسمه وسبب تسميته فقيل يوناني اسمه هرديس وقيل حميري اسمه الصعب بن ذي مراثد وفي خطبة لقس بن ساعدة * اين الصعب ذو القرنين * ملك الخافقين * واذل الثقلين * وعمر الفين * ثم كان كلحظة عين * وهو الاسكندر وسمي ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل لانه ضرب على قرني رأسه وقيل لذوابتين له والقرن الشعر وقيل غير ذلك (ولقمان وابنه)

وهو لقمان بن عنقاء بن مروان كان وليا صالحا قيل انه نبي و الاصح خلافه وقيل انه نوبي من اهل ايليا واسم ابيه فاران عند ابن قتيبة (واساه ذلك من الانباء والقصص) و الاخبار المذكور في القرآن عمن مضى من الامم السالفة (و بدء الخلق) اى ابتداء خلق الله للدنيا وماجرى في ذلك مما لا يطلع عليه الا من قرأ الكتب ودرسها وخلقه للسموات والارض (ومافي التورية والانجيل) من احكام الشرايع والتوحيد (والزبور وصحف ابراهيم وموسى) من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الاخبار عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ماقيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله تعالى وهو جدير بالحاقه بالاخبار بالغيب (مما صدقه فيه العلماء بها) اى الاحبار من اهل الكتاب حين ذكرلهم (ولم يقدروا على تكذيب ماذكر منها) لكونه مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره (بل اذعنوا لذلك) فاقروا به واصغوا منقادين له (فمن موفق) اسم مفعول من التوفيق اى الذين سمعوا ماقصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيته منهم من وفقه الله تعالى فهداه و (آمن) بالمد فعل ماض مفتوح الآخر (بما سبق له من خير) اى بسبب ماسبق له في علم الله الازلى وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هو احسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر سينه قبل ياء مثناة تحتية ماض مجهول ساقه اى بما ساقه الله تعالى واوصله اليه من الخير (ومن شقى معاند حاسد) اى اشقاه الله تعالى حتى حمله العناد و الحسد على عدم الانقياد لما علم حقيته كما حمل الحسد ابليس لعنه الله تعالى على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن (ومع هذا) العناد والحسد الذى اظهروه (فلم يحك) بالبناء للمجهول ونايب فاعله انه انكر الواقع بعد سطور وهو بالفاء التفريعية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ماذكر منها والمقام مقام اطناب وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لاموقع له بعد ماتقدم اى لم يذكر (عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) صلى الله عليه وسلم اى هم مع انهم اشد الناس عداوة له وعلى بمعنى مع قوله وانه لحب الخير لشديد اى على حب الخير لشديد (واحرصهم على تكذيبه) اى على شئ من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه (وطول احتجاجه) عليه الصلوة والسلام (عليهم) اى اقامة الحجة عليهم (بما في كتبهم) المنزلة على انبيائهم عليهم الصلوة والسلام (وتقريعهم) اى توبيخهم وتفضيحهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) جمع مصحف بتثليث الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب من اصحف اذا جمع على الصحف فهي بمعنى الصحف هنا (وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام) عما لا يعلمه الا من له تبحر في العلم منهم (وتعنيتهم اياه) تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اى تكليفهم بما هو شاق (عن اخبار انبيائهم) متعلق بسؤالهم

(واسرار علومهم) اى الامور الخفية الدقيقة من علومهم (ومستودعات سيرهم) اى سؤالهم عما اودع فى مصاحفهم من سير انبيائهم (واعلامه لهم بمكتوم شرايعهم) وفى نسخة بمكنون بدل مكتوم اى اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله منهم عن امور مكتومة مخفية عندهم وستروها عن غيرهم (ومضمنات كتبهم) اى ما تضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها (مثل سؤالهم عن الروح) فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم نبه (وذى القرنين واصحاب الكهف وعيسى) لما قال علماء اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبى وان اجاب عن الاولين وسكت عن الروح ووكل علمها الى الله فانه كذلك فى التورية فهو نبى مرسل (وحكم الرجم) اى سؤلهم له صلى الله تعالى عليه وسلم عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى انكروه فبينه لهم صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى التورية (وماحرم اسرائيل على نفسه) اسرائيل هو يعقوب عليه الصلوة والسلام ومعناه صفوة الله وكان اليهود سألوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها ولعرق وما فيه عرق فصدقوه لانه كان سكن البدو حوفا من اخيه العيص ثم بدا له ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر اولاده واعزم عليه فلما سار قرب منه بعث الله ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النساء حتى كان من جعه ما كان وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النساء وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح و يعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلوة والسلام ودفنه عند ابيه بوصية منه (و) سألوه ايضا عن (ماحرم عليهم) اى على بنى اسرائيل (من الانعام ومن الطيبات) من المأكل (كانت احلت لهم) اى جعلها الله حلالا لهم (فحرمت عليهم بغيهم) اى حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية فحرم الله تعالى عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الاما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله بغيهم اى بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيئا فنزلت هذه الآيات تكذيبهم حتى افتضحوا وادعوا (و) مثل (قوله) تعالى (ذلك مثلهم فى التورية ومثلهم فى الانجيل الآية) الاشارة الى قوله تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود كزرع اخرج شطأه الى آخر ما ذكره فى سورة الفتح فاخبرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم

بما فى كتبهم (وغير ذلك من امورهم التى نزل بها القرآن) مما لا يعلمه الا بوحى (فاجابهم) عما سألوه (وعرفهم) بما كتموه (بما اوحى اليه من ذلك) السابق ذكره كله (ان انكر ذلك او كذبه) بفتح همزة ان و المصدر المسبوك منها ومما دخلت عليه نائب فاعل لم يحك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقى فقال (بل اكثرهم صرح) اى تكلم بكلام صريح ناطق (بصحة نبوته) اى قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صادق فى دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة (وصدق مقالته) اى صدق كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل ومقالته مجرور او فعل ماض مشدد الدال ومقالته منصوب مفعوله (واعترف بعناده وحسده اياه) فاقر بان جحده لما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده رعاية لافراد لفظ اكثر وروى بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعل ماض لقوله اياه فانه يأباه (كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل الف ونون وهم قوم من نصارى نجران العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة سموا بنجران بن زيد بن سبأ وسيأتى الكلام عليهم (وابن صوريا) بضم الصاد وراء مهملتين وواو ساكنة قبل الراء ومثناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو عبد الله بن صوريا وهو حبر من احبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذى وضع يده على آية الرجم وهو لفظ عبرانى واختلف فى اسلامه فقيل انه اسلم وقيل مات على كفره (وابنى اخطب) تثنية ابن واخطب بزنة فعل التفضيل بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيى بضم الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية يليها ياء مشددة وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيى هذا ابو صفية ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها قالت كان عمى ابو ياسر احسن رأيا من ابى كان يقول الست تجده فى كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما فى نفسك منه فيقول معاداته (وغيرهم) من احبار اليهود والنصارى (ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة) اى لم يقر بحقية ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه يقال بهته وباهته اذا كذب به ونسبه للبهتان * ومكر طيب المسك كذب به الشذاء * وقوله بعض المباهتة اى فى بعض اموره التى يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من احواله صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يمكن انكاره من احد من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته كذا وباهته كما فى الاساس ومن انكره فقد اتى ببهتان من عنده (وادعى ان فيما عندهم) من كتبهم (من ذلك لما حكاه) متعلق بقوله (مخالفة) بالنصب اسم ان ومن الموصولة فى قوله ومن باهت مبتدأ خبره (دعى) بالبناء للمجهول اى دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باذن ربه (الى اقامة حجته) اى الى دليل بالاتيان بنص من كتبهم

يخلف ما اخبرهم به (وكسف دعوته) اى بيان ما ادعاه (فقيل له) اى قال الله له صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم (فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون) يعنى قوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تأكل لحم الابل والبانها وذلك يحرم فى شرعه وقال ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فامروا باحضار التورية حتى يتلى مافيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم اتوا برجل وامرأة زنيا فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نجممهما ونضربهما فبين لهم ان الذى فى التورية رجمهما فانكروه فقال لهم كذبتم ائتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بها و قرؤا حكم الزنى فيها فوضع القارى يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها ومابعدها فانتزعت من يده فوجد فيها الرجم صريحا (فقرع ووبخ) اى قرعهم و عيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتأويلا وجعلهم ظالمين (ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو امرهم بالاتيان بالتورية وهى حاضرة بين ايديهم فصاروا قسمين (فمن معترف بما جحده) وانكره من احكام التورية (ومن متواقح) بضم الميم والمثناة فوقية مفتوحة وقاف مكسورة وحاء مهملة اى متكلف للوقاحة وهى قلة الحياء وصلابة الوجه حتى لايبالى بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذى وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا اعور كما اشار اليه بقوله (يلقى على فضيحته) اى ما به فضيحته ويجعله سخرة بين الناس (من كتابه) اى من الكتاب الذى معه (يده) اى يضعها عليه وعلى الآية التى فيها ما يخالف دعواه ويكذبه (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله فلم يحك المتقدم ونائب فاعله (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتابين (اظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتبه) اى من الكتب التى عندهم مما انزل على انبيائهم (ولا ابدى) اى اظهر نقلا (صحيحا ولا سقيما) اى مخرما للعطف او ما ولا معناه (من صحفه) جمع صحيفة وهى الكتاب (قال الله تعالى) بيانا لما كانوا عليه فى هذا الامر (يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وشانه (ويعفو عن كثير) لحلمه و ستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله (الآيتين) وهما قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

﴿ فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة ﴾ فى غاية الظهور (لانزاع فيها) اى

لا يستريح احد من العقلاء فى كونها ثابتة معجزة (ولا مرية) بكسر الميم وضمها كأمر بمعنى شبهة وشك فى ذلك وهى عامة فى جميع الآيات وفى جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال الله تعالى ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة (آى) جمع آية واسم جنس جمعى كتمر وتمرة وليس كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعى كما فصله البدر بن مالك فى باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدأ ومقطع كما مر (وردت بتعجيز قوم) اى جاء فيها اظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس (فى قضايا) جمع قضية وهى الحادثة لوقوعها فى حكم قضاء الله تعالى وقدر (واعلامهم انهم لا يفعلونها) لاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تعجيز والضمير للقضايا (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) المذكور من تلك القضايا وبقى القدر مما لم يقع من العلم (كقوله) عز وجل (لليهود) لما ادعوا دعاوى باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكذبهم والزمهم الحجة فقال خطابا له صلى الله عليه وسلم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) وهى الجنة (عند الله خالصة) اى خاصة لكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب (من دون الناس) اى باقيهم من المؤمنين وغيرهم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فى قولكم انكم من اهل الجنة وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب التخلص من هذه الدار واكدارها ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه (ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم) فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا وما قدمته ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة فا فى هذه الآية من المعجزات لانه اخبار بالغيب وهو كما اخبر اذ لو تمناه احد منهم مع توفر الدواعى على نقله اشتهر والتمنى وان كان من اعمال القلب الخفية لكنه يأتى فالنطق به وقولهم تمنيا مما لا يخفى ولو تمنوه ماتوا فهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه وقد صرفهم الله تعالى عن ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المصنف هنا بان ما ذكره هنا داخل فى الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل فى النوع المتقدم لانه اخبار عما استأثر الله بعلمه فى المستقبل فجعله ادنى منه غير مسلم وقد سوى بينهما فى الكشاف والجواب عنه ان ما تقدم امر معجز فى نفسه فى سائر الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول احدهم ليتنى اموت ونحوه امر ممكن لهم ولغيرهم والاعجاز انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما قبله وادنى منه بمرتبة (قال ابو اسحق الزجاج) فى تفسيره المسمى بمعانى القرآن وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشرى فى كشافه وهو واحد كما مر وهو العلامة

في فنون العربية التي تلقاها عن المبرد واسمه ابراهيم بن السري بن سهل بن الزجاج له سنة تصنيفه توفي سنة احدى عشر وثلثمائة يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة كما تقدم (في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة) اى رسالة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لانه قال فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم) وفي نسخة احد منهم وفي الكشاف فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لايطلع عليه احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوه قلت ليس التمني من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفي حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمني ليس من اعمال القلوب لان التحدي انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدي انما يكون لاظهار المعجز لالزام من لم يقبل الدعوى والتمني ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لي ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدي هنا بطلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لايكون الا بامر ظاهر وهو كلام حسن معه قول من لم يصل الى المنقول وعن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث روى البيهقي من طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بهذا اللفظ الاتي واحمد في مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (والذي نفسي بيده) اقسم بالله قسما مناسبا للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فيحيي وان شاء امسكها فيموت وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يقسم به (لايقولها) اى كلمة التمني المفهومة من السياق (رجل منهم) اى واحد من بني اسرائيل والرجل على ظاهره والمراد مايعم المرأة (الاغص بريقه) غص بضم العين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولاينافي الاول كونه لازما كما توهم والغصة مايقف في الحلق فيمنع النفس حتى تهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب وشجي بالعظم وجرض بالريق وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما في النهاية واليه اشار الى بقوله (يعني يموت مكانه) اى في مكانه الذي غص فيه فلا يمهل لانتقاله لفراشه (فصرفهم الله عن تمنيه) مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت (وجزعهم) بفتح الجيم وتشديد الزاى المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفي نسخة في جزعهم وكونه جزعهم براء مهملة غلط (ليظهر صدق رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (وصحة ما اوحي اليه) ثم بينه بقوله (اذلم يتمنه احد منهم) لخوف الموت

ليتيقن صدق خبره (وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا) على تكذيبه بان تمنوا ولا يموتوا والجملة حالية بتقدير قد (ولكن الله) بالتخفيف والتشديد (يفعل ما يريد) من تمنيهم وعدمه (فظهر بذلك) اى بصرفهم عما هم احرص عليه (معجزته وبانت حجته) بصدق خبره عن الغيب (قال ابو محمد الاصيلي) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (من اعجب امرهم) اى اليهود (انه) الضمير للشان (لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم) اى من حين (امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم) بقوله قل لهم فتمنوا الموت (يقدم عليه) اى على تمنى الموت (ولا يجيب اليه) الى قوله تمنوا الموت او الى قول احد تمنى الموت لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم احرص الناس على حياة (وهذا) المذكور من امتناعهم عن التمنى (موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم) اى كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر به ما فى طباعهم والامتحان هو التجربة ولعله ذكره دفعا لما يقال لمثل هذا امر خفى وقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه (وكذلك آية المباهلة) اى مثل قصة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بنى اسرائيل قصة المباهلة فى نصارى نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لو قالوه هلكوا وقد اخبره الله تعالى به قبل وقوعه فكان كما اخبر ولم يجب احد منهم الى ما دعاهم اليه كما لم تتمن اليهود الموت فهو (من هذا المعنى) يعنى انهما متقاربان كما قررناه آنفا واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال البعير وكحل صرار الناقة يقال ابهلت ولانا ذا خليته وارادته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال الشاعر * نظر الدهر اليهم فابتهل * اى استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين (حيث وفد عليه) الوفد هو القادم من غير اهل الديار كالامر وحيث هنا للزمان اى لما قدموا عليه من ديارهم (اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة وآخره فاء مشددة وهو رئيس النصارى فى دينهم قاضيهم وامامهم قيل سمى به لانحنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهى بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا رؤساءهم ومنهم ثلاثة عليهم يؤول امرهم واميرهم اسمه العاقب كما يأتى وذو رأيهم كالوزير اسمه المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحالهم الايهم وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة فى الاسلام (وابوا الاسلام) اى امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه (فانزل الله عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقهم (آية المباهلة بقوله

فمن حاجك فيه الآية) وتمامها من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وانفسنا وانفسكم اى ليدع بعضنا بعضا فان الانسان لا يدع نفسه وكيفيتها كما قصه الله تعالى ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه كل منهما الى الله تعالى ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذبين منا فان عذاب الله يحل بمن كذب من بطر وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام اسند اليه بعض اهله شيئا لم يقله فقال اباهله الى الله ففعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الاهل تخويفا لهم بحلول العذاب من الله بهم اجمعين ومن قال هنا معنى البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما عن الراغب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الاسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء للعجمة ففي كلامه تناقض (فامتنعوا منها) اى من المباهلة وخافوا لما شاهدوه من الهلاك على انفسهم بدعائه (ورضوا باداء الجزية) وهو الخراج المرتب على الناس ويطلق على ما يعين على الاراضي فاختاروها مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك تشتم نبينا فتقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير اب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الخ ثم دعاهم للمباهلة (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم) اى هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروى ان القائل لهذا منهم هو السيد الذى كان يسمى شرحبيل فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال نقاتلكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام الفى حلة الفا فى صفر والفا فى رجب فصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا مسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادى نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال فى المواهب وقد جربته وانه لا يمضى على الكاذب سنة كما سمعته وقد علمت ان هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود من تمنى الموت ولذا اورده المصنف رحمه الله تعالى هنا (ومثله قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) اى مثل قوله فمن حاجك فيه (فاخبرهم) الله تعالى فى هذه الآية (انهم لا يفعلون) فى المستقبل ابدا وهو ما دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وهى قوله ولن تفعلوا (كما كان) فى الماضى الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن

امر محقق ووقع وانما اتى بان الشرطية وكان مقتضى المقام اذا باعتبار ماعندهم من الشك فى قدرتهم تهكما بهم (وهذه الآية) اى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا الى آخره (ادخل فى باب الاخبار بالغيب) اى اندراجها فيه اظهر واوضح لتحقق النفى فى المستقبل بالنفى فى الماضى الذى علم من التحدى بخلاف آية تمنى الموت وآية المباهلة لعدم تقدم شئ من نوعها وقيل لان فيها تصريحا بنفى فعلهم فى المستقبل بخلاف آية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة فى الحال و الاشعار بالنفى فى المستقبل الذى هو من الاخبار بالغيب من لوازمها لا من صريحها و فيه بحث (ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها) اى فى اية سورة البقرة التى فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة من مثله تعجيزا كتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر لانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها ولو ارادوها لم يكن عندهم مانع منها وتدبره ❊ فصل منها ❊ اى من وجوه اعجاز القرآن وجه غير الوجوه الاربعة التى تقدمت (الروعة) بفتح الراء و العين المهملتين المرة من الروع وهو الفزع والخوف الذى يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع فى قلبه عند سماعه (التى تلحق قلوب سامعيه) اصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه لاضافته لضمير القرآن (واسماعهم) بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسامح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطة وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى اى لتذكر احداهما الاخرى اذا ضلت كما حقق فى الكشاف وشروحه وانما عطف عليه لبعيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان او كافرا فقيل ان فى عدهذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زائد على النظم مشروط بتدبره وهو فى المؤمن واضح واما فى الكافر ونحوه فليس بسديد لمن القى السمع وهو شهيد وقوله (عند سماعه) بابه والضمير للقرآن (والهيبة) بالرفع معطوف على الروعة ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما فى القاموس وهو قريب من الروعة لتحقق انهما ليسا بمعنى واحد كما فى عروس الافراح قال ربما يتوهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال ❊ اهابك اجلالا ومابك قدرة ❊ على ولكن ملء عين حبيبها و قال ❊ الشريف فى قول السكاكى ادخال الروعة وتربية المهابة والمها بة يراد بها عرفا الحالة التى تكون فى قلوب الناظرين الى الملوك و تربيتها تقويتها والروعة الخوف الذى يتجدد بمخاطبتهم انتهى (التى تعتريهم) اى تطرأ عليهم وتغشاهم (عند تلاوته) وقراءته والاول ناظر للسامع و الثانى للقارى نفسه هو معنى (لقوة حاله) اى لما فيه من الحالة القوية باعتبار مافيه من المواعظ والانذار وهذا

ناظر للروعة عند من فهمه (واناقة خطره) اى علو مرتبته على غيره من الكلام الذى يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما (وهى) اى الروعة والهيبة وافراد الضمير لانهما شئ واحد او كالواحد (على المكذبين به اعظم) منها على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمؤمن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه ببشارة (حتى كانوا) اى المكذبون (يستثقلون سماعه) لصعوبة مافيه عليهم (ويزيدهم) سماعه (نفورا) عن الحق والاصغاء اليه (كما قال تعالى) واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا اى ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه (ويودون) اى يحبون (انقطاعه) اى قطع تلاوته عندهم (لكراهتهم له) لخبث طبائعهم كما تضر رياح الورد بالجعل (ولهذا) المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الحديث الذى رواه الديلمى وغيره عن الحكم بن عمير وسيأتى تمامه (ان القرآن صعب) فى نفسه بمعنى انه لايقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال الله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (مستصعب) بفتح العين وكسرها اى يعسر فهمه وتفسيره بالرأى ولايمكن تغييره وتحريفه لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر (على من كرهه) من الكفار والمنافقين (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين اى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا فى حق غير المؤمن (واما المؤمن) معادلة لاما مقدرة معلومة مما قبله اى اما غير المؤمن فلايزال صعبا عليه لكراهته له واما المؤمن (فلا تزال روعته به) بفتح الراء اى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبة منزله الحاصلة بسببه (وهيبته اياه) الضمير الاول للمؤمن والثانى للقرآن او بالعكس (مع تلاوته) اى قراءته من تلاه اذا تبعه اوهو بمعناه اللغوى اى اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة فى العرف تختص بالقرآن وقيل لا تختص به (توليه) اى تعطيه من اولاه معروفا اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة (انجذابا) بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه اذا اماله لجهته بشدة اى يستميل قلبه وسمعه لمحبته له وشبه الشئ منجذب اليه (وتكسبه) بضم التاء الفوقية وسكون الكاف (هشاشة) بفتح الهاء والشين المعجمة اى مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشائر السارة والمعانى اللذيذة التى تجعله فى نشاط (لميل قلبه اليه وتصديقه به) فهو دائما يرتع فكره منه فى روضات انيقة فاذا عرف من يناجى وانه جليس الرحمن سر ونشط ثم استشهد لهذا بقوله (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى يعرض لجلود ابدانهم قشعريرة

اى قيام من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وتجلده لانسه وسروره به ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى العتق وشق الثياب ونحوه ومثله لاينكر ومن لم يذق لايعرف ولايأبى هذا انه لم يقع من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا فى الاحياء فان اردته فارجع اليه وعدى تلين بالى لمافيه من معنى الميل وذكرا الجلود فى الاول وضم اليها القلوب فى الثانى اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك وقر فى قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه (وقال) تعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية) يعنى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التى تهد الجبال فما بالك بالرجال والآية مبينة فى التفاسير ولاحاجة للتطويل بذكرما فيها (ويدل على ان هذا) اى مايحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة [illegible] بالقرآن دون غيره من الكلام (انه) امر (يعترى) اى يطرأ ويحدث (من لايفهم معانيه ولايعلم تفاسيره) ممن لايمارس كتبه ويقرؤها حتى يقف على دقائقه ولطائفه فعلم من هذا ان تأثر السامع به لسر فيه وامر ربانى ولذا كان يثاب قاريه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره (كما روى عن نصرانى) ليس من شانه فهم القرآن ولا الوقوف على تفسيره ففيه ايضاح لماقبله (انه مر بقارئ) يتلو القرآن جهرا (فوقف) ليسمع قراءته وهو (يبكى فقيل له مم بكيت) وانما سئل عن سبب بكائه لانه لايصدق به ولايفهمه (فقال للشجا والنظم) الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجا يشجى شجى وهو شجى اذاحزن اوطرب اوغضب والثانى انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك فى نفسه وهو لايفهمه حتى ابكاه وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت تغنى بالفارسية فشوقه ذلك واشجاه وقال

* ومسمعة يحار السمع فيها * ولايفهمه لا تصم صداها *
* ولم افهم معانيها ولكن * ورت كبدى فلم افهم سجاها *
* فكنت كانى اعمى معنى * يحب الغانيات ولايراها *

ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ان ذلك القارى قرأ بصوت حسن حتى يكون تأثره وطربه لنغماته وهو ابلغ وادل على ماقصده (وهذه الروعة) الحاصلة عند سماع القرآن لمن لم يتدبره (قد اعترت جماعة) وحصلت لهم (قبل الاسلام) اى قبل اسلامهم (وبعده) ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه تسمح فى العبارة لان القبلية تقتضى عروض الاسلام فلاينافى قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لاتخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم

من اسلم ومنهم من بقي على كفره بقوله (تفهم من اسلم لها) اي لهذه الروعة (لاول وهلة) بفتح الواو وسكون الهاء وهي المرة من الوهلة وهو الفزع يقال وهل مثلثة واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول مايقرع السمع و يقع في الوهم والفكر وهو المراد كما اشار اليه في الاساس واسلم بمعنى اقر واعترف (وآمن به) اي صدق بقلبه (ومنهم من كفر) اي دام على كفره لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته (فحكى في الحديث (الصحيح) الذي رواه الشيخان مسندا (عن جبير بن مطعم) بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الصحابي رضي الله تعالى عنه وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم في فتح خيبر او فتح مكة انه (قال سمعت رسول الله) وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرأ في) صلاة (المغرب) وذلك قبل اسلامه (بالطور) اي سورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء) اي من غير خالق لهم كما تقول الدهرية (ام هم الخالقون) لانفسهم لشهادة قوله بعده ام خلقوا السموات والارض وقرأ (الى قوله ام هم المصيطرون) اي المدبرون للاشياء كما يريدون و بدهما بل لايوقنون ام عندهم خزائن ربك يقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك (كاد قلبي ان يطير) اي حدث عندي فزع وخوف شديد ظننت ان قلبي ذاب وفنى حتى لم يبق معي وطيران القلب يراد به تارة شدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دائما لحرارته فاذا زالت الحرارة الغريزية لخوف اوسدة شوق وحب زاد خفقانه فيشبه حينئذ بطائر يخفق بجناحه كما قال القائل

كان قطاة علقت بين اضلعي لان فؤادي دائم الخفقان *

وقلت* عجبا لقلبي طائر فزعا * وعليه ناحل اضلعي قفص*

وعليه قول العرب افزع روعه كما حقق في كتب اللغة (وفي رواية) اخرى غير رواية الشيخين (وذلك اول ماوقر الايمان في قلبي) وقر بالقاف برنة ضرب بمعنى سكن وثبت وذلك انه كان مشركا في اسارى بدر اوفي فداء اساراها فلما سمع الآية وفهمها علم مافيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لاخالق يستحق العبادة الا الله فسكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير وهذه رواية البخاري ايضا في المغازي وفي رواية فصدع قلبي وفيه دليل على صحة رواية المسلم مايحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القرآن لمن سمعه و ان تلك الروعة سبب لاسلامه (وعن عتبة بن ربيعة) هو ابو الوليد بن عبد شمس بن عبد مناف المشهور وهو ممن قتل كافرا ببدر فلا يتوهم اسلامه بقول المصنف رحمه الله تعالى عن عتبة هنا وهذا الحديث رواه ابن اسحق في سيره والبغوي في تفسيره (انه كلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) يشير لما في السير من ان اباجهل لعنه الله تعالى قال لقريش قد التبس علينا امر محمد فلو اتاه منا من كلمه فذهب اليه عتبة وكان ذا رأى

وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فلم تشتم آلهتنا
وتسفه احلامنا وتضللنا وانت منا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك
اللواء وكنت رئيسنا وان كان بك الباءة زوجناك من تختار من بنات قريش وان كنت
تريد المال جمعنا لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان لك رئي
لاتستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه اموالنا اوكما قال والنبي صلى الله تعالى
عليه وسلم يسمع كلامه ثم فرغ فقال له افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال اسمع
مني ما اقول (فتلا عليهم) اى على الوليد ومن معه او من علم انه سيبلغه ما تلاه
عليه وفى نسخة عليه بالافراد من سورة (حم) تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
(فصلت) آياته (الى قوله) فان اعرضوا فقل انذرتكم (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود)
اى الصاعقة التى اهلكت قوم هود وقوم صالح (فامسك عتبة على فيه) اى
وضع يده على فم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يقطع [illegible]
من هذه السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم به وفى نسخة فامسك عتبة بيده على
فى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وناشده الرحم ان يكف) اى سأله مقسما عليه
بالرحم وهى القرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف عليهم من حلول ما ذكره
من العقاب بهم يقال ناشدته وتنشدته اذا اقسمت عليه قسم استعطاف (وفى رواية)
اخرى لابن اسحق فى سيرته عن كعب القرظى (يجعل النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ) قال الراغب جعل لفظ عام فى الافعال كلها اعم من فعل وصنع واخواتهما
ويأتى على اوجه فيجرى مجرى صار وطفق فلا يتعدى تقول جعل زيد يقول
كذا الخ فالمعنى انطلق فى قراءة السورة وقوله لايتعدى اى هى من افعال الشروع
والفعل خبرها لامفعولها والشروع لاينافى الاستمرار كما توهم (وعقبة مصغ) بزنة
اسم فاعل معتل بزنة منذر اى مستمع لقراءته منصت لها (ملق يديه خلف ظهره)
لاعتماده عليهما فقوله (معتمد عليهما) فالتفسير له (حتى انتهى) اى وصل (الى)
آية (السجدة فسجد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وقام عتبة) من عنده (لايدرى
بم يراجعه) اى يكلمه بعد تلاوته لروعته التى ادهشته بما سمعه منه صلى الله تعالى
عليه وسلم (ورجع الى اهله) اى دخل عتبة منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر
خبره (ولم يخرج) من بيته (الى قومه) واستمر فى بيته (حتى اتوه) ليسئلوه عن
انقطاعه عنهم ما سببه (فاعتذر لهم) عن عدم خروجه لهم واخباره بما جرى له
معه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) فيما اعتذر لهم به (والله لقد كلمني) النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم (بكلام) والله (ماسمعت اذناى بمثله قط) اى مماثل له
فى حسنه وجزالته وتأثيره فى القلوب (فما دريت ما اقول له) فبهت الذى كفر والله
لايهدى القوم الظالمين وفيه دليل لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقى على كفره

من اضله الله على علم وفي رواية لما رأوه قالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك ياابا الوليد قال ورائى انى سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يامعشر قريش اطيعونى وخلوا بين هذا الرجل و بين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعته نبأ عظيم فان تصبه العرب كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فلكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك والله ياابا الوليد قال هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم (وقد حكى) بالبناء للمجهول (عن غير واحد) اى عن كثير وغير الواحد شامل للقليل وللكثير ولكنه خص عرفا بهذا كما مر (ممن رام معارضته) اى قصد ان يأتى بكلام يماثله فى البلاغة (انه اعترته) اى حدثت له واصابته (روعة وهيبة) حين تلاه وسمعه (كف بهما) اى بتلك الروعة والفزع (عن ذلك) اى المذكور من المعارضة ثم ذكر بعد ماسخف عقله ممن هم بذلك فقال (فحكى ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه) اى قصد معارضة القرآن والكلام بما يماثله وفى المقتفى للبرهان الحلبى المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة الفاء وهى مضبوطة فى النسخ بالكسر والذى احفظه الفتح وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو غريب من مثل هذا الحافظ فانه بالفتح من غير شبهة قال فى القاموس مقفع اليدين كمعظم متشنجهما ومروان بن المقفع تابعى وابو عبدالله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه روزبة اورازبة بن داود حسبس قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع فتقفعت يداه اى تشنجتا وهذا مما يعرفه الخاصة والعامة الا ان التلمسانى قال فى حواشيه المقفع اليابس اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكى فى تثقيف اللسان ان الصواب فيه المقفع بكسر الفاء لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهى شئ يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص وليس بالكبير وقيل انه كاتب المنصور وهو اول من هذب المنطق وقتله سفيان المهلبى لما ولى البصرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع فذكر عنده الوطبس فلم يعرفه وسأل عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فامر ابن المقفع بالجلوس حتى خلا المجلس فامر بتنور عظيم وامر بان يسجر بطرحه فيه فاحترق كما فى مشكاة انوار الخلفاء وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القرآن وصياغة هذيان يعارضونه بها كما اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرع فيه) اى فى المعارضة وذكره لان تأنيث المصادر غير معتبر لتأويله بان والفعل (فمر بصبى يقرأ وقيل ياارض ابلعى ماءك) وقد تقدم بيان بلاغتها و مافيها من الاعجاز على مافى المفتاح وشروحه (فمحى) جمع (ماعمله) يعنى غسله

وابطال ما في مصحفه لما رأها لا مناسبة بينهـا و بين شيء من الكتاب العزيز (وقال اشهد) اى اقروا واعترف او اعلم كل احد (ان هذا لا يعارض) اى لا يقدر احد على الاتيان بمثله (وماهو من كلام البشر) لظهور اعجازه (وكان افصح اهل وقته) فليس ممن قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه (فائدة) قال ابو الفرج ابن الجوزى نقلت من خط ابى الوفاء على بن عقيل الحنبلي صاحب الفنون قال وجدت فى تعاليق محقق من اهل العلم ان سبعة مات كل منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصر اعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم الغاية فيما كان فيه وانتهى اليهم فمنهم الاسكندر ذو القرنين وابومسلم صاحب الدولة العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم فى علم العربية وابو تمام الطائى ومابلغ فى الشعر وعلومه وابراهيم النظام المتعمق فى علم الكلام وابن الراوندى وما انتهى اليه من التحول فى [illegible] هؤلاء السبعة لم يجاوز احد منها ستا وثلاثين سنة بل استووا على هذا القــدر من العمر انتهى قلت انظر الزركشى فانه لم يجـاوز الاربعين فانه مات فى ست وثلاثين فيضم اليهم وكذا شيخ الاسلام تقى الدين السبكى فانظر الى مؤلفاته التى زادت على اكثر من ثلاثين ما بين مبسوط ومختصرمات عن خمسة وعشرين سنة فيضم اليهم (وكـان يحيى بن الحكم) بفتح الحاء المهملة وكاف مفتوحة بعدها وقيل انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبى وقال انه من شعراء المائة الثانية توفى بعد مائة وخمسين ولست على ثقة منه وذكره ابن خلكان فى تاريخه وقال انه من شعراء الاندلس وذكـره فى الذخيرة ايضا (الغزال) بمعجمتين وزاؤه مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبى ايضا فى كتاب المشتبه فعلى الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلى الثـانى هو علم منقول من اسم الحيوان وهو بكرى قرطبي الدار كان فى زمن هشام بن الحكم اقول الذى ذكره ابن حيان فى المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيى بن الحكم البكرى الجيانى لقب بالغزال فى صغره لحسنه وكان فى المائة الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر فى غاية الحسن وارتحل لمصر ثم عاد للاندلس وعمر اى بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها فنادمه وسألته امرأته عن سنه فقال عشرين سنة فقالت له فما هذا الشيب فقال اما رأيت مهرا ولد اشهب فضحكت والى هذا يشير بقوله فى قصيدة

*قالت ارى فوديه قد نورا * دعابة توجب ان ادعيا *

* قلت لهـا ما بال انه * قد ينتج المهر كذا اشهبا *

قال وحكى انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حالة اوجبت توبته وهو ماذكره المصنف رحمه الله تعالى الاتى (بليغ الاندلس فى زمنه) اى معروف بالبلاغة

وفصاحة النظم والنثر فى عصره والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام لبس الا وهى معربة لم تتكلم بها العرب قديما وانما عرفتها فى الاسلام قال ياقوت فى معجمه اشتهر على الالسنة انها تلزمها ال وقد وردت بدونها فى قول بعض العرب * سألت القوم عن ادس فقالوا * باندلس واندلس بعيد * وهى بلغاتها لا نظير لها سواء قلنا فعلل وفيعلل والظاهر ان الهمزة زائدة لان بعدها احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل فان قلت قال سيبويه انفحل الشيخ المسن ولا يعرف ما فى اوله زيادتان لما ليس جاريا على الفعل قلت هو فى العربى البحت وهى تجاه تونس ارض تحتوى على بلاد ولبست جزيرة الا ان البحر يحيط بها من ثلاث جهات هى اكثرها فلذا سماها بعضهم جزيرة (فحكى) بالبناء للمجهول (انه رام شيئا من هذا) اى معارضة القرآن ونسج كلام على منواله فى الفصاحة (فنظر فى سورة الاخلاص) التى هى اقصر سورة اى تدبر فى نظمها ليأتى من عنده بمثلها وسميت سورة الاخلاص لاشتمالها على ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته (ليحذو على مثالها) من حذوته بحاء مهملة وذال معجمة اذا قفت بحذائه اى مقابلته وحذا النعل بالنعل اذا قطعها بمقدارها وقالبها فالمعنى ليقول مثلها وفى الحديث لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل اى تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية (وينسج بزعمه) براى معجمة مثلثة وهو الظن واكثر ما يستعمل فى الكذب فان زعم مطية الكذب (على منوالها) هو بمعنى ما قبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه التكلم والكلام ببرود تنسج واثبت لها ما له من النسج والمنوال اوهى تمثيلية اوتبعية وهو امر سهل (قال) اى ابن الحكم (فاعترتنى) اى عرض لى فى حال النظر (خشية) اى خوف وتعظيم له (ورقة) اى رقة قلب وخشوع اوضعف ولين (حملته) التفات اذ الظاهر حملتنى والحمل الالجاء والقسر (على التوبة) كما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه (والانابة) اى الرجوع عنه وفى نسخة والاوبة وتركه لذلك لعلمه بانه امر لا يقدر عليه البشر * فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة * اى الذى عده العلماء منها اشارة الى انه مسبوق بذكره (كونه آية) ومعجزة (باقية) فسره بقوله (لا يعدم ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها الى قيام الساعة وما ورد فى حديث حذيفة من انه تأتى ليلة يرفع فيها القرآن لا يبقى فى الارض منه آية هو بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلوة والسلام وظهور يأجوج ومأجوج وهو فى حكم الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سواء وبقاؤه ببقاء تلاوته محفوظا من النسخ والتبديل والتغيير وهذا فصل يميز به عن سائر الكتب الالهية فضلا عن غيرها وما قيل من ان عد هذا من وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز ساقط فان بقاءه كما ذكر من لوازم اعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر حتى يؤتى بامثاله

او يدخل فيه مالبس منه اوتقول انه من جملة ما اخبر الله به عنه فهو مس عينه وهذا
انسب بقوله (مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)
والمراد بالذكر القرآن وضمير له له لا له صلى الله تعالى عليه وسلم فلما تولى حفظه
بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا فيه من كتاب الله
لماتقدم تأبد وتأيد حفظه لبقاء حافظه ورفعة نعمة حفظه (وقال لايأتيه الباطل من
بين يديه ولامن خلفه الآية) فلايجد اليه سبيلا من جهة من الجهات مايبطله ولا
يكون قبله ولابعده مايكذب به او ينسخه (وسائر معجزات الانبياء) والرسل عليهم
الصلوة والسلام اى بقيتها غيره (انقضت) اى مضت وذهبت (بانقضاء اوقاتها)
اى بعد عصرهم وزمن وجودهم انعدمت (فلم يبق الاخبرها) اى الاخبار المأثورة
عنها دون ذواتها ونفسها كعصا موسى وناقة صالح وانفلاق البحر
وغيرها مما هو مذكور في السير كما قيل * [illegible] * فكن
حديثا حسنا لمن وعى * (والقرآن العزيز) اى المنيع المحمي بحمايه من قاله
(الباهرة آياته) اى الغالبة لغيرها والظاهرة وآياته بمعنى انواع معجزاته السالفة
اوكل آية متلوة منه فقوله (الظاهر معجزاته) على الاول توضيح وتوكيد وعلى
الثاني بيان وتأسيس باقية (على ماكان عليه اليوم) الى يومنا هذا فتعريف
اليوم للتعريف الحضوري كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ وهو القرآن والمراد
باليوم عصر المؤلف كما اشار اليه بقوله (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة)
وروى سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روى ان تأليفه للشفاء كان في ايام قضائه
في سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال التلمساني هكذا نقله الثقاة عن ابي عبد الله
بن مرزوق ولم اسمعه منه انتهى (لاول نزوله الى وقتنا هذا) اى من ابتداء الوحي
ونزول القرآن على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى وقت تأليف المصنف رحمه الله
لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صريحا اى منه كما ذكره النحاة ويدل عليه
مقابلته بالى (حجة قاهرة) المراد بالحجة نفس القرآن اى هو حجة غالبة لمن كفر به
اوالمراد مافيه من الحجج والادلة (ومعارضته ممتنعة) اى الاتيان بمثله لايمكن ولم يقع
(والاعصار كلها طافحة) الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لاضم وسكون لان جمع
الجمع غير قياسي وطافحة بطاء وحاء مهملتين بينهما الف وفاء من طفح اذا فاض
وتدفق (باهل البيان) متعلق بطافحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر
وان كان استعارة تخييلية على ان البيان مشبه بالماء على طريق الكناية والمعنى ببيان
اهل الكتاب والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها (وحملة
اللسان) حملة جمع حامل ككاتب وكتبة وهو الحافظ اللسان بمعنى اللغة العربية (وائمة
البلاغة) اى العلماء بعلم البلاغة من المعاني والبيان وقرض الشعر وغيره من العلوم

الادبية (وفرسان الكلام) الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما ونثرا وتزيد فيه استعارة مكنية تخييلية اذشبه الكلام بجواد قاره والمتكلم برجل عارف برياضته والسبق به وآلته له (وجهابذة البراعة) اى اساتذة الفصاحة الفائقة فى بابها جمع جهبذة بكسر الجيم والباء وبينهما هاء ساكنة وآخره ذال معجمة يقال جهبذ اى عالم نحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذى عندى فى هذه التراكيب الخمسة ان المراد بها اهل اللسان العارفون به بحسلة نقادة وطبيعة وقادة والعلماء بعلوم العربية واللغة فالمراد باهل البيان الفصحاء وبالجلة علماء اللغة وبالائمة البلغاء الخطباء من العرب العرباء وبالفرسان الشعراء واهل الانشاء المحدثين وبالجهابذة العلماء بقرض الشعر وانشاء النثر فلا تكرار فى ذلك وان كان فى مقام خطابة يحمد فيه البسط والاسهاب ولذا كان هؤلاء فرقتان مهتد ولا يكد طبعه فى العاد وضده (والملحد فيهم كثير) الملحد اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافى الايمان ويبطله والثانى يوهن عراه ويحل عقدته (والمعادى للشرع عتيد) اى مهيأ حاضر باذل جهده فى عداوته واعتد واعد متقاربان لفظا ومعنى اى مع كثرة من يريد المعارضة (فما منهم من اى شئ) من الكلام (يؤثر) اى يحفظ وينقل (فى معارضته) والاتيان بما يماثله (ولا الف كلمتين فى مناقضته) المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض جرير كما تقدم وهى المراجعة والمحاورة (ولا قدر فيه على مطعن صحيح) اى لم يعثر ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرة كما بين فى طوا عن القرآن التى ذكرها السلف (ولا قدح) القدح ذكر المعايب يقال قدح فى نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاجل النار والمراد الاول لكن فيه تورية بالنا فى لقوله (المتكلف من ذهنه فى ذلك الا بزند شحيح) والمتكلف هو الذى يفعل ما لا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذى لا يخرج منه شرر منيرة اى لم يعده قدحه شيئا غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لا يورى ولله در المصنف رحمه الله تعالى ما الطف طبعه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال لو قال ولا ضرب المتكلف بسيفه ذهنه الا ارتد وهو صريح وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل * ويكاد يحرقه توقد ذهنه * لولا مياه الجود فيه والنداء * لكن لا تقدم الحسناء ذاما فالابلغ السكوت فى محل (من المأثور) والمنقول (عن كل من رام ذلك) اى قصد الطعن فيه بذكر ما يؤدى ذكاه حتفه (القاؤه فى العجز بيديه) الالقاء بالقاف بمعنى الرمى ومفعوله محذوف اى القاؤه نفسه ورميها فى مهالك العجز ومهاويه

فشبه العجز ببئر ونحوه مما يهلك الواقع فيه وايديه متعلق به اى هو الرامى والطارح لنفسه وقيل معناه التى نفسه بهما فى العجز ولازومه له جعله ظرفاله وهو معنى ركيك وقول التلمسانى انه العا بالغين المعجمة من لغو الكلام الذى يحسن السكوت عنه لا عليه (والنكوص على عقبيه) اى المأثور الرجوع كما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرحل اذا رجع القهقرى وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشئ وفى القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهرى فى اطلاقه وقيل عليه ان قلت معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبنى على زعمه او هو تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا اقول هذا استعارة عن رجوع القهقرى لانه معنى الرجوع على العقبين [illegible] عن العود الى حاله الاول مطلقا شراكان او خيرا فالحق ما قاله الجوهرى * فصل

وقد عد جماعة من الائمة ومقلدى الامة * ضبطه بفتح لام مقلد لينا سب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف اقوالهم (فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لايمله) اى لايسام طبعه من كثرة قراءته واعادته مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادات (وسامعه لايمجه) اى لايكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقة طرح المايع من الفم فان كان غير مايع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام الماء لرقته ولطفه وهى استعارة لطيفة كما قال المعرى فيما تقدم

* وتعير المعتاد يحسن بعضه * للورد حد بالانوف يقبل *

فاستعير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فكانه كالنفس الذى يكرر لايمل منه لانه مادة الحياة كما قال المعرى * ردى حديثك ما امللت مستمعا * ومن يمل من الانفاس ترديدا * ومجه يمجه بضم ميم المضارع كقتله يقتله فهو من باب قتل (بل الاكباب على تلاوته) اى ملازمة قراءته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال افمن يمشى مكبا على وجهه وفى احتياره على الوقوع اشارة الى وجهه اليد قال لبيد * ينوح الهالكى على يديه * مكبا يجتلى نقب النصال *

(يزيده حلاوة) اى ترداد قراءته تزيده حلاوة ففيه ترق من عدم الملل الى زيادة حلاوته واصاب به المحز لان ما يمج يكون مرا او ما لحا يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبى * وخير جليس لايمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا * (وترديده) اى اعادته وتكريره (يوجب له محبة) زيادة حلاوته وحسنه (لايزال) كلما كرر (غضا)

اى خد يدا وهو مجاز من عض الصوت والطرف قال جارية بثينة شبابا غصة
(طريا) اى رطبا ناعما فلا تتغير لهجته ونضارته قال الشاطبي رحمه الله تعالى
*واخلق به اذ ليس يخلق جدة * جديدا مواليه على الجد مقبلا*
وكانه فى كل مرة قريب عهد بالنزول (وغيره من الكلام ولو ناع من الحسن والبلاغة
مبلغه) اى لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته فى البلاغة (يمل) بالبناء
للمجهول اى يمل قارئه وسامعه (مع الترديد) اى مع التكرير مرارا (ويعادى اذا اعيد)
اى يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن يعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد
تقدم انه لا يوجد مثله ولا ما يقرب منه * واين الثريا من يد المتناول * (وكتابنا)
معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن
(مستلذ به فى الخلوات) اى يجد قارئه لذة اذا اختلا بقراءته وخص الخلوة لانها محل
اجتماع الحواس واطمئنان القلوب بذكر الله تعالى فهو فيها اعظم لذة ايضا وان
كان له لذة ايضا بقراءته بين الناس ايضا (ويؤنس) بالبناء للمجهول اى يجد به انسا
يدفع وحشته (فى الازمات) جمع ازمة وهى الشدة كما فى حديث اشتدى ازمة تنفرجى
ولام خلوة وزاى ازمات ساكنتان فى المفرد والجمع لانه جمع على فعلات يسكن
فى الاسماء ويحرك فى الصفات كما بين فى التصريف والضمير فى كتابنا للجماعة
المؤمنين لا للتعظيم لانه لا يناسب المقام قيل ولو قال كتابنا يستأنس به فى الخلوات
ويستعان به على الازمات كان احسن وما قصده المصنف اعلى مما قاله لان الخلوة
انسب باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه * ولذة الاحمق
مكشوفة * يسعى بها كل عدو رقيب * والشدائد لا تجد فيها رفيقا يعين عليها
ويدفع كربها والمعالى قليلة الرفقاء ولكل وجهة (وسواه من الكتب) سوى اذا
ضم اوله اوكسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه تفنن
فعبر فى الاول بغير وفى هذا بسوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله
كالزبور (لا يوجد فيها ذلك) اى اللذة والانس المذكورين (حتى احدث اصحابها)
اى اخترعوا والفوا والمراد باصحابها من يقرؤها (لها لحونا) اى للكتب التى
يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغانى والنغمات التى تزين بها الاصوات
وتوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال
لحن فى قراءته اذا طرب ولحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر فى خطاء
الاعراب والمراد به هنا ترجيع الاصوات للتطريب والغناء تحسينا للقراءة والشعر
وفى الحديث اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل
الكتابين يعنى اليهود والنصارى يقرؤن كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل اهل
مصر بقراءتهم فى مجامع الناس المعروفة بالجوق وهى مما حرمه الفقهاء وشددوا

التكبير على فاعله وهو لاينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس منا من لم يتغن
بالقرآن على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير
كما فصل فى ادب القارى (وطرقا) جمع طريق وهى ما يجرى على قانون الموسيق
وضروبها الموزونة (يستجلبون) اى يطلبون وجودها او يجلبونها لهم ولمن
يسمعهم (بتلك اللحون) والنغمات (تنشيطهم) اى وجود نشاطهم وطربهم
(على قراءتها) اى على تطويل قرآنها وزيادتها او على ان يقرأها غيرهم كقراءتهم
ان اريد باللحون نغمى القارى نفسه ويحتمل ان يريد بما احدثوه ما يكون مع القارى
من آلات الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون من اوتار كثيرة تضرب مع القرأة ويأتلف
بعضها ببعض حتى كان القارى على نغماته على قرب الآية * يملى على عود له انغامه
* وتراه يفرك اذنه ان قصرا * (ولهذا) اى لما اختص به القرآن من عدم مماثل
قارئه وما بعده (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن) فيما
رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه بدون قوله الاتى هو الذى لم ينته الجن الخ
(بانه لايخلق) بفتح الياء وضم اللام اى لايبلى و لايتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحها
وضم اوله وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلامه مثلثة بمعنى
واحد (على كثرة الرد) بمعنى مع والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار فى قراءته ورده ورد ده
بمعنى كرره وكثرة التكرار فى العادة تؤثر وتمحى ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

* اما ترى الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد اثرا *

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد رقيق يلبس ليتجمل به والمراد به اما الملل
منه فهو بمعنى ما تقدم من ان قارئه لايمله وكل مكرر يمل و لايتغير بتحريف ونسخ
ولاينسى وقد وردان بعضهم كرر آية واحدة طول ليله (ولاتنقضى عبره) بكسر
العين المهملة وفتح الباء الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجائبه او مواعظه
التى تعمل بها و يعتبر وهو عبارة عن كثرتها و بقائها والثانى اولى لئلا يتكرر مع قوله
(ولاتفنى عجائبه) اى لكثرتها لا تنفد وتنتهى جمع عجيبة وهى ما يتعجب منه فكلما اعيدت
النظر فيها ظهر لك ما هو اغرب واعجب مما عرفته اولا (هو الفصل) اى الجد
الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل اى حق مبين محكم او المفصول المتميز من
غيره فهو فعل بمعنى فاعل او مفعول (ليس بالهزل) كما قال تعالى وما هو بالهزل اى ليس
فيه لعب ولا كلام سخيف وهو فى الاصل من الهزال ضد السمين فهو كله سمين لاغث
فيه لما فيه من الاوامر والنواهى التى يهابها سامعها (لا تشبع منه العلماء) اى
لاتستغنى عنه ولا تزال تستنبط منه معانى وفوائد فى كل حين وفى الحديث منهومان
لايشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بمأكول به قوام حياته الا ان كل مأكول
لايشبع آكله اذا امتلأ منه جوفه وهذا مخالف لذلك ففيه استعارة تبعية او مكنية

وتخييلية * فوائده فوائده ممدودة * والوان لذائذه غير مقطوعة ولا ممنوعة (ولا
تزيغ به الاهواء) بفتح المثناة الفوقية وزاى وعين معجمتين بينهما تحتية ساكنة
من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه
الانفس من الضلال اى لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة (ولا تلتبس به
الالسنة) جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع فى الكلام واللغات فالمعنى انه
لا يشتبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لا يشبهه
غيره فالمراد انه لا يمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا يعسر قراءته على
المؤمنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله (هو الذى لم تنته الجن
حين سمعته ان قالوا) اصل معنى الانتهاء بلوغ النهاية وهى آخر الشىء وغايته ويكون
بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا اى لم يكف الجن عن هذه المقالة ومن لم
يترك شيئا بادر اليه واقبل عليه ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة
ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قيل انه فى معنى العلة اى لم ينتهوا عن القول من
اجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وخبط (انا سمعنا قرآنا عجبا) اى عجيبا
فى بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته (يهدى الى الرشد) اى يدل على الصواب
من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين مع معرفتهم بالفصاحة
لم يفهموه وهؤلاء الجن بمجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به وقال البرهان كانوا
سبعة شاصر وماصر ومنشى وماشى والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد
فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما هو يمشى بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها
بفضل ردائه ودفنها فاذا قائل يقول يا سرق اشهد بالله لقد سمعت رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال
عمر رضى الله عنه من انت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد
مات وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه كان فى نفر من اصحاب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا حية قتيل
فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان
تسألان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر
فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتموها
وهو ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الذهبى الذى
دفنه بالعرج صفوان ابن المعطل وهو من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن لقى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا منهم عد من الصحابة والاعتراض بانه
ينبغى ان يعد منهم الملائكة ايضا كجبريل وميكائيل رده الذهبى بانه ارسل اليهم

ولم يرسل للملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملي على مقتضى كلام الذهبي تبعا لوالده والمعتمد خلافه وارساله صلى الله تعالى عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الملائكة وهؤلاء من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا نالبين كما قيل والكلام على الجن مبسوط فى كتاب لقط المرجان فى احكام الجان وسيأتى بيانه فى الكلام على نطق الشجر (ومنها) اى من وجوه اعجازه التى ذكرها بعضهم (جمعه لعلوم ومعارف) اى علوم كلية كانت فى الامم السالفة كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما فى قوله لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلوة والسلام وتفصيلها مما لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله تعالى الى ظل ذى ثلاث شعب انه اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة فى الهندسة وفيه اشارة الى انهم [illegible] جميع العلوم (لم تعهد العرب) بالبناء للمفعول اى لم تعرف فى عهدها وزمانها (عامة) اى جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة وطرا (ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته) ونزول الوحى بها عليه (خاصة) اى لم يعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها فقد اطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين (بمعرفتها) متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف (ولا القيام بها) بمداومته عليها (ولا يحيط بها احد من علماء الامم) اى لم يحط علم احد من علماء السلف كالحكماء والاحبار من اهل الكتاب بشئ منها (ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) اى لم يدون قبله حتى يقال انه اخذ علمه منها وفسر ما ذكره بقوله (فجمع فيه من بيان علم الشرايع) جمع مبنى للمجهول اى جمع الله تعالى فى كلامه ما ذكر والشرايع جمع شريعة وهى والملة والدين بمعنى متحد الماصدق متغاير المفهوم وهى وضع الهى سائق لما فيه الخير فى الدارين منقولة من الشريعة وهى مورد الماء اذا الطريق الواسع كالشارع (والتنبيه على طرق الحجج العقليات) اى تنبيه الناس وارشادهم الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما فى قصة ابراهيم عليه الصلوة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى كما يأتى بيانه (والرد على فرق الامم) الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم (ببراهين قوية) محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وآداب البحث (بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) يفهمها كل من يسمعها * تكاد من عذوبة الالفاظ * تشربها مسامع الحفاظ * كما من (موجزة المقاصد) قليلة الفاظها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة (رام المتحذلقون بعد) بالبناء على الضم اى بعد

الوقوف عليها والمتحذ لقون بزنة اسم الفاعل بحاء مهملة و ذال معجمة ولام وقاف
وهو مدعى الحذق وهو سرعة الفهم اى قصد مدعى الذكاء فى العلم واقامة البراهين
يقال حذلق اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده كتحذلق فهو مأخوذ من الحذق
ولامه زائدة (ان ينصبوا ادلة مثلها) نصب الدليل واقامته ذكره فى مقام المخاصمة
(فلم يقدروا عليها) اى لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل ادلته و براهينه (كقوله
اوليس الذى خلق السموات والارض) رد على منكرى الحشر والمعاد الجسمانى اى
من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم (بقادر على ان يخلق
مثلهم) اى مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة و يعيدها وهو اهون عليه كما
قال الله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة
(و) قوله (قل يحييها الذى انشأها اول مرة) اى من اوجدها من عدم محض
قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفى هذا ايضا حجة باهرة (و) منها قوله
(لو كان فيهما) اى فى السماء والارض (آلهة الا الله لفسدتا) فلو تعددت الالهة
لفسد نظام العالم و بطل و هذا برهان قوى قطعى وليس اقناعيا كما فى شرح
العقائد و يسمى برهان التمانع وفى بيانه واعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام وقد
افرده بالتأليف خاتمة المحققين مصلح الدين اللارى فحسبك من القلادة ما احاط
بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا (الى ما حواه) اى مضموما ماذكر من البراهين الى
ما اشتمل القرآن عليه (من علوم السير) جمع سيرة وهى الطريقة والاخلاق الحميدة
و يخص فى العرف بالغزوات واخبار الجهاد ولكل وجهة هنا (و انباء الامم) اى
اخبار من مضى منهم (والمواعظ والحكم) اى امور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم
الحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة (واخبار الدار الآخرة) من
الجنة والنار والحشر واهوال الموقف وغير ذلك (ومحاسن الاداب) جمع ادب
وهو الاوصاف المحمودة التى يتشرف صاحبها (والشيم) بشين معجمة ومثناة تحتية
و يقهر ايضا بزنة عنب جمع شيمة وهى الطبيعة واهل مصر تستعملها بمعنى دارات
الماء كقول القيراطى رحمه الله تعالى * لك يا نيل مصرنا * كرم اخجل الديم * انت وما
حقيقة * طاهر الوصف والشيم * وهى لغة عامية لا اصل لها (قال الله جل اسمه
ما فرطنا فى الكتاب من شئ) اى لم نترك شيئا يحتاج اليه الا بيناه فى القرآن بناء على ان
المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخل ضد الافراط
وهو يتعدى بفى من غير تضمين معنى اغفلنا كما توهم والمعنى انه مشتمل على جميع
ما يحتاج اليه اجمالا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفى فى
المفعول الذى تعدى اليه بتضمين تركه ونحوه ثم اردفه بآية تؤيد ان المراد بالكتاب القرآن
فقال (وانزلنا عليك) يا محمد (الكتاب تبيانا لكل شئ) اى مبينا لكل شئ يحتاج اليه وهو

بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا تأتى له غير تلقاء على كلام فيه بعد (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ضرب المثل معلوم اى آتينا لكل امر مهم بمثال يوضحه لما فى ضرب الامثال من الفوائد المهمة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه تقديم بعض منه واورد بقيته هنا مع زيادة فيه (ان الله انزل القرآن) من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما اوقامت قرينة اريد بالانزال الدفعى وبالتنزيل التدريجى كما فصلوه (آمرا) بالمد حال من الفاعل او المفعول على الاسناد المجازى (وزاجرا) اى مانعا وكافيا وناهيا والزجر الطرد بصوت يستعمل تارة فى الطرد واخرى فى الصوت كما قاله الراغب (وسنة خالية) اى طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلاء بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ (ومثلا مضروبا) [illegible] ومن الكتب الالهية وهى معروفة بالمثل لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال [illegible] وقد اكثر الله والانبياء والحكماء فى كلامهم من الامثال وقوله (فيه نبأوكم) بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نائب فاعل مضروبا فهو بتقدير مضاف اى مثل نبائكم وان كان مبتدأ وفيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة فكانها الاشارة الى انها حال اخرى غير مختصة بالقرآن كالتى قبلها والنبأ الخبر عن امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله تعالى عليهم (وخبر ما كان قبلكم) عبر بالخبر تفننا واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات من يعقل كقوله تعالى او ما ملكت ايمانكم (ونبأ ما بعدكم) اى ما بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه رضى الله تعالى عنهم او لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيمة (وحكم ما بينكم) اى بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحاء المهملة وسكون الكاف (لا يخلقه طول الرد) تقدم معناه وانه بضم اوله وفتحه من الثلاثى والمزيد اى لا يبليه ويفنيه تكرار تلاوته (ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل) تقدم تفسيره (من قال به صدق) اى من اختار ما فيه وحكم به فقد اتى بامر صادق لاريب فيه وفى القاموس قال به غلب ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لايناسب قوله صدق (ومن حكم به عدل) اى قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما ربك بظلام للعبيد (ومن خاصم به) اى خاصم بحجة وادلة مأخوذة منه (فلج) اى غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح الفاء واللام وجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة (ومن قسم به قسط) بفتح القاف والسين المحققة اى من تولى قسمة امر فقسمها بما فى كتاب الله كقسمة المواريث والغنائم وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو مأخوذ من القسط

وهو الميزان كالقسطاس وفى الحديث ان الله يخفض القسط و يرفعه وهو تمثيل ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد (ومن عمل به اجر) بالبناء للمفعول اى حاز الاجر والثواب الجزيل (ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم) هو كقوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق و هو الصراط المستقيم الذى لاعوج فيه ولاضلالة (ومن طلب الهدى من غيره) كعقله و قوال غيره (اضله الله) اى جعله شقيا ضالا لعدوله عن الطريق الحق (ومن حكم بـ) حكم (غيره قصمه الله) اى قتله واهلكه هلاكا شديدا واصل معنى القصم القطع بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز فى هذه الجملة ان تكون خبرية ودعائية انشائية (هو الذكر الحكيم) الذى بمعنى القرآن والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او سمى باسم قائله اى الحكيم قائله ففعيل بمعنى فاعل اى الذى يحكم الاشياء و يتقنها او الحاكم لهم وعليهم او المحكم الذى لاخلل فيه (والنور المبين) الواضح البين الذى تهتدى بانواره العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة (والصراط المستقيم) اى الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما تصل من الطريق الى ما تريد من الدار ومنازلها (وحبل الله المتين) اى عهده وامانه الذى يؤمن العذاب وكل مايكره و يشق على النفس ويتوصل به الى ما يحبه ويوصله لمطالبه والمتين بمعنى القوى المحكم يقال متن اذا صلب (والشفاء النافع) اما ان يراد بالشفاء ظاهره لانه يسترقى به فيشفى من بعض الامراض او يراد مطلق النفع على طريق المجاز كالمشفر وعلى طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالداء و يجعل مايزيله كالدواء والعلاج النافع الذى لاسقم بعده لنفعه فى الدنيا والآخرة (عصمة لمن تمسك به) بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم و هو الامساك والاعتصام التمسك و يجوز ضم عينه ايضا والاكثر الافصح الكسر وتجئ العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل (ونجاة لمن اتبعه) اى نجح له ومخلص مما يخشاه (لايعوج) بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه اى لبس فيه خلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل والانعطاف فى المدرك بالبصر و بكسر اوله مايدرك بالبصيرة (فيقوم) بالنصب فى جواب النفى اى لايحتاج الى تقويم يزيل عوجه فلبس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح (ولايزيغ) بمعجمتين بوزن نصير اى لايميل عن الحق والصواب (فيستعتب) بالنصب اى لايستحق العتاب و اللوم لعدم خروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة ادلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفى رواية الترمذى ولاتزيغ به الاهواء اى تميله (ولاتنقضى عجايبه ولايخلق على كثرة الرد)

تقدم بيانه (ونحوه) اى نحو هذا الحديث المروى عن على كرم الله وجهه مارواه الحاكم (عن ابن مسعود و قال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فيه ولايختلف) اى لايقع فيه مايخالف بعضه بعضا مع طوله و بعد عهده ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولايتشان) بفتح الياء التحتية والتاء الفوقية والسين المعجمة والف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن وهى القربة البالية وهو مستعار للملا والفاء بمعنى قوله فى الرواية الاخرى لايخلق على كثرة الرد وفى رواية لايتفه ولايتشان والتفه الحقارة وشئ تفه حقير كذا هو فى اكثر الروايات وصححوه وفى نسخة ولايتشاءأ بياء تحتية مفتوحة او مضمومة وتاء فوقية مفتوحة وشين معجمة والف بعدها نون وهمزة من الشنئ وهو البغض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة اوتخالف معانيه فهو كقوله ولايختلف معنى وهو معنى ظاهر مكشوف فاقيل الصواب هو الاول ان ارادوا بحسب الرواية فسلم وان ارادوا بحسب الدراية فلا وجه له (فيه نبأ الاولين والآخرين) تقدم بيانه بمايغنى عن اعادته (وفى الحديث) الذى رواه ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب الاحبار انه قال فى التورية انزلت على محمد فذكره واخرج ابن ابى شيبة فى المصنف عن مغيث بن سمى مرسلا انزلت على تورية الخ (قال الله عز وجل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انى منزل عليك تورية) اى كتابا سماويا شبيها بالتورية لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم والعقائد اليقينية فاطلاق التورية عليه استعارة تصريحية اومجازا مرسلا اوحقيقة ان قلنا انه عبرانى معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل كتاب نزل قبل القرآن ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب اليه وهو حديث قدسى نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الوحى اوفى ابتداء امره (حديثة) اى قريبة عهد بالنزول وهو كقوله مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث ولادليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله تعالى يسمى نورا وشفاء قال (تفتح بها اعينا عميا) اى ترشد بها من كان فى ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق (وآذانا صما) اى وتسمع بها آذانا لاتسمع الحق فتقبله (وقلوبا غلفا) لا يصل اليها مايهديها الى السعادة كانها فى غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه وسمى ازالة المانع مطلقا فتحا اوهو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا (وفيها) اى فى التورية يعنى القرآن (ينابيع العلم) جمع ينبوع وهى العين التى ينبع منها الماء الجارى فشبه العلم النافع بالماء الذى تحيى به النفوس على طريق الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل (وفهم الحكمة) اى مايفهم الحكم وهى المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كانه فيها مبالغة لكونها ينبوعه ومعدنه (وربيع القلوب) الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اى

فيهـا ما تحيى به القلوب و تنمو وتخصب و تمرح وتنشرح وتتنزه وتتفرح ففيه
استعارة لطيفة (وعن كعب) ابن ماتع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم (عليكم
بالقرآن) اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا يقال عليك كذا و نحوه فالمراد ملازمة تلاوته
وتدبر معانيه (فانه فهم العقول) اى مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى
اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك كما يرشد اليه قوله
بعده هذا بيان للناس (ونور الحكمة) اى منورها اوهو كعين الماء اى فيه حكم
يشرق نورها و يتلألأ وضوحا و يهتدى بها (وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص
على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون) يعنى انه بين فيه لاهل الكتاب ما
اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما حرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القرآن اجمع
للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله واوضح (وقال) تعالى (هذا بيان للناس
وهدى الآية) اى لجميع الناس (من اهل الكتاب) وغيرهم وموعظة للمتقين والآيات
مما يؤيد ما قاله كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله (فجمع فيه) اى فى القرآن (مع
وجازة الفاظه) اى اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه (وجوامع كلمه) معنى جوامع
الكلم انها الكلام الجامع للمعانى الجمة فى الفاظ قليلة واضحة وتطلق على القرآن كما
فى حديث اوتيت جوامع الكلم (اضعاف ما فى الكتب قبله) مفعول جمع اى جمع
ما يزيد على سائر الكتب مثله اومثليه (التى الفاظها على الضعف منه مرات) اى
مع زيادة الفاظها عليه بامثاله جمع من المعانى ما يزيد على امثاله معانيه وضعف
الشئ يكون بمعنى مثليه وامثاله والتضعيف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس
هذا محله (ومنها) اى من وجوه الاعجاز التى ذكروها (جمعه فيه) اى جمع الله
فى القرآن (بين الدليل والمدلول) الدليل هو الدال المرشد الى ما يمكن التوصل
بالنظر فيه الى مطلوب خبرى والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى
المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله (وذلك) اى الجمع بينهما (انه احتج)
بالبناء للمجهول فهو بضم اوله وثالثه اى ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته
والالزام به لمن اقيمت عليه الحجة (بنظم القرآن) اى بنظامه البديع المعجز (وحسن
رصفه) براء وصاد مهملتين وفاء لا بواو كما فى بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو ضم
بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه وتأليفه كما يؤلف البناء شيئا بعد شئ حتى يتم
ويكمل فى غاية الاحكام وضمير انه لله او القرآن (وايجازه و بلاغته) وفى نسخة
اعجازه اى كونه فى اعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ (واثناء هذه البلاغة)
بالنصب على الظرفية خبر مقدم اى فى خلالها واثناء بالمد على وزن افعال جمع
ثنا بالضم والقصر وهو ما انثنى ودخل بعضه فى بعض كما اشار اليه ابن هشام
اللخمى فى شرح الدريدية كامر وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول
فقال (امره ونهيه ووعده ووعيده) وغير ذلك من المقاصد العظيمة التى اراد ها الله

تعالى (فاتتالى له) اى القارى بفهم وتدبر لمعانيه (بفهم موضع الحجة والتكليف)
بالجر والنصب (من كلام واحد وسورة منفردة) عن غيرها مما هو حجة او محتج به يعني
ان كل مقدار معجز منه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعا
وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع
المذكور كما فى قوله فى سورة الواقعة لما حكى كلام منكرى المعاد وهو ائذا متنا الخ
عقبه بما قطع عرق شبهتهم بقوله افرايتم ما تمنون الى آخره وقيل انه كقوله
فلا تقل لهما اف انه حجة لتحريم التأفيف ومكلف باجتنابه وقوله فصل لربك
وانحر حجة لوجوب الصلوة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لامحصل له ومحل
يحتاج للتحرير (ومنها) اى من وجوه اعجازه (ان يجعله فى حيز) يقال تحيز وتحوز
تفيعل وهذه المادة معناها فى كلام العرب يتضمن العدول من جهة اخرى من الحيز
وهو فناء الدار ومن افقها ثم قيل لكل ناحية فالمستقر فى موضعه كالجبل لا يقال له
متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو اعم من هذا
والمتكلمون يريدون به اعم من هذا وهو كل ما اشير اليه سواء كان له حيز او لا فالعالم
كله متحيز كما قاله ابن تيمية (المنظوم الذى لم يعهد) اى المؤلف الواقع على طريق
لايشابه شيئا من كلامهم المنظوم لاشعرا ولاخطبة ولارسالة مع كونه واضح الدلالة
بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه
فى كتاب الابانة ثم قال فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التى بين القرآن وبين سائر
كلام العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت هى
ما فى القرآن من البلاغة التى لايقدر اشد اهل البلاغة واللسن مقدما فى البيان
ان يأتى بمثلها او ما يقاربها (ولم يكن فى حيز المنثور) اى لم يشبه اقسام منثورهم
من السجع الملتزم حروف كحروف روى الشعر ولاخطابة لمقاطع فصول الخطب
ومواضع استراحاتها لا لاشتماله على الفواصل كما توهم (لان المنظوم اسهل على
النفوس) اى الكلام المتسق نظمه وتأليفه على نهج واحد والمفضل عليه المنثور
بالمعنى السابق (واوعى للقلوب) جمع قلب اى ادخل فى وعائه وهو القوة الحافظة
له وفى الحديث بعد ذكر الانبياء الذى رأهم فى السماء اوعيت منهم اى ادخلته
فى وعاء قلبي فهو اسم تفضيل من المبنى للفاعل على القياس واللام داخلة على
الفاعل كما يقال هو اوعى لى ولاقلب فيه والصواب والقلوب اوعى له كما توهم
(واسمح فى الاذان) بسين وحاء مهملتين اى اسهل مستعار من السماحة وليس
من اسمح المزيد كما قيل وليس ايضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ اى منفذ
الاذن كما توهم (واحلى على الافهام) اى يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة
وحلاوة (فالناس اليه اميل) اى اكثر ميلا ومحبة كما قال الشعرى * فانى الى قوم

سوا كم لاميل * (والاهواء اليه اسرع) جمع هوى وهو ميل النفس وانجذابها اى
ميل القلوب نحوه اشد من ميلها لغيره (ومنها) اى من وجوه الاعجاز (تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه) اى تسهيل حفظه لمن يريده (قال تعالى ولقد يسرنا
القرأن للذكر) فى الكشاف معنى الآية سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه
بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ
واعنا من اراد حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيئناه من يسر ناقته للسفر
اذا رحلها وفرسه للغزو اذا اسرجه والجمه كما قال

* وقمت اليها باللجام ميسرا * هنالك يجزينى الذى كنت اصنع *

وعلى هذا الوجه الثانى بنى المصنف استشهاده بالآية (وسائر الامم) التى قبل هذه
الامة من اهل الكتابين وغيرهم (لايحفظ كتبها الواحد منهم) اى لايوجد فيها
واحد يحفظ كتابهم المنزل على انبيائهم الا نادرا وروى عن ابن جبير ان بنى اسرائيل
لم يكن فيهم من يحفظ التورية فكانوا لايقرؤنها الا نظرا فى صحفها غير موسى
وهارون ويوشع بن نون وعزير فقيل انها رفعها الله تعالى وقيل انها حرقت
فجاء عزير وتلاها عليهم كما انزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد
من الله تعالى على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له
لاتحصى الى الان (فكيف الجماء) منهم اى فاذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم الا نادرا
كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الميم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجموم
وهو الاجتماع والكثرة لاتعد وفى بعض النسخ فكيف الجم بعدمد وكلاهما صحيح
رواية ودراية وفى الاساس عدد جم وحبك حبا جما وجاؤا جما غفيرا والجماء الغفير
اشتق من جمة الشعر وماقيل من ان الصواب الجم لانه لايتلفظ بالجماء الا موصوفا نحو
جاؤا الجماء الغفير لااصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية (على
مرور السنين عليهم) اى مع طول اعمارهم وامتداد ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم
(والقرأن ميسر حفظه للغلمان) اى لغلمان هذه الامة واطفالهم فى مكاتبهم (فى اقرب
مدة) اى فى زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وغلمان بكسر العين المعجمة وهو من حين
يولد الى ان يشب (ومنها) اى من وجوه الاعجاز عند بعضهم (مشاكلة بعض اجزائه
بعضا) اى مشابهة بعضه لبعض قال الراغب المشاكلة فى الهيئة والصورة والند
فى الجنسية والشبه فى الكيف والشكل الدل وهو فى الحقيقة الانس الذى بين المتماثلين
فى الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال وآلاف واصل المشاكلة من الشكل اى
تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب (وحسن ايتلاف انواعها) اى مناسبة انواع
تلك الاجزاء فتكون كلماته متناسبة وجمله المركبة ايضا بينها الفة وحسن مناسبة
تامة (والتيام اقسامها) بهمزة ويجوز ابدالها ياء ايضا اى توافقها وانضمام كل قسم

الى متناكله (وحسن التخلص من قصة الى اخرى) وهو ان يوافق مطلع السابقة مداق اللاحقة حتى يصير كالقصة الواحدة (والخروج من باب الى غيره) اى الانتقال من نوع من الكلام الى نوع اخر وفى ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر (على اختلاف معانيه) الضمير للقرآن وعلى بمعنى مع اى تراه مع اختلاف مقاصده لا يخرج عن المناسبة التامة فى جمله وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب اجلها مناسبات البقاعى وحسن التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله

* يقول فى قوس محنى وقد اخذت * منى السرى وخطى المهرية القود *

* امطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود *

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا (وانقسام السورة الواحدة على امر ونهى وخبر واستخبار) اى استفهام وهو احد اقسام الانشاء المقابل للخبر وعدى الانقسام [illegible] الى اقسامه وانما يتعدى بعلى [illegible] فتقول النقد ينقسم الى دراهم و دنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فاذا استعمل احدهما فى مكان الآخر واراد الكلام كان تجوزا لنكتة وهى هنا جعل القسم الكلى كانه امر خارج قسم على افراده او انواعه فنال كلا حصة منه لوجوده فى ضمنه فلا يحسن ذلك فى كل محل ولا من كل قائل (ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد) كقوله وما كنت ثاويا فى اهل مدين اذ قضينا الى موسى الامر وقوله انما الله اله واحد (وتقرير) لبعض ما شرع اولا (وترغيب وترهيب) بوعد من اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر فى سواء الجحيم متضما ما ذكر (الى غير ذلك من فوائده) كضرب الامثال وذكر القصص للعبرة بها (دون خلل) اى امر يخل به وينقصه (يتخلل فصوله) اى يكون فى اثناء فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهى الكلمة ممايضا هى السجع (والكلام الفصيح) من كلام البشر (اذا اعتوره) اى ورد عليه وطرأ وتداوله (مثل هذا) اى تضمن انواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخلل فصوله التى ينشئها المتكلم الفصيح (ضعفت قوته) لانه يكل خاطر قائله بتعدد انواع المقاصد فينزل عن مرتبتها التى ساقها فى اوله (ولانت جزالته) اى صلابته وشدته تنقلب لضدها (وقل رونقه) اى صفاؤه ونضارته (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت والقلقلة فى الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل فى البلاد اذا طال سفره فاستعير لتنافر الكلام الطويل (فتأمل) اى تدبر واطل النظر والفكر (اول) سورة (ص) والقرآن ذى الذكر الى آخره (وما جمع فيها) بالبناء للفاعل او المفعول وانث ضمير اول لانه بمعنى الفاتحة اولا كتسابه التأنيث مما اضيف اليه من اسم السورة (من اخبار الكفار) اى كفار قريش من تعجبهم بان جاءهم نذير منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره (وشقاقهم) اى عداوتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق (وتقريعهم) وتوبيخهم

(باهلاك للقرون من قبلهم) بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن (وماذكر) فيها (من تكذيبهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) فى قولهم ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق (وتعجبهم مما اوتى به) فى قولهم انزل عليه الذكر من بيننا الى آخره (والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر) الخبر هنا بمعنى الاخبار والملأ جماعة الاشراف والرؤساء وذلك انه لما اسلم عمر رضى الله تعالى عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابى طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد رأيت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجاء بهم له صلى الله عليه وسلم وقال له يامحمد هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ماتسئلونى قالوا دعنا وآلهتنا وندعك وآلهتك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ماسألتموه اتعطونى انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد (وماظهر من الحسد فى كلامهم) اى ماظهر فى كلامهم مما يدل على حسدهم له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما آتاه الله فى قولهم انزل عليه الذكر من بيننا مما دل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمى قلوبهم (وتعجيزهم) حيث قال ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه من عباده فلا مانع لما اراد فانهم لايملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة فى صناديدهم فان انكروا ذلك فليصعدوا الى السماء وينزلوا الوحى لمن ارادوه وفى هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم (وتوهينهم) اى اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند ذو حقارة لاقدرة لهم على التصرف فى الامور الربانية فلا تكترث بهم (ووعيدهم بخزى الدنيا) بهزيمتهم (والآخرة) بذوقهم العذاب فيها (وتكذيب الامم قبلهم) اى وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم (واهلاك الله لهم) بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى كفار قريش الذين كذبوه كما كذب الامم السالفة رسلهم فسيحل بهم ماحل بهم (مثل مصابهم) منصوب بقوله وعيدهم (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على اذائهم) اى امره بالصبر بقوله اصبر على مايقولون الى آخره (وتسليته بكل ماتقدم ذكره) من بيان مال اليه امرهم وان له صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة (ثم اخذ) اى شرع بعد تصبيره وتسليته (فى ذكر داود عليه الصلاة والسلام) بقوله واذكر عبدنا داود الى آخره قيل لما فى قصته من تقطيع المعصية بذكر ماصدر منه من خلاف الاولى الذى صدر منه فعوتب عليه

فاستغفر ربه وخر راكعا واناب * فاباك بغيره فهذا وجه ذكره هنا فتدبر (وقصص الانبياء) بفتح القاف وكسرها كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد فتنا سليمان الى آخره فذكرهم الله تعالى مثنيا عليهم (كل هذا) المذكور فى اول سورة ص مذكور (فى اوجز كلام واحسن نظام) [illegible] ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل ماء فصاحته (ومنه) اى من اعجاز القرآن وفى بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد بما ذكر فى اول سورة ص (الجمل الكثيرة) من المعانى لقوله (التى انطوت عليها) واشتملت (الكلمات القليلة) بالنسبة لمعانيها وفى القلة والكثرة طباق البديع وقيل عليه ان محصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدركه بقوله (وهذا كله) اى ما ذكرنا (وكثير مما ذكرنا) فى [illegible] (انه ذكر فى اعجاز القرآن) مضافا (الى وجوه كثيرة لم يذكرها الائمة اكثرها داخل فى بلاغته) اشار بقوله اكثرها الى ان منها مالا يدخل فى البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والا لم يعده الائمة من وجوه الاعجاز (فلا يجب ان يعد فنا منفردا فى اعجازه) بل يجعل من توابعه اوثمراته (الا فى باب تفصيل فنون البلاغة) فيعد فنا منها كتشاكل اجزائه وحسن التخلص فانه فن مفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز مالا يكون فيه ذلك كسورة الاخلاص مثلا (وكذلك) اى من مثل المذكور (كثير مما قدمناه عنهم) اى عن الائمة (يعد فى خواصه وفضائله لا اعجازه) لانه لا مدخل له فيه (وحقيقة الاعجاز) عند من لم يقل بالصرفة اما هى (الوجوه الاربعة) التى قدمها المصنف رحمه الله تعالى اولا كما قال (التى ذكرنا فليعتمد عليها) فى تحقيق الاعجاز ويستند اليها من اراد تحقيقه (وما بعدها) مما ذكر فى هذا الكتاب فاعا هو (من خواص القرآن) التى لا توجد فى كلام غيره (وعجايبه التى لا تنقضى) اى لا تعد ولا تتناهى (وبالله التوفيق) اى ما التوفيق والهداية للوقوف على عجايبه التى لا تتناهى الا من الله وعنايته وفى بعض النسخ والله الموفق وفى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى اعطيته افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبى وشفاء همى وغمى ثم عقب معجزة القرآن التى هى اعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم بمعجزة اخرى عظيمة متناسبة له فى انها سماوية ومعجزة علية فقال فصل

تم المجلد الثانى من نسيم الرياض على الشفاء
ويليه المجلد الثالث بمنه تعالى